

تراثنا

مَخْتَارُ الْاِخْتِيَارِ

فِي

الْاِخْتِيَارِ وَالنِّهَايَةِ

اِخْتِيَار

ابن منظور محمد بن مكرم

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

الجزء الثاني

تقديم

عبد الستار محمد فراج

المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانتباو والنشر
الدار المصرية للتأليف والترجمة

خرج هذا الكتاب بالتعاون
مع
معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية

القاهرة
١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م
طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه
ج. ع. ٢٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب اختم بخير يا كريم

حرف الباء

وقعة بدر^(١)

لما سمع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان أنه أقبل من الشام في غير قريش وأموالهم تدب المسلمين إليهم وقال : هذه غير قريش فيها أموالهم فأخرجوا إليها فلعل الله أن ينفلكموها . فالتدب الناس نفث بعضهم وثقل بعض ؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا ، وكان أبو سفيان قد استنفر حين دنا من الحجاز ويسأل من لقي من الركبان ، خوفا على أموال الناس . حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولغيرك . فجذّ عند ذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم لأموالهم ، ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه . فخرج ضمضم مسرعا إلى مكة . وكانت عائشة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم قد رأت رؤيا أفزعها . فبعثت إلى أخيها العباس وقالت : يا أخي قد رأيت الليلة رؤيا أفزعني وتخوفت أن ينزل منها على قومك شر ومصيبة ، فآكتم على ما أحدثك . قال : هات ما رأيت . قالت :

(١) الأغاني : دار الكتب ٤/ ١٧٠ دار الثقافة ٤/ ١٧٦ بولاق ٤/ ١٧ السامى ٤ / ١٧
التجريد ١/ ٥٣٢ .

رأيت راكبا قد أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته أن
انفروا يا آل عُذْر إلى مصارعكم في ثلاث. وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل
المسجد الحرام والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل بعيرٍ على ظهر الكعبة ، ثم
صرخ بأعلى صوته بمثلها : انفروا انفروا يا آل عُذْر إلى مصارعكم في ثلاث . ثم
مثل بعيره على رأس أبي قُبَيْس ، فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت
تَهْوِي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فابق بيت من بيوت مكة حتى
دخله منها فِلْدَةٌ^(١) . فقال العباس : إن هذه لرؤيا عجيبة رأيتُها فاكتمتها ولا تظهرها .
ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عُتْبَةَ ، وكان له صديقا . فذكرها له واستكتمه
إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث حتى تحدث به قريش . قال
العباس : فعدت أطوف بالكعبة ، وأبو جهل بن هشام ورهط من قريش يتحدثون
برؤيا عاتكة . فلما رأي أبو جهل قال : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل
إلينا . فلما فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم . فقال لي أبو جهل : يا بني
عبد مناف ، متى حدثت فيكم هذه النَّبِيَّةُ ؟ قلت : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي
رأتها عاتكة . قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تنبأ
رجالكم حتى [تنبأت]^(٢) نساؤكم ؟ وقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا
في ثلاث . فسنترى بكم هذه الثلاث ، فإن يك ما قالت حقا فسيكون ، وإن تمض
الثلاث ولم يكن من ذلك شيء . نكتب عليكم كتابا أنكم أكذبُ بيتٍ في العرب .
قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبيرُ نكيرٍ إلا أتى^(٣) جحدت ذلك ،

(١) الفلدة : القطعة .

(٢) خلت منها نسخة ١ .

(٣) في طبعة الدار : كبير إلا أتى .

وأنكرت أن تكون رأت شيئا ، ثم تفرقنا ، فما أمسّت امرأة من ^(١) بنى عبد المطلب إلا أتتني فقالت : أفرتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم . ثم يتناول النساء وأنت تسمع . ثم لم يكن عندك غيرة لما تسمع . قال ^(٢) : قد والله فعلت ، ما كان منى إليه نكير ^(٣) ، وإيم الله لا تعرضنّ له فإن عاد لأَكْفِينَكُمْوه ^(٤) . قال : فندوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب ، أرى أنه قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه ، فدخلت المسجد فرأيت ، فوالله إني لأمشي نحوه أترّضه ^(٥) ليعود لبعض ما قاله فأقع به ^(٦) . وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان - إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ ، فقلت في نفسي : ماله لعنه الله ؟ كل هذا فرقا من أن أشأته ؟ وإذا هو قد سمع ما لم أسمعه صوتَ ضمضم بن عمرو الخفاري ، وهو يصرخ ببطن الوادي : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، النوث النوث ، قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر .

فتجهز الناس سراعا وقالوا : لا يظن محمد وأصحابه أن تكون كبير ابن الحضرمي ^(٧) ، كلا والله ليعلمن غير ذلك . وكانوا بين رجلين : إما خارج وإما باعث

(١) في طبعة الدار : فلما أسيئت لم تبق امرأة .

(٢) في طبعة الدار : غير لشيء مما سمعت . قلت .

(٣) في طبعة الدار : إليه من كبير .

(٤) في أصول الأغاني وهنا كما أثبت . وغيرها عتقو مطبوع دار الكتب « لأكفينكنه »

نقلا عن السيرة لأن الخطاب لجماعة الإنث .

(٥) في طبعة الدار : نحوه العرضنة .

(٦) في طبعة الدار : ليعود لبعض ما كان فأوقع به .

(٧) هو عمرو بن الحضرمي .

مكانه رجلا ، وأوعبت^(١) قريش^٢ لم يتخلف من أشرافها أحد . إلا أبو لهب بن عبد المطلب تخلف فبعت مكانه العاصي بن هشام ، وكان له عليه أربعة آلاف درهم ، استأجره بها على أن يخرج عنه^(٣) . وقيل : إن أبا لهب قام العاصي بن هشام في مائة من الإبل فقمره أبو لهب ، ثم عاد فقمره أبو لهب ثم عاد فقمره الثالثة ، فذهبت بكل ما يملكه ، فقال له العاصي : أرى القداح قد خدمتك^(٤) يا ابن عبد المطلب ، هلم نجعلها على أيتنا يكون عبدا لصاحبه . قال : ذلك لك ، فدحّاها ، فقمره أبو لهب فأسلمه قينّا ، وكان يأخذ منه ضريبة ، فلما كان يوم بدر ، وأخذت قريش^٥ كل رجل لم يخرج بإخراج رجل مكانه ، أخرجه عنه أبو لهب ، وشرط المتق ، فخرج ، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وكان أمية بن خلف قد أجمع القمود ، وكان شيخا ثقيلا ، فأناء عقبة بن أبي معيط - وهو جالس في المسجد بين ظهرائي قومه - بجمرة يحملها ، فيها نار وعود ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي استجمر ، فإنما أنت امرأة من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به . ثم تجهّز وخرج مع الناس ، فلما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا . فتبدّى لهم إبليس في صورة سُرّاقة ابن جُشم^(٦) المدلجى . وكان من أشراف كنانة ، فقال : إني جار لكم من أن تأتئكم كنانة بشيء تكرهونه . فخرجوا سراها .

(١) في نسخة ١ : ولوعنت .

(٢) في الأغاني : وكان لط له بأربعة آلاف كانت له عليه أفلس بها فاستأجره بها على أن يجزى عنه بمته .

(٣) في الأغاني : حالقتك .

(٤) في التيبورية : خشم .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خلون من شهر رمضان في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا ، وكان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلا ، والأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا . وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب كرم الله وجهه . وصاحب راية الأنصار سعد بن عُبادة .

قال البراء : وكنا نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر . ولم يميز معه إلا مؤمن .

وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الساقة قيس بن أبي صَعصعة أخا بني مازن بن النجار ، فلما كان قريبا من الصفراء بعث بَسْبَسَ بن عمرو الجُهني حليف بني ساعدة ، وعدى بن أبي الزغباء الجُهني حليف بني النجار يتجسسان له الأخبار عن أبي سفيان وعيره ، فلما استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء — وهي قرية بين جبَلين — سأل عن اسمي جبليها ^(١) ، فقيل : يقال لأحدهما : مُسْلَح ، والآخر مُخْرِي . وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النار وبنو حُرَاق — بطنان من بني غفار — فكروهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجنب الرور بينهما تفاؤلا بأسمائهما وأسماء أهليهما فتركهما والصفراء يسار ^(٢) وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له ذَرَفَان ، فلما كان ببعضه نزل ، وأتاه الخبر عن قريش ومسيرهم ^(٣) لينموا عيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر رضي الله عنه فأحسن القول ، ثم قام المقداد ^(٤) بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك : فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت

(١) في الأغاني : عن جبليها ما اسمهما .

(٢) في الأغاني : يسارا .

(٣) في الأغاني : عن قريش بمسيرهم .

(٤) في الأغاني : فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قام المقداد .

وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون^(١) ولكن نحن معك مقاتلون^(٢) ، والذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد - يعنى مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبليه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له .

قال عبد الله بن مسعود : لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما فى الأرض ، يعنى هذا المقال . وكان رسول الله^(٣) صلى الله عليه وسلم إذا غضب اجمرت وجنتاه فأثاه المقداد على تلك الحال فقال : أبشر يا رسول الله . فوالله لا تقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بعثك بالحق لنقاتلن^(٤) بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك أو يفتح الله عز وجل . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشيروا على أيها الناس » وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس . وكانوا لما بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلى ديارنا فأنت في ذمامنا ، نمنعك مما تمنع به نساءنا وأبنائنا ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى نصرته إلا ممن دمه بالمدينة من عدوه ، وليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في بلاد غيرهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ، لما كنا قلنا في ذمامك ؟ قال : أجل قال : فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض بنا يا رسول الله أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استمرضت بنا في البحر فخصنته لخضناه معك ما بق منا رجل واحد ،

(١) من سورة المائدة الآية ٢٤ وأولها « فاذهب » .

(٢) فى الأغاني : ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون معلون .

(٣) فى الأغاني : مما فى الأرض من كل شىء كان رجلا فارسا وكان رسول الله . الخ .

(٤) فى الأغاني : لنكونن .

وما نكره أن تلقى بنا عدونا^(١) إنا لصبرٌ عند الحرب، صدقٌ عند اللقاء، لعل الله أن يُريك منا ما تقرُّ به عينك، فسرُّ بنا على بركة الله عز وجل . فسار بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد وسرُّ بذلك ونَشِط^(٢) ثم قال : سبروا على بركة الله . وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين^(٣) والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذِفران^(٤) وسار حتى زل قريباً من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب . فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . قال : أخبراني من أنتم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذ أخبرتنا أخبرناك » فقال : وذلك بذاك ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهو اليوم بمكان كذا وكذا - المكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم - وبلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - المكان الذي به قريش - فلما فرغ من خبره قال : فمن أنتم ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ثم انصرف عنه ، قال : يقول الشيخ : من ماء ؟ أم من ماء العراق ؟ ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه . فلما أمسى بعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والزيبر بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه إلى بدر يلتمسون له الخبر . فأصابوا رواية لقريش ، فيها أسلم

(١) في الأغاني : عدواً غداً .

(٢) في الأغاني : فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم [بقول سعد] ونشطه ذلك .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى « وإذ يدرك الله إحدى الطائفتين أنها لكم » الآية ٧ من سورة الأنفال . والطائفتان : العرب والنضير . (٤) هو ذِفران .

(٤) هنا زيادة في الأغاني .

مولى الحجاج^(١) وغريص بن بشار^(٢) مولى بنى الماص ، فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ، فسألوهما . فقالا : نحن سعاة لقريش . بمثونا لنسقيهم من الماء . ففكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبى سفيان . ففرضوهما . فقالا : نحن لأبى سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدتين ثم سلم فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما . صدقا والله إنهما لقريش ، أخيرانى أين قريش ؟ قالوا : وراء الكتيب الذى ترى بالمدوّة القصوى - والكتيب : المَقْنَل - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كم القوم ؟ » قالوا : كثير . قال : « كم عدّتهم ؟ »^(٣) قالوا : لا ندرى قال : « كم ينحرون كل يوم ؟ » قالوا : يوما تسعا ويوما عشرا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن فيهم من أشرف قريش ؟ قالوا : عقبة بن ربيعة [وشيبة بن ربيعة] وأبو البختريّ بن هشام وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر وطعيمة بن عدى والنضر بن الحارث وزمعة ابن الأسود . وأبو جهل بن هشام . وأمّية بن خلف ونُبَيْه ومنبه [ابنا الحجاج ، وسهيل بن عمرو] وعمرو بن عبد ودّ . فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد رمتمكم بأفلاذ كبدها^(٤) .

وقد كان يسبس وعدى مضيا حتى نزلا بدرا فأنابا على الماء ، ثم أخذنا شتا يستقيان فيه^(٥) فسمع بسبس جاريتين من جوارى الحاضر وهما تتلازمان على الماء .

(١) فى الأغاني : غلام بنى الحجاج .

(٢) فى أصول الأغاني : غريص بن يسار « وغيرت فى طبعة الدار إلى عريص بن يسار » تبعاً لابن هشام والطبرى .

(٣) فى الأغاني : كم القوم ؟

(٤) فى الأغاني : قد رمت إليكم أفلاذ كبدها .

(٥) فى الأغاني بعدها : وعدى بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدى وبسبس .

واللزومة تقول لصاحبتها : إنما يأتي العير غدا أو بعد غد ، ثم أعمل لهم وأقضيك الذي لك^(١) . فسمع عدى وبسيس ذلك ، فاستويا على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا .

وأقبل أبو سفيان حتى تقدم العير حذرا فورد الماء . فقال لمجدي بن عمرو : هل أحسست أحدا ؟ قال : ما رأيت أحدا أنكره إلا أني رأيت راكبين أناخا على هذا التل ثم استقيا في شئ لهما ، ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مناخهما ، فأخذ منه البعر^(٢) ففتته فإذا فيه نوى فقال : هذه علائف يثرب . ورجع إلى أصحابه سريما ، فصرف وجهه عيره عن الطريق ، وترك بدرا يسارا ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما زلوا الجحفة رأى جهيم^(٣) بن الصلت بن المطلب رؤيا . فقال : إنني رأيت - وإني لبين النائم واليقظان - رجلا أقبل على فرس حتى وقف ، ومعه بعير له ثم قال : قُتل عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو الحكم بن هشام وأممية بن خلف - وعدد رجلا ممن قتل يومئذ من أشراف قريش - ورأيت ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في السكر فما بقي خباء من أخبية السكر إلا أصابه نضح^(٤) من دمه . قال : فبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضا نبي آخر من بني عبد مناف^(٥) سيمعلم غدا من المقتول إن نحن التقينا .

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم

(١) في الأغاني بعدها : قال مجدي : صدقت ، ثم خلس بينهما .

(٢) في الأغاني : فأخذ من أبقار بعيريهما .

(٣) في الأغاني : « جهيم بن أبي الصلت بن غزوة بن عبد المطلب » هنا والأسلوب يختلف

قليلا بعده في سياق هذه الرؤيا .

(٤) في التيمورية : نضح .

(٥) في الأغاني : عبد المطلب .

لتمنعوا غيركم^(١) وقد نجاها الله عز وجل . فارحلوا^(٢) . فقال أبو جهل :
والله لا رجع حتى رد بدرًا - وكانت بدرٌ موسمًا من مواسم العرب ، يجتمع لهم
بها سوق كل عام - فننحدر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر ونعزف علينا القيان .
وتسمع العرب فيها موقفاً فامضوا^(٣) ، فقال الأخنس بن شريق الثقفي - وكان حليفاً
لبني زهرة - : يا بني زهرة ، قد نجي الله غيركم وإنما خرجتم لتمنعوها ، فارجموا فلا
حاجة لكم في أن تخرجوا . فرجموا فلم يشهدوا زهرى واحد ، وكان فيهم مطاعا .
ولم يكن بقى في قريش بطن إلا نفرٌ منهم ناس ، إلا بني عدى بن كعب لم يخرج
منهم رجل واحد ، ومضى القوم . وكان بين طالب بن أبي طالب - وهو في القوم -
وبين بعض قريش مجاورة فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم - وإن خرجتم معنا -
أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة مع من رجع . وقال ابن الكلبي إن طالب بن
أبي طالب خرج مع المشركين كرها فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا رجع إلى
أهله - وكان شاعراً بحيدا وهو الذي يقول :

يارب إما يفزون طالبٌ في مقبٍ من هذه المقائبِ
فليكن المساوب غير السالبِ وليكن المغلوب غير التالبِ

ومضت قريش حتى نزلوا بالمدوة القصوى من الوادي . خلف المقتل ،
وطعن الوادي بين بدر وبين الكتيب الذي خلفه قريش^(٤) ، والقليب يدبر في

(١) في الأغاني : غيركم ورحالكم وأموالكم .

(٢) في الأغاني : فقد نجاها الله فارجموا .

(٣) في الأغاني : « وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبداً فامضوا » هذا ، وفي الأغاني
زيادات بعد ذلك في السياق .

(٤) في الأغاني : وطعن الوادي وهو يليل بين بدر وبين المقتل : الكتيب الذي خلفه
قريش - وهذا يتفق مع نقل ياقوت عن ابن إسحاق صاحب السيرة في « يليل » .

العدوة الدنيا، وبعث الله السماء وكان الوادي دهباً^(١)، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما لبّد لهم الأرض ولم يمنهم السير. وأصاب قريشاً منها ما لم يقدرُوا أن يرحلوا معه، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبادرهم إلى الماء، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به. فقال الحُباب بن المنذر: يا رسول الله، أرايت هذا المنزل أمّنزل أنزلَكَ الله تعالى ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّره. أم هو الرأى والحرب والمكيدة. ؟ قال: بل هو الرأى والحرب والمكيدة. قال: يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل فارحل^(٢) بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتزله. ثم تمور^(٣) ما سواه من القلب ثم تبني عليه حوضاً تملؤه ماء. ثم تقاتل القوم فتشرب ولا يشربون. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد أشرت بالرأى. فهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس. حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه، ثم أمر بالقلب فمورت^(٤) وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه وملئ ماء. ثم قذفوا فيه بالآنية. ثم قال سعد بن معاذ: يا رسول الله، نبني لك عريشاً من جريد فتكون فيه ثم نلقى عدونا، فإن نحن أهرّنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام مانحن بأشدّ حباً لك منهم يا رسول الله. ولو ظننوا أنك تلقى حرباً ماتخلفوا عنك، يمتنع الله بهم فيجاهدون معك. فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير. وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشاً فكان فيه. وأقبلت

(١) الدهس: الأرض السهلة يتقل فيها المشى.

(٢) في الأغاني: فانهض.

(٣) عور الركبة وأعارها وعارها: طمها وسدد أعينها التي ينبع منها الماء. وفي حديث علي:

أمره أن يعور آبا ويهر.. انظر اللسان «عور» وفي الأصل كأسول الأغاني: ينور.

قريش ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب^(١) من العققل - وهو الكتيب الذى جاءوا منه - إلى الوادى قال : « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وغرها تحادك وتكذب نبيك ورسولك اللهم فنصرَكَ الذى وعدتني » فلما نزل الناس أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حكيم بن حزام على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « دعوهم » فما شرب منهم رجل إلّا قتل يومئذ إلا حكيم بن حزام فإنه لم يُقتل ، نجا على فرس له . وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه . وكان - رضى الله عنه - إذا اجتهد في عيئنه قال : لا والذى نجاتي يوم بدر .

ولما اطمأن القوم بمشوا غمير بن وهب الجحى فقالوا : اخزُر^(٢) لنا أصحاب محمد . فاستجبال فرسه حول المسكر ، ثم رجع إلى القوم فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلا . لكن أنظروني^(٣) حتى أنظر : هل للقوم كمين أو مدد ؟ فغضب في الوادى حتى أمعن فلم ير شيئا فرجع إلى القوم وقال : لم أرمدا ، ولكني يامعشر قريش رأيت قوما لا يُقتل أحد منهم حتى يقتل جماعة منكم ، فإن أصابوا منكم عددهم فما في العيش خير بعد ذلك . فلما سمع حكيم بن حزام آتى عتبة بن ربيعة فقال : يا أبا الوليد إنك كبير في قريش^(٤) وسيدها والمطاع فيها ، هل لك ألا تزال تذكرُ بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : ترجع بالناس وتشجع دم حليفك عمرو بن الحضرمي . قال : فعلت ، وإنما هو حليفي فلي عَفْلُه وما أصيب

(١) التصويب خلاف التصيد . والتصوب : الانحدار .

(٢) الخزر : التقدير بالحسد .

(٣) في الأغاني : « يزيدون قليلا أو ينقصونه ولكن أمهلوني .. » هذا وفي سياق الأغاني زيادات بعد ذلك .

(٤) في الأغاني : كبير قريش .

من ماله . فَأَتِ ابْنَ الحَنْظَلِيَّةِ ؟ فَإِنِّي لَا أَخْشَى أَنْ يُفْسِدَ أَمْرَ النَّاسِ غَيْرُهُ - .
أَبُو جَهْلٍ - فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ تَرْجِعَ الْيَوْمَ بَعْدَ مَعْنَى ابْنِ عَمِّكَ ؟ فَجَبَّتْهُ ، فَإِذَا هُوَ
فِي جَمَاعَةٍ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَمِنْ وَرَائِهِ ، وَإِذَا ابْنُ الْحَضْرِيِّ وَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ
وَهُوَ يَقُولُ : قَدْ قَسَّخْتُ عُقْدَتِي مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَعُقْدَتِي إِلَى بَنِي عُزْزَمٍ ^(١) ،
فَقُلْتُ لَهُ : يَقُولُ لَكَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ : هَلْ لَكَ أَنْ تَرْجِعَ الْيَوْمَ عَنْ ابْنِ عَمِّكَ ؟ فَقَالَ :
أَمَا وَجَدَ رَسُولًا غَيْرَكَ ؟ قُلْتُ : لَا ، وَلَمْ أَكُنْ لِأَكُونَ رَسُولًا لغيرِهِ . قَالَ : فَقَامَ
أَبُو جَهْلٍ مُبَادِرًا إِلَى عَتَبَةَ ، وَعَتَبَةُ مَسْكِيًا عَلَى إِيمَاءِ بْنِ رَخْصَةَ ^(٢) النَّفَارِي . فَطَلَعَ
أَبُو جَهْلٍ وَالشَّرُّ فِي وَجْهِهِ ، فَقَالَ لَمْتَبَةَ : انْتَفِخْ سَحْرُكَ ^(٣) ، فَقَالَ لَهُ عَتَبَةُ : سَتَمَلَّ .
فَسَلَّ أَبُو جَهْلٍ سَيْفَهُ فَضَرَبَ بِهِ مَنْتَنَ فَرْسِهِ ، فَقَالَ إِيمَاءُ بْنُ رَخْصَةَ : بَشَى الْفَالُ ^(٤)
هَذَا . فَقَامَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ خَطِيئًا فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّكُمْ وَاللَّهِ مَا تَصْنَعُونَ
بِأَنْ تَلْقَوْا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ شَيْئًا . وَاللَّهِ لَئِنْ أَصْبَحْتُمُوهُ لَا يَزَالُ رَجُلٌ يَنْظُرُ فِي وَجْهِ رَجُلٍ
يَكْرَهُ النَّظَرَ إِلَيْهِ . قَتَلَ عَمَّهُ وَابْنَ خَالِهِ وَرَجُلًا مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَارْجَعُوا وَخَلُّوا مُحَمَّدًا
وَسَائِرَ الْعَرَبِ ، فَإِنْ أَصَابَهُ فَذَلِكَ أَرَدْتُمْ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَلْفَاكُم وَلَمْ تَمْدُمُوا مِنْهُ
مَا تَرِيدُونَ . فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ لِعَامِرِ بْنِ الْحَضْرِيِّ : قُمْ فَأَنْشُدْ مَقْتَلَ أَخِيكَ . فَقَامَ هَامِرٌ

(١) فِي التَّبْيُورِيَّةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَمِنْ بَنِي عُزْزَمٍ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : رَخْصَةُ . وَفِي الْإِسَابَةِ فِي تَرْجُمَتِهِ لَهُ : رَخْصَةُ . وَفِي شَرْحِ الْقَامُوسِ مَادَّةُ
«رَحَضَ» ذَكَرَهُ وَذَكَرَ ابْنَهُ خَفَافًا . وَضَبَطَهُ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَالْهَاءِ وَبَضَمَ الرَّاءَ وَفَتَحَ الرَّاءَ مَعَ سَكُونِ
الْهَاءِ . هَذَا ، وَفِي الْإِسَابَةِ فِي تَرْجُمَةِ خَفَافٍ بْنِ إِيمَاءٍ بْنِ رَخْصَةَ نَسَبٌ عَلَى أَنَّهُ بَفَتْحِ الرَّاءِ الْمُهْمَلَةِ ثُمَّ
مُعْجَبَةٍ . وَفِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ فِي تَرْجُمَةِ خَفَافٍ بْنِ إِيمَاءٍ رَحْصَةُ وَبِهَاشِهِ تَقْلَاعُنِ الثَّنِي : بَرَاءٌ وَمُهْمَلَةٌ
وَضَادٌ .

(٣) يَكْنَى عَنِ الْجَبِينِ بِاتِّضَافِ السَّحَرِ . وَالسَّحَرُ : الرِّثَّةُ وَمَا حَوْلَهَا ، فَطَلَبَانِ يَمْلَأُ الْخَوْفَ جَوْفَهُ
فَيَسْتَلُّ سَحْرَهُ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : بَشَى الْقَامَ .

فصاح : وأَعْمَرَاهُ وَأَعْمَرَاهُ . فَصَحَّيْتُ الْحَرْبُ وَاسْتَوْفَقُوا^(١) عَلَى مَا مِمَّ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ ، وَأَنْفَسَ أَبُو جَهْلٍ عَلَى النَّاسِ الرَّأْيَ الَّذِي دَعَاهُمْ إِلَيْهِ عَتَبَةُ . وَلَمَّا سَمِعَ^(٢) عَتَبَةُ قَوْلَ أَبِي جَهْلٍ قَالَ : لِيَعْلَمَ الْمُصَفِّرُ اسْتَهَ مِنْ انْتَفَخَ سِحْرُهُ أَنَا أَمْ هُوَ ، ثُمَّ التَّمَسَ بِيَصْنَةَ يُدْخِلُهَا رَأْسَهُ . وَبَرَزَ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ الْخَزَوِيُّ ، وَكَانَ رَجُلًا شَرِسًا سَيِّئًا . الْخُلُقِيُّ ، فَقَالَ : أَهَاهُ اللَّهُ لِأَشْرَبِينَ مِنْ حَوْضِهِمْ وَلَأَهْدَمَنَّهُ أَوْ لَأَمُوتَنَّ دُونَهُ . فَلَمَّا دَنَا خَرَجَ لَهُ حِمْزَةٌ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ — رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ — فَلَمَّا التَّقِيَا ضَرَبَهُ حِمْزَةٌ فَأَبَانَ قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ وَهُوَ دُونَ الْحَوْضِ ، فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ تَشَخُّبٌ رَجُلُهُ دَمًا ، فَنَابَا إِلَى الْحَوْضِ حَتَّى اقْتَحَمَ فِيهِ يَرِيدُ أَنْ يُبْرِيَ يَمِينَهُ ، فَضَرَبَهُ حِمْزَةٌ فَقَتَلَهُ فِي الْحَوْضِ . فَخَرَجَ بِمَدَةِ عَتَبَةَ ابْنِ رَبِيعَةَ مَعَ أَخِيهِ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَابْنَةَ الْوَلِيدِ بْنِ عَتَبَةَ ، فَدَعَمُوا إِلَى الْبَارِزَةِ ، فَخَرَجَ مِنَ الْأَنْصَارِ عَوْفٌ وَمَعُوذُ ابْنَا الْحَارِثِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالُوا : مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالُوا : مَا لَنَا بِكُمْ مِنْ حَاجَةٍ . ثُمَّ نَادَى مُنَادٍ مِنْهُمْ : يَا مُحَمَّدُ ، أَخْرِجْ إِلَيْنَا أَكْفَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُمْ يَا حِمْزَةُ ، قُمْ يَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، قُمْ يَا عَبِيدَةَ بْنَ الْحَارِثِ ، فَدَنُوا مِنْهُمْ ، فَقَالُوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فَقَالَ عَبِيدَةُ : أَنَا عَبِيدَةُ ، وَقَالَ حِمْزَةُ : أَنَا حِمْزَةُ ، وَقَالَ عَلِيُّ : أَنَا عَلِيُّ . فَقَالُوا : نَعَمْ ، أَكْفَاءًا كِرَامًا ، فَبَارَزَ عَبِيدَةُ عَتَبَةَ ، وَبَارَزَ حِمْزَةُ شَيْبَةَ ، وَبَارَزَ عَلِيُّ الْوَلِيدَ . فَأَمَّا حِمْزَةُ فَلَمْ يُعْمَلْ شَيْبَةَ حَتَّى قَتَلَهُ . وَلَمْ يُعْمَلْ عَلِيُّ الْوَلِيدَ حَتَّى قَتَلَهُ . وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عَبِيدَةَ وَعَتَبَةَ ضَرْبَتَانِ ، كَلَامُهُمَا أَثْبَتَ صَاحِبَهُ ، فَكَرَّرَ عَلِيُّ وَحِمْزَةُ بِسَيْفَيْهِمَا عَلَى عَتَبَةَ فَقَتَلَاهُ ، وَاحْتِمَلَا عَبِيدَةَ فَنَجَّاهُ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ قَطَعَتْ رِجْلُهُ وَنَحَّيَا سَيْلَ ،

(١) فِي الْأَغَانِي : وَاسْتَوْفَقُوا « أَيِ اجْتَمَعُوا » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : بَلَّغَ .

فلما أتوا به قال : يا رسول الله ، ألسنتُ شهيداً ؟ قال : بلى . فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حياً لِمَ أتى أحق منه بما قال حين يقول :
وَنُسِّلِمِهِ حَتَّى نَصْرَعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَّالِ
ثم تراخف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إذا اكْتَنَفَكُمْ الْقَوْمُ فَانْصَحُوهُمْ بِاللَّيْلِ .

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة ، صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .
ولما عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه مرَّ بسواد بن غزيرة حليف بنى عدى بن النجَّار وهو خارج من الصف ، فطمعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه فذبح في يده ثم قال : « أَسْتَوِ يَا بَنِي غَزِيَّة » فقال : يا رسول الله أَوْجَعْتَنِي فَأَقِدْنِي فَإِنَّا أَنْتَ رَحِمَةٌ . فكشف^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال : « اسْتَقِدْ » فاعتنقه وقبَّل بطنه . فقال : « ما حلك على هذا يا سواد ؟ » فقال : يا رسول الله ، حضر ماترى ، فلم آمن الشهادة ، فأردت أن يمسخ جلدى جلداً . فدهأ له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير .

ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وكثرتهم^(٢) ونظر إلى أصحابه يتفاعل ثلاثمائة استقبل القبلة^(٣) فجعل يدعو ويقول : « اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد فى الأرض » فلم يزل حتى

(١) فى الأغانى : فقال : يا رسول الله أوجعتنى وقد بعثك الله بالحق فأقدينى . قال : فكشف .

(٢) فى الأغانى : وعدتهم .

(٣) فى الأغانى : الكعبة .

سقط رداؤه ، فأخذه أبو بكر فوضعه عليه . ثم التزمه من ورائه ثم قال : [كفناك يا نبي الله مناجاتك ربك ، بأبي أنت وأمي ؛ فإنه سينجز لك وعدك فأنزل الله عز وجل « إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مُردفين » ^(١) وقال ابن عباس : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في فتنة يوم بدر : اللهم إني أسألك وعدك وعهدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم فأخذ أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ^(٢) « حَسْبُكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مُنَاجَاةُكَ . لَقَدْ أَلْحَقْتَ عَلَى رَبِّكَ . فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ : « سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيُؤْتُونَ الدُّبُرَ » بِالسَّاعَةِ مُوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ » ^(٣) ثم خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة في المريش ، واتبه فقال : يا أبا بكر ، أناك نصر الله . هذا جبريل آخذُ بعتان فرسه يقوده .

وروي مَهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب فات ^(٤) ، فكان أول قتيل من المسلمين . ثم قتل حارثة بن سراقة أحد بني عدى بن النجار وهو يشرب من الخوض . وحرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس على القتال وقال : والذى نفسى بيده لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فَيُقْتَلَ صابراً غير مدمرٍ إلا أدخله الله الجنة . فقال عمر أخو بني سلمة - وفي يده تمرات يأكلها - بَخْرٌ بَخْرٌ ما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن أقتل ؛ ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه وقاتل القوم حتى قُتِلَ ، وهو يقول :

رَكُنَّا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عَرَضَةُ النَّفَادِ
غَيْرِ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

(١) سورة الأنفال الآية ٩

(٢) هذه الزيادة في ١ .

(٣) سورة القمر الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) في الأغاني : بسهم فقتل .

[ثم إن عوف بن الحارث وهو ابن عفراء قال : يا رسول الله ، ما يعضك الرب تبارك وتعالى من عبده؟ قال: غمسه: يده في العدو حاسرا . فترع درعا كانت عليه فتذفها ثم أخذ سيفه فقاتل حتى قتل .

ولما دنا الناس والتقوا [قال أبو جهل : اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأهلكه ^(١) الفداة . فدعا على نفسه .

ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء ثم قال : « شأته الوجوه » ثم تعصم بها . ثم قال لأصحابه « شُدُّوا » فكانت الهزيمة . وقتل الله [تعالى من قتل من] صناديد قريش ، وأسر من أشرافهم ^(٢) فلما وضع القوم أيديهم بأسروا - ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم متوشحاً سيفه في نفر من الأنصار يحرسونه من كربة العدو - رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجه سعد بن معاذ لما يصنع بقريش ، فقال « كأنك كرهت ما يصنع بالمشركين ؟ » فقال : نعم يا رسول الله . وكان الإيخان بالقتل أعجب إلى ^(٣) من استبقاء الرجال وأسرهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رجالاً من بني هاشم أخرجوا كرها لقتالنا فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله . فإنما خرج مستكرها . فقال أبو حذيفة: أقتل أبناءنا وإخواننا وعشيرتنا

(١) في الأغاني : فأخذه .

(٢) في الأغاني : وقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر من أسر منهم . وفي مخطوط الإسكندرية : وقتل الله تعالى من قتل من صناديد قريش وأسر من أشرافهم .

(٣) في الأغاني: أعجب إلى . وكذلك في نسخة المؤلف ونسخة الإسكندرية . أما التيمورية ففيها : أحب إلى .

وتترك العباس؟ والله لن نقيته لأفحمته بالسيف^(١) فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر^(٢) بن الخطاب رضي الله عنه : يا أبا حفص ، أسمع إلى ما يقول أبو حذيفة؟ يقول: أضرب وجه عم رسول الله بالسيف ، فقال عمر: دعني أضرب عنقه يا رسول الله^(٣) فوالله لقد نافق .

وكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمن تلك الكلمة التي قلت يومئذ ولا أزال خائفا إلا أن تكفرها عني الشهادة . فقتل يوم اليمامة شهيدا . [ونهى^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري وهو الماص بن هشام لأنه كان أكف الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان لا يؤذيه ، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه . وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب^(٥) فلقية المجذر بن زياد البلوي حليف الأنصار من بني عدى ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك . قال : وزميلي؟ فقال المجذر : لا والله ما نحن بتاركي زميلك . وكان مع أبي البختري جنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسد ، خرج معه من مكة زميله . وقال له المجذر : ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك . قال : إذن لأموت أنا وهو جيمنا ولا تتحدث عني نساء قريش وأهل مكة أني تركت زميلي حرسا على الحياة . فقال أبو البختري حين نازله المجذر وأبي إلا القتال :

لن يُسلم ابنُ حُرَّةٍ أكيَلُهُ حتى يموت أو يرى سبيلهُ

(١) في الأغاني : لألجمته بالسيف .

(٢) في ١ : فجعل يقول لعمر .

(٣) في ١ : دعني يا رسول الله فلا أضرب عنقه بالسيف .

(٤) هذه الزيادة بين مقوفين من نسخة ١ وتتفق مع ما في الأغاني . وخلصت منها نسخة (ت ، ك) .

(٥) في أصل نسخة ١ بمعنى أخلاء : الماص بن هاشم ... علي بن هاشم وبني عبد المطلب .

واقْتَتَلَا فقتله المجدّر بن زياد ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بمثك بالحقى يا رسول الله لقد جهدت عليه أن يستأمر فأتيك به أسيراً ، فأبى إلا القتال فقاتلته فقتلته .

قال عبد الرحمن بن عوف : كان أمية بن خلف صديقى بمكة . وكان اسمى عبد عمرو فلما أسلمت تسميت عبد الرحمن ونحن بمكة . فكان يلغاني فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسمي ممّاك به أبوك ؟ فأقول : نعم ، فيقول : إني لا أعرف عبد الرحمن ولكن اجمل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فإنك لا تجيبني إذا دعوتك باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك إلا بما أعرف . فكان إذا دعاني ونحن في مكة : يا عبد عمرو لا أكله ولا أجيبه . قال عبد الرحمن : فقلت له يوماً : اجمل بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت أن تدعوني به غير عبد عمرو . فقال : أنت عبد الإله . فقلت له : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله . فأجيبه . فأتحدث معه ثم أنصرف عنه ، فلما كان يوم بدر [بعد القتال وقد جعت أدرأها من على القتلى] ^(١) مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ بن أمية آخذاً بيده ومعى أدرأه قد استلبتها وأنا أحملها . فلما رأاني قال : يا عبد عمرو ، فلم أجبه ، فقال : يا عبد الإله . فقلت : نعم . قال : هل لك فيّ ؟ فأنا خير لك من هذه الأدرأه . فأت : نعم هلُمّ إذا . قال : فطرح الأدرأه من يدي ، وأخذت بيده ويد ابنه ، وهو يقول : مارأيت كاليوم قط . أما لكم حاجة في اللبن ^(٢) ؟ ثم خرجت أمشي بهما . فقال : يا عبد الإله ، من الرجل المعلم [منكم] بريش نسامة في صدره ؟ قلت : ذاك حزة بن عبد المطلب . قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل .

(١) زيادة في (ت ، ك) خلت منها (ا) والأغاني وما يأتي بعد يدل على أن الزيادة لا عمل لها .

(٢) بهامش نسخة (ا ، ك) قوله : « مالكم حاجة في اللبن » يمرض بأنه يفقد نفسه

بكثير من الإبل .

فبينما أنا أفودهما إذ رآه بلال ممي - وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتجعل على صدره ، فيقول : لا يزال هكذا حتى يفارق دين محمد . فيقول بلال : أحد أحد - فلما رآه بلال قال حين رآه : رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجوت . قال : فقلت : أي بلال أبأسيرى ؟ قال : لا نجوت إن نَجَوَا . قال : فأت [بأسيرى]^(١) تسمع يا ابن السوداء ؟ قال : لا نجوت إن نَجَوَا . ثم صاح بأعلى صوته : [يا أنصار الله]^(٢) رأس الكفر أمية بن خلف فأحاطوا بنا حتى جملونا في مثل المسكة^(٣) وأنا أذب عنه ، فضرب رجل ابنه فوق . وصاح أمية^(٤) صيحة ماسمت مثلها قط . قال : قلت انج بنفسك ولا تنجاء ، فوالله ما أغنى عنك شيئاً ، فهبرهما بأسيا فهم حتى فرغوا منهما ، فكان عبدالرحمن يقول : رحم الله بلالا ، ذهب أدرامى ، وفجنى بأسيرى .

قال ابن عباس : حدثنا رجل من غفار قال : أقبلت أنا وابن عم لي حتى سعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان فنظر الوقعة على من تكون الدائرة ، فنهب مع من يهب ، فبينما نحن في الجبل إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا منها حجمة الخيل وصمت قائلاً يقول : أقدِمَ حَيَروم ، فأما ابن عمي فأنكشف قناع قلبه فات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت .

وقال أبو أمامة بن سهل بن حنيف : قال لي أبي : لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير إلى المشرك بسيفه فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف .

(١) زيادة في ١ ، ك والأغاني .

(٢) زيادة في (١) والأغاني .

(٣) المسكة : السوار .

(٤) في (ت) : وصاح ابنه .

وقال أبوداود المازني^(١): إني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، ففرت أن قد قتله غيري .

قال عبد الله بن عباس: وكانت سببا الأنصار^(٢) عمام بيضاء يوم بدر قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين^(٣) عمام حمراء . ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى بدر ، وكانوا يسكنون فيها سواء من الأيام عددا ومدة لا يضربون .

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزاة بدر أمر بأبي جهل أن يلتبس في القتلى ، وقال : « اللهم لا يُمَيِّزَنَّكَ » فكان أول من لقي أبا جهل معاذ بن عمرو^(٤) بن الجوح ، قال : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة^(٥) وهم يقولون : أبو الحكم ، لا يُخَلِّصُ إليه . فلما سمعها جعلته من شأني ، فصمَدْتُ^(٦) نحوه ، فلما أمكنتني حملت عليه فضربتة ضربة أطلتْ قدمه بنصف ساقه ، فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا النواة تَطِيحُ من تحت مِرْصَحة النوى حين يضرب بها ، قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح بدى ، فتعلقت بجِلْدَةٍ من جَنَبي . وأجهضني^(٧) القتال عنه ، ولقد قاتلت عامة يوى وإني لأسحبها خلفي ، فلما آذنتني جعلت عليها رجلى ، ثم تمطيت بها حتى طرحتها . ثم عاش معاذ بعد ذلك إلى زمن عثمان . قال : ثم مرَّ

(١) في « ت » الباري .

(٢) كذا في (ت) ، (ك) أما في أ فقد ضرب على كلمة الأنصار ووضع فوقها كلمة الملائكة وفق الأغاني : للملائكة .

(٣) في (ت) : خير .

(٤) في (ت) عمير .

(٥) الحرجة : جثم شجر ملتف .

(٦) صمدت : قصدت . وفق الأغاني : فصمدت .

(٧) أجهضه عن الأمر : أبده .

مُعَوِّذُ بْنُ عَفْرَاءَ بِأَبِي جَهْلٍ وَهُوَ عَقِيرٌ^(١) ، ففُضِرَ بِهِ حَتَّى أَثْبَتَهُ^(٢) ، فَتَرَكَهُ وَبِهِ رَمَقٌ ،
وَقَاتَلَ مُعَوِّذٌ حَتَّى قُتِلَ ، فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ بِأَبِي جَهْلٍ ، وَكَانَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُلْتَمَسَ فِي الْقَتْلِ وَقَدْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« انْظُرُوا إِنْ خَفِيَ عَلَيْكُمْ فِي الْقَتْلِ إِلَى أَثَرِ جُرْحٍ فِي رُكْبَتِهِ ، فَإِنِ ازْدَحَمْتُ أَنَا
وَهُوَ^(٣) يَوْمًا عَلَى مَأْذِبَةٍ لِمَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ وَنَحْنُ غِلَامَانُ وَكُنْتُ أَشَبَّ مِنْهُ بَيْسِيرَ ،
فَدَفَعْتُهُ فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، فَسُحِّجَ^(٤) فِي إِحْدَاهُمَا سَحْجًا لَمْ يَزَلْ بِهِ أَثَرُهُ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ مَسْعُودٍ : فَوَجَدْتَهُ بَأْخَرِ رَمَقٍ فَوَضَعْتُ رِجْلِي عَلَى عُنُقِهِ . وَكَانَ قَدْ ضَبَّيْتُ فِي مَرَّةٍ
بِمَكَّةَ فَكَأَنِّي وَلَكُنِّي ، ثُمَّ قُلْتُ : هَلْ أَخْزَاكَ اللَّهُ يَا عَبْدُ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَبِمَاذَا أَخْزَانِي ؟
[هَلْ أَعْمَدُ^(٥) مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ الْمِنْ الدَّبْرَةِ^(٦)] ؟ قُلْتُ : اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . ثُمَّ قَالَ أَبُو جَهْلٍ^(٧) : لَقَدْ ارْتَقَيْتُ يَا رُؤَيْبِي الْغَمَّ مَرَّتَيْنِ سَعْبًا . ثُمَّ احْتَرَزْتُ
رَأْسَهُ ، ثُمَّ جِئْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا
رَأْسُ عَدُوِّ اللَّهِ أَبِي جَهْلٍ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ
غَيْرُهُ » . وَكَانَتْ يَمِينُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قُلْتُ : نَعَمْ وَالَّذِي لَا إِلَهَ
غَيْرُهُ ، ثُمَّ أَلْقَيْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَحَمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .
وَلَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْقَتْلِ أَنْ يَطْرَحُوا فِي الْقَائِبِ طُرْحًا فِيهِ

(١) العقير : المجروح .

(٢) أثبته : جرحه جراحة لا يتحرك منها ولا يقوم .

(٣) ق (ت) : أَنَا وَلِيَّاهُ .

(٤) سحج : قهر . وفي الأغاني : فخذش ... خذشا .

(٥) ما بين المقيوتين ساقط من ت .

(٦) أعمد : أعجب وقال : مناه هل زاد على سيد قتله قومه .

(٧) الدبرة : الفلتر والدولة .

إلا ما كان من أمية بن خلف ، فإنه انتفع في درعه حتى ملأها ، فذهبوا ليجروه^(١) قترابيل فأقرووه . والقوا عليه ماغيبه^(٢) من التراب والحجارة ، فلما ألقوه في القليب وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : « يا أهل القليب بئس عشرة كنتم لنبيكم كذبتُموني وصدقتي الناس وأخرجتُموني وآواني الناس ، وفانتُموني ونصرتي الناس ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبة بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام - وعدد من كان معهم في القليب - هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟ فقد وجدت ما وعدني ربي حقا » فقال المسلمون : يا رسول الله أئدعو قوما قد جَيفُوا ، فقال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم . ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني » ولما ألقوا في القليب سَحَب عتبة بن ربيعة إلى القليب ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وجه أبي خذيفة بن عتبة ، وإذا هو كثيب قد تنير ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا خذيفة لعلك دخلك من حال أبيك شيء » أو كما قال : فقال : لا والله ، لا يارسول الله^(٣) ، ما شككت في حال أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف له رأيا وفضلا وحلما ، فكنت أرجو أن يهديه الله تعالى بذلك إلى الإسلام ، فلما رأيت ما أصابه ، وذكرت ما صار إليه من الكفر^(٤) بمد الذي كنت أرجو أحزنني ذلك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال خيرا . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في المسكر مما جمع الناس فُجِّع ، واختلف الناس فيه . فقال من جمه : هُوَ لَنَا ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب . وقال الذين كانوا يقاتلون المدو ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ،

(١) في الأغاني : ليخرجوه .

(٢) في (١) : ما غيره .

(٣) في الأغاني : لا واه يا رسول الله .

(٤) في الأغاني : وذكرت ما مات عليه من الكفر .

ونحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم خافة أن يخالف إليه العدو : ما أنتم بأحق به منا . لقد رأينا أن تقتل العدو إذ ولانا الله ومنحنا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من عنقه ، ولكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهة العدو فكفنا دونه^(١) فما أنتم بأحق به منا .

وجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسارى من المشركين ، وكانوا أربعة وأربعين ، ومن القتل مثل ذلك - والصحيح أنهم سبعون والأسرى كذلك - وفي الأسارى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث بن كلفة . فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث ، قتله علي بن أبي طالب رضى الله عنه .

ولما قدم بالأسرى كانت سودة بنت زمعة - زوج النبي صلى الله عليه وسلم - عند آل عفراء في مناجاتهم على عسوف ومؤذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يضرب عليهم الحجاب . قالت سودة : إني لهم^(٢) إذ أتينا . ف قيل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، فاحت إلى بيتي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجر مجموعة يده إلى عنقه بحبل ، قالت : فوالله ما ملكت نفسي إذ رأيته كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيتكم بأيديكم ، ألا متهم كراما ؟ فوالله ما أنبهني إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم من البيت : « يا سودة ، أعلى الله وعلى رسوله ؟ » قالت : قلت : يا رسول الله ، والذي بئسك بالحق ما ملكت نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعا يده إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت .

(١) في الأغاني : فقتلنا دونه .

(٢) في الأغاني : عندهم .

وكان أول من قدم مكة بمصاب قريش الحِمْيَرِيُّ بن عبد الله بن إياس بن ضبيعة ابن مازن^(١) بن كعب بن عمرو الخزاعي ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البختريّ بن هشام ، ونُبَيْه ومُتَبِّه ابنا الحِمْيَرِ . فلما جعل يمدّد أشراف قريش قال صفوان بن أمّية - وهو قاعد في الحجر - : والله إن يَمُتِلَ هذا ، فسَلُّوه عني . قالوا : ما فعل صفوان بن أمّية ؟ قال : هو ذاك جالس في الحجر ، وقد والله رأيت أباه وأخاه حين قُتِلَا .

قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وأسلمت أم الفضل وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم ، وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر ، وبث مكانه الماص بن هشام بن النخيلة ، فلما جاء الخبر عن مصاب قريش وكتبته الله وأخزاه وجدنا^(٢) في أنفسنا قوة ومزا . وكنت رجلا ضعيفا أعمل القِداح وأنحّتها في حُجْرة زمزم ، فوالله إنني لجالس وعندى أم الفضل وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر إذ أقبل الفاسقي أبو لهب لئنه الله يجرّج له يشرّ^(٣) ، حتى جلس على طُئْبِ الحجرة ، وكان ظهره إلىّ ، فبينما هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدّم ، فقال أبو لهب : هلمّ إلىّ يا ابن أخ ، فمتدك الخبر ، فجلس إليه والناس قيام عليه ، فقال : يا ابن أخى أخبرني كيف كان الناس ؟ قال : لا شيء والله ، إن كان إلّا لقينام فنجنام^(٤) أكتافنا

(١) في الأغاني : رومان . أما نسخ المختار فسكها أثبت .

(٢) في الأغاني وك : كبتة الله وأخزاه وجدنا .

(٣) في الأغاني : يسير .

(٤) في الأغاني : إلّا أن لقينام فأبجنام .

يقتلون ويأسرون كيف شاءوا ، وإيمُ الله مع ذلك ما لُمتُ الناس ، لقيمنا رجالا بيضا على خيل بُلق بين السماء والأرض ما تُبليق^(١) شيئا ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طُنبُ الحجرة بيدي وقات : تلك اللائكة . فرقع أبو هب يدَه فضرب وجهي ضربة شديدة . قال : فتاورته^(٢) ، فحملني فضرب بي الأرض ثم بكَّ عليَّ فضربني ، وكنت رجلا ضعيفا ، فقامت أم الفضل إلى عمود من غُمد الحجرة فضربت به ضربة فلَقت رأسه شجرةً مُنكرة^(٣) ، وقالت : استضمفته أن غاب عنه سيده ؟ فقام موليا ذليلا . فوالله ما عاش بعدها إلا سبع ليالٍ حتى رماء الله بالعدسة^(٤) فقتله . ولقد تركه ابناء ليلتين أو ثلاثا ما يدفناه^(٥) حتى أنتن في بيته . وكانت قريش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون . حتى قال لها رجل من قريش : ويحك ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته لا تُعيَّبانَه ؟ قالَا : نخشى هذه القرحة . قال : فانطلقا وأنا ممككا ، فما غسَّاهُ إلا قَدْقا بالماء عليه من بريد ما يمسونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى مكة على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى وارَّوه .

ولما أمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبوسون في الوثاق ، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرا أول ليلته ، فقال له أصحابه : مالك يا رسول الله لا تنام ؟ فقال : « سمعت نضورَ العباس في وثاقه » فقاموا إلى العباس فأطلقوه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ما تبليق : ما تبقي .

(٢) تاوره : واثبه . وفي الأغاني : فاورته .

(٣) في الأغاني : فشجت في رأسه شجرة منكرة .

(٤) العدسة بئرَة فاتلة تخرج بالبدن .

(٥) في نسخ المختار : ما يدفناه .

وكان الذى أسر العباس أبو اليسر^(١) كعب بن عمرو أخو بنى سلمة وكان
يُجمِّعُها ، وكان العباس رجلا جسيما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر :
« كيف أسرت العباس يا أبا اليسر ؟ » قال : يا رسول الله ، أعاننى عليه رجل
ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا هيئته كذا ، فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « لقد أعانك عليه ملك كريم » .

ولما انتهى العباس إلى المدينة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس
أفد نفسك وابنى أخيك^(٢) : عَقِيل بن أبي طالب ونَوَافِل بن الحارث ، وحليفك
عَتِبة بن عمرو بن جَحْدَم أخا بنى الحارث بن فِهْر . فإنك ذو مال » فقال : يا رسول الله ،
إنى كنت مسلما ، ولكن القوم استكروهونى ، فقال : « الله أعلم بإسلامك ،
إن يكن ما تذكره حقا فالله عز وجل يبيِّنك . وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا ،
فأفد نفسك » وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية من
ذهب . فقال العباس : يا رسول الله احسبها لى فى فداى . قال : « لا ، ذاك شيء
أعطانا الله منك » قال : فإنه ليس لى مال . قال : « فأين المال الذى وضعت به مكة
حين خرجت عند^(٣) أم الفضل بنت الحارث ليس معك أحد وقتلت لها : إن أصبت
فى سفرى هذا ، فللفضل كذا ، وللمبد الله كذا ، وللعبد الله كذا ، ولِقَتَم كذا »
قال : والذى بمثك بالحق ما علم بهذا أحد غيرى وغيرها ، وإنى لأعلم أنك رسول الله .
فقدى نفسه وابنى أخيه وحليفه .

(١) ضبط فى المختار بضم الباء ضبط قلم . وفى الإصابة نس على أنه بفتح جيم وكذلك جاء فى

الاشتقاق ص ٤٦٥ .

(٢) فى الأغانى : وابن أخيك .

(٣) فى الأغانى : خرجت من عند .

ولما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فداءً^(١) أبي الماص بن الربيع ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي الماص حين بنى عليها^(٢) ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال : « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوها عليها الذي لها فافعلوا » فقالوا : نعم يا رسول الله ، فأطلقوه وردوها عليها الذي لها .

وناحت قریش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا ، فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا ، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تأسوا منهم ولا يتأرب^(٣) عليكم محمد وأصحابه في الفداء . وكان الأسود بن عبد يغوث^(٤) قد أسيب له ثلاثة من ولده زمعة وعميل والحارث ، وكان يحب أن يبكي عليهم ، فبينما هو كذلك إذ سمع صوت نائحة من الليل ، فقال لنلام له - وقد ذهب بصره - : انظر هل أحلّ التحجب ؟ هل بكت قریش على قتلاها لئلي أبكي على أبي حكيمة - يعني زمعة - فإن جوفى قد احترق ، فرجع النلام وقال : إنها امرأة تبكي على بغير لها أضلته فذلك حين يقول :

أتبكي أن يضل لها بغيرٌ ويمنمها من النوم السهود^(٥)
ولا تبكي على بدّر^(٦) ولكن على بدر تقاصرت الجبدود
على بدّر سراء بني هصيص وغزوم ورهط أبي الوليد

(١) في الأغاني : في فداء .

(٢) فت : بها .

(٣) يتأرب : يتشدد .

(٤) كذا في أصول المختار وأصول الأغاني والطبري . وموابه كما في الاشتقاق ٩٤ الأسود

ابن المطلب وانظر شرح التبريزي ط أوروبا ص ٣٩٧ وشرح الرزوقي ص ٨٧٢ .

(٥) السهود : امتناع النوم . وفي الأغاني : المجدود وانظر هامشه وشرح الرزوقي ٨٧٣

(٦) في الأغاني : على بكر . وكذلك شرح الرزوقي هذا والتصديقه في اقواء في ثلاث أبيات .

وبكى إن بكيت على عقيل وبكى حارثا أسد الأسود
وبكيتهم ولا تُسمى جميعا فإلأى حكيمة من نديد
ألا قد ساد بمدمم رجال ولولا يوم يدري لم يسودوا

وقالت هند بنت عتبة ترى أباهما وعمها وأخاهما :

مَنْ حَسَّ إِلَى الْأَخَوَيْنِ كَالَا فَنَضِينَ أَوْ مَنِ رَأَاهُمَا^(١)
قَرَمَيْنِ^(٢) لَا يَظَالِمَا نَ وَلَا يُرَامُ حَاهُمَا
وَيْلٌ عَلَى أَبَوَى وَالِد قَبْرِ النَّبِيِّ وَآرَاهُمَا
لَا مِثْلُ كَهْلٍ فِي الْكِبَرِ لَ وَلَا فِتْنٍ كَفْتَاهُمَا
أَسَدَيْنِ لَا يَتَذَلَّلَا نَ وَلَا يُرَامُ حَاهُمَا^(٣)
رُحْمَيْنِ خَطِيئَتَيْنِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ سَنَاهُمَا^(٤)
مَا خَلَّفَا إِذْ وَدَّعَا فِي سُودَدٍ شَرَوَاهُمَا^(٥)
سَادَا بِنِيرٍ تَكْلُفٍ عَفْوًا يَفِيضُ نَدَاهُمَا

وكانت هند قد بلغها تسويم^(٦) الخنساء هودجها في المواسم ومعاظمتها العرب بمصيتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخوها صخر ومعاوية . وجعلت تشهد المواسم وتبكيهم وقد سوّمت هودجها براية وهي تقول : أنا أعظم العرب مصيبة . وقد عرفت لها العرب ذلك . فلما أسيبت هند بأبيها وعمها وأخوها وبلغها ذلك قالت :

(١) حس : أحس . رآها : رآها .

(٢) القرم : السيد العظيم .

(٣) كذا ذكر هذا البيت في المختار والأغانى وعقارته لبيت الثاني يبدو أنه كرواية أخرى له .

(٤) في الأغاني : السماء تراها .

(٥) النروي : التل .

(٦) سوم الشيء : جعل له علامة ليعرف بها .

أنا أعظم مصيبة من الخنساء وسوّمت هودجها براية ، وشهدت الموسم بمكاف
فقلت : اقْرؤوا جليّ بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء :
مَنْ أَنْتِ يَا أُخِيَّةُ ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك
تُماظمين العرب بمصيتك فيمَ تُماظمينهم ؟ فقلت الخنساء : بأبي عمرو بن الشريد
وأخوَيَّ صخرَ ومعاوية وريمَ تُماظمينهم أَنْتِ ؟ قالت : بأبي عتبة ، وعمي شَيْبَةَ ،
وأخي الوليد . فقلت الخنساء : أو سَوَّاهُمْ عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

أَبْكَيْ أَبِي حَمْرًا بَعَيْنِ غَزِيرَةٍ قَلِيلٌ إِذَا نَامَ الْخُلَى هُجُودُهَا
وَصِنَوَى لَا أُنْسَى مَعَاوِيَةَ الَّذِي لَهُ مِنْ صَرَاةِ الْحَرْثَيْنِ وَفُودُهَا ^(١)
وَصَخْرًا وَمَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إِذَا عَدَا بَسْلَمَةَ الْأَيْطَالِ قُبَّ يَقُودُهَا ^(٢)
فَذَلِكَ يَا هِنْدُ الرِّزْيَةُ فَاعْلَمِي وَنِرَانُ حَرْبٍ حِينَ سَبَّ وَقُودُهَا
فَقَالَتْ هِنْدُ تَجِيهًا :

أَبْكَيْ عَمِيدَ الْأَيْطَالِينَ رَكْلَيْهِمَا ^(٣) وَحَامِيَهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يُرِيدُهَا
أَبِي عُتْبَةَ الْخَبِرَاتِ وَيَحْكُ فَاعْلَمِي وَشَيْبَةَ وَالْحَامِي الدَّمَارِ وَلِيدُهَا
أُولَئِكَ آلُ الْمُجْدِ مِنْ آلِ غَالِبٍ وَفِي الْعِزِّ مِنْهَا حِينَ يَنْمَى عَدِيدُهَا

(١) المرتان يراد بهما حرة بنى سليم وحرة بنى هلال بالحجاز .

(٢) السلبية : الطويلة والأيتال لعلها من جموع الأيتال وهو الحاضرة وفي الأصل : الأيتال
وفي أصول الأغاني كأصول المختار وفي الديوان : بساطة الآمال .

(٣) في أصول المختار : كلاهما .

بشار بن بُرد^(١)

هو بشار بن بُرد بن يَرْجُوح من سَبْيِ المهلب بن أبي صفرة من طَخَرِستان .
وكنية بشار أبو مُعَاذ ، ومحلّه في الشعر وتقدّمه في طبقات المُحدّثين بإجماع الرواة
ورياسته عليهم من غير خلاف في ذلك يُفني عن وصفه وإطالة ذكر محلّه ، وهو من
شعراء خُضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، قد شُهرَ فيهما بمدح وهجاء وأخذ سَنَى
الجوائز من الخلفاء مع الشعراء .

كان بشار بن برد من قَبْلِ خَيْرَةِ^(٢) القُشيرية امرأة المهلب بن أبي صفرة ، وكان
مقيمًا لها في ضيعتها المعروفة بخَيْرَتَان مع عبيد لها وإماء . فوهبت بردا بعد أن زوجته
لامرأة من عُقَيْل كانت متصلة بها ، فولدت له وهو في مِلْكها بشارًا
فأعتقته المقيلية .

وكان برد أبو بشار مولى لأمّ الطُّبَاء السَّدُوسية . وادّعى بشار أنه مولى لبني
ربيعة بن عُقَيْل ، لنزوله فيهم . وأمّ الطُّبَاء امرأة أوس من ثعلبة . أحد بني تيم الله
ابن ثعلبة ، وكان أوس أحدَ فُرسان بَكْر بن وائل بَحْرَاسان . وقيل : كان
بشار وأُمّه لرجل من الأزد وتزوج من بني عُقَيْل فساق بشاراً وأُمّه إليها
في صدّاقها .

وكان بشار وُلد مكفوفًا فأعتقته المقيلية . وقيل : إن أم بشار باعت بشارًا على
أمّ الطُّبَاء بدينارين ، فأعتقته أمّ الطُّبَاء .

(١) الأغاني : دار الكتب ١٣٥/٣ وانظر ١٣٤ وج ٢٤٢/٦ ودار الثقافة ١٢٩/٣
وانظر ١٢٧ وج ٦ / ٢٢٩ وبولاق ١٩/٣ والسلي ٢٠/٣ والتجريد ٣٧٢ / ٧٨٠ .
(٢) في بعض نسخ الأغاني : من قن خيرة .

وكان بُردُ طيِّبًا بضرب اللَّيْن الطَّيْن . قال زيد بن مزاحم : أَرَأَيْتَ أَبِي بَيْتَيْنِ لَنَا
فقال : لَيْنُ هَذِهِ الْبَيْتَيْنِ ^(١) يَابِقِي مَنْ صَرَبَ بُرْدُ أَبِي بَشَارٍ . فسمع هذه الحكاية حمَّادٌ
عَجِرْدٌ فهِجَاهُ فقال :

يا ابن بُرْدٍ فَاخْضَأْ إِلَيْكَ فَنُتِلَ الـ كَلَبٌ فِي النَّاسِ أَنْتَ لَا الْإِنْسَانَ
بَلْ لِعُمْرِي لِأَنْتَ شَرُّ مَنْ الْكَـ ب وَأَوَّلَى مِنْهُ بِكُلِّ هَوَانٍ
وَلِيَرْجُ الْخَزِيرُ أَهْوَنُ مِنْ رِيـ حَكَ يَا ابْنَ الطَّيِّانِ ذِي الثَّنَانِ ^(٢)

قال بشار : لما دخلت على المهديِّ قال لي : فيمن تَعَتَّدُ بِإِبْشَارٍ ؟ فقلت : أما على الرَّأْيِ
وَاللِّسَانِ فَعَرِي ^(٣) ، وأما الْأَصْلُ فَعَجِي ، كما قلت في شعري يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ :
وَنُبِيتُ قَوْمًا بِهِمْ جِنَّةٌ يَقُولُونَ مَنْ ذَا وَكُنْتُ الْعَلَمُ
أَلَا أَيُّهَا السَّائِلُ جَاهِلًا ^(٤) لِيَعْرِفَنِي أَنَا أَنَفُ الْكَرَمِ
نَعْتُ فِي الْكَرَامِ بَنِي هَامِرٍ فَرُوْعِي وَأَمْلَى قَرِيْشُ الْعَجَمِ
وَأَنَا لِأَغْنَى مَقَامَ الْفَتَى وَأُصْبِي الْفَتَاةَ فَمَا تَمْتَصِمُ

وكان أبودُلَامَةَ حَاضِرًا فقال : كَلَّا ، لَوْ جِئْتُكَ أَفِيحُ مِنْ ذَلِكَ وَوَجِي مع وجهك .
فقلتُ : كَلَّا ، وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَصْدَقَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَكْذَبَ عَلَى جَنْسِهِ مِنْكَ .
وَاللَّهِ إِنِّي لَطَوِيلُ الْقَامَةِ ، عَظِيمُ الْهَامَةِ ، تَامُّ الْأَلْوَحِ ، أَسْبَحُ الْخُدَّيْنِ ^(٥) ، وَلِرُبِّ
مُسْتَرَحِي الْمَذْرُوعَيْنِ ^(٦) ، لَلْعَيْنِ فِيهِ مَرَادٌ ، قَدْ جَلَسَ مِنَ الْفَتَاةِ حَبْرَةً وَجَلَسْتُ مِنْهَا

(١) فِت : « أَرَأَيْتَ أَبِي بَيْتَيْنِ لَنَا فقال : لَنْ هَاتَيْنِ الْبَيْتَيْنِ » .

(٢) الثَّنَان : سِرَاطِيلُ صَنِير .

(٣) فِي الْأَغَانِي : أَمَا الزُّي وَاللِّسَانِ فَعَرِيَان .

(٤) فِي بَعْضِ نَسَخِ الْأَغَانِي : جَاهِلًا .

(٥) أَسْبَحُ الْخُدَّ : سَمَّاهُ لِيَه .

(٦) الْمَذْرُوعَاتُ : طَرَفَا الْأَلْبَيْنِ .

حيث أريد ، فأتت مثلى يامرّ ضَمَانٌ^(١) ؟ قال : فسكت عني . ثم قال المهدي : فمن
أى العجم أصلك ؟ فقلت : من أكرها في الفرسان^(٢) وأشدّها على الأفران ، أهل
طُخارستان . فقال بعض القوم : أولئك السُّد . فقلت : لا ، السُّد تَجَار ، فلم يَرُدُّ
ذلك المهدي .

وكان بشارٌ كثير التلّون في ولّائه شديد التشبُّب^(٣) والتمصّب للعجم ، مرّةً يفتيخر
بولائه في قيس فيقول :

أُمنتُ مضرّة الفُحشاءِ إلى	أرى قيساً تفرُّ ولا تُصارُ
كأنّ الناس حين تغيب عنهم	نبات الأرضِ أخطأه القطارُ ^(٤)
وقد كانت بتدَمَّر خيلُ قيس	وكان لتدمر فيها دمارُ
يَحْيِلُ ^(٥) من بني غيلان شوسٍ	يسير الموت حيث يُقال ساروا
وما تلقأهم إلا صدَرنا	يرى منهم وهم حِرارُ

ومرّةً يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم	مولى المرّيب فخذ بفضلك وافخري
مولاك أكرم من نعيم كاهنا	أهل الفعّال ومن قريش المشعري
فارجعْ إلى مولاك غير مُدافِع	سبحان مولاك الأجلُّ الأكبر

(١) الرضمان : القيم .

(٢) في ت : من أكرها على الفرسان .

(٣) في نسخة من الأغاني : الشعب . هناء ويراد بالشعب أهله من الشعوبية .

(٤) القطار جمع قطر وهو المطر .

(٥) في الأغاني : « يحيى من بني غيلان » هناء والشوس جمع أشوس وهو الذى ينظر بمؤخر
عينيه تكبرا .

ومرّة يفتخر بولاء بني عُقَيْل فيقول :

إِنِّي مِنْ بَنِي عُقَيْلِ بْنِ كَعْبٍ موضع السيف من طُلَى الْأَعْنَاقِ^(١)
وكان بشار يلقب بالمرعث . لقب بذلك لقوله :

قال رِيحٌ مرعَثٌ ناهسُ الطرف والنَّظَرُ
لست والله نائلي قلتُ أو يَنْلُبُ القَدَرُ
أنت إن رُمْتَ وصلنا فأنجُ هل تُدركُ القَمَرُ

وقيل : لقب بالمرعث لأنه كان لقميصه جَبِيانٌ : جَبِيْبٌ من يمينه وجيبٌ عن شماله ، فإذا أراد لبسه ضمه عليه من غير أن يُدْخِلَ رأسه فيه ، وإذا أراد نزعَه حلَّ أزراره وخرج منه ، فشَبَّهَتْ تلك الجيوبُ بالرعَثات لاسترسالها وتدلّيتها ، فسمي من أجلها المرعَث .

وقيل : لقب بذلك لأنه كان في آذانه وهو صغير رِعَاثٌ . والرِعَاثُ القِرْطَةُ ، واحداً رِعْثَةٌ وجمعها رِعَاثٌ وَرِعَاثَاتٌ . ورِعَاثُ الدِّيكِ : اللحم المتدلّي له تحت حَنَكِه ؛ قال الشاعر :

سَقَيْتُ أبا المَطْوُوحِ إِذْ أَنَانِي وذو الرِّعَاثَاتِ مُنْتَصِبٌ يَصِيحُ
شرباً يَهْرُبُ الدَّبَّانُ مِنْهُ ويلْتَنُ حين يشرُّهُ الفَصِيحُ

وكان بشار أشدَّ الناس تبرُّماً بالناس . وكان يقول : الحمد لله الذي أذهب بصري . ف قيل له : ولم يا أبا معاذ ؟ فقال : لثلاث أرى من أبنض .

وكان ضخماً عظيم الخلق والوجه مُجَدَّراً طويلاً جاحظ الحدين^(٢) قد تنفشاها لحم أحر ، وكان أنبج الناس عَمًى وأفظمه منظراً ، وكان إذا أراد أن ينشد صفقَ يديه وتنحنج وبصق عن يمينه وشماله ثم ينشد فيأتي بالمعجب .

(١) الطلى جمع طلية أو طلاة وهي أصل العنق .

(٢) في الأغاني : المقتلين .

وولد أعمى وهو الأكمه ، وقال أبو هشام الباهلي بهجوه :
وَعَبْدِي فَقَا عَيْنَيْكَ فِي الرَّحْمِ أَيْرُؤُ جُثْتُ وَلَمْ تَعْلَمْ لِعَيْنَيْكَ فَاقِيَا
أُمَّكَ يَبْشَارُ كَانَتْ عَنيفَةً ؟ عَلَى إِذَا أَمْشَى إِلَى الْبَيْتِ حَافِيَا
ولم يزل بشار منذ قيل فيه هذان البيتان منكسرا .
وما نظر إلى الدنيا قط ، وكان يشبه الأشياء في شعره فيأتي بما لا يقدر البصراء أن
يأتوا بمثله . فقيل له يوما وقد أنشد قوله :

كَأَنَّ مَثَارَ النَّعَمِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَرَاكِبُهُ
ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه . فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا ولا شيئا
فيها ؟ فقال : إن عدم النظر يَقْوَى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من
الأشياء ، فيتوقَّر حِسُّهُ ، وتذَكُّو قَرِيحَتِهِ ، ثم أنشدني قوله :

عَمِيتُ جَنِينًا وَالذِّكَاةُ مِنَ الْعَمَى جُثْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَلَمِ مَسْؤُلَا
وَضَافُ ضِيَاءِ الْمَيِّمِ لِلْعَلَمِ رَافِدَا لِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَمِيعُ النَّاسِ حَصَلَا
وَشِعْرُ كَنْوَرِ الرَّوْضِ لَأَمْتُ بَيْنَهُ بَقُولٍ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشَّعْرُ أَسْهَلَا
قال الحمزاني : قالت لي عمي : زرت قرابة لي من بني عَقِيلٍ فإذا شيخ أعمى
منخم يُنْشِدُ :

مِنَ اللَّفْتُونِ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ إِلَى شَيْبَانَ كَهْلِهِمْ وَمُرْدٍ
بِأَنَّ فَتَاكُمُ سَلَبَتْ فَوَادِي فَنَصَفَتْ عِنْدَهَا وَالنَّصْفُ عِنْدِي
فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ : هَذَا بَشَارُ .

وقال الشعر ولم يبلغ عَشْرَ سَنِينَ ، ثم بلغ الحُلُمُ وهو حَتَّيْتُ مَضْرَّةَ اللِّسَانِ ^(١) ،
وكان يقول : هجوت جريرا فأعرض عني واستصغرتني ولو أجابني لكنت أشعر الناس .

(١) في الأغاني : مرة اللسان .

قال الأحمسي : بشارُ خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أن أيامه أُخِرَتْ لفضَلَتْهُ على كثيرٍ منهم .
وكان راجزا مُقَصِّدا^(١) .

قال أبو عبيدة : سمعت بشارا يقول وقد أنشد في شعر الأعشى :
وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما
فأنكره وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلام الأعشى ، فمعبت من ذلك ،
فلما كان بعد هذا بمشر سنين كنت جالسا عند يونس فقال : حدثني أبو عمرو بن
الملاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى :
* وأنكرتني وما كان الذي نكرت *

فجملت حينئذ أنمجب من^(٢) فطنة بشار وصحة قريحته وجودة نقده للشعر .
وقال : قال لي بشار : لي اثنا عشر ألف بيت جيد عَيْن ، فقيل له : هذا ما لم يدعه
أحد ، فقال : لي اثنا عشر ألف قصيدة ، لعمري الله ولعمري قائلها إن لم يكن في كل
واحدة منها بيت عَيْن^(٣) .

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين : كان بشار شاعرا خطيبا صاحب منشور
ومزدوج وسجع ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المتفنيين
في الشعر ، القائلين في كثرة أجناسه وضروبه . وكان يدين بالرجعة^(٤) ويكفر

(١) بهامش كـ - وذلك موجود في الأغاني أيضا - : وقال بشار بن برد : أزرى بشعري
الأذن ، يعني أنه إسلامي .

(٢) في الأغاني : أزداد عجبا .

(٣) في ت : بيت جيد .

(٤) الرجعة مذهب قوم من العرب يؤمنون بالرجوع بعد الموت إلى الدنيا .

جميع الأمم^(١) ويصوب رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، وذكر ذلك فقال في شعره :

الأرضُ مُظْلَمَةٌ والنارُ مشرقة والنارُ معبودةٌ مُذْ كانت النارُ
وبلغته عن أبي خُذَيْفَةَ واصل بن عطاء : إنكار لقوله فقال يهجوهُ :
مالي أشايِعَ غَزَّالًا له عُقٌّ كَنَفَقِيقِ الدَّوِّ إِنْ وَلَّى وَإِنْ مَثَلَا^(٢)
عُنُقَ الزرافة ما بالى وبالسُّكْمُ تُكْفَرُونَ رِجَالًا كَفَرُوا رَجُلًا

فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على إلحاده خطب به واصل - وكان النخ بالراء وكان يجتنبها في كلامه - فقال : أما لهذا الملحد الأعمى المُشَنَّفُ المَكْنِيَّ بأبي معاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الفيلة سَجِيَّةٌ من سجايا الغالية لدست إليه من يبيع بطنه في جوف منزله أو في يوم حَفْلِهِ ، ثم كان لا يتولَّى ذلك إلا عُقِيلِيٌّ أو سدوسي . فقال : أبو معاذ ولم يقل : بشار ، وقال : المُشَنَّفُ ، ولم يقل المُرْعَثُ ، وقال : من سجايا الغالية ، ولم يقل : الرافضة . وقال : في منزله ، ولم يقل : داره . للثقة في الراء^(٣) .

وكان واصل قد بلغ من قدرته على الكلام وعُكْنُهُ من العبارة أن يحذف الراء من جميع كلامه وخطبه ويحمل مكانها ما يقوم مقامها .

وكان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبيد ، وواصل بن عطاء ، وبشار الأعمى ، وصالح بن عبد القدوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ورجل من الأزد - يعني جرير بن حازم - وكانوا يجتمعون في منزل الأزدى ويختصمون

(١) في الأغاني : الأمة .

(٢) النقيض : ذكر النعام . والدو : الغلاة . ومثل : ظم منتصبا .

(٣) في الأغاني تسكلمة للكلام : « وقال : يبيع بطنه ، ولم يقل : يقر ، للثقة التي كانت به في الراء » هذا وأيضاً أنه قال : في (جوف) منزله ولم يقل في (عقر) داره .

عنده ، فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال ، وأما عبد الكريم وصالح فصحّحا
 التوبة ، وأما بشار فبقي مُتَحَيِّراً مُخْلَطاً ، وأما الأزدي فال إلى السُّمْنِيَّة وهو مذهب
 من مذاهب الهند^(١) ، وبقي ظاهره على ما كان عليه ، فكان عبد الكريم يُفسد
 الأحداث ، فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلغني عنك أنك لا تزال تخلو بالحدّث من
 أحداثنا فتفسده وتستزله^(٢) وتدخله في دينك ، فإن خرجت من مصرنا وإلا قتيت بك
 مقاما آتِي فيه على نفسك . فلحق بالكوفة ، فذلّ عليه محمد بن سليمان^(٣) بن عليّ
 فقتله وصلبه ، وله يقول بشار :

قل لعبد الكريم يا ابن أبي المو	جاء بِمَنَ الإسلام بالكفر مَوْعاً ^(٤)
لا تصلي ولا تصوم فإن صم	تَ فَمِصَّ النهار صوماً رَقِيقاً
لا تبالي إذا أُصِبت من الخ	رِ عَتِيقاً أَلَّا تَكُونَ عَتِيقاً
ليت شعري غداة حُلِّيت في الجي	د حَنيفاً حُلِّيت أو زنديقاً
أنت ممن يدور في لمة الل	ه صديقٌ لمن ينيك الصديقاً

سئل الأصمعي عن بشار ومروان بن أبي حفصة أيهما أشعر ؟ فقال : بشار ،
 فسئل عن السبب فقال : لأن مروان سلك طريقاً كَثُرَ من يسلكه ، فلم يلحق من
 تقدّمه وشركه فيه من كان في عصره . وسلك بشار طريقاً فأحسن فيه وتفرّد به
 وهو أكثر تصرفاً وفنوناً شعر ، وأغزُرُ وأوسعُ بديماً ، ومروان لم يتجاوز مذهب
 الأوائل . قال عليّ بن المنجم : سمعت من لا أحصى من الرواة يقولون : أحسنُ الناس
 ابتداءً في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول :

(١) قيل : لأنهم دهميون . وقيل : لأنهم يقولون بالتناسخ ونسبهم إلى سومنات بلد بالهند .

(٢) استزله : أوقفه في الزلة وهي الخطيئة .

(٣) في ١ : محمد بن سليمان بن سليمان بن عليّ .

(٤) اللوق : الحق . ولى توك : رفيقاً وكذلك في أصل ١ . أمابهاش إغاثته «مَوْعاً» والخط
 هو الخط هذا ، والريق بفتح فسكون : الباطل فيكون كسر الراء لأجل التخلّص من عيب القافية .

* أَلَا أَنْعِمُ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي ^(١) *

وحيث يقول :

* قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَيِّبٌ وَمَنْزِلٌ ^(٢) *

وفي الإسلام القطامي حيث يقول :

* إِنَّا نَحْمِيكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلُّ ^(٣) *

ومن المحدثين بشار حيث يقول :

أَبَى طَلَلٌ بِالْجُزْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ وماذا عليه لو أجاب مُتَمَيِّمًا

وبالقاع آثار بقين وباللوى ^(٤) ملاعبُ لا يُمرَفَنَ إِلَّا تَوَهُمًا

قال أبو حاتم : سألت أبا زيد مرة عن بشار ومروان فقال : مروان أجده ،
وبشار أهزل . فحدثت الأصمى بذلك فقال : بشار يصلح للجد والهزل ومروان
لا يصلح إلا لأحدهما .

قال بكر بن النطاح : عهدي بالبصرة ولبس فيها غَزَلٌ ولا غَزَلَةٌ إِلَّا يَرُوى
من شعر بشار ، ولا ناعمة ولا مغنّية إِلَّا تَتَكَسَّبُ به ، ولا ذو شرف إِلَّا وَهوَ يهابه
ويخاف معرفة لسانه .

قال الأصمى : لقي أبو عمرو بن الملاء بعض الرواة فقال له : يا أبا عمرو ، من أبدع
الناس بيتا ؟ قال : الذي يقول :

لَمْ يَطْلُ لَيْلٍ وَلَكِنْ لَمْ أَنْتُمْ وَنَفَى عَنِ الْكَرَى طَيْفُ أَلَمٍ

رَوْحِي عَنِ قَلِيلَا وَعَلِي أَنْفِي يَا عَبْدَ مَنْ لَحْمٍ وَدَمٍ

(١) تمامه : وهل يسمن من كان في المصر الخالي .

(٢) تمامه : يسقط اللوى بى الدخول فحومل .

(٣) تمامه : وإن بليت وإن طالت بك الطليل .

(٤) في نسخ من الأغاني : وبالفرع آثار

وإذا قلت لها جودي لنا
 إن في البرذنين جما ناعما
 خرجت بالصمت من لا ونعم
 لو توكأت عليه لا نهضم
 ختم الحب له في عنقي
 موضع الخاتم من عقد الذمم^(١)

قال : فمن أمدح الناس ؟ قال : الذي يقول :

لست بكفى كفه أبنى النسي
 ولم أدر أن الجود من كفه يمدى
 فلا أنا منه ما أفاد ذؤو النسي
 أفدت وأعداني فأنفقت ما عندي

قال : فمن أجهى الناس ؟ قال : الذي يقول :

رايت السهيلين استوى الجود فيهما
 على يمد ذا من ذاك في حكم حاكم
 سهيل بن عبان يجرود بماله
 كما جاد بالوجع سهيل بن سالم^(٢)

قال أحمد بن المبارك : حدثني أبي قال : قلت لبشار : ليس لأحد من العرب شعر
 إلا وقال في شعره شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم ليسك ، فإنه^(٣) ليس في شعرك
 ما يشك فيه . قال : ومن أين يأتي الخطأ ؟ وولدت ها هنا ، ونشأت في حجر
 ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ، ما منهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلت
 إلى نسائهم فمساوهم أفصح منهم ، ثم يفتت فابتديت إلى أن أدركت ، فمن أين
 يبيئي الخطأ ؟

كان بشار كثير الوكوع بديسم المنزوي^(٤) وكان صديقا له وهو مع ذلك يكثر
 هجاءه ، وكان ديسم لا يزال يحفظ شيئا من شعر حماد وأبي هاشم^(٥) الباهلي في بشار ،
 فبلغه ذلك فقال فيه :

(١) في الأغاني : من أهل القمم .

(٢) الوجعاء : الدبر .

(٣) في الأغاني : من ألفاظهم وشك فيه فإنه .

(٤) في الأغاني : المنزى .

(٥) تقدم أنه أبو هشام وهو كذلك في الأغاني هنا وفيما تقدم .

أديسمُ يا ابن الذئب من نَجَل زارع
 قال أبو حاتم : فأُنشدت أبا زيد هذا البيت ، وسأله ما يقول فيه فقال :
 لمن هذا الشعر ؟ فقلت : لبشار في دَيْسَمِ الفَنَوَى ، فقال : قاتله الله ، ما أعلمه بكلام
 العرب ! ثم قال : الدَّيْسَمُ : ولد الذئب من الكلبة . ويقال للكلاب : أولاد زارع .
 والمِسْبَار : ولد الضبع من الذئب . والسَّمْع : الذئب ^(١) من الضبع ، وتزعم العرب
 أن السَّمْع لا يموت حتف أنفه ، وأنه أسرع من الريح ، وإنما هلاكه لمرض من
 أعراض الدنيا .

كان بالبصرة رجل يقال له حَمْدَانُ الخُرَّاطُ ، فآخذ جَامَاً للإنسان كان بشار عنده ،
 فسأله بشارُ أن يتخذ له جاماً فيها صورة طير يطير ، فآخذها له وجاء بها ، فقال له :
 ما في هذه الجام ؟ فقال : صور طير يطير . فقال له : لقد كان ينبغي أن تتخذ فوق هذا
 الطير طائرًا من الجوارح ، كأنه يريد صيدها فإنه كان أحسن . قال : لم أعلم ، قال : قد
 علمت ، ولكن علمت على أنى أسمى لا أبصر شيئاً . وتهدهد بالهجاء ، فقال له
 حمدان : لا تفعل فإنك تندم ، قال : أو تهددني أيضا ؟ قال : نعم ، قال : وأى شيء
 تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك ؟ قال : أصورك على باب دارى في صورتك هذه
 وأجعل خلفك قردا ينسكحك حتى يراك الصادر والوارد . فقال بشار : اللهم أخذه .
 أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجِدَّ .

قال الرياشي : أنشد بشارُ قولَ الشاعر :

وقد جمل الأهداء ينتقصونها وتطمعُ فيها السُّنُّ وعُيونُ
 ألا إنما كَيْلُ عَصَا خِزْرَانَةٍ إذا غزوها بالأَكْفِ تَلَيْفُ

(١) في الأغاني : ولد الذئب .

فقال : والله لو زعم أنها عصا مُخَّ أو عصا زُبْد ، لقد كان جعلها جافية خشنة
بمد أن جعلها عصاً ، ألا قال كما قلت :

وَحَوْرَاءُ الدَّمَاعِ مِنْ مَعْدٍ وَكَانَ حَدِيثُهَا نَمْرَ الْجِنَانِ
إِذَا قَامَتْ لَمَشِيَّتُهَا تَنَتَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْرِ رَانَ

قال محمد بن الحجاج : قلت لبشار : أنشدتُ فلانا قولك :
إذا أنت لم تشربْ مِرَاراً على القَدَى ظمئتْ وأيُّ الناسَ تَعْفُو مِشَارِيَهُ
فقال لي : ما كنتُ أظنه إلا لرجل كبير . فقال بشار : وبلك أفلا قلتَ له : هو
والله أكبرُ الإنسانِ والجن !

وكان إسحاق الموصلي لا يعتمد ببشار ويقول : هو كثير التخلط في شعره
وأشماره مختلفة لا يشبه بمضاً بعضاً ، أليس هو القائل :

إِعْصَا عَظْمِ سَلِيمِي حَيِّقْ قَصَبُ السَّكْرِ لَا عَظْمُ الْجَلْبِ
وَإِذَا أَدْنَيْتَ مِنْهَا بَصَلاً يَغْلِبُ الْمُسْكُ عَلَى رِيحِ الْبَصَلِ

لو قال كلُّ شيءٍ جيِّدٌ ثم أُضِيفَ إلى هذا لَزَيْفُهُ ، وكان يُقدِّم عليه مروان
ويقول : هو أشدُّ استواءَ شعرٍ منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها .
وكان لا يمدُّ أباً نواسَ بَتهُ في الشعراء ، ولا يرى ^(١) فيه خيراً .

قال محمد بن عبد الرحمن التميمي : دخل بشار إلى [إبراهيم بن] ^(٢) عبد الله بن
حسن ، فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير عليه برأى يستعمله في أمره ،
فلما قُتِلَ إبراهيم خاف بشار فقلب الكُنيَّةَ ، فجعل عَوْضَ أَبِي جَعْفَرٍ ^(٣) أباً مُسْلِمٍ ،

(١) في ١ : « أباً نواسَ بته ولا يرى .. » وفي الأغاني : « أباً نواسَ البته ولا يرى . » .

(٢) زيادة من الأغاني وبديل عليها ما يأتي .

(٣) هنا سقط من مصورة كـ مقدار صفحتين .

وأظهر أنه إنما قالها في أبي مسلم وحذف^(١) أباياتها منها ، وأولها :

أبا جعفر ما طول عيش يدايم ولا سالم عما قليمه بسالم
قلب : فقال أبو مسلم :

على الملك الجبار يفتحهم الردى ويصرعه في المأزق التسليح
كانك لم تسمع بقتل متوج عظيم ولم تعلم بقتل الأعاجم^(٢)
قسم كسرى رهطه بسيوفهم وأسمى أبو العباس أحلام نائم
أبو العباس : الوليد بن زيد .

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة عليه ولا جرى النحوس الأشائم
مقيم على اللذات حتى بدت له وجوه النايا حاسرات المهائم
وقد تزد الأيام غرًا ورعبًا وردن كلوحا باديات الشكايم
ومروا أن قد دارت على رأسه الرحي وكان لما أجمت نزر الجرائم
فأصبحت تجري سادرا في طريقهم ولا تتقى أشباه تلك النقايم
تجردت للإسلام كفؤ سبيته وتقرى مطاه للثيوت الضرايم^(٣)
وما زلت حتى استنصر الدين أهله عليك فمادوا بالسيوف الصوامير
فرم وزرا يُنجيك يا ابن سلامة ولست بناجر من مضير وضائم
جمل مكان « يا ابن سلامة » : يا ابن وشيكة وهي أم أبي مسلم .

لحي الله قوما رأوك عليهم وما زلت مرءوسا خيبت الطاعم
أقول لبسام عليه جلالة غدا أزيحها هاشقا للكارم

(١) في ١ ، ت وحرف . وأثبت ما في الأغاني لأنه يفتق مع ما أشبه إليه في نسخة ١ من المختار
بنفس الخط بجوار الأبيات ليدخل بينها شرعا لها كافي الأغاني أيضا .
(٢) في بعض روايات الأغاني : بقتك الأعاجم .
(٣) تنفر : تنجو . ومطاه : ظهره .

من الفاطميين الدهاة إلى المهدي جهازاً ومن يهديك مثل ابن فاطم
سراج^١ لعين المستضيء وتارة يكون ظلاماً لأمسود الزاحم
هذا البيت الذي حذفه بشار من الأبيات :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصاحه حازم
ولا تجعل الشورى عليك غصاصة فإن الخوافي قوة للقوادم
وما خير كَفِّ أمسك الفل أخها وما خير سيف لم يؤيد بقاسم
وخلّ الهويئنا للضميف ولا تكن ثوماً فإن الحزم ليس بناسم
وحارب إذا لم تُنمط إلا ظلامه شبا الحرب خير من قبول المظالم

قال أبو عبيدة : ميمية بشار هذه أحب إلى من ميمية جريه والفرزدق .
قال الأصمعي : قلت لبشار : الناس يحبون من أبياتك في المشورة . فقال :
يأأأ سعيد إن المشاور بين صواب يفوز غيره بشعرته أو خطأ يُشارك في مكروهه .
فقلت له : أنت في قولك أشعر منك في شعرك .

قال حماد : قال أبي : كان بشار جالسا في دار المهدي والناس ينتظرون الإذن ،
فقال بعض موالى المهدي لمن حضر : ما عندكم في قول الله عز وجل « وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى
النَّحْلِ أَنْ اخْذِي مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا »^(١) فقال له بشار : النحل التي يعرفها الناس .
قال : هيئات يأأأأ ماذا ، النحل : بنو هاشم ، وقوله « يخرج من بطونها شراب
مُختلف ألوانه فيه شفاء للناس » يعني العلم . فقال بشار : أراي الله طعامك وشرابك
وشفاءك فيما يخرج من بطون بني هاشم ، فقد أوسعنا غنائه . فغضب وشتم بشارا ،
وبلغ المهدي الخبر فدعا بهما فسألهما عن القصة . فحدثته بشار بهما ، فضحك حتى أمسك
على بطنه ، ثم قال للرجل : أجل ، فجمال الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون
بني هاشم ، فإنك بارد غث .

(١) سورة النحل الآية ٦٨ .

[قال محمد بن مَرْيَد : الذي خاطب بشار بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالى المهدي : هو المَعْلَى بْنُ طَرِيف ^(١) .

ودخل يزيد بن منصور الحميري على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحها بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور ، وكانت فيه غفلة ، فقال : يا شيخُ ما صنعتك ؟ قال : أُنْقِبَ اللُّؤْلُؤُ . فضحك المهدي وقال لبشار : أهرُبْ وبلك ، أتقادر على خالي ؟ قال : وما أصنع به ؟ يرى شيخنا أعمى قائماً ينشد الخليفة شعرا يسأله عن صناعته !

وقف بعض المُجَّان على بشار وهو ينشد شعرا فقال له : استرِ شِعْرَكَ كما تستر عورتَكَ . فصفق بيديه وغضب وقال له : من أنت وبلك ؟ قال : رجل من باهلة ، وأخوالى سُلُوك ، وأصهارى عُكْل واسمى كُتُب ، ومولدى بأُضَاخ ، ومنزلى بَنَهَر بِلَال . فضحك بشار وقال : اذهب وبلك ، فأنت عتيق لؤمك وقد استترت مني بحصون من حديد .

مرَّ بشارُ بقاصِّ بالبصرة ، فقال في بعض قصصه : من صام رَجَبًا وشعبان ورمضان بنى الله له قصرًا في الجنة صَحَّتْهُ أَلْفُ فَرَسَخٍ في مثلها ، وعُلُوهُ أَلْفُ فَرَسَخٍ ، وكل باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرة فراسخ في مثلها ، فالتفت بشار إلى قائده وقال : بُسَّتْ هذه الدار في كانون الثاني ^(٢) .

حدث رجل من أهل البصرة قال ^(٣) : تزوّجت امرأة ، فاجتمعت معها في عُلو بيتٍ وبشارٌ تحمّتا — أو كنا أسفل وبشار عُلوهُ — فنهق حمار في الطريق ، فأجابه

(١) سقط هذا النص من نسخة أ. أما نسخة ك ففيها سقط من قبل هذا الخبر من أول الشعر السابق القصيدة الميمية .

(٢) كانون الثاني يبدأ مع يناير وينتهي بانتهائه فيكون من أشهر البرد .

(٣) في الأغانى : من أهل البصرة ممن يتزوج بالهاريات قال .

حمار في الجيران وحمار في الدار ، فارتجت الناحية بهنق الجير ، وضرب الحمار الأرض برجله وجعل يدقها دقا شديدا ، فسمعت بشارا يقول : نُفَخَ — يعلم الله — في الصور وقامت القيامة ، أما تسمعون كيف يدق على أهل القبور حتى يخرجوا منها ؟ قال : وفزع شاة كانت في السطح وقطعت حبلها وعَدَتْ فألقت طبقا فيه غُدَّارة^(١) إلى الدار ، فانكسرت وتطاير حمام ودجاج كُنَّ في الدار ، للصوت ، وبكى صبي ، فقال بشار صح — يعلم الله — الخبر — ونثر أهل القبور من قبورهم ، أَرَفَتْ — يشهد الله — الآزفة وزلزلت الأرض زلزالها . فناظى كلامه وعجبت منه نسأت : من المتكلم ؟ فقيل لي : بشار ، فقلت : قد علمت أنه لا يتكلم بمثل هذا إلا بشار .

مرّ بشار برجل قد رَمَحَتْهُ^(٢) بنلة وهو يقول : الحمد لله شكرا . فقال بشار : استرِدَّه يَزِدُّكَ .

رفع غلامُ بشار في حساب نفقته : رجلاه مرّة عشرة دراهم . فقال بشار : والله ما في الدنيا أعجب من رجلاه مرّة أعمى بمشرة دراهم . والله لو صدت عين الشمس حتى يبق العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يجالوها عشرة دراهم .

قال أبو معاذ النميري : قلت لبشار : لم مدحت يزيد بن حاتم ثم هجوته ؟ قال : سألتني أن أنيكة فلم أفلح . فضحكت ثم قلت له : هو كان ينبغي أن ينضب . فما موضع الهجاء ؟ قال : أعطتك تحب أن تكون شريكه . فقلت : أنا أعوذ بالله — وبك^(٣) — من ذلك . قال أحمد بن خلاد : قال لي أبي : قات لبشار : إنك لتجيء بالشيء

(١) الغدارة : ما أبقى من الشيء . ويراد : فيه بقية من طعام . وفيك : « فيه غضارة » بعض أصول الأغاني . وفي أصول آخر : « طبقا وغضارة » والنضارة : القصعة الكبيرة وفي : عذارة .

(٢) رجمته : رفته .

(٣) في الأغاني : أعوذ بالله من ذلك ، وبلك . وفي : أنا أعوذ بالله — وبلك — من ذلك .

المستهجن التفاوت . قال : وما ذاك ؟ قال : قلت : بينما تقول شعرا تثير به النقم
وتخلع به القلوب ، مثل قولك :

إذا ما غضبنا غضبة مُضَرِّية هتكنا حجابَ الشمس أو قطرت دما^(١)
إذا ما أعرنا سيِّداً من قبيلة ذُرّاً منبرٍ صلى علينا وسلماً
إلى أن تقول :

ربابة ربّة البيت نَصَبُ الخُلُقِ في الرِّبِّيتِ
لها عشرُ دجاجاتٍ وديك حسن الصوتِ

قال : لكل شيء وجهٌ وموضع . فالقول الأوّل رَجَدَ ، وهذا قلته في جارتي^(٢)
ربابة وأنا لا آكل البيض من السوق ، وهذه ربابة لها عشر دجاجات وديك ،
وهي تجمع البيض لي وتحفظه عندها ، وهذا عندها أحسن من :
* قنابك من ذكرى حبيب ومنزل *

عندك .

وكان بشار يحشو شعره إذا أعوزته الغافية والمعنى بالأمشيء التي لا حقيقة لها .
فمن ذلك قوله :

* غَنَيْتُ للغريص يا ابن قنّانٍ *

ف قيل له : من ابن قنّانٍ هذا ؟ لسنا نعرفه من مُنَى البصرة ، قال : وما عليكم
منه ؟ أَلَمْ يَقبَاهُ دَيْنٌ أو ثَارٌ أو كُفِلتْ لكم به فإذا غاب طلبتموني به ؟^(٣) فقالوا :

(١) في الأغاني : أو تَطَرَّدَ الدِّمَا .

(٢) في الأغاني : جاريتي .

(٣) في الأغاني : أَلَمْ يَقبَاهُ دَيْنٌ فَنَطَالَبُوهُ به أو ثَارٌ تريدون أن تدركوه أو كُفِلتْ لكم به
فإذا غاب طالبتموني بإحضاره .

ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، إنما أردنا أن نعرفه . قال : هو رجلٌ يغنى لي ولا يخرج من بيتي . فقالوا له : متى ؟ قال : منذ يوم ولد وإلى يوم يموت . ومن ذلك قوله :

... ووافاني * هلالُ السماء في البردانِ *

ف قيل له : يا أبا معاذ أين البردان هذا ؟ ليس نعرفه في البصرة ، قال : هو بيت في داري سميته البردان ، أفليسكم^(١) من تسمية داري وبيتها شيء فتسألوني عنه ؟ قال يحيى بن الجون المبدى راويةً بشار : كنا يوماً عند بشار فأنشدنا قوله :

وجاريةٌ خلقتُ وحدها فكل النساء لها كالخدم^(٢)
ظمنتُ إليها فلم تسقني بريرة ولم تشقني من سقم
وقالت هوريت فمت راشداً كما مات عروة غماً بنم
فلما رأيت الموى قاتلي ولست بجار ولا بابن هم
دست إليها أبا مجازٍ وأى فتى إن أصاب اعتزم
فا زال حتى أنابت له^(٣) فراح وحل لنا ما حرم

فقال له رجل : من أبو مجازٍ هذا ؟ فقال : وما حاجتك إليه أنطاليه بمطالبة ؟ ألك عنده مال ؟ هو رجل^(٤) يتردد بيني وبين ماري في رسائل .

كانت بالبصرة قينةً لبعض ولد سليمان بن علي ، وكانت محسنة بارعة الظرف ، وكان بشار صديقاً لسيدها مداحاً له . فحضر مجلسه يوماً والجارية تُغني ، فسُرَّ

(١) في ت : فا عليكم .

(٢) في الأغاني : كان النساء لبيها خدم . هذا ويده في الأغاني : بيت .

(٣) في ١ : أنابت له .

(٤) في الأغاني : وما حاجتك إليه ؟ لك عليه دين أو تطالبه بمائة ؟ هو رجل .

بمضوره ، فشرب حتى سكر ونام ، ونهض الناس^(١) ونهض بشار ، فقات له :
يا أبا ساذ أحب أن تذكر يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيدي
وتكتب بها إليه . فانصرف وكتب إليه :

وَذَاتِ دَلٍّ كَأَنَّ الْبَدْرَ صُورَتَهَا
إِنَّ السُّيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضُ
فَقَاتُ أَحْسَنَتْ يَا سُؤْلِي وَيَا أَمَلِي
يَا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلِهِ
قَالَتْ فَهَلَّا فَدَتْكَ النَّفْسُ أَحْسَنُ مِنْ
يَا قَوْمِ أَذْنِي لِبَعْضٍ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ
فَقُلْتُ أَحْسَنْتِ أَنْتِ الشَّمْسُ طَالِمَةٌ
فَأَسْمِعْنِي صَوْتًا مُطْرِبًا هَزَجًا
يَا لَيْلِي كُنْتُ تَفَاحًا تَلْفَحُهُ^(٢)
حَتَّى إِذَا وَجَدْتُ رِيحِي فَأَعْجَبَهَا
خَفَرًا كَتَّ عَوْدَهَا ثُمَّ انْتَهَتْ طَرْبًا
أَصْبَحْتُ أَطْوَعَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
فَقُلْتُ أَطْرِبْتِنَا يَا زَيْنَ مَجْلِسِنَا
لَوْ كُنْتُ أَهْلُ أَنْ الْهَبَّ يَقْتُلَنِي
فَنَنْتِ الشَّرْبَ صَوْتًا مُؤَقِّفًا رَمَلًا
لَا يَقْتُلُ اللَّهُ مَنْ دَامَتْ مَوَدَّتُهُ
بَاتَتْ تُفَنِّي عَمِيدُ^(٣) الْقَلْبِ سَكْرَانًا
قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُبْحِيحْ قَتْلَانَا
فَأَسْمِعْنِي جِزْرَاكَ اللَّهُ إِحْسَانًا
وَحَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَ
هَذَا لِمَنْ كَانَ صَبَّ الْقَلْبِ خَيْرَانَا
وَالْأَذْنَ تَمُشِقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أحيانَا
أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ وَالْأَحْشَاءِ نيرانَا
يَزِيدُ صَبًّا عَجْبًا فِيكَ أَشْجَانَا
أَوْ كُنْتُ مِنْ قُضْبِ الرِّيَّانِ رَبِّحَانَا
وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ مُثَلَّتْ إِنْسَانَا
تَشْدُو بِهِ ثُمَّ لَا تُخْفِيهِ كَيْمَانَا
لَا كَثْرَ الْخَلْقِ لِي فِي الْهَبِّ مِصْمِيَانَا
فَهَاتِ إِنَّكَ بِالْإِحْسَانِ أَوْلَانَا
أَعْدَدْتُ لِي قَبْلَ أَنْ أَتَاكَ أَكْفَانَا
يُذَكِّرُ السَّرُورَ وَيُكِي الْقَلْبَ أَلْوَانَا
وَاللَّهُ يَقْتُلُ أَهْلَ التَّدْرِ أحيانَا

(١) في ت : وقام الناس .

(٢) عميد : مريض هذه المشق .

(٣) كذا في نسخ المختار . وفي الأغاني منلجة .

ووجه الأبيات إلى سيدها ، فبعث إليه بالفتى درهم ، ومَرَّ بها سرورا كثيرا .
قال الرياشي : حضر يشارٌ بابَ محمد بن سليمان ، فقال له الحاجب : اصبر ،
فقال : إن الصبر لا يكون إلا على بليَّة . فقال الحاجب : إني لأظنُّ أن وراء قولك
هذا شراً ولن أتعرض لك ، فقم وادخل . قال ابن سيابة لبشار : إن الله لم يُذهب
بصرَ أحدٍ إلا عَوْضَه شيئا ، فاعوضك ؟ قال : الطويل المريض ، قال : وما هو ؟
قال : ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء ، ثم قال له بشار : أنطيمنى فى نصيحة
أحصلك بها ؟ قال : نعم ، قال : إنك كنت تسرق الحمير زمانا ، ثم تبت وصرت
رافضياً ، فمُدَّ إلى سرقة الحمير فهو خير لك من الرفض ، ثم قال له بشار : من أنت ؟
قال : ابنُ سيابة . قال : يا ابن سيابة لو نُسِجَ الأسد لما اقترس . وكان ابن سيابة
يُتهم بالأُبْنَة .

قال أبو دُهْمَان : مررتُ بشار يوماً وهو جالس على بابهِ وحده وليس معه
أحد^(١) ، ويده مِخْصَرَةٌ^(٢) يلعب بها ، وقدامه طبق فيه تفاح وأترجٌ ، فلما رأته
وحده تأتت نفسى إلى أن أسرق مما بين يديه ، فجئت قليلا قليلا وهو كافٍ يده حتى
مددتُ يدي لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب يدي ضربة كاد يكسرها ، فقلت :
قطع الله يديك يا ابن الفاعلة ، أنت الساعة أعمى^(٣) فقال : يا أحمق فأين الحس .

كان بُدُو شأن بشار أنه عشق جارية يقال لها فاطمة ، فسممها يوما تمنى فهو بها
وقال :

دُرَّةٌ بحِمْيَرِيَّةٍ مَكْنُونَةٌ مَا زَاها التَّاجِرُ مِنْ بَيْنِ الدُّرَرِ
عَجِبْتُ فَطْمَةُ مِنْ نَعْتِهَا هَلْ يُطِيقُ النَّعْتَ مَكْفُوفُ الْبَعْرِ

(١) فى الأغاني : وليس معه خلق .

(٢) المِخْصَرَةُ ما عسك الإنسان من عصا أو قضيب جَوْكاً عليه .

(٣) فى الأغاني : أنت الآن أعمى .

بنت عشر وثمان فسمت بين غصن وكثيب وقمر^(١)
أمتي^(٢) بدد هذا لمي وشاحي حله حتى انتثر
فدعيني معه يا أمتا علنا في خلوة تقضي الوطر
أقبلت مفضبة نضربها واعتراها كجنون مستير
بأبي والله ما أحسنه دمع عين يفسل الكحل قطر
أيها النوام هبوا ويحكم واسألوني اليوم ما طعم السهر

قال العباس بن خالد البرمكي : لم يزل السؤال يُسمون السؤال إلى أيام خالد بن برمك من قديم الزمان ، فقال خالد : هذا اسم أستقبحه^(٣) لطلاب الخير ، وأرفع قدر الكريم عن أن يُسمَى به ، وفيهم الأشراف وأبناء النعم ومن لعله خير ممن يقيده وأفضل أديبا ، ولكننا نسميهم الزوار . فقال يشار في المجلس عندما تكلم خالد بذلك بمدحه :

حذا خالد في فميه حدو برمك فبجد له مستطرف وأصيل^(٤)
وكان ذوو الآمال يدعون قبله بلفظ على الإعدام فيه دليل
يُسمون بالسؤال في كل موطن وإن كان فيهم نايه وجليل
فسماهم الزوار سترًا عليهم فاستاره في المجتدين سدول
فأعطاه خالد بكل بيت ألف درهم .

قال أبو شبيل عاصم بن وهب : تهق حماز يوما بقرب يشار ، فخطر بباله فقال :

(١) هذا البيت ليس في الأغاني .

(٢) أمتي : يا أمتي ووضح أن تكون أصلها يا أمتي وعوضت التاء عن ياء التكلم ولحقها الألف للضرورة .

(٣) في الأغاني : « أستقبه » عرفة عن أستقبه وجعلها للصحنون : أستقبله .

(٤) في الأغاني : وأصيل .

ما قام أَيْرُ حمارٍ فاستوى شَبَقًا^(١) إِلَّا تَحَرَّكَ عِرْقُ فِي اسْتِ تَسْنِمٍ
قال : ولم يُرد تَسْنِيًا بالهجاء ، ولكنه لما بلغ إلى قوله « تَحَرَّكَ عِرْقُ فِي اسْتِ »
قال : في اسْتِ مَنْ ؟ في اسْتِ مَنْ ؟ وبقى حائرا على القافية ، فرَّ به تسنيم بن الحواري ،
وكان صديقاً له ، فسلم عليه ، فضحك وقال « في اسْتِ تَسْنِمٍ » علم الله ، فقال له :
عليك لعنة الله أَيُّش ويليكَ ، فأنشده البيت . فقال : ويليكَ فما عندك فرق بين عدوك
وصديقك أَى شَيْءٍ حلك على هذا ؟ ألا قلت « في اسْتِ كَتَّاد » الذي فَضَحَكَ وهماك
وأعياك ؟ وليست قافيتك على اليم فأعذرك ، فقال : صدقت في هذا كله ، ولكن
ما زلت أقول : في اسْتِ مَنْ ؟ في اسْتِ مَنْ ؟ ولا يخطر ببال أحد حتى مررت
وسلمت على فَرَزَقَتِهِ ، فقال له تسنيم : إذا كان هذا جواب السلام فلا سلم الله عليك
ولا على حين سلمتُ عليك . وجعل يشار يضحك ويصفق بيديه ، وتسنيم يشتمه .
فالت امرأةُ بشارٍ لبشار : ما أدرى لِمَ يَهَابُكَ الناسُ مع قبج وجهك ؟
فقال لها بشار : ليس من حُسْنِ وَجْهِهِ يَهَابُ الأسد .

قال محمد بن الحجاج : دخل بشارٌ على عُقْبَةَ بنِ سَلَمٍ فأنشده بعض مدائحه فيه ،
وعنده عُقْبَةُ بنِ رُوَيْبَةَ بنِ العَجَّاج ، فأنشده عقبة رَجَزاً يمدحه به ، فشيمه^(٢) بشارٌ
وجعل يستحسن ما قال إلى أن فرغ ، ثم أقبل على بشار فقال : هذا طرازٌ لا تحسنه
أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار : أَلَيْ يَقَال هَذَا وأنا والله أرجز منك ومن أيك
ومن جدك ؟ فقال له عقبة : أنا والله وأبي فتحنا لك وللناس بابَ التريب وباب الجز
وإني لخليق أن أسدَّ عليهم ، فقال بشار : ارحمهم يرحمك الله ، فقال عقبة : أنت خفُّني
يا أبا معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ فقال له بشار : فأنت إذاً من أهل البيت

(١) في الأغاني : فامتلا شبقا .

(٢) شيمه : شجبه وقواه ، وفي الأغاني : فسمعه بشار .

الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً . ثم خرج عقبة مضطرباً ، فلما كان من غدٍ غداً بشارٌ على عقبة بن سلمٍ وعنده عقبة بن ربيعة ، فأنشده أرجوزته التي يدعده فيها وأولها (١) :

يا طَلَلُ الحَيِّ بذات العَمْدِ باللهِ خَبَرٌ كيفَ كُنْتُ بَعْدِي
الْحُرُّ يُلْحَى والمعَا للعَبْدِ وليس للمُلْحِفِ مثلُ الرَّدِّ

وأتى فيها بالمجائب ، فطرب عقبة بن سلمٍ وأجزل صلته ، وقام عقبة بن ربيعة ففرج عن المجلس بخزني وهرب من تحت ليلته فلم يمد إليه ، وكان الجاحظ يقول : انظر إلى سوء أدب عقبة بن ربيعة وقد أجل بشارٌ عشرته ومَحَضَرَه فقابل بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلم خلق الله به ، لأنه قال له وقد فاخره بشعره : يا بُنَيَّ أنت إذا مَتَّ مات شِعْرُكَ معك ولم يوجد من يرويه بمدك ، فكان كما قال له ، ما يُعرف له بيت واحد ولا غير هذا الخبر القبيح والأخبار الدالة على سخفه وسوء أدبه وسقوطه .

جاء أبو الشَّمَمَقِ إلى بشار يشكو إليه الفتيقة ويحلف له أن ليس عنده شيء ، فقال له بشار : والله ما عندي شيء يُفْنِيكَ ، ولكن قم معي إلى عقبة بن سلمٍ . فقام معه ، فذكر له أبا الشَّمَمَقِ وقال له : هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسة درهم ، فقال بشار :

يا وَاحِدَ العربِ الذي أمسى وليس له نَظِيرُ
لو كانَ مِثْلَكَ آخَرُ ما كانَ في الدنيا فُضْرُ

فأمر له بألف درهم ، فقال له أبو الشَّمَمَقِ : تقمنا وتقمناك يا أبا معاذ .

(١) جاءت الأرجوزة في الأغاني طويلة وهنا اقتصر على أولها وواحد منها ليس هو الثاني .

كان^(١) بشار يُشَبِّبُ بامرأة اسمها رَحْمَة ، وكان أبو نواس قد عشق غلاما يقال له رَحْمَة بن نَجَاح عم نَجَاح بن سَلَم الكاتب ، وكان متقدما في جماله ، فقال بشار في محبوبته رَحْمَة :

يا رَحْمَة الله حُلِّي في منازلنا حَسبي بِرَاحَة الفردوس من فيك
يا أطيب الناس ريقا غير مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَة أَطْرَافِ السَّائِيكِ
فد زُرْنِي زُورَة في الدهر واحدة نُنِي وَلَا تَجْمَلِيهَا بَيْضَة الدِّيَكِ
وقال أبو نواس في محبوبه رَحْمَة :

أحببتُ من شِعْر بَشَّارٍ لِحُبِّكُمْ يَتَا كَلِفْتُ بِهِ من شِعْر بَشَّارٍ
يا رَحْمَة الله حُلِّي في منازلنا وَجَاوِرِينَا فَدَنَّاكَ النَّفْسُ من جَارٍ
إِذَا ابْتَهَلْتُ سَأَلْتُ الله رَحْمَتَهُ كُنَيْتُ عَنْكَ وَمَا يَعْدُوكُ إِضْمَارِي

قال الأعمى : لما أنشد بشار أبا اللِّدِّ عَقْبَة بن سلم أَرْجوزته الدالية التي أولها :

* يَاطْلُلُ الحَيَّ بِذَاتِ الصَّمَدِ *

أمر له بخمسين ألف درهم ، فأخَرها عنه وكيَّله ثلاثة أيام ، فأمر بشار غلامه أن يكتب على باب عَقْبَة :

ما زال ما مَنِيْتُنِي من هَمِّي الوَعْدُ نَعْمَ فَأَرِحْ من غَمِّي

* إِنْ لَمْ تُرِدْ حَمْدًا فَرَأْبُ دَمِّي *

فلما خرج عَقْبَة رأى ذلك فقال : هذه من فَعَلات بشار ، ثم دعا بالقَهْرمان^(٢) فقال : هل حَمَلْتُ إِيَّيْ بَشَّارٍ ما أَمَرْتُ بِهِ ؟ فقال : نَحْنُ مُضِيْقُونَ وَغَدًا أَجَلُ إِيَّيْهِ المَالُ ، فقال : زد فيه عَشْرَة آلاف درهم أخرى واحمِلها إِيَّيْهِ السَّاعَة . فحملها من وقته إِيَّيْهِ^(٣).

(١) لم يرد هذا الخبر في الأغاني في ترجمة بشار ولا الشعر .

(٢) القَهْرمان : الوكيل أو أمين الدخَل والمُخْرَج .

(٣) هنا نس في ١ جاء متأخرا في نسخة ت وجاء بالهامش في نسخة ك ونجدته في الأغاني يسبق كما في نسخة ١ .

حجَّ المنصور فاستقبله الناس ، فلما رحل من الشُّوق^(١) رحل في وقت الهجرة ولم
يركب في القبة ، وركب نجيبا وسار ، فجعلت الشمس تَضْحَكُ^(٢) بين عينيه ، فقال :
إني قائل يثا فمن أجازته وهبت له جَبَّتِي هذه ، فقلنا : يقول أمير المؤمنين ، فقال :
وهاجرة نصبت لها جَبِينِي يُقَطِّعُ حَرَّهَا ظَهْرُ الْمَطَايَةِ^(٣)
فبدر بشار الأهمي فقال :

وقفت بها التَّلُوصَ وفاض دمي على خدى وأقصرَ وأعْظَا بَنِي
فزع الحَبَّة وهو راكب فدفعها إليه ، فباعها بأربعمائة دينار .

قال أبو البصير^(٤) الشاعر : أنشدت بشارا قصيدة لي ، فقال لي : أيجيئك شعرك
هذا كلما شئت أو هذا شيء يجيئك في الفينة بعد الفينة إذا تممْتَ له ؟ فقلت :
بل هذا شعر يجيئك كلما أردته . فقال لي : فقل فإنك شاعر . فقلت له : لملك حاييتني
يا أبا معاذ وتجملت لي . فقال لي : أنت - أبقاك الله - أهون علي من ذلك .

كان^(٥) بشار يهوى جارية من أهل البصرة يُقال لها عُبَيْدَة ، فخرجت من البصرة
إلى عُمان مع زوجها ، فقال بشار :

هَوَى صاحبي رِيحُ الشَّمالِ إذا جَرَتْ	وَأَشَقَّى لِقَائِي أَنْ تَهَبَّ جَنُوبُ
وما ذاك إلا أنها حين تنتهي	تَنَاهَى وفيها من عُبَيْدَة طِيبُ
عَذِيرِي من التَّدَالِ إِذْ يَمْدِلُونِي	سَفَاهَا وما في الساذلين لَبِيبُ
يقولون لو عَزَّيْتَ قَلْبِكَ لَارْعَوَى	فقلت وهل للعاشقين قُلُوبُ
إذا نطق القومُ الجُلُوسُ فَإِنِّي	مُكِبٌّ كَأَنِّي فِي الْجَمِيعِ غَرِيبُ

(١) الشُّوق: منزل بطريق مكة .

(٢) تَضْحَكُ : تتلأأ .

(٣) في الأغاني : يقطع ظهرها .

(٤) في الأغاني : أبو النضر .

(٥) هذا هو التمس الذي جاء في المتقدم .

قال رجل من باهلة : كنت عند بشار بن برد ، فأتاه رجل فسلم عليه فسأله بشار عن خبر جارية عنده فقال : كيف هي ؟ فقال : في عافية ، وهي تدعوك اليوم ، فقال لي بشار : يا باهلي ، انهض بنا ، فحُثت إلى منزل نظيف وفرش سري ، فأكلنا ، ثم جئنا بالنبيد فشربنا مع الجارية ، فلما أردنا الانصراف قامت فأخذت بيد بشار ، فلما صار في الصحن أوماً إليها ليقبلها ، فأرسلت يده من يدها ، فجعل يحول في المَرَصَة ، وخرج مولاهما فقال : مالك يا أبا معاذ ؟ فقال : أذنبْتُ ذنباً ولا أبرح حتى أقول شعراً ، فقال :

أتوب إليك من السيئاتِ	وأستغفر الله من فملي
تناولت مالم أُرِدْ نَيْلَه	على جهل امرئ وفي سكرتي
فوالله والله ما جئته	بعمدٍ ولا كان من رَهْمَتِي ^(١)
ومن نال خيراً على قُبلةٍ	فما بارك الله في قُبَلَتِي

قال أبو عبيدة : السبب الذي من أجله نهى المهديُّ بشاراً عن ذكر النساء هو استهتار النساء بالبصرة وشُبَّانها بشعره ، حتى قال سَوَّار بن عبد الله الأَكْبَرُ يوماً ومالك بن دينار : ما شيء أَدْعَى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من شعر هذا الأعمى ، وقال واصل بن عطاء : إن أخدع حباثل الشيطان وأعواها كاهات هذا الأعمى الملحد . فلما كثر ذلك وانتهى خبره إلى المهدي من وجوه كثيرة ، وأنشد المهدي يوماً ما مدحه به سَهَاء عن ذكر النساء وقول التشيب ، وكان المهدي أشدَّ الناس غيرةً ، فقيل له : ما نحسب شعراً هذا بلغ ما بلغ شعر^(٢) جميل وكثيرٌ وغرورةٌ وفيس وتلك الطبقة ، فقال : ليس كل من سمع تلك الأشعار يعرف المراد منها . وبشار يُقارب النساء

(١) يمد بيت في الأغاني لم يجيء هنا .

(٢) في الأغاني : شعر هذا أبلغ في هذه المأني من شعر .

حتى لا يَخْنَقَ عليهمَ ما يقول وما يريد ، وأَيَّ حُرَّةٍ حَصَانٍ تسمع قول بشار فلا يُؤَثِّرُ
في قلبها ؟ فكيف بالمرأة النَزَلَةُ والفتاة التي لا هِمَّةَ لها إِلَّا الرجال ، ثم أنشد قوله :

قد لامي في خليلتي عَمْرُ	واللوم في غير كنهه ضَجْرُ
قال أَفَنِي قُلت لا فقال لي	قد شاع في الناس منك الحُجْرُ
قلت وإن شاع ما اعتذاري ^(١) ثم	لا ليس فيه عندهم عُذْرُ
ماذا عليهم وما لهم خَرُسُوا	لو أنهم في ميسوبهم نَظَرُوا
أعشق وحدي ويؤخذون به	كأنك تنزو فتَقْتُلُ الأَزْرُ ^(٢)
يا عَجَبًا للخلاف يا عَجَبًا	في في الذي لام في الهوى الحُجْرُ
حسبي وحسب الذي كَلِفتُ به	مَنِي ومنها الحديث والنَظَرُ
أو قُبْلَةً في خلال ذاك وما	بأس إذا لم تُحَلِّلِ الأَزْرُ ^(٣)
أو عَصَّة في ذراعها ولها	فوق ذراعي من عَصْفَا أَثْرُ
أو لسة دون مِرْطَها بيدي	والباب قد حال دونه الشَّئْرُ
والساق برَاقَةَ خَلَاخِلِها ^(٤)	أو مَصَّ رِيْقٍ وقد علا البُهْرُ
واسترخت الكَفُّ للمراك وقا	لَتِ إِيه عَنِي والدَّمَغُ منجدرُ
انهض فإ أنت كاللدى زغموا	أنت وربى منازل أَثِرُ
قد ظابت اليومَ عنك حاضنتي	وأفقه ربي لي منك منتصر ^(٥)
يا ربَّ خُذْ لي فقد ترى ضَرَمِي	من فاسق جاء ما له فِكر ^(٦)

(١) في الأغاني : ما اعتذارك . وفي « لاعتذاري » وأنت ما فيك .

(٢) في الأغاني : فتؤخذ الحُزْر .

(٣) في الأغاني : لم تحل لي الأَزْر .

(٤) في الأغاني : مخالخلها .

(٥) في الأغاني : وأفقه لي منك فيك يتنصر .

(٦) في الأغاني : جاء ما به فكر .

أَهْوَى إِلَى مِعْصَدِي فَرَضْنَهُ ذُو قُوَّةٍ مَا يَطْلُقُ مُقْتَدِرُ
 الصَّقِ بِي لِحْيَةً لَهُ خَشْنَتْ ذَاتَ سَوَادٍ كَأَنَّهَا إِبْرُ
 حَتَّى عَالَانِي وَأَمَرْتَنِي غَيْبٌ وَيَلِي عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ حَضَرُوا^(١)
 كَيْفَ بَأْمِي إِذَا رَأَتْ شَفَعِي أَمْ كَيْفَ إِنْ شَاعَ عَنْكَ ذَا الْخَبَرِ^(٢)
 قَدْ كُنْتُ أَخْشَى الَّذِي يُبْلِيَتْ بِهِ مِنْكَ فَمَاذَا تَقُولُ يَا عَبْرُ^(٣)
 قُلْتَ لَهَا عِنْدَ ذَاكَ يَا سَكَنِي لَا بِأَسْ إِنِّي مُجَرَّبٌ خَبَرُ
 قَوْلِي لَهَا بَقَّةٌ لَهَا ظَفَرُ إِنْ كَانَ فِي الْبَقِّ مَا لَهُ ظَفَرُ
 ثُمَّ قَالَ : مِثْلَ هَذَا الشَّعْرُ يُجِيلُ الْقَلْبَ وَيُلِينُ الصَّعْبَ .

لما ورد بشار على خالد بن برمك بفارس امتدحه ، فوعده ومطله ، فوقف على طريقه وهو يريد المسجد فأخذ بلجام بقلته وأنشده :

أَظَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا سَحَابَةٌ أَضَاءَتْ لَنَا بَرَقًا وَأَبْطَأَ رِشَاشُهَا^(٤)
 فَلَا نَعِيْمُهَا يُجَمِّلُ فَيَأْسُ طَامِعٌ وَلَا غَيْثُهَا يَأْتِي فَيَرْوِي عِطَاشُهَا
 فحس بقلته وأمر له بمشرة آلاف درهم وقال : لن تنصرف السحابة حتى تبلك إن شاء الله تعالى .

قال علي بن حرب الطائي : كان رجل منا يقال له سعد بن القمقاع يتقدم بشارا في المجانة ، فقال لبشار وهو ينادمه : ويحك يا أبا معاذ ! قد نسبنا الناس إلى الزندقة .

(١) غيب غائبون . ههنا وفي الأغاني بعده بيت لم يذكر هنا في المختار .

(٢) في الأغاني : إِنْ شَاعَ مِنْكَ .

(٣) العبر « بتثنية العين وسكون الباء » الجريء القوي وحركت باؤه لضرورة الشعر . وقد وضع في اعلامة الإعمال تحت العين ؟ أماني ك فإنيها ياغبر « بالعين المضمومة هكذا ضبط فيها » لكن يقال : داهية الغبر « بفتح النون والياء » الذي يماندك ثم يرجع إلى قواك .

(٤) الرشاش : جمع رش وهو المطر الخفيف .

فهل لك في أن تحجَّ حجةً تنفي ذلك عنا؟ قال: نعمَ مارأيت . فاشترَبَا بعيرا ومَحْمِلًا وركبا ، فلما مرَّا بِزُرَّارَةَ^(١) قال له : وبحك ياأبا معاذ ، ثلاثمائة فرسخ متى تقطعها ؟ ملّ بنا إلى زُرَّارَةَ نتنعم فيها ، فإذا قفل الحاجُّ عارضناهم بالقادسية وجززنا رؤوسنا ، فلم يشكّ الناس أنَّا جئنا من الحج . فقال له بشار : نعمَ مارأيت لولا خُبْتُ لسانك ، وإنّي أخاف أن تفضحننا . قال : لا تخف . فمالا إلى زُرَّارَةَ فما زالا يشربان الخمر ويفسقان ، فلما نزل الحاجُّ بالقادسية راجعين أخذَا بعيرا ومَحْمِلًا واستأصلا شعورهما^(٢) وأقبلا ، وتلقاهما الناس يهشونهما .

فقال سعدُ بن القمقاع :

ألم ترني وبشارًا حَجَجْنَا وكان الحجُّ من خَيْرِ التَّجَارَةِ
خرجنا طالِبِي سَفَرٍ بَعِيدٍ قال بسا الطريق إلى زُرَّارَةِ
وَأَبَ النَّاسُ قَدْ حَجَّجُوا وَبَرُّوا وَأَبْنَا مُوقِرِينَ مِنَ الْخَسَارَةِ

قال داود بن رَزِينَ : أتينا بشارًا ، فأذن لنا والمائدة موضوعة بين يديه ، فلم يدعنا إلى طعامه ، فلما أكل دعا بطَشْتٍ وكشف عن عورته^(٣) فقال فيه ، ثم حَضَرَتِ الظَّهْرُ والمصر والمغرب فلم يُصَلِّ ، فدنونا منه فقلنا له : أنت أستاذنا ، وقد رأينا منك أشياء نكرها^(٤) ، قال : وما هي ؟ قلنا: دخلنا والعطامُ بين يديك فلم تدعُنا ، فقال : إنما أذنت لكم لتأكلوا ، ولو أردت ألا تأكلوا ما أذنت لكم . قال : ثم ماذا ؟ قلنا: دعوت بالطلست ونحن حضور فُبِلْتُ ونحن نراك ، قال : أنا مكفوف وأنتم بُصْرَاءُ ،

(١) زُرَّارَةُ : محلة بالكوفة .

(٢) في الأغاني : وجزاءه وسهما .

(٣) في الأغاني : عن سوءته .

(٤) في الأغاني : أنكرناها .

وأنتم المأمورون بَعْضُ الأبصار دوني ، قال : ثم ماذا ؟ قلنا : حضرت الظاهر والمصر والمغرب فلم تصل ، قال : إن الذي يقبلها تقاريق يقبلها جملة واحدة .

حكى بعض أصحاب بشار قال : كنا إذا حضرت الصلاة نقوم إليها ويقعد بشار ، فنجمل على أطراف ثيابه ^(١) تراباً لننظر هل يصلي ، فنمود والتراب بحاله .

روى الحرمازي قال : قعد رجل إلى بشار فاستقله ، فصرط عليه ضرطة ، فظن الرجل أنها أفلتت منه ، ثم ضرط أخرى ، فقال : أفلتت ، ثم ضرط ثالثة ، فقال : يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ قال : مه ، أرايت أم سمعت ؟ قال : بل سمعتُ صوتاً قبيحاً ، قال : لا تُصدّق حتى ترى .

قال رجل يوماً في المسجد لبشار : يا أبا معاذ يُعجبك الغلام الشاذن ^(٢) ؟ فقال غير مكترث ولا محتشم : لا ، ولكن تعجبنى أمه .

وقال بشار في ثقيل :

هل لك في مالي وعِرْضِي معا وكلّ ما يملك جيرانِيه
واذْهَبْ إلى أبدي ما يَنْتَوِي لا رَدَّكَ الله ولا مَالِيه
أُنشِد الوليدُ بن يزيد قولَ بشار :

أبها الساقيان صَبَا شراي واسقياني من ريق يبيضاء رُودِ
إن دأى الظما وإن شفاي ^(٣) شربة من رُضاب ثَقَرِ بَرُودِ
ولها مَبْسِمٌ كَنُورِ الأفاحي ^(٤) وحديث كَالوَشَى وَشَى البرودِ

(١) في الأغاني : فنجل حول ثيابه . وفي أطراف ثيابه .

(٢) الشاذن : من أوصاف التلبي إذا قوى وصلح جسمه . وفي الأغاني : الغلام الجادل .

(٣) في الأغاني : وإن دوائى .

(٤) في الأغاني : ولها مفضك كفر الأفاحي .

زَلْتُ فِي السَّوَادِ مِنْ حَبَّةِ الْقَدَا ب وَنَالَتْ زِيَادَةَ الْمُسْتَرِيدِ
ثُمَّ قَالَتْ نَلْعَاكَ بِمَدِّ لَيَالٍ وَاللَّيَالِي تُبِيلُنْ كُلَّ جَدِيدِ
عِنْدَهَا الصَّبْرُ عَنْ لِقَائِي وَعِنْدِي زَفَرَاتٌ يَا كَلْنَ قَلْبَ الْجَلِيدِ^(١)

فطرب الوليد وقال : من لي بمزاج كأمي هذه من ريق سَلَمَى فيروى ظمئى
وَيُطْفِئُ غُلَّتِي ؟ ثم بكى حتى مراح كأسه بدمعه ثم قال : إن فاتنا ذاك فهذا .

قال عبد الله بن أبي بكر : كان لنا جار يزأز يكنى أبا بدر^(٢) ، وكان صديقا
لبشار ، فبعث بشار إليه ذات يوم يطلب منه ثيابا بَنَسِيَّةً^(٣) فلم يصادفها فقال
يهجوه :

أَلَا إِنَّ أَبَا بَدْرٍ زَنَى فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
وَلَمْ يَرَعْ تَعَالَى اللَّهُ هُ حُرْمَةُ ذَلِكَ الشَّهْرِ^(٤)

وكتبها وبشها إليه ، ولم يكن أبو بدر ممن يقول الشعر ، فقلها وكتب في
ظهرها :

أَلَا إِنَّ أَبَا بَدْرٍ لَهُ فِي ذَلِكَ عُذْرٌ
أَتَتْهُ أُمُّ بَشَارٍ وَقَدْ ضَاقَ بِهِ الْأَمْرُ
فَوَاتَبَهَا فْجَامَهَا وَمَا سَاعَدَهُ الصَّبْرُ

فلما قرئت على بشار غضب وندم على تمرضه لرجل لا نباهة له ، فجعل ينطح
الحائط برأسه غيظا ، ثم قال : لا تمرضت لهجاء سَفَلَةٍ مثل هذا أبدا .

(١) في الأغاني : قلب المديد .

(٢) في الأغاني : « كان لنا جار يكنى أبا زيد » هذا وأبو بدر تناسب التافهة الآتية .

(٣) بانه بنسبة : أخر له عن القى البيع .

(٤) في الأغاني : تعالى الله ربى حرمة الشهر .

دخل بشار على عقبة بن سلم فأنشده قوله فيه :

إِنَّمَا لَذَّةُ الْجَوَادِ ابْنُ سَلَمٍ فِي عَطَاءٍ وَمَرْكَبٍ لِلْقَاءِ
حَرَّمَ اللَّهُ أَنْ يُرَى كَابِنِ سَلَمٍ عُقْبَةُ الْخَيْرِ مُظْمِرُ الْفُقَرَاءِ^(١)
لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْ فَبِوَلَكِنْ يَلْدُ طَمَمَ الْعَطَاءِ
يَسْقُطُ الظَّيْرُ حَيْثُ يَأْتَقَطُ الْخَ بٌ وَتُنْشَى مَنَازِلُ الْكِرْمَاءِ^(٢)
فَمَلَى عُقْبَةُ السَّلَامُ مُقْبَا وَإِذَا سَارَتْ حَتَّى ظِلُّ اللَّوَاءِ^(٣)

فوصله بمشرة آلاف درهم ، وقيل : إنه أمر له بثلاثة آلاف دينار^(٤) . وقيل لبشار لما صنع هذه الأبيات : إن مدائحك عقبة فوق مدائح كل أحد ، فقال بشار : إن عطايا عقبة لي فوق عطايا كل أحد ، مدحته بهذه الأبيات فأمر لي بثلاثة آلاف دينار ، وما أنا ذامدحت المهدي وأبا عبيد الله وزيره وأقتت بياهما حولا ولم يعطيني شيئا ، أفألام على تجويد مدح هذا ؟

كان أبو عمرو بن العلاء وخلف الأحرر يأتیان بشارا فيسلمان عليه بناية الإعظام^(٥) ، ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدثت ؟ فينشدها ويكتبان عنه متواضعين له ، فأتياه يوما فقالا : ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم بن عقبة^(٦) ؟ فقال : هي التي بلغتكم . قالوا : بلغنا أنك أكرمت فيها من الغريب ، قال : نعم ، بلغني

(١) هذا البيت يوجد في الأغاني في موضع آخر هو الذي عقب به وقيل لبشار لما صنع هذه الأبيات .

(٢) في الأغاني : حيث يقتصر الحب .

(٣) قبل هذا في الأغاني بيت ليس في نسخ المختار .

(٤) جملة « قيل إنه » . جاءت في الأغاني في موضع آخر فكأنه مزج ابن منظور بين الخبرين .

(٥) في الأغاني : على مدحى هذا .

(٦) في الأغاني : التعظيم .

(٧) في ت : « في عقبة بن سلم » . وفي الأغاني : في سلم بن عقبة .

أَنْ سَلَمًا يَنْتَظِرُ^(١) بِالْغَرِيبِ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُورِدَ عَلَيْهِ مَا لَا يَعْرِفُ . قَالَا : فَأَنْشِدُنَا .
قال : فَأَنْشِدُهُمَا :

بَكْرًا سَاحِجًا قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ
فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لَهُ خَافَ : لَوْ قُلْتَ مَكَانَ :

إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ
بَكْرًا فَالنِّجَاحُ فِي التَّبْكِيرِ
كَانَ أَحْسَنَ ، فَقَالَ بَشَارُ : إِنَّمَا بَنَيْتُهَا أَعْرَابِيَّةً وَخَشِيَّةً فَقُلْتَ :
إِنَّ ذَاكَ النِّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

كما يقول البدويون الأعراب ، ولو قلت : « بَكْرًا فَالنِّجَاحُ » كان هذا كلام
المولدين لا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل معنى القصيدة . فقام خلف فقبل ما بين
عينيه . فقال له أبو عمرو يمازحه^(٢) : لو كان عُلَّانَةً وَلَدَكَ يَا أَبَا مَعَاذَ لَفَعَلْتَ كَمَا فَعَلَ
أَخِي ، وَلَكِنَّكَ مَوْلَى . فَدَبَّرَ بَشَارُ يَدَهُ فَضَرَبَ بِهَا فُخْدَ أَبِي عَمْرٍو^(٣) وَقَالَ :
أَرَفُقُ بِعَمْرٍو إِذَا حَرَّكَتَ نِسْبَتَهُ فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَسَاوِيرِ
فَقَالَ : أَفَعَلْتَهَا يَا أَبَا مَعَاذَ ؟ قَالَ : كَمَا فَعَلْتَهَا يَا أَبَا عَمْرٍو ، وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو يُعَمِّزُ
فِي نِسْبِهِ .

قال خلف : كنت أسمع بشار قبل أن أراه ، فدُكِرَ لي يوما ووصف بيانه
وسُرعة جوابه وجودة شعره ، فاستندستهم شيئا من شعره فَأَنْشِدُونِي شَيْئًا لَمْ يَكُنْ

(١) فِي الْأَغَانِي : يُقْبَاصِرُ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « وَقَالَ لَهُ خَلْفُ بْنُ أَبِي عَمْرٍو يَمَازِجُهُ » وَلَا شَكَّ أَنَّ كَلِمَةَ « خَلْفُ بْنُ » مَقْحَمَةٌ
خَطَأً .

(٣) فِي الْأَغَانِي : فُخْدَ خَلْفَ .

بالحمود عندي ، فقلت : والله لَأَتَيْنَهُ وَلَا طَاطِنٌ مِنْهُ ، فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى بَابِهِ ،
فَرَأَيْتُهُ أَعْمَى قَبِيحَ الْمَنْظَرِ عَظِيمِ الْجَنَّةِ ، فقلت : لمن الله من يبالي بهذا ، فوقفت
أمامه ^(١) طويلاً ، فجاء رجل فقال : إن فلانا شَيْمَكَ ^(٢) عند الأمير محمد بن سليمان
ووضع منك ، قال : أَوْفَعِلْ ذَلِكَ ؟ قال : نعم ، فأطرق ، وجلس الرجل عنده
وجلس ، وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردُّ عليهم السلام . فجعلوا ينظرون إليه وقد
دَرَّتْ أَوْدَاجُهُ ، فلم يلبث إلا ساعة حتى أنشد بأعلى صوته :

نُبِّئْتُ نَائِكَ أُمِّهِ يَفْتَابُنِي عند الأمير وهل على أميرٍ
نَارِي مُحَرَّفَةً وَسَبْيِي وَاسِعٌ ^(٣) للْمُتَمَتِّينَ وَمَجْلِسِي مَعْمُورُ
وَلِيَّ الْمَهَابَةِ فِي الْأَحْبَةِ وَالْمِدَا وكأني أسد له تَامُورُ ^(٤)
غَرَّتْ حَلِيلَتُهُ وَأَخْطَأَ صَيْدُهُ فَلَهُ عَلَى لَقَمِ الطَّرِيقِ زَرْمِيرُ ^(٥)

فارتعدتُ والله فرائصي ، واقشمرتُ جلدي ، وعظم في عيني جدا ، وقلت : الحمد
لله الذي أبعدني من شرك .

قال العباس بن خالد : مدح بشار بن خالد بن برمك فقال فيه :

لممرى لقد أجدى على ابن برمكٍ وما كلُّ من كان النسي عنده يُجْدِي
حَلَبْتُ بِشِعْرِي راحتيه فدرتاً سمحاً كما درَّ السحابُ مع الرعدِ
إذا جئتُه للحمد أشرق وجهه إليك وأعطاك الكرائمُ بالحمدِ ^(٦)

(١) في الأغاني : فوقفت أمامه .

(٢) في الأغاني : سبك .

(٣) في الأغاني : ويبق واسع . هذا ، والمتفون : طالبو الفضل والرزق .

(٤) التامور : من معانيه : عرين الأسد . وفي نسخ المختار : به تامور . فيكون التامور بمعنى العقول .

(٥) غرئت : جاعت . ولقم الطريق : متنه ووسطه .

(٦) في الأغاني : الكرامة بالحمد .

له نِعَمٌ في الصوم لا يَسْتَتِيبُها جزاء وكَيْلُ السَّاحِرِ الدُّبَالُ
مُفِيدٌ وَمِثْلُ سَبِيلِ تَرَائِيهِ إِذَا مَا عَدَا أَوْ رَاحَ كَالْجُزْرِ وَالِدُّ
أَخَالِدُ إِنْ الْمَدْحَ يَبْقَى لِأَهْلِهِ جَمَالًا وَلَا تَبْقَى الْكُنُوزُ عَلَى الْكَدِّ
فَأَطِمْ وَكُلْ مِنْ عَارَةِ مُسْتَرَدَّةٍ وَلَا تُنْقِهَا إِنْ الْوَارِي لِلرَّدِّ
فَأَعْطَاهُ خَالِدٌ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُعْطِيهِ فِي كُلِّ وَفَادَةٍ خَمْسَةَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ ، وَأَمْرُ خَالِدٍ أَنْ يُكْتَبَ هَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي صَدْرِ مَجْلِسِهِ الَّتِي يَجْلِسُ فِيهِ ، وَأَوْصَى
بِحِجْيِ وَلَدِهِ أَنْ يَمْعَلَ بِهِمَا .

وكانت لبشار جارية سوداء كان يقع عليها ، وفيها يقول :

وَفَادَةٍ سَوْدَاءَ بِرَأْفَةٍ كَالْمَاءِ فِي طَبِيبٍ وَفِي رَيْنٍ
كَأَنَّهَا صَيِّغَتْ لِمَنْ نَاكَهَا مِنْ هَنْبَرٍ بِالْمِسْكِ مَسْجُونٍ

كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عمال الخراج ، وكان عفيفا بخيلا ، فسأل
عُمَرَ بْنَ أَبِي الْمَلَاءِ ، وكان شجاعا جوادا ، في رجل ، فوهب له مائة ألف درهم ،
فدخل أبو الوزير على المهدي فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن عُمر بن أبي الملاء خائن ،
قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : كلمته في رجل كان أقصى أمله ألف درهم فوهب له
مائة ألف درهم ، فضحك المهدي وقال : كِلَا كَا عَمِلَ عَلَى شَاكِلَتِهِ ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ
بِشَارٍ فِيهِ :

إِذَا دَهَمَتْكَ عِظَامُ الْأُمُورِ فَنَبَّهْ لَهَا عُمَرَأَ ثُمَّ نَهْ
فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ (١) وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ

وقول أبي المتاهية فيه :

إِن الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنهَا قَطَعْتُ إِلَيْكَ سَبَاسِيَاً وَرَمَلَا^(١)
فَإِذَا وَرَدْنَ بَنَّا وَرَدْنَ خَفَافًا^(٢) وَإِذَا صَدَرْنَ بَنَّا صَدَرْنَ ثِقَلَا

أو ليس هو الذي يقول فيه أبو المتاهية :

يَا ابْنَ الْمَلَاءِ وَيَا ابْنَ الْقَرَمِ مِرْدَاسٍ إِنِّي لِأُطْرِكَ فِي أَهْلِي وَجُلَامِي^(٣)
حَتَّى إِذَا قِيلَ مَا أَعْطَاكَ مِنْ نَسَبٍ أَثْقَيْتُ مِنْ عَظَمٍ مَا أَوْلَيْتُ كَالنَّاسِي^(٤)
ثم قال : من اجتمعت ألسُنُ الناس على مدحه كان حقيقاً أَنْ يُصَدِّقَهَا بِفِعْلِهِ .

قال دِغْبِيلُ بْنُ عَلِيٍّ : كَانَ بَشَارٌ يُعْطَى أَبَا الشَّمْقَمَقِ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَائَتِي دِرْهَمٍ ،
فَأَنَاهُ أَبُو الشَّمْقَمَقِ فِي بَعْضِ السِّنِينَ فَقَالَ : هَلُمَّ الْجَزِيَّةَ يَا أَبَا مَعَاذٍ ، فَقَالَ لَهُ : وَيْحَكَ !
أَوْ جَزِيَّةً هِيَ أَيْضًا ؟ قَالَ : هِيَ مَا تَسْمَعُ ، فَقَالَ لَهُ بَشَارٌ يَمَازُحُهُ : أَنْتَ أَفْصَحُ مِنِّي ؟
قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَعْلِمُ مِنِّي بِمِثَالِ النَّاسِ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : فَأَشْعُرُ مِنِّي ؟ قَالَ : لَا .
قَالَ : فَلِمَ أَعْطَيْتُكَ ؟ قَالَ : لِكُلِّ أَحْمُوكَ . قَالَ : إِنْ هَوَّنَتْنِي هَوَّنَتَكَ . فَقَالَ لَهُ
أَبُو الشَّمْقَمَقِ : أَوْ هَكَذَا هُوَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقُلْ مَا بَدَا لَكَ . فَقَالَ أَبُو الشَّمْقَمَقِ :

إِنِّي إِذَا مَا شَاعِرٌ هَجَارَنِيَّ وَجِئْتُ فِي الْقَوْلِ لَهُ لِسَارِنِيَّ
أَدَخَلْتُهُ فِي اسْتِ أُمِّهِ عَلَانِيَّ بَشَارٌ يَا بَشَارُ

وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ : يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ .

فَوَثَبَ بَشَارٌ فَأَمْسَكَ فَاهُ وَقَالَ : أَرَادَ وَاللَّهِ شَتْمِي . ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ مَائَتِي دِرْهَمٍ
وَقَالَ لَهُ : لَا تَسْمَعْ هَذَا مِنْكَ الصَّبِيَّانِ .

(١) السباسب : الفاووز جمع السبب .

(٢) فِي الْأَغَانِي : خَفَقَةٌ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : فِي صَحِيٍّ وَجِلَاسِي .

(٤) فِي الْأَغَانِي : مَا أُسْدَبَتْ كَالنَّاسِ .

قال الأصمعي : امر عقبه بن سلم لبشار بشرة آلاف درهم ، فأخبر أبو الشعمق بذلك ، فوافى بشارا فقال له : يا أبا معاذ ، إني مررت بصبيان فسمعتهم يشدون :

هَلَلَيْنَاهُ هَلَلَيْنَاهُ طَمَنَ قِثَاةٌ لَثِينَةً
إِنْ بشارَ بْنَ بُرْدٍ تَيْسٌ أَعْمَى فِي سَفِينَةٍ

فأخرج إليه بشار مائتي درهم وقال له : خذ هذه ولا تكن راوية للصبيان .
استباح^(١) بشارُ المباسَ بْنَ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه ، فقال

يهجوه :

ظِلُّ الْيَسَارِ عَلَى الْمَبَاسِ مَمْدُودٌ وَقَلْبُهُ أَبَدًا بِالْبُخْلِ مَمْقُودٌ
إِنَّ الْكَرِيمَ لَيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى تَرَاهُ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودٌ
وَالْبَخِيلُ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ زُرْقُ الْعِيُونِ عَلَيْهَا أَوْجُهُ سُودٌ
إِذَا تَكْرَهْتَ أَنْ تُعْطِيَ الْقَلِيلَ وَلَمْ^(٢) تَقْدِرْ عَلَى سَعَةٍ لَمْ يَظْهَرْ الْجُودُ
أَوْ رِقٌّ بِخَيْرٍ تُرْجَى لِلنَّوَالِ فِسا تُرْجَى الثَّمَارُ إِذَا لَمْ يُورِقِ الْمُودُ
بُتُّ النَّوَالِ وَلَا تَمْنَعُكَ قَلَّتُهُ فَكُلُّ مَا سَدَّ قَفْرًا فَهُوَ مَحْمُودُ

قال بشار : لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس يُشَبِّه شَيْثِينَ بِشَيْثِينَ فِي بَيْتٍ

واحد حيث يقول :

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
أَعْمِلْ تَقْسَى فِي تَشْبِيهِ شَيْثِينَ بِشَيْثِينَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ حَتَّى قُلْتَ :
كَانَ مُتَّكَرَ النَّفْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

(١) فِي الْأَغَانِي : اسْتَمْتَحَ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : إِذَا تَكْرَهْتَ .

وقد أخذ هذا المعنى منصور النمرى فقال وأحسن :
 لَيْلٌ مِنَ النَّعَمِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَيْبُنْكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشَّرْعُ^(١)
 كان إسحاق الموصلي يطمئن على شعر بشار ويضع منه ويقول : كلامه مختلف
 لا يشبه بضمه بمضا ، فقليل له : أقول هذا لمن يقول :
 إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُمَاتِيهِ
 فَمَنْ وَاحِدًا أَوْ حِيلَ أَخَاكَ فَإِنَّ مُقَارِفَ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبَهُ
 إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَآيُ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
 قال علي بن يحيى : وهذا كلام ليس فوقه كلام من الشعر لا حشو فيه .

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى : إن شُبَيْلَ بْنَ هُرُوةَ^(٢) الضُّبَيْ أُنْشَدَهُ هَذِهِ
 الْأَيَّاتِ لِلْمُتَمَلِّسِ ، وَكَانَ عَالِمًا بِشَعْرِهِ ، لِأَنَّهُمَا جَمِيعًا مِنْ بَنِي ضُبَيْمَةَ ، فَقِيلَ لَهُ :
 أَوْ لَيْسَ قَدْ ذَكَرْتَ ذَلِكَ لِبِشَارٍ وَأَنْتَ تَنْسِبُهَا لِلْمُتَمَلِّسِ ؟ فَقَالَ بِشَارٌ : كَذَبَ وَاللَّهِ
 شُبَيْلٌ ، هَذَا شِعْرِي مَدَحَتْ بِهِ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَأَعْطَانِي عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ أَلْفًا . وَصَدَقَ بِشَارٌ ،
 فَإِنَّهُ مَدَحَ بِهَا ابْنَ هُبَيْرَةَ وَقَالَ فِيهَا :

وَكُنَّا إِذَا دَبَّ الْمَدُؤُ لَسُخْطُنَا وَرَاقِبْنَا فِي ظَاهِرٍ لَا رَاقِبُهُ
 رَكِينًا لَهُ جَهْرًا بِكُلِّ مَثَقِفٍ وَأَبْيَضَ تَسْتَسْقِي الدَّمَاءَ مَضَارِبُهُ
 ولا يمتز على بشار أنه سرق شعرا قط جاهليا ولا إسلاميا .

لما خلع محمد المأمون^(٣) ونذب له علي بن عيسى . ندب المأمون للقاء علي بن
 الزبير .

(١) المذروبة : المهددة . والشرع : المعروعة .

(٢) كذا ورد في أصول المختار ، وكذلك ورد في القاموس واستدرك شارحه فقال : بن عزرة
 « بفتح فسكون » .

(٣) في ت : المأمين وكذلك في بقية نسخ المختار .

هيسى طاهر بن الحسين ، وجلس ليمرضه هو وأصحابه ، فرّ ذو اليمينين ^(١) ممرضاً وهو يشد :

رويداً ^(٢) تصاهل بالمراق جيادنا كأنك بالضحك قد قام ناديه
فتفاد المأمون بذلك واستدناه فاستعاده البيت ، فأعاده عليه . فقال طاهر ^(٣) :
يا أمير المؤمنين هذا حَجَرُ المراق . قال : أجل ، فقد له ، وترك علياً ^(٤) فلما سار
ذو اليمينين إلى المراق سأل : هل بقي من ولد بشار أحد ؟ فقالوا له : لا ، فتوهمت أنه
همّ لهم بشيء .

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها ابن هبيرة فأعطاه عشرة آلاف درهم . وكان
ذلك أول عطية سنّية أُعطيت بشار بالشعر ، أولها :

يخاف المنايا أن ترحلت صاحبي كأنّ المنايا في المقام تناسبة
فقلت له إن المراق مقامه وخيم إذا هبت عليك جنائبه
لألقى بني عيلان إن فعالمهم تزيد على كل الفعّال مرائبه
أولاًك الأولى شقوا المي بسيفهم عن الجفن حتى أبصر الحقّ طالبيه ^(٥)
وجيش كجئح الليل يحرف بالخصي وبالشوك والخطى حمر تمالبه ^(٦)

(١) ذو اليمينين : هو طاهر بن الحسين .

(٢) في مادة «رود» في اللسان ١٧٣/٤ : إذا أردت «برويدا» الوعيد نصبتها بلاثتين . وأنشد
رويد تصاهل بالمراق جيادنا .

(٣) كذا في ١ و ٢ ، ك «فقال طاهر» والصواب : فقال ذو الرياستين «وهو الفضل بن سهل»
كما في الأغاني .

(٤) جملة « فقد لي وترك عليا » ليست في الأغاني ولا في ا وهي بهامش ك .

(٥) في الأغاني : عن العين حتى .

(٦) لمطب الرمح : ما دخل في جبة السنان منه .

غَدُونَا لَهُ وَالشَّمْسُ فِي خَدْرِ أُمِّهَا (١)
يَضْرِبُ يَذُوقُ الْمَوْتَ مِنْ ذَاقِ طَعْمِهِ
كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُءُوسِنَا
بِمَثْنَا لَهُمْ مَوْتَ الْفُجَاءَةِ لِأَنَّنا
فَرَّاحُوا ، فَرِيقٌ فِي الْإِسَارِ وَمِثْلُهُمْ
إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ خَدَّهُ
تَطَالَمُهَا وَالطَّلُّ لَمْ يَجْرِ ذَائِبُهُ
وَتُدْرِكُ مَنْ نَجَّى الْفِرَارُ مَثَابُهُ
وَأَسْيَافُنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ
بَنُو الْمَوْتِ خَفَاقٌ عَلَيْنَا سَبَائِبُهُ
ثَقِيلٌ وَمِثْلٌ لَازِدٌ بِالْبَحْرِ هَارِبُهُ
مَشِينًا إِلَيْهِ بِالسِّيُوفِ نُخَاطِبُهُ

غضب بشار على سلم الخاسر وكان من تلامذته ورواه فاستشفع إليه بجماعة من إخوانه فجاءوه في أمره . فقال : كل حاجة لكم مقضية إلا سلما . قالوا : ما جئنا إلا في سلم . ولا بد أن ترضى عنه . فقال : أين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو ذا . فقام إليه سلم فقبل رأسه . ومثل بين يديه وقال : يا أبا معاذ خير يبك وتلميذك (٢) . قال : يا سلم . من الذي يقول :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ
وَقَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَسَاتِكُ الْوَلَّيْجُ
قال : أنت جعلت فداك . قال : فمن الذي يقول :

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ مَعَمًّا
وَقَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ
قال : خير يبك . يعني نفسه . قال : أفتأخذ مما في التي قد عُثِيتُ بِهَا . وَتَعِيتُ
فِي اسْتِبْطَاطِهَا . وَسَبَقْتُ النَّاسَ إِلَيْهَا (٣) فَتَكْسُوها أَلْفَاظًا أَخْفَ مِنْ أَلْفَاظِي وَتَسْرِقُهُ (٤)
حَتَّى يُرَوِّى مَا تَقُولُ وَيَذْهَبُ شَعْرَى ؟ لَا أَرْضَى عَنْكَ أَبَدًا . فَمَا زَالَ يَقْتَضِعُ إِلَيْهِ وَيَشْفَعُ
لَهُ الْقَوْمُ حَتَّى رَضِيَ عَنْهُ .

(١) في نسخ المختار : غَدُونَا بِهِ .

(٢) في الأغاني : وَأَدِيكَ .

(٣) جملة : « وَسَبَقْتُ النَّاسَ إِلَيْهَا » ليست في الأغاني .

(٤) كلمة « وَتَسْرِقُهُ » ليست في الأغاني .

قال بشار : ما أخفني قطّ إلا امرأة ، قالت لي : أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس والحية ؟ قال بشار : فقلت لها : أما علمت أن يبيض البراق أتمن من سود الثر بان ؟ فقلت : أما قولك حسن في السمع . فمن لك أن يحسن شيبك في العين ؟ فأخفمتني .

سئل بشار : أي متاع الدنيا أئثرُ عندك ؟ قال : طعام مرّ وشراب مرّ . وبنت عشرين بكر .

قال صالح بن عطية : كانت النساء المتطرفات يدخلن إلى بشار في كل جمعة يومين يسمعن شعره . فسمع كلام امرأة منهن . فعلقها قلبه . وراسلها يسألها أن تواصله . فقالت لرسوله : قل له : وأى معنى لي فيك أولك في ؟ أنت أعمى لا تراه فتعرف مقداري وحُسني . وأنت قبيح الوجه لا حظّ لي فيك . فليت شعري لأى شيء تطلب وصال مثلي ؟ وجمعت تهرأ به في المخاطبة . فلما بلغت رسالتها قال : قل لها :

أرى له فضل على إرائهم^(١) فإذا أشطّ سجدن غير أوإي^(٢)
تلقاه بمد ثلاث عشرة قائما فعمل للوذن شك يوم سحاب
وكان هامة رأسه بطيخة حملت إلى ملك بدجلة جابي

قال مروان لبشار لما أنشده قوله :

وإذا قلت لها جودي لنا خرجت بالصمت عن لا ونم
يا أيا معاذ . هلا قلت : خربت بالصمت . قال : أنا إذا في عقلك . فض الله
فاك . ألا أنطير^(٣) على من أحب بالحرس ؟

(١) لم يجيء في اللسان جمع أير على إيران وإنما جاء على أبور وآبار وأير ويصح الوزن بقوله : على آيارهم . كما جاء في الأغاني .
(٢) شط الرجل وأشط : أنشط .
(٣) في الأغاني : أنطير ؟

وفد بشار على خالد بن برمك وهو على فارس فأنشده :

أَخْلَدُ لَمْ أَخِطْ عَلَيْكَ بِذِمَّةٍ سِوَى أَنِّي عَافٍ وَأَنْتَ جَوَادُ
أَخْلَدُ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْحَمْدِ حَاجَتِي فَأَيُّهُمَا تَأْتِي وَأَنْتَ عِمَادُ^(١)
رِكَابِي عَلَى حَرْفٍ وَقَلْبِي مَشِيعٌ^(٢) وَمَالِي بِأَرْضِ الْبَاخِلِينَ بِلَادُ
إِذَا أَنْكَرْتَنِي بِلَدَةٍ أَوْ نَكِرْتَهَا خَرَجْتَ مَعَ الْبَازِرِيِّ عَلَى سَوَادُ

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس ، فوضع واحدا عن يمينه ، وآخر عن شماله . وآخر بين يديه . وآخر من ورائه^(٣) . وقال : يا أبا معاذ ، هل استقلَّ المماد ؟ ففلس الأكياس وقال : استقلَّ أيها الأمير .

قال بشار : دخلت على المهيم بن معاوية وهو أمير البصرة ، فأنشدته :

إِنْ السَّلَامُ أَيُّهَا الْأَمِيرُ عَلَيْكَ وَالرَّحْمَةُ وَالسَّرُورُ

فسمعته يقول بالفارسية^(٤) لبعض أصحابه : هذا الأعمى لا يدعنا أو يأخذ من دراهمنا . فطمعت فيه . فما رحمت حتى انصرفت بجائزة .

وقف رجلٌ من بني زيد شريفٌ على بشار فقال له : يا بشار . قد أفسدت علينا ما أليتنا . تدعوم إلى الانتفاء منا ، وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء ، وأنت غير زاكي الفرج ، ولا معروف الأصل . فقال له بشار : والله لأصلي أكرم من الذهب . ولفرعى أذكى من عمل الأبرار وما في الأرض كلب يود أن نسيبك نسيبه ، ولو شئت أن أجعل جواب كلامك شعرا لفعلت ، ولكن موعذك اليربّد غدا . فرجع الرجل

(١) بعده في الأغاني بيت لم يرد في نسخ المختار .

(٢) الحرف : الناقة . ومشيع : شجاع .

(٣) في الأغاني : وآخر خلفه .

(٤) كلمة « بالفارسية » ليست في الأغاني .

إلى منزله وهو يتوهم أن بشارا يحضر معه الربد ليفاخره . نخرج من الند يريد الربد .
وإذا رجل ينشد :

شَهِدْتُ عَلَى الزَّيْدِيِّ أَنْ نَسَاءَهُ ضِيبَاغٌ إِلَى أَيْمَنِ الثَّقِيلِيِّ تَزْفِرُ
فسأل عن قال هذا البيت . فقيل له : هذا لبشار فيك ، فرجع من فوره إلى منزله
ولم يدخل المريد حتى مات .

أنشد رجل يوما ليونس هذه القصيدة :

بَلَوْتُ بَنِي زَيْدٍ فَا فِي كِبَارِهِمْ	خُلُومٌ وَلَا فِي الْأَمْعَرِينَ مَطَهَرٌ
فَبَلَغَ بَنِي زَيْدٍ وَقُلْ لَسَرَاتِهِمْ	وَأِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِمْ سَرَاةٌ تَوْقُرُ
لَأَمْسُكُمُ الْوَيْلَاتُ إِنْ قَصَائِدِي	سَوَاهِقٌ مِنْهَا مُنْجِدٌ وَمُغَوِّرٌ
أَجِدْهُمْ لَا يَتَّقُونَ دَرِيَّةً	وَلَا يُؤْتِرُونَ الْخَيْرَ وَالْخَيْرُ يُؤْتِرُ
يَكْفُونَ أَوْلَادَ الزُّنَا فِي عَدِيدِهِمْ	فَعِدَّتِهِمْ مِنْ عِدَّةِ النَّاسِ أَكْثَرُ
إِذَا مَا رَأَوْا مِنْ دَاوَاهُ مِثْلَ دَائِهِمْ	أَطَافُوا بِهِ وَالْمَيَّ لِلْفَيِّ أَصْوَرُ ^(١)
وَلَوْ فَارَقُوا مِنْ فِيهِمْ مِنْ دَعَاوَةٍ	لَا عَرَفْتَهُمْ أَمَّهُمْ حِينَ تَنْظُرُ
لَقَدْ فَخَرُوا بِالْمُلْحَنِينَ عَشِيَّةً	فَقُلْتُ انْفَرُوا إِنْ كَانَ لِلْقَوْمِ مَفْخَرُ ^(٢)
يُرِيدُونَ مَسْمَاعِي وَدُونَ لِقَائِهَا	فَنَادَيْلُ أَبْوَابِ السَّمَوَاتِ تَزْهَرُ
فَقُلْ فِي بَنِي زَيْدٍ كَمَا قَالَ مَعْشَرُ	قَوَارِيرُ حَجَّامٍ عَدَا تَتَكَسَّرُ

فقال ليونس للذي أنشده: حَسْبُكَ حَسْبُكَ إِنَّ اللَّهَ، مِنْ هَيْجِ هَذَا الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ ؟
قيل : فلان ، قال : رَبُّ سَقِيهِ قَوْمَ أَكْسَبَ قَوْمَهُ شَرًّا عَظِيمًا .

(١) ضباغ : من الضبعة : وهي اشتها الفحل .

(٢) أصور : أميل ، وفي الأغاني : من دأبه مثل دأبهم .

(٣) في الأغاني : في القوم مفخر .

قال بشار : دعاني عقبة بن سلم ودعا بحمد عجرد وأعشى باهلة ، فلما اجتمعنا عنده قال : خطر بيالى البارحة مَثَلٌ يَتمثلُه الناسُ « ذهب الجملُ يَطلبُ قرنينَ فماد بلا أذنين »^(١) فأخرجوه لي من الشعر ، من أخرجه فله خمسة آلاف درهم ، فإن لم تفعلوا جلدتكم كلَّكم خمسمائة سوط ، فقال حماد : أجلنا أيها الأمير شهرا ، وقال الأعشى : أجلنا أيها الأمير أسبوعين ، قال : وبشار ساكت لا يتكلم ، فقال له عقبة : مالك يا أعمى لا تتكلم ، أعمى الله قلبك . قال : قد حضرني أيها الأمير شيء ، فإن أمرت قلته . قال : قل ، فقال :

شَطَطٌ يَسْلَمِي عَاجِلُ الْبَيْنِ	وَجَاوَزْتُ أَرْدَ بَيْ الْقَيْنِ
وَرَتَّتِ النَّفْسُ لَهَا رَنَةً	كَادَتْ لَهَا تَنْشَقُّ نِصْفَيْنِ
يَا ابْنَتَهُ مَنْ لَا أَشْتَهِي ذِكْرَهُ	أَخْشَى عَلَيْهِ عُلُقَ الشَّيْنِ
وَاللَّهِ لَوْ أَلْقَاكَ لَا أَتْنِي	عَيْنَا لَقَبَلْتُكَ الْفَيْنِ
طَالِبْتُهَا دِينِي فَوَارَتْ بِهِ	وَعَلَقَتْ قَلْبِي مَعَ الدِّينِ
فَصِرْتُ كَالْعَبْرِ خَدَا طَالِبًا	قَرْنًا فَلَمْ يَرْجِعْ بِأَذْنَيْنِ

قال : فانصرف بشار بالجائزة .

كان لبشار أخوان يقال لأحدهما بشير وللآخر بشر ، وكانا قصاصين ، وكان بشار برأيهما على أنه ضيق الصدر مُتَبَرِّمٌ بالناس ، وكان يقول : اللهم إني قد تبرمت بنفسي وبالناس جميعا ، اللهم فارحمهم مني وارحمني منهم^(٢) ، وكان أخواه يستعيران ثيابا فيوسخباها وينتقان ريحما ، فاتخذ قيصا له جييان ، وحلف لا يميروها ثوبامن

(١) في الأغاني : « ذهب الحمار . . . فماد بلا أذنين » هذا ، والشعر الآتي يدل أنه « الحمار » وفي جميع الأمثال حرف الفال في آخر الباب الأمثال المولدة : ذهب الحمار يطلب قرنين فماد معلوم الأذنين .
(٢) في الأغاني : اللهم فارحمي منهم .

ثيابه ، فكانا يأخذانها من غير علمه ، فإذا دعا بثوبه ليلبسه أنكر رأبته ، فيقول إذا وجد رائحة كريهة من ثيابه : « أينما أتوجه ألقى سَعداً » فإذا أعياه الأمر خرج على الناس في تلك الثياب على تنّتها ووسخها ، فيقال له : ما هذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صلة الرحم . وقيل لبشار : إنك كثير الهجاء . فقال : إني وجدت الهجاء المؤلم آخِذُ بَصْنَعٍ ^(١) الشاعر من المديح الرائع ، ومن أراد من الشعراء أن يُكرِّم في دهره اللثام على المديح والثناء . فليستمدد للفقر وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيمطى .

وقال الشعر وهو صغير قبل موت أبيه . وكان إذا هجا قوما جاءوا إلى أبيه فشكوه ، فيضربه ضرباً مبرحاً . وكان له أمٌ تقول ^(٢) له : كم تضرب هذا الصبي الضعيف ؟ أما ترجمه ؟ فيقول أبوه : بلى والله إني لأرحمه ، ولكنه يترسّ للناس فيشكونه إلى . فسمعه بشار فطعم فيه فقال : يا أبت . إن هذا الذي يشكونه إليك هو قولي الشعر وإني إن أقت عليه أغنيك وسائر أهلي ، فإذا شكوني فقل لهم : أليس الله تعالى يقول : « كَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ » ^(٣) فلما أعادوا شكواه له قال لهم بُردٌ ما قال له بشار ، فأنصرفوا وهم يقولون : فقه بُردٌ أعيظ لنا من شعر بشار .

وكان برد يقول : ما رأيت مولوداً أعظم بركةً من بشار ، لقد وُلِدَ لى وما عندي درهم ، فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم .

قديم كُرْدِيٌّ بن هاجر السَّمْعِيُّ من مكة ، ولم يُهدِ لبشار شيئاً ، وكان صديقه ، فكتب إليه بشار :

ما أنت يا كُرْدِيٌّ بالهشِّ ولا أبريك من النشِّ
لم تُهدِ لى ثَلاً ولا خاتماً من أين أقبلت من الخشِّ

(١) الصنع : المضد .

(٢) في الأغاني : ضرباً شديداً فكانت أمه تمول .

(٣) سورة النور الآية ٦١ وسورة الفتح الآية ١٧ .

فأهدى إليه هدية حسنة وجاءه وقال : مَحِيَّتَ عَلِينَا يَا أَبَا مَعَاذَ ، وَنَاشِدُهُ أَلَا
يَزِيدُ شَيْئًا .

قال بعض الشعراء : أَتَيْتُ بِشَارًا الْأَعْمَى وَبَيْنَ يَدَيْهِ مِائَتَا دِينَارٍ ، فَقَالَ لِي : خُذْ
مِنْهَا مَا شِئْتَ ، أَوْ تَدْرِي مَا سَبَبُهَا ؟ قُلْتُ : لَا ، قَالَ : جَاءَنِي فَتًى فَقَالَ لِي : أَنْتَ بِشَارٌ ؟
قُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : إِنْ آلَيْتَ أَنْ أَدْفَعَ لَكَ مِائَتِي دِينَارٍ ، وَذَلِكَ أَنِّي عَشَقْتُ امْرَأَةً
وَجِئْتُ إِلَيْهَا وَكَلَّمْتُهَا فَلَمْ تَلْتَفِتْ إِلَيَّ وَأَغْلَطْتُ عَلَى^(١) ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْكُهَا ، فَذَكَرْتُ
قَوْلَكَ :

لَا يُؤَيِّسَنَّكَ مِنْ مُخْبَأَةٍ قَوْلٌ تُفَلِّظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مُيَاسِرَةٍ وَالصَّبَبُ يُكِنُّ بَعْدَ مَا جَمَعَ
فَمَدَّتْ إِلَيْهَا فَلَازِمَتَهَا ، وَلَمْ أُبْرَحْ^(٢) حَتَّى بَلَغَتْ مِنْهَا حَاجَتِي .

ولما أُنشِدَ المَهْدَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ نَهَى بِشَارًا عَنِ التَّشْبِيهِ بِالنِّسَاءِ .
ولما قَدِمَ بِشَارٌ عَلَى الْمَهْدِيِّ اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ الرِّبِيعُ : قَدْ أَدْنَى لَكَ وَأَمْرُكَ أَنْ
أَلَا تَنْشُدَ شَيْئًا مِنَ الْفَزْلِ ، فَادْخُلْ عَلَى ذَلِكَ ، فَدَخَلَ وَأَنْشَدَ :

يَا مَنْظَرًا حَسَنًا رَأَيْتُهُ مِنْ وَجْهِ جَارِيَةٍ قَدِيتُهُ
بَعَثْتُ إِلَى تَسْمِيٍّ قَزَلَ الشَّبَابُ وَقَدْ طَوَّبَتْهُ
إِنْ الْخُلَيْفَةُ قَدْ أَتَى وَإِذَا أَبِي شَيْئًا أَيْتُهُ
وَيُشَوِّقُنِي بَيْتُ الْحَبِيدِ بِ إِذَا غَدَوْتُ وَأَيْنَ بَيْتُهُ
حَالُ الْخُلَيْفَةِ دُونَهُ فَصَبَرْتُ عَنْهُ وَمَا قَلْبِي تَهُ
وَنَهَائِي الْمَلِكُ الْهُمَا مِ عَنْ النِّسَاءِ فَاَعَصَيْتُهُ

(١) جملة « وَأَغْلَطْتُ عَلَى » ليست في الأغاني .

(٢) جملة « وَلَمْ أُبْرَحْ » ليست في الأغاني .

كان الخليل بن أحمد يستحسن هذه الأبيات وينسدها ويمجّب بها .

كان الأخفش قد طمن على بشار في قوله :

على الفزَلَى منى السلامُ وربّما لهوَتْ بها في ظلٍّ مروّضة زُهرٍ^(١)

وفي قوله :

فالآن أقصر عن مُهَيَّة باطلٍ^(٢) وأشار بالوَحْلَى عَسَلَى مُشِيرُ

وفي قوله :

تسلايِبُ نِينَانَ البُحُورِ وربّما رأيت نفوس القوم من جرّيها تَجْرِي

وقال : لم يُسمع من الوَحْل ولا الفَزَل قَعْلَى ، ولم يُسمع في جمع نون نِينان . فبلغ ذلك بشارا فقال : ويلي على القَصَّار بن القَصَّار متى^(٣) كانت هذه الفصاحة في بيوت القَصَّارين ؟ دعوني وإياه . فجزع الأخفشُ لذلك وبكى ، فقيل له : ما يسكيك ؟ فقال : وما لي لا أبكي وقد وقعت في لسان الأعمى ؟ فذهب أصحابه إلى بشار وتحدثوا عنه^(٤) واستوهبوا منه عرضه وسألوه ألا يَهْجُوهُ . فقال : قد وهبته للوهم عِرْضه . فكان الأخفش بعد ذلك يحتج في كتبه بشعره لِيَبْلُغَهُ ، فكف عن ذكره ورؤى ذلك أيضا عن سيبويه ، فصار سيبويه إذا سُئِلَ عن شيء وأجاب فيه ووافق ذلك شاهد من شعر بشار^(٥) احتجّ به استكفافا لشره .

قال عبدُ الله بن المسور الباهلي يوما لأبي نَصِير^(٦) وقد تحاورا في شيء :

(١) في الأغاني : مروومة . أى محبوبة مألوفة . أما المروضة فلعلها من الروضة .

(٢) في الأغاني : عن سمية .

(٣) في الأغاني « ويلي على القصارين متى .. » هذاء والقصار من يحور الثياب ويدتها .

(٤) في الأغاني : فكذبوا عنه .

(٥) في الأغاني : ووجد له شاهداً من شعر بشار .

(٦) في الأغاني : « لأبي النضير » .

يا ابن الأَخْناء نكلمني ولو اشتريتُ عبداً بمائتي درهم وأعتقته لكان خيراً منك .
فقال أبو نصير : والله لو كنتُ ولدَ زِنًا لكنتُ خيراً من باهلة كُلِّها . فنضب الباهلُ
واختلط^(١) ، فقال له بشار : أنت منذ ساعة تُزَيُّ أمَّه ولا ينضب ، فلما كلك كلمة
واحدة لحقت هذا كُلُّه ، فقال له : وأثمه مثل أُمِّي يا أبا معاذ ؟ فضحك وقال : لا والله
لو أن أمَّك أُمُّ الكتاب ما كان بينكما من المصارفة^(٢) هذا كُلُّه .

قال محمد بن الحجاج : كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ، فجعل
يُفهمه له وهو لا يفهم ، فأخذ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل الذي سأل عنه
وهو يقول :

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لكمُ قد ضلَّ من كانت الميَّان تهديهِ
حتى صار به إلى منزل الرجل ثم قال له : هذا منزله يا أعمى .

مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئاً ، فقيل له : لم يستجِدْ شعرك ، فقال : والله لقد
قلت فيه شيئاً لو قيل في الدهر لم يُخشَ صرْفُه على أحد . ولكنَّا نَكْذِبُ في القول
فَنَكْذِبُ في الأمل .

جاء بشارُ رَوْحَ بنِ حاتم ، فبلغه ذلك فتهدَّده ، فبلغ ذلك بشاراً فقال :

يهدِّدُنِي أبو خَلَفٍ وعن أوتارِهِ نَما
بسيِّفٍ لأبي صَفٍّ رةً لا يَقْطَعُ إِيَّاهُما
كأنَّ الورسَ يَعْلُوهُ إذا ما صَدْرُهُ قاما^(٣)

فقال رَوْحٌ لما بلغه ذلك : كلُّ مالى صدقةٌ إن وقعت عيني عليه لأضربته ضربةً

(١) كلمة « واختلط » ليست في الأغاني .

(٢) صارف نفسه عن الشيء : صرفها عنه . وفي الأغاني : من المصارمة .

(٣) في الأغاني بعد الشعر قال : ومن الناس من يروى هذين البيتين لعمرو الظالمى .

بالسيف ولو أنه بين يدي الخليفة ، فقام بشار من فوره ودخل على المهدي ، فقال :
ما جاء بك هذا الوقت ؟ فأخبره بقصة رُوح ، وعادَ به منه ، فقال المهدي :
يا نصر^(١) ، وجَّهْ إلى رُوحٍ مَنْ يحضره الساعة ، فأرسل إليه في الهاجرة ، وكان
ينزل المَحْرَم^(٢) ، فظنَّ هو وأهله أنه دُعِيَ لولاية ، فلما دَخَلَ^(٣) قال : يا روح ،
بمشتُ إليك في حاجة ، فقال : أنا عبدك يا أمير المؤمنين ، فقلْ ما شئت سوى بشار
فإني حلفت بيمين ، فقال : قد علمت وإياه أردت ، فقال : فاحتلَّ ليبيي يا أمير المؤمنين ،
فأحضر القضاة والفقهاء ، فاتفقوا على أن يضربه ضربة على جسمه برُض السيف ،
وكان بشار وراء الخيش ، فأخرج وأقعد ، واستلَّ رُوح السيف ، وضربه على
ظهره برُضه ، فقال : أوَّه باسم الله ، فضحك المهديُّ وقال : ويحك ، هذا وإنما
ضربك برُضه ، فكيف لو ضربك بمحده .

قدم بشار بن برد على المهدي ، فدخل عليه في البستان ، فأنشده مديحا فيه
تشبيها حسن ، فنهاه عن التشبيب لِغَيْرَةٍ شديدة كانت فيه ، فأنشده مديحا له فيه :

كَأَنَّمَا جِئْتُهُ أَبْشَرُهُ وَلَمْ أَجِئْ رَاقِبًا وَمُحْتَلِبًا

يُرِيْنُ الْمَنْبِرَ الْأَشْمَّ بَعْطُ فَيَهْ وَأَقْوَالَهُ إِذَا خَطَبَا^(٤)

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بمل ، وجعل له وقادة في كل سنة ،
ونهاه عن التشبيب ، فقدم عليه في السنة الثانية فدخل عليه فأنشده :

(١) في الأغاني : يا نصير .

(٢) المحرم محلة كانت ينفد .

(٣) جملة « فلما دخل » ليست في الأغاني .

(٤) بدل في الأغاني بيت .

تَجَالَّتْ عَنْ فَيْرٍ وَعَنْ جَارِيٍّ فَيْرٍ^(١) .
 وقالتْ سُلَيْمَى فَيْكَ عَنَا جِلَادَةٌ
 أَخَى فِي الْهَوَى مَالِي أَرَاكَ جَفَوْنَا
 تَشَافَلْتُ إِلَّا عَنْ يَدٍ اسْتَعِيدَهَا
 وَأَخْرَجَنِي مِنْ وَزْرِ خَمْسِينَ حِجَّةً
 دَفَنْتُ الْهَوَى حَيًّا فَلَسْتُ بِزَائِرٍ
 وَمُصَفِّرَةٍ بِالْزَعْفَرَانِ جِلُودَهَا
 وَغَيْرِي تَقَالُ الرَّدْفُ هَبْتُ نَسْبِي
 تَرَكْتُ لِهَدْيِ الْأَنَامِ رُضَا بَهَا^(٢)
 وَلَوْلَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدٌ
 لَمَرَى لَقَدْ أَوْقَرْتُ نَفْسِي خَطِيئَةً
 فَأَجَازَهُ بِمَثَلِ مَا كَانَ يَجِيزُهُ^(٣) . قَبْلَ ذَلِكَ .

قال مروان بن أبي حفصة : قدمت على بشار فأُنشدته^(٤) قول :

* طَرَقَتْكَ زَائِرَةٌ فَحَيَّ خِيَالَهَا *

واستنصحته فيها فقال لي : ما أجودها ! تَقْدِمُ بِنَدَادٍ يُعْطُونَكَ عَلَيْهَا عَشْرَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ ،

(١) تَجَالَّتْ : تماطلت .

(٢) الفِر : طول العهد .

(٣) في الأغاني : الفرطحة الصفر .

(٤) في الأغاني : قرب تقال الردف هبت تلومني... ولو شهدت .

(٥) في الأغاني : وصالها .

(٦) الحتر : أسوأ الضرر .

(٧) في الأغاني : فأعطاه ما كان يعطيه .

(٨) في الأغاني : قدمت البصرة فأُنشدت .

فَجَزَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَقُلْتُ : قَتَلْتَنِي ، فَقَالَ : هُوَ مَا أَقُولُ لَكَ ، فَقَدِمْتُ بِسَدَادٍ
فَأَعْطَيْتُ عَشْرَةَ آلَافٍ دَرَاهِمَ . ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلِي :
أَنْتَى يَكُونُ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِكَائِنْ لِبْنَى الْبَنَاتِ وَرِاثَةُ الْأَعْمَامِ
فَقَالَ : تَمَطَّى عَلَيْهَا مِائَةُ أَلْفٍ دَرَاهِمَ . فَقَدِمْتُ فَأَعْطَيْتُ مِائَةَ أَلْفٍ دَرَاهِمَ . فَصُدْتُ إِلَى
الْبَصْرَةِ فَأَعْلَمْتُهُ بِحَالِي فِي الْمَرْثَيْنِ وَقُلْتُ : مَا رَأَيْتُ بِأَعْجَبَ مِنْ حَدْسِكَ . فَقَالَ :
يَا بَنِي ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ مِنْ عَمِّكَ .
قَالَ الْفَضْلُ بْنُ إِسْحَاقَ الْمَهَاشِمِيُّ : أَنْشَدَ بَشَارٌ قَوْلَهُ :

يُرْوَعُهُ السَّرَارُ إِذَا رَأَاهُ^(١) خَافَةً أَنْ يَكُونَ بِهِ السَّرَارُ

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : أَطْلُفَكَ أَخَذْتَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَشْعَبَ : مَا رَأَيْتُ اثْنَيْنِ يَتَسَارَانِ إِلَّا
طُمِعَتْ فِي أَحَدِهِمَا بِأَمْرَانِ^(٢) لِي بِشَيْءٍ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ كُنْتُ أَنَا أَخَذْتُ هَذَا مِنْ قَوْلِ
أَشْعَبَ فَإِنَّكَ أَنْتَ أَخَذْتَ قَوْلَ الرُّوحِ وَالْمَقْتُ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَافْتَرَدْتَ بِهِ دُونَهُمْ .
وَقَامَ وَتَرَكْنَا . أَخَذَ هَذَا الْمُنَى أَبُو نُوَاسٍ فَقَالَ :

تَرَكْتَنِي الْوُشَاءُ نُصَبَ الْمُسْرِيرِينَ وَأَحْدَوْتَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ^(٣)
مَا أَرَى خَالِيَيْنِ فِي السَّرِّ إِلَّا قُلْتُ مَا يَخْلَوَانِ إِلَّا لَشَانِي

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُجَّاجِ : قَالَ لِي بَشَارٌ : مَا كَانَ الْكَمِيتُ شَاعِرًا ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ
وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ :

أَنْصَفُ أَمْرِي مِنْ نِصْفِ حَيٍّ يَسْبُونِي

لِعَمْرِي لَقَدْ لَاقَيْتُ خُطْبَاءَ مِنْ الْخُطْبِ

(١) السَّرَارُ : المَسَارَةُ . وَفِي الْأَغَانِي : يُرْوَعُهُ السَّرَارُ بِكُلِّ أَرْضٍ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : فِي أَنْ يَأْمُرَانِ وَأَثْبَتَ مَا فِي الْأَغَانِي ..

(٣) فِي الْأَغَانِي : نَصَبَ الْمُسْرِينَ . وَفِي دِيْوَانِهِ طَبْعَةُ آصَافَ ٣٩٦ نَصَبَ الْمُسْرِينَ .

هنيئاً لكليب إن كلباً يسبني وأنى لم أردد جواباً على كليب
فقال بشار: أرى رجلاً لو شرط ثلاثين سنة لم يستمتع من ضراطه واحدة^(١).
قال أبو دعامة: أتى عطاء اللط بشاراً فقال له: يا أبا معاذ، أنشدك شعراً
حسناً؟ فقال: ما أسرتني بذلك، فأنشده قصيدة أولها:

اعاذلتي اليوم ويحك مَهلاً فاجزعا لآن أبكي ولا جهلاً
فلما فرغ منها قال بشار: أحسن^(٢) ثم أنشده في وزنها ورويها:

لقد كاد ما أخفي من الوجد والهوى يكون جوى بين الجوانح أو خبلاً
فلا تحسب اليميص الأوانيس أن في فوداي سوى سمدى لفانية فضلاً
فأقسم إن كان المسوى غير بالغ بي القتل من سمدى لقد جاوز القتل
فيا صاح خبرني الذي أنت صانع بقاتلتى ظلماً وما طلبت ذحلاً^(٣)
سوى أننى في الحب بيني وبينها شددت على أعكام سري لها قفلاً^(٤)
إذا قال مَهلاً ذو القراة زادنى ولوها بذكراها ووجد بها مَهلاً^(٥)

فاستحسن القصيدة وقلت: أجدت والله يا أبا معاذ وبالنسبة، فتنفصل بإعادتها،
فأعادها على خلاف ما أنشدنيها في المرة الأولى، فتوهمت أنه قالها في تلك الساعة.

قال أحمد بن خلاد: قال لي أبي: كدت أرد على بشار سوء مذهبه بجميله إلى
الإلحاد، وكان يقول: لا أعرف إلا ما عاينته أو غايت مثله، فكان الكلام يطول

(١) في الأغاني: لم يستحل من ضراطه واحدة.

(٢) يريد: أحسن الشاعر قائل هذا البيت. وكذلك جاء في جميع أصول الأغاني: «أحسن»
وغيرها المحققون إلى: أحسن.

(٣) الذحل: الثأر.

(٤) الأعكام: جمع السمك وهو المدل ما دام فيه اللعاب. وفي الأغاني: أعظام سر.

(٥) هذا البيت جاء في الأغاني ثانياً بيت في القصيدة.

بيننا ، فقال لي يوما : ما اظن الأمر إلا كما تقول يا أبا خالد^(١) وأن الذي نحن فيه خذلان ، ولذلك أقول :

طُيِّعْتُ عَلَى مَا فِي غَيْرِ مُخَيَّرٍ هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَبَا
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى وَلَمْ أُرَدْ وَقَصَّرَ عَلَيَّ أَنْ أَنَالَ الْغُيْبَا
وَأَصْرَفَ عَنِ قَصْدِي وَعَلَى مُبِيرٍ^(٢)

فَأَمْسَى وَمَا أَقْبَيْتُ إِلَّا الْعَجَبَا

كان بالبصرة فتى^(٣) من بني منقر أمه عَجَلِيَّة . وكان يبعث إلى بشار في كل أضحى بأضحية من الأضاحي التي تسمى بالبصرة سُنَّة ، وهي أكبر الأضاحي^(٤) وكانت تباع الأضحية بمشرة دنانير ، ويبعث معها بألف درهم ، فأمر وكيله في بعض السنين أن يُجْزِيه على رَسْمِهِ ، فاشترى له نَجْجَةً غَيْرَ سَمِينَةٍ . وسرق باقي الثمن ، وكانت نَجْجَةً عَبْدَلِيَّةَ مِنْ نَجَّاجِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارِمٍ ، وهو نَجَّاجُ مَرْدُودٍ ، فلما أُدْخِلَتْ عَلَى بشار قالت له جاريته رِبَابَةٌ : ليست هذه الشاة من النعم التي كان يبعث بها إليك . قال : أدْرِنيها مني ، فلمسها بيده ثم قال : اكعب يا غلام :

وَهَبْتَ لَنَا يَا فَتَى مَنَقَرٍ وَعَجَلٍ وَأَكْرَمَهُمْ أَوَّلَا
وَأَبْطَغَهُمْ رَاحَةً بِالْهَنْدَى وَأَرْقَمَهُمْ ذِرْوَةً فِي الثَّلَا
تَجْجُوزُ أَنْدَارُهَا عُمْرُهَا^(٥) وَأَسْكَنَهَا الدَّهْرُ دَارَ الْبَيْلَى
سَلُوحًا تَوَهَّمَتْ أَنْ الرُّعَاةَ سَقَوْهَا لِيُسَهِّلَهَا الْحَنْظَلَا

(١) في بعض نسخ الأغاني: يا أبا خالد .

(٢) في الأغاني : وعلى مقصر .

(٣) فت : رجل .

(٤) في الأغاني : سنة وأكثر للأضاحي .

(٥) في الأغاني : عجوزا قد اوردها عمرها .

وأضرطَ من أُمِّ مُبَيَّاهَا إِذَا اقْتَحَمَتْ بُكْرَةً حَرَمَلًا^(١)
 فلو تَأَكَّلَ الزُّبْدَ بِالْحَشَكَيْنِ وَتَنَدَمَجَ السِّسْكَ وَالْمَنْدَلَا^(٢)
 لَمَّا طَيَّبَ اللَّهُ أَرْوَاحَهَا وَلَا بَلٌّ مِنْ عَظَمِهَا الْأَفْصَلَا^(٣)
 وَضَعْتُ يَمِينِي عَلَى ظَهْرِهَا نَخَلْتُ حَرَّاقِفَهَا جَنْدَلَا^(٤)
 وَأَهْوَتْ شِمَالِي لِمَرْقُوبِهَا فَخَلْتُ عَرَّاقِبَهَا مِغْزَلَا
 وَقَلَّبْتُ أَلْيَتَهَا بِمَدِّهَا فَشَبَّهْتُ عُصْفُصَهَا مِنْجَلَا
 فَقُلْتُ أَيْعُ فَلَاشَرَبَا أُرْجَى لَدَيْهَا وَلَا مَأْكَلَا
 أَمْ أَشَوْرِي وَأَطْبِخُ مِنْ لَحْمِهَا وَأَطِيبُ مِنْ ذَاكِ مَضْغُ السَّلَى^(٥)
 إِذَا مَا مَرَرْتُ عَلَى مَجْلِسِ^(٦) مِنْ الْمُجَبِّ سَبَّحَ أَوْهَلَّلَا
 رَأَوَا أَنَّهُ خَلَفَهَا سَائِقُ^(٧) يَحْتُ وَإِنْ هَرَوَلْتُ هَرَوَلَا
 وَكُنْتُ أَمَرْتُ بِهَا ضَخْمَةً بَلَحْمٍ وَشَحْمٍ قَدْ اسْتَكْمَلَا
 وَلَكِنْ رَوْحًا عَدَا طَوْرَهُ وَمَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنْ يَفْعَلَا
 فَعَضَّ الَّذِي خَانَ فِي أَمْرِهَا مِنْ أَسْتِ أُمِّهِ بَطَرَهَا الْأَهْرَلَا
 وَلَوْلَا مَكَانُكَ قَلَدْنُهُ عِلَاطًا وَأَسْقِيْتَهُ الْخَرْدَلَا^(٨)

(١) الجرمل : نبات كالسسم يعني آكله .

(٢) الحشكتان : دقيق الخنطة إذاعين بشيرج وبسطوملى بالسكر والاوز أو الفستق وماء الورد
 « لعله القطايف » وفي الأغاني : الزبد بالترسيان .

(٣) الأقل : من فعل الشيء إذا يس .

(٤) الحراقف : رهوس الأوراك جمع الحرقفة .

(٥) السلى : الشبية وهي لفافة الولد من الجلد رقيقة تنزع عنه ساعة يولد .

(٦) في الأغاني : إذا ما أمرت .

(٧) في الأغاني : رأوا آية .

(٨) الملاط : جبل يجعل في عنق البعير، وسمة تكون في عرض عنقه . وفي ت ، ك : غلاظا .

ولولا استحقايتك خَصَّيْتُهَا وَعَلَّقْتُ فِي حَلَّتِهَا جُلُجَلًا^(١)
 فجاءتك حتى ترى جهدها^(٢) قطعم أنى بها مُتَبَلًى
 سألتك لَحْمًا لَصِيانًا فَقَدْ رَدَّتْ مِنْهُمْ عَمَلًا^(٣)
 نَخِذَهَا وَأَنْتَ بِنَا مُحْسِنٌ وَمَا زِلْتَ بِي مُحْسِنًا مُجْبِلًا

فلما وصلت الرقعة إليه دعا بوكيله وقال : ويلك ، تلم أننى أفتدى من بشار
 — بما أعطيه — عرضى^(٤) ، توقمنى فى لسانه ، اذهب فاشتر له أضحية ، وإن قدرت
 على أن تكون مثل الفيل فافعل ، وأبلغ بها ما بلفت وأبش بها إليه .

قال عمرو بن العلاء : رأيت بشارا يُزَيِّ^(٥) بُنَيَّةَ له وهو يقول :

يا بنتَ من لم يكُ يهوى بُنْتًا مَا كُنْتُ إِلَّا خَسَةً أَوْ سَتًا
 حتى حَلَلْتُ فى الحشا وحتى فَتَّتْ قَلْبِي مِنْ جَوَى فَاَنْتَا
 لَأَنْتِ خَيْرٌ مِنْ غَلَامٍ بَتًّا^(٦) يَصْبِحُ سَكَرَانًا وَيُمْسِي هَبْتًا^(٧)

دخل المهدي إلى بعض حُجَرِ الْحَرَمِ ، فنظر إلى جارية تتنسل ، فلما رآه
 خجلت^(٨) ووضعت يدها على فرجها ، فأنشأ يقول :

(١) فى الأغاني : وعلفت فى جيدها .

(٢) فى الأغاني : ترى حلما .

(٣) فى الأغاني : فقد زدتنى .

(٤) كلمة « عرضى » ليست فى الأغاني .

(٥) يُزَيِّ : يجعلها تزو : أى تلب « كما تترى شهلة صيا » وفى الأغاني : يرئى .

(٦) بت : قطع وأيضاً انقطع ويقال : الأحق المزهول هو بات ويقال : سكران بات : منقطع عن
 العمل بالسكر .

(٧) الهبت : الحق ويقال فيه : هبت أى غفلة وضربة حق . وفى نسخ المختار « هنتا »

ولم أجد فى اللغة مادة هنت : وفى الأغاني « وعمسى هنتا » وفى نسخة ك وضعت نقطة كبيرة تحت
 الباء كأنها مستدركة مع أنها فوقها نقطة صغيرة .

(٨) فى الأغاني : حصرت .

* نظرت عيني لِحَيِّينِ *

ثم أرتج عليه ، فقال : مَنْ بالباب من الشعراء ؟ فقالوا : بشار ، فأذن له ،
فدخل ، فقال : يا بشار أجز :

* نظرت عيني لِحَيِّينِ *

فقال :

نظرت عيني لِحَيِّينِ نظراً وافق شئني
سرت لَمَّا رَأَيْتُ دونه بالراحنين
فصلت منه فُضُولٌ تحت طيِّ المكننين

فقال له المهدي : فبحك الله ، ويك ، أ كنت ثالثاً ؟ إليه ^(١) ثم ماذا ؟ فقال :

فتمنيتُ وقلبي للهوى في زفرتين
أنني كُنتُ عليه ساعة أو ساعتين

فضحك المهدي وأمر له بجائزة ، فقال له : أقدمت يا أمير المؤمنين من مثل
هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ قال : فكم ، ويك ؟ قال : سنة أو سنتين ^(٢) . فقال :
أخرج فبحك الله . فخرج بالجائزة .

قال محمد بن الحجاج : جاءنا بشار يوماً وهو مُنتمٍ ، فقلنا له : مالك ؟ قال :
مات حماري فرايته في النوم فقلت له : مت ؟ ألم أكن أحسن إليك ؟ فقال :

سَيِّدِي خُذْ لِي أَتَانًا عند باب الأصهباني
يَمْتَنِي بِتَانٍ ^(٣) وبدل قد شجاني

(١) كلمة « إليه » ليست في الأغاني .

(٢) جملة : « قال فكم ويك قال سنة أو سنتين » ليست في الأغاني .

(٣) في الأغاني : بيتان .

تَبَيَّنَتْنِي يَوْمَ رُحْنَا يَفْنَايَاها الحِسانِ
وَبَفَنَجٍ وَدَلَالٍ سَلَّ جِسْمِي وَبَرَّانِي
وَلَهَا خَذَّ أُسَيْلٍ مِثْلَ خَدِ الشَّيْفَرَانِ
فَلِذَا مِتُّ وَلَوْ عِشْتُ إِذَا طَالَ هَوَانِي

فقلت له: ما الشيفران؟ فقال: ما يدري؟ هذا من غريب الحمار إذا لقيته فأسأله عنه. لعمري لقد صدق، هذا من غريب الحمار^(١).

قال السري بن الصباح: حضر^(٢) بشار مجلسا فقال: لا تُصَيِّرُوا مجلسنا هذا شعرا كله، ولا غناء كله، ولا حديثا كله، فإن العيش فُرْصٌ، ولكن غَنُّوا ومُحَدِّثُوا وتناشدوا، وتَمَلَّؤُوا نَتَاهِبَ العيش نَهْبا.

جلس إلى بشار أصدقاء له من الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن ينشدهم شيئا مما أحدثه، فأنشدهم^(٣) حتى انتهى إلى قوله:

فِي خُلَّتِي جِسْمٌ فَتَى نَاحِلٍ لَوْ هَبَّتِ الرِّيحُ بِهِ طَاحَا
فَقَالُوا لَهُ: يَا ابْنَ الزَّانِيَةِ، أَتَقُولُ مِثْلَ هَذَا وَأَنْتَ كَأَنَّكَ فِيلٌ، عَرْضُكَ أَكْثَرُ مِنْ طَوْلِكَ؟ فقال: قوموا عني يا بني الزَّوَانِي فإني مشغول القلب، لست أنشط اليوم لمشاغبتكم.

كان لبشار مجلس يجلس فيه بالسيح يقال له البردان، فدخل إليه نسوة في مجلسه هذا يسمعن من شعره، فمشق امرأة منهن، فقال لنلامه: عَرَّفْهَا عِبَتِي واتمها إلى منزلها عند انصرافها حتى تعرفه، ففعل النلام وأخبرها بما أمره، فلم تجبه.

(١) جملة « لعمري لقد صدق هذا من غريب الحمار » ليست في الأغاني.

(٢) في الأغاني: شهد.

(٣) في الأغاني: ذكر مطلع القصيدة وبمده حتى أتى على قوله.

إلى ما أحب ، فكان يتردد إليها حتى برّست منه ^(١) ، فشكته إلى زوجها فقال لها :
أجيبه وعدي به أن يجيئك إلى ها هنا ، ففعلت وجاء بشار مع امرأة وجهت بها إليه ،
فدخل وزوجها قاعد ^(٢) ، وهو لا يعلم ، فجعل يحادثها ساعة ، ثم قال لها : ما اسمك ؟
بأبي أنت ^(٣) ، فقالت : أأمة ، فقال :

أأمةٌ قد وُصِفَ لنا بِحُسْنٍ وَإِنَّا لَا نَرَاكَ فَالْمِسِينَا
فَأَخَذَتْ يَدَهُ فَوَضَعَتْهَا عَلَى أَيْرِ زَوْجِهَا وَقَدْ أَنْعَظَ فَفَزِعَ وَوَثَبَ قَائِمًا وَقَالَ :
عَلَى أَلِيَّةٍ مَا دُمْتُ حَيًّا أَمْسُكَ طَائِعًا إِلَّا بِعُودِ
وَلَا أَهْدَى لِأَرْضٍ أَنْتَ فِيهَا ^(٤) سَلَامَ اللَّهِ إِلَّا مِنْ بَعِيدِ
طَلَبْتُ غَنِيمَةً فَوَضَعْتُ كَفِّي عَلَى أَيْرِ أَشَدٍّ مِنَ الْحَدِيدِ
فَخَيْرُ مِنْكَ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ وَخَيْرُ مَنْ زَارَتْكُمْ قُمُودِي

فقبض زوجها عليه وقال : همت بأن أفضحك . فقال : قد كفاني فديتك .
ما فعلت بي ، ولست والله عائدًا إليها أبدا ، فحسبك ما مضى ، فتركه .
هذه الحكاية بعينها ذكرها أبو الفرج أيضا عن أبي العباس الأعمى وهو السائب
ابن فروخ .

وقال أبو نواس : كان لبشار خمسة ندماء ، فمات منهم أربعة ، وبقي منهم واحد
يقال له البراء ، فركب في زورق في دجلة يريد المعبور ، ففرق . ونهاه المهدى من ذكر
النساء والعشق ، فكان بشار يقول : لا خير في الدنيا بعد الأصدقاء والنساء ، ثم رثى
أصدقاءه فقال :

(١) كذا في أصول المختار والعروف « برمت به » كما في الأغاني أيضا .

(٢) في الأغاني : جالس .

(٣) في ت « بأبي أنت وأمي » ولا توجد كلمة « وأمي » في ا ولا ك ولا في الاغانى .

(٤) في الأغاني : لغوم أنت منهم .

يا ابن موسى ما ذا يقول الإمام
بِتْ فِي حُبِّهَا أَوْقَرَّ بِالْكَأْ
وَيَحْصَا كَاعِبٌ تَدُلُّ بِجَهْمِ
لم يكن بينها وبينى إلا
رُبُّ كَأْسٍ كَالسَّلْسِيلِ تَمَلَّ
حُبِستَ للشرارة في يَتِ رَأْسِ
يا ابن موسى اسقني ودع عنك سَلْمِ
نَفَحَتْ نَفْحَةً فَهَزَّتْ نَدْبِي
وكان الملول منها إذا را
وفى يشرب الدِّمَامَ بالما
أَقْدَتْ كَأْسُهُ الدَّنَانِيرَ حَتَّى
تَرَكَتْهُ الصَّهْبَاءُ يَرْنُو بِمِثْنِ
حَنٍّ إِمْنِ شَرِبَةٍ (١) فَنَلُّ بِأُخْرَى
كان لى صاحبٌ فأودى به الله
بَقِيَ النَّاسُ بِمَدِّ هُلكَ ندما

في قنطرة في القلب منها أولم
س. ويهفو على فؤادى الهيام
كَغَثْبِي كَأَنَّهُ حَمَامٌ (٢)
كُتِبَ الماشقين والأحلام
تُ بها واليمون عني نِيَامٌ (٣)
عاقبا عانسا عليها الخِطَامُ (٤)
إِنَّ سَلْمِي حَمِي وَفِي احْتِشَامُ
بَنَسِيمٍ وانشق عنه الزُّكَامُ
حَ شَجَّ في لسانه بِلَسَامٌ (٥)
ل ويغنى يوم ما لا يُرَامُ
ذهب المَينُ واستمرَّ السَّوَامُ (٦)
نام إنسانها وليست تَنَامُ
وبكى حين سارَقَتَهُ الدَّمَامُ (٧)
رُ وفارَقَتَهُ عليه السَّلامُ
ى وقوما لم يشعروا ما الكلام

-
- (١) الكشب : الفرج الضخم . والجهم : القليظ .
(٢) البيت السابع هنا جاء خامسا في الأغاني .
(٣) بيت رأس : اسم لثريتين ينسب إليهما الحجر . وفي الأغاني : عنت عانسا .
(٤) البسام والبرسام : علة يهذى فيها . وفي الأغاني « برسام » ويسمى بيت .
(٥) المين : الذهب . واستمر : من معانيها : ذهب .
(٦) في نسخة ك : « حن » وهامشه أورد روايتين « حى » : « وجن » والأخيرة كالأغاني .
(٧) في الأغاني : سار فيه الدمام .

كَجَزُورِ الْإِسْثَارِ لَا كَيْدٍ فِيهَا لِبَاغٍ وَلَا عَلَيْهَا سَنَامٌ^(١)
 يَا ابْنَ مُوسَى فَقَدْ الْحَبِيبَ عَلَى الْمَوْتِ
 كَيْفَ يَصْبُو إِلَى النِّعَمِ وَحِيدٌ^(٢)
 نَفْسُهُمْ عَلَى أُمَّ النِّسَايَا
 لَا يَخِضُ انْسِجَامُ عَيْنِي عَلَيْهِمْ
 إِنَّمَا غَايَةُ الْحَزَنِ انْسِجَامُ
 وَمِنْ شَعْرِهِ مَا حَرَمَهُ الْمَهْدَى وَلَمْ يَلْبِثْهُ عَلَى امْتِدَادِهِ شَيْئًا :

خَلِيلِي إِنْ الشَّرَّ سَوْفَ يُفِيقُ وَإِنْ يَسَارًا فِي غَدٍ خَلِيلِي
 وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالزَّمَانِ إِذَا صَحَا صَحَوْتُ وَإِنْ مَاتَ الزَّمَانُ أُمُوتُ^(٣)
 لَقَدْ كُنْتُ لَا أَرْضَى بِأَذْنِي مِيشَتِي وَلَا يَشْتَكِي بِي خَلَا عَلَى رَفِيقُ
 خَلِيلِي إِنْ الْمَالُ لَيْسَ بِنَافِعِي إِذَا لَمْ يَنْتَلِ مِنْهُ أَحَدٌ وَصَدِيقُ
 وَكُنْتُ إِذَا ضَاغَتْ عَلَى مَحَلَّةٍ نَيْمَتِ أُخْرَى مَا عَلَى تَضْيِيقُ
 وَمَا خَابَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مَاقِلٌ^(٤) لَهُ فِي التَّقَى أَوْ فِي الْحَامِدِ سَوْقُ
 وَلَا ضَاقَ فَضْلُ اللَّهِ عَنْ مُتَمَقِّفٍ وَلَكِنْ أَخْلَقَ الرِّجَالَ تَضْيِيقُ

ثم تتابع نهى المهدي له عن التشبيب وقال له : ويلك يا عاض كذا وكذا من
 أمه : أتحرض^(٥) الناس على الفجور وتقذف المحصنات ؟ والله لئن قلت بيثا واحدا
 في نسب لآتين على نفسك^(٦) . ومدحه ولم يحط منه بشيء فجهجاه فقال :

(١) جزور الأيسار : الناقة التي تحرر للعقارة عليها .

(٢) في الأغاني : كيف يصفو لي النعم وحيدا .

(٣) ماق : حق وماق أيضا : كسد . من قولهم : ماق البيع : رخص وكسد .

(٤) في الأغاني : عامل .

(٥) في الأغاني : أتحض .

(٦) في الأغاني : روحك .

خليفةَ يَزْنِي بِمَمَّاتِهِ يَلْعَبُ بِالْذُبُوقِ وَالصَّوْلُجَانِ^(١)
أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حجر الخيثران
وانشدها في حلقة يونس النحوى ، فسُئِلَ به إلى يعقوب بن داود ، وكان بشار
قد هجاه فقال :

بَنِي أُمَيَّةَ هُبُوا طَال نَوْمُكُمْ
إِنْ الْخَلِيفَةَ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ
ضَاعَتْ خِلَافَتُكُمْ يَا قَوْمَ فَالْتَمِسُوا
خَلِيفَةَ اللَّهِ بَيْنَ النَّأْيِ وَالْوُدِ^(٢)
فدخل يعقوب على المهدي فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا الأعمى للمعد الزنديق
بشارا قد هجأك ، قال : بأي شيء ؟ قال : بما لا ينطق به لسانى ولا يتوهمه فكركى ،
فقال : بحياتى أنشدنى إياه ، فقال : والله لو خيّرتنى بين إنشاده وبين ضرب عنق
لاخترت ضرب عنق ، فحلف عليه المهدي بالإيمان التى لا فُسْحَةَ له فيها أن يخبره ،
فقال : أما لفظا فلا ، ولكنى أكتب ذلك ، فكتبه ودفنه إليه ، فكاد المهدي
ينشق غيظا ، وعمل على الانحدار إلى البصرة للنظر فى أمرها ، وما وَكَّده^(٣) غيره ،
فأنحدر ، فلما بلغ البَطِيحَةَ^(٤) سمع أذانا فى وقت الضحى ، فقال : انظروا ما هذا
الأذان ، فإذا بشار سكران ، فأحضره وقال : يا زنديق يا عاضٍ بظُر أمه ، عجبت
أن يكون هذا غيرك ، أتلهو بالأذان فى غير وقت صلاة وأنت سكران ؟ ثم دعا باین
نُهَيْك فأمره بضربه بالسوط ، فضربه بين يديه على صدر الحُرَّاقَةِ^(٥) سبعين سوطا
أتلفه فيها ، فكان إذا أصابه السوط يقول حَسٌّ - وهى كلمة تقولها العرب للشيء

(١) الذبوق: لعبة يلعب بها الصبيان .

(٢) فى الأغانى : بين الزنى والود .

(٣) وكده : قصده .

(٤) البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة .

(٥) الحرقاة: نوع من السفن .

إذا أوجع - فقال له بعضهم : انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول : حس ولا يقول : بامم الله ، فقال : ويلك ! أطعام هو فأسمي عليه ؟ فقال آخر : فهلا قلت : الحمد لله ؟ فقال : أو نعمة هي فأحمد الله عليها ؟ فلما ضربه سبعين سوطا بان الموت فيه ، فألقى في سفينة حتى مات ، ثم رُمي به في البطحية ، فجاء بعض أهله فحمله إلى البصرة فدفن فيها .

وقيل : إن يعقوب بن داود خاف أن يقدم على المهدي فيمدحه فيمغوه عنه ، فوجه إليه من استقبله فضر به بالسياط حتى قتله ثم القاه في البطحية في الحرارة^(١) .
وقيل : إن بشارا مدح يعقوب فلم يحفل به ولم يطله شيئا ، ومرت يعقوب ببشار فصاح به :

* طال الثواء على رسوم المنزل *

فقال يعقوب :

* فإذا أردت أبا معاذ فارحل *

فغضب بشار وهجاه بالبيتين :

* بني أمية هبوا طال نومكم *

فلما طالت أيام بشار على باب يعقوب دخل عليه فتغل عن يمينه وشماله وصفق يديه على عادته عند الإنشاد وأنشد هذه الأبيات :

يعقوب قد ورد الغاة عشيّة متمرّضين لسيفك الثقاب^(٢)

فسقيتهم وحسبتني كمؤنة نبئت لأرابعها بسير شراب

(١) الحرارة : موضع بالبطيحة .

(٢) الثقاب : التي يأتي مرة بعد أخرى .

مهلاً فديتك إنني ربحانة فاشتم بأفك واسقيها بذناب^(١)
تُعطي الغزيرة درّها فلذا أبت كانت ملامتها على الحلاب

يقول ليعقوب : أنت من المهدي بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يُوسل إلى درّها فليس ذلك من قبيلها ، إنما هو من قبل الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس المنع من قبله لسمّة معروفه ، إنما هو من قبل الحالب^(٢) ، قال : فلم يمْطِف ذلك يعقوب عليه وحرمه ، فانصرف إلى البصرة مُتَغَضِّباً ، فلما قدم المهديّ البصرة أعطى عطايا كثيرة ووصل الشعراء على يدَي يعقوب ، فلم يُعطِ بشراً شيئاً من ذلك ، فجاء بشار إلى حلقة يونس النحويّ فقال : هل ها هنا أحدٌ يُحْتَشِمُ منه ؟ فقالوا : لا ، فأنشد هجاء المهديّ وجرى ما جرى .

وقيل : إنه لما ضُرب بالسياط في السفينة قال : ليت عَيْنِي أبي الشَّعْمَقِ رَأَيْتِي حيث يقول :

إنّ بشارَ بن بُرد تيسّ أعمى في سفينة

وقيل : إن المهديّ أمر عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشاراً ، فأتى في البصرة شريف إلا بعث إليه بالفرش والكسوة والهدايا .

ومات بالبطيحة . وكان قد ناهز تسعين سنة أو نيفاً وتسعين سنة^(٣) وكانت وفاته في سنة ثمانٍ وستين ومائة .

(١) في الأغاني : مهلاً لديك فإني ربحانة . هذا ، والذئاب جمع ذنوب وهي الدلو الملامى .

(٢) في الأغاني : إنما هو من قبل السبب إليه .

(٣) في الأغاني « وقد ناهز ستين سنة » ولم يذكر الجملة « أو نيفاً وتسعين سنة » . وفي نسخة أخرى من الأغاني « وقد بلغ نيفاً وسبعين سنة » هذا ، وفي نسخة من الأغاني كما في المختار معجمه التنقيص ص ١٣٧ طبع بولاق .

كان محمد بن عون يُتهم بذهب بشار قال : لما مات بشار أُلقيتُ جُثته في البطحاء في الخُرارة ، فحمله الماء فأخرجه إلى دجلة البصرة ، فأخذ فأتى به منزله ، فدفنه أهله ^(١) ، وأخرجت جنازته فلم يقبعه أحد سوى أمة سوداء له سندية بحماء ، رأيتها خلف جنازة تصيح : واشيداه واشيداه ^(٢) . مات فصيح . قال : وكان مما يندبني :

سَرَى حَوْلَ سِرِّي حُسْرًا يَلِطُنْ لَطْمًا
يا قَتِيلًا قَتَلْتَهُ عَبْدُهُ الْخَوْرَاهُ ظُمَامًا

وكان يمشق جارية اسمها عبدة .

ولما مات ونبي لأهل البصرة تباشر عامتهم وهنأ بعضهم بمضا ، وحيدوا الله عز وجل ونصدقوا ، لما كانوا يُلَوُّوا به من بشار ^(٣) .

وقال أبو هشام الباهلي في قتل بشار :

يا بُوُسَ مَيِّتٍ لَمْ يَبْكِهِ أَحَدٌ أَجَلٌ وَلَمْ يَفْتَقِدْهُ مُفْتَقِدٌ
لا أُمٌّ أَوْلَادِهِ بَكَتْهُ وَلَمْ يَبْكِ عَلَيْهِ لِفُرْقَةٍ وَلَدٌ
ولا ابنُ أُخْتٍ بَكَى ولا ابنُ أُخٍ ولا حَمِيمٌ رَقَّتْ لَهُ كَيْدٌ
بل زعموا أن قَتَلَهُ فَرَحًا ^(٤) لَمَّا أَتَاهُمْ نَمِيْهُ سَجَدُوا

وقال أيضاً في ذلك :

قد تَبِعَ الْأَعْمَى قَفَا عَجْرَدٍ فَأَصْبَحَا جَارَيْنِ فِي دَارٍ
قَالَتْ بِقَاعِ الْأَرْضِ لَا مَرْحَبًا بِرُوحِ حَمَادٍ وَبَشَارٍ
تَجَاوَرَا بِمَدَنٍ فَتَنَّا بَيْنَهُمَا مَا أَبْنَصَ الْجَارَ إِلَى الْجَارِ
صارا جميعاً في بَدَى مَالِكٍ فِي النَّارِ وَالْكَافِرُ فِي النَّارِ

(١) في الأغاني : فأخذته فأتى به أهله فدفنوه .

(٢) نقلها بالثين لجمتها ويؤيده قوله : ما تفصح .

(٣) في الأغاني : لما كانوا منوا به من لسانه .

(٤) في الأغاني : أن أهله فرحوا .

قال القاسم بن مَهْرُويه^(١) : لما ضَرَبَ المهدي بشاراً بمَث إلى منزله من يفتشه ،
 وكان يُتَّهَمُ بالزندقة ، فوجدوا في منزله طُومَارًا^(٢) فيه : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، إني
 أردت أن أجهو آلَ سليمان بن عليٍّ لِيُخْلَهم ، فذكرت قُرَابَتَهُم من رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فأمسكت عنهم إجلالاً له صلى الله عليه وسلم ، على أنني كنت قات فيهم :
 دينارُ آلِ سليمان ودرهمهم^(٣) كَالْيَا يَلِيَّيْنِ حُفَاً بِالْفَارِيتِ
 لَا بُبْصَرَانِ وَلَا يُرْجَى لِقَاؤُهَا كَمَا سَمِعْتَ بِهَا رَوْتَ وَمَارَوْتَ
 فلما قرأها المهدي بكى وندم على قتله وقال : لَا جَزَى اللَّهُ يُعْقِبَ خَيْراً ، فإنه لما
 جهاه لَفَقَ عندي شهوداً على أنه زنديق فقتلته ، وندمت حين لَا يُغْنِي النَّدَمُ^(٤) .

(١) في الأغاني : محمد بن القاسم بن مَهْرُويه .

(٢) الطومار : الصحيفة .

(٣) من تحريف ث : دينار آل بني سلمى وكذبتهم .

(٤) في ث : لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ .

بصيص^(١)

جارية من مولدات المدينة ، حلوة الوجه ، حسنة الفناء ، وكان يحيى بن نَفيْس^(٢) مولاه . صاحب قِيان ينشأه الأشراف ، ويسمعون غناء جواريه ، وكان المهدي اشتراها وهو ولي عهد بسبعة عشر ألف دينار ، فولدت منه عُكَيْة بنت المهدي ، وقيل : إن أم عُكَيْة كانت مكنونة جارية الروانية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، وهي زوجة الحسن بن عبد الله بن العباس ، أحسن جارية بالمدينة وجها ، وكانت رسحاء^(٣) ، فكان بعض من يمازحها يعبت بها ويصيح : طشت طشت . وكانت حسنة الصدر والبطن ، فاشترت للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغلبت عليه حتى كانت أنخيرزان تقول : ما ملك أمة أغلظ عليّ منها ، واستتر أمرها على المنصور حتى مات وهي أم عليّة بنت المهدي .

ونَفيْس مولاه صاحب قصر نَفيْس الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة :
 شافني زائراً قَصْرَ نَفيْسٍ مُثْقَلَاتِ الْأَعْجَازِ قُبَّ الْبُطُونِ
 يَتَرَبَّمُهُ الرِّبِيْعَ وَيَنْزِلُ نِ إِذَا صِفْنِ مَنْزِلَ الْمَاجِشُونِ
 يَتَرَبَّمُهُ يَنْزِلُهُ أَيَّامَ الرِّبِيْعِ .

والماجشون رجل من أهل المدينة روى عنه الحديث ، والماجشون لقب لقبته به سُكَيْنَةُ بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو اسم لون من الصبغ

(١) الأغاني : دار الكتب ١٥ / ٢٧ ودار الثقافة ١٥ / ٢٤ وبولاق ١٣ / ١١٤ والسلي ١٣ / ١١٠ .

(٢) ضبط ق. نهاية الأرب ج ٥ ص ٧٠ بفتح فكسر وكذلك في معجم البلدان « نَفيْس » وفي مخطوط للأغاني ضبط بصيغة التصغير .

(٣) الرسحاء : القليلة لحم الحيز وراود أنها كثيرة العرق .

أصفر تخالطه حمرة ، وكذلك كان لونه . ويقال : إنها ما لقت أحدا قط بلقب إلا لصق به ، لقت هذا الما جشون ففر به ونظرت إلى رجل من ولد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكانت فيه غلظة فقالت : هذا الرجل فى قريش كالشيرج فى الأدهان . فكان ذلك الرجل يسمى فلان شيرج حتى مات .

وكان عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يأتيا ، فيسمع منها ، ويأتيا فتيان قريش يسمون منها ، فلما قدم المنصور مكة للحج وانصرف ومرا على المدينة قال عبد الله بن مصعب :

أراحـل أنت أبا جعفر	من قبل أن تسمع من بصبأ
هيات أن تسمع منها إذا	جاوزت العيس بك الأعوصا ^(١)
فخذ عليها مجلسي لذة	ومجلساً من قبل أن تشخصا
أحلف بالله عينا ومن	يحلف بالله فقد أخلصا
لو أنها تدعو إلى بيعه	بايمتها ثم شقت العسا

فبلغ الشعر أبا جعفر ، فغضب ودعا به ثم قال : أما إنكم يا آل الزبير قديما ما قادتكم النساء ، وشققتم معهن المصاحي صرت أنت آخر الحق تباع^(٢) الفتيات ، فدو نكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم . ثم بلغ المنصور أن عبد الله بن مصعب اصطبغ مع بصبص وهى تغنيه بشعره :

إذا تمززت صراحية	كمثل ريح المسك أو أطيب ^(٣)
ثم تفنى لي بأهزاجه	زيد أخو الأنصار أو أشعب

(١) الأعوس : موضع ذكره ياقوت .

(٢) فى (١) تابع .

(٣) نزر الصراب وتمززه : تعصه وشربه قليلا وتذوقه شيئا بدشئ والصراحية بدون تشديد الياء الحمر الخالصة ، وتشديد الياء آنية للخمر .

حَسَبْتُ أَنِّي مَلِكٌ جَالِسٌ حَفَّتْ بِهِ الْأَمْلَاقُ وَالْمَرْكَبُ
فَإِذَا أَبَالِي وَإِلَهُ الْوَرَى أَشْرَقَ الْعَالَمُ أَمْ غَرَبُوا

فقال أبو جعفر : لكن العالم لا يسألون كيف أصبحت ولا كيف أمسيت . ثم قال أبو جعفر : لكن الذي يجبني أن يحدو بي الحادي الليلة بشعر طريف العنبري ، فهو الله في سمي من غناء بصيص وأحرى أن يختاره أولو العقل ، ثم دعا فلاناً الحادي ، وكان إذا حدا وضعت الإبل رءوسها ، واقادت اقتياداً عجيباً ، فسأله ما بلغ من حسن حدائه ؟ فقال : تمطش الإبل خمساً ، وتُدنّي من الماء ، ثم أحدو فتنبع كلها صوتي ولا تقرب الماء فحفظه الشعر وكان :

إِنِّي وَإِنْ كَانَ ابْنُ عَمِّي كَاشِحاً لِرُأْجَمٍ مِنْ دُونِهِ وَوَرَانِهِ^(١)
وَمُمِدُّهُ نَصْرِي وَإِنْ كَانَ امِراً مُتَحَرِّجاً فِي أَرْضِهِ وَمَعَانِهِ
وَأَكُونُ مَأْوَى سِرِّهِ وَأَصُونُهُ حَتَّى يَحِقَّ عَلَيَّ يَوْمُ آدَانِهِ
وَإِذَا أَنِّي مِنْ غَيْبِهِ بِطَرِيقَةٍ لَمْ أَطْلُعْ مَا ذَا وَرَاءِ خِيَانِهِ
وَإِذَا تَحَقَّقَتِ الْحَوَادِثُ مَالَهُ قُرَيْتُ صَحِيحَتُنَا إِلَى جَرَانِهِ
وَإِذَا تَرَكَيْشَ فِي غِنَاءٍ وَفَرَّتُهُ وَإِذَا تَصَعَّلَكَ كُنْتُ فِي قُرْنَانِهِ
وَإِذَا غَدَا يَوْمًا لِيَرْكَبَ مَرْكَبًا صَعْبًا قَعَدْتُ لَهُ عَلَى سَيْسَانِهِ^(٢)

فلما كان الليل حدا به الحادي بهذه الأبيات ، فقال : هذا والله أحدث على الرودة وأشبه بأهل الأدب من غناء بصيص ، فحدا به ليلة أجمع ، فلما أصبح قال : يا ربيع أعطه درهما . فقال : يا أمير المؤمنين والله لقد حدثت بهشام بن عبد الملك ، فأمرني بمشرين ألف درهم ، تأمر أنت لي بدرهم واحد؟ فقال : إنا لله ، ذكرت ما لم يجب ذكره ،

(١) مزاجم : مناضل : وفي نسخ المختار : لمزاجم .

(٢) السيساء : الظهور .

وصفت أن رجلاً^(١) ظالماً أخذ مالا من حِلِّه ، وأنفقه في غير حقه ، ياربيع ، اشدُّ يدبك به حتى يردَّ المال . قال : فبكى الحادى وقال : يا أمير المؤمنين ، قد مضت على هذا السنون وقُضيت به الديون ، وتزقت النفايات ، ولا واللهى أكرمك بالخلافة ما بقى عندى منه شىء . فلم يزل أهله وخاصته يسألونه حتى كفَّ عنه ، وشرط عليه أن يحدو به ذاهبا وراجعا ولا يأخذ منه شيئا .

اجتمع ذات يوم عند بصيص جارية ابن تقيس عبدُ الله بن مصعب الزبيرى ومحمد ابن عيسى الجعفرى فى أشرافٍ من أهل المدينة ، فعدا كروا مزبدا الدينى^(٢) صاحب النوادر وبخله . فقالت بصيص : أنا آخذ لكم منه درهما ، فقال لها مولاهما أنت حرة ، لأن فعلت لأشترين لك خنقة^(٣) بمائة دينار ، وإن لم أعمل لك ثوب وشى بما شئت . وأجعل لك مجلسا بالمعيق أنحر لك فيه بدنة^(٤) ، لم تنقب^(٥) . ولم تُركب . فقالت له : وارفع الثيرة إذا جئت به ؟ فقال : أنت حرة لورفع رجلىك لأعينته على ذلك . قال عبد الله بن مصعب ، فصليت النداء فى مسجد المدينة ، فإذا أنا بمزيد . فقلت : أبا إسحاق ، أمانحب أن ترى بمصيص ؟ فقال : امرأته طالق إن لم يكن الله ساخطا عليه فيها ، وإن لم يكن لى منذ سنة أسأله أن يرينها فافعل . فقلت له : اليوم إذا صليت صلاة المصر فوافنى هنا . قال : امرأته طالق إن برحت هنا حتى يؤذن المصر . قال : فتصرفت فى حوائجى حتى كانت المصر ، فدخلت المسجد ، فأجده فيه ، فأخذت بيده فأتيتهم به ، فأكلوا وشربوا ، فساكر القوم وتناؤموا ، وأقبلت بصيص على مزبدا

(١) فى الأغاني : وصفت رجلا .

(٢) اختلف فى ضبط مزبد فقيل : إنه بالباء المفتوحة المشددة وإنه بالباء المكسورة الشددة وروى أيضا بكون الزاى وكسر الباء انظر تاج العروس مادة زيد وفورات الوفيات ترجمة .

(٣) الخنقة : القلادة .

(٤) قُب البعير : حتى وركت أخفافه .

فقلت : يا أبا إسحاق ، كأني في نفسك تشتهي أن أغنيك الساعة :

لقد حثوا الجمال ليهـ رُبوا منّا فلم يثلوا^(١)

فقال : زوجته طالق إن لم تكوني تملين ما في اللوح المحفوظ . قال : ففنته ، ثم مكنت ساعة وقالت : يا أبا إسحاق ، كأني في نفسك تشتهي أن تقوم من مجلسك فتجلس إلى جني فتقرصني قرصات وأغنيك :

قلت وأبشّتها وجدى فيحتُ به قد كنتَ عندي تُحبُّ السُرْفاستترِ
ألسْتُ تُبصر من حولي فقلت لها غَطَّى هَواكِ وما ألقى على بَصري

فقال : امرأته طالق إن لم تكوني تملين ما في الأرحام . ففنته ، ثم قالت :
برح الخفاء^(٢) ، أنا أعلم أنك تشتهي تقبلي شقَّ الثين وأغنيك هزجا :

أنا أبصرت بالثل^(٣) غلاماً حسن الدلّ

كفمنّ البانٍ قد أم يح مَسَقِيّاً من الطلّ^(٤)

فقال لها: أنت نبيّة مُرسلة ، ثم قبلها وغنّته ، ثم قالت : يا أبا إسحاق : أرايت
أسقط من هؤلاء يدهونك ويخرجونني إليك ولا يشترون ريحانا بدرهم يا أبا إسحاق
هلمّ درهما نشتري به ريحانا ، فوثب وصاح وأحرّباه ، أي زانية أخطأت استك
الحفرة^(٥) واقطع والله عنك الوحي الذي كان يُوحى إليك . وعطمط^(٦) القوم بها ،

(١) لم يثلوا : لم ينجوا .

(٢) برح الخفاء : وضع الأمر وزالت خفيته .

(٣) في الأغاني : أنا أبصرت بالليل . وفي (ت) إذا أبصرت .

(٤) في ١ : « ديانا من الطل » وكذلك بهامش ك .

(٥) يضرب مثلاً لمن رام شيئاً فلم ينله أو يضرب للرجل يتوخى الصواب فيجىء بالخطأ .

(٦) يقال للحكاية أصوات الحجان عططة وهم يطعمون إذا قالوا: عيط عيط . وذلك إذا غلب

وعلوا أن حيلتها لم تنفذ عليه . ثم خرج فلم يعد إليها . وعاود القوم مجلسهم ، وكان أكثر شغلهم فيه حديث مزيد والضحك منه .

كان محمد بن عيسى قد هوى بصيص جارية ابن تقيس ، وهام بها ، وطال ذلك عليه ، فقال لصديق له : لقد شغلتنى هذه من صنعتي وأمرى وقد وجدت مسَّ السُّلُوِّ عنها ، فاذهب بنا إليها حتى أكشفها ذلك وأستريح فأتياها فلما غنت لها قال لها محمد ابن عيسى : اتننين :

وكنت أجكم فسأوتُ عنكم عليكم من دياركمُ السلامُ
فقلت : لا ولكني أغنى :

تَحْمَلُ أَهْلُهَا عَنْهَا فَبَانُوا على آثار من ذهب العَفَاءِ
قال : فاستحيي وزاد بها شغفا ولها عشقا ، فأطرق ساعة ثم قال لها : اتننين :
وأخضع بالْمُتَّبِي إِذَا كُنْتَ مُذْنِبَا وإن أذنبْتُ كُنْتَ الَّذِي أُنْتَصَلُ
فقلت : وأغنى أحسن منه :

فإن تُقْبَلُوا بِالْوَدِّ تُقْبَلُ بِمَثَلِهِ وتُنزَلُكمُ مِنَّا بِأَقْرَبِ مَنَازِلِ
فتقاطعا في بيتين ، وتواصلا في بيتين ، ولم يشمر بهما أحد .

مُبدِيح^(١) المَلِيح^(٢)

هو مولى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، روى الحديث عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه . فما روى عنه قال : لما قدم يحيى بن الحسك المدينة دخل عليه عبد الله ابن جعفر في جماعة ، فقال له يحيى : جئتني بأوباش من أوباش خبيثة . فقال له عبد الله : سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طَيِّبَةً وتسميها أنت خبيثة ؟

دخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان وهو يتأوه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، لو أدخلت عليك من يؤنسك بأحاديث العرب وفنون الأسمار ، قال : لست بصاحب هزل ، والجلد مع عِلَّتِي أَحْجَى بِي ، قال : وما عِلَّتُكَ يا أمير المؤمنين ؟ قال : هاج بِي عِرْقُ النِّسَاءِ لِيَلْتِي هَذِهِ ، فبلغ مني ، قال : فإن مولاي بُدِيحٌ أَرَقَى الْخَلْقَ مِنْهُ ، فوجه عبد الملك إليه فلما مضى الرسول أَسْقَطَ في يدي وقلت : كذبة . قبيحة عند خليفة ، فما كان بأسرع من أن طلع بديح فقال له : كيف رقيتكَ للنِّسَاءِ ؟ قال : أَرَقَى الْخَلْقَ يا أمير المؤمنين ، فَسُرِّيَ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ ، لَأَنْ بَدِيحًا كَانَ صَاحِبَ فَكَاةٍ يَمْرِفُ بِهَا ، فَدَرَجَلُهُ فَتَمَلُّ عَلَيْهَا وَرَفَاها مرارا . فقال عبد الملك : الله أكبر وجدت خَفًا يا فلان ادعُ فلانة حتى تكتب هذه الرُّقِيَّةَ ، فَإِنَّا لَا نَأْمَنُ هَيْجَانَهُ بِاللَّيْلِ فَلَا نَدْعُو^(٣) بَدِيحًا فَلَمَّا جَاءَتِ الْجَارِيَةُ قَالَ بُدِيحٌ : يا أمير المؤمنين امرأته طالق إن كَتَبْتُهَا حَتَّى يَجْعَلَ لِي جِبَانِي . فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، فَلَمَّا سَارَتْ فِي يَدَيْهِ قَالَ : امرأته طالق إن كَتَبْتُهَا أَوْ يَصِيرَ الْمَالُ إِلَى مَنْزَلِي ، فَأَمَرَ بِهِ مُخْمَلٌ إِلَى مَنْزَلِهِ ،

(١) في (ت) : بَنَعَ وَكَذَلِكَ فِي جَمِيعِ النُّصُصِ أَمَا ١ ، ٢ ، ٣ ، الْأَغَانِي فَهُوَ كَمَا أُثْبِتَ .

(٢) الْأَغَانِي : دَارُ الْكُتُبِ ١٥ / ١٧٤ دَارُ التَّقَانُفَةِ ١٥ / ١٣٤ بُولاق ١٤ / ٩ السَّاسِي ١٤ / ٩

(٣) فِي الْأَغَانِي : فَلَا نَدْعُرُ .

فلما أحرزه قال : امرأته طالق إن كنت قرأت على رجلك إلا أبيات نصيب :

ألا إن ليلى المأمريّة أصبحت هل النأي منى ذنب غيرى تنقسم^(١)
وما ذاك من شيء أكون اجترمته إليها فتجزبني به حيث أعلم
ولكنّ إنساناً إذا ملّ صاحباً وحاول صرماً لم يزل يتجرّم
وما زال بي ما يُحدث النأي والذي أعالج حتى كدت بالعيش أبرم
وما زال بي الكتمان حتى كأنني برجع جواب السائل عنك أعجم
لأسلم من قول الوشاة وتسلى سلّمت وهل حيّ من الناس يسلم
وما زلت أستصفي لك الودّ ابنتي مُحاسنة حتى كأنّي محجّم
فلا نصريهني حين مالى مرجع ورأى ولا لي عنكم مُتقدّم

قال : ويحك ، ما تقول ؟ قال : امرأته طالق إن كان رقى إلّا بما قال من الشعر .
قال : فاكتمها عليّ . قال : وكيف ذلك وقد سارت بها البرد إلى أخيك بعصر !
ففضحك عبد الملك حتى فحّص برجله .

وقيل : كان ابن جعفر أحب أن يُسمع عبد الملك غناءً يديح فدخل عليه يوماً ،
فشكا عبد الملك ركبته . فقال ابن جعفر : يا أمير المؤمنين ، إن لي مولى كانت أمه
بربرية^(٢) ، وكانت ترقى من هذه الملة ، وقد أخذ عنها . قال : فادع به ، فدُعِيَ
يديح فجعل يتلّى على ركبته ويهمهم . ثم قال : يا أمير المؤمنين قم جلي الله فداك ،
قال : فقام عبد الملك لا يجد شيئاً . فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، مولاك لا بدّ له
من صلة ، قال : حتى يكتب الرقبة ، ثم أمر جارية له فكتبت : بسم الله الرحمن الرحيم .

(١) ق ت : غير ذنب تقسم . وو ك : « غير ذنب تقم » وبهامشه تصحيح الرواية وأثبت
ما في الأغاني ونسخة (١) .
(٢) ق ت : تريه .

فقال : ليس فيها بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : كيف يكون - ويطك - رقية ليس فيها
بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فهو ذلك . قال : فاكتبها على ما فيها ، فأملئ عليها :
ديار سليمي بين عَيْقَةَ والمُهْدَى ^(١) سُقَيْتِ وإن لم تَنْطَقِي سَبَلَ الرَّعْدِ
فقال له ابن جعفر : لو سمعته منه ؛ قال : أويحيده ، قال : نعم ، قال : هات . فأتى
بحر والله حتى أفرغها في مسامعه .

(١) عَيْقَةَ ذكرها ياقوت وقال فيها أيضا : عَيْقَةَ . وأما المهدى فلم يذكرها .

بذل^(١)

جارية صفراء مولدة من مولدات المدينة ، وريت بالبصرة ، حلو الوجه ظريفة ،
وهي إحدى المحسنات المتقدمات الموصوفات بكثرة الروايات ، لها كتاب أغاني يشتمل
على اثني عشر ألف صوت ، ويقال : إنها كانت تغني ثلاثين ألف صوت ،
وكانت أحسن الناس غناء في دهرها ، أستاذة كل عحسن ومحسنة ، ابتاعها جعفر بن
موسى الهادي فوصف لـ محمد الأمين حسنُها وغناؤها فبعث إلى جعفر يسأله أن يُزيره
إياها ، فأبى ، فزاره محمد إلى منزله ، فسمع شيئا لم يسمع مثله قط ، فقال لجعفر :
يا أخى بمنى هذه الجارية ، فقال له : ياسيدى مثلى لا يبيع جارية . قال : فبها لى .
قال : هي مُدَبَّرَةٌ^(٢) . فاحتال عليه محمد حتى أسكره ، وأمر ببذل فُحِلت معه في
الحُرَّاقَةِ ، وانصرف بها ، فلما اتبه سأل عنها . فأخبر بخبرها ، فسكت ، وبث إليه
محمد من الند ، فجاء وبذل جالسة ، فلم يقل شيئا ، فلما أراد جعفر أن ينصرف قال
محمد الأمين : أوقروا حرَّاقَةَ ابن عمى درام ، فأوقرت ، فكان مبلغ ذلك عشرين ألف
ألف درهم . وبقيت في دار محمد إلى أن قتل . وخرجت . وكان أولاد جعفر وأولاد
محمد يدعون ولادها ، ولما ماتت ورثها أولاد عبد الله بن محمد بن زبيدة . وكان محمد
قد وهب لها جوهرًا عظيمًا لم يملك أحد مثله فسلم لها . وكانت تُخرج منه الشيء بمد
الشيء فتبيعه بالمال العظيم ، فكان ذلك معتمدها مع ما يصل إليها من الخلفاء إلى أن
ماتت وعندها منه بقية عظيمة ، فرغب إليها جماعة من وجوه القواد والكتاب
والهائمين في التزويج ، فأبته وأقامت على حلها حتى ماتت .

(١) الأغاني : دار الثقافة ١٧/٣٢ . يولاي ١٤٤/١٥ الساسى ١٣٨/١٥ .

(٢) المدبر من الرقيق الذى يقول له سيده : أنت حر بعد دبر مقى : أى بعد وفانى .

قال أبو حشيشة : كنت عند بذل في أيام المأمون ، وهي في طارمة^(١) لها تمتشط ، فخرجت إلى الباب فرأيت الموكب ، فظننت أن الخليفة يمرُّ على ذلك الموضع ، فرجعت إليها فقلت : يا سيدتي الخليفة يمرُّ على بابك . فقالت : انظر أي شيء هذا ، فدخل يوابها فقال : عليُّ بنُ هشام بالباب ، فقالت : وما أصنع به ؟ فقامت إليها جاريتها وشيك^(٢) ، وكانت ترسلها إلى الخليفة وإلى غيره في حوائجها ، فأكبت على رجلها وقالت : الله الله ياسيدي ، أتحتجبن عليَّ بن هشام ؟ فدمعت بمندبل فطرحت على رأسها ، وسلم فلم تقم إليه^(٣) . فقال : إني جئتكم بأمر الخليفة وذلك أنه سأني عنك فقلت له : لم أرها منذ أيام فقال : هي عليك غصبي فبحياتي عليك لا تدخل منزلك حتى تدخل إليها فتسترضيها . فقالت : إن كنت جئت بأمر الخليفة فأنا أقوم ، فقامت وقبلت رأسه ويده وقدم الساعة وانصرف . فساعة خرج قالت : ياوشيك . هاتي دواة وقرطاسا فجعلت تكتب فيه يوما وليلتها ، حتى كتبت ردوس اثني عشر ألف صوت ثم كتبت إليه : يا علي بن هشام ، تقول قد استغفنت عن بذل بأربعة آلاف صوت أخذتها منها ، وقد كتبت هذا وأنا ضجرة . فكيف لو فرغت لك قلبي كله ؛ وختمت الكتاب وقالت : امضي به إليه ، فما كان بأسرع من أن جاء رسوله — خادما أسود يقال له : غارق — بالجواب يقول فيه : يا سيدتي والله ما قلتُ الذي بلمنك ، ولقد كُذِبَ على عبدك^(٤) ، إنما قلت : لا ينبغي أن يكون في الدنيا غناء أكثر من أربعة آلاف صوت ، وقد يشتري إلى بديوان لا أودّي شكرك عليه أبدا . وبعث إليها بمشرة آلاف درهم وتُخوت فيها قاش وطيب .

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

(٢) في الأغاني : وشيك وفي ت : وشك وفي نهاية الأرب ج ٥ ص ٨٦ : وشيك .

(٣) في ١ : « فطرحت على رأسها ولم تقم إليه » وكذلك في الأغاني .

(٤) في الأغاني ونهاية الأرب ج ٥ ص ٨٧ : ولقد كذب على عندك .

وكان على بن هشام يهواها ويكتم ذلك ، وكان إبراهيم بن المهدي يعظمها ثم تغير بعد ذلك استغناء بنفسه عنها^(١) ، فصارت إليه فددت يعود فغنت في طريقة واحدة وانتطاع واحد وأصبع واحدة مائة صوت لم يعرف إبراهيم منها صوتا واحدا ، ووضعت المود وانصرفت ، ولم تدخل داره بعد ذلك حتى طال طلبه لها وتضرعه إليها في رجوعها إليه .

غنت بذل بحضرة المأمون صوتا ، فخالها إسحاق بن إبراهيم الموصلي في نسبته ، فأسكت عنه ساعة ثم غنت ثلاثة أصوات في الثقل الثاني وسألت إسحاق عن صانها فلم يعرفه ، فقالت للمأمون : هي والله لأبيه أخذتها من فيه ، فإذا كان لا يعرف غناء أبيه فكيف يعرف غناء غيره ؟ فاشتد ذلك على إسحاق حتى ظهر عليه^(٢) .

كان المأمون يوما قاعدا يشرب ويبيده قدح فغنت بذل :

* ألا لا أرى شيئا ألدَّ من السَّحْقِ *

فوضع المأمون القدح من يده والتفت إليها وقال : بلى يا بذل ، النيك ألدَّ من السَّحْقِ قشور^(٣) وخافت غضبه^(٤) ثم أخذ قدحه وقال: أتى صوتك وزيدى فيه :

ألا لا أرى شيئا ألدَّ من الوعدِ ومن أملى فيه وإن كان لا يُجِدِ
ومن غفلَ الواشى إذا ما أُتِيَتْها ومن زورَ أيمانها خالياً وحْدِ
ومن صَجَّ في الملتقى ثم سَكَنَ وكلتاها عندي الدُّن من الخلدِ

(١) في ١ : « استغناء عن نفسه عنها » وكذلك في الأغاني .

(٢) في الأغاني ونهاية الأرب : حتى رأى ذلك فيه .

(٣) قشور : خجلت .

(٤) في ٢ : وخافت غيظه .

بكر بن النطاح الحنفى^(١)

كنيته أبو وائل ، وقيل : إنه عجلئ من بني سعد بن عجل ، واحتج من جملة عجلها بقوله :

فإن يك جدّ القوم فهر بن مالك جَدِّيَ عَجَلٌ قَرَمُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
وأنكر ذلك من زعم^(٢) أنه حنفى ، وقالوا ، بل قال :
فإن يك جدّ القوم فهر بن مالك جَدِّيَ لُجَيْمٌ قَرَمُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ
وعجل بن لُجَيْمٍ وَحَنِيْفَةُ بن لُجَيْمٍ أخوان .

وكان بكرٌ مُملوكاً يُصِيبُ الطريق ، ثم أقصر عن ذلك ، فجمله أبو ذُلفَ من الجند ، وجعل له رزقا سُلْطَانِيَا ، وكان شجاعا بطالا فارسا شاعرا حسن الشعر والتصرف فيه ، كثير الوصف لنفسه بالشجاعة والإقدام ، وكان بكر قد قال قصيدته التى يقول فيها :

هَنِيئًا لِأَخَوَانِي بِنِغْدَادِ عَيْدِهِمْ وَعِيْدِي بِخُلُوَانٍ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ
وأنشدها أبا ذلف ، فقال له : إنك لتكثر وصف نفسك بالشجاعة ، وما رأيت لذلك عندك أثرًا قط . فقال : أيها الأمير ، وأى أثر أو غناء يكون عند الرجل الحاسر الأخرى ؟ فقال : أعطوه فرسا وسيفا ودرعا ورُمحًا ، فأعطوه ذلك أجمع ، فأخذه وركب الفرس وخرج على وجهه ، فلقى مالا لأبى ذلف يُحْتَمِلُ من ضياعه فأخذه ، وخرج جماعة من غلمانهم فأنعموه ، ففرحهم جميعا فأنهمزوا ، وسار بالمال ، فلم ينزل

(١) الأغاني : دار الثقافة ٣٦/١٩ وانظر ص ٣٥ بولاق ١٥٣/١٧ . الساسى ١٥٣/١٧ .

(٢) فى ت : من جعل .

إلا على عشرين فرسخا ، فلما اتصل خبره بأبي دلف قال : نحن جئنا على أنفسنا وكنا أغنياء من إهاجة أبي وائل . ثم كتب إليه بالأمان وسوَّغه المال ، وكتب إليه : صر إلينا فلا ذنب لك ، نحن كنا سبب فملكك بتحريضنا لك وتَحْرِيكنا إليك . فرجع ، ولم يزل عنده يتحدث حتى مات .

قال يزيد بن مزيد : سرت إلى الرشيد في وقت يرتاب فيه البريء ، فلما مثلت بين يديه قال : يا يزيد ، من الذي يقول :

ومن يفتقر منا يمشي بحُسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

فقلت : لا والذي شرفك وأكرمك بالخلافة ما أعرفه ، قال : فمن الذي يقول : فإن بك جدّ القوم فهر بن مالك فجَدُّ لُجيم قرم بكر بن وائل

فقلت : لا أعرفه والذي شرفك وأكرمك بالخلافة ، فقال : والذي شرفي وأكرمي إنك لتعرفه ، أنظن يا يزيد أني إذا أوطأتك بساطي وشرفك بصنيعي أني أحتملك على هذا ومثله ؟ أو تظن أني لا أراعي أمورك ؟ أو تحسب أنه يخفى على شيء منها ؟ والله إن عيوني عليك في خلواتك ومشاهدك ، هذا جلف من أجلاف بريئة عدا طوره وألحق قريشا بريئة ، فأنتي به ، فأنصرفت ، وسألت عن قائل هذا الشعر ف قيل لي : هو بكر بن النطاح ، وكان أحد أصحابي ، فدعوته وأعلمته ما كان من الرشيد ، وأمرت له بألفي درهم ، وأسقطت اسمه من الديوان ، وأمرته ألا يظهر ما دام الرشيد حيا ، فإظهار حتى مات الرشيد . فلما مات ألحقت اسمه وزدت في عطائه .

كان بكر قد هوى جارية لبعض الحنفيين يقال لها : رامشة . فلما قال فيها :
أكذب طرفي عنك والطرف صادق وأسمع أذني عنك ما ليس تسمع
ولم أسكن الأرض التي تسكنينها لكيلا يقولوا سابر ليس يزع

فلا كبدي تبلى ولا لك رحة^(١) ولا عنك لي صبر ولا فيك مطعم
لقيت أمورا فيك لم ألق مثلها^(٢) وأعظم منها فيك ما أتوقّع
فلا تسأليني في هوائك زيادة فابسرهم يُجزي وادناه يُقنع
قال أبو الحسين الراوية : قال لي المأمون : أنشدني أشجع بيت وأعفه وأكرمه
من شعر المحذّين ، فأنشدته :

ومن يفتقر منا يمش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل
وإننا لنلهو بالسيوف كما لَهت عروسٌ بعقدٍ أو سخابٍ قرنفل^(٣)
فقال : ويحك ، من يقول هذا ؟ فقلت : بكر بن النطاح ، فقال : أحسن والله ،
ولكنه كذب في قوله ، ما باله يسأل أبا دلف ويمتدحه ويفتجه ؟ هلا أكل خبز
بسيقه كما قال ؟

كان أبو دلف قد لحق أكرادا قطعوا في عمله ، وقد أردف فارس منهم رفيقا له
خلفه ، فطمعما فأنفذهما ، فتحدث الناس أنه أنشد بطمنة^(٤) واحدة فارسين ،
فلما قدم من وجهه أنشده بكر بن النطاح من أبيات :

لا تعجبوا لو أن طول قناته ميل إذا نظم الفوارس ميلا
فأصر له أبو دلف بشرة آلاف درهم ، فقال بكر فيه :
له واحدة لو أن مِشار جودها على البرّ كان البرّ أندى من البحر
ولو أن خلق الله في جسم فارس وبارزه كان الخليل من الممّر
أبا دلف بوركت في كل بلدة كما بوركت في شهرها ليلة القدر

(١) في ١ : فلا كبدي تهدي .

(٢) في ١ : لم يلق مثلها .

(٣) السخاب : قلادة تتخذ من قرقل .

(٤) في الأغاني : نظم بطمنة .

كان مَعْقِل بن عيسى صديقاً لبكر بن النطاح ، وكان بكر فاتكاً لا يزالُ يُجَدِّثُ
حادثة في عَمَل أبي دافع ويحكي جنائيه ، فيهمُّ أبو دافع به فيقوم معقل دونه حتى
يتخلصه ، فمات معقل ، فقال بكر يرثيه :

وَحَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ مَنْ قَالَ إِنَّهُ رَأَتْ عَيْنُهُ فِيمَا تَرَى عَيْنُ نَائِمٍ
كَأَنَّ النَّدَى يَبْكِي عَلَى قَبْرِ مَعْقِلٍ وَلَمْ يَرَهُ يَبْكِي عَلَى قَبْرِ حَاتِمٍ
وَلَا قَبْرِ كَمْبٍ إِذْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ وَلَا قَبْرِ حَلْفِ الْجُودِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ
فَأَيَقُنْتُ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ مَعْقِلًا عَلَى كُلِّ مَذْكُورٍ بِفَضْلِ الْكَائِمِ
وكان بكر بن النطاح بخيلاً ، فدعا إليه عباد بن المُرَزَّق يوما ، فقدم إليه خُبْزاً
يابساً ، قليلاً ، بلا أديم ، ورفعه من بين يديه قبل أن يشبع ، فقال عباد يهجوهُ :
مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي أَبَا وَائِلٍ بَكَرَ بْنَ نَطَّاحٍ بِفَلَسْتَيْنِ
كُلًّا مِثْلَ الْآكَلِ مِنْ خُبْزِهِ يَأْكُلُهُ مِنْ شَحْمَةِ الْعَيْنِ
وكان عباد هذا هجاءً ملموباً وهو القائل :

أَنَا الْمُرَزَّقُ أَعْرَاضُ اللَّثَامِ (١) كَانَ الْمُرَزَّقُ أَعْرَاضُ اللَّثَامِ أَبِي

كانت الشراة قد هاثوا بالجبل عتيثاً شديداً ، وقتلوا الرجال والنساء والصبيان ،
نفجروا إليهم مالك بن علي الخزاعي وقد وردوا خُلُواناً ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، فهزموهم
عنها ، وما زال يقيمهم حتى بلغ بهم قرية يقال لها: حُدَّان ، فقاتلهم حتى حجز بينهم
الليل ، وأصاب مالكا ضربة على رأسه ، فأبنتته (٢) وعلم أنه ميت ، فأمر برده إلى

(١) في اللسان مادة مرزق : أن ابن المرزق يلقب بالخرق وأنشد البيت : أنا الخرق أعراض ..
وفي المؤلف والمختلف ١٨٦ أنه يلقب بالخرق وأنشد البيت : أنا الخرق أعراض .. ههنا واللسان نقل
عن الأمدى .

(٢) أبنتته جرحته جراحة لا يقوم معها .

خُلوان، فما بلغها حتى مات . فدفن على باب خُلوان ، وُبُنيت على قبره قُبَّةٌ على قارعة الطريق . وكان معه بكر بن النطاح يومئذ فأبلى بلاءً حسناً . ورناءً بمدة قصائد منها قوله :

أَيُّ امْرِئٍ خَضِبَ الْخَوَارِجَ ثَوْبَهُ بِدَمٍ عَشِيَّةٍ رَاحَ مِنْ خُلُوَانِ
يَا خُفْرَةَ ضَمَّتْ مُحَاسِنَ مَالِكٍ مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
لُفِيَ عَلَى الْبَطَلِ الْمَرْضَى خَدُّهُ وَجَبِينَهُ لِأَسِنَّةِ الْفَرُّسَانِ
خَرَقَ الْكِتَابِيَّةَ مُعَلِنًا مُتَكَنِّيًّا ^(١) وَالرَّهَفَاتُ عَلَيْهِ كَالْبِيرَانِ
ذَهَبَتْ بِشَاشَةِ كُلِّ شَيْءٍ بِمَدَّةٍ وَالْأَرْضُ مَوْحِشَةٌ بِلَا عُمرَانِ
هَدَمَ الشَّرَاةُ غَدَاةَ مَصْرَعِ مَالِكٍ شَرَفَ السَّلَا وَمَكَارِمَ الْبُثْيَانِ
قَتَلُوا فَتَى الرَّبِّ الَّتِي كَانَتْ بِهِ تَقْوَى عَلَى الْأَزْمَاتِ فِي الْأَزْمَانِ ^(٢)
تَرَكُوهُ فِي رَهْجِ الْغُبَارِ كَأَنَّهُ أَسَدٌ يَصُولُ بِسَاعِدِي وَبَنَانِ
هَوَّتِ الْجُدُودُ عَنْ السُّعُودِ لِفَقْدِهِ وَتَمَسَّكَتْ بِالنَّخَسِ وَالْدَبْرَانِ
لَا يَبْعَدَنَّ أَخُو خُرَازَةِ إِذْ تَوَى مُسْتَشْهِدًا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
عَزَّ الْفَوَاةُ بِهِ وَذَلَّتْ أُمَمُهُ مَحْبُوبَةٌ بِمَحَاقِقِ الْإِيمَانِ
وَبَكَاهُ مُصْحَفُهُ وَصَدْرُ قَنَاتِهِ وَالسُّلُوكُ وَدَوْلَةُ السُّلْطَانِ
وَعَدَّتْ تَمَقَّرُ خَيْلُهُ وَتُقَسِّمَتْ أَدْرَاعُهُ وَسَوَابِغُ الْأَبْدَانِ
أَفْتَحَ مُحَمَّدٌ الدُّنْيَا وَقَدْ ذَهَبَتْ رِيحُ كَانَ الْحَجِيرَ لَهَا مِنَ الْحَدَثَانِ
وَمِنْ قَصَائِدِهِ فِيهِ ^(٣) :

ارْحَلْ بِنَا نَقْرُبْ إِلَى مَالِكٍ كَيْمَا نُحْيِي قَبْرَهُ بِالسَّلَامِ

(١) في الأغاني : معلما متكبيا .

(٢) في الأغاني : تقوى على الزربات ، هذا والزربات : الشدائد . هذا ، وبسده في الأغاني بيت .

(٣) هذه القصيدة تقدم السابقة في الأغاني وتزيد أبياتا في أولها .

كَانَ لِأَمَلِ الْأَرْضِ فِي كَفِّهِ	عَنِّي عَنِ الْبَحْرِ وَصَوْبِ التَّمَامِ
وَكَاذِبِ الْمُبِجِ كَشَمْسِ الضُّحَى	وَكَانَ بِاللَّيْلِ كَبْدَرِ التَّمَامِ
وَسَائِلِهِ يَعْجَبُ مِنْ مَوْتِهِ	وَقَدْ رَأَى وَهُوَ صَعْبُ الْمَرَامِ
قُلْتُ لَهُ عَهْدِي بِهِ مُغْلَمًا	يُفْرِجُهُمْ عِنْدَ ارْتِفَاعِ الْقَتَامِ
وَالْحَرْبُ مِنْ طَاوَلَمَا لَمْ يَكْدَ	يُقَلِّتْ مِنْ وَقَعِ صَقِيلِ حُسَامِ

بيهس^(١)

هو بيهس بن صُهَيْب بن عامر بن عبدالله بن باقل^(٢) بن مالك بن عُبيد بن هَلَقمة ابن سمد بن كثير بن غالب بن عدي بن بيهس^(٣) بن طرود بن قدامة بن جرم بن ربان^(٤) ابن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة . كُنْيَةُ أبو المقدام ، فارس شجاع شاعر من شعراء الدولة الأموية . وكان مع المهلب بن أبي سُفرة في حروب الأزارقة ، وله مواقف مشهورة وبلاء حسن . وكانت له زوجة اسمها صفراء ، وولدت له ولدا وطلقها فتزوجت رجلا من بني أسد وماتت عنده ورثاها .

قيل : وكان يهوى امرأة من قومه يقال لها صفراء بنت عبدالله بن عامر ، وهي بنت عمه دُنية^(٥) وكان يتحدث إليها ويجلس في بيتها^(٦) ويكتم وجده بها ولا يظهره لأحد ولا يخطبها لأبيها ، لأنه كان معلوكا لآمال له فكان ينتظر أن يُثري . وكان من أحسن الشباب وجها وشارةً وحديثا وشعرا ، وكانت نساء الحَيّ يترصّن له ويجلسن إليه ويتحدثن معه ، فرّت به صفراء فوجدته جالسا مع واحدة منهن فهجرتة زمانا ، لا تجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ، وعرض له سفر فخرج إليه وعاد

(١) الأغاني : دار الكتب ٤٦/١٢ وانظر ص ٤٥ ودار الثقافة ٤٢/١٢ وانظر ص ٤١ ويولاق ١٠٦١/١٠ و١٠٧/١٩ والسامى ١٥٢/١٠ و١٠٧/١٩ ويلاحظ أنه جاء ترجمة مختصرة في ٤٦/١٢ دار الكتب ودار الثقافة وجاء ترجمة أطول كما هنا المختار في ١٠٧/١٩ ويولاق ١٠٧/١٩ والسامى والمجلد ٢٢ دار الثقافة .

(٢) في الأغاني ٤٦/١٢ : ناقل .

(٣) في الأغاني ٤٦/١٢ دار الكتب : سميس وفي يولاق ١٠٦١/١٠ و١٠٧/١٩ : بيهس .

(٤) في المختار : « زمان » وانظر شرح القاموس وصحة ضبطه في مادة « ربن » .

(٥) بنت عمه دنية : لاصقة النسب لها .

(٦) في ت : وكان يجلس إليها ويتحدث معها في بيتها .

وقد زوّجها أبوها رجلا من بني أسد ، فأخرجها وانتقل عن دارهم ، فخرج يهس
لذلك جزعا شديدا ، وقال :

سَقَى دِمْنَةً صَفْرَاءَ كَانَتْ تَحُلُّهَا نَحَاهُ الثَّرِيَّا طَلَّهَا وَزَهَايَهَا^(١)
وَسَابَّ عَلَيْهَا كُلُّ اسْحَمٍ هَاطِلٍ وَلَا زَالَ مُخْضَرًّا مَرِيَسًا جَنَابَهَا
أَحِبُّ تَرَى أَرْضَ تَحُلِّ وَإِنْ نَأَتْ عَحْلِكَ مِنْهَا نَبَتْهَا وَزَكَابَهَا
عَلَى أَنَسَا غَضَبِي عَلَى وَجَبَدَا رِضَاهَا إِذَا مَا أَرْضَيْتَ وَعَتَابَهَا
وَقَدْ هَاجَ لِي حُزْنًا فِرَاقُكَ غَدَوَةً وَسَمَّيْتُكَ فِي خَشْنَاءَ تَعْمَوِي زَنَابَهَا
نَظَرْتُ وَقَدْ زَالَ الْحَوْلُ وَنَازَلُوا بِرَكْوَةٍ وَالْوَادِي وَخَفَتْ رِكَابَهَا
فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي أَيْ الْقُرْبِ مِنْكُمْ جَرَى الطَّيْرُ أَمْ بِالْبَيْنِ نَادَى غُرَابَهَا

ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجها ، فقال يهس يرثيها :

هَلْ بِالْبَابِ الَّتِي بِالْقَاعِ مِنْ أَحَدٍ بَاقِي فَيَسْمَعُ صَوْتَ الْمُدْرِجِ السَّارِي
تِلْكَ الْمَنَازِلُ مِنْ صَفْرَاءَ لَيْسَ بِهَا نَازَتْ نُفُوسُهُ وَلَا أَسْوَاتُ مُسْتَارِ^(٢)
طَالَ الْوُقُوفُ بِهَا وَالْعَيْنُ يَسْتَقْفِي عَلَى الرَّدَاءِ بَوَادِي دَمِيمِهَا الْجَارِي
إِنْ أَصْبَحَ الْيَوْمَ لَا أَهْلِي ذَوُو لَطْفٍ أَلْهُو لَدَيْهِمْ وَلَا صَفْرَاءَ فِي الدَّارِ
أَرَعَى بَعْمَى نَجُومِ اللَّيْلِ مُرَقِبًا يَا طُولَ ذَلِكَ مِنْ كَيْسَلٍ وَإِسْهَارِ^(٣)
فَقَدْ يَكُونُ لِي الْأَهْلُ الْكَرَامُ وَقَدْ أَلْهُو بِصَفْرَاءَ ذَاتِ الْمَنْطِقِ الْوَارِي^(٤)
مِنْ الْمَوَاجِدِ أَعْرَاقًا إِذَا انْتَسَبَتْ لَا تُكْرَمُ الْمَالُ عَنْ ضَيْفٍ وَلَا جَارٍ

-
- (١) النعاه : لعلها من نحى ينحى اللبن مخضه . وفي الأغاني : بنوه الثريا . والذهاب جمع الذهبه وهي المطرة الضعيفة أو الغزيرة .
(٢) يهده في الأغاني يهتان .
(٣) في الأغاني : من هم وإسهار .
(٤) في الأغاني : ذات المنظر الواري .

لم تَلَقْ يَوْسَا ولم يَضْرَرْ بِهَا عَزَّزٌ^(١) ولم تَرْجِفْ مع الصَّالِي إلى النَّارِ^(٢)
كذلك الدهرُ إِنَّ الدَّهْرَ ذُو غَيْرِ
قد كَادَ يَمْتَادُنِي مِنْ ذِكْرِهَا جَزَعٌ
سَقَى إِلَهِ قُبُوراً فِي بَنِي أُسْدٍ
مَنْ الذِي بِمَدِّكُمْ أَرْضَى بِهِ بَدَلًا
وَمَنْ أَحْدَثَ حَاجَاتِي وَأَسْرَارِي

ثم إن يهس اجتاز في بلاد بني أسد فرَّ بقبر صفراء وهو في موضع يقال له
الأحصى ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد اتَّجَمُوا من بلاد بني أسد فنزل يهس
على القبر ، فقال له أصحابه : ألا ترحل ؟ فقال : أما والله حتى أظلَّ نهاري كله عندها
وأفنى وطرا ، فنزلوا معه عندها ، فأنشأ يقول :

أَلِمَّا عَلَى قَبْرِ لَصْفَرَاءَ فَاقْرَأْ أَلَهُ لَامَ وَقُولَا حِينَئِذَا أَيْهَا الْقَبْرِ^(٣)
عَشِيَّةً قَالَ الرَّكْبُ مِنْ غَرَضٍ بِنَا^(٤) تَرَوِّحُ أبا الْقِدَامِ قَدْ جَنَحَ الْمَصْرُ
فقلت لهم يسومٌ قليلٌ وليلةٌ لَصْفَرَاءَ قَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالْمَهْجَرُ
وبتُ وبات النَّاسُ حَوْلِي هُجْدًا كَأَنَّ عَلَى اللَّيْلِ مِنْ طُولِهِ شَهْرُ
إِذَا قُلْتُ هَذَا حِينَ أَجْمَعُ سَاعَةً تَطَاوَلَ بِي لَيْلٌ كَوَاكِبُ زَهْرُ
أقول إِذَا مَا أَجْتَنَّبُ مَلَّ مَكَانَهُ أَشَوْ كَأَنَّ جَانِي الْجَنْبِ أُمُّ تَحْتَهُ جَمْرُ^(٥)
فلو أَنَّ صَخْرًا مِنْ عِمَارَةِ رَاسِيَا^(٥) يُقَاسَى الذِي أَلْقَى لَقَدْ مَلَّ الصَّخْرُ

(١) ترجف أصلها ترجف ويقال : ترجف وارتجف : ارتعد . أو لعلها : ولم ترحف .

(٢) بعده في الأغاني بيتان .

(٣) يقال : غرض منه : ضجر وبل .

(٤) في الأغاني : أشوك يجاني الجنب .

(٥) في الأغاني : من عمارة راسيا .

وكان بهيس يتبدي^(١) بنواحي الشام مع قبائل جرّم وكلب وعُدرة ، ويَحْضُرُ
إذا حَضَرُوا فيكون من أجناد الشام ، ولما هدأت الفتنة بمد مَرَجٍ راهط وسكن
الناس مَرَّ غلام من قيس بطوائف جرّم وعُدرة وكلب ، وكانوا زولا متجاورين
على ماء لهم ، فيقال : إن بمض شبانهم نخس ناقتة فألقته فاندقت عنقه فأت ،
فاستمدى عليهم قومه عبد الملك بن مروان ، فبعث إلى تلك البطون من جاءه
بوجوههم وذوى الأخطار منهم ، وهرب بهيس ، وكان قد اتهم أنه هو الذى
نخس ناقتة ، فنزل على محمد بن مروان فعاذ به واستجاره ، فأجاره إلّا من حدّ
توجهه عليه شهادة ، فرضى بذلك ومدّحه ، ولم يزل محمد به قائما وقاعدا فى أمره مع
أخيه حتى أمّن بهيس وعشيرته واحتمل دية القتل لقيس وأرضاهم .

(١) يتبدي: يخرج إلى البادية .

يوم بُعث^(١)

كانت الأوس قد استغاثت^(٢) بنى قريظة والنضير في حروبهم التي كانت بينهم وبين الخزرج ، وبلغ ذلك الخزرج فبعثت إليهم : إن الأوس فيما بلغنا . قد استغاثت^(٣) بكم علينا ، ولن يُعجزنا أن نستعين بأعدادكم وأكبر منكم من العرب ، فإن ظفروا بكم فذلك ما تكرهون وإن ظفرت بنا لم نَم عن الطلب أبدا ، فتصبرون إلى ما تكرهون ويشغلكم من شأننا ما أتم اليوم منه خالون ، وأسلم من ذلك لكم أن تدعونا وتخلوا بيننا وبين إخواننا . فلما سمعوا ذلك علموا أنه الحق ، فأرسلوا إلى الخزرج : إنه قد كان الذي بلفكم ، والتمست الأوس نصرنا ، وما كنا لننصرهم عليكم أبدا . فقالت الخزرج : فإن كان ذلك كذلك فابستوا إلينا برهائن تكون في أيدينا . فبعثوا إليهم أربعين غلاما منهم ، ففرقتهم الخزرج في دورهم^(٤) فكثروا بذلك مدة .

ثم إن عمرو بن النعمان البياضي قال لقومه بياضة : إن عامرا أترككم منزل سوء بين سبخة ومغارة ، وإنه لا يمس رأسي غسل حتى أترككم منازل بنى قريظة والنضير على عذاب الماء وكرام النخل^(٥) . ثم أرسل إلى بنى قريظة والنضير : إما^(٥) أن تخلوا بيننا وبين دياركم نسكنها ، وإما أن نقتل رهئلكم ، فهموا بأن يخرجوا من

(١) الأغاني : دار الثقافة ١٧/٦٨ ، بولاق ١٥/١٦١ ، الساسي ١٥/١٥٤ .

(٢) الأغاني : استغاثت .

(٣) في (ت) : يوتهم .

(٤) في الأغاني : عذب الماء وكرم النخل .

(٥) في الأغاني : ثم راسلهم إما ...

ديارهم ، فقال لهم كعب بن أسد القرظي : يا قوم . امنعوا دياركم وخلوه يقتل^(١) الرُّهْن . فوالله ما هي إلا ليلة يصيب فيها أحدكم امرأته حتى يولد له غلام مثل أحد الرهن ، فأجمعوا على ذلك^(٢) ، فأرسلوا إلى عمرو بأننا لانسلم لكم ديارنا ، فانظروا الذي عاهدتمونا عليه في رهننا ففؤا لنا به ، فعدا عمرو^(٣) بن النعمان على رهنه هو ومن أطاعه من الخزرج فقتلوه . وأتى^(٤) عبد الله بن أبيّ وكان سيدا حليما وقال : هذا عقوق ومائم وبني ، ولست مُعينا عليه ، وكان عنده في الرهن سليم^(٥) بن أسد القرظي جدّ محمد بن كعب القرظي ، نفخى عنه ، وأطلق ناس^(٦) من الخزرج نورا فاحصوا بأهلهم ، فناولت الأوسُ الخزرج يوم قتلت الرهن شيئا من قتال غير كبير .

واجتمعت قريظة والنضير إلى كعب بن أسد أخى بنى عمرو بن قريظة ، ثم تَوَاصَرُوا أَنْ يَمِينُوا الْأَوْسَ عَلَى الْخَزْرَجِ ، فِيمَثَ إِلَى الْأَوْسَ بِذَلِكَ وَبِمَا اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ أَنْ يَنْزِلَ أَهْلُ كُلِّ بَيْتٍ مِنَ الْبَيْتِ^(٧) عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ قَرِيظَةَ وَالنُّضِيرِ مَعَهُمْ فِي دَوْرِهِمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّتِ بِأَمْرِهِمْ بِاتِّبَانِهِمْ ، وَتَمَاهَدُوا عَلَى أَلَا يَسْلُومُهُمْ أَبَدًا ، وَأَنْ يَقَاتِلُوا مَعَهُمْ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ ، فَجَاءَتْهُمْ النَّبِيتُ فَزَلُّوا مَعَ قَرِيظَةَ وَالنُّضِيرِ فِي بَيْوتِهِمْ ، وَأَرْسَلُوا إِلَى سَائِرِ الْأَوْسَ فِي الْحَرْبِ وَالْقِيَامِ مَعَهُمْ عَلَى الْخَزْرَجِ ، فَأَجَابُوهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَاجْتَمَعَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ ، وَاسْتَحْكَمَ أَمْرُهُمْ ، وَجَدُّوا فِي حَرْبِهِمْ ، فَدَخَلَتْ فِي حَرْبِهِمْ مَعَهُمْ قِبَائِلُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، مِنْهُمْ بَنُو ثَمَلَةَ وَهُمْ غَسَّانُ ، وَبَنُو زَعُورَاءَ

(١) في (ت) : وخلوهم يقتلوا .

(٢) في الأغاني : فأجمع رأيهم على ذلك .

(٣) في الأغاني : فقوموا لنا به فعدا .

(٤) في الأغاني : وأتى .

(٥) في الأغاني « سليمان » والصواب ما في المختار، انظر ترجمته في الإصابة .

(٦) في الأغاني : من البيت .

وهم من قسان ، فلما سمعت الخزرج بذلك اجتمعوا ثم خرجوا ، وفيهم عمرو بن النعمان
البياضى وعمرو بن الجوح السلمي ، حتى جاءوا عبد الله بن أبيّ وقالوا له : قد بلغك
من أمر الأوس وأمر قريظة والنضير واجتماعهم على حربنا ، وإنا نرى أن نقاتلهم ،
فإن هزمناهم لم يُحرز أحداً مَعْقُله ولا ملحْوَءه ، حتى لا يبقى منهم أحد ، فلما فرغوا
من مقاتلتهم قام عبد الله بن أبيّ خطيباً وقال : إن هذا بنى منكم على قومكم وعقوق ،
والله ما أحب أن رجلاً^(١) من جراد لقيناهم ، وقد بلغنى أنهم يقولون : هؤلاء قومنا
منموننا الحياة ، أفيمنوننا الموت ؟ والله إنى أرى قوماً لا يتنون أو يُهلكوا عاتكم ،
وإنى لأخاف إن قاتلوكم أن يُنصروا عليكم ، لبيئكم عليهم ، فقاتلوا قومكم
كما كنتم تقاتلونهم ، فإذا وَلَّوْا نَحَلُّوا عنهم ، وإذا هزموكم فدخلتم أدنى البيوت
خَلَّوْا عنكم ، فقال له عمرو بن النعمان : انتفخ والله سَحْرُك يا أبا الحارث حين بلغك
حلف الأوس وقريظة والنضير ، فقال عبد الله : والله لا حضرْتُكم ولا أحدٌ
أطاعنى أبداً ، ولكأنى أنظر إليك قتيلاً يحملك أربعة في عباءة . وتابع عبد الله
ابن أبيّ رجالاً من الخزرج ، منهم عمرو بن الجوح الحراي ، واجتمع ملاً من الخزرج
على أن راسلوا عمرو بن النعمان البياضى وولَّوه أمرهم^(٢) ، ولبت الأوس والخزرج أربعين
ليلة يتصنعون للحرب ، ويجمع بعضهم لبعض ، ويرسلون إلى حلفائهم من قبائل
العرب ، فأرسلت الخزرج إلى جُهينة وأشجع ، وكان الذى ذهب إلى أشجع ثابت بن قيس
ابن شماس ، فأجابوه وأقبلوا إليهم ، وأقبلت إليهم جُهينة أيضاً . وأرسلت الأوس إلى
مُزينة وأرسلت حُضَيْر الكتائب الأشهل إلى أبي قيس بن الأسلت ، فأمره أن يجمع له
أوس الله ، فجمعهم له أبو قيس ، فقام حُضَيْر الكتائب فاعتمد على فوسه وعليه

(١) الرجل من الجراد : القطعة النطيفة منه .

(٢) فى الأغاني : واجتمع كلام الخزرج على أن رأسوا عليهم عمرا ... أمر حريهم .

نَمِرَةٌ^(١) تَفِثَ عَنْ عَوْرَتِهِ ، نَغَرَتْهُمْ وَأَمْرَهُمْ بِالْجِدَّةِ فِي حُرُوبِهِمْ ، وَذَكَرَ مَا صَنَعَتْ بِهِمُ الْخَزْرَجُ مِنْ إِخْرَاجِ النَّبِيِّتِ وَإِذْلالٍ مِنْ تَخَلُّفِ بِالْمَدِينَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَوْسِ ، فَعَمِلَ كُلُّ ذَكَرٍ مَا صَنَعَتْ الْخَزْرَجُ وَمَا رَكِبُوهُ مِنْهُمْ يَسْتَشِيْطُ وَيَجْمَعِي وَيَقْلِسُ^(٢) خُصِيَّتَاهُ حَتَّى تَنْفِيَا ، فَإِذَا كُلُّوهُ بِمَا يُحِبُّ رَجَعْنَا إِلَى حَالِهَا ، فَأَجَابَتْهُ أَوْسُ اللَّهِ إِلَى الَّذِي يُحِبُّ مِنَ النَّصْرَةِ وَالْمَوَازَرَةِ وَالْجِدَّةِ فِي الْحَرْبِ .

وَلَا أَجَالُوا الرَّأْيَ فِي قَتْلِهِمُ الْخَزْرَجَ إِنْ ظَفَرُوا بِهِمْ ، قَالَ خُصَيْرٌ : يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ ، مَا تُنْقِمُ الْأَوْسَ إِلَّا لِأَنَّهُمْ تَوَسَّوْنَ الْأُمُورَ الْوَاسِعَةَ ، ثُمَّ قَالَ :

* يَا قَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتُمْ دَوَارًا *

* لَمْشِيرٍ قَدْ قَسَّأُوا الْخِيَارَا *

* يَوْشَكَ أَنْ تَسْتَأْصِلُوا اللَّهَ يَارَا *

وَلَا اجْتَمَعُوا بِالْحَيَاةِ طَرَحُوا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ تَمَرًا وَجَمَلُوا بِأَكْلُونِ وَحَضِيرِ الْكَتَائِبِ جَالِسٍ عَلَيْهِ بُرْدَةٌ لَهُ ، وَقَدْ اشْتَمَلَ بِهَا الْعَصَاءُ^(٣) لَا يَأْكُلُ مَعَهُمْ وَلَا يَدْنُو مِنَ التَّمْرِ غَضْبًا وَحَنَقًا ، فَقَالَ : يَا قَوْمَ اعْقِدُوا لِأَبِي قَيْسٍ بِنِ الْأَسْلَتِ ، فَقَالَ لَهُمْ أَبُو قَيْسٍ : لَا أَقْبِلُ ذَلِكَ ، فَإِنِّي لَمْ أُرَأْسَ عَلَى قَوْمٍ فِي حَرْبٍ قَطُّ إِلَّا هَرَبُوا^(٤) وَجَمَلُوا يَنْظُرُونَ إِلَى حَضِيرٍ وَاعْتَرَاهُ وَأَكَلَهُمْ ، وَاشْتَمَلَهُمْ بِمَا فِيهِ^(٥) ، مِنْ أَمْرِ الْحَرْبِ ، وَقَدْ بَدَتْ خُصِيَّتَاهُ مِنْ تَحْتِ الْبُرْدَةِ ، فَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ مَا يَكْرَهُ مِنَ الْفَتُورِ وَالتَّخَاذُلِ تَقَلَّصَتْ غَيْظًا وَغَضْبًا ، وَإِذَا رَأَى مِنْهُمْ مَا يُحِبُّ مِنَ الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ فِي الْحَرْبِ عَادَتَا . وَأَجَابَتْ إِلَى ذَلِكَ أَوْسُ مَنَاءَ وَجَدَّوْا

(١) النَمِرَةُ : ثَمَلَةٌ أَوْ بُرْدَةٌ مِنْ صُوفٍ فِيهَا خُطُوطٌ بَيْضٌ وَسُودٌ .

(٢) قَلِسَ : تَرَمَّحَ إِلَى أَعْلَى أَوْ تَنَقَّضَ

(٣) اشْتَمَلَ الْعَصَاءُ : لَفَّهَا حَوْلَهُ لَهَا عَكْمًا .

(٤) فِي الْأَغَانِي : إِلَّا هَزَمُوا .

(٥) فِي الْأَغَانِي : وَاعْتَرَاهُ أَكَلَهُمْ وَاشْتَمَلَهُ بِمَا فِيهِ .

في المازرة والمظاهرة ، وقدِمَتْ مَزينَة على الأوس ، فانطلق حُضير وأبو عامر الراهب ابن صَيْفِيٍّ إلى أبي قيس بن الأسلت فقالا : قد جاءتنا مَزينَة ، واجتمع إلينا من أهل يثرب مالا قَبيل للخزرج به ، فما الرأي إن نحن ظَهَرْنَا عليهم ، الإيجاز أم البَقِيَّة ؟ فقال أبو قيس بن الأسلت : بل البَقِيَّة . فقال أبو عامر : والله لوددت أن مكانهم ثعلبا صَيَّاحًا^(١) ، فقال أبو قيس : اقتلهم حتى يقولوا نَزَا نَزَا^(٢) . كَلَّة كانوا يقولونها إذا غلبوا ، قَتشَاجروا في ذلك ، وأقسم حُضير ألا يشرب الخمر أو يظهر ويهدم مُزاحما أطمَ عبد الله بن أبي ، فكثوا شهرين يُمِدُّون ويستعدون ، ثم التقوا بُبمات ، وتخلف عن الأوس بنو حارثة ، فبعثوا إلى الخزرج : إنا والله ما نريد قتالكم ، فبعثوا إليهم : أن ابشوا لنا برهن منكم يكون في أيدينا ، فبعثوا إليهم اثني عشر رجلا ، منهم خَدِيج^(٣) . وبمات من أموال بني قريظة ، فيها مزرعة يقال لها قَوْرًا . فلذلك يدعى بُمات الخزرج . وحشد الحَيَّان ، فلم يتخلف منهم إلا من لا ذِكر له ولم يكن حشدوا قبل ذلك اليوم ، فلما رأت الأوسُ الخزرجَ أعظموم وقالوا لحُضير : يا أبا أسد^(٤) لو حاجزت القومَ وبمست إلى من تخلف من حلفائك من مَزينَة . فطرح قوسا كانت في يده ثم قال أنتظر^(٥) مَزينَة . وقد نظر إلى القوم ونظرت إليهم ؟ الموت قبل ذلك ، ثم حمل وحلوا فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت الأوس حين وجدوا مسَّ السلاح ، وولَّوْا مُصْعِدِينَ في حرَّة قَوْرًا نحو المَرِيض^(٦) ، وذلك في وجه طريق نجد ،

(١) في الأغاني : ضباحا .

(٢) في الأغاني : بزا بزا .

(٣) هو أبو رافع بن خديج كان في الأغاني .

(٤) في الأغاني : يا أبا أسيد .

(٥) في المختار : «انتظروا» واعتمدت ما في الأغاني .

(٦) المريض : واد بالمدينة .

ومباحثهم الخزرج : أين الفرار ؟ وعيروهم ، فنزل حُضَيْرَ وطمن بستانٍ رمحه فخذَه ،
وساح : واعترأه ، والله لأأريم^(١) حتى أقتل ، فإن شتمت يا معشر الأوس أن تُسلموني
فأفعلوا . فمطقت عليه الأوس ، وقام على رأسه غلامان من بني عبد الأشهل يقال لهما
محمود ولييد ابنا خليفة بن ثعلبة ، وهما يومئذ ذوا بطش ، فجعلا يرتجزان :

* أَيُّ غُلَامَي مَالِكٍ تَرَانَا *

* فِي الْحَرْبِ إِذْ ذَاكَتْ بَنَارُحَانَا *

* وَعَدَّ النَّاسُ لَنَا مَا كَانَا *

فقاتلا حتى قُتِلَا وأقبل سهم فأصاب عمرو بن النعمان رأسَ الخزرج ، فقتله ،
لا يُدْرَى من رمى به ، إلا أن بني قُرَيْظَةَ زعم أنه سهم رجل يقال له أبو بُبَايَةَ ، فبينما
عبد الله بن أبي يتردد على بئلة له قريبا من بُمَاتٍ يتجسس أخبار القوم إذ طُلع عليه
بعمرو بن النعمان ميتا في عباءة يحمله أربعة إلى داره ، فلما رآه عبد الله بن أبي قال :
من هذا ؟ قالوا : عمرو بن النعمان ، قال : ذُقْ وَبَالَ الْعُقُوقِ .

وانهزمت الخزرج ووضعت فيهم الأوس السلاح ، فصاح صائح : يا معشر
الأوس أسججوا^(٢) ولا تهلكوا إخوانكم بخوارهم . خير من جوار الثعالب فتناهت
الأوس وكفت عن سلبهم بعد إتحان فيهم وسلبتهم قُرَيْظَةَ والنضير وحملت الأوس
حُضَيْرًا من الجراح التي به ، وهم يرتجزون حوله ويقولون :

كَتَيْبَةُ زَيْنَمَا مَوْلَاهَا لَا كَهْلُهَا هِدٌّ وَلَا فَتَاهَا^(٣)

وجملت الأوس تحرق على الخزرج نخلها ودورها ، فخرج سعد بن مُعَاذِ الْأَشْهَلِ

(١) لا أريم : لا أزول ولا أبارح مكاني .

(٢) أسجج : أحسن الشو .

(٣) الهد : الجبان الضعيف ، وقيل فيه أيضا بفتح الهاء .

حتى وقف على بنى سَلَمَةَ وأجارهم وأموالهم جزاء لهم بيوم الرِّعْل ، وكان للخزرج على الأوس يوم مُنَلَّسٍ ومُضَرَّسٍ ، وكان سعد بن معاذ يحمل يومئذ جريحاً إلى عمرو ابن الجوح الحراي فنَّ عليه وأجاره وآخاه يوم الرِّعْل - وهو [على] الأوس - من الحرق والقطع ، فكافأه سعد بمثل ذلك في يوم بُثَاث ، واجتمعت الأوس على أن يهدم مزاحماً أطمَ عبد الله بن أبي ، وحلف حضير ليهدمته ، فكلمه فيه ، فأمرهم أن يؤثروا فيه ، فحفروا فيه كوة ، وخرج حضير وأبو عامر الزاهب حتى أتيا أبا قيس ابن الأُسَلْت بعد الهزيمة ، فقال حضير : يا أبا قيس ، إن رأيت أن تأتي الخزرج قصرًا قصرًا ودارًا دارًا يهدم ونحرق ^(١) حتى لا يبقى منهم أحد ، فقال أبو قيس : والله لا تفعل ذلك ، فغضب حضير وقال : ما سميت الأوس إلا لأنكم تؤوسون الأمر أوساً ، ولو ظفرت الخزرج بنا ^(٢) ما أقالوناها ثم انصرف إلى الأوس فأمرهم بالرجوع إلى ديارهم ، وكان حضير يومئذ جرح جراحة شديدة ، فذهب به طلبه ^(٣) بن صيفي ابن عبد الأشهل إلى منزله في بنى أمية بن زيد ، فلبث أياماً ثم مات من جراحته ، وقبره هناك في بنى أمية بن زيد .

وكان يهودى أمى من بنى قريظة في أطم من أطامهم ، فقال لابنه : أشرف ^(٤) على الأطم فانظر ما فعل القوم ، فأشرف فقال : أسمع الصوت قد ارتفع من قورا ، وأسمع قائلاً يقول : اضربوا يا آل الخزرج ، فقال : الدولة إذاً على الأوس ، لا خير في البقاء بعدهم ، ثم قال : ماذا تسمع ؟ قال : أسمع رجالاً يقولون : يا آل الأوس ، ورجالاً يقولون : يا آل الخزرج ، فقال : الآن عم القتال ^(٥) ، ثم لبث ساعة وقال :

(١) في الأغاني : تقتل وتهدم :

(٢) في الأغاني : يبتليها .

(٣) في الأغاني : كليب .

(٤) في الأغاني : فقال لابنه أشرف ..

(٥) في الأغاني : حى القتال .

ماذا تسمع ؟ فقال : أسمع قوما يقولون :

نحن بنو صخرة أصحاب الرّعل

فقال : تلك بنو عبد الأشهل ، ظفرت والله الأوس - وصخرة أمهم بنت مرة ابن ظفر ، من بني عبد الأشهل - ثم وثب فرحا نحو باب الأطم ف ضرب رأسه بحاف^(١) بابه ، وكان من الحجارة ، فسقط فمات .

وكان أبو عامر قد حلف لبرّ كزّن^٢ رعه في أصل مزاحم أطم عبد الله بن أبي فخرجت جماعة من الأوس حتى أحاطوا به وكانت تحت أبي عامر جميلة بنت عبد الله ابن أبي ، وهي أم حنظلة الفسيل بن أبي عامر ، فأشرف عليهم عبد الله بن أبي فقال : إني والله ما رضيت بهذا الأمر ولا كان عن رأي وقد عرفتم كراهتي له ، فقال أبو عامر : لا والله لا أنصرف حتى أركز لوائى في أصل أطمك ، فلما رأى حنظلة أنه لا ينصرف قال لهم :

إن أبى شديد الوجدي ، فأشرفوا بي عليه ثم قولوا له : والله إن لم تنصرف عنا لنرمين^٣ رأسه إليك . فقالوا له ذلك ، فركز رعه في أصل الأطم ، ليمينه ، ثم انصرف عنهم ، وذلك قول قيس بن الخطيم :

صَبَحْنَا بِهَا الْأَطَامَ حَوْلَ مُزَاحِمٍ قَوَاسُ أَوَّلَى بَيْضِهَا كَالْكُوكَبِ^(٤)
وَقَالَ خُفَّافُ بْنُ نَدْبَةَ يَرَى حُضِيرَ الْكَتَائِبِ^(٥) :

أَتَانِي حَدِيثٌ فَكَذَّبْتُهُ وَقِيلَ خَلِيلُكَ فِي الرَّمَسِ
فِيَا عَيْنُ بَكْيٍ حُضِيرَ النَّدَى حُضِيرَ الْكَتَائِبِ وَالْجَلَسِ^(٦)

(١) في الأغاني : « بخاف بابه » وشرح في مخطوط منه بأنه عضادة الباب .

(٢) القواس : جمع القونس وهي أعلى بيضة الحديد أو مقدمها . وفي ديوانه ص ١٣ أولى

بيضا .

(٣) في الأغاني شعر قبل هذا مع خبر ، وشعر لخفاف أيضا قبل هذا الشعر الآتي .

(٤) بعده في الأغاني ثلاثة أبيات .

بَكْر بن خازجة^(١)

رجل من أهل الكوفة مولى لبني أسد كان ورّاقاً ضيّق العيش مُقَصِّراً ،
يكتسب بالوراقة ، ويصرف أكثر ما يكتسبه إلى النبيذ ، وكان معاقراً للشراب
في منازل الخمارين وحاناتهم ، طيب الشمر ما يحا مطبوعاً ، خليفاً ما جناً ، يكثر
كلّ يوم بشيء من خمر إلى خراب من خرابات الحيرة ، فلا يزال يشرب فيها
على صوت هُدهد يأوى إلى ذلك الخراب إلى أن يسكر ثم ينصرف ، وكان يتعشق
ذلك الهدهد ، وكان يمشق أيضاً غلاماً نصرانياً يقال له عيسى بن البراد^(٢) العباديّ
الصيرفي . وله فيه قصيدة مزدوجة يذكر فيها النصارى وشرائعهم وأعيادهم وأسماء
دياراتهم . ومن شعره فيه :

وشادني قلبي به مَمْعُودُ شِيمَتُهُ الْهَجْرَانُ وَالصَّدُودُ
زُنَّارُهُ فِي خَصَرِهِ مَمْعُودُ لَأَنَّهُ مِنْ كَيْدِي مَقْدُودُ

كان دعبل يقول : ما حسدت أحداً قط كما حسدت بكراً على هذين البيتين .
حرّم بعضُ الأمراء بالكوفة الخمر وباعها على خماري الكوفة ، وركب فكسر
نبيذهم ، فجاء بكر بن خازجة ليشرب عندهم على عادته ، فرأى الخمر مصبوبة في الرّحاب
والطرق ، فبكى طويلاً ثم أنشأ يقول :

يَا لَقَوَى لِمَا جَنَى السُّلْطَانُ لَا يَكُونَنَّ لِمَا أَهَانَ الْهَوَانُ
صَبْهًا فِي التَّرَابِ مِنْ حَلَبِ الْكَرِّ م عُقَارًا كَأَنَّهَا الزَّعْفَرَانُ
صَبْهًا فِي مَكَانٍ سَوْءٍ لَقَدْ صَا دَفَ سَمَدَ السَّمُودِ ذَاكَ الْمَكَانُ

(١) الأغاني : دار الثقافة المجلد ٢٣ بولاق ٨٧/٢٠ الساسي ٨٧/٢٠ .

(٢) في ١ ، ك : « اليسر » وأثبت ما في ت والأغاني .

من كُمَيْتٍ يُبْدِي المَزَاجَ لها لَوْ لَوْ نَظُمَ والقَصْلُ منها الجُنانُ
فإِذَا ما اصطبقتها صَفَرَتْ في الـ قدر عندي من أجلها الخِزْرانُ
كيف صَبَرِي عن بعض نفسى وهل يَصْ بر عن بعض نفسه الإنسانُ
لما سمع الجاحظ هذه الآيات قال : إن من حق الفتوة أن أكتب هذه الآيات
قائماً ، وما أقدر على ذلك إلا أن تُعَمِّدَنِي ، وكان قد نُقِرَّسَ فأعمده بعض أصحابه ،
وقام فكتبها قائماً .

وكان بكر يمدح ويهجو بالدرهم الواحد والدرهمين ونحو هذا ، وكان عقله قد فسد
بالنبيذ في آخر عمره ، حَدَّثَ عنه مَنْ حضره في دعوة لبيحي بن أبي يوسف القاضي ،
وقد بات جماعة عنده قال : ما أنبهني إلا صياحُ بكر يستغيث من العطش ، فقلت :
مالك ويلك ؟ قم فاشرب ، فالدار مملوءة ماء ، فقال : أخاف ، فقلت له : من أى شيء ؟
قال : في الدار كلب كبير فأخاف أن يظلمني غزاً لا فيثب عليّ فيقطعني فيأكلني ،
فقلت له : اعزب خرب الله بيتك ، أنت بالخنازير أشبه منك بالفزلان ، قم فاشرب
إن كنت عطشان فأنت آمين .

حرف التاء

توبة بن الحُمَيْر^(١)

هو توبة بن الحُمَيْر بن حَزْم بن كَعْب بن خَفَاجَة بن عمرو بن عُقَيْل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة . كان يهوى ليلي الأخيلية ، وقد ذكرنا ذلك مُستوفًى في أخبار ليلي ، ونذكر هنا ما يتعلق به هو . كان سبب مقتله أنه كان بينه وبين بني عوف بن عامر^(٢) بن عوف بن عُقَيْل لِصَاحَبة^(٣) ، ثم إن توبة شهد بني خَفَاجَة وبني عوف وهم يختصمون عند هَمَام بن مُطَرَف المُقَيْل في بعض أمورهم ، ومروان ابن الحكم إذ ذاك أمير على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، فاستعمله على صدقات بني عامر ، فوثب ثَوْر بن أبي سَمْعَان بن كعب بن عامر بن عوف بن عُقَيْل على توبة بن الحُمَيْر فضربه ، وعلى توبة الدَّرْعُ والبَيْضَة . فخرج أنف البَيْضَة وَجْه توبة ، فأمر هَمَام بِثَوْر بن أبي سَمْعَان فَأُقْعِدَ بين يدي توبة ، وقال : خُذْ بِحَقِّكَ يَا توبة ، فقال له توبة : ما كان هذا إلَّا عن أمرك ، وما كان يجترئُ عليَّ عند غيرك ، وكانت أم هَمَام طوبانة^(٤) بنت حزن بن عامر بن عوف بن عُقَيْل ، وآتهم توبة بذلك ، فانصرف ولم يَقْتَصْ منه ، فمكثوا غير كثير ، ثم إن توبة بلغه أن ثَوْر بن أبي سَمْعَان

(١) الأغاني : دار الكتب ١١/ ٢٠٤ وانظر ص ٢٠٣ ودار الثقافة ١١/ ١٩٤ وانظر ص ١٩٣

وبولاق ١٠/ ٦٧ والساسي ١٠/ ٦٣ والتجريد ١٢٨٨ .

(٢) في الأغاني : وبين بني عامر .

(٣) اللحاء : النزاع .

(٤) في الأغاني : سموبانة بنت جوث .

خرج في نفر من قومه^(١) إلى ماء من مياه قومه يُقال له هوفا^(٢) يريدون ماء لهم يقال له جُرير^(٣) يَنْثَلِثُ وبينهما فلاة ، فأتبعه توبة في ناس من أصحابه ، وسأل عنه وبحث حتى ذُكر له أنه عند رجل من بني عامر بن عُقيل يقال له سارية بن عويم^(٤) ابن أبي عدى ، وكان صديقاً لتوبة ، فقال توبة : لا تَطْرُقْهم عند سارية الليلة حتى يخرجوا عنه ، فأرادوا أن يخرجوا حين يُصْبِحُونَ ، فقال لهم سارية : ادْرُهُوا اللَّيْلَ فَإِنِّي لَا آمَنُ توبةَ عليكم الليلة ؛ فإنه لا ينام عن طلبكم ، فلما تمشوا ادْرِعُوا اللَّيْلَ في الفلاة ، وأقمَد له توبة رَجُلَيْنِ فَنَقَلَ صاحبا ، فلما ذهب الليل فزع توبة وقال : اغتريتُ إلى رجلين ما سنما شيئا ، وإني لأعلم أنهم لم يُصْبِحُوا بهذه البلاد ، فاقصص آثارهم فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا ، فبعث إلى صاحبيه فأتياه ، فقال : دونكما هذا الْجَمَلَ فَأَوْقِرَا مَزَادِيهِ مِنَ الْمَاءِ ، ثم اتبعا أثره ، فإن خفي عليكما أن تُدْرِكاني فَإِنِّي سأوقد^(٥) لكما إن أمسيما دوني ، وخرج توبة مسرعا في أثر القوم ، حتى إذا انتصف النهار جاوز علما يقال له أفيح في الغائط ، فقال لأصحابه : هل تَرَوْنَ من سُمَرَاتٍ إلى جنب قُرُونٍ بَقَرًا ؟ - وقرون بقر ظلل سَمَرٍ^(٦) كان هنالك - فإن ذلك مَقِيلٌ لم يتجاوزهُ القوم ، وليس لهم وراءه ظِلٌّ ، فنظروا فقال قائل : أرى رجلا يقود بَعِيراً كأنه يقوده لِيَصِيدَ . قال توبة : ذلك

(١) في الأغاني : من رحله .

(٢) في الأغاني قويا .

(٣) في الأغاني : يريدون ماء لهم بموضع يقال له جرير .

(٤) في الأغاني : عمير .

(٥) في الأغاني : سأنور .

(٦) ضبطه بالتصغير وغير مصغر .

(٧) في الأغاني : وقرون بقر مكان هنالك .

ابنُ الحَبْرِيَّةِ . قال : وبنو الحَبْرِيَّةِ ^(١) ناسٌ من مذحج ، فركض عبد الله ابن أخى توبة فرسه نحوه ، فرماه ابنُ الحَبْرِيَّةِ فمقر فرسه ، واحتك ^(٢) السهمُ ساقَ عبد الله وأنحازَ الرجل إلى أصحابه فأنذروهم ، فجمعوا رِكابهم وكانت متفرقة ، ففشيهم توبة ومن معه ، فلما رأوا ذلك صَفُّوا رِحالهم وجعلوا السَّمَرَاتِ في نُحُورهم ، وأخذوا سِلَاحهم ودَرَقهم ، وزحف إليهم توبة فارتعى القومُ لا يغني أحدُهم شيئاً في أحد . وكان توبة يُتَرَسُّ له أخوه عبد الله ^(٣) فقال : يا أخى لا تُتَرَسَّ لى فإنى رأيتُ ثوراً كثيراً ما يرفع الترس ، عسى أن أوافق منه عند رَفِيعِهِ مَرِّى فأرميه ، ففعل فرماه توبة على حلة نديه فصربه . وجال القومُ ففشيهم توبة وأصحابه فوضعوا فيهم السِّلَاحَ فصرعوهم وهم سبعة نَفَرٍ ، ثم إن ثورا قال : انزِعُوا هذا السهم عني . فقال له توبة : ما وضعا لنزع ، وقال أصحاب توبة انجُ بنا نأخذ آثارنا ونَلْتَقِ رَاوِيَنَا فقد أخذنا ثأرنا من هؤلاء وقد متنا عطشاً . فقال توبة : وكيف بهؤلاء القوم الذين لا يَمْتَنِعُونَ ؟ قالوا : أبعدهم الله ، قال توبة : ما أنا بفاعل ومأم إلا عشيرتكم ولكن تبجى الراوية فأضع لهم ماء وأغسل دماءهم عنهم ، وأُخَيِّلَ عليهم من السَّبَاعِ والطير لا تأكلهم حتى أُوذِنَ قَوْمَهُمْ بِعَمَقِ بِهِمْ ^(٤) . فأقام توبة حتى أتته الراوية قبل الليل ، فسقام وغسل عنهم الدم ، وجعل لهم في أساقهم ماء ، ثم جَلَّاهم ^(٥) بالثياب على الشجر ، ومضى حتى

(١) جعلها محققو الأغاني دار الكتب: وبنو الحبر ونسبوا ذلك لمختار الأغاني مع أن نسخته الوثيقتين ١ ، ٢ كفيهما: وبنو الحبرية .

(٢) في الأغاني : واحتل .

(٣) في الأغاني : ثم إن توبة وكان يترس له أخوه عبدالله . وفي المختار وكان توبة يترس لأخيه عبدالله .

(٤) في الأغاني : كاهنا . وعمق موضع . وذكر محققو الأغاني أن المختار فيه : « قومهم يغمونهم وليس كذلك في ١ ، ٢ » .

(٥) كذلك في أصول المختار . وفي الأغاني : ثم خيل لهم .

طرق من الليل سارية بن أبي عويم بن أبي عدى الثقلي فقال : إنا قد تركنا رهطا من قومكم بسمرات من قرون بقر ، فأدركهم فن كان حيا فداؤوه ومن كان ميتا فأجثوه^(١) ثم انصرف فلحق بقومه ، وأصبح سارية فاحتمل القوم ، ومات نور ولم يمت غيره ، فلم يزل توبة خائفا .

وكان السليك^(٢) بن نور المقتول راميا كثير البغي والشر ، فأخبر بغيره من توبة ، وهو بقبة من قباب الشرف يقال لها قبة بني الحميم^(٣) فركب في ثلاثين فارسا حتى طرقة ، فرقى توبة ورجل من إخوته الجبل^(٤) وأحاطوا بالبيوت ، فقال لهم وهو في الجبل^(٥) : ها أنذا من تبغون فاجتنبوا البيوت ، فقالوا : إنكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ، ولكن خذوا ما استنظف^(٦) لكم من ماله فأخذوا أفراسا له ولإخوته وانصرفوا ، ثم إن توبة غزاهم فر على أفلت بن جون^(٧) بن معاوية ابن خفاجة بطن يديشة فقال : يا توبة أين تريد ؟ قال : أريد الصبيان من بني عوف ابن عقيم ، قال : لا تفعل ، فإن القوم قاتلوك ، فهلا . قال : لا أطلع عنهم ما عشت . ثم ضرب بطن فرسه فاستمر به يحضر^(٨) وهو يرتجز ويقول :

تنجوا إذا قيل لها يماط تنجوا ولو من خلل الأمشاط^(٩)

(١) جن الميت وأجته : ستره . وفي الأغاني : فادقوه .

(٢) في الأغاني : السليل .

(٣) في الأغاني : وهو بقعة من قنات الشرف يقال لها : قبة بن الحميم .

(٤) المعروف : رقى في الجبل وفي السلم . وفي الأغاني : فترقى .. في الجبل .

(٥) في الأغاني : فتادام وهو في الجبل .

(٦) استنظف الشيء : أخذه كله واستوعبه . وفي الأغاني : ما استندف . أي نهيا وأمكن .

(٧) في الأغاني : قلب بن حزن وصحوا من المختار . وكلذا في المختار : جون .

(٨) يحضر : يمدو سريما .

(٩) يماط زجر للابل وزجر بها الذئب وغيره . وفي المختار : ناط . وفي الأغاني : تنجو بهم

من خلل الأمشاط .

حتى انتهى إلى مكانٍ يقال له حَجْرُ الرَّاشِدَةِ ظَلِيلٍ ، أسفله كَالْعَمُودِ وأَعْلَاهُ مُسْتَشْرِفٌ^(١) فاستظل فيه هو وأصحابه ، حتى إذا كان بالهاجرة مرّت عليه إبلٌ هُبَيْرَةُ بنِ السَّمِيرِ^(٢) أخى بنى عوف بن عُقِيلِ واردةٌ ماءً لهم يقال له طَلُوبٌ ، فأخذها وخبّى طريقَ راعيها وقال له : إذا أتيت مولاك ضَرَعَ البقرة^(٣) فأخبره أن توبة أخذ الإبل ، ثم انصرف توبة يَطْرُدُ الإبل ، فلما وردَ المبدُ على مولاة وأخبره نادى فى بنى عوف وقال : حتى متى هذا ؟ فضاقدوا بينهم نحو ثلاثين فارساً ، ثم اتبعوه . ونهضت امرأة من خثعم من بنى الهدّة^(٤) ، وكانت فى بنى عوف ، وكانت تؤخّذ^(٥) فقال : أرونى أثره . فأخذت من رابه نفاقته^(٦) وقالت : اطلبوه فإنه سيُحبَسَ عليكم فطلبوه فسبقهم . فتلأؤموا بينهم وقالوا : ما نرى له أثراً ، وما نراه إلا وقد سبقكم . ولا كان توبةً بالمضجع من أرض بنى كلاب جمل يحبس أصحابه حتى إذا كان بِشَمْبٍ من هَضْبَةِ يقال له هند من كبد المضجع جمل ابن عمٍّ له يقال له قابضُ بن عبد الله رَيْبَةً له على رأس الهَضْبَةِ وقال : انظروا فإن شخصاً لك شئٌ فأعلّمنا ، فقال عبد الله بن الحَمِيرِ أخو توبة : يا توبُ إنك خائِنٌ أذكرك الله فوالله ما رأيت يوماً أشبه بِسَمَرَاتِ بنى عوف يوم أدركناهم فى ساعتهم التى أتيناها فيها من هذه الساعة من هذا اليوم^(٧) فانج بنفسك إن كان بنفسك نجاةً ، قال : دعنى فقد ربأت رَيْبَةً

(١) فى الأغاني : وأَعْلَاهُ مُنْتَشِرٌ .

(٢) فى الأغاني : السمين .

(٣) فى الأغاني : صدغ البقرة .

(٤) فى الأغاني : المرأة .

(٥) تؤخّذ : تعالج السحر .

(٦) سافته : شتمته .

(٧) فى الأغاني : عبارته مختصرة : وهى التى أتيناها فيها منه .

ينظر لنا^(١) . ورجع بنو عوف بن عُقيل حين لم يجدوا أترأ لتوبة ، فلقوا رجلا من غُثَيّ فقالوا له : هل أحسست في مجيئك أتر خيل أو أتر إبل ؟ قال : لا والله ، قالوا : كذبت ، وضربوه ، فقال : يا قوم ، لا تضربوني فإنني أجد أترأ وإبلا في تلك الهَضْبَةِ^(٢) وما أدرى ما هو ، فبعضوا رجلا منهم يقال له يزيد بن رُوَيْبَةَ لينظر ما في الهضبة فأشرف على القوم ، فلما رأى أَلُوِيَّ [بثوبه] لأصحابه^(٣) حتى جاءوا ، حمل أولهم على القوم حتى غَشِيَ توبَةَ [وفزع توبة] وأخوه [إلى خيلهما]^(٤) فقام توبة إلى فرسه فقلبته لا يقدر أن يُلْجَمَها ولا تَتَرَّ له^(٥) فغَلَى طريقها^(٦) وغشيه الرجلُ فاعتنقه ، فصرعه توبة وهو مدهوشٌ قد لبس الدَّرْعَ على السيف ، فأنزعه ثم أهوى ليزيد بن رُوَيْبَةَ ، فأتاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيد بن رُوَيْبَةَ يناشده رحم صَغِيَةٍ ، وصَغِيَةٌ أُمُّ له من بني خَفَاجَةَ ، وغَشِيَ القومُ توبَةَ بضربونه من ورأه فقتلوه ، وعلقهم عبدُ الله بن الحَمَيرِ بطنهم بالرمح حتى انكسر ، فلما فرغوا من توبة مالوا^(٧) على عبد الله فضربوا رجله فقطموها ، فلما وقع على الأرض انتزع سيفه^(٨) وجنَّ على ركبتيه وجعل يقول : هَلُمُّوا هَلُمُّوا ، ولم يشعر القوم بما أصابه ، وانصرف بنو عوف ، وولى قابضٌ منهم ما حتى لحق بعبد العزيز بن زُرَّارة الكلابي ، فأخبره الخبر ، فركب عبد العزيز حتى أتى توبة فدفنه وضَمَّ أخاه . ورافع القوم

(١) في الأغاني : فقد جمعت ويثية ينظر لنا . وفي ت : فإن ريثنا ينظر لنا .

(٢) في الأغاني : فإنني لم أجد أترا ولقد رأيت زهاء كذا وكذا لا بلا شعور في هاتيك الهضبة .

(٣) أَلُوِيَّ بثوبه : لمع وأشار . وكلمة « بثوبه » زيادة من الأغاني .

(٤) ما بين الأقواس زيادة من الأغاني .

(٥) في الأغاني : ولا وقت له .

(٦) في ت : سبيلها .

(٧) في الأغاني : لووا .

(٨) في الأغاني : أشرع سيفه .

إلى مروان بن الحكم فكافأ بين الدّمين ، وحُمات الجراحات ، وترك بنو عوف
ابن عُقيل البادية ولحقوا بالجزيرة والشام .

وكان توبة شريرا كثير الفارات على بنى الحارث بن كعب وخشم وهمدان ،
وكان يدور^(١) بنسائهم يتحدث إليهن وذلك قوله :

أيذهب ريمانُ الشباب ولم أزرُ غرائرَ من همدانَ بيضا نُحورُها

وكان ربما ارتفع إلى بلاد مَهْرَة فيغير عليهم ، وبين بلاد مَهْرَة وبلاد عُقيل
مغازة مُنْكَرَة لا يقطعها الطير ، وكان يحمل مزاد الماء فيدفنه منه على مسيرة
كل يوم مزادة ، ثم يغير عليهم فيطلبونه فيركب بهم المغازة ، وإنما كان يعتمد
بفاراته^(٢) حمارة القبيظ وشدة الحر فإذا ركب المغازة رجعوا عنه .

قال توبة : خرجت إلى الشام ، فبينما أنا أسير في بلاد لا أنيس بها ذات شجر
فزلت لأريخ وأخذت تُرْسِي فألقيته فوق ، وألقيت نفسي بين المُضْطَجِع والبارك ،
فما وجدتُ طعمَ النوم ، وإذا شيء^(٣) قد تجلّاني عظيم ثقیل قد برك عليّ فُتِرْتُ
ثم قَمَصْتُ من قاصا^(٤) فرميت به على وجهه ووثبت^(٥) إلى راحلتي فانتفضتُ السيف
فنهض نحوي فضربته ضربة أنخزل منها ، وعُدت إلى موضعي وأنا لا أدري إنسان هو
أم سبع ، فلما أصبحت إذا هو أسود زنجي يضرب رجليله وقد قطعت وسطه
حتى كدت أبريه ، وانتهيت إلى ناقة مُناخَة مُوقَرَة بثياب ممن يسلبه ويقتله^(٦) ،

(١) في الأغاني : يزور نساء منهن . وفي المختار يدور بنائهن .

(٢) كلمة « بفاراته » ليست في الأغاني .

(٣) في الأغاني : فلما وجدت طعم النوم إذا شيء .

(٤) في الأغاني : « ونشزت عنه ثم قمت ... » وفي المختار : ثم قبضت منه قاصا .

(٥) في الأغاني : وجلست .

(٦) كلمة « ويقتله » ليست في الأغاني .

وإذا جارية شابة ناهد قد أوثقها وقرنها بناقته ، فسألها عن خبرها ، فأخبرتني أنه قتل مولاها وأخذها منه ، فأخذت الجميع وعدت إلى أهل .

سأل معاوية بن أبي سفيان ليلي الأخيلية عن توبة بن الحُمير فقال : ويحك يا ليلي ، أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كل ما تقول الناس حقاً^(١) والناس شجرة بنى يحسدون أهل النعم حيث كانت^(٢) وعلى من كانت ولقد كان يا أمير المؤمنين سبط البنان ، حديد اللسان شجاع الأقران ، كريم الخبير ، عفيف الثر ، جميل النظر ، هو يا أمير المؤمنين كما قلت له . قال : وما قلت ؟ قالت : قلت ولم أتمد الحق وعلمي فيه :

بَعِيدُ التَّرَى لَا يَبْلُغُ الْقَوْمُ قَمَرَهُ أَلَدٌ مُلِدٌ يَفْلِبُ الْحَقُّ بَاطِلُهُ^(٣)
إِذَا حَلَّ رَكْبٌ فِي ذَرَاهُ وَظِلُّهُ^(٤) لِيَنْمَهُمَ مَا تَخَافُ نَوَازِلُهُ
حَامٍ يَنْصُلُ السِّيفُ مِنْ كُلِّ فَادِحٍ يَخَافُونَهُ حَتَّى تَمُوتَ خَصَائِلُهُ

فقال لها معاوية : ويحك يزعم الناس أنه كان ماهراً عارماً خارباً . والخارب : الذي يسرق الإبل -^(٥) فقالت من ساعها :

مَعَاذَ الْإِلَهِ كَانَ وَاهٍ سَيِّدُ جَوَادًا عَلَى الْمَلَاتِ جَمًّا نَوَافِلُهُ
أَغْرَ خَفَاجِيًّا رَى الْبُخْلُ سَبَّةً تَحْلُبُ كِفَاءَ النَّدَى وَأَنَامِلُهُ
عَفِيفًا بِمِيدِ الْهَمِّ صُلْبًا قَنَافَةً جَمِيلًا مُحْيِيًّا قَلِيلًا غَوَائِلُهُ

(١) في نسخ المختار : حق « بالرفع » .

(٢) في الأغاني : كانوا .

(٣) الألد : الكثير الجدل والخصومة . والملد : من قولهم : ألدت بفلان : إذا أعسرت عليه في الخصومة .

(٤) ذراه : ساحته .

(٥) كلمة « عارماً » وجملة « الخارب الذي يسرق الإبل » ليست في الأغاني .

وكان إذا ما الضيفُ أرغى بمرءٍ لديه أنته دُستُّه وفواضله^(١)
وقد علم الجوعُ الذي بات سائرا^(٢) على الضيفِ والجيرانِ أنك قاتلهُ
وأنتك رَحْبُ الباعِ ياتوبُ بالقري إذا ما لثِمَ القومُ ضاقتُ منازلُهُ
يبيتُ قَريرَ العينِ من كان جاره^(٣) ويُضحي بخير ضيفه ومنازلُهُ

فقال لها معاوية : ويحك يا ليلى لقد جُزيت بتوبةٍ قدَّره . قالت : والله يا أمير المؤمنين لو رأيته وجربته لعرفت أني مُقصرة في أمته ، ولا أبلغ كنه ما هو أهله ، فقال لها معاوية : في سين أي الرجال^(٤) كان ؟ فقالت :

أنته النابا حين تَمَّ تمامه وأقصر عنه كلُّ قرنٍ يطاولُهُ
وعاد كأيث النابِ يحمي عرينه وترضى به أشباهه وحلائلهُ
غضوبٌ حلِيمٌ حين يُطلبُ حلْمه وسمُّ زعافٍ لا تُصابُ مقاتلُهُ

فأمر لها معاوية بمال عظيم^(٥) وقال : أخبريني بأجود ما قلتَ فيه من الشعر ، قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ فيه من الشعر إلا والذي فيه من خصالٍ الخير أكثرُ منه . ولقد أجدتُ حين قلتُ :

جزى اللهُ خيراً والجزاء بكفهُ فتى من عقيلٍ ساد غير مُكَلَّفٍ
فتى كانت الدنيا تهونُ بأسرها عليه ولا ينفكُ جَمُّ التصرفِ

(١) النسخ جم الدسيعة وهي مائدة الرجل إذا كانت كريمة أو هي الجفنة وهذا البيت ليس في الأغاني .

(٢) في الأغاني : ساريا . وفي ت : ساهرا .

(٣) في الأغاني : من بات جاره .

(٤) في الأغاني : من أي الرجال كان .

(٥) في الأغاني : فأمر لها بجائزة عظيمة .

يُنَالُ عَلَيَّاتِ الْأُمُورِ يَهْوِيهِ (١)
هو الذَّوْبُ بَلْ أَرَى الضَّحَاكِي شَيْئَهُ
بِدِرِّيَاقَةٍ مِنْ خَرِ يَسَانِ قَرَقَرٍ (٢)
فِيَا تَوْبَ مَا فِي الْمَيْشِ خَيْرٌ وَلَا نَدَى
يُمَدُّ وَقَدْ أُمْسِيَتْ فِي رَمْسٍ نَفَنَفٍ (٣)
فِيَا لَكَ أَنْ لَوْ كُنْتَ حَيًّا مُسَلِّمًا
لَأَنفَاكَ مِثْلَ الْقَسُورِ الْمُتَطَرِّفِ (٤)
كَأَنَّكَ إِذْ كُنْتَ الْمُنْجَى مِنَ الرَّدَى (٥)

إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ بِالْقَنَا الْمُتَقَصِّفِ (٦)

ويقال : إن الذي خاطبها الحجاج ، وكان عنده أسماء بن خارجة ، فيقال : إن أسماء
ابن خارجة قال لها : أيها المرأة إنك لتصفين هذا الرجل بشيء ما تعرفه العرب به ،
فقلت له : أيها الرجل ، هل رأيت توبة قط ؟ قال : لا ، قالت : أما والله لو رأيته
لوددت أن كلَّ هاتقٍ (٧) في بيتك حامل منه قال : فكأنما قُبِّي في وجه أسماء حبُّ
الرُّمَّان ، فقال له الحجاج : مالك ولها ؟

(١) الهون : الرفق والمشفرة : التطلع إلى الشيء حرصا عليه ، ومنه قول عروة بن أذينة :
لقد علمت وما الإشراف من خلق أن القى هو رزقي سوف يأتي
وفي الأغاني : أغبت كل خرق مشرف .

(٢) الذوب : السيل والأرى : السيل أيضا . والضحاكي منسوب إلى الضحك وهو السيل أو
الشهد . وفي معجم البلدان « لسان » « أو أرى الضحالي » وهو تحريف وفي الأغاني : أو أرى
الخلايشيه . هذا ، والدرىقة : الحر . والفرقف من أوصاف الحر وهي التي ترعد عنها صاحبها .
(٣) التفنف : المفازة والتنفف إسناد الجبل . وفي الأغاني : في ترب تفنف . هذا ، وبمده في
الأغاني بيت .

(٤) القسور : الأسد . والمتطرف : المنفر وفي الأغاني : فيا ألف ألف كنت حيا .

(٥) في ت : من المدا .

(٦) بمده في الأغاني . يبتان .

(٧) الماتق : الشابة .

كان توبة قد رحل إلى الشام ، فرآه ببنى عذرة ، فرأته بُثينة ، فجملت تنظر إليه ، فشقَّ ذلك على جميل ، وذلك قبل أن يظهر حبه لها ، فقال له جميل : من أنت ؟ فقال له : أنا توبةُ بنِ الحَمِير ، فقال له : هل لك في الصِّراع ؟ قال : ذلك إليك ، فشدَّتْ بُثينةُ عليه مِلْحَفَةً مُورَّسَةً فَأَتَزَرَّ بِهَا ، ثم صارعه فصرعه جميلٌ ، ثم قال : هل لك في النِّضال ؟ قال : نعم ، ففاضله فنضله جميلٌ ، ثم قال : هل لك في السِّباق ؟ قال : نعم . فسابقه فسابقه جميل ، فقال له توبة : يا هذا إنك إنما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ، ولكن اهبط بنا إلى الوادي . فهبطا^(١) فصرعه توبة ونضله وسبقه .

(١) كلمة « فهبطا » ليست في الأغاني .

حرف الشاء

ثابت قُطْنَة^(١)

هو ثابت بن كعب وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب، وكنيته أبو الملاء أخو بني أسد ابن الحارث بن العتيك، وقيل بل هو مولاهم، ولُقِّبَ قُطْنَة لأنَّ سهما أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بمض حروب التُّرك، فكان يحمل عليها قُطْنَة.

وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الأموية. وكان في محبة يزيد بن المهلب وكان يُؤيِّيه أعمالا من أعمال الثغور، فيُحَمَّد فيها مَكَانَهُ لِكِفَايَتِهِ وشجاعته.

لما ولي ثابت قُطْنَة عملا من أعمال خراسان سَعِدَ المنبر يوم الجمعة، فرام الكلام فتمدَّر عليه وحَصَرَ فقال: سيَجْعَلُ الله بدم عُسْرٍ يسرا وبعد عَمِيَّ بَيَانًا وأنتم إلى أمير فَمَالُ أَحْوَجُ منكم إلى أمير قَوَالٍ.

وإِلَّا أَكُنْ فيكم خطيبا فأُنْثِي بسمي إذا جَدَّ الوُضْيُ لخطيبُ

فبلغت كلماته خالد بن صفوان - ويقال الأحنف بن قيس - فقال: والله ما علام ذلك المنبر أخطبُ منه في كلماته هذه، ولو أن كلاما يستخفى فيخرجني^(٢) من بلدي إلى قائله استحسانا لأخرجني هذه الكلمات إلى قائلها. وهذه الكلمات بخالد بن صفوان أشبه منه بالأحنف.

(١) الأغاني: دار الكتب ١٤ / ٢٦٣ وانظر من ٢٦٢ ودار الثقافة ١٤ / ٢٤٢ وانظر

من ٢٤٦ ويولاق ١٣ / ٤٩ والسبب ١٣ / ٤٧. والتجريد ١٠٧٨.

(٢) في ١: استخفى وأخرجني.

كان ثابت قطننة يوما قد خطر على باله هذا البيت فقال :

لا يعرف الناس منه غير قطننته وماسواه من الأنساب مجهول

وقال : هذا بيت سوء^(١) ، سوف أجي به أو يمناه وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال : اشهدوا أني قائله ، فقالوا له : وبحك ما أردت إلا أن تهجو نفسك ، ولو بالغ عدوك ما زاد على هذا ، فقال : لا بد أن يقع على خاطر غيري فأكون قد سبقته إليه ، فقالوا : أما هذا فشر قد تمجنته ، ولمله لا يقع لغيرك ، فلما هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله ، فشهدوا على ذلك فقال يرد على حاجب الفيل :

هيهات ذلك بيت قد سبقته به فاطلب له ثانياً يا حاجب الفيل

كان هذا حاجب بن ذبيان المازني ، وهو حاجب الفيل ، والفيل لقب لقب به^(٢) .

وكان حاجب الفيل وقد على يزيد بن المهلب ، فدخل عليه وعنده ثابت قطننة وكتب الأشقرى . فأنشده لما مثل بين يديه :

إليك امتطيت العيس تسعين ليلة	أرجى ندى كفيك يا ابن المهلب
وأنت امروء جادت سماء يمينه	على كلٍّ حَيٍّ بين شرقٍ ومغربٍ
فجذ لي يطرف أعرجي مطهم	سليم الشفلاء عبل القوائم منه ^(٣)
طوى الضم من البطن حتى كأنه	عقاب تدلت من شماريح ككب ^(٤)

(١) كلمة سود ليست في الأغاني .

(٢) في الأغاني : لقبه به ثابت قطننة وكتب الأشقرى .

(٣) الطرف : الكريم من الخيل . وأعرجى نسبة إلى أعرج وهو فرس كريم مشهور في العرب . والشفلاء : عظم لاسق بالركبة . والبل : الضخم . والمنهب : الفرس الفائق في العدو . وفي الأغاني : أعرجى مشعر .. سلهب . ويده في الأغاني بيت .

(٤) الصاريخ : رهوس الجبال . وككب : جبل بمرقات . والبيت جاء في المختار سادسا ولقمناه لأن ما يده مرتبط به .

تُبَادِرُ جَنَحَ اللَّيْلِ قَرَحِينَ أَقْوَبَا من الزاد في قعر من الأرض مُجْدِبٌ^(١)
فَلَمَّا رَأَتْ صَيِّدًا تَدَلَّتْ كَانَهَا دَلَاةٌ تَهَاوَى مَرَقَبًا بِمَدِّ مَرَقَبٍ^(٢)
وَسَابِقَةٍ قَدْ أَتَقْنَ التَّيْنَ جَذَلَهَا وأَسْمَرَ خَطَى طَوِيلٍ مُجْرَبٍ^(٣)
وَأَبْيَضَ مِنْ مَاءِ الْحَدِيدِ كَانَهُ شَهَابٌ مَتَى يَلْقَى الضَّرِيَّةَ يَقْضِبُ^(٤)
وَقُلْ لِي إِذَا مَا شِئْتُ فِي حَوْمَةِ الْوَقَى تَقْدَمُ أَوْ أَرْكَبُ يَا ابْنَ ذِيانٍ أَرْكَبُ^(٥)
فَأَنَّى أَمْرُوهُ مِنْ قُصْبَةٍ مَازِنِيَّةٍ نَمَانِي أَبُ ضَخْمٍ كَرِيمٍ الْمُرْكَبِ
فَأَمْرُ لَهُ يَزِيدُ بِفَرَسٍ وَدِرْعٍ وَسَيْفٍ وَرَمَحٍ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتُ^(٦) يَا ابْنَ ذِيانٍ
مَا شَرَطْتَهُ لَنَا عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَالَ : أَسْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، حَجَّتِي بَيْنَهُ وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ « وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَأْوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ »^(٧) فَقَالَ لَهُ ثَابِتٌ قَطَنَةُ : مَا أَعْجَبَ مَا وَفَدْتَ مِنْ بَلَدِكَ فِي تَسْعِينَ
لَيْلَةً ، مَدَحْتَ الْأَمِيرَ بَيْنَتَيْنِ ، وَسَأَلْتَهُ حَوَائِجَكَ فِي عَشْرَةِ آيَاتٍ ، وَخَتَمْتَ شِعْرَكَ
بِبَيْتٍ تَمْخُرُ بِهِ عَلَيْهِ^(٨) ، فَلَمَّا أَعْطَاكَ مَا سَأَلْتَ حَدَّثْتَ عَمَّا شَرَطْتَهُ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ
وَأَكْذَبْتَهَا ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَخْدَعُهُ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ : مَهْ يَا ثَابِتُ ، إِنَّا لَا نَخْدَعُ وَإِنَّمَا
تَخْدَعُ . وَسَوْغُهُ مَا سَأَلَهُ ، وَأَمْرُ لَهُ بِأَلْفِي دِرْهَمٍ . وَهَجَا ثَابِتًا فَقَالَ فِيهِ :
لَا يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قُطْنَتِهِ وَمَا سِوَاهَا مِنَ الْأَنْسَابِ بِمَجْهُولٍ

(١) أَقْوَى : اقْتَرَفَ ، وَاسْتَفْنَى فِيهِ شَيْءٌ .

(٢) الدَّلَاةُ : الدَّلْوُ . وَبَعْدَهُ فِي الْأَغَانِي بَيْتٌ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « التَّيْنَ سَمْعُهَا » وَالتَّيْنُ : الْحَدَادُ .

(٤) الضَّرِيَّةُ مَا يُضْرَبُ وَيَقْضَبُ : يَفْطَحُ .

(٥) فِي الْأَغَانِي : أَوْ أَرْكَبُ حَوْقَهُ لِلْوُتْ أَرْكَبُ .

(٦) فِي ثَوْبِ الْأَغَانِي : « قَدْ عَرَفْتُ » وَكَلِمَةُ « يَا ابْنَ ذِيانٍ » لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي .

(٧) سُورَةُ الشُّعْرَاءِ الْآيَاتُ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٨) هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْقَصِيدَةَ ١٣ بَيْتًا .

دخل حاجبٌ يوماً على يزيد بن المهلب وعنده ثابت قطنة وكعب الأشقرى ،
وكانا لا يفارقان مجلسه ، فوقف بين يديه ، فقال : تكلم بحاجتك يا حاجب ، فقال :
يأذن لى الأمير أن أنشده أبياتا . قال : لا ، حتى تبدأ فتسأل حاجتك ، قال :
أيها الأمير ، إنه ليس أحد ولو أطلب فى وصفك بموفيك حقك ، ولكن الجهد
محسن ، فلا تهجنى بمنمى^(١) الإنشاد واثّن لى فيه ، فإذا سمعت فجودك أوسع
من مسألتى ، فقال له يزيد : هات ، فازلت مجيداً محسناً ، فأنشده :

كم من كيمى فى الهياج تركته يهوى لفيه مجندلاً مقتولا
جللت مفروق رأسه ذا رونق غضب المهزّة صارما مصقولا
قدت الجياد وأنت غرّ يافع حتى اكتهت ولم تزل مأمولا
كم قد خزيت وكم جزيت معاشراً وكم اقتشلت وكم شفيت غليلاً^(٢)

فقال له يزيد : سل حاجتك ، فقال : ما على الأمير بها خفاء ، قال : قل ،
قال : إذا لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الأمير مع عظم قدره ، فقال : أجل ،
لست بما يصير إليك أعبط منا . قال : تحملنى وتكسونى^(٣) وتخدمنى وتجزل لى
جائزنى . فأمر له بخمسة نخوت وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبرذون وخمسة
آلاف درهم . فحسده^(٤) ثابت قطنة فقال : والله لو على قدر شعرك أعطاك لما خرجت
بعل كنفك ، ولكنه أعطاك على قدره ، وقام مغضباً وقال للحاجب [زيد بن المهلب]^(٥)
إنما فعل الأمير هذا ليضع منا بإجزاله العطية لئلا نل هذا ، وإلا فلو أنا اجتهدنا

(١) فى ت : بما يمتنى .

(٢) فى ١ : « كم خزيت وكم جربت » وفى الأغاني : كم قد حريت وقد جربت .

(٣) كلمة « وتكسونى » ليست فى الأغاني .

(٤) قبل هنا فى الأغاني بيتان مدح بهما حاجب يزيد .

(٥) ما بين مقطوفين زيادة من الأغاني .

في مديحه ما زادنا على مثل هذا . وقال ثابت قُتْنة يهجو حاجباً :

أحاجب لولا أن أصلك رُنية^(١) وأنتك تجبول على اللؤم والكفر
وأنت لو أكثرت فيك مقصراً رميتك رمياً لا يبيد مدى الدهر
فقل لي ولا تكذب فإني عالمٌ بمثلك هل في مازن لك من ظهري^(٢)
فإنك منهم غير شك ولم يكن أبوك من النر الجحاحجة الزهر^(٣)
[أبوك^(٤) دباقي وأنتك حرة ولكنك لا شك وافية البظر
فلست بهاج يا ابن ذبيان حشة ولا رنية حتى أغيب في القبر
وقل أنت ماشئت ابن ذبيان إنني

سأكرم نفسي عن سباب ذوى الهجر]

فقال حاجب : والله لا أرضى بهجاء ثابت وحده ولا بهجاء الأزد كلها ،
ولا أرضى حتى أهو الميمن طراً ، فقال :
دهوني وقحطاناً وقلولوا لثابت
فللنجم خير حين تنسب والدًا من أبناء قحطان التنايلة النرل^(٥)

(١) كذا في أول مع ضبطه وليس في هذه المادة إلا قولهم يا ابن ترنا كناية عن الثيم وى ت :
مزة . وى الأغاني : زيف وبسبب أصوله زيفة هذا ، ولعل رنية هي زنية .

(٢) الظاهر يراد به الأنصار والقوة هنا عن طريق الكناية .

(٣) الجحاحجة : السادة .

(٤) الأبيات الثلاثة بين معقوفين ليست في ت ولا في ك وإعاضها في ت وى الأغاني : منها بيتان
باختصار شطري بيتين فرواية الثاني هكذا : فلست بهاج يا ابن ذبيان إنني سأكرم نفسي ... ،
وانظر المامش الذي قبل هاشمين عن كلمة رنية والمسة لعلها تأنيث للحش بمعنى المخرج أو موضع
قضاء الحاجة .

(٥) النرل : جمع أغرل وهو الذى لم يحتمل . وى نسخ المختار ه حين نسب وإثاءه وبالأغاني
وهامش ك وعليها علامة صح كما أثبت .

(١٠ / ٢ مختار الأغاني)

أَناسٌ إِذَا الْهَيْجَاهُ شَبَّتْ رَأَيْتَهُمْ أَذَلَّ عَلَى وَطْءِ الْهَوَانِ مِنَ النَّعْلِ
 نِسَاؤُهُمْ فَوْضَى لِمَنْ كَانَ مَاهِرًا وَجِيرَانُهُمْ نَهَبُ الْفَوَارِسِ وَالرَّجُلِ
 كَانَ ثَابِتَ قُطْنَةٍ قَدْ جَالَسَ قَوْمًا مِنَ الشَّرَاءِ وَقَوْمًا مِنَ الرُّجْتَةِ ، وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ
 وَيَتَجَادَلُونَ ^(١) بِخِرَاسَانَ ، فَمَالَ إِلَى قَوْلِ الْمَرْجُتَةِ وَأَخَذَهُ ^(٢) وَعَمِلَ قَصِيدَةً فِي الْإِرْجَاءِ ^(٣) .
 لَمَّا وَلَّى سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْحَارِثُ بْنُ الْحَكَمِ مِنْ أَبِي الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ خِرَاسَانَ
 بَعْدَ عِزْلِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أُمَيْمٍ جَلَسَ يَعْزِضُ النَّاسَ ، وَعِنْدَهُ حَمِيدُ الرُّؤَاسِيِّ وَعُبَادَةُ
 الْحَارِثِيِّ ، فَلَمَّا دُعِيَ بِثَابِتِ قُطْنَةٍ تَقَدَّمَ وَكَانَ شَاكِي السَّلَاحِ ^(٤) جَوَادَ الْفَرَسِ فَارْسَا
 مِنَ الْفَرَسَانِ ، فَسَأَلَ عَنْهُ سَعِيدٌ فَقَبِلَ لَهُ : هَذَا ثَابِتُ قُطْنَةٍ ، وَهُوَ أَحَدُ فَرَسَانِ الثُّغُورِ ،
 فَأَمَضَاهُ وَأَجَازَ عَلَى اسْمِهِ : فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ حَمِيدٌ وَعُبَادَةُ : هَذَا الَّذِي يَقُولُ :
 إِنَّا لَضُرَّابُونَ فِي حَمْسٍ الْوَعْيِ رَأْسُ الْخَلِيفَةِ إِنْ أَرَادَ مَسْدُودَا
 فَقَالَ سَعِيدٌ : عَلَى بَهْ ، فَرَدُّوهُ وَهُوَ يَرِيدُ قَتْلَهُ ، فَلَمَّا أَنَا قَالَ لَهُ : أَنْتَ الْقَاتِلُ :
 * إِنَّا لَضُرَّابُونَ فِي حَمْسٍ الْوَعْيِ *
 قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا الْقَاتِلُ :
 إِنَّا لَضُرَّابُونَ فِي حَمْسٍ الْوَعْيِ رَأْسُ الْمُتَوَجِّعِ إِنْ أَرَادَ مَسْدُودَا ^(٥)
 عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ أَوْ خِلْفَائِهِ أَوْ رَامَ إِفْسَادًا وَجَّحَ عَنْسُودًا ^(٦)
 فَقَالَ لَهُ سَعِيدٌ : أُولَى لَكَ ، لَوْلَا أَنْكَ خَرَجْتَ مِنْهَا لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ .

(١) فِي ١ : وَيَتَجَادَلُونَ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : وَأُحْبِه .

(٣) أَوْرَدَ أَبُو الْفَرَجِ الْقَصِيدَةَ خَمْسَةَ عَشَرَ بَيْتًا .

(٤) فِي الْأَغَانِي : تَامَ السَّلَاحِ .

(٥) فِي ١ ، ت : رَأْسُ الْخَلِيفَةِ .

(٦) فِي الْأَغَانِي : وَكَرَّ عَنْوَدًا .

لما قُتِلَ الْمُفَضَّلُ بْنُ الْمُهَبَّبِ دَخَلَ ثَابِتٌ قَطْنَةَ عَلَى هِنْدَ بِنْتِ الْمُهَبَّبِ وَالنَّاسَ حَوْلَهَا
يَمِزُونَهَا فَقَالَ :

وَعَاثِرٌ فِي سَوَادِ الْقَلْبِ يُؤْذِنِي	يَا هِنْدُ كَيْفَ بِنُصْبٍ بَاتَ يُكَيِّفِي
لَيْلُ السَّلِيمِ فَأَمِيصًا مِنْ يُدَاوِينِي ^(١)	كَأَنَّ لَيْلِي وَالْأَسْدَاءَ هَادِيَةً
هَمْ إِذَا عَرَّسَ السَّارُونَ يُشْجِينِي	إِذَا ذَكَرْتُ أَبَا عَسَّانَ أَرْقِي
وِعِصْمَةً وَثَمَالًا لِلْمَسَاكِينِ	كَانَ الْمُفَضَّلُ عِزًّا فِي ذُرَايِمِنِ ^(٢)
قَلْبِي وَفِي نَصَبٍ قَدْ كَادَ يُبْلِيْنِي ^(٣)	مَا زِلْتُ بِمَدَكٍ فِي هَمٍّ يَبِيشُ بِهِ
فِي حُومَةِ الْمَوْتِ لَمْ يَصَلَوْا بِهَا دُونِي	إِنِّي تَذَكَّرْتُ قَتْلِي لَوْ شَهِدْتَهُمْ
حَرْبًا نَبِيَّ بِهِمْ قَتَلَى فَيُشْفِينِي ^(٤)	لَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ إِنْ لَمْ أَجْنِرْ بَعْدَهُمْ

فَقَالَتْ هِنْدُ : اجْلِسْ يَا ثَابِتُ ، فَقَدْ قَضَيْتَ الْحَقَّ ، وَمَا مِنَ الْمَنِيَةِ مِنْ بُدْ
وَكَمْ ^(٥) مِنْ مَيِّتَةٍ أَشْرَفَ مِنْ حَيَاةٍ حَيٍّ ، وَلَيْسَتْ الْمَصِيبَةُ فِي قَتْلِ مَنْ اسْتَشْهَدَ ذَابًّا
عَنْ دِينِهِ ، مَطْلِعًا لِرَبِّهِ ، وَإِنَّمَا الْمَصِيبَةُ فِيمَنْ قُتِلَ نُصْرَتُهُ ^(٦) ، وَخَلَّ ذِكْرُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ،
وَأَرْجُو أَلَّا يَكُونَ الْمُفَضَّلُ عِنْدَ اللَّهِ خَامِلًا ، فَمَا كَانَ مَقَامُهُ فِي طَاعَتِهِ خَامِلًا ^(٧) ، فَيَقَالُ :
إِنَّهُ مَا عَزَى أَحَدٌ يَوْمَئِذٍ بِأَحْسَنٍ مِنْ كَلَامِهَا .

(١) بِسَدِّهِ فِي الْأَغَانِي بَيْت .

(٢) فِي الْأَغَانِي : فِي ذَوَى يَمِنَ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « تَجِيشُ بِهِ نَفْسِي » وَفِي تَجِيشٍ بِهِ فَكَّرِي .

(٤) فِي الْأَغَانِي : فَيُشْفُونِي . وَفِي ت « حَرْبًا بَيْنَ بِهِمْ » وَفِي ذ : حَرْبًا بَيْنِي . هَذَا وَنَبِيٌّ مِنْ

أَبَاءِ الْقَاتِلِ بِالْقَتِيلِ : قَتَلَهُ .

(٥) فِي الْأَغَانِي : وَمَا مِنَ الْمَرْتَبَةِ بِد .

(٦) فِي الْأَغَانِي : قَتَلَ بِصِيرَتِهِ .

(٧) جَلَّةٌ « فَمَا كَانَ مَقَامُهُ فِي طَاعَتِهِ خَامِلًا » لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي .

خطب ثابت قطنه امرأة كان يعيل إليها وجعل السغير بينه وبينها جوهر^(١)
ابن سعيد المحدث ، فدرس إليها جوهر فخطبها لنفسه ، فتزوجها ودفع عنها ثابته ،
فقال حين بان الأمر :

أَفْشَى عَلَى مَقَالَةٍ مَا قُلْتُهَا	وسعى بأمرٍ كان غيرَ سَدِيدٍ
إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ حِينَ ظَلَمْتَنِي	رَبِّي وَلَيْسَ لِي دَعَا بِيَعِيدٍ
أَلَّا تَزَالَ مُتَيْمًا بِخَرِيدَةٍ	تَسْبِي الرِّجَالَ بِمُقْلَتَيْنِ وَحِيدٍ
حَتَّى إِذَا وَجِبَ الصَّدَاقُ تَلَبَّسْتُ	لَكَ جِلْدٌ أَغْصَفَ بَارِدٍ بِصَمِيدٍ ^(٢)
تَدْعُو عَلَيْكَ الْحَادِثَاتُ مِرَّةً ^(٣)	فَتَرَى الطَّلَاقَ وَأَنْتَ غَيْرُ سَحِيدٍ

فلقي جَوهر^(١) كلَّ ما دعا عليه ثابت به ، ولحقه في المرأة كلُّ شرٍّ وضرٍّ
حتى طلقها بعد أن قبضت صداقها .

وكان ثابت قطنه مع يزيد بن المهلب في يوم المقر^(٥) ، فلما خذله أهل المراق
وقرؤوا عنه قال ثابت قطنه يرثيه :

كَانَ الْقَبَائِلُ بِأَمْرِكَ عَلَى الْقَدَى ^(٦)	تَدْمُو إِلَيْهِ وَتَاهُوكَ وَسَارُوا
حَتَّى إِذَا حَمِيَ الْوَعْيُ وَجَعَلَتْهُمْ ^(٧)	نُصَبَ الْأَسِنَّةُ أَسْلُوكَ وَطَارُوا
إِنْ يَقْتُلُوكَ فَإِنَّ قَتْلًا لَمْ يَكُنْ	عَارًا عَلَيْكَ وَتَقْضُ عَهْدِكَ عَارًا ^(٨)

(١) في الأغاني : جوير بن سعيد .

(٢) الأغصاف : المسترخى الأذن من السكالب . وفي الأغاني : يارز بصعيد .

(٣) في الأغاني : « تدعو عليك الحاربات مرة » هذا ، وللمرة : الثابتة القاهرة .

(٤) في الأغاني : جوير .

(٥) المقر : موضع قرب كربلاء كانت فيه موقعة بين مسلمة بن عبد الملك ويزيد بن المهلب ،
وقتل فيها يزيد بن المهلب .

(٦) في الأغاني : كل القبائل .

(٧) في الأغاني : حمس الوعى .

(٨) في الأغاني : وبني قتل عار .

دخل ثابت قطنه على بعض أمراء خراسان - أظنه قتيبة بن مسلم - فدحه
وسأله حاجة فلم يقضها له ، فخرج وقال لأصحابه : لكن يزيد بن المهلب لو سأله هذا
وأكثر منه لم يردني عنه . وأنشأ يقول :

أبا خالدٍ لم يَبْقَ بِمَدِّكَ سَوْقَةٌ وَلَا مَلِكٌ مِمَّنْ يُبَيِّنُ عَلَى الرَّقْدِ
وَلَا فَاعِلٌ يَرْجُو الرِّيدُونَ فَضْلَهُ وَلَا قَائِدٌ ^(١) يَنْكَا الْمَدَوَّ عَلَى الْحَقْدِ
لَوْ أَنَّ النَّابَا سَاعَتْ ذَا حَفِيفَةٍ لَا كَرَمَتْهُ أَوْ عُجْنَ عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ ^(٢)
عَتَبَ ثَابِتٌ قَطْنَةً عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْأَزْدِ فِي حَالِ اسْتَنْصَرٍ عَلَيْهَا بِمُضْهِمٍ فَلَمْ يَنْصُرُوهُ ،

فقال في ذلك :

تَمَفَّقْتُ عَنْ شَتْمِ الْمَشِيرَةِ إِنِّي
وَجَدْتُ أَبِي قَدْ عَفَّ عَنْ شَتْمِهَا قَبْلِي
حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ كَانَ مُرْوَةً وَأَجْهَلُ أَحْيَانًا إِذَا التَّمَسُّوا جَهْلِي

(١) في الأغاني : يرجو المفلون فضله ولا قائل .

(٢) عاج عنه : رجم وانصرف .

ثابت تأبط شرًّا^(١)

هو ثابت بن جابر بن سفيان بن عسل^(٢) بن عدى بن كعب بن حزن بن نيم ابن سعد بن فهم بن عمر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار .
وأمه امرأة يقال لها أمينة^(٣) من بني عبد القين^(٤) بطن من فهم ، ولدت خمسة نفر: تأبط شرًا وریش بَلَنَبْ^(٥) وریش نَسْر، وكعب حَيْدَر ، ولا بواكى له^(٦) ، وقيل : ولدت سادسا واسمه عمرو .

وتأبط شرًّا لقبٌ لَقَبَ به ، ذكر الرواة أنه رأى كبشا في الصحراء فاحتمله تحت إبطه ، فجعل يبول عليه طول طريقه ، فلما قرب من الحى ثَقُلَ عليه الكبش حتى لم يقبله ، فرمى به ، فإذا هو النول ، فقال له قومه : ما كنت متأبطا يا ثابت ؟ قال : النول ، قالوا : لقد تأبطت شرًّا ، فسمي بذلك ، قالوا : والنول سبع من سباع الجن . وقيل بل قالت له أمه : كل أخوتك يا بنى يأتيني بشيء إذا راح غيرك ، فقال لها : سأتيك الليلة فضى فصاد أفاعى كثيرة من أكثر ما قدر عليه ، فلما راح أتى بهن في جراب متأبطا له ، فألقاه بين يديها وفصحها ، فتساعتين في بيتها فوثبت فخرجت ، فقال لها نساء الحى : ماذا أتاك به ثابت ؟ فقالت : أتانى بأفاعٍ في جراب ، قلن : وكيف حملها ؟ قالت :

(١) الأغاني: دار الثقافة ١٤٤/٢١ وانظر ص ١٤٣ بولاق ٢٠٩/١٨ الساسى ٢٠٩/١٨ .

(٢) في الأغاني: عيشل . والشعراء الشعراء ص ٢٧١ : عسل .

(٣) في الأغاني : أمينة وفي ت : أمينة .

(٤) في الأغاني من بني القين .

(٥) في اللسان مادة لقب : « ريش لقب » .

(٦) في ١ : ولا يوالى له .

تأبطها ، قلن : لقد تأبط شرًّا . فلو لم تأبط شرًّا . واحتج من ذكر أنها التول بكثرة شعره في هذا المعنى مثل قوله :

فأصبحت التول لي جارةً فيأجارك لي لك ما أهولا^(١)
فطالبتها بضمها فالتوت علىَّ وحاولت أن أفلا^(٢)
فمن كان يسأل عن جاري فإن لها باللوى منزلا

وبما قال في التول أيضا :

الآ من مبلغ قبيان قومي بما لا تيت عند رحي بطان
وأني قد لقيت التول يهوي يسهب كالصحيفة مصحفان^(٣)
فقلت لها كلا نأضوّرهن^(٤) أخو سفي فخلّي لي مكاني
فشدت شدة نحوي فأهوي لها كفي بمقولي يماني
فأشربها بلا دهن فخرت صريبا للبدن وللمجران^(٥)
فقلت عذ فقلت لها رويدا مكانك إني ثبت الجفان
فلم أنفك متكتئا عليها لأنظر مصيحا ما ذا أتاني
إذا عينان في رأس قبيح كرأس الهر مشقوق اللسان
وسافا مخدج وشواة كلب وثوب من عباء أو شنان^(٦)

(١) في الأغاني : أنت ما أهولا ، ولك ما أهولا . ولك ما أولا .

(٢) في الأغاني رواية ثانية أيضا : مفوت بوجه تقول فاستفولا .

(٣) السهب : الغلاة . والصحفان : ما استوى من الأرض . وفي أصول المختار : يشهب كالصحيفة .

(٤) روايات أخرى في الأغاني : نضو أرض : نضو أين .

(٥) الجران : مقدم النقي .

(٦) المخدج : الناقص الخلق . والشواة : قصف الرأس أو اليد أو الرجل . والشنان : القرب الخلق .

قال أبو عمرو الشيباني : نزلت على حى من فهم إخوة عدوان ، فسألهم عن خبر تأبط شرا ، فقال لى بعضهم : ماسؤالك عنه تريد أن تكون لىاً ؟ قلت : لا ولكن أحب أن أعرف أخبار هؤلاء المدائين فأحدث بها . قالوا : فنحدثك عن خبره ، كان تأبط شرا أعدى ذى سابقين وذى كمبين ، وكان إذا جاع لم تقم له فائسة ، وكان ينظر إلى الأطباء فينتق على نظره اسمها ثم يجرى خلفها فلا يفوته حتى يأخذها فيذبحه بسيفه ثم يشويه ويأكله .

ولقى تأبط شرا ذات يوم رجلا من ثقيف يقال له أبو وهب ، وكان جباناً أهوج ، وعليه حلة جيدة ، فقال أبو وهب لتأبط شرا : بم تغلب الرجال يا ثابت وأنت كما أرى دميم ضئيل ؟ قال : باسمي ، إنما أقول ساعة ألقى الرجل : أنا تأبط شرا ، فينخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت ، فقال له الثقيفى : أقط ؟ قال : قط^(١) قال : فهل لك أن تبينى اسمك ؟ قال : نعم فم تبتاعه ؟ قال بهذه الحلة وبكيتي . قال : أفضل ، ففعل . وقال له تأبط : لك اسمى ولى كيتك ، وأخذ حلته وأعطاه طمريه ، وقال فى ذلك يخاطب زوجته :

ألا هل أتى الحسناء أن حليها	تأبط شرا واكتنيت أبا وهب
فهبه تسمى اسمي وسمي اسمي	فأين له مبرى على معظم الخطب
وأين له بأس كبأسى وسورتى	وأين له فى كل فادحة قلبى

وأحب تأبط شرا جارية من قومه حسناء ، فطلبها زمنا وهو لا يقدر عليها ، ثم لقيته ذات ليلة فأجابته ، وأرادها فمجز عنها ، فلما رأت عجزه تناومت عليه فأنسته وهذا ثم قال :

(١) فى الأغاني : أهبنا فقط ؟ قال : قط .

مالك من أنثى سُلَيْتَ الحِلَّةَ عَجَزَتْ عن جارية زَرْقَلَةَ^(١)
 تمشى إليك مَشِيَّةَ هِرْوَلَةٍ كَشِيَّةَ الأَرُخِ تُرِيدُ المَلَّةَ
 لو أنها راعية في ثُلَّةٍ تَحْمِلُ قِلْعَيْنِ لها قَبْلَةُ
 لَصُرْتُ كَالْهَرَاةِ المُتَلَّةِ^(٢)

الأَرُخُ: الأنثى من البقر التي لم تُنْتَجِجْ ، والمَلَّةُ تريد أن تملأ بعد النهل ، أى أنها قد رويت فشيبتها ثقيلة .

أغار تأبطشرا ومعه عمرو بن براق الفهري^(٣) على بَجِيلَةَ فَأَطْرَدَا^(٤) إبلاً لهما وَنَذَرَتْ^(٥) بهما بَجِيلَةَ فخرجت في آثارهما ، ومضيا هارين في جبال السَّراة وركبا الحَزَنَ فمارضتهما بَجِيلَةَ في السهل ، فسبقوها إلى الوهط ماء : لعمرو بن الماص بالطائف ، فدخلوا لهما في قسبة العيف ، وجاءا إلى العين وقد بلغ العطش منهما ، فلما وقفا عليها قال تأبطشرا لابن براق : أَقِلَّ من الشُّربِ فَإِنها لَيْلَةٌ عَدُوٌّ^(٦) ، فقال : وما يدريك ؟ فقال : والذي أَعْدُوْ بَطْيِرِهِ إِنى لأسمع وَجِيبَ قُلُوبِ الرِّجَالِ تحت قدمي ، وكان من أسمع العرب فقال له ابن براق : ذاك وَجِيبُ قَلْبِكَ . فقال تأبطشرا : والله ما وَجِبَ قَطُّ ولا كان وَجَاباً ، وضرب بيديه على قلبه فشده يده عليه وأساخ نحو الأرض يستمع ، فقال : والذي أَعْدُو بَطْيِرِهِ إِنى لأسمع وَجِيبَ قُلُوبِ الرِّجَالِ . فقال له ابن براق : فَإِنى أَتَزَلُّ بِقَلْبِكَ ، فنزل فشرب وكان ألدَّ القوم عند بَجِيلَةَ شوكةً ، فتركوه وهم في الظلة ، وتزل تأبطشرا ،

(١) الذى فى الأغاني: رقله والرفل: الكثير اللحم. فلعل الزاى هنا زائدة وتوجد فى الفاموس مادة زرقل « بالتألف » ولا توجد فى اللسان يقال: زرقل شمرة: قشه .

(٢) التل: التليظ من كل شئ .

(٣) فى الأغاني: التهمى .

(٤) فى الأغاني: فأطردا لهما .

(٥) نذر به: علمه فطره واستعد له .

(٦) فى الأغاني: ليلة طرد .

فلما توسط الماء وثبوا عليه فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفاً ، وابنُ بَرّاق قريب منهم لا يطعمون فيه لما يلعون من عدّوه ، فقال لهم تأبط شراً : إنه من أصلف الناس وأشدّهم عُجْباً بَمَدّوه ، وسأقول له : استأْسرْ معي فسيَدَعُوهُ عَجْبه إلى أن يمدو بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق : أولها كالريح الهابّة ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث يَكْبُو فيه وَيَمِئُرُ ، فإذا رأيتم ذلك منه فخذوه ، فأنا أحب أن يصير في أيديكم كما صرتُ إذ خالفني ولم يقبل رأيي ونصحي ، وذلك أجمعُ بسمع منه . قالوا : فافعل ، فصاح به تأبط شراً : أنت صاحب في الشدّة والرخاء ، وقد وعدني القوم أن يَمِنُوا عليّ وعليك مما ، فاستأْسرْ وأوسني بنفسك في الشدّة كما كنت أخى في الرّخاء ، فضحك ابنُ بَرّاق وعلم أنه قد كادهم وقال : مهلاً يا ثابت ، أيستأْسر من عنده هذا العدو ؟ ثم عدا فعدا أول طلق كالريح الهابّة ، كما وصف لهم ، والثاني كالفرس الجواد ، والثالث جعل يَكْبُو وَيَمِئُرُ ويقع على وجهه ، فقال ثابت : خذوه . فعدّوا بأجمعهم ، فلما أن نفّسهم عنه شيئاً عدّا تأبط شراً في كتافه ، وعارضه ابنُ بَرّاق فقطع كتافه وأفلتا جميعاً ، فقال تأبط شراً في ذلك كلمته القافية :

يا عيّدُ ما لك من شوق وإِراقٍ ومَرّ طيفٍ على الأهوال طِراقٍ
يسرى على الأيّن والحياتِ مُحْتَفِياً نفسى فداؤك من سائرِ هلى ساقٍ (١)
طيف ابنة الحرّ إذ كنّا نواصلها ثم اجْتَنَبْتُ بها من بعد تَفَرّاقٍ (٢)
لتقرّعين على السنّ من نَدَمٍ إذا تذكّرت يوماً بعض أخلاقٍ (٣)

(١) لم يذكر في الأغاني منها إلا بيت ، وانظرهما في المفضليات أول مقطوعة وعددها ٢٦ بيتاً .

(٢) الأيّن : الحية أو الذكر من الحيات مثل الأيم والأين : التنب والإعباء . وحتفياً : حافياً .

(٣) هذا البيت ليس في الأغاني ولا في المفضليات .

(٤) هذا البيت جاء في المفضليات البيت الأخير السادس والعشرين وجاء في مختصر لها في الشعر

والشعر السابع بيت .

تالله آمن أننى بمسد ما حلفت أسماء بالله من عهد وميثاق^(١)
 ممزوجة الود بيننا واصلت صرمت الأول اللد مصى والآخر الباقي
 فالأول اللد مصى قال مودتها واللد منها هذا غير إحقاق^(٢)
 تعطيك وعد أمانى تفر به كالقطر مر على سخبان براق^(٣)
 إنى إذا خللة ضنت بنائلها وامسكت بضعيف الحبل أخذاق^(٤)
 نجت منها نجاتى من بحيلة إذ ألتيت للقوم يوم الروع أرواق^(٥)

خرج تأبط شراً يشتار عسلا من غاري في بلاد هذيل ، وكان يأتيه في كل عام ،
 فذكر ذلك لهذيل فرصدوه لإبان ذلك ، حتى إذا جاء هو وأصحابه تدلى فدخل النار
 فأغاروا عليهم فأقتروهم فسبقوهم ووقفوا على النار ، فخرّوا الحبل ، فأطلع تأبط
 شراً رأسه . فقالوا : اصعد ، فقال : لا أراكم . فقالوا : بلى قدرأبتنا . قال : فلأم
 اصعد ؟ على الثلاثة أو الفداء ؟ قالوا : لا شرط . قال : اقترأكم قاتلي وآكلى
 جنأى ؟ لا والله لا أفعل ذلك ، وكان قبل ذلك تقب في النار نقبا أعدّه للهرب ، قال
 فجعل يسيل العسل في النار ويهريقه ، ثم عمد إلى زرق فشده على صدره ، ثم لصق
 بالعسل فلم يبرح ينزلق عليه حتى خرج سليبا وفاتهم ، وبين موضعه الذى وقع فيه
 وبين القوم مسيرة ثلاث . وقال تأبط شرا في ذلك :

(١) هنا البيت ليس في المفضليات ولا الأغاني .

(٢) الهذاء : الاسم من هذى يهذى هذيانا . هنا ، وكلمة اللد بمعنى التى . وهذا البيت ليس
 في المفضليات ولا الأغاني .

(٣) الصخبان : الشديد الصخب . والبيت ليس في الأغاني ولا في المفضليات .

(٤) حبل أخذق : أخلاق كأنه حذق أى قطع . والبيت جاء ثالثا في القصيدة في المفضليات .

(٥) أننى أرواقه : اشتد عدوه ، انظر اللسان « روق » ورواية البيت فيه تختلف وكذلك

المفضليات وجاء رابعا .

أقول للحيان وقد صَفَرَتْ لهم وطأى ويوى صَيِّقُ الْحَجَرِ مُعْوَرٌ^(١)
 ما خَطَّتَا إما إِسَارَ وفديَّةً وإما دَمَ والقَتْلُ بِالْحَرِّ أَجْدَرُ
 وأُخْرَى أُصَادَى النَّفْسِ عَنْهَا وَإِنِهَا لَمُورِدُ حَزْمٍ إِنْ فَعَلْتُ وَمَصْدَرُ^(٢)
 فَرَشْتُ لَهَا صَدْرِي فَزَلَّ عَنِ الصَّفَا بِهِ جُوجُوٌ عَيْلٌ وَمَنْ مُخَصَّرُ^(٣)
 نَخْلًا طَسَّهَلَ الْأَرْضُ لَمْ يَكْدَحِ الصَّفَا بِهِ كَدْحَةً وَالْمَوْتُ حَزِيانٌ يَنْظَرُ
 فَأَبْتُ إِلَى فَهْمٍ وَلَمْ أَكْ آيِسَا وَكَمْ مِثْلَهَا فَارَقَتْهَا وَهِيَ تَصْفَرُ^(٤)
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَحْتَلْ وَقَدْ جَدَّ جَدُّهُ أَضَاعَ وَقَالَى أَمْرَهُ وَهُوَ مُذِيرُ
 وَلَكِنْ أَخُو الْحَزْمِ الَّذِي لَيْسَ نَازِلَا بِهِ الْأَمْرُ إِلَّا وَهُوَ لِلْحَزْمِ مُبْصِرُ
 فَذَلِكَ قَرِيعُ الدَّهْرِ مَا عَاشَ حَوْلَ إِذَا سُدَّ مِنْهُ مَنَعَرُ جَاشٍ مَنَعَرُ^(٥)

أغار تأبطشرا على خشم، فقال كاهن لهم: أَرُونِي أَرَاهُ حَتَّى أُؤْخَذَهُ^(٦) لَكُمْ فَلَا يَبْرَحُ
 حَتَّى تَأْخُذُوهُ فَكُنَّاوَا عَلَى أَرَاهُ جَفَنَةً، ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَى الْكَاهِنِ، فَلَمَّا رَأَى أَرَاهُ قَالَ:
 هَذَا مَا لَا يَجُوزُ عَلَى صَاحِبِهِ الْأَخْذَ.

سئل تأبطشرا: أَيُّ يَوْمٍ مَرَّ بِكَ خَيْرٌ؟ قَالَ: خَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي بِلَادٍ
 بِجِيلَةٍ أَضَاءَتْ لِي نَارٌ، فَرَأَيْتُ رَجُلًا جَالِسًا إِلَى امْرَأَةٍ، فَمَدَّتْ إِلَى سِمْنِي فَدَفَنْتُهُ قَرِيبًا،
 ثُمَّ أَقْبَلْتُ حَتَّى اسْتَأْنَسْتُ فَنَبِجَنِي الْكَلْبُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقُلْتُ: بَائِسٌ، فَقَالَ:
 أَذْنُهُ، فَدَنَوْتُ، فَإِذَا رَجُلٌ جُلُجَابُ^(٧) آدَمَ وَإِذَا أَضَوُّ النَّاسِ إِلَى جَانِبِهِ، فَشَكُوتُ إِلَيْهِ

(١) صَفَرَتْ: خَلَّتْ. والمور: التي بدت لك عورته والمجر: الناحية.

(٢) أُصَادَى: أُدَارَى.

(٣) الْجُوجُو: الصدر. والعيل: الضخم.

(٤) تصفر من الصفر وهو التصويت أو من الخلو، صفر بصفر كفرح كفرح.

(٥) بعده في الأغاني: بيت.

(٦) يؤخذه: يعمل له أخذه وهي رقية وسحر.

(٧) الجلجباب: الضخم: وشيخ جلجبابه: كبير مول.

الجوع والحاجة ، فقال : اكشف هذه القصعة ، فكشفها فإذا فيها نمر ولبن ، فأكلت حتى شبع ، ثم خررت متناوياً ، فوالله ما لبثت حتى اضطجع هو ورفع رجله ، ثم اندفع يفتى ويقول :

خير الليالى أن أيت بليلة
ليسل بخيم بين ييش وعتر^(١)
لضجيع آنسة كأن حديثها
شهد يشاب بمزجة من عتير
وضجيع لاهية ألاعب مثنها
بيضاء واضحة كظيظ المتر^(٢)
ولأنت تتلهما وخير منهما
بعد الرقاد وقبل إن لم تسحري^(٣)

ثم انحرف فنام ، ومالت فنامت ، فقلت : ما رأيت كالليلة في الفرة وإذا عشر عشر آوات وأرؤس ثلاثة ، وكلاب فيها عبد واحد ، فوثبت فانتضيت سيفي وانتحيت العبد فقتلته وهو نائم ، ثم انحرفت إلى الرجل فوضعت سيفي على كبده حتى أخرجه من صلبه ، ثم ضربت فخذ المرأة فجلست ، فلما رأته مقتولا جزعت ، فقلت : لا تخافي ، أنا خير لك منه ، قال : وقت فرحلت بمض الإبل وهي تشد معي ، فحملتها ثم أطردت الإبل أنا والمرأة ، فما حلت هقعة حتى نزلت بصعدة بنى عوف بن فهم وأعمرت بالمرأة ، واقلبت منها للتسل أنفسي وأقول :

بجليلة البجلي بت بليلة
بين الإزار وكشعها ثم الصق
بأنيسة طويت على أقراها
طى الحلالة أو كلى النطق^(٤)
فإذا تقوم فصعدة في رملة
لبدت يريق ديمة لم تفدق

(١) روى في مخطوط من الأغاني: « بخيمة بين ييش وعتر » وانظر معجم البلدان « الخيمة ».

(٢) كظيظ : بمولوة .

(٣) في المختار : تسحر .

(٤) الأفراب : جمع قرب وهو الحاصرة والحلالة : علاقة السيف والنطق : التناقض ولزاره حجة .

وإذا تجيء تَجِيَّ بِحَيِّدٍ خَلْفَهَا كَلَّا لَيْتُمْ أَصْعَدُ فِي كَثِيبٍ يَرْتَقِي^(١)
زعم الكواهن والسواحر والرُّقَى أن لا وفاء لعاجز لا يَتَقَيَّ

قال : فهذا خير يوم لقيته . وشر يوم لقيت أنى خرجت حتى إذا كنت في بلاد
ثُمالة أطوف ، حتى إذا كنت في القصر إذا أنا بسبع خَلِيفَات فيهن عبد ، فأقبلت
نحوه وكأني لا أريده ، وحذرتي فجعل يلوذ بناقة حمراء ، فقلت في نفسي : والله إنه
ليَتَقَيَّ بها ، فأفوقَّ له ، ووضع رجله في إبطها ورفعها وأخذ يدور معها ، وإذا هو على
عَجْزِهَا ، وأرميه حين أشرف ، فوضعت سهمي في قلبه ، نفرت وندت الناقة شيئا ،
فقبعتها ، فرجعت فسقنهن شيئا ، ثم قلت : والله لو ركبت الناقة وطردهن ، فأخذت
بمُثْنُونِ الناقة ، ووثبت ، فساعة استويت على ظهرها كرت ترتبع وتبتمها الخَلِيفَات ،
وجعلت أَسْكُنُهَا وذهبت نحو الحى ، فلما خشيت أن تطرحنى في أيدي القوم رميت
بنفسى عنها ، فانكسرت رجلى ، فانطلقت والدَّودُ^(٢) معها . فخرجت أهرج حتى
انحبست في طرف كَثِيبٍ وأخذنى الطلب ، فكثت مكانى حتى أظلمت وشئت لى
ثلاثة أنور ، فإذا نار عظيمة ظننت أن لها أهلا كثيرا ، ونارَ دونها ، ونار صغيرة
فهربت إلى الصغرى^(٣) وأنا أجبر^(٤) فنبحنى الكلب فلما نبحنى الكلب نادى رجل
فقال : من هذا ؟ فقلت : بئس ، فقال إذئنه ، فدنوت ، فلما جلست جعل يسألنى إلى
أن قال : والله إني لأجد منك ريح دم ، فقلت : لا والله ما بى دم ، فوثب إلى فنفصنى^(٥)
ثم نظر في جعبتى ، فإذا السهم دام فقلت : إني رميتُ العشيَّةُ أرنباً ، فقال : كذبت ،

(١) الأيم : الحية وذكر الأضى .

(٢) القود : ثلاثة أبرة إلى تسعة .

(٣) في الأغاني : فهوت الصغرى .

(٤) يجبر : يثب كالجواد يثب في القيد .

(٥) قهقهة : نظر جبه ما فيه .

هذارج دم إنسان ، ثم وثب على ولا أدفع الشر عن نفسي ، فأوثقني كئافا ،
ثم علّق الجنبية والقوس ، وطرحني في كسر البيت ونام ، فلما أسحرت حرّكت رجلي
فإذا هي سالحة واقفلت فيّ الرباط فخلّته ، ثم وثبت إلى قوسى وجمبتى فأخذتهما ،
ثم همت بقتله ثم قلت أنا ضمين الرجل^(١) واخشى أن أطلب فأدرك ولم أقتل أحدا
أحبّ إليّ ، فوليت ومضيت ، فوالله إني لفي الصحراء أحدث نفسي به وإذا أنا به
على ناقة يتبعني ، فلما رأيته قد دنا مني جاست على قوسى وجمبتى ورميته^(٢) ، وأقبل
فأناخ راحلته ثم عقلها ، وأقبل يشتمني ، حتى إذا أمكنني وثبت عليه فما لبنت
أن ضربت به الأرض وبركت عليه أربطه ، فجعل يصيح: يا آل نُمالة لم أركاليوم
في الحين ، فجَبَّته إلى ناقته وركبتها ، فارتعت حتى أحلته في الحى وقلت :

أغرّك منى يا ابن فملة عِلّتى عشية أن رآبت عِلّى رَوّابى^(٣)
وموقد نيران ثلاث فشرّها والأما أوقدتها غير عازِب^(٤)
سَلّت سِلّاحى بالسا وشمتمنى^(٥) فيا خيرَ مسلوب ويا شرَّ سالب
فإن لك لم أخضبك منها فإنها بنات أساويد وشول عقارب^(٦)
فيا ركة الحمراء يا شرَّ ركة لقد كدّت ألفى بعدها غير راكِب^(٧)

(١) الضمن: من به زمانة وإصابة.

(٢) في الأغاني : وأمته .

(٣) رابت عليه روايته شاهة: الشواذب.

(٤) المازب من يرعى إبله بييدا من الدار التي حل بها الحى .

(٥) في الأغاني : سليت سلاحي .

(٦) الشول ماتشول المقرب من ذنبها . والأساود: الحيات . وفي الأغاني: بنوب أساويد .

(٧) في الأغاني : وكادت تكون شر ركة راكِب .

خرج تائب شرا يريد الغارة على الأزد وحده في بعض ما كان يغير عليهم ،
فندرت به الأزد ، فأهملوا له إبلا ، وأمروا ثلاثة من ذوى بأسهم وهم حاجزُ
ابن أبي ، وسوار بن عمرو بن مالك ، وعوف بن عبد الله ، وأمروهم أن يتبعوه
حتى ينام فيأخذوه أخذا ، فكمنوا له مكمننا ، وأقبل تائب شرا فيصير بالإبل
فطردها بعض يومه ، ثم تركها ونهض في شرب لينظر هل يطلبه أحد ، فكمن القوم
حين رأوه ولم يرم ، فلما لم ير أحداً في أثره عاود الإبل فشلتها^(١) يومه وليلتته والغد
حتى أسمى ، ثم عقلها وصنع طعاماً فأكله ، والقوم ينظرون إليه في طلته^(٢) ثم هيأ
مضجماً على النار ، ثم أخذها وزحف على بطنه ، وممه قوسه حتى دخل بين الإبل ،
وخشى أن يكون رآه أحد وهو لا يعلم [ويأبى]^(٣) إلا الحذر والأخذ بالحزم ،
فكث ساعة وقد هيأ سهما على كبد قوسه ، فلما أحسوا نومه أقبلوا ثلاثتهم يؤمون
المهاد الذي رأوه هيأ ، فبرى أحدهم فيقتله ، وجلال الآخرا فرى آخر فقتله ،
وأنتل حاجز هاربا ، وأخذ سلب الرجلين ، وأطلق عقل الإبل وسَلَّها حتى جاء بها
قومه وقال :

أُسيرا ولم يَدْرين كيف حَوِيلِي ^(٤)	تُرَجِّي نساء الأزد طَلَمَة ثابت
طريدٍ ومَسْفوحِ الدماء قتيل	فإن الألى أَوْسَيْنَهُم بين هارب
وطال عليهم مَضْجعى ومقيل ^(٥)	وَحَدَّتْ بِهِمْ حتى إذا طال وَخَدُّهُمْ
إلى المهد حَاتَلْتُ الصِّيا بِمَجْتِيل	مَهَّدْتُ لَهُمْ حتى إذا طال رَوْعُهُمْ

(١) شلتها : طردها .

(٢) الطلة : ذئب من قومه ودب .

(٣) كلمة « ويأبى » زيادة من الأغاني .

(٤) الحويل : الحول والفتنة على التصرف .

(٥) الوخذ : الإسراع . وفي الأغاني : وراب عليهم مضجعى .

فلما أحسوا النوم جاءوا كأنهم سباع أضلت هجمة بسليل^(١)
 فقدت سوار بن عمرو بن مالك بأمر جسر القدين طويسل^(٢)
 فخر كأن الفيل ألقى جرائه عليه بثر تار القواء أسيل^(٣)
 وظل وقاع اللث من وقع حاجز بحرف ولو نهنت سوق قليل^(٤)
 لأبت كما أبأ ولو كنت قارباً لجئت وما مالكت طول ذميل^(٥)
 فسر كندماناك حين تنابها وأنت لم ترجع يمرض قتييل^(٦)
 ستأني إلى فهم غنيمة خلعة وفي الأزد نوح ويلة يمويل^(٧)

ولما انصرف الناس من المستغل^(٨) وهي سوق كانت الرب تجتمع فيه قال عمرو
 ابن جابر أخو ثابت شرا لمن حضر من قومه : لا واللات لا أرجع حتى أغير على بني
 عثير من هذيل^(٩) ، ومعه رجلان من قومه هو ثالثهما ، فأطردوا إبلابني عثير
 وأنهبهم أرباب الإبل ، فقال عمرو : أنا كارت على القوم ، وكان رئيسا ، فرماه رجل^(١٠)
 من بني عثير بسهم فقتله ، فقالت بنو عثير : هذا عمرو بن جابر ، ما تصنعون أن
 تلحقوا أصحابه ، أبمدها الله من إبل ، إنا نخشى أن نلحقهم فيقتلوا منا فيكونوا

(١) الهجمة من الإبل من الأربين إلى ما زادت والسيل مجرى الماء من الوادي أو موضع .
 وفي الأغاني : أضلت هجمة .

(٢) الجسر : الطويل الضخم والقفة : ريش السهم . وفي الأغاني : طويل . والسهم الطويل :
 الملقح بالدم .

(٣) القواء : الأرض القفر .

(٤) القارب : من يدخل سيفه في قرايه والقميل نوع من سير الإبل .

(٥) لا يوجد هذا الاسم في معجم البلدان .

(٦) في أ، ك على غير من هذيل وفي الأغاني : عثير .

(٧) في الأغاني : فكر عليهم .. فخرج في القوم رئيسا ورماه رجل .

قد أخذوا بالثأر ، فرجموا ولم يجاوزوه ، وكانوا يظنون أن ممه ناسا كثيرا ، وقال
تأبط شرا في ذلك شعرا^(١) ثم إن السَّمْع بن جابر أخا تأبط شرا خرج في سمالكك
قومه يريد الغارة على بني عثير ليثأر بأخيه عمرو بن جابر ، حتى إذا كان ببلاد
بني هذيل لقي راعيا لهم ، فسأله فأخبره بأهل بيت من عثير كثير مالهم ، فبَيَّتَهُمْ فلم
يَفِلْ مِنْهُمْ غَيْر ، واستاقوا أموالهم ، وقال السَّمْع بن جابر في ذلك :

بأعلى ذى الجماجم أهلُ دارٍ إذا ظعنْتُ عَشِيرَتَهُمْ أَقَامُوا
طَرَقَهُمْ بِقَتِيَانٍ كَرَامٍ مساعيرٍ إذا حَمِيَ الْقَامُ
مَتَى مَا أَدْعُ فِي فَهْمٍ تُجِيبُنِي وعدوانَ الكرامِ لهم نظامُ

خرج تأبط شرا ومعه مُرَّةٌ بن خُلَيْف يريد الغارة على الأزد ، وقد جمعا الهداية
بينهما ، فلما كانت هداية مُرَّة نس ، فحاد^(٢) عن الطريق ، ومضيا حتى وقعا
بين جبال ليس فيها مياه ، وإذا البيض^(٣) والفراخ يَظْهُور الأكم ، فقال تأبط شرا :
هلكنا واللآلئ يا مُرَّة ما وطئ أحد هذا المكان من الإنس قبلنا ، ولو وطئته الإنس
ما باض الطير بالأرض ، فاختر أى هاتين شئت^(٤) وهما أطول شيء تريناه من الجبال.
فأسد إحداها وتصمد أنت الأخرى ، فإن رأيت الحياة فألج بالثوب ، وإن رأيت
الموت فألج بالسيف ، فإني فاعل مثل ذلك . وأقاما يومين ، ثم إن تأبط شرا
الاح بالثوب ، فأنحدرا حتى التقيا بسفح الجبل ، فقال مُرَّة : ما رأيت يا ثابت ؟
قال : دخانا أو جرادا ، قال مُرَّة : إنك إن جزعت هلكنا ، فقال تأبط شرا :

(١) ذكر الشعر في الأغاني .

(٢) في الأغاني : قهار .

(٣) في الأغاني : بين جبال ليس فيها جبل متقارب وإذا فيها مياه يصبح الطير عليها وإذا

البيض .

(٤) في الأغاني : فاختر أى هاتين الشئتين شئت .

أما أنا فسأخبرم بك من حيث تهتدى الريح ، فسكننا بذلك يومين وليلتين ، ثم سمعا الصوت فقال تأبط شرا : النعم والناس ، أما والله لئن عُرِفْنَا لَنُقَتِّلَنَّ ، وإن أَعْرَفْنَا لَنَدْرُكَنَّ ، فَأَتَى الْحَيَّ مِنْ طَرَفٍ وَأَنَا مِنْ آخَرٍ ، ثُمَّ كُنْ ضَيْفًا ثَلَاثًا فَإِنْ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكَ فَلْيَكْ فَلَا رَجْعَ ، ثُمَّ أَعْرِ عَلَى مَنْ قَبْلَكَ إِذَا بَدَتْ الشَّمْسُ فَكَانَتْ قَدْرَ قَامَةِ ، وَمَوْعِدُكَ الطَّرِيقَ . فَعَمِدَا^(١) حَتَّى إِذَا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ [أَغَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مَا بِلَيْهِ ، فَاسْتَقَا النِّعْمَ وَالنِّعْمَ ، وَطَرَدَا يَوْمًا وَلَيْلَةً طَرْدًا هَنِيفًا ، حَتَّى أَمْسَا اللَّيْلَةَ الثَّانِيَةَ]^(٢) فَنَدَخَلَ شَيْبًا فَتَحَرَّاهُ قُلُوصًا ، فَبَيْنَا هَا يَشُورَانِ إِذْ سَمِعَا حَسًّا عَلَى بَابِ الشَّعْبِ ، فَقَالَ تَأْبُطْ شَرَا : الطَّلَبُ يَا مُرَّةُ ، إِنْ ثَبِتَ فَلَمْ يَدْخُلْ فَهَمَّ بِحِجَازُونَ ، وَإِنْ دَخَلَ فَهَمَّ الطَّلَبُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ سَمِعَ الْحَسَّ يَدْخُلُ ، فَقَالَ مُرَّةُ : هَلَسْنَا ، وَوَضَعَ تَأْبُطُ يَدَهُ عَلَى عَصَدِ مُرَّةٍ فَرَأَاهَا تُرْعَدُ ، فَقَالَ : مَا أَرَعِدَ عَصُدُكَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ أُمَّكَ الْوَالِدِيَّةِ^(٣) مِنْ هَذِيلٍ ، خَذْ ظَهْرِي ، فَإِنْ نَجِوْتُ نَجِوْتَنِي ، وَإِنْ قَتَلْتُ وَقَيْتَكَ . فَلَمَّا دَنَا الْقَوْمُ أَخَذَ مُرَّةُ بِظَهْرِ تَأْبُطْ شَرَا فَقَتَلَ رَجُلًا ، وَرَمَوْهُ بِسَهْمٍ فَأَعْلَقُوهُ فِيهِ ، وَأَفْلَتَا جِيْمَا بِأَنْفُسِهِمَا ، فَلَمَّا أَمِنَا وَكَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ مُرَّةُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ غَنِيمَةً أُخِذَتْ عَلَى حِينٍ أَشْرَفْنَا عَلَى أَهْلِنَا وَعَضَّ مُرَّةُ عَصُدَهُ ، وَكَانَ الْحَيَّ الَّذِينَ أَغَارُوا عَلَيْهِمْ بِحِيْلَةٍ . وَأَتَى تَأْبُطْ شَرَا امْرَأَتَهُ ، فَلَمَّا رَأَتْ جِرْحَهُ وَلَوَتْ .

فقال تأبط شرا في ذلك :

وَبِالشَّعْبِ إِذْ سَدَّتْ بِحِيْلَةٍ فَبَجَّهُ^(٤) وَمِنْ خَلْفِهِ هَضْبٌ طُولًا وَجَامِلٌ^(٥)

(١) في الأغاني : فَعَمِلَا .

(٢) ما بين مقوفين ساقط من الأغاني .

(٣) في الأغاني : الرَّابِيعَةِ .

(٤) في الأغاني : هَضْبٌ صَفَارٌ وَجَامِلٌ . وَفِي ت « هَضْبٌ مِمَادٌ » وَفِي ك « هَضْبٌ مِمَارٌ » وَهَامِشُهُ هَضْبٌ طُولًا مِثْلُ أ . وَالْجَامِلُ : جَمَاعَةُ الْإِبِلِ .

شَدَدْتُ لِأُنْجِي الرء مُرَّةً عَزَمَةً وقد نُصِبْتُ دُونَ النَّجَاءِ الْحَبَائِلُ^(١)
 وَقُلْتُ لَهُ كُنْ خَلْفَ ظَهْرِي فَإِنِّي سَأُقْدِيكَ فَاظْطَرْ بِمَدُّ مَا أَنَا فَاعِلُ^(٢)
 فَعَاذَ بِحِدَّةِ السَّيْفِ صَاحِبُ أَمْرِهِم وَخَلَّوْا عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يُجَاوِلُوا
 وَأَخْطَأْتُمْ قَتْلِي وَأَنْجَيْتُمْ صَاحِبِي^(٣) عَلَى اللَّيْلِ لَمْ تَوْخِذْ عَلَى الْمُحَاتِلِ
 وَأَخْطَأْتُ غَنَمَ الْقَوْمِ مُرَّةً بِمَدِّ مَا حَوَتْهُ إِلَيْهِ كَفَّهُ وَالْأَنَامِلُ
 يَمُضُّ عَلَى أَطْرَافِهِ كَيْفَ فَاتَهُ وَدُونَ الْمَلَا سَهَبٌ مِنَ الْأَرْضِ قَاتِلُ^(٤)
 فَقُلْتُ لَهُ هَذِي بَيْنِيكَ وَقَدْ تَرَى^(٥) لَهَا ثَمَنًا مِنْ نَفْسِهِ مَا يُزَاوِلُ
 تَوَلَّوْا سُدِّي إِذْ أَتَيْتُ مُجْرَحًا إِلَيْهَا وَقَدْ مَنَنْتُ عَلَى الْمُقَاتِلِ
 وَكَأَنَّ أَنَا هَارِبًا قَبْلَ هَذِهِ وَمِنْ غَانِمٍ فَأَيْنَ مِنْكَ الْوَلَاوِلُ

وكان من شأن تأبط شرا أنه خرج من أهله بنارة من قومه يريدون بني صاهلة
 ابن كاهل بن الحارث بن تميم^(١) ، وكان ذلك في عقب الشهر الحرام ، حتى هبط
 صدر أدام ، وحفص^(٢) من جماعة بني صاهلة واستقبل القلعة^(٣) ، فوجد بها دارا
 من بني ثقاتة بن عدى ليس فيها إلا النساء ورجل واحد ، فبصر الرجل بتأبط شرا
 في الضحى وخشيه ، فقام الرجل إلى النساء فأمرهن فجعلن رء وسهن خمرأ وجعلن

(١) في الأغاني: شدد لنفس الرء مرة حزمه. وروى: شددت لصبر الرء. وروى: شددت
 لسبق الرء.

(٢) في الأغاني: ما أنت فاعل.

(٣) في الأغاني: ورفضت صاحبي.

(٤) السهب: القلعة. وفي الأغاني: كيف زوله ودون الملا سهل من الأرض مائل.

(٥) في الأغاني: هذى بذاك.

(٦) تميم بن سعد بن هذيل وهو غير تميم بن أد بن ملاجمه.

(٧) حفص القوم: طرحهم وراءه.

(٨) في ت: البلاغة وفي أ: البلاعة. وفي ك: اللاعة.

دروهم أردية ، وأخذن عمّد بيوتهن فجعلن لها حائل كالسيوف ، ثم تأبطنها ، ونهض ونهضن معه ، وأمرهن أن لا يبرزن جدًّا^(١) وجعل هو يبرز للقوم ليروه ، وطَفِقَ يُنْزِي^(٢) ويصيح على القوم ، حتى فزع تأبط شرا وأصحابه . وذلك في بقية ليلة أوليتين من الشهر الحرام ، فنهضوا في شُبِّ يقال له شُبِّ وَرَيْثِل^(٣) وتأبط شرا ينهض في الشعب مع أصحابه ثم يقف في آخرهم ويقول : يا قوم لكتأتما يطردكم النساء ، فيصيح أصحابه ويقولون : انج أدركك القوم ، فتأني نفسه ، فلم يزل به أصحابه حتى مضى معهم ، فقال تأبط شرا في ذلك :

أبعد النَّفَائِيَّينَ أَزْجَرُ طَائِرًا وَأَسَى عَلَى شَيْءٍ إِذَا هُوَ أَذْبَرَا
أُسْهِنُهُ رَحْلَى عَنْهُمْ وَإِخْلَمَ مِنْ الدَّلَّ يَمْرًا بِالتَّلَاعَةِ أَغْفَرَا^(٤)
وَإِنْ نَالَتِ الْكَفَّانِ أَصْحَابِ نَوْفَلٍ يَحْمَمَهُنَّ مِنْ بَيْنِ طَيِّ فَرَّعَرَا^(٥)

قال : ثم أطلعوا الصّدْرَ حين أصبحوا ، فوجدوا أهل بيت شاذٍ من بني فُزَيْمِ ابنِ أُمَارِ^(٦) ، فظلل يراقبهم حتى أمسوا ، قال : وقد كانت وريدة قالت لمولاهما ساعدة : يا مولاي إني قد رأيت اليوم القوم أو نفر بهذا الجبل ، فبات الشيخ حذرًا قائمًا بسيفه بساحة أهله ، وانتظر تأبط شرا وأصحابه أن يغفل الشيخ ، وذلك آخر ليلة من الشهر ، فلما خَشُوا أن يفصحهم الصبح ولم يقدروا على غِرَّةٍ منه مشوا إليه وغرّوه ببقية الشهر الحرام ، وأعطوه من مواثيقهم ما أقتنه وشكوا إليه الجوع ، فلما اطمان

(١) في الأغاني : خدا .

(٢) هراء أيضا في المختار ينزي .

(٣) في الأغاني : وشل .

(٤) البحر : الجدى ربط عند زية الأسد أو الثعلب لصاد به . وقت بالبلاغة وفي : بالبلاعة .

(٥) روى في الأغاني : من بين ظن . من بين طر .

(٦) في بقية أشعار المهذلين ص ٤٥ ذنب أمار . هذا ، وأمار جبل .

إليهم وثبوا عليه فقتلوه وابنا له صغيرا حين يمشى قال : ومضى تأبط إلى ابن له صغير
 ذى ذؤابة كان أبوه قد أمره أن ينام وراء ماله ، يقال له سفيان بن ساعدة ، فأقبل إليه
 تأبط شرا مستترا بمجنّة ، فلما خشى الغلام أن يناله تأبط شرا بسيفه وليس مع الغلام
 سيف وهو مَفُوقٌ سهمًا ، رمى بِحِجْنٍ تأبط بحجر ، فظنّ تأبط أنه قد أرسل سهمه ،
 فخطَّ بِحِجْنَهُ ، فرماه الغلام بالسهم فلم يخطئ لَبْتَهُ (١) حتى خرج منه السهم ، ووقع
 في البطحاء حذاء القوم وأبوه مُمَسَّكٌ ، فقال أبو الغلام حين وقع السهم : أحاط به
 سفيان (٢) فحرّد القومُ فذلك حين قتلوا الشيخ وابنه الصغير . ومات تأبط شرا ،
 فانطلق أصحابه وتركوه ، فجعل لا يأكل منه سبع ولا طائر إلا مات ، فاحتلمته هذيل
 فألقته في غار رَحْمَانَ ، فذلك حين تقول أمه ترضيه :

نِمْمَ الْفَتَى غَادِثَمَ يَرْحَمَانُ بَثَابَتِ بْنِ جَابِرِ بْنِ سُفْيَانِ
 يُجَدِّلُ الْقِرْنَ وَيَرْوِي النَّدْمَانَ فِي مَاقِطٍ يَحْمِي وَرَاءَ الْإِخْوَانِ (٣)
 وقالت أيضا :

وابناه وابن الليل ليس بِزُمَيْلٍ (٤)
 شروب للقيمل (٥) رَقُودٌ بِاللَّيْلِ
 بِمَرْضِ النَّوَلِ (٦) بَوَادِي ذِي هَوَلٍ

(١) في ١ : البتة .

(٢) في الأفاقي : أحاطته سفيان .

(٣) الماقط : الموضع الذي يقتلوت فيه .

(٤) الزميل : الضيف .

(٥) القيل : الابن الذي يشرب في منتصف النهار .

(٦) النول : المفازة .

أَجْرِدْ بِاللَّيْلِ^(١) يَجْرُ الدَّيْلُ^(٢)
يَضْرِبُ بِاللَّيْلِ^(٣) يَرْجُلُ كَالْتَوْلِ^(٤)

وكان تأبط يقول قبل ذلك :

ولقد علمتُ لتمدونَ على شيمٍ كالحسائلِ^(٥)
يا كُنْ أَوْصَالًا وَلِحَ ما كالشكاعى غير خاذلِ^(٦)
يا طير كُنْ فَانِي سمٌ لَكُنْ وذو دَعَاوِلِ^(٧)

(١) فى الأغاني : أجزت بالليل .

(٢) القليل هنا : طرف الثوب .

(٣) القيل هنا : آخر الجيش .

(٤) الرجل اسم جمع للرجل أو جمع له والتول : جماعة النحل والدير .

(٥) الشيم : السود . والحسائل : الرذال من كل شيء ، ويريد بالشيم التى كالحسائل : الطيور والوحوش .

(٦) الشكاعى : شجرة صغيرة ذات شول . وفى الأغاني : غير جاذل والمأذل : المنتصب ، وفى

المختار : كالتباعى . ولعل التباعى جمع كالتوائع وهى النصوص الموائل .

(٧) الدعاول : الدواهى . وروى بهامش ١ ، ك أيضا : وذو دعاثل فتكوت جمع الدغيلة

وهى ما يدخل فى الأمر ويفسده .

حرف الجيم

جَرُولُ الحَطِيثَةِ^(١)

الحَطِيثَةُ لَقَبٌ لِقُبَّ به ، واسمه جَرُولُ بن أوس بن مالك بن جُوَيْهية بن غزوم
ابن مالك بن غالب بن قُطَيْمَةَ بن عَبْس بن بَقِيض بن الريس بن غطفان بن سعد بن قيس
ابن عيلان بن مضر بن نزار .

هو من نخول الشعراء ومقدميهم وفصحائهم ، مُتَعَرِّفٌ في جميع فنون الشعر
من المديح والمهجاء والفخر والتسبيح مجيد في ذلك أجمع ، وكان ذا شَرٍّ وسفه ونسبُه
مُتَدَاخِلٌ بين قبائل العرب . كان ينتمى إلى كل واحدة منها إذا غضب على الآخرين وهو
مُخَضَّمٌ : أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم ، ثم ارتد وقال في ذلك^(٢) :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ يَنْتَنَّا فَيَا لَعِبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ
أَبُورَثْمَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ فَتِلْكَ لِمَعْرُ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهِيرِ

وكنية الحَطِيثَةُ أبو مُلَيْكَةَ ، وغلب الحَطِيثَةُ عليه لِقصره وقربه من الأرض ،
وقال أبو نصر بن الأعرابي^(٣) : سُمِّيَ الحَطِيثَةُ لِأَنَّهُ ضَرِطَ ضَرْطَةً بَيْنَ قَوْمٍ ، ففيل له :
ما هذا ؟ فقال : إِنَّمَا هِيَ حَطَاءٌ^(٤) فَسُمِّيَ الحَطِيثَةُ .

(١) الأغاني : دار الكتب ١٥٧/٢ . وينظر فيه س ١٥٥ ودار الثقافة ١٢٠/٢ وينظر ١٢٨
وبولاق ٤٣/٢ . والساسي ٤١/٢ والتجريد ٢٢٢ .

(٢) انظر الطبري حوادث سنة ١١ منسوبان للحطيل بن أوس أخى الحطيثة ضمن أبيات .

(٣) في الأغاني : « أبو نصر الأعرابي » أما مخطوطات المختار الثلاثة فكما أثبت .

(٤) في أغلب أصول الأغاني حطاء كما هنا في نسخ المختار وفي نسخة من مخطوطات الأغاني :
حطيثة . هذا ، والمطأ : الضربة .

وكان إذا غضب على بني عيس قال : أنا من ذُهل ، وإذا غضب على بني ذهل قال : أنا من عيس .

وقال ابن الكلبي : كان الحطيئة مَمُوزَ النسب ، وكان من أولاد الزنَاء الذين شرفوا .

وقال الأصبغى : كان الحطيئة يضرب بنسبه إلى بكر وائل ، فقال في ذلك :

قَوِي بنو عوفِ بنِ عَمِّ رِ وإن أراد السلمَ عالمٌ

قوم إذا ذهب خَصَا رِمُ منهم خَلَفَتْ خَصَارِمُ ^(١)

لا يمشون ولا تَبِ ت على أنوفهم الخاطمُ

وقدم [على] ^(٢) الكوفة فَنَزَلَ في بني عوف بن عامر بن ذهل فسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال في ذلك :

سِرى أَمَامَ فَإِنَّ المَالَ يَجْمَعُهُ سَتِيبُ الإله وإقبالى وإدبارى

إلى معاشر منهم يا أَمَامَ أبى من آلِ عوفٍ بَدُوءٌ ^(٣) غيرَ أشرار

تمشى إلى ضوء أحساب أضأن لنا ما ضوأت ليلة القمرَاء للساوى

وكان أوس بن مالك تَزَوَّجَ بنتَ رِباح بن عوف بن عمرو ^(٤) بن الحارث بن سَدُوس ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة وكانت لها أمة يقال لها الضراء ، فأعلقها بالحطيئة

(١) المضارم : جمع المفزرم : وهو الجواد الكثير الطية . أو هو اليد الملول .

(٢) زيادة في ت و ك .

(٣) البدوء جمع البدء : وهو اليد أو الشاب المتجدد الرأى المستشار . وفي أصول الأغاني « بدور » مثل (ت) واعتمدت ما في غطلوى ا ، ك مثل الديوان س ١٩٢ طبع أوروبا ٨٩ طبع التقدم بشرح السكرى .

(٤) في بعض أصول الأغاني : بنت رباح بن عمرو بن عوف .

ورحل عنها ، وكان لبنت رباح أخ يقال له الأقم ، وكان طويلا أقم^(١) صغير العينين مضبوط اللحيين ، فولدت الصراء الحطيئة فجاءت به شبيها بالأقم ، فقالت لها مولاتها : من أين هذا الصبي ؟ قالت : من أخيك ، وهابت أن تقول لها من زوجك ، فشبهته بأخيها . وقالت : صدقت ، ثم مات الأقم^(٢) وترك ابنين من حرة وتزوج الصراء رجلاً من بني عبس ، فولدت له رجلين ، فكانا أخوي الحطيئة من أمه ، واعتقت بنت رباح الحطيئة وربته ، فكان كأنه أحدهم ، وترك الأقم نخلا باليمامة ، فأثى الحطيئة أخويه من أوس بن مالك فقال لها : أفردا لي من مالكما قطعة ، فقالا : لا ، ولكن أقم معنا ونحن نواسيك وقد كانت أمه لما اعتقتها بنت رباح اعترفت بأنها علفت من أوس بن مالك ، فقال الحطيئة :

ألمرغاني أن أقما عليكما كلاً لمرأىيكما الخناق^(٣)
عبدان خيرهما يشل مضيئه شل الأجير فلاقص الرزاق^(٤)

وسأل الحطيئة أمه عن أبيه فغلطت عليه فقال :

تقول لي الصراء لست لواحدٍ ولا اثنين فانظر كيف شرك أولئكا
وأنت امرؤ تبني أباك ضلته^(٥) هيلت ألما تستغنى من ضلالكا

فغضب عليها ولحق بأخويه من الأقم ، فلم يدموه ولم يقبلوه فسألهم عن ميراثه من الأقم ، فأعطوه نخلات من نخل أبيهم تدعى نخلات أم مليمكة امرأة الحطيئة ،

(١) الأقم من التقم : وهو أن تدخل الأسنان العليا . أو أن يخرج أسفل اللحي ويدخل أعلاه ويقال لكل موج : أقم .

(٢) في المخطوطات الثلاثة للمختار وثلاثة مخطوطات للأغانى : ثم مات الأقم . كما أثبت ، وغير ماعقود الأغانى بدار الكتب لى : ثم مات أوس .

(٣) في الأغانى : الجباى كالديوان ص ١١٣ .

(٤) النل : الطرد وفي ١ وك : يشل بضيئه وفي الأغانى : يشل بضمه .. الوراق

(٥) في الأغانى : أبأ قد ضلته .

فلم تقنمه النخيلات وأقام فيهم زمانا ، فسألهم عن ميراثه مُكَلَّامًا الأَقَمَ ، فلم يبطوه
 شيئا وصرفوه^(١) فغضب عليهم وقال :
 تَخَنَيْتَ بَكْرًا أَنْ تَكُونَ عِمَارَتِي^(٢) وقوى وبكرٌ شرُّ تلك القبائل
 إذا قلت بَكْرِيًّا نَبُوْتُمْ بِحَاجَتِي فياليتني من غير بكر بن وائل
 فماد إلى بني عبس ، وانسب إلى أوس بن مالك .
 وقال الأصمى : لما أتى الحطيئة القرية وم بنو ذهل يطلب ميراثه من الأَقَمِ
 مدحهم فقال :

إِن الِإِمَامَةَ خَيْرٌ سَاكِنَهَا أَهْلُ الْقُرْيَةِ مِنْ بَنِي ذُهَلٍ
 الضَّامِنُونَ لِحِسَارِ بَيْتِهِمْ حَتَّى يَمَّ نَوَاهِضَ الْبَقْلِ^(٣)
 قَوْمٌ إِذَا اتَّسَبَوْا فَرَعُهُمْ فَرَعِي وَائْتَبْتُ أَصْلَهُمْ أَصْلِي
 فلم يبطوه شيئا فقال يهجوهم :
 إِن الِإِمَامَةَ شَرٌّ سَاكِنَهَا أَهْلُ الْقُرْيَةِ مِنْ بَنِي ذُهَلٍ
 وَالْقُرْيَةُ مَنَازِلُهُمْ ، وَلَمْ يَثْبِتِ الْحَطِيئَةُ فِي هَؤُلَاءِ .

وكان الرجل الذي تزوج أم الحطيئة أيضا ولد زنا اسمه الكلب بن الكبيش^(٤)
 ابن جابر بن قطن بن نضل ، وكان الكبيش يزني بأمة لزرارة يقال لها رُسَيْيَّة ،
 فولدت له الكلب ويربونها ، فطلبهما من زرارة ، فتنه منهما ، فلما مات طلبهما^(٥)

(١) في الأغاني : كاملا . . . وضربوه .

(٢) الصارة أصغر من القيلة .

(٣) نواهض البقل : ما استوى منه . وفي الأغاني : الضامنون لال جارم كالدويان من ٩٠

« التقديم » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : كنبس .

(٥) في الأصول والأغاني : « فطلبهم . . منهم » وجاء بعد ذلك : فتنه منهما .

من ابنه لقيط ، فتمه منهما ، وقال لقيط في ذلك من أبيات :

أفنى نصف شهر ما صبرتم لحقنا ونحن صبرنا قبل ذاك سنينا

فتزوج الكلبُ الضراء أم الحطيئة فهجاه الحطيئة وهجأه فقال :

ولقد رأيتك في النساء فسوتني وأبأ ببنيك فساءني في الهجاس
إن الدليل لمن تزور ركابه رهط ابن جحش في مضييق الحبس^(١)
فصبح الإلهُ قبيلة لم يعموا يوم المجير جارهم من فقس^(٢)
أبلغني بني جحش بأن نجارهم لوئم وإن أباهم كالهجرس^(٣)

وقال يهجو أمه أيضا :

جزاك الله شرا من عجوزي ولقائك المقوق من البنين
فقد أهلك أمر بنيك حتى^(٤) تركهم أدق من الطحين^(٥)

وقال فيها أيضا :

تدعني فاجلسي معي بميدأ أراح الله منك العالينا
أعربا لا إذا استودعت سرا وكانوا على التصديفينا^(٦)
حياتك ما علمت حياة سوء وموتك قد يسر* الصالحينا

(١) في نسخ من الأغاني : « في المخلوب الموس » أما مخطوطات المختار ونسخة من الأغاني وديوان الحطيئة النسخة المخطوطة بدار الكتب ٣ أدب ش وم ٥٥ مطبعة التقدم فكما أثبت .

(٢) المجير : جبل أو أرض ذكره ياقوت وفقس : حى من أسد .

(٣) المجرس : ولد الفرد أو الثعلب ، وقد يوصف الثيم بالمجرس .

(٤) في الأغاني : « أملكك أمر بنيك » وفي اللسان مادة سوس وديوانه ص ٦١ : لقد

سوست .

(٥) بعده في الأغاني بيتان .

(٦) الغربال كناية عن المنام والكانون كناية عن الثقل الرخم .

وكان الحطيئة جشعا سؤولا ، ملحقا ، ذنى النفس ، كثير الشر ، قليل الخير ،
بخيلا ، قبيح المنظر ، رث الهيئة ، ممنوز النسب ، فاسد الدين ، وماتشاه أن تقول
في شعر شاعر عيبا إلا وُجد فيه ، وقلما تجد ذلك في شعره .

وقال أبو عبيدة : بخلاء العرب أربعة : الحطيئة ، وحُميد الأرقط ، وأبو الأسود
الدؤلى ، وخالد بن صفوان . وكان الحطيئة بديها هجاء ، فالتبس ذات يوم إنسانا
يهجوه فلم يجدوه ، وضاق عليه ذلك ، فحمل يقول :

أبت شفتاي اليومَ إلا تكَلَّمَا بشرٍ فما أدرى لمن أنا قائلةُ
وجمل يَدُهور هذا البيت في أشدائه ولا يرى إنسانا ، إذ اطلع في رَكِيٍّ
أو حوض فرأى وجهه فيه فقال :

أرى لِي وَجْها شَوَّهَ اللهُ خَلْقَهُ ^(١) ففُجِّحَ من وَجْهِهِ وَقُبِّحَ حَامِلُهُ
ولما قدم الحطيئة المدينة أُرصدت له قريش المطايا ، والناس في سنة مُجْدبة
وسخطة من خليفة ، فمشى أشراف المدينة بمضهم إلى بضع فقالوا : قد قدم علينا
هذا الرجل وهو شاعر ، والشاعر يظن فيحَقُّ وهو يأتي الرجل من أشرافكم
فيسأله ، فإن إعطاه جَهدَ نَفْسِهِ وبَهْرَها ^(٢) ، وإن حرمه هُجاء ، فأجمع رأيهم على أن
يجعلوا له شيئا مُعَدًّا يجمعونه بينهم له ، فكان أهل البيت من قريش والأنصار
يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين دينارا ، حتى جمعوا له أربعمئة دينار ، وظنوا
أنهم قد أغنوه فأتوه فقالوا : هذه صلة آل فلان ^(٣) فأخذها ، وظنوا أنهم كَفُّوه من
السَّأله ، فإذا هو يوم الجمعة قد استقبل الإمام مائلا ^(٤) ينادى : من يحملني على بنلين
وقاه الله كَبَّةَ جهنم .

(١) في ديوانه ١٢٠ م التذم « قبح الله مثله .

(٢) بهرما : أوقع عليها البهر وهو الإعياء . وفي الأغاني جهد نفسه بهرما .

(٣) في الأغاني : « هذه صلة آل فلان وهذه صلة آل فلان » .

(٤) مائلا : قائما .

وكان الخطيئة متين الشعر شرود القافية دنى النفس ، وبلغ من دناءة نفسه أنه أتى كعب بن زهير ، وكان الخطيئة راوية زهير وآل زهير ، فقال له : لقد علمت روايتي لكم وانقطاعي إليكم وقد ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلت شعرا تذكر فيه نفسك وتضمني موصفا بمدك ، تبدأ بنفسك فيه ثم تُنتهي بي ، فإن الناس لأشعاركم أروى وإليها أسرع ، فقال كعب :

فمن للقوافي شأنها من يحوكها إذا ما نوى كعبٌ وفورَ جرّولُ
كفيتك لا تلقى من الناس واحدا تنخل منها مثل ما تنخل
قول فلا نثيا بشيء نقوله ومن قائلها من يُسئ ويعمل^(١)
تثقفها حتى تلين مئونها ويقصر عنها كل ما يتمل^(٢)
فاعترضه مزرد بن ضرار أخو الشماخ ، واسمه يزيد ، وكان عربياً فقال :

فباستك أن خلفتني خلف شاعر من الناس لم أكني ولم أتنخل^(١)
فإن تخشبا أخشب وإن تنخلا وإن كنت أفتى منكلا - أتنخل^(٢)
فلمست كسان الحسام بن ثابت ولست كشماخ ولا كالمخبل

قال أبو عبيدة : بينا سميد بن العاص يُمشي الناس بالمدينة ، والناس يخرجون أولاً فأولاً إذ نظر على بساطه رجلا قبيح المنظر رث الهيئة جالسا مع أصحاب سمرة . فذهب الشرط يقيمونه ، فأبى أن يقوم ، وحانت من سميد التفاته فقال : دعوه ، فتركوه ، وخاضوا في حديث العرب وأشعارها ملياً ، فقال لهم الرجل^(٣) : والله

(١) فوز: مات.

(٢) في الأغاني : ويجمل وفي ديوان كعب ص ٦٠ : يقول فلا ييا كعب .

(٣) تختلف روايته في ديوان كعب .

(٤) الإكفاء من عيوب الشعر وهو من المخالفة بين حركات الروى .

(٥) خشب الشعر : لم يتأق فيه .

(٦) في الأغاني : « الخطيئة » هنا ، والرجل هو الخطيئة

ما أصبتم جيد الشعر ولا شاعر العرب ، فقال له سعيد : أفتعرف^(١) من ذلك شيئا ؟
فقال : نعم . قال : فمن أشعر العرب ؟ قال : الذي يقول :
لا أعدُّ الإقتار عُدْمًا ولكن قدَّ من قدَّ رزقته الإعدام
وأنشدها حتى أتى عليها ، فقال له : من يقولها ؟ قال : أبو ذؤاد الإيادي . قال :
ثم من ؟ قال : الذي يقول :

أفلح بما شئت فقد يدرك بالـ جهل وقد يُخدع الأريب^(٢)

ثم أنشدها حتى فرغ منها ، قال : ومن يقولها ؟ قل : عبید بن الأبرص ، قال :
ثم من ؟ قال : حسبك والله بي عند رغبة أو رهبة ، إذا رفعت إحدى رجلي على
الأخرى ، ثم رفعت عقيرتي بالشعر ، وعويت في أثر القوافي عواء الصميل الصادي إلى
الماء ، قال : ومن أنت ؟ قال : الخطيئة . قال : فرحب به سعيد ثم قال : أسأت بكلماتنا
نفسك منذ الليلة ، ووصله وكساه ، ومضى لوجهه إلى عينة بن النّاس المجل ،
فقال له : ما أنا على عمل فأعطيك ، ولا في مالي فضل عن قومي ، قال له : فلا عليك ،
وانصرف ، فقال له بعض قومه : لقد مررنا ونفسك لشر ، قال : وكيف ؟ قالوا :
هذا الخطيئة ، وهو هاجينا أبيع هاء ، قال : ردّوه ، فردّوه إليه ، فقال : كتمتنا
نفسك كأنك تطلب الملل علينا ، اجلس فلك عندنا ما يسرك ، فجلس ، فقال له :
من أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول :

ومن يجمل المعروف من دون عرضه يفرّه ومن لا يتقّ الشتم يشتم
فقال له عينة : هذا من مقدّمات أفاعيك ، ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السوق

(١) في (ت) أفتعرف .

(٢) أفلح من الفلاح وهو البقاء أي عيش بما شئت من عقل وحق فقد يرزق الأحمق ويحرم
المائل . أو أفلح من الفلاح : وهو الفوز والفطر .

فلا يطلب شيئاً إلا اشترته ، فجعل يمرض عليه الحرّ ورقيق الثياب فلا يريد
ويؤى إلى الكرايس^(١) والأكسية الغلاظ فيشترها له ، حتى قضى أربه ، ثم مضى ،
فلما جلس عينة في نادى قومه أقبل الحطيثة ، فلما رآه عينة قال : هذا مقام المائذ بك
يا أبا مليكة من خيرك وشرك ، فقال : قد كتفت قلت بيتين فاسمهما ، ثم أنشأ يقول :
سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا فسيان لا دمّ عليك ولا سحدا
وأنت امرؤ لا الجود منك سجيّة فتمطى ولا يمدى على النائل الوجدا^(٢)
ثم ركض فرسه وذهب .

قال أبو صفوان : ما من أحد إلا لو شاء أن أجد في شعره مطعنا لوجدته
إلا الحطيثة .

قال حماد : وصمت أبى يقول ، وقد أنشد قول الحطيثة :
وفتيان صدق من عدى عليهم صفايحُ بصرى علقت بالمواقِر
إذا ما دُعوا لم يسألوا من دعاهم ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافِر
وطاروا إلى الجرد المتاق فألجوا وشدوا على أوساطهم بالمناطق
أولئك آباء الغريب وغائّة الصرد سخر وماوى الرُميلين الدرادِق^(٣)
أحلوا حياض المجد^(٤) فوق جباههم مكان النواصي من وجوه السوابق
فقال : ما أزمم أن أحداً بعد زهير أشمر من الحطيثة .

(١) الكرايس جمع الكرايس : وهو الثوب من القطن الأبيض .

(٢) يمدى : يمين . والوجد اليسار والسعة .

(٣) أرسل القوم : همد زادم واقتروا . والدرداق : الصبيان الصغار واحدهم دردق وفى
الديوان ١١٧ أولئك آساد الرين .

(٤) فى ك ، وبعض نسخ الأغاني كما أنبتها . وفى ك وبعض نسخ الأغاني « حياض الموت »
لكن فى ك مضروب عليها وبالهامش كتبت « المجد » وفى الديوان ١١٧ حياض الموت وروى
حياض المجد .

ولما قال ابنُ ميادة :

* تَعَثَّى بِهِ ظِلْمَانُهُ وَجَاءَ ذُرُّهُ *

قيل له : قد سبقك الحطيئة إلى هذا ، فقال : ما علمت أن الحطيئة قال هذا قط ،
والآن علمت أني شاعر حين وأطأت الحطيئة .

وقال الأصبغى - وقد أشد شيئا من شعر الحطيئة - أفسد هذا الشعر الحسن
بجهلاء الناس وكثرة الطمع .

وقال عبد الرحمن بن أبي بكر^(١) : لتيت الحطيئة بذات عِرْقٍ ، فقلت له :
أبا مُليكة ، من أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنه لسان الحية ثم قال : هذا إذا طمع .
وقف أعرابيٌّ على حسان بن ثابت ، وهو ينفد ، فقال له حسان : كيف تسمع
يا أعرابي ؟ قال : ما أسمع بأسا ، قال حسان : أما تسمعون إلى الأعرابي ؟ ما كنتك
أيها الرجل ؟ قال : أبو مُليكة ، قال : ما كنت قط أهونَ عليَّ منك حين اكتنيت
بامرأة ، قال : وما اسمك ؟ قال : الحطيئة ، فأطرق حسان ثم قال له : امض بسلام .
مر ابنُ الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفنائه ، فقال : السلام عليكم ، قال :
قلت ما لا ينكر ، قال : إني خرجت من أهل بني زاد ، قال : ما ضمنت لأهلك قرارك ،
قال : أفأذن لي أن آتي ظلَّ بيتك فأتميتُ فيه ؟ قال : دونك الجبل يفيء عليك ،
قال : أنا ابن الحمامة ، قال : انصرف وكن ابن أوى طائر شئت .

أتى الحطيئة رجلٌ وهو في غم له ، فقال : يا صاحب النعم ، فرفع الحطيئة المعصا
وقال : إنها عجراة من سلمٍ ، فقال الرجل : إني ضيف ، فقال : للضيفان^(٢) أعددتها ،
فانصرف عنه .

(١) في بعض نسخ الأغاني : « بكرة » .

(٢) في الأغاني : « للطرائق » .

ولم ينزل ضيف قط بالحطيفة إلا هجاه ، فنزل به رجل من بني أسد يقال له صخر
ابن أعيا بن طريف^(١) بن عمرو بن قمين فسقاه شربة من لبن ، فلما شربها قال :
رايتُ ابنَ أعيا جاءني يبتغي القرى^(٢) وإن ابنَ أعيا لا محالة فاضحى
شدتُ حيازيم ابنِ أعيا بشرية على ظمأٍ سدّت أصولَ الجوانحِ
ولم أكُ مثلَ الكاهليّ وعرسه بنى الودّ من مطروقة العين طامح^(٣)
غداً باعياً يبتغي رضاها وودّها وغابت له غيبٌ امرئٍ غير ناصح
دعتُ ربّها ألا يزالَ بفسافة ولا يمتدى إلّا رأى جدّ بارح^(٤)
فأجابه صخر بن أعيا فقال :

ألا قبح الله الحطيفة إنه على كلّ ضيف ضافة هو سالح
دعمتُ إليه وهو يحنقُ كلبه^(٥) ألا كلّ كلبٍ لا أبالك نأج
بكيتُ على مدقٍ حيث قرينته ألا كلّ عيسى على الزاد شامح^(٦)
قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العرب بيتاً قط أصدق من قول الحطيفة :
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس
ف قيل له : فقول طرفة :
سبدي لك الأيتام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

(١) في الأغاني : بن أعيا الأسدي أحد بني أعيا بن طريف .

(٢) في الأغاني والديوان ص ٦٣ : لا رأيت لئما يبتغي القرى .

(٣) المطروقة من النساء : التي قد طرفها حب الرجال . أى أصاب طرفها فهي تطيح وتشرف لكل من أشرف لها .

(٤) الجذ : الحظ . والبارح من الطير والوحش تطير به العرب وتنشام . وفي الأغاني والديوان ١٣ : لإعلى حد بارح . هذا ، وتقدم هذا البيت على سابقه في ت .

(٥) دفع إلى المكان ودفع « بالبناء للمجهول » انتهى إليه .

(٦) ابن مدق : مخلوط بالاء . والنأج : الحذر .

فقال : من يأتيك بها من زَوَدَتْ أكثر ، وليس بيتٌ مما قالته العربُ إلا فيه مطعنٌ إلا بيت الخطيئة :

* لا يذهبُ العُرفُ بين الله والناسِ *

وسمع كَبُ الأَحبار رجلاً يَفْشِدُ هذا البيت فقال : والذي نفسى بيده إن هذا البيت لمكتوب في التوراة « لا يذهب العُرف بين الله والمباد » .

قال أبو عدنان : لما حضرت عبيد الله بن شدَّاد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال : يا بني أرى داعي الموت لا يُقْلِع ، ويَحِقُّ^(١) أن من مَضَى لا يَرْجِع ، وَمَنْ بَقِيَ فَإِلَيْهِ يَنْتَرِع ، يا بني ، لِيَكُنْ أَوَّلَى الْأُمُور بِكَ تَقْوَى اللَّهِ فِي السَّرِّ وَالْمَلَانِيَةِ ، وَالشُّكْرَ لِلَّهِ ، وَصَدَقَ الْقَوْلُ^(٢) وَالنِّيَّةُ ، فَإِنَّ لِلشُّكْرِ مَزِيداً ، وَالتَّقْوَى خَيْرُ زَادٍ . كما قال الخطيئة :

ولستُ أرى السَّامِدَةَ جَمَعَ مَالٍ وَلَكِنَّ التَّقَى هُوَ السَّعِيدُ
وتقوى الله خيرُ الزَّادِ ذُخْراً وَعِنْدَ اللَّهِ لِلتَّقَى مَزِيدُ
وما لا بدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ وَلَكِنَّ الَّذِي يَمُضِي بِمَيْدُ

لما جمع أبو موسى الأشعري جيشاً للفرز امتدحه الخطيئة فقال :

جَمَعْتُ مِنْ عَامِرٍ فِيهَا وَمِنْ أَسَدٍ وَمِنْ تَمِيمٍ وَمِنْ حَاءٍ وَمِنْ حَامٍ^(٣)
فَا رَضِيَتْهُمْ حَتَّى رَفَقْتَهُمْ بِوَأَثَلِ رَهْطِ ذِي الْجَدَيْنِ بِسْطَامٍ^(٤)

(١) في بعض أصول الأغاني : ويحق

(٢) في الأغاني : وصدق الحديث .

(٣) حاء : حى من مذبح . انظر ديوانه ص ٣٥ بصرح السكرى مطبعة التقدّم.

(٤) رَفَقْتَهُمْ : أَعْتَمْتَهُمْ . وفي ديوانه ص ٣٥ من واثل رهط بسطام بإصرام . هذا وفي المختار :

حتى وفدتهم .

مُسْتَحَبَاتٍ رَوَّايَاها جَافِلَهَا يَسْمُو بِهَا أَشْمَرِيٌّ طَرَفُهُ سَامِيٌّ^(١)
فوصله أبو موسى ، فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك ، فكتب إليه :
إني اشتريت عرَضِي منه بها ، فكتب إليه عمر : إن كان هكذا فإنما فديت عرضك
من لسانه ولم تعطه للفخر والمدح فقد أحسنت .

قال مكحول : سبق رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس له ، فجثا على ركبتيه
وقال « إِنْهُ لَبَحْرٌ » فقال عمر رضي الله عنه : كذب الحطيطه حيث يقول :
وإن جياذ الخيل لا تستقرُّنا ولا جاعلات الرِّيطِ فوق الماصم^(٢)
لو ترك ذلك أحد تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال أبو عبيدة : أراد الحطيطه سفرا فأثته امرأته وقد قدّمت راحلته ليركب
فقال^(٣) :

عُدِّي السنينَ إِذَا رَحَلْتُ لِمَوَدِّي وَذَرِي الشهورَ فَلِهِنَّ قِصَارُ
' فقالت امرأته :
اذْكُرْ تَحَنُّنًا إِلَيْكَ وَشَوْقًا وَاذْكُرْ بَنَاتِكَ لِهِنَّ مِصَارُ
فقال : حُطُّوا ، لا رحلت لسفر أبدا .

قال رجل : ضُفِت قوما في سفر وقد أضللت^(٤) الطريق فجاءوني يطعمهم أجِدُّ
طعمه في في وثقله في بطني . ثم قال شيخ منهم لشاب : أُنشِدْ عَمَكَ ، فَأُنشِدُنِي :

(١) مستحبات : حملات والروايا : الإبل التي تحمل الأوزاد والجاحفل جمع الجحفة وهي من
الحيل بمنزلة الشفة من الإنسان والضمائر تعود على الإبل والحيل في أبيات قبله ويريد أن الحيل تجنب إلى
الإبل تضع جفافها على أعجاز الإبل .

(٢) الريط جمع الريلة : وهي كل ملاء ذات لفتين أو كل ثوب لين رقيق .

(٣) جملة : فقال والبيت الذي قاله ليست في الأغاني .

(٤) في أصول المختار وأصول الأغاني هكذا « أضللت » وفي اللسان : إذا ضللت المكان قلت :
ضللت . وإذا سقط من يدك شيء قلت : أضلته .

عفا من سُلَيْمَى مُسْحَلَانِ حَامِرٌ تَمْشَى بِهِ ظُلُمَانُهُ وَجَاذِرُهُ^(١)

فقلت له : أليس هذا للحطيطه ؟ فقال : بلى ، وأنا صاحبه من الجن .

قال ابن شبرمة : أنا والله عالم بمجيد الشعر ، ولقد أحسن الحطيطه حيث يقول :

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَيْكُمُ

مِنَ اللَّوْمِ أَوْسُدُوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا^(٢)

أَوَّلُكَ قَوْمَ إِنْ بَنَوْا أَحْسَنُوا الْبُنَى

وإِنْ عَاهَدُوا أَوْفَوْا وَإِنْ عَقَدُوا شَدُّوا

وإِنْ كَانَتِ النَّمَاهُ فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا^(٣)

وإِنْ أُنْمُوا لَا كَدَّرُوهُ وَلَا كَدُّوا

وإِنْ قَالَ مَوْلَاهُمْ عَلَى جُلٍّ حَادِثٍ

مِنَ الدَّهْرِ رُدُّوا فَضَّلَ أَحْلَامَكُمْ رَدُّوا^(٤)

مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَامِ كَاشِفٍ لِلدُّجَى^(٥)

بَنَى لَهُمْ أَبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجُدُ

سَأَلَ أَبُو عَدْنَانَ الْأَسْمَى : مَا وَاحِدُ الْبُنَى ؟ قَالَ : بَنِيَّةٌ ، قَالَ : أَتَجْمَعُ فَعْلَةً عَلَى

مُفْعَلٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، مِثْلَ رِشْوَةٍ وَرِشَاءٍ وَحُبْوَةٍ وَحُبًّا .

(١) مسحلان : موضع وكذلك حامر وذكر ابن السكيت أنهما واديان . انظر معجم البلدان « حامر » والظلمان : النعام . والجاذر أولاد القير .

(٢) هذا البيت والبيت الخامس لم يردا في الأغاني في ترجمته .

(٣) في ديوانه ص ٢٠ : وَإِنْ كَانَتِ النَّمَى عَلَيْهِمْ .

(٤) يسنه في الديوان بيتان .

(٥) في ١ : « مكاشف للآخى » ولعلها تحريف لأن الآخية وهي حلقة تشد بها الدابة : تجميع على أواخي وأخايا .

روى المفضل أن الحطيئة أقمته السنة^(١) فنزل بيتي مُقلد بن ربوع ، فشى
بعضهم إلى بعض وقالوا : إن هذا الرجل لا يسلم من لسانه أحدٌ فتمالوا نساءه عما يحب
أن تفعله وما يحب أن تتناهى عنه^(٢) ، فقالوا له : يا أبا مليكة إنك اخترتنا على سائر
العرب ، ووجب حقك علينا ، فمرنا بما تحب أن تفعله وما تحب أن تتناهى عنه ، فقال :
لا تكثروا زيارتي فتملؤني ، ولا تقطموها فتوحشوني ، ولا تجملوا فناء بيتي بحلسا
لكم ، ولا تسمعوا بناتي غناء شبانكم ؛ فإن الغناء رقية الزنا ، فأقام عندهم ، وجمع
كل رجل منهم ولده وقال : أمكم الطلاق لأن تفسى أحدٌ والحطيئة مقيم بين أظهرنا
لأضرته ضربة بسيفي أخذت منه ما أخذت ، فلم يزل مقبلا فيما يرخصى حتى انجلت عنه
السنة ، فارتحل وهو يقول :

جاءت آل مُقلدٍ فحمدتهم إذ ليس كل أخى جوارٍ يُحمدُ
أيام من يرد الصنيمة يصطنع فينا ومن يرد الزادة يهد

وأما خبره مع الزبرقان فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد ولي الزبرقان بن بدر
ابن امرئ القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم
عملاً^(٣) وأقره أبو بكر رضى الله عنه ، ثم قدم على عمر في سنة مُجدبة ليؤدى صدقات
قومه فلقبه الحطيئة بقرقرى ، ومعه ابناه أوس وسودة ، وامرأته وبناته ، فمره
الزبرقان ولم يعرفه الحطيئة ، فقال له الزبرقان : أين تريد ؟ قال : العراق ؛ فقد حطمتنا
السنة ، قال : وتضع ماذا ؟ قال : وددت أنى أصادف بها رجلا يكتبنى مؤنة هيمالى
وأصفيه مدحى أبدا . قال الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يؤسبك لبنا وتراوٍ وجوارك

(١) أقمته السنة : أوقته في شدة ومشقة . والسنة تطلق على الجذب أيضا .

(٢) في الأغاني : عما يحب ففعله وعما يكره فتجنبه فأثوه فقالوا .

(٣) بها . ش ١ ، ك : « الزبرقان : القمر . والزبرقان : الرجل الخفيف اللحية » وجاء ذلك

في سلب الأغاني عن الأصمعي .

أحسن جوار وأكرمه؟ فقال له الحطيئة: هذا وأبيك العيش وما كنت أرجو هذا كآته ،
قال: فقد أصبته ، قال عندي ، قال : ومن أنت ؟ قال الزرقان بن بدر ، قال :
وأي ن علك ؟ قال : اركب هذه الإبل واستقبل مَطْلِع الشمس وسل عن القمر حتى
تأتي منزلي . وكان اسم الزرقان الحسين بن بدر ، وإنما سمي الزرقان لحسنه ، شَبَّه
بالقمر ، وقيل : بل لبس عمامة مَزْرَقَة ^(١) بالزعران ، فُسِّمَ بذلك ، وقيل : بل قال
له : سر إلى أم شذرة وهي أم الزرقان وعمة الفرزدق ، فكتب إليها : أن أحسن إليهم
وأكثر لي من اللبن والتمر ، وقيل : بل وكله إلى زوجته وهي هُنَيْدَة ^(٢) بنت
صمصمة بن ناجية المجاشعية ، وقيل بل كانت أمه ، وذلك في عام سَعَب مُجْدِب ،
فأكرمه المرأة وأحسنت إليه ، فبلغ ذلك بَنِيض بن عامر بن شَمَّاس بن لَأْي
ابن جعفر - وهو أنف الناقة - بن قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مائة بن تميم .
وبلغ إخوته وبنى عمه وكانوا ينضبون من أنف الناقة . وإنما سمي جعفر أنف الناقة
لأن أباه قُرَيْعاً نحر ناقة فقسمها بين نسائه ، فبعث جعفر أ هذا أمه وهي الشموس
من وائل ثم من سعد هُدَيم ، فأقْبى أباه ولم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها ، فقال :
شأنك وهذا ، فأدخل يده في أنفها ليجرها ، فُسِّمَ أنف الناقة ، وذلك كالقلب لهم حتى
مدحهم الحطيئة فقال :

قَوْمُ هُمُ الْأَنْفُ وَالْأَذْنَابُ غَيْرُهُمْ وَمَنْ يُسَاوِي بَأْنَفَ النَّاقَةِ الدَّنْيَا ^(٣)
فصار بعد ذلك نفرا لهم ومدحا ، وكان بَنِيض وإخوته وأهله ينادون الزرقان
الشرف وهم أشرف منه إلا أنه استولى بنفسه . وكان الحطيئة دميماً سَيِّئُ الْخُلُقِ

(١) مزرقعة : مصبوغة .

(٢) في ١ و ٢ عبيدة وبهاشك : عبيدة . وهنيدة . وفي الأغاني : هنيدة . وستأتي في المختار

هنيدة .

(٣) في الأغاني : ومن يسوى .

لا تَأْخُذُهُ الْيَنُّ وَمَعَهُ عِيَالٌ كَذَلِكَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُمْ أُمُّ شَذْرَةَ هَانَ عَلَيْهَا وَقَصَّرَتْ بِهِ .
وَنَظَرَ بَنِيضٌ وَبَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ مَا تَصْنَعُ بِهِ أُمُّ شَذْرَةَ ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ أَنْ أَتَيْنَا . فَأَبَى
عَلَيْهِمْ وَقَالَ : إِنْ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ التَّقْصِيرِ وَالْفَقْلَةِ ، وَلَسْتُ بِالَّذِي أَحْمِلُ عَلَى سَاحِبِهَا
ذَنْبًا . فَلَمَّا أَلَحَّ عَلَيْهِ بَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ ، وَكَانَ رَسُولُهُمْ إِلَيْهِ شَمَّاسُ بْنُ لَأَى وَعَلَقْمَةُ بْنُ
هُوَذَةَ وَبَنِيضُ بْنُ شَمَّاسٍ وَالْمُجَبَّلُ الشَّاعِرُ . قَالَ لَهُمْ ^(١) : لَسْتُ بِمَحَامِلٍ عَلَى الرَّجُلِ .
ذَنْبٌ غَيْرُهُ ، فَإِنْ تَرَكْتُ وَجُفَيْتُ تَحَوَّلْتُ إِلَيْكُمْ . فَاطْمَعُوهُ وَوَعْدُوهُ وَعَدَّ عَظِيمًا .
وَقِيلَ : إِنَّهُ لَمْ يَجْهَمِ دَسُّوا إِلَى هُنَيْدَةَ زَوْجَةِ الزُّرْقَانِ : إِنْ الزُّرْقَانُ إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ
يَتَزَوَّجَ ابْنَتَهُ مُلَيْكَةَ . وَكَانَتْ جَمِيلَةً كَامِلَةً ، فَظَهَرَتْ لِلْحَطِيطَةِ مِنَ الرَّأْيِ جَفْوَةٌ وَهِيَ
فِي ذَلِكَ تُدَارِيهِ . ثُمَّ أَرَادُوا النُّجْمَةَ فَقَالَتْ لَهُ هُنَيْدَةُ : قَدْ حَضَرَتْ النُّجْمَةُ فَارْكَبْ أَنْتَ
وَأَهْلُكَ هَذَا الظَّهْرَ إِلَى مَكَانٍ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ ارْجُدْهُ إِلَيْنَا حَتَّى نَلْحَقَكَ بِهِ ، فَإِنَّهُ
لَا يَسْتَمْنَا جَمِيعًا ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا : بَلْ تَقْدَسِي ، فَأَنْتِ أَحَقُّ ، فَعَمَلْتُ وَتَسَاقَلْتُ عَنْ رَدِّ
الظَّهْرِ إِلَيْهِ ، فَتَرَكْتُهُ يَوْمَينِ أَوْ ثَلَاثَةً ، وَالْحُجَّ بَنُو أَنْفِ النَّاقَةِ عَلَيْهِ وَقَالُوا : قَدْ تَرُكْتِ
بِمَضِيئَةٍ ^(٢) وَكَانَ أَشَدُّهُمْ فِي ذَلِكَ بَنِيضُ بْنُ شَمَّاسٍ وَعَلَقْمَةُ بْنُ هُوَذَةَ ، وَكَانَ
الزُّرْقَانُ قَالَ فِي عَلَقْمَةَ :

لِي ابْنُ هَمٍّ لَا يَزَا لِي يَمِينِي وَيَمِيبُ عَائِبٌ ^(٣)
وَأَعِينِي فِي النَّائِبَا ت وَلَا يَمِينُ عَلَى النَّوَائِبِ
تَسْرِي عَقَارَهُ إِلَا ي وَلَا تَدِبُّ لَهُ عَقَارِبُ
لَا ابْنُ عَمِّكَ لَا يَخَا ف الْمُخْزِيَاتِ مِنَ الْمَوَاقِبِ ^(٤)

(١) فِي الْمَخْتَارِ : قَالَ لَهُمْ .

(٢) الْمَضِيئَةُ بِكَسْرِ الضَّادِ مَفْعَلَةٌ مِنَ الضِّيَاعِ وَالْمَوَانِ كُوزَتْ مَبِيشَةً وَقَالَ أَيْضًا
بِضِيئَةٍ وَمَضِيئَةٍ يَفْتَحُ لِلْيَمِّ وَسُكُونِ الضَّادِ .

(٣) هَذَا فِي نَسْخِ الْمَخْتَارِ وَنَسْخِ الْأَغَانِي مَا عَدَا نَسْخَةَ وَاحِدَةٍ فَلَيْتَهَا : وَيَمِينُ عَائِبٌ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : الْمُخْزِيَاتِ مِنَ الْمَوَاقِبِ .

فكان علقمة ممتازاً غيظاً عليه ، فلما ألحوا على الحطيئة أجابهم وقال : أما الآن فقم ، إني صائرٌ معكم ، فتحمّل معهم ، فضربوا له قُبّةً ، وربطوا بكلُّ طنبٍ من أطناها جُلّةً هَجَرِيَّةً^(١) ، وأراحوا عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعطوه لِقَاحاً^(٢) وكُسوةً ، فلما قدم الزُّرقانُ سألَ منه فأخبر بقصته ، فنادى في بني بَهْدَلَةَ ابنِ عوف ، وهم لِأُمِّ دُونِ قُرَيْعٍ ، أمهم السَّقَماءُ بنتُ عَنَمٍ بنِ قُتَيْبَةَ من باهلة ، فركب الزُّرقانُ فرسه . وأخذ رِمْحَهُ ، وسار حتى وقف على نادى بنى عبد شمس^(٣) القرُيميين . فقال : رُدُّوا عَلَيَّ جَارِي . قالوا : ما هُوَ لَكَ بجارٍ وقد اطَّرَحْتَهُ وَصَيَّمْتَهُ فأعلمهم أن يكون^(٤) بين الحيتين حَرْبٌ . فحَضَرَمَ أهلُ الحِجَا من قومهم . فلاموا بَنِيضاً وقالوا له : اردُدْ على الرجل جاره ، فقال : لست مُخْرِجُهُ وقد آوَيْتُهُ ، وهو رجلٌ حُرٌّ مَالِكٌ لَأَمْرِهِ . فغَيَّرُوهُ ، فإِن اختارنى لم أَخْرِجْهُ ، وإِن اختاره لم أَكْرِهْهُ ، فغَيَّرُوا الحَطيئةَ فاختار بَنِيضاً وَرَهْطَهُ . فجاء الزُّرقانُ فوقف عليه وقال له : يا أبا مُليكة . أفا رقتِ جوارى عن سخطِ وِذَمٍ ؟ قال : لا . فتركه وانصرف .

وقيل : كان بين الحيتين تَلَاحٌ وَشِجَاجٌ^(٥) وقيل : إن الزُّرقانَ استمدى عُمَرُ ابنُ الخطابِ رضى الله عنه على بَنِيضٍ ، فحَكَمَ عُمَرُ بَأَن يَخْرُجَ الحَطيئةُ حتى يُقامَ في موضعِ خَالِ بين الحيتين وحده ، وَيُخْلَى سَبِيلُهُ وَيَكُونُ جَاراً لِيَهُمَا شَاءَ واختار^(٦) ، ففَعِلَ ذَلِكَ فاختار القرُيميين . وجعل الحطيئة يمدحهم من غير أن يهجو الزُّرقانَ ،

(١) الجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر . وفي ك وضع تحت الماء علامة إجمال لكن السياق يدل على الجلة .

(٢) اللقاح : جمع اللقوح : وهي الناقة الملوب .

(٣) هذا في نسخ المختار وفي الأغاني : نادى بنى شمس .

(٤) في الأغاني : « فألم أن يكون » أى تقرب أن يكون .

(٥) التلاحى : التنازع وفي الأغاني : تلاح وشجاج .

(٦) في ١ ، ك ونسخ الأغاني « أيهما اختار » والزيادة في « ت » قطع .

وهم يحضونه عليه ويحرضونه ، فيأبى ويقول : لا ذنب للرجل ، حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النعم بن قاسط يقال له دثار بن شيان ، فهجا بنيضا فقال :

أرى إلى ينجوف الماء حنت^(١) فأعوزها به الماء الرواء^(٢)
وقد وردت مياه بني قريع^(٣) فما وصلوا القراية إذ أساءوا^(٤)
تحللاً يوم ورد الناس إلى^(٥) وتصدر وهي مئخنة ظماء^(٦)
ألم اك جارس شماس بن لأي^(٧) فأسلمى وقد نزل البلاء^(٨)
فقلت تحوّل يا أم بكري^(٩) إلى حيث الكارم واللاء^(١٠)
وجدنا بيت بهذلة بن عمرو^(١١) تمالئ سمكه ودحا الفناء^(١٢)
وما أضعى لشماس بن لأي^(١٣) قديم في القمال ولا رباء^(١٤)
سوى أن الحطيئة قال قولا^(١٥) فهذا من مقاتله جزاه^(١٦)

فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بنيض قصيدته التي يقول فيها :
والله ما معشر لاموا امرأ جنباً^(١٧) من آل لأي بن شماس بأسياس^(١٨)
الجنب : الغريب .

ما كان ذنب بنيض لا أبالك^(١٩) في بائس جاء يخذو آخر الناس^(٢٠)
لقصد مريتكم لو أن درتكم^(٢١) يوما تجيء على مسحى وإيسامى^(٢٢)

(١) نسب هذا البيت في اللسان مادة روى للحطيئة .

(٢) في الأغاني : مذ أساءوا .

(٣) تحلاً أسلمها تحلاً أى تمتع . ومئخنة : ضامرة .

(٤) دحا الفناء : عظم واتسع .

(٥) الرباء . اللغة والفعل .

(٦) في ديوان الحطيئة ٢٥ قصيدة على وزنها ووافيتها ويرد بها أو قالها قبل هذه وفي هذا

البيت ما يدل على أن الحطيئة سبق بكلام .

(٧) مرى الناقة : مسح ضرعها . والإيساس : أن يسكنها عند الحلب . وفي الأغاني والديوان ٥٢ :

يجيء بها مسحى .

وقد مدحتكم عمداً لأرشدكم
 لما بدا لي منكم عيبٌ أفسدكم^(١)
 أزمعتُ بأسا مئينا عن نوالكم
 جازٍ لقومٍ أطالوا هونَ منزله
 ملؤا قساره وهرته كلابهم
 دعر السكارم لا ترحل لبنيتهما
 من يفعل الخير لا يدمج جوازيه
 ما كان ذنبى أن قلت معاولكم
 قد ناضلوك فسلوا من كنانتهم^(٢)
 كما يكون لكم متحى وإمراسى^(٣)
 ولم يكن لجراحي منكم أمسى
 ولن ترى طارداً للحر كالياس
 وغادروه مقياً بين أرماس
 وجرحوه بأنياب وأغراس^(٤)
 واقعد فإنك أنت الطامع الكاسى
 لا يذهب العرف بين الله والناس
 من آل لآى صفاة أصلها راسى
 مجدداً تليداً وبئلا غير أنكاس^(٥)

فاستمدى عليه الزرقانُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فرفه عمر إليه
 واستنشدته ، فأنشده ، فقال عمرُ لحسان : أترأه هجاء ؟ فقال : نعم ، وسلح عليه .
 فبسه عمر .

وقال عبد الله بن عباس عن الشعبي : شهدت زياداً وقد أتاه عامرُ بن مسمود
 بأبي غلانة التميمي^(٦) فقال له : إنه هجائى ، قال : وما قال لك ؟ قال : قال :
 وكيف أُرَجِّى ثروها ونماءها^(٧) وقد سار فيها خُصيةُ الكلبِ عامرُ

(١) اللج : جذب الدلو من فوق . والإمراس : إن يقع الحبل في جانب البكرة ليخرجه .

(٢) في الأغاني : غيب أفسدكم وكذلك في ديوانه .

(٣) جاء في ت وبأسلك : وجرحوه بأنياب . وصوت بهامشك وجاءت صواباً في
 والأغاني .

(٤) الأنكاس جمع النكس من السهام وهو أضعفها . وفي اللسان مادة نكس « وعزا غير
 أنكاس » وفي الفيوان « فأبدوا من كنانتهم .

(٥) في الأغاني : التيمى .

(٦) في المختار : « ثراها ونماءها » ولا يتقيم البيت . والثرو يكون مصدراً من ثرا المال يثرو
 إذا كثر . ولم يرد الثرو في اللسان وجاء في الأغاني

فقال أبو عُلانة : ليس هكذا قلت ، قال : كيف قلت ؟ قال : قلت :
 وإني لأرجو تَرَوْها وتَمَاءها وقد سار فيها نَاجِدُ الحقِّ عامر^(١)
 فقال زياد : قاتل الله الشاعر ، يَنْقُلُ لسانَه كيف شاء . والله لولا أن يكون
 سَنَةً^(٢) لقطعت لسانك . فقام قيس بن قَهْد الأنصاري فقال : أصلح الله الأمير ،
 ما أدري مَنْ الرجلُ ، فإن شئتُ حَدَّثْتُكَ من عمر بما سمعتُ منه . وكان زيادٌ يمجِّبه
 أن يسمع الحديثَ عن عمر رضى الله عنه . قال : هاتِه ، قال : شهدته وقد آناه
 الزرقان بن بدر بالحطيئة فقال : هجاني ، قال : وما قال لك ؟ قال : قال :

دع المسكَّامَ لا ترحل بُنيتهما واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال عمر رضى الله عنه : ما أسمع هجاء ، لكنني أرى معاتبة ، فقال الزرقان :
 أو ما بلغ من مُروءتي إلا أن آكل وألبس^(٣) ، فقال عمر : علىَّ بحسان ، فجىء به ،
 فسأله ، فقال : لم يهجه ولكن سَلَحَ عليه ويقال إن عمر رضى الله عنه سأل لببيدا
 عن ذلك ، فقال ما يَسْرُني أنه لحقني من هذا الشعر ما لحقه ، وأن لي حُمْرَ النعم ،
 فأمر به عمر فُجِّلَ في تَقِير^(٤) في يَثْرُم أُلْقِيَ عليه شيء ، فقال :

ماذا تقسول لأفراخِ بني أمير^(٥) زُغِبِ الحواصِلَ لا مالا ولا شَجَرُ
 ألقيت كاسِيبهم في قَمَرٍ مُظْلَمَةٍ فاغفرْ هليك سلامُ الله يا عمرُ
 أنت الإمام الذي من بَعْدِ صَاحِبِهِ^(٦) ألقى إليك مَقاليدَ النُهَى البَشَرُ

(١) ق ك : يأخذ الحق عامر .

(٢) ق ك ، ت : سبة .

(٣) ق المختار : إلا أن آكل وأشرب . وصورت من الأغاني .

(٤) التقيير : ما قر من حجر أو خشب .

(٥) ذو أمير : موضع ذكره ياقوت ق « أمر » وفي « مرخ » هذا ، وفي مرخ قال : إن الرواية

المشهورة : بني أمير . هذا ، وفي بعض أصول الأغاني . بني مرخ وكذلك في الديوان ص ٨١ .

(٦) ق المختار : لم يعد صاحبه والتصويب من الأغاني وديوانه ص ٨١ :

لم يُؤثروك بها إذ قدّموك لها لكنّ لأنفسهم كانت بك الخير^(١)
فأخرجه وقال : إياك وهجاء الناس ، قال : إذا يموت عيالي جوعا وعطشا ،
ومكسبي هذا ، ومنه مماشى ، قال : فإياك والقدح من القول . قال : وما القدح ؟ قال : أن تخاير
بين الناس فتقول فلان خير من فلان ، وآل فلان خير من آل فلان ، قال : فأنت والله
أهجي مني ثم قال : لولا أن تكون سنة لقطعت لسانه ، ولكن اذهب فأنت له ، خذ
يا زرقان فأنتي الزرقان في عنقه عمامة فاقتاده بها ، وعارضته غطفان فقالوا له :
يا أبا شدرة ، إختوك وبنو عمك هبّ لنا ، فوجه لهم ؛ فقال زياد لأمير بن مسعود :
قد سمعت ما روي عن عمر وإنما هي السن فاذهب به فهو لك ، فأنتي في عنقه عمامة
أوجبلا ، وعارضته بكر بن وائل فقالوا له : إختوك^(٢) وجيرانك فوجه لهم .

وقال أبو عبيدة : إن الخطيئة قال لا حبسه عمر وهي أول ما قال له :

أعوذ بجمدك إني امرؤ سقني الأعادي إليك السجلا^(٣)
فإنك خير من الزرقان أشدّ نكالا وأرجى نوالا
تحنّ عليّ هداك المليك فإن لكلّ مقامه مقالا
ولا تأخذني بقول الوشاء فإن لكلّ زمان رجلا
فإن كان ما زعموا صادقا فسيقت إليك نساءي رجلا^(٤)
حواسر لا يشتكين الوجا يخفضن آلا ويرفن آلا^(٥)

فلم يثقلت عمر إليه حتى قال :

* ماذا تقول لأفراخ بنى أمير *

-
- (١) في بعض أصول الأغاني : كانت بك الأثر . والديوان كما أثبت .
(٢) في بعض أصول الأغاني : أخواك وجيرانك .
(٣) السجال جمع السجل وهو الدلو العظيم .
(٤) رجالا : جمع رجلة أي راجلة غير راجبة
(٥) الوجا : الحفا والآل : التي تراه في أول النهار وآخره . وهو السراب .

ولما حُبِسَ الحُطَيْيْثَةُ كَلَّمَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فِيهِ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
فَأَخْرَجَهُ ، فَأَنْشَدَهُ قَوْلَهُ :

* مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاحَ بَنِي أَمْرِ *
فَبَكَى عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ : مَا أَظَلَّتِ الْخُضْرَاءُ وَلَا أَقَلَّتِ الْغُبَرَاءُ أَهْدَلَ مِنْ رَجُلٍ
يَبْكِي عَلَى تَرْكِ الْحُطَيْيْثَةِ . فَقَالَ عَمْرُ : عَلَى الْكُرْسِيِّ فَأَتَيْ بِهِ ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :
أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الشَّاعِرِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ الْهُجَرَ ، وَيَنْسُبُ بِالْحَرَمِ ، وَيَمْدَحُ النَّاسَ وَيَذْمُهُمْ
بِئْسَ مَا فِيهِمْ ، مَا أُرَانِي إِلَّا قَاطِمًا لِسَانَهُ ، ثُمَّ قَالَ : عَلَى الْبَطْنِ ، فَأَتَيْ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ :
عَلَى بِالْخَصْفِ ، عَلَى بِالسَّكِينِ ، لَا ، بَلْ عَلَى بِالْمُوسَى فَهُوَ أَوْحَى ^(١) ، فَقَالُوا :
لَا يَبْعُدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَشَارُوا إِلَيْهِ أَنْ قُلْ لَا أَهْوَدُ ، فَقَالَ : لَا أَهْوَدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فَقَالَ لَهُ : النَّجَاءُ . فَلَمَّا وُلِّيَ قَالَ لَهُ عَمْرُ : يَا حُطَيْيْثَةُ ، كَأَنِّي بِكَ عِنْدَ فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ
بَسَطَ لَكَ نُمْرَقَةً ^(٢) ، وَكَسَرَ لَكَ أُخْرَى وَقَالَ : غَنَّنَا يَا حُطَيْيْثَةُ . فَطَفِقَتْ تَغْنِيهِ بِأَمْوَاضِ
النَّاسِ . قَالَ الزَّوَاوِيُّ : فَرَأَيْتِ الْحُطَيْيْثَةَ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ، وَقَدْ بَسَطَ لَهُ
نُمْرَقَةً وَكَسَرَ لَهُ أُخْرَى وَقَالَ : غَنَّنَا يَا حُطَيْيْثَةُ . فَجَعَلَ يُغْنِيهِ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا حُطَيْيْثَةُ ،
أَنْذَكِرُ قَوْلَ عُمَرَ ؟ فَفَزِعَ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَرْءَ ، أَمَا لَوْ كَانَ حَيًّا
لَمَا فَعَلْتُ . قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ لِعُبَيْدِ اللَّهِ : سَمِعْتُ أَبَاكَ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَكُنْتُ أَنْتَ
ذَلِكَ الرَّجُلُ .

وَلَمَّا أُطْلِقَ الْحُطَيْيْثَةَ أَرَادَ أَنْ يُؤَكِّدَ عَلَيْهِ الْحُجَّةَ ، فَاشْتَرَى مِنْهُ أَمْوَاضَ الْمُسْلِمِينَ
بِعَمِيمَا ثَلَاثَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَقَالَ الْحُطَيْيْثَةُ فِي ذَلِكَ :

(١) أَوْحَى : أَسْرَعَ .

(٢) النُّمْرَقَةُ : الْوَسَادَةُ .

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ شَتْمًا يَضُرُّ وَلَا مَدِيحًا يَنْفَعُ
وَحَمِيصِي عِرْضَ اللَّثِيمِ فَلَمْ يَخْفُ ذَمِّي وَأَصْبَحَ آمَنًا لَا يَفْزَعُ
وَلَمْ يَزَلِ الْحَاطِيَةُ فِي بَنِي قُرَيْعٍ يَمْدَحُهُمْ ، حَتَّى إِذَا أَحْيَا^(١) قَالَ لِبَنِيضٍ :
فِي^(٢) لِي بِمَا كُنْتَ ضَمَنْتَ^(٣) ، فَأَتَى بَنِيضٌ عُلْقَمَةَ بِنَ هُوَذَةَ فَقَالَ لَهُ : قَدْ جَاءَ اللَّهُ
بِالْحَيَا ، فَفِي لِي بِمَا قُلْتَ - وَقَدْ كَانَ ضَمِنَ لَهُ مِائَةُ بَعِيرٍ - وَأَبْرَثَنِي مِمَّا كُنْتَ ضَمَنْتَهُ
عَهْدِي^(٤) ، قَالَ : نَعَمْ ، سَلِّ فِي بَنِي قُرَيْعٍ ، فَهَمَّا فَضَّلَ بَعْدَ عَطَايَاهُمَا أَنْ يُتِمَّ مِائَةُ
أَتَمَّتْهُ لَهُ ، فَفَعَلَ ، فَجَمَعُوا لَهُ أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ بَعِيرًا . كَانَ الرَّجُلُ يُعْطِيهِ عَلَى قَدَرِ مَالِهِ
الْبَعِيرَ وَالْبَعِيرِينَ ، فَأَتَمَّتْهَا عُلْقَمَةُ لَهُ مِائَةً وَرَاعِيَيْنِ ، فَدَفَعَتْ إِلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلِ يَمْدَحُهُمْ
وَهُوَ مَقِيمٌ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ رَحَلَ عَنْهُمْ ، فَقَالَ :

لَا يُبِيدُ اللَّهُ إِذْ وَدَّعْتُ أَرْضَهُمْ أَخِي بَنِيضًا وَلَكِنْ غَيْرُهُ يَمِيدًا
لَا يُبِيدُ اللَّهُ مَنْ يُعْطَى الْجَزِيلَ وَمَنْ يَحْبُو الْجَلِيلَ وَمَا كَدَى وَلَا نَكْدَا
وَمَنْ تَلَاقِيهِ بِالْمَعْرُوفِ مُبْتَهَجًا إِذَا أُجْرَهْدَ صَفَا الذَّمُّومِ أَوْ صَلْدًا^(٥)
لَا قِيَّتَهُ فَلَجَأُ^(٦) تَنْدَى أَنَامِلُهُ إِنْ يُعْطِكَ الْيَوْمَ لَا يَمْتَنِعُكَ ذَاكَ غَدًا
إِنْ لَرَأَفَهُ وَدَّى وَمَنْصَرَّتِي وَحَافِظُ غَيْبِهِ إِنْ غَابَ أَوْ شَهِدَا

(١) أَحْيَا : أَمَّا بِهِمُ الْحَيَا وَهُوَ الْمَطَرُ .

(٢) فِي الْخُتَارِ : أَوْفَى لِي .

(٣) فِي الْأَغَانِي : تَضَمَّنْتَ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : مِمَّا تَضَمَّنْتَهُ عَهْدِي .

(٥) اجْرَهْدْتَ الْأَرْضَ : لَمْ يَوْجَدْ فِيهَا نَبَاتٌ وَلَا مَرْعًى وَالصَّفَا : جَمْعُ صَفَاةٍ وَهِيَ الصَّخْرَةُ

لِلنَّسَاءِ . وَصَلْدٌ صَلَوْدٌ : لَمْ يَبُورَ .

(٦) فِي الْأَغَانِي : « تَلَجَأُ » وَمَتَنَاهَا فَرَسًا مُبْتَهَجًا . هَذَا ، وَالْفَلَجُ مِنْ مَعَانِيهِ النَّهْرُ الصَّغِيرُ أَوْ

الْمَاءُ الْجَارِي وَالصَّحْبُ وَفِي ت : لَا قِيَّتَهُ مَا جَدَا ، وَفِي الدِّيَوَانِ ١١٩ كَالْأَغَانِي وَلَكِنَّهُ تَفْذِيلٌ لِلدِّيَوَانِ

وَلَيْسَ مِنْ أَصْلِهِ .

بيننا ابن عباس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد ما كُتِبَ بصره ،
وحوله ناسٌ من قريش إذ أقبل أعرابيٌّ يَخْطِرُ وعليه مطرَفُ خَزْرٍ وَجَبَةُ خَزْرٍ وِعِمَامَةُ
خَزْرٍ ، حتى سَلَّمَ على القوم ، فردوا عليه السلام ، فقال : يا ابنِ عمِّ رسولِ الله أَفْتِنِي .
قال : في ماذا ؟ قال : اتخاف عليَّ جُنَاحا إن ظلمني رجل فظلمتُه ، أو شتمني فشتمتُه ،
وقهرَّ بي فقهرت به ؟ فقال : العفو خير ، ولمن انتصر فلا جُنَاحَ عليه ، فقال :
يا ابنِ عمِّ رسولِ الله ، أرايتَ أمراً أتاني ففرتني ، ووعدني ، ومَنّاني ثم أخلفني ،
واستخفَّ بحرمتي أيسمُّني أبُ أجهود ؟ قال : لا يصلحُ المجاهء ، لأنه لا بدَّ لك
أن تهجو غيره من عشيرته ، فتظلم من لم يظلمك ، وتشتَم من لم يشتَمك ، وتبني
على من لم يبيع عليك ، والبنى مَرَّتَينِ وخيم ، وفي العفو ما قد علمتَ من الفضل .
قال : صدقتَ وبررتَ ، فلم يَنْشَبْ أن جاء^(١) عبد الرحمن بن سَيِّحَانَ الْمُحَارِبِيَّ
حليفُ قريش ، فلما رأى الأعرابيَّ أَجَلَّهُ وأعظمه ، وألطف في مسأَلته وقال :
قَرَّبَ اللهُ داركَ أبا مليكة . فقال ابنُ عباس : أَجْرُولُ ؟ قال : جَرَّوْلُ ، فإذا هو
الخطيئة ، قال ابنُ عباس : اللهُ أنتَ أُمَيَّ مِرْدَى قَذَافٍ وذائدٌ عن عشيرةٍ ومُؤَنِّ
بِمَافَةٍ تَوَاتَها أنتَ يا أبا مليكة ، ولو كنتَ عَرَكَتَ بِجَنَبِكَ^(٢) بعضَ ما كرهتَ
من أمرِ الزُّبُرِ كان خيراً لك . ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلمك وشتمتَ من لم
يشتَمك ، قال : إني واللهِ بهم يا ابنَ العبَّاسِ لعارفٌ^(٣) . قال : ما أنتَ أعلمُ بهم من
غيرك ، قال : بلى واللهِ يرحمك اللهُ . ثم أنشأ يقول :

أنا ابنُ سَجْدَهم عِلْمًا وَتَجَرِبَةً^(٤) فاسأَلْ بِسَمِّهِ تَجَدُّنِي أَعْلَمُ النَّاسِ

(١) في الأغاني : أن أقبل .

(٢) ١ : « لحيك » بدون قط .

(٣) في الأغاني : « يا أبا العباسِ لعالمٌ » وعلق عليه بأن أبا العباسِ كنيةُ عبد الله بن العباسِ

(٤) « ابنُ سجدتها » يقال للعالم بالشيء المتقن له والبجدة : دخلة الأمر وباطنه .

سعدُ بن زيد كثيرٌ إنَّ عَدَدَهُمْ ورأسُ سعدِ بن زيدٍ آلُ شَمَّاسٍ
والزُّبُرَانُ ذُنَابَاهُمْ وشُرُّهُمْ ليس الذَّنَابِيُّ أبا المباس كالرَّاسِ (١)
فقال له ابنُ عباس : أقسمت عليك بالله أن تقول إلا خيراً قال : أفل ، ثم قال
ابنُ عباس : يا أبا مليكة . من أشعر الناس ؟ قال : من الماضين أم من الباقين ؟
قال : من الماضين ، قال : الذي يقول :
ومن يحمل المروف من دُونِ مِرْضِهِ يَفِرُّهُ ومن لا يَتَّقِ الشَّيْءَ يَشْتَمُ
وما بدونه الذي يقول :

ولستَ بمستَبِقٍ أَخَا لَا تَلُمُهُ على شَعَثِ أَى الرجالِ المُهْدَبِ
ولكنَّ الضَّرَاعَةَ أَفْسَدَتْهَا أَفْسَدَتْ جَرَّوَلًا — يعنى نفسه — والله يا ابن عم
رسول الله لولا الطمع والجشع لكنتُ أشعر الماضين ، أما الباقون فلا تَشْكُكْ أنى
أشعرهم وأضردهم سهمًا إذا رَمِيتَ (٢) .
قال أبو عبيدة : إن عبد الله بن أبي ربيعة لما قدم من البَحْرَيْنِ نزل على الزُّبُرَانِ
بمائه خَلَاءٍ عنه (٣) وهو الماء الذي يقال له بُنْيَانُ (٤) فنزل على بنى أنف الناقة بمائهم
وهو الذي يقال له وَشِيع ، فأكرموه وذبحوا له شاة ، وقالوا : لو كانت إبلا منا قريبةً
لنحرنا لك . فراح من عندهم يتغنى فيهم بقوله :

-
- (١) انظر الهامش قبل السابق . والذَّنَابِيُّ : الذنب .
(٢) أضردهم : أفقدهم . وقى ت وأجنهم بها إذا وضيت .
(٣) خلَاءُ عن الماء : منته وجبه عن الورد . وقى المختار : فحناه . وكلمة عنه فى ت فقط
(٤) فى المختار والأغانى : « بنيان » وليس فى معجم البلدان إلا « بنيان » وهو واد « وبنيان »
وذكر البيت : « مقيم على بنيان » ونسب لعلطية وليس فى ديوانه .

وما الزبرقان يوم يَنْسَعُ ماءه بِحُجَسِيبِ التَّقْوَى وَلَا مُتَوَكِّلٍ
مقيمٌ على بُنيانٍ يَنْسَعُ ماءه وماءه وَشِعْبٍ مُطْمَئِنٍّ لُرْمِيلٍ^(١)

فركب الزبرقان إلى عمر فاستمداد على عبد الله وقال : هجائي ، فسأل عمر عن ذلك
عبد الله فقال : إني نزلت على مائه خلّائي منه ، فقال عمر : يا زبرقان ، أتنزع ماءك
من ابن السبيل ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ألا أمتنع ماء حفر آبائي بحاريه ومُسْتَقَرِّه ،
وحفرته أنا بيدي ؟ فقال عمر : والذي نفسى بيده إن بلغني أنك منعت ماءك من أبناء
السبيل لا ساكتفتي بنجدي أبداً ، فقال بمض بني أنف الناقة يميّر الزبرقان بما فعله :

أندري من منعت وَرُودَ حوضٍ سَلِيلَ خَضَارِمٍ مَنَعُوا الْبِطَاحَا^(٢)
أزاد الركبِ تَنَعِ أمِ هِشَامَا وذا الرّحمين أَمْنَمَهُم سِلَاحَا^(٣)
هُم مَنَعُوا الْأَبَاطِحَ دُونَ فُجَرٍ وَمَنْ بِالْخُفِيفِ وَالْبُدْنِ اللَّقَاحَا
بِضَرْبِ دُونَ بِيضَتِهِمْ طَلَخَفِ^(٤) إِذَا الْمَلُوفُ لَذَّ بِهِمْ وَصَاحَا
وما تَدْرِي بِأَيِّهِمْ تُلَاقِي صُدُورَ الْمَشْرِفِيَّةِ وَالرَّمَا

لما حضرت الخطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا : يا أبا مُليكة ، أوصِ .
فقال : ويلٌ للشعر من رَاوِيَةِ السوء . قالوا : أوصِ رحمتك الله يا حُطِيء قال :
من الذي يقول :

-
- (١) في الأغاني : « ماء ظمآن مرمل » وفي معجم البلدان : ماء عطشان مرمل . هذا ،
والمرمل الذي فقد زاده .
(٢) الخضارم : جمع الحضرم وهو المواد الكثير الطيبة . شبه بالبحر الحضرم وهو الكثير
الماء أو هو السيد الحول .
(٣) « زاد الركب » لقب أبي أمية بن النخعة عم عبد الله بن أبي ربيعة ولقب مسافر بن أبي عمرو
ابن أمية ولقب زمعة بن الأسود ؛ قيل لهم : أزواد الركب . لأنهم كانوا إذا سافروا يطعمون كل أحد
يكون معهم ويكفونه الزاد . انظر اللسان مادة « زود » وهامش الأغاني عندهما البيت . وذوالرعين :
أبو ربيعة بن النخعة والد عبد الله بن أبي ربيعة .
(٤) طلخف : شديد ،

إذا أُنْبِضَ الرَّامُونَ عَنْهَا تَرَنَّمَتْ تَرَنَّمْ نَكَلَى أَوْجَمَهَا الْجَنَارُ^(١)
 قالوا: الشَّمَاخ، قال: أبلغوا عطفان أنه أشعر العرب، قالوا: ويحك أهذه وصية؟
 أوص بما ينفعك. قال: أبلغوا أهل ضابء أنه شاعر حيث يقول:
 لكلٍّ جديدٍ لذةٌ غير أنى وجدتُ جديداً الموت غير لذيذ
 قالوا: أوص ويحك بما ينفعك. قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر
 العرب حيث يقول:

فيا لك من ليلٍ كأنَّ نُجُومَه بكلِّ مُنَارٍ القَتْلُ شُدَّتْ يَدُ بِلِ
 قالوا: انقِ الله ودع عنك هذا. قال: أبلغوا الأنصار أن شاعرهم^(٢) أشعر
 العرب حيث يقول:

يُتَشَوَّنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقُبُلِ
 قالوا: إن هذا لا يُبنى عنك شيئاً، فقل غير ما أنت فيه، فقال:
 الشَّعْرُ صَمْبٌ وَطَوِيلٌ سَلَمَةٌ إِذَا ارْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَمْلَمُهُ
 زَلْتُ بِهِ إِلَى الْحَصِيضِ قَدَمُهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِيه فَيُعِجُّهُ
 قالوا: هذا مثل الذى كنت فيه؛ فقال:
 قد كنتُ أحياناً شديداً مُعْتَمِداً وَكَنتُ ذَا غَرَبٍ عَلَى الْخَصْمِ أَلَدًا
 فَوَرَدَتْ نَفْسِي وَمَا كَانَتْ تَرَدُّ^(٣)

فقالوا: يا أبا مليكة، ألك حاجة؟ قال: لا والله، ولكنى أجزع على المديح
 الجيِّدِ يُعَدَّحُ به من ليس له أهلا. قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأوماً بيده إلى فِه وقال:

(١) انبض القوس: جذب وترما لتصوت.
 (٢) في الأغاني: «أن صاحبهم» هذا، والراد به حسان بن ثابت.
 (٣) في بعض أصول الأغاني: «وما كادت ترد» وكذلك في الديوان ص ١١١.

هذا الجحير ، إذا طمع في خير . واستعبر بأكيا . قالوا له : قل : لا إله إلا الله . قال :
قالت وفيها حيدةٌ وذُعُرٌ عَوْدٌ يَرْبِيْ مِنْكُمْ وَحُجْرٌ^(١)

فقالوا له : ما تقول في عبيدك وجواريك^(٢) ؟ فقال : هم عبيد رِقْنٍ ما عاقب
الليل النهار ، قالوا : فأوصِ للفقراء بشيء ، قال : أوصيهم بالإلحاح في المسألة ،
فإنها تجارة لا تبور ، وأستُ المسئول أضيق . قالوا : فما تقول في مالك ؟ قال :
للأنثى مثلاً حظُّ الذَّكَرِ ، قالوا : ليس هكذا قضى الله عز وجل ، قال : لكني أنا
هكذا قضيت . قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كلُّوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم .
قالوا : فهل شيء تمهد فينا غير هذا^(٣) ؟ قال : نعم ، تحملوني على أتانٍ وتتركونني
راكبها حتى أموت ، فإن الكريم لا يموت على فراشه ، والأنانُ مركبٌ لم يمت
عليه كريمٌ قط . فحملوه على أتانٍ وجعلوا يذهبون به عليها ويجيئون حتى مات ،
وهو يقول :

لَا أَحَدٌ إِلَّا مِمَّنْ حُطِيَتْهُ هَجَا بَنِيهِ وَهَجَا الْمُرِيَّةِ
مِنْ لُؤْمِهِ مَاتَ عَلَى فُرْيَةٍ

الفرية : الأنان^(٤) .

قال حمادُ الراوية : دخل رجل على الحطيفة وهو مضطجع على فراشه ،
وإلى جانبه جارية سوداء ، قد خرجت رجالها من تحت الكساء ، فقال له : ويحك ،
أفي رجلك خُفٌ ؟ قال : لا والله ولكنها رجلٌ سوداء ، أندري من هي ؟ قال : لا ،
قال : هي التي أقول فيها :

(١) حيدة : صلود وقور . وحجر : دفع ومنع .

(٢) في الأغاني : وإمائك . هذا ، وفي المختار : وجوارك .

(٣) في الأغاني : فهل شيء تمهد فيه غير هذا .

(٤) الفرية تصغير الفراء : وهو حمار الوحش .

وَأَثَرْتُ إِدْلَاجِي عَلَى لَيْلِ خُرَّةٍ هَضِيمِ الْحِشَا حُسَّانَةَ الْمُتَجَرِّدِ^(١)
تَفَرَّقَ بِالْمَدْرَى أَيْثًا نَبَانَهُ عَلَى وَاضِحِ الدَّفْرِى أَسِيلِ الْمُقْلَدِ^(٢)
وَاللهُ لَوْ رَأَيْتَهَا يَا ابْنَ أَخِي مَا شَرِبْتَ الْمَاءَ مِنْ يَدِهَا . قَالَ : جَعَلَتْ تَسْبِيَهُ أَقْبَحَ سَبِّ
وَهِيَ تَضْحَكُ^(٣) .

لَمَّا أُنْشِدَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَوْلَ الْحَطِيطَةِ :
مَتَى تَأْتِي تَمْشُو إِلَى صَوَاءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ
قَالَ : كَذَبٌ ، بَلْ تِلْكَ نَارُ مُوسَى نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
قَالَ رَجُلٌ مِنْ كُتُب : جِثَّتْ سَوَاقُ الظُّهْرِ ، وَإِذَا بِكُثَيِّرٍ وَالنَّاسُ يُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ^(٤) ،
فَقُلْتُ لَهُ حَتَّى^(٥) دَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ : أَبَا صَخْرَ ، فَقَالَ : مَا نَشَاءُ ؟ قُلْتُ :
مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ ؟ قَالَ : الَّذِي يَقُولُ :
وَأَثَرْتُ إِدْلَاجِي عَلَى لَيْلِ خُرَّةٍ هَضِيمِ الْحِشَا حُسَّانَةَ الْمُتَجَرِّدِ
قَالَ : فَقُلْتُ : هَذَا الْحَطِيطَةُ ، قَالَ : هُوَ ذَاكَ .

(١) الحسانة : الشديدة الحسن .

(٢) للمدري : شئء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه
يسرح به الشعر للتليد ويستعمله من لم يكن له مشط . والأنيث : الكثيف الكثير . والدفري :
العظم الشاخص خلف الأذن . والأسيل : الطويل . والمقلد : المتق

(٣) في الأغاني : وهو يضحك .

(٤) في الأغاني : « متقصفون عليه » أى مزدحون .

(٥) في الأغاني : فتخلصت حتى .

جرير^(١)

هو جرير بن عطية بن الخطمي ، والخطمي لقب ، واسمه حذيفة بن بدر^(٢) بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ابن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ، كنيته أبو حزرّة . ولقب الخطمي^(٣) بقوله :

يرفغن بالليل إذا ما أسدقاً أعناق جنان وهاماً زحفاً^(٤)
وعنقاً بمد الكلال خيطقاً^(٥)

هو والفرزدق والأخطل مُقدّمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية ، وختلف في أيهم المقدم ، ولم يبق أحد من شعراء عصرهم إلّا تعرض لهم فافتضح وسقط وبقوا بصಾಲون . ودخل الأخطل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أسنّ ونقد أكثر عمره ، وهو وإن كان له فضله وتقدمه فليس ببحر من بحار هذين في شيء .

(١) الأغاني : دار الكتب ج ٨ ص ٣ ودار الثقافة ٣/٨ وبولاق ٣٨/٧ والسلي ٣٥/٧ والتبديد ٩١٥ .

(٢) في ١ ، ت زيد .

(٣) أي لقب جده الخطمي بقوله .

(٤) في الأغاني واللسان مادة خطف : رجفا . هذا ، وفسر اللسان « الجنان » بأنها جنس من الحيات إذا مشت رفعت رءوسها .

(٥) خيطف : سريع . والمنق نوع من المعى والسير .

(٦) في الأغاني : « فليس نجره من نجار هذين » هذا ، ونسخا ، ك لم تنقطا والنقط في ت والنجر : الأصل .

وولد جرير لسبعة أشهر ، وبذلك كان الفرزدق يعمه فيقول :

* وأنت ابنٌ صغرى لم تَمِّ شهورها^(١) *

وأم جرير أم قيس بنتُ سعد^(٢) بن عمير بن مسمود بن حارثة بن كليب^(٣)
ابن ربوع، وأم عطية: التَّوَارُ بنت يزيد بن عبد المزي بن مسمود بن حارثة بن عوف
ابن كليب .

واققت العرب على أن أشعر أهل الإسلام ثلاثة : جرير والفرزدق والأخطل ،
وقيل : إن الراعي معهم في طبقهم ولكنه آخرهم .

قال يونس : ما شهدت مثمداً قطُّ ذكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهل
المجلس على أحدهما . وكان يونس فرزدقياً .

وكان أبو عمرو يُشبه جريراً بالأعشى ، والفرزدق بزُهير ، والأخطل بالنابغة .
وكان جرير أكثرهم لفنون الشعر وأسهلهم ألفاظاً ، وأقلهم تكلفاً وأرقهم
نسياً وكان دينا عفيفا ، وبهذه الفنون احتجَّ من يُقدمه .

قال محمد بن سلام : رأيت أعرابيا من بني أسيد من بني سلامة أعجبنى ظرفه
وأدبه^(٤) ، فقلت له : أينما أشعر^(٥) عندكم ؟ قال : بميوت الشمر أربعة : فخر ومدح
ونسب وهجاء ، وفي كلِّها غلب جرير . فالفخر قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناسَ كلَّهمُ غضاباً

(١) لم أعثر على أوله لا في ديوانه ولا في التناضيل .

(٢) كذا في أصول الأغاني وأصول المختار . وفي القفاض ص ٧ : « معيد » بالنسبة وأوله ميم

(٣) في الأغاني : بن حارثة بن عوف بن كليب ويؤيده نسب أم عطية وهي التوار .

(٤) في الأغاني : « ورأيت أعرابيا من بني أسد أعجبنى ظرفه وروايته » وانظر طبقات ابن

سلام ١٩ م فهو كالخيار .

(٥) في الأغاني : أيها .

والمدح قوله :

أَسْمَ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ اللَّطَايَا وَأَسْدَى الْعَالِينَ بُطُونَ رَاحِرٍ
والهجاء قوله :

فَفُضِّ الطَّرَفَ إِنْكَ مِنْ نُعَيْرٍ فَلَا كَمَبًا بَلَتْ وَلَا كِلَابًا
والنسيب قوله :

إِنْ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَزٌ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنِ قَتْلَانَا
وقيل : إِنْ بَيْتِ النَّسِيبِ هُوَ قَوْلُهُ :

فَلَا تَتَّقِ الْحَيَانَ الْهَيْتَ الْعَمَّا وَمَاتَ الْهَوَى لِمَا أُسِيبتْ مَقَاتِلُهُ

قال الأصمى : وكان جرير يَنْهَشُهُ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعُونَ شَاعِرًا ، فَيَذِمُّهُمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ،
يَرَى بِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا ، وَثَبَتَ الْفَرَزْدَقُ وَالْأَخْطَلُ .

وقال جرير : وَاللَّهِ مَا يَهْجُونِي الْأَخْطَلُ وَحْدَهُ ، وَإِنَّهُ لِيَهْجُونِي مَعَهُ خَمْسُونَ
شَاعِرًا ، كُلُّهُمْ عَرَبِيٌّ لَيْسَ بَدُونُ الْأَخْطَلُ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ هَجَائِي جَمَعَهُمْ عَلَى شَرَابٍ
فَيَقُولُ هَذَا بَيْتًا وَهَذَا بَيْتًا ، وَيَنْتَحِلُ هُوَ الْقَصِيدَةَ بِمَدِّ أَنْ يَتَمَمَّوْهَا .

وكان الفرزدق يقول : إِنْى وَإِيَاهُ لَنُغْرِفَ مِنْ بَحْرِ وَاحِدٍ ، وَيَضْطَرِبُ دَلْوُهُ هَنْدٍ
طُولَ النَّهْرِ .

مرَّ رَاكِبٌ بِالرَّاعِي وَهُوَ يَنْفِي بَيْتِي جَرِيرَ :

وَعَاوَى عَوَى مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ رَمَيْتُهُ بِقَارَعَةٍ أَتَقَاذِهَا تَقَطَّرُ الدِّمَا
خَرُوجَ بِأَفْسَاوَةِ الرُّوَاةِ كَأَنَّهَا قَرَأَ هُنْدُوَانِي إِذَا هُزَّ صَمًا^(١)
فَأَتْبَعَهُ الرَّاعِي رَسُولًا يَسْأَلُهُ : لِمَنِ الْبَيْتَيْنِ ؟ فقال : هَا لِحَرِيرٍ ، فقال الرَّاعِي :
لَوْ اجْتَمَعَ عَلَى هَذَا الْإِنْسُ وَالْجِنُّ مَا أَغْنَوْا فِيهِ شَيْئًا . ثُمَّ قَالَ لِمَنْ حَضَرَهُ : وَيَحْكُمُ ،
أَلَا مَعْلَى أَنَّ يَغْلِبُنِي مِثْلُ هَذَا ؟

(١) القرا : الظهر - والهندوانى : نسبة للهند ويراد به السيف .

الأحوص يرمي بالأبنة فانصرف وأرسل إليه بتمر وفاكهة ، وأقبلنا نسأل جريرا وهو في مؤخر البيت وأشعب عند الباب . وأقبل أشعب يسأله ، فقال له جرير : والله إنك لأقبحهم وجها ، وما أراك^(١) أطولهم حسبا ، وقد أبرمتني . قال : أنا والله أقدمهم لك فأتبه جرير له وقال : وكيف ؟ قال : لأنني أملك شرك . واندفع يبغيه ، وكان أشعب أحسن الناس صوتا :

يا أختَ ناجيةَ السلامِ عليكم قبلَ الفراقِ وقبلَ عدلِ المُذلِّ
لو كنتَ أعلمُ أن آخرَ عهدكم يومَ الرِّحيلِ فعلتُ ما لم أفعلْ

قال : فأدناه حتى ألصق ركبته بركبته ، ثم قال : أجل والله إنك لأنتمهم لي وأحسنهم تزيينا لشعري ، أعد ، فأعاد . وجعل جرير يبكي حتى اخضلت لحيته ، ثم وهب لأشعب دراهم كانت معه ، وكساه حلة من حُلل الملوك ، وكان يرسل إليه طولَ مقامه بالمدينة فيغنيه ، ويُطليه جريرُ شعره فيغني فيه .

كان راعي الإبل يقضي للفرزدق على جرير ويفضله ، وكان راعي الإبل قد ضخم أمره ، فلما أكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال لهم : هل تعجبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ ، وهو يهجو قومه وأنا أمدحهم ، قال جرير : وصوبت رأيي فيه . ثم خرج جرير ذات يوم يمشي ولم يركب دابته وقال : والله ما يسرنى أن يعلم بي أحد ، وكان للفرزدق وراعي الإبل وجليسائهما حلقة بأعلى المربد بالبصرة يجلسون فيها ، فخرجت أتمرض له لألقاه من حيال حيث كنت أراه يمر إذا انصرف من مجلسه ، وما يسرنى أن يعلم أحد ، حتى إذا هو مر على بئلة له وابنه جندل يسير وراءه على مَهْرٍ له أحوى محذوفِ الذنب وإنسان يمشي معه ، فلما استقبلته قلت : مرحبا بك يا أبا جندل ، وضربت بشمالى على معرفة بقلته ،

(١) في الأغاني : « ولكي أراك » ولكن ما في المختار أنسب .

ثم قلت : يا أبا جندل ، إن قولك يُسمع وإنك لتفضل الفرزدق على تفضيلا فيبجا ، وأنا أمدح قومك وهو بهجوم ، وهو ابن عمي عليك^(١) ، ويكتفيك من ذلك حين إذا ذكرنا أن تقول : كلاهما شاعر كريم ، فلا تحمل منه لائمة ولا مني . قال : فيينا أنا وهو كذلك واقفا على^(٢) وما رد شيئا حتى لحق ابنه جندل ، فرفع كرامية^(٣) معه وضرب بها عجز بثلته ثم قال : أراك^(٤) واقفا على كلب من بني كليب ، كأنك تخشى منه شرا أو ترجو منه خيرا ، وضرب البغلة ضربة ، فزحمتني زحمة^(٥) وقت منها قلنسوتي ، فوالله لو يُعرج على^(٦) الراعي لقلت : سفيه غوي ، يعني جندلا ابنه ، ولكن لا والله ما عاج على^(٧) . وأخذت قلنسوتي فمسحتها ثم أعدتها على رأسي ثم قلت :

أجندل ما تقول بنو نمير إذا ما الأير في است أيبك غابا
فسمعت الراعي يقول لابنه : أما والله لقد طرحت قلنسوته طرحة مشثومة .
قال جرير : ولا والله ما القلنسوة بأعظم أمره إلى لو كان عرج على^(٥) . فانصرف
جرير غضبان حتى إذا صلى المشاء ومنزله في عليّة^(٦) له قال : ارفؤا إلى باطية
من نبذ وأسر جوالى ، فأسر جواله وأتوه بباطية من نبذ ، فجعل يهيم^(٧) ،
فسمعت صوته عجوز في الدار فطلعت في الدرّة حتى نظرت إليه ، فإذا هو يحبو

(١) كلمة « عليك » ليست في الأغاني .

(٢) السكرمانية لها سوط أو نبة شاذة للكرم فيكون قطعة من فروع كرم يستعملها كالسوط .

(٣) في الأغاني : لا أراك .

(٤) في الأغاني : فرمعتي رمة وفي التفاضل ٤٣١ كالخار .

(٥) في الأغاني : عاج على .

(٦) في الأغاني : بمنزله في عليّة ، هذا والعلية : الترفة فتكون « بمنزله » أصوب .

(٧) يهيم : يصوت صوتا خفيا .

على فراشه عُريان ، لما هو فيه ، فأنحدرت فقالت : ضيفكم مجنون ، رأيت منه كذا وكذا ، فقالوا لها : اذهبي لِطَيْتِكَ ^(١) ، نحن أعلم به وبما يعارس ، فما زال كذلك حتى السحر ، ثم إذا هو يُكَبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني عُيَر ، فلما ختمها بقوله ^(٢) :

ففضّ الطرف إنك من مُعَيَّرٍ فلا كميّاً بلغت ولا كلاباً

[فذاك حين] ^(٣) كبر ، ثم قال : أخزيتُه وربُّ الكعبة . ثم أصبح حتى إذا عرف أن الناس قد جلسوا في مجالسهم بِالرَّبْدِ وهو يعرف مجلسه ويجلس الفرزدق دَعَا بدهنٍ فادَّهَنَ وكَدَّ رأسه ^(٤) وكان حسن الشعر ، ثم قال : يا غلام أسرج لي ، فأسرج له حصاناً ، ثم قصد مجلسهم حتى إذا كان بموضع السلام لم يُسَلِّمْ ، ثم قال : يا غلام قل لعبيد : أبيتك نسوتك تكسبن المال بالعراق ؟ أما والذي نفس جبرير يده لترجنن إليهن يمين يسوئهن ولا يسرن . ثم اندفع فيها فأنشدها وأولها :

أقلّي اللّوم عاذِلَ والمتابا وقولي إن أصبتُ لقد أصابا

فنكس الفرزدق وراعى الإبل رأسيهما وأزَمَ القوم ^(٥) حتى إذا فرغ منها سار ، ووثبَ راعي الإبل ساعثئذ وركب ^(٦) بنلته بِشَرِّهِ وعُرِّ ، وخلا المجلس حتى أوفى إلى منزله ^(٧) ، ثم قال لأصحابه : ركبكم ، فليس لكم هاهنا مقام . ففَضَحَكُمْ واللّه جبريرٌ ، فقال له بعض القوم : ذلك شوؤمك وشؤم ابنك . فما كان إلا ترحُّلهم . قال : فسرنا

(١) ذهب لطيته : مضى لوجهه الذي يريد ووطره .

(٢) البيت في النقاظ هو السابع والستون والتصديده ١١٢ بيتاً .

(٣) ما بين متوقفين ليس في الأغاني .

(٤) كذا في نسخة المختار وهي بعبدة المني بالنسبة للشعر . وفي الأغاني : وكف شعره . ومعناها جمه وضم أطرافه .

(٥) أزَمَ : من معانها أسسك وغيرها عطفوا الأغاني إلى أزم : أي سكت .

(٦) في الأغاني : وبيت راعي الإبل ساعة ثم ركب .

(٧) في الأغاني : حتى ترقى إلى منزله . وفي أصول أخرى : حتى آتى إلى المنزل الذي ينزله .

إلى أهلنا سيرا ما ساره أحد ، وهم بالثريف ، وهو أعلى دار بني نعيم ، فيحلف بالله راعى الإبل إنا وجدنا في أهلنا :

ففض الطرف إنك من نعيم فـلا كـباً بـلنت ولا كـلاباً
وأقسم بالله ما بلنت قط إنى ، وإن لجريز أشياعاً من الجن فتشامت به بنو
نعيم وسبوه وابنه ، فهم يتشامون به إلى الآن .

وقيل : إنه لما شرع فيها لم يزل حتى بلغ قوله :
فض الطرف إنك من نعيم .

وهو على مولى لبني كتيب بن ربوع ، فجعل يردد هذا التصف وهو لا يزيد
عليه ، حتى نام الذى كان يُملى عليه ، وإذا بجريز قد وثب حتى أصاب رأسه السقف ،
فكبر ثم صاح : أخزجته والله ، اكجب :

فلا كـباً بـلنت ولا كـلاباً .
عَصَصْتُهُ وَقَدَّمْتُ إِخْوَتَهُ عَلَيْهِ ، والله لا يُفْلح بعدها . فكان والله كما قال ،
ما أفلح هو ولا نعيمى بعدها .

قال أبو عبيدة : التقى جرير والفرزدق بمعى وها حاجبان ، فقال الفرزدق لجرير :
فإنك لاقى بالمنازل من مئى فـخـاراً فـخـبرنى بـعن أنت فـأخـرُ
فقال جرير : لبيك اللهم لبيك . فكان الناس يستحسنون هذا الجواب من جرير
ويعجبون به .

قال عكرمة بن جرير : قلت لأبي : يا أبت ، من أشمر الناس ؟ قال : فى الجاهلية
تريد أم فى الإسلام ؟ قلت : أخبرنى عن الجاهلية ، قال : شاعر الجاهلية زهير .
قلت : فالإسلام ؟ قال : نبعة الشمر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد رصفة
الملوك ويُصيب نمت الحر ، قلت : فأتركت لنفسك ؟ قال : دهنى فإنى تحمرت الشعر
نحراً .

ولما وقف الفرزدق على جرير وهو ينشد قصيدته التي هجا بها الراعي ، فلما وصل إلى قوله :

ففضَّ الطرفَ إنك من نُميرٍ فلا كُعباً بلغت ولا كِلاباً

أقبل الفرزدق على راويته فقال : غَضَّه والله فلا يجيبه ولا يفلح بعدها أبداً ، فلما بلغ إلى قوله :

لها برَّصٌ بإحدى إسكتيها^(١) .

وضع الفرزدق يده على فيه فمطَّى عَنفَقَتَهُ . فقال جرير :

كَمَنَفَقَةِ الفرزدقِ حينَ شابَا فانصرف الفرزدق وهو يقول : اللهم أخْزِهِ ، والله لقد علمت حين بدأ بالبيت أنه لا يقول غير هذا ، ولكني طمعت في ألا يأبه له ، فمَطَّيت وجهي ، فما أغنانِي ذلك شيئاً .

قال يونس : ما أرى جريراً قال هذا المِصرَاع إلا حين غَطَّى الفرزدقُ عَنفَقَتَهُ ، فإنه نَبَّهه عليها بتعطيتها .

وقيل : إن الراعي كَيدَلاً سَمَمها فمات كَيداً . وبنو نمير يزعمون أن الراعي حلف لا يجيب جريراً عنها سنة غضبا على ابنه ، فمات قبل أن تمضي سنة^(٢) .

صنع عبد الملك للناس طعاماً فأكثر وأطاب ، فأكل الناس ، فقال بعضهم : ما نرى أن أحداً رأى أكثر من هذا الطعام ولا أكل أطيب منه . فقال أعرابي من ناحية القوم : أما أكثرُ فلا ، وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه ، وطفقوا يصحكون

(١) الإسكتان : جانب الفرج . وفي الأغاني : بها برص . وفي التفاض ٤٤٠ « ترى برصاً بجميع إسكتيها » قال : وروى : « لها برص » .

(٢) قوله « وقيل إن الراعي كيداً . . . إلى قوله قبل أن تمضي سنة » هذان النصان لم يردا في ترجمة جرير ولما جاءا في ترجمة الراعي ج ٢٠ ص ١٧١ بولاق والمجلد ٢٣ دار الثقافة على أن النصوص السابقة في الراعي وجرير وردت كلها في ج ٢٠ والمجلد ٢٣ .

من قوله فأشار إليه عبد الملك فأدنى منه ، فقال : ما أنت بمُحِقِّ فيما تقول إلا أن تخبرني بما يتبين به صدقك . قال : نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا في هَجَرٍ في بَرَثٍ ^(١) أحمر في أقصى هَجَرٍ إذ توفى أبى وترك كَلًّا ^(٢) وعيالا ، وكانت له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أخفافُ الرباع ^(٣) ولم ير تمر قطُّ مثلها لا أغلظ لحًا ^(٤) ولا أصغر نوى ولا أحلى حلاوة منها ، وكانت تطرُّفها أتانٌ وحشية قد ألفتها ، تأتي إليها بالليل تأوى تحتها ، فكانت تثبت رجليها في أصلها ، وترفع يديها ، وتقطع فيها ، فلا تترك فيها إلا النَبْدَ ^(٥) والمتفرق فأعظمنى ذلك ووقع منى كل موقع ، فانطلقت بقوسى وأسهمى وأنا أظن أنى أرجع من ساعى ، فكنت يوما وليلة لا أراها ، فلما كان السحر أقبلت قهياتُ لها فرسقتها فأصبتها وأجهزت عليها ، ثم عمدت إلى سرسها فافتربتها ^(٦) وعمدت إلى حطب جزل فجمعته إلى رصف ^(٧) وعمدت إلى زندي ففدحت وأضرمت النار في ذلك الحطب ، وألقيت سرسها فيها ، وأدركنى نوم الشباب فلم يوقظنى إلا حرُّ الشمس في ظهري ، فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذى وسواد ورماد ، ثم قلبت مثل الملاء البيضاء ، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزأة والنصف ^(٨) فسمعت لها أطيطا ^(٩) كعداعى عامر وعطفان.

(١) البرث: الأرض اللينة السهلة .

(٢) الكل : العيال والتقل .

(٣) الرباع: جمع الربع وهو الفصيل ينتج في الربيع .

(٤) العا القشر ورماد به تمرتها الخارجة أو ليلها «لحاء» . ولم ترد الكلمة في الأغاني .

(٥) النبد : القليل .

(٦) افتربتها: من فرى الشيء: شقه . وفي الأغاني فانددتها .

(٧) الرصف : الحجارة المحيطة بالشمس أو النار .

(٨) المجزعة: التى بلغ الإطراب نصفها أو ثلثيها والنصف: التى أرطب نصفها .

(٩) الأيطط : الصوت .

ثم أقبلت تناول الشحمة واللحمة فأضعهما بين تمرين وأهوى بها إلى فمى ، فأحلف
أنى ما أكلت طعاما مثله قط . فقال عبد الملك : لقد أكلت طيبا ، فمن أنت ؟ قال :
أنا رجل جانبتي عنمة تميم وأسد وكشكشة ربيعة وحوشي أهل اليمن وإن كنت
منهم . قال : فمن أيهم ؟ قال : من أخوالك يا أمير المؤمنين ^(١) من عنزة ، قال : أولئك
فصحاء الناس ، فهل لك علم بالشعر ؟ قال : سألني عما بدا لك . قال : أى بيت قالته
العرب أمدح ؟ قال : قول جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى المالين بطنون راح

قال : وجرير في القوم ، فرفع رأسه وتناول لها ، قال : فأى بيت قالته العرب
أنحر ؟ قال : قول جرير :

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال : فتحرك جرير . ثم قال : أى بيت قالته العرب أهجى ؟ قال قول جرير :

ففض الطرف إنك من نعيم فلا كعبا بلغت ولا كلابا

قال : فاستشرف لها جرير . قال : فأى بيت قالته العرب أغزل ؟ قال : قول

جرير :

إن الميون التى فى طرفها حوز قتلنا ثم لم يُحيين قتلانا

قال : فاهتز جرير وطرب . قال : فأى بيت قالته العرب أحسن تشبيها ؟ قال :

قول جرير :

مرى نجوم ليل كأن نجومه قناديل فهن الدبال المقتل ^(٢)

فقال جرير : جازى للندري يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلها

(١) جملة « يا أمير المؤمنين » ليست في الأغاني .

(٢) الدبال : القتائل التى توضع في القنديل .

من بيت المال ولك جائزتك لا تنقص شيئا . وكانت جائزة جرير أربعة آلاف درهم وتوابها من الخملان والكسوة . فخرج المذرى ومعه ثمانية آلاف درهم وورزمة ثياب .

قال عامر بن شبل : قدم جرير^(١) على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازل بدير المُرَّان^(٢) فكنا نندو عليه كل يوم فيخرج^(٣) إلينا ويجلس في بُرْنُس خِزٍّ له لا يكلمنا كلمة حتى يجيء طبَّاح عبد العزيز^(٤) إليه بقدرح من طلاء مُسَخَّن يفور ، ويكتله من سمنٍ كأنها هامة رجل ، فيخوضها فيه ، ثم يدفعه إليه فيأثى عليه ، ويقتل علينا فيحدثنا في كل فن ، ويفشدنا لنفسه ولغيره حتى يحضر غداء عبد العزيز فنقوم إليه جميعا ، وكان يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل ، فقلنا له : ما يننى عنك هذا التسبيح مع قذفاك الحَصَنَات ، فتبسم ثم قال : « خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ »^(٥) والله يَبْدُءُ نبي ثم لا أحلم .

قال الفرزدق : أبقي غلامان لرجلٍ منا يقال له الخَصِير ، فخذتني قال : خرجت في طلبهما وأنا على ناقة لي كَوْماء عَنَسَاء^(٦) أريد اليمامة فلما صِرْتُ في ماء لبني حنيفة يقال له الصَّرَصْرَانُ ارتفعت سحابة فرعدت وأبرقت وأرخت عَرَاليها^(٧) ، فعدلت

(١) في الأغاني: دير مران « بدون ألف ولام » وكذلك هو في معجم البلدان .

(٢) في الأغاني : قدود إليه بكرا فتخرج .

(٣) في ١ « طبَّاح عبد الملك » وهو تحريف وسهو فيها .

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٢ .

(٥) الكوماء: العظيمة السنام . والمياه: التي يضرب لونها إلى الأدمية . وق المختار «عناء»

ولا يوجد إلا العنسي وهي القوية .

(٦) يقال للسحابة إذا اتهمرت بالمطر « قد حلت عزاليها وأرسلت عزاليها » ومنه يقال :

أرخت عزاليها . هذا ، والعزالي جمع العزلاء : وهو نم الزادة الأسفل . فنه اتساع المطر واندفاقه بالتي يخرج من قم الزادة .

(٢/١٤ مختار الأغاني) .

إلى بعض ديارهم ، وسألت القرى فأجابوا ، فدخلت داراً لهم فانحنت النافذة وجلست تحت ظلة لهم من جريد النخل ، وفي الدار جورية سوداء ، إذ دخلت جارية كأنها سبيكة فضة ، وكان عينيها كوكبان دريان ، فسألت الجارية : لمن هذه العيساء ^(١) ؟ - تعنى ناقى - فقالت : لضيفكم هذا ، فمدلت إلى فقالت : السلام عليك . فرددت عليها السلام ، فقالت لى : ممن الرجل ؟ فقلت : من بنى حنظلة . قالت : من أيهم ؟ فقلت : من بنى نهشل ، فقبست وقالت : أنت إذا ممن عناه الفرزدق بقوله :

إن الذى سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا يَتَنَّا دَعَامُهُ أَعْرُ وَأَطُولُ
بيتاً بناه لنا المَلِكُ وما بَنَى مَلِكُ السماءِ فَإِنَّهُ لَا يُنْقَلُ
بيتاً زُرَّارُهُ مُحْتَبٍ بِفَنَائِهِ ومجاشعُ وأبو الفوارس نَهْشَلُ

قال : فقلت : نعم ، جعلنى الله فداك . وأعجبني ما سمعت منها ، فضحكت وقالت : فإن ابن الخطلنى قد هدم عليكم بيتكم هذا الذى نخرتم به حيث يقول :

أخزى الذى رفع السماء مجاشعاً وبنى بناءك بالحضيض الأسفل
بيتاً يُحْمَمُ قَيْنُكُمْ بِفَنَائِهِ دَنِسُ مَقَاعِدِهِ خَيْثُ الْمُدْخَلِ ^(٢)

قال : فوجئت ، فلما رأيت ذلك فى وجهى قالت : لا عليك ، فإن الناس يُقال فيهم ويقولون ، ثم قالت : أين نَوْمُ ؟ قلت : اليمامة ، فتنفست الصعداء ثم قالت : ها هى تلك أمامك ، وأنشأت تقول :

تَدُكَّرْنِي بِلَاداً خَيْرُ أَهْلِهَا بِهَا أَهْلُ الْمَوَدَّةِ وَالْكَرَامَةِ ^(٣)
أَلَا فَسَقَى الْإِلَهُ أَجْشَ صَوْتٍ ^(٤) يَسُحُّ بِدَرَّةٍ بِلَادَ الْيَمَامَةِ

(١) فى المختار: العيساء .

(٢) كذا فى المختار . وفى الديوان ص ٤٤٤ والنقائض ص ٢١٤ دنسا .

(٣) فى الأغاني : أهل الروعة .

(٤) الأَجَش: الصوت الذى فيه شدة وغلظة ويقال: رعد أجش: شديد الصوت . وفى الأغاني:

أَجَشٌ سَوِيًّا . والصوب : نزول المطر .

وحياً بالسلام أبا نُجَيْدٍ فَأَهْلِنِ لِلتَّحِيَّةِ وَالسَّلَامَةِ
 قال : فأنت بها ثم قلت : أذاتُ خَدِرٍ ^(١) أم ذاتُ بعل ؟ فأنشأت تقول :
 إذا رَقَدَ النَّيَامُ فَإِنْ عَمَرَا تَوَرَّقهَ المَمُومُ إِلَى الصَّبَاحِ
 تَقَطَّعَ قَلْبَهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي فَلَا هُوَ بِالْخَلَّى وَلَا بِصَاحِ
 سقى اللهُ اليمامةَ دارَ قومٍ بها عَمَزُوا وَنَحْنُ إِلَى الرَّوَّاحِ ^(٢)
 فقلت لها : مَنْ عمرو هذا ؟ فأنشأت تقول :

سَأَلْتُ وَلَوْ عَلِمْتَ كَفَفْتَ عَنْهُ وَمِنْ لِكَ الْجَوَابِ سِوَى الْخَبِيرِ
 فَإِنْ تَكِ ذَا قَبُولٍ إِنْ عَمَرَا لِكَالْقَمْرِ الْمَضَى الْمُسْتَبِيرِ ^(٣)
 وَمَالِي بِالتَّبَعْلِ مُسْتَرَاخٍ وَلَوْ رَدَّ التَّبَعْلُ لِي أَسِيرِي
 ثُمَّ سَكَتَتْ سَكْتَةً كَأَنَّهَا تَسْمَعُ إِلَى كَلَامِهِ ، ثُمَّ تَهَاخَتْ وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ :
 يُحْتَمِلُ لِي هَيَا عَمْرُو بْنُ كَمْبٍ كَأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيرِي
 يَسِيرُ بِكَ الْهُوَيْنَا الْقَوْمُ لَمَّا رَمَاكَ الْحُبُّ بِالْعَلَقِ الْعَسِيرِ ^(٤)
 فَإِنْ تَكِ هَكَذَا يَا عَمْرُو إِنِّي مُبَكَّرَةٌ عَلَيْكَ إِلَى الْقَبُورِ

قال : ثم شهِقَتْ شَهْقَةً فَخَرَّتْ مَيِّتَةً ، فقلت لهم : مَنْ هذه ؟ قالوا : هذه عَقِيلَةُ
 بِنْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مُحَرَّرٍ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ . فقلت لهم :
 فَمَنْ عَمْرُو هَذَا ؟ قالوا : ابْنُ عَمِّهَا عَمْرُو بْنُ كَمْبٍ بْنِ مُحَرَّرٍ بْنِ النُّعْمَانِ . فَأَرْتَحَلْتُ ،
 فَلَمَّا دَخَلْتُ الْيَمَامَةَ سَأَلْتُ عَنْ عَمْرٍو هَذَا فَإِذَا هُوَ قَدْ دُفِنَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي قَالَتْ فِيهِ
 مَا قَالَتْ .

(١) في الأغاني : « أذاتُ خَدِن » وما هنا أصح لأنه لا يسألها هل لها علاقة بأحد خفية وإنما يسألها : أهي غير متزوجة أو متزوجة ؟ فذات الخدر كأنها لم تخرج من خدرها إلى زوج .
 (٢) في الأغاني : نحن إلا الرواح .
 (٣) في الأغاني : « هو القمر المضي المستير » فيه إقواء .
 (٤) العلق : الهوى والمحب يكون الرجل في المرأة .

غدا عبدُ الله بن مسلم بن جندب المذلي^(١) على أبي السائب المخزومي في منزله ،
فلما خرج إليه أبو السائب أنشده قول جرير :

إِن الَّذِينَ غَدَوْا بِبُكَ غَدَرُوا وَشَلَّا بِعَيْنِكَ لَا يَزَالُ مَعِينَا^(٢)
غِيْمَضْنَ مِنْ عِبْرَاتِهِمْ وَقَلْنَ لِي^(٣) مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا

خلف أبو السائب لا يردُّ على أحد سلاما ولا يكلمه إلا بهذين البيتين حتى يرجع
إلى منزله ، فخرجا فلقبهما عبد العزيز بن المطلب وهو قاضٍ وكانا يُدْعَيَانِ الْقَرِيبَيْنِ
للازمتهما ، فلما رآهما قال : كيف أصبح القرَّيبان ؟ فأنشده أبو السائب البيتين
ولم يردَّ سلاما ، وجعل يغمز ابن جندب على أن يخبره بالقصة وابن جندب يتعافل ،
فقال عبد العزيز لابن جندب : ما لأبي السائب ؟ فجعل أبو السائب يمتعه
أى أخبره^(٤) يميني . فقال ابن جندب : أحمد الله إليك ، ما زلتُ مُنْكَرَا لِقَاةِ
منذ اليوم . فانصرف ابن المطلب إلى منزله وألحْصُوم ينتظرونه ، فصرفهم^(٥) ودخل
مُتَمَتِّعًا ، فلما أتى أبو السائب منزله وبرَّت يمينه^(٦) خرج إلى ابن جندب فقال :
اذْهَبْ بِنَا إِلَى ابْنِ الْمَطْلَبِ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَرُدَّ شَهَادَتِي ، فاستأذنا عليه فأذن لهما ،
فقال له أبو السائب : قد علمتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ شِدَّةَ غَرَامِي بِالشَّعْرِ ، وَإِنْ هَذَا الضَّالُّ
جَاءَنِي حَيْثُ خَرَجْتُ فَأَنْشِدْنِي بَيْتَيْنِ ، خَلَفْتُ إِلَّا أَرَدُّ عَلَى أَحَدٍ سَلَامًا وَلَا أَكَلِمَةً
إِلَّا بِهِمَا . فقال ابن المطلب : اللَّهُمَّ غَفِّرْ ، لَا تَتْرُكِ الْجَوْنَ يَا أَبَا السَّائِبِ .

(١) هذا النسب لم يبيح في ترجمة جرير وإنما جاء في ترجمة أحمد بن المكي في ج ١٥ من ٦٨
بولاق وفي المجلة دار الثقافة .

(٢) الوشل : الاء القليل . وللعين : الاء الجاري .

(٣) غيَضَ : كَفَفَهَا وَمَسَحَهَا حَتَّى تَبْقُضَ .

(٤) التهمة : الحركة النيفة . وفي الأغاني : يفض ابن جندب أن يخبره .

(٥) في ١ ، ك : « فصرفهم » وهو تحريف .

(٦) في المختار : وبرئت يمينه .

شهد رجل^(١) عند قاضي بشهادة ، فقيل له : مَنْ يعرفك ؟ قال : ابن عتيق ، فبحث إليه يسأله عنه ، فقال له : عدل رِضًا ، فقيل له : أ كنت تعرفه قبل اليوم ؟ قال : لا ، ولكني سمعته ينفذ :

غِيضَنَ من عبرتهنَّ وَقُلْنَ لِي ماذا لقيتَ من الهوى وَلَقِينَا
فلمت أن هذا لا يَرشَحُ إلا من قلب مؤمن فشهدت له بالعدالة .

قال عبد المطلب بن عبد العزيز^(٢) : أنشدت أبا السائب قول جرير :
غِيضَنَ من عبرتهنَّ وَقُلْنَ لِي ماذا لقيتَ من الهوى وَلَقِينَا
فقال : يا ابن أخي ، أتدري ما التغييض ؟ قلت : لا ، قال : هكذا . وأشار
بإصبعه إلى جفنيه كأنه يأخذ اللمع ثم ينفضه .

لما ولي^(٣) عمر بن عبد العزيز جاءه الشعراء^(٤) فجعلوا لا يصلون إليه ، فجاء عون
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامته قد أرخى طرفها فدخل ، فصاح به جرير :
يا أيها القارئ المُرُخِي عِمَامَتَهُ هذا زمانك إني قد مضى رَمَسِي
أُبْلِغُ خَلِيفَتَنَا إِنْ كُنْتَ لَا قِيَهُ أَنَّى لَدَى الْبَابِ كَالْمَصْفُودِ فِي قَرْنٍ^(٥)
فدخل على عمر فاستأذن له فأدخله عليه ، وقد كان هيأ له شعرا ، فلما دخل إليه
غيره فقال :

إنا ل نرجو إذا ما الْفَيْثُ أَخْلَفْنَا من الخليفة ما نرجو من الْمَطَرِ
نال الخلافة إذ كانت له قَدْرًا كما أتى رَبَّهُ موسى على قَدَرٍ

(١) هذا النس أيضا لم يأت في ترجمة جرير بل جاء بعد الخبر السابق له في الوضع للشار إليه .

(٢) وهذا النس أيضا أتى بين سابقيه في الوضع للشار إليه .

(٣) في الأعاني : لما استخلف .

(٤) في نسخ المختار : « جاءه الأنصار » والتصويب من الأغاني .

(٥) المصنفود : الموثق . والقرن : الجبل .

أَذْكُرُ الْجَهْدَ وَالْبَلَاةَ الَّتِي نَزَلَتْ أَمْ تَكْتَفِي بِالَّذِي بَلَّغْتَ مِنْ خَيْرِ
 مَا نَزَلَتْ بِمَدِّكَ فِي دَارٍ تَعْرِفُنِي ^(١) قَدْ طَالَ بِمَدِّكَ إِسْعَادِي وَمُنْجَدِي
 لَا يَنْفَعُ الْحَاضِرُ الْمُجْهَدُ بِأَدِينَا وَلَا يَجُودُ لَنَا بَادٍ عَلَى حَضَرِ
 كَمْ بِالْمَوَاسِمِ مِنْ شَمَاءَ أَرْمَلَةٍ وَمِنْ يَتِيمِ ضَمِيمِ الصَّوْتِ وَالْبَصَرِ
 يَدْعُوكَ دَعْوَةَ مَلْهُوفٍ كَأَنَّ بِهِ خَبَلًا مِنَ الْجَنِّ أَوْ مَسًّا مِنَ الْبَشَرِ
 مِمَّنْ يَمُدُّكَ تَكْنِيهِ فَقَدْ وَالِدِهِ كَالْفَرَخِ فِي الْعُشِّ لَمْ يَنْهَضْ وَلَمْ يَطِيرِ

قال: فبكى عمر ثم قال: يا ابن الخطفي، أمين أبناء المهاجرين فعريف لهم حقهم
 أم من أبناء الأنصار فيجب لك ما يجب لهم؟ أم من فقراء المسلمين فنأمر صاحب
 الصدقات من صدقات قومك فيصلاك بمثل ما يصل به قومك؟ فقال: يا أمير المؤمنين
 ما أنا بواحد من هؤلاء، وإن لم أكن أقوى مالا وأحسنهم حالا، ولكنني أسألك
 ما عودني به الخلفاء: أربعة آلاف درهم وما يتبعها من كسوة وخمائل. فقال له عمر:
 كل امرئ يلتقي فمله، فأما أنا فلا أرى لك في مال الله تعالى من حق ولكن انتظر
 يخرج عطائي فأنظر ما يسكن عيالي منه سنة فأدخره لهم، ثم إن فضل فضل
 صرفناه إليك. فقال جرير: لا، بل يوقر يا أمير المؤمنين وتحمد. وأخرج راضيا.
 قال: فذاك أحب إلي من فرج، فلما ولي قال عمر: إن شر هذا ليبتغي، ردوه إلى.
 فردوه فقال له: إن عندي أربعين دينارا وخمعتين إذا غسلت إحداها لبست الأخرى،
 وأنا أفاطمك ذلك، على أن الله عز وجل يعلم أن آل عمر أحوج إلى ذلك منك، فقال
 له: قد وفرك الله يا أمير المؤمنين، وأنا والله راض. قال: أما ^(٢) إذ حلفت فإن ما وقرته

(١) التمرق: نهش اللحم بالأسنان. ويريد هنا أنها لا تترك له شيئا.

(٢) في الأغاني: أما وقد حلفت.

على ولم تُصَيِّقْ به مِيشَتْنَا آثَرُ عِنْدِي مِنَ الدِّحِ^(١) فَاَمِضْ مُصَاحِبًا . نَفْرَجْ ، فَقَالَ لَهُ
أَصْحَابُهُ وَفِيهِمُ الْفَرَزْدَقُ : مَا فَعَلَ بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَبَا حَزْرَةَ ؟ قَالَ : خَرَجْتُ
مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ يُقَرِّبُ الْفُقَرَاءَ وَيُبَاعِدُ الشُّعْرَاءَ ، وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ عَنْهُ رَاضٍ . ثُمَّ وَضَعَ
رِجْلَهُ فِي غُرْزِ رَاحِلَتِهِ ، ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَقَالُوا : مَا صَنَعَ بِكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَا حَزْرَةَ ؟
فَقَالَ :

رَكْتُ لَكُمْ بِالشَّامِ حَبْلَ جَمَاعَةٍ أَمِينَ الْقُوَى مُسْتَحْصِدَ الْمَقْدِبِ^(٢)
وَجَدْتُ رُفَى الشَّيْطَانِ لَا تَسْقُزُهُ وَقَدْ كَانَ شَيْطَانِي مِنَ الْجِنِّ رَافِيَا

وقيل : إنه لما دخل على عمر قال له : يا أمير المؤمنين ، أنا ابن سبيل ، قال : لك
ما لأبناء السبيل زادك وثقة^(٣) تُبَلِّغُكَ وَتُبَدِّلُ رَاحِلَتُكَ إِنْ لَمْ تَحْمِلْكَ . فَأُلْحَ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ لَهُ بَنُو أُمَيَّةَ : يَا أَبَا حَزْرَةَ ، مَهَلًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَحْنُ نَرْضِيكَ مِنْ أَمْوَالِنَا
عَنْهُ ، نَفْرَجْ وَجَمَعْتَ لَهُ بَنُو أُمَيَّةَ مَالًا عَظِيمًا ، فَمَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ خَلِيفَةٍ بِأَكْثَرِ مِمَّا خَرَجَ
بِهِ مِنْ عِنْدِ عُمَرَ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٤) .

(١) فِي الْأَغَانِي : آثَرُ فِي نَفْسِي مِنَ الدِّحِ .

(٢) الْمُسْتَحْصِدُ : الْمُسْتَحْكِمُ .

(٣) جُمْلَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي وَلَا فِي الْوَلَايَاتِ وَلَا فِي زِيَادَةِ فِي وَت .

وأما يوم الجَوْنَيْن^(١)

هذا اليوم الذى ذكره جرير فى قصيدة من مناقضات الفرزدق فقال :

أَلَمْ تَشْهَدْ الْجَوْنَيْنِ وَالشَّعْبَ ذَا الْفَصَا^(٢)

وكرات قيس يوم دَيْرِ الْحَاجِرِ

هو يوم الرغام وهو اليوم الذى أغار فيه عُتَيْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ فى بَنِي ثَعْلَبَةَ على بَنِي كِلَابٍ ، فأطرد إبلهم ، وكان أنس بن المباس الأصمُ أخو بَنِي رِغْلٍ من بَنِي سُلَيْمٍ مجاورا فى بَنِي كِلَابٍ ، وكان بين بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ وبين بَنِي رِغْلٍ عهدٌ ألاَّ يُسْفَكَ دَمٌ ولا يُؤْكَل مال . فلما سمع الكلابيون الدِّقْوَى : يال ثَعْلَبَةَ يال عُبَيْدَ يال جَمْرٍ ، عرفوهم فقالوا لأنس بن المباس : قد عرفنا ما بين بَنِي رِغْلٍ وبَنِي ثَعْلَبَةَ ابن يَرْبُوعَ ، فأدركهم واحبسهم علينا حتى نلحق . فخرج أنس فى آثارهم حتى أدركهم ، فلما دنا منهم قال عُتَيْبَةُ لِأَخِيهِ حَنْظَلَةَ : أَغْنِ عَنَّا هَذَا الْفَارَسَ . فاستقبله حَنْظَلَةُ فقال له أنس : إنما أنا أخوكم وعقيدكم^(٣) وكنت فى هؤلاء القوم فأغترم على إبلٍ فيها أغترم عليه ، وهى معكم ، فرجع حَنْظَلَةُ فأخبر أخاه عُتَيْبَةَ الخبر ، فقال له : حَيَّاكَ اللَّهُ . هَلُمَّ فَوَالِ إِبْلِكَ ، أَى اهْزِلْهَا . قال : والله ما أعرفها ، وبنو أخى وأهل بيتى معى ، وقد أمرتهم بالكوب فى أثرى وهم أعرفُ بها معى ، فطلع فوارس بَنِي كِلَابٍ . فاستقبلهم حَنْظَلَةُ بْنُ الْحَارِثِ فى فوارس ، فقال لهم أنس : إنما هم بَنِي وَبْنُو أَخِي ،

(١) الأغاني : دار الكتب ١٥/٣٤٥ ودار الثقافة ١٥/٢٧٧ وبولاق ١٤/٨٦ والساسى

١٤ / ٨٣ وجاء به ابن منظور ضمن ترجمة جرير ثم عاد لى جرير مرة أخرى .

(٢) فى الأغاني : ذا الفصا . وفى ت : والنفا .

(٣) عقيدكم : معاهدكم .

وإنما يُريد تَرَبُّثَهُمْ^(١) لتلاحق خيل بني كلاب ، فلاحقوا ، فعمل الحوثة بن قيس بن جَزء ابن خالد بن جعفر على حنظلة فقتله ، وحمل لَأَم بن سَلَمَة أخو بني سَبَارِي^(٢) بن عبد^(٣) ابن ثعلبة على الحوثة هو وابنُ امرأته^(٤) أخو بني عاصم بن عبد^(٥) [فأَسْرَاهُ ودفعاه إلى عتيبة]^(٥) فقتله صبرا وهزَم الكلابيون ، ومضى بنو ثعلبة بالإيل وفيها إيلُ أنس ، فلم تَهْرُ أنسا^(٦) نفسه حتى تبعهم رجاء أن يصيب منهم غِرَّةً وهم يسرون في شَجَرَاء^(٧) فتخلف عَيْنَة لقضاء حاجته ، وأمسك برأس فرسه ، فلم يَشْعُر إلا بأنس قد مرَّ في آثارهم ، فتغفله حتى وثب عليه وأسرهُ ، وأتى به عَيْنَةُ أمحابة ، فقال له بنو عُبيد : قد هَرَفَ أن لَأَم بن سَلَمَة وابن امرأته قد أسرا الحوثة ، فدفعاه إليك فضربت عنقه ، فأعقِبَهُمَا من أنس بن عَبَّاس ، فن قتلته خيرَ من أنس . فأبى عَيْنَة أن يقتله حتى اقتدى نفسه بمائتي بَير ، فقال العباس بن مرداس يَمِرُّ عتيبة ابن الحارث بفعله :

كَثُرَ السَّجَّاجُ وَمَا سَمِعْتُ بِمَادِرٍ كَعْتِيْبَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ
جَلَّتْ حَنْظَلَةُ الْحَارَةِ وَالْحَنَّا^(٨) وَدَنَسَتْ آخِرَ هَذِهِ الْأَعْقَابِ

(١) تربُّثهم : تباطؤهم وعسكهم . وفي الأغاني : وإنما تربُّثهم .

(٢) هكذا ضبط في الأغاني دار الثقافة ١٥ / ٢٧٧ والاشتقاق ٣٠٢ وضبط في دار

الكتب ١٥ / ٣٤٦ خطأ .

(٣) في الأغاني : عبيد .

(٤) في طبعة الدار والثقافتين ٤١١ : وابن مزنة .

(٥) زيادة من الأغاني .

(٦) في المختار : أنس .

(٧) الشجرَاء : الأرض اللينة الشجر .

(٨) الحارة : النقصان . وفي الأغاني : المضاة « وهي الحياة » .

وأجرتهم أنسا فاحاولتم أنسا وجاركم بنى الميقاب^(١)
 بأستى التى ولدتك واستى معاشرى تركوك تمر معهم من الأحقاب
 فقال عتيبة مجيبه :

غدرتم غدره وغدرت أخرى فليس إلى توافينا سيل
 كأنكم غداة بنى كلاب تفاقدتم على لكم دليل
 قوله : تفاقدتم ، دعاء عليهم بفقد بعضهم بعضا .

قال^(٢) أبو عبيدة : رأت أم جرير وهى حامل به كأنها ولدت حبلا من شعر أسود ،
 فلما سقط منها حمل ينزوي في عنق هذا فيخنقه ، حتى فعل ذلك رجال كثيرة ،
 فاقبته فرعة فأولت الرؤيا ، فقيل لها : تلدين غلاما شاعرا ذا شر وشدّة وشكيمة
 وبلاء على الناس ، فلما ولدته سمته جريرا ، باسم الجبل التى رأت أنه خرج منها ،
 والجرير : الجبل .

وقال رجل لجرير : من أشعر الناس ؟ فقال له : قم حتى أهرفك الجواب ، فأخذ
 بيده وجاء به إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وهو يمصّ ضرعها ، فصاح
 به : اخرج يا أبت ، فخرج شيخ دميم رث الهيئة ، وقد سال ابن العنز على ليحيته
 وقال : أرى هذا ؟ فقال : نعم ، فقال : أنعرفه ؟ قال : لا . قال : هذا أبى ، أفتردى
 لم كان يشرب من ضرع العنز ؟ قال : لا . قال : مخافة أن يسمع صوت الحلب
 فيطلب منه لبن . ثم قال : أشعر الناس من فاخر يمثل هذا الأب ثمانين شاعرا
 وقادهم وغلهم جميعا .

(١) الميقاب : التى تلد الحق . وفى نسخ من الأغاني « وأسرت أنسا » وما أثبتت كنسخة من
 الأغاني وكالغنائس . وفى الأغاني : فاحاولتم يأسار جاركم .

(٢) من هنا عاد إلى ترجمة جرير التى جاءت فى الجزء الثامن من الأغاني .

وكان لجريير أخوان : أبو الورد وعمرو .

قال رجل من بني دارم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فراس ، هل تعلم اليوم أحدا يرى ممك ؟ فقال : لا والله ما أعرف نابجا إلا وقد استكن^(١) ، ولا ناهشا إلا أنجعَرَ إلا القائل :

فإن لم أجد في البعد والقرب حاجتي	تَشَاءُ مَتُّ أُمِّ حَوَّلْتُ وَجْهِي يَمَانِيَا
فَرُدِّي جِجَالَ الْحَيِّ ثُمَّ مَحْمَلِي	فَا لَكَ فِيهِمْ مِنْ مُقَامٍ وَلَا يَأِيَا
لقد قادتني الجيرانُ يوماً وقُدَّتْهُم	وَفَارَقْتُ حَتَّى مَا نَجِنُ جِجَالِيَا ^(٢)
وإني لمنرور أعلَّلُ بالئى	لِيَأَيَّ أَرْجُو أَنْ مَالِكٌ مَا لِيَا
وقائلةٍ والدِّمْعِ يَحْدِرُ كُحْلَهَا	أَبَدَ جَرِيرٍ تُكْرِمُونَ الْوَالِيَا
بَأَيِّ سِنَانٍ تَطْمُنُ الْقَوْمَ بَعْدَ مَا ^(٣)	تَزَعَتْ سِنَانَا مِنْ قَنَاتِكَ مَاضِيَا
بَأَيِّ نَجَادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَ مَا	قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مِحْمَلٍ كَانَ بَاقِيَا
لِسَانِي وَسِيقِي مَاضِيَا كِلَاهِمَا	وَلِلسَيْفِ أَشْوَى وَقْمَةً مِنْ لِسَانِيَا ^(٤)
وإني لعمُّ الفقرِ مُشْتَرِكُ النِّتْيِ	سَرِيحٌ - إِذَا لِمَ أَرْضُ دَارِي - اتَّقَالِيَا
جَرِيءُ الْجَنَانِ لَا أَهَالُ مِنَ الرَّدَى ^(٥)	

إِذَا مَا جَمَلْتُ السَّيْفَ قَبَضَ بَنَانِيَا

(١) في الأغاني : استكان .

(٢) الشعر جاء في الترجمة في مومنين ، والبيان الأول لم يبي فيه هذا البيت . وجاء في موضع آخر بدون البيت الأول من هذه القطعة ورواه : حتى ما نصب جباليا .

(٣) في نسخة من الأغاني : قططن القوم .

(٤) أشوى : أهون ، من : ولم . شوى بمعنى هين ويقال أيضا : رماه فأشواه . إذا لم يصعب قتله ولى الأغاني : لسانى وسينى صارمان . وروى في الديوان ص ٦٠١ : وليس لسنى في الظلام بقية .

(٥) في الأغاني : لا أهاب من الردى .

كان يزيدُ بن معاوية عاتب أباه بهذه الآيات ونسبها إلى نفسه ، لأن جريرا لم يكن اشتهر شعره حينئذ ، فقدم جريرٌ على يزيد في خلافته ، فاستأذن له مع الشعراء ، فأمر يزيد ألا يدخل عليه شاعر إلا من قد عرّف شعره ، فقال جرير : قولوا له : أنا القائل :

فرُدِّي جِمالَ الحَيِّ ثم تَحْمَلِي فالكَ فيهم من مُقامٍ ولا لِيَا
فأمر بإدخاله . فلما أنشده قال يزيد : لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلا أني قائلها . وأمر له بجائزة وكسوة .

جلس جرير يُعَلِّي على قوم ^(١) :

ودَّعْ أمانةَ حان منك رحيل إن الوداع لمن تحبُّ قليلُ
فروا عليه بجنازة قطع الإنشاد وجمل يبيكي ثم قال : شيعتي هذه الجناز .
قال أبو عمرو : فقلت له : فعلام تقذف المحسنات منذ كذا وكذا ؟ فقال : إنهم يبدؤوني ثم لا أعفوا .

أتى الفرزدق مجلس بني الهُجَيم في مسجدهم ، فأنشدهم ، وبلغ ذلك جريرا فأتاهم من الند لينشدهم كما أنشدهم الفرزدق ، فقال له شيخ منهم : يا هذا اتق الله فإن للمسجد إماما يُبْنِي لذكر الله وللصلاة . فقال جرير : أقررتم للفرزدق ومنعمتوني . وخرج منفضبا وهو يقول :

إن الهُجَيمَ قبيلةٌ ملعونةٌ حصُّ اللّحَى مُتَشابهو الألوانِ ^(٢)
يتوركون بينهم وبناتهم ^(٣) صُمرُ الأنوف لريح كل دخانٍ
لو يسممون بأكلةٍ أو شربةٍ بُمَمانَ أصبح جهمُ بُمَمانِ

(١) في الأغاني . على رجل قوله .

(٢) الأحص : القليل الشعر .

(٣) في الأغاني : هم يتركون .

قال : وحصص^(١) ألقى في بني المهجيم ظاهراً . وقيل لرجل منهم : ما بالكُم
يا بني المهجيم حصص ألقى ؟ قال : إن الفحل واحد .

قال الوليد يوم الجري : من أشعر الناس ؟ فقال : ابن العشرين ، يعني طرفة . قال :
فما رأيك في ابني أبي سلمى^(٢) ؟ قال : كان شعرها نيرًا يا أمير المؤمنين . قال :
فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : اتخذ الخبيث الشعر نملين ، وأقسم لو أدركته لرفعت
ذلاذله^(٣) قال : فما تقول في ذي الرمة ؟ قال : قدّر من ظريف الشعر وغريبه وحسنه
على ما لم يقدر عليه أحد . قال : فما تقول في الأخطل ؟ قال : ما أخرج لسانُ
ابن النصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قال :
في يده والله يا أمير المؤمنين نَبْمة الشعر قد قبض عليها . قال : فما أراك أبقيت لنفسك
شيئاً . قال : بلى والله يا أمير المؤمنين إني لمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود :
نسبتُ فأطربت . وهجوتُ فأرديت . ومدهتُ فأسنيت^(٤) وأرملتُ فأغزرت ، ورجزتُ
فأبحرت . وأناقلتُ ضروب الشعر . وكل واحد منهم قال نوعاً منها . قال : صدقت .
قال مسعود بن بشر : قلت لابن مُناذر بمكة : من أشعر الناس . قال : من إذا
شئتَ لمِبَ وإذا شئتَ جدَّ ، فإذا لمِبَ أطمعك لمِبُهُ ، وإذا رُمته بُدُ عليك ، وإذا
جدَّ فيما يقصد له أياسك من نفسه ، قلت : مثلُ من ؟ قال : مثل جريز إذ يقول
حين لمِب^(٥) :

إن الذين غَدَّوْا بُلْبُك غادروا وشَلَّا بيمينك لا يزال مَعِينَا

(١) في المختار : وحصص ألقى . وفي الأغاني : وخفة ألقى .. ظاهرة

(٢) لعله يراد بهما زهير بن أبي سلمى وابنه كعب بن زهير بن أبي سلمى .

(٣) ذلاذل القيس : ما يلي الأرض من أسافله ، وكأنه يريد : لحمته .

(٤) أسنيت : رفعت .

(٥) في الأغاني : مثل جريز يقول إذا لمِب .

ثم قال حين جدّ :

إن الذي حرم الكرام تغليباً جعل النبوة والخلافة فينا
مضرّ أبى وأبو الملوك فهل لكم يا خُزَرَ تغلب من أب كأيّينا^(١)
هذا ابن عمى في دمشق خليفة لو شئتُ سافكم إلى قطينا^(٢)

قال أبو عمرو : لما بلغ عبد الملك قول جرير :

هذا ابن عمى في دمشق خليفة لو شئتُ سافكم إلى قطينا
قال : ما زاد ابن المراجعة على أن جعلني شرطيا ، أما إنه لو قال :
* لو شاء سافكم إلى قطينا *

لستهم إليه كما قال .

وقف جرير على باب عبد الملك بن مروان والأخطل عنده داخل ، وقد كانا
تهاجيا ولم ير أحداً منهما صاحبه ، فلما استأذنا عليه لجرير أذن له ، فدخل فسلم ،
وقد عرفه الأخطل فطمع طرّف جرير إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً .
فقال له : من أنت ؟ قال : أنا الذي منعت نومك وتهضمت قومك . فقال له جرير :
ذلك أشقى لك ، كأننا من كنت . ثم أقبل على عبد الملك فقال له : من هذا
يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءك ، قال : فضحك ثم قال : هذا الأخطل ،
بأبأ حرّة . فردّ إليه بصره ثم قال له : لا حيّاك الله يا ابن النصرانية ، أما منمك
نوى فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك ، وأما تهضمتُ قومي فكيف تهضمهم وأنت ممن
ضربت عليه النلة والسكنة وباء بنصب من الله وأعطى الجزية^(٣) عن يد وهو صاغر .

(١) في الأغاني : يا آل تغلب . والخزرة : الضيقو العيون جمع أخزر .

(٢) القطين : الخدم .

(٣) في الأغاني أورد الخبر مرتين وفيه : وأدى الجزية .

وكيف تهضم - لا أتم لك - قوما فيهم النبوة والخلافة وأنت لهم عبد مأمور
ومحكوم عليه لا حاكم؟ ثم أقبل على عبد الملك فقال : ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن
النصرانية . فقال : أما بحضرتي فلا^(١) فوثب جرير مضطرباً ، فقال عبد الملك : قم
يا أخطل مع صاحبك فإنما قام غضبان علينا^(٢) . فنهض الأخطل . فقال عبد الملك للخادم
له : انظر ما يستمان إذا برز له الأخطل . فخرج جرير فدعا بتلام له فقدم إليه حصانا
له أدم . فركبه وهدر ، والفرس يهتز من تحته ، وخرج الأخطل فلاذ بالباب
وتوارى خلفه ، ولم يزل واقفا حتى مضى جرير . فدخل الخادم فأخبر عبد الملك
خبرها . فضحك^(٣) وقال : قاتل الله جريراً : ما أحله ! أما والله لو كان ابن
النصرانية^(٤) برز له لأكله .

حدثت من سأل نصيباً قال : قلت له : يا أبا محجن بيتاً قتلته فازعك فيه جرير
وجميل ، فأجب أن تخبرني أيكم فيه أشعر . قال : وما هو ؟ قلت : قولك :
أضر بها التهجير حتى كأنها أكب عليها حازر متعرق^(٥)
وقال جميل :

أضر بها التهجير حتى كأنها بقايا سلال لم يدعها سلالها
وقال جرير :

إذا بلغوا المنازل لم تقيد وفي طول الكلال لها قيود

(١) في الأغاني : « لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي » وفي الرواية الأخرى : لا يكون ذلك

بين يدي .

(٢) في الأغاني : قم يا أخطل واتبع صاحبك فإنما قام غضباً علينا فيك .

(٣) في الأغاني : قد دخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره فضحك .

(٤) في الأغاني : لو كان النصراني .

(٥) المتعرق : الذي يزيل اللحم من العظم .

فقال له نسيب : قاتل الله ابن الخطي : ما أشعره ! فقال له الرجل : أما أنت فقد فضلتته . فقال : هو ما أقول لك .

كان الحجاج بن يوسف قد أقتد^(١) ابنه محمداً إلى عبد الملك بن مروان وأوفد عليه جريراً معه ، ووصاه به وأمره بمسألة عبد الملك في الاستماع منه ومعاوئته عليه ، فلما وردا استأذن له محمد بن الحجاج على عبد الملك فلم يأذن له ، وكان لا يستمع من شعراء مضر ولا يأذن لهم ، لأنهم كانوا زُبَيْرِيَّةً ، فلما استأذن له محمد على عبد الملك فلم يأذن له أعلمه أن أباه الحجاج يسأل في أمره ويقول : إنه لم يكن ممن مالا ابن الزبير^(٢) ولا نصره بيده ولا لسانه ، وقال له محمد : يا أمير المؤمنين إن العرب تتحدث أن عبدك وسيفك الحجاج شفع في شاعر قد لاذ به وجمله وسيلته فردته . فأذن له فدخل ، فاستأذن له في الإنشاد ، فقال له : وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجاج :

مَنْ سَدَّ مَطْلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْكُمْ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلِ الْحِجَّاجِ
إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَنْصُرِ الْحِجَّاجَ بِرَأْمِهِ بِهِ ، وَإِنَّمَا نَصَرَ^(٣) دِينَهُ وَخَلِيفَتَهُ ، أَوْلَسْتَ الْقَائِلُ :
أَمْسَى يَفَارُ عَلَى النِّسَاءِ حَظِيفَةً^(٤) إِذْ لَا يَتَّقِنُ بَنَيرَهُ الْأَزْوَاجُ
يَاعَاضٌ بَطَرَ أَمَهُ^(٥) ، وَاللَّهِ لَهْمَمْتُ أَنْ أَطِيرَ بِكَ طَيْرَةً يَطِيئُهَا سُقُوطُهَا . أَخْرَجَ
عَنِي : فَأَخْرَجَ بَشَرًا ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثِ شُعَمٍ لِمُحَمَّدٍ لَجِرَ إِلَى اللَّهِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنِّي أَدَيْتُ رِسَالَةَ عَبْدِكَ الْحِجَّاجِ وَشَفَاعَتَهُ فِي جَرِيرٍ ، فَلَمَّا أَذِنْتَ لَهُ خَاطَبْتَهُ بِمَا أَطَارَ لَهُ

(١) في الأغاني : أوفد .

(٢) في ت : ممن مالا . وفي الأغاني : ممن وإلى .

(٣) في الأغاني : إن الله لم ينصرني بالحجاج وإنما نصر .

(٤) في الأغاني : أم من يشار .

(٥) في الأغاني : ياعاض كفا وكنا من أمه .

وغيض منه^(١) وأشمت عدوه به ، ولو لم تأذن له لكان خيرا له مما سمع ، فإن رأيت أن تهب كل ذنب له لبيدك الحجاج ولي قافل . فأذن له فاستأذنه في الإنشاد فقال : لا تُشَدُّني إلّا في الحجاج ، فإنما أنت للحجاج خاصة ، فسأله أن ينشده مديحه فيه فأبى وأقسم ألا ينشده إلّا من قوله في الحجاج ، فأنشده وخرج بنير جائزة ، فلما أرف الرحيل قال جرير لمحمد : إن رحلت عن أمير المؤمنين ولم يسمع مني ولم آخذ منه جائزة سقطت آخر الدهر ، ولستُ براحاً من بابه أو يأذن لي في الإنشاد أو أموت ، فارحل أنت وأقيم أنا . فدخل محمد إلى عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له ، وسأله أن يسمع منه ، وقيل يده ورجله ، فأذن له ، واستأذن في الإنشاد ، فأمسك عبد الملك عن الإذن له . فقال له محمد : أنشد ويحك ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها :

السمّ خيرٌ من ركب الطايا وأندى المالكين بطونَ راح
فتبسم عبد الملك ثم قال: كذلك نحن وما زلنا كذلك . ثم اعتمد على ابن الزبير فقال :

دعوتُ المُلْحِدِينَ أَبَا خُبَيْبٍ^(٢) جِئَا حَاحَا هَلْ شُفِيتَ مِنَ الْجِلْحِ
وَقَدْ وَجَدُوا الْخُلَيْفَةَ هَبْرَ زَبَا أَلَفَّ الْمَيْسَ لَيْسَ مِنَ النَّوَاحِي^(٣)
وَمَا شَجَرَاتُ قَوْمِكَ مِنْ قَرِيشٍ بِمَشَاتِ الْفُرُوعِ وَلَا ضَوَاحِي^(٤)

(١) جملة « وغيض منه » ليست في الأغاني .

(٢) أبو خبيب : كنية عبد الله بن الزبير .

(٣) المهرزي : الخامس . والألف : الملف . والميس : الأصل .

(٤) الشة : الشجرة البقية الضبان . وفي المختار : « بمشبات الفروع » فتكون من عشب الرجل كانت قصيرا دمية . والضواحي : البادية الصليان . وفي الأغاني : وما شجرات عيصك .

ثم مرة فيها حتى أتى إلى ذكر زوجته فقال :

تَمَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ الْمُورِدِينَ ذَوِي لِقَاحٍ
تُمَلِّكُ وَهِيَ سَاعِيَةٌ بَيْنَهَا بِأَقْصَى مِنَ الشَّيْمِ الْقِرَاحُ^(١)
مِنَ الرَّحْمَنِ تَرْجُو كُلَّ خَيْرٍ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالنَّجَاحِ^(٢)

فقال عبد الملك : فهل تروىها مائة لِقَحة ؟ قال : إن لم يروها ذلك فلا رواها الله .
فهل إليها - جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين - من سبيل ؟ فأمر له بمائة ناقة^(٣)
وثمانية رُعاة ، وكانت بين يديه جامات من ذهب فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ،
تأمر لي بواحدة منهن تكون عليا ؟ فضحك ودكس^(٤) إليه واحدة بالقضيب
فدحاها إليه وقال : خذها ، لا تفتك ، فأخذها وقال : بلى والله يا أمير المؤمنين
لَتَنْفَعَنِيَّ ، وكل ما منحتني^(٥) . وخرج من عنده . وقد ذكر جرير ذلك في شعره
فقال يمدح يزيد بن عبد الملك :

أَعْطَوْا هَنِيْدَةً يَحْدُوْهَا ثَمَانِيَةٌ^(٦) مَا فِي عَطَائِهِمْ مِنْ وَلَا سَرَفُ

(١) الأَقْصَى جمع نَقَس : وهو جرعة الماء . والشَّيْم : البارد والقراح : الخالص .

(٢) لم يذكر هذا البيت في الأغاني في ترجمة جرير ، هذا ، وروايته المشهورة : تقي بالله ليس
له شريك ومن عند ...

(٣) في الأغاني : بمائة لِقَحة .

(٤) كذا في نسخ المختار ، ودكس الشيء : حشاه . والخثو : الرمي بالتراب ، فيكون المراد هنا
وما إلى . وقد ذكر الدكس بمعنى الخثو في القاموس . أما في اللسان فذكر دكسه : حشاه وفي المياري :
« دكسه : حشاه ، وفي بعض النسخ حشاه » ، هذا ، وفي الأغاني « فضحك وفدس » وذلك تقلا عن
ديوان جرير الخطوط س ٢٠ وفي أصول الأغاني « ودحس » ولعلها « دكس » وفي بعضها : ودس
انظر هامش الأغاني . وكلمة « دحس » و « دس » تؤيدان « ودكس » وهذا التعبير يؤيد القاموس
بأن الدكس : الخثو .

(٥) في الأغاني : « لينفني كل ما منحتني » هذا ، والماء في « لتنفني » هاء السكت .

(٦) هنيْدَةٌ : اسم للعانة من الإبل وغيرها .

قال الحجاج لجري والفردق وهو في قصره بجزيرة البصرة^(١) : اثنياني في لباس
آبائكما في الجاهلية ، فلبس الفردق الديباج والخرز ، وقعد في قُبته . وشاور جري^(٢)
دُهامة بن يربوع فقالوا : ما لباس آباءنا إلا الحديد . فلبس جري درعاً ، وتقلد سيفاً ،
وأخذ رمحاً ، وركب فرساً يقال له النحاز^(٣) لمبيد بن الحصين^(٤) وأقبل في أربعين
فارساً من بني يربوع ، وجاء الفردق في هيئته . فقال جري :

لبستُ سلاحي والفردقُ لُمةً عليه وشاحاً كُرجٍ وخَلَخلُهُ^(٥)
أعدُّوا مع الخَزِّ المَلابَ فإِنما جريٌ لكم بَمَلٍّ وأنتم حلالُهُ^(٦)

قال هشام بن عبد الملك يوماً لشعبة بن عقال ، وعنده جري والفردق والأخطل
وهو يومئذ أمير : ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قدمزقوا أعضائهم ، وهتكوا أستارهم ،
وأغروا بين عشائهم في غير خير ولا يرّ ولا تقع أيهم أشعر ؟ فقال شعبة :
أما جري فيغرف من بحر ، وأما الفردق فينحت من صخر ، وأما الأخطل فيجيد
المدح والفخر . فقال هشام : ما فُسرَّت لنا شيئاً نُحصِّله ، فقال : ما عندي غير
ما قلت . فقال خالد بن صفوان : صِفْهم لنا يا ابن الأَهم ، فقال : أما أعظمهم فخراً ،

(١) في المختار : « بجزيرة البصرة » وفي بعض أصوله بدون نقط . هذا ، وفي مادة حزي
معجم البلدان : والمزح غير مضاف موضع بالبصرة .

(٢) في المختار : « المنجار » وفي القاموس مادة نمز : المنجاز : فرس عباد بن الحصين .

(٣) كذا في المختار : عبيد بن الحصين . وانظر الهامش السابق . وفي الأغاني : عباد بن الحصين

(٤) كذا في المختار . وفي اللسان مادة كرج : « كرج وجلاجله » وكذلك في النفاثين

س ٦٥٠ وديوانه ٤٨٢ . هذا والكرج يخف مثل الهر يلعب عليه .

(٥) في بعض أصول الأغاني : « أعدوا مع الحلى الملباب » كالنفاثين ٦٥٠ وديوانه س ٤٨٢

والملباب : ضرب من الطيب ونوع من الطر أو يقال ذلك للزعفران . انظر اللسان مادة لوب .

وأبعدم ذِكْرًا ، وأحسنهم عُندًا ، وأشدُّهم مِيلًا^(١) ، وأقلهم غَزَلًا ، وأشردم مثلاً^(٢) ، وأحلام عِلَلًا ، الطائى إذا زَخَرَ ، والسامى إذا خَطَرَ ، والحامى إذا زَارَ ، الذى إن هدر قال ، وإن خَطَرَ سال ، الفصيح اللسان ، الطويل العنان ، فالنزدق .
وأما أحسنهم نَعَمًا وأمدُّهم بَيِّنًا^(٣) وأقلهم قَوْنًا ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رَفَع ، قالاخطل . وأما أغزىهم بحرا ، وأرقهم شعرا ، وأهتكمهم لمدوهُ سِتْرًا ، الأفرُّ الأبلق ، الذى إن طَلَب لم يُسَبِّق وإن طُلِب لم يُلْحَق ، فجرير . وكلهم ذِكْرُ الفؤاد ، رفيع الهاد ، وارى الزناد . فقال هشام^(٤) بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالدُ فى الأوَّلين ولا رأينا فى الآخرين ، وأشهد أنك أحسنهم وصفا ، وألينهم عطفًا ، وأعفُّهم مقالا ، وأكرمهم فعلا . فقال خالد : أتمَّ الله عليكم نِعَمَهُ ، وأجزل لديكم قِسَمَهُ ، وآنس بكم التُّرْبَةَ ، وفرِّج بكم الكُرْبَةَ . وأنت والله يا أيها الأمير كريم الفراس عالمٌ بالناس ، جوادٌ فى الحُلل ، بسامٌ عند البَدَل ، حلیم عند الطلش ، فى ذِرْوَةِ قريش ، ولُبَّاب عبد شمس ، ويومك خير من أمس . فضحك هشامُ وقال : ما رأيت كمثلُك يا ابن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعا وسَلِمْتَ عليهم^(٥) .

(١) جملة « وأشدُّهم ميلا » ليست فى الأغاني « واندبجت بجملة » وأشردم مثلا .
فحدث تحريف فى الأغاني فقالوا « وأشدُّهم مثلا » ولعلها « وأسدُّهم مثلا » وغيرت فى الأغاني طبع دار الكتب إلى « وأسيرهم مثلا » .

(٢) انظر الماشى السابق .

(٣) فى الأغاني « وأمدُّهم بيئا » .

(٤) فى الأغاني : مسلة .

(٥) كذا فى نسخ المختار . وفى الأغاني : « سلمت منهم » وذلك عن نسخة واحدة أما نسخ الأغاني الباقية فسكانختار .

وَتَزَوَّجُ الْفَرَزْدَقُ حَذْرَاءَ بِنْتِ زَيْقِ بْنِ بِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ عَلَى حُكْمِ أَبِيهَا ،
فَاحْكُمُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ ، فَدَخَلَ عَلَى الْحِجَابِ [يَسْأَلُهُ ذَلِكَ] ^(١) فَمَذَلَهُ وَقَالَ لَهُ :
أَتَزَوَّجُ امْرَأَةً عَلَى حُكْمِ أَبِيهَا ^(٢) ؟ فَقَالَ عَنبَسَةُ بْنُ سَمِيدٍ - وَأَرَادَ نَفْعَهُ - : إِنَّمَا هِيَ
مِنْ حَوَاشِي إِبِلِ الصَّدَقَةِ أَبِيهَا الْأَمِيرِ ^(٣) فَأَمَرَ لَهُ الْحِجَابِ بِهَا ، فَوَثَبَ جَرِيرٌ فَقَالَ :

يَا زَيْقُ قَدْ كُنْتَ مِنْ شَيْبَانَ فِي حَسْبٍ
يَا زَيْقُ وَمَحْكٌ مَنْ أَنْكَحْتَ يَا زَيْقُ
أَنْكَحْتَ وَمَحْكٌ قَيْنًا بِاسْتِهِ حَمَمٌ
يَا زَيْقُ وَمَحْكٌ هَلْ بَارَتْ بِكَ السُّوقُ
غَابَ الْمُتَنَّى فَلَمْ يَشْهَدْ فَجِيَّتْكُمْ
وَالْحَوْفُزَانُ وَلَمْ يَشْهَدْكَ مَفْرُوقُ ^(٤)

يَا رَبُّ قَاتِلِي بَعْدَ الْبِنَاءِ بِهَا
لَا الصَّهْرُ رَاضٍ وَلَا ابْنُ الْقَيْنِ مَمْسُوقُ
أَيْنَ الْأَلَى اسْتَزَلُّوا النُّعْمَانَ ضَاحِيَةً
أَمْ أَيْنَ أَبْنَاءُ شَيْبَانَ الْفَرَائِقُ
فَلَمْ يَجِبْهُ الْفَرَزْدَقُ عَنْهَا ^(٥) ، وَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَنَاقِضَاتٌ أُخْرَى مِنْهَا قَوْلُ جَرِيرٍ
مِنْ أَيْتَاتِ :

(١) زيادة من الأغاني .

(٢) في الأغاني : « حَكَمَهَا » هذا مع تقدم قوله على حكم أبيها .

(٣) جملة « أَبِيهَا الْأَمِير » ليست في الأغاني .

(٤) التي هي التي بن حارثة . والحَوْفُزَانُ : هو الحارث بن شريك الشيباني . ومفروق : هو

النعمان بن عمرو الشيباني .

(٥) في القفاش ص ٨١٩ : فَأَجَابَهُ الْفَرَزْدَقُ فَقَالَ :

إِنْ كَانَ أَتُفِكَ قَدْ أَعْيَاكَ حَمَلُهُ فَارْكَبْ أَتَانَاكَ ثُمَّ اخْطُبْ إِلَى زَيْقٍ

وهنَّ كَاءُ الزَّنِّ يُشَقِّى بِهِ الصَّدَى
 وكانت مِلَاحاً غَيْرَهُنَّ المِشَارِبُ
 فلا نَامَطِي الحَكَمَ مِنْ شِفِّ مَتَّصِبٍ^(١)
 ولا عَنْ بَنَاتِ الحَنْظَلِيِّينَ رَاغِبُ
 ولو كُنْتَ حُرّاً كَانِ هَشْرًا سِيَاكُكُمْ
 إِلَى آلِ زَيْقٍ وَالْوَصِيفُ المِقَارِبُ^(٢)

فقال الفرزدق :

فَنَلَّ مِثْلَهَا مِنْ مِثْلِهِمْ ثُمَّ نَأْمَمُ^(٣) عَلَى دَارِيٍّ بَيْنَ كَلْبٍ وَغَالِبٍ
 هُمْ زَوَّجُوا قَبْلِي لَقِيطًا وَأَنْكَحُوا ضِرَارًا وَهُمْ أَكْفَاؤُنَا فِي الْمُنَاسِبِ
 وَلَوْ قَبِلُوا مِنِّي عَطِيَّةَ سُقْتُهُ إِلَى آلِ زَيْقٍ مِنْ وَصِيفٍ مُقَارِبٍ^(٤)
 وَمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ إِلَّا تَرَفُّعُ لَجْرِيرِ اللَّوِيَّةِ فِي تَطَوُّفِهِ بِهَا^(٥) لِقَوْلِهِ :
 وَهَنْ كَاءُ الزَّنِّ يُشَقِّى بِهِ الصَّدَى وَكَانَتْ مِلَاحاً غَيْرَهُنَّ المِشَارِبُ
 اللَّوِيَّةُ : الشَّرِيحَةُ مِنَ اللَّحْمِ أَوْ الْفِدْرَةُ مِنَ الثَّمَرِ ، أَوْ الْكُبَّةُ مِنَ الشَّجَرِ ،
 أَوْ الْحَفَنَةُ مِنَ الْأَقِطِ فَإِذَا ذَهَبَ الْأَلْبَانُ وَضَاقَتِ الْمَعِيشَةُ كَانَتْ طُرْفَةٌ عِنْدَهُمْ .

(١) الشف ما هنتا النقصان كما في النقائض ٨٠٧ هذا ، والبيت في النقائض والأغاني مقدم على سابقه .

(٢) هذا البيت هو التاسع عشر من القصيدة في النقائض ٨٠٧ - ٨١٢ والبيان يراد به هنا المهر والمقارب يراد به الدون .

(٣) في المختار : « فقل مثلها في مثلهم » والتصويب من النقائض ٨١٥ والأغاني . والقصيدة ١٩ بيتا والنقائض .

(٤) في الأغاني بعده بيت .

(٥) في الأغاني : اللوية في عظمها لطرفه بها .

وقال جرير أيضا :

أَثَارُهُ حَذَرَاهُ مَنْ جُرَّ بِالنِّقَا وهل لأبي حذراء في الوترِ طَالِبٌ ^(١)
أَثَارُ بَسْطَامٍ إِذَا اجْتَلَتْ أَسْتَهَا وقد بَوَّكْتُ فِي مِصْمَعِيهِ الثَّعَالِبُ
النِّقَا الَّذِي ذَكَرَهُ جَرِيرٌ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي قَتَلْتُ فِيهِ بَنُو ضَبَّةٍ بَسْطَامًا وَهُوَ بَسْطَامُ

ابن قيس .

وكرهت بنو شيبان أن يهلك جرير أعراسهم ، فلما أراد الفرزدق نقلَ حذراء
اعتلوا عليه وقالوا: إنها ماتت . فقال جرير :

فَأَتَيْتُهَا مَا مَاتَتْ وَلَكِنَّمَا أَلْتَوَى بِحَذَرَاءِ قَوْمٍ لَمْ يَرَوْكُ لَهَا أَهْلًا
رَأَوْا أَنَّ صِهْرَ الْقَيْنِ هَارٍ عَلَيْهِمْ وَأَنَّ لِبَسْطَامٍ عَلَى غَالِبٍ فَضْلًا
إِذَا هِيَ حَلَّتْ مُسْحَلَانٍ وَحَارِبَتْ بِشِيبَانَ لَا فِي الْقَيْنِ مِنْ دُونِهَا شُغْلًا ^(٢)

لما نُسِي الفرزدق إلى المهاجر بن عبد الله . وجرير عنده قال جرير :

مَاتَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ مَا جَدَّعَتْهُ لَيْتَ الْفَرَزْدَقَ كَانَ هَاشٍ قَلِيلًا
فَقَالَ لَهُ الْمُهَاجِرُ : بئسَ لَمَرٌّ أَفَّهَ مَا قَلَّتْ فِي ابْنِ عَمِّكَ ، أَتَهْجُو مِنِّي أَمَا وَاللَّهِ لَوَرَيْتَنِي
لَكُنْتُ أَكْرَمَ الْعَرَبِ ، وَأَشْرَهَا . قَالَ : فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنَّ يَكْتُمُهَا عَلَيَّ فَإِنَّهَا سَوَاءٌ
ثُمَّ قَالَ :

فَلَا وَصَمْتُ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حَامِلٌ وَلَا ذَاتُ بَمَلٍ عَنْ تَقَاسٍ تَمَكَّتْ
هُوَ الْوَافِدُ لِلْيَمُونِ وَالرَّاتِقِ الثَّأْيُ ^(٣) إِذَا النَّمْلُ يَوْمًا بِالْمَشِيرَةِ زَلَّتْ
ثُمَّ بَكَى وَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ قَلِيلَ الْبَقَاءِ بَعْدَهُ ، وَلَقَدْ كَانَ نَجْمَنَا وَاحِدًا ،

(١) في النقا ص ٨١٢ « وهل في بني حذراء للوتر غالب » .

(٢) هذا البيت لم يرد في الأغاني وهو في ديوانه ص ٤٢٠ : إذا فوزت عن مسحلان ودافعت

(٣) الثأى : التقي والفساد .

وكلُّ واحدٍ مشغولٌ بصاحبه ، وَقَلَّ مَا مَاتَ ضِدُّهُ أَوْ صَدِيقُ إِلَّا تَبِعَهُ صَاحِبُهُ .
فَكَانَ كَذَلِكَ . مَاتَ بَعْدَهُ بِسَنَةٍ .

لَمَّا احْتَضَرَ جَرِيرٌ دَخَلَ عَلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَمُودُونَهُ ، فَاتَّفَقَتْ إِلَيْهِمْ وَقَالَ :
أَهْلًا وَسَهْلًا بِقَوْمٍ زَيَّنُوا حَسْبِي وَإِنْ مَرَضْتُ فَهَمُّ أَهْلِي وَعَوَّادِي
إِنْ تَجَرَّ طَيْرٌ بِأَمْرٍ فِيهِ عَافِيَةٌ أَوْ بِالْفِرَاقِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ زَادِي
لَوْ أَنَّ لَيْثًا أَبَا شَيْبَلَيْنِ أَوْعَدَنِي لَمْ يُسَلِّحُونِي لِلْيَثِّ النَّابَةِ الْعَادِي

جميل المنذرى^(١)

هو جميلُ بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان بن جَزء بن ربيعة^(٢)
ابن حَرَام بن ضِنَّة بن عَبْد بن كثير بن عُذرة بن سمد - وهو هُدَيم مسمى بذلك إضافة
لاسمه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هُدَيم كان يحضنه فنَلَب عليه - بن زَيْد بن سود بن أَسَلَم
ابن الحاف بن قضاة .

والنسابون مختلفون في قضاة ، فبهم من يزعم أن قضاة ابن مَعْدٍ وهو أخو
زار بن معد لأبيه وأمه ، وهى مُعانة بنت جَوْسَم بن جُلُهْمَة بن عامر بن عَوْف
ابن عَدِي بن دُب بن جُرْهُم ، ومنهم من يزعم أنهم من رَحْمَةٍ وقد انتسب جميلُ
في شمره مَعْدِيًّا فقال :

أنا جميلُ في السَّنام من مَعْدٍ في الأُسرة الحَصْداء والعِيس الأسدُ^(٣)
وقال راجز قضاة ينسبهم إلى حَمِير :

قضاة الأَثَرُونَ خَيْرُ مَعَشَرٍ
قضاةُ بن مالك بن حَمِيرٍ
النسبُ المعروفُ غيرُ المنكُمرِ

(١) الأغاني : دار الكتب ٩٠/٨ وانظر ص ٨٩ ودار الثقافة ٩٠/٨ وانظر ص ٨٩
وبولاق ٧٧/٧ والساسى ٧٢/٧ والتجريد ٩٣٠ .

(٢) في الأغاني : جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن ظبيان وقيل ابن معمر بن حن بن
ظبيان بن قيس بن جَزء بن ربيعة .

(٣) الحَصْداء : الشديدة القتل المستعكة الصنعة . والعِيس : الأصل . والأسد : من قوهم :
سد السهم . إذا استقام . وفي الأغاني : الأشد . وانظر ديوانه ص ٥٧ .

وقضاعة اليوم تنسب كلها في حِمير ، وترعم أن قضاعة ابن مالك بن مرة بن زيد ابن مالك بن حِمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . واسم سبأ عامر ، وإنما قيل له سبأ لأنه أول من سبى النساء ، وكان يقال له عَبٌّ^(١) الشمس أى عدِيل الشمس سُمي بذلك لحسنه . ومن زعم أن قضاعة ليس ابن معد ذكر أن أمه عَكْبَرَة^(٢) — امرأة من سبأ — كانت تحت مالك بن عمرو ، فأت عنها وهي حامل ، فخلفه عليها معد بن عدنان ، فولدت قضاعة على فراشه . قال مؤرِّج بن عمرو : هذا قول أحدنوه وصنعوا شعرا المصنوع به ليصححوا هذا القول ، وهو :

يا أيها الداعي اذُعنا وأبشِرْ وكُنْ قُضَاعِيًّا ولا تَنَزِّرْ^(٣)
قُضَاعَةُ الْأَثَرُونَ خَيْرُ مَعَشِرٍ قُضَاعَةُ بن مالك بن حِمِيرٍ^(٤)

وقال مؤرِّج : شعراء قضاعة كلها في الجاهلية والإسلام تنتمي إلى معد . قال جميل :

وأبي معدٍّ كان فيء رماحهم^(٥) كما قد أفانا والفأخرُ مُنْصِفُ
وقال زيادة بن زيد يهجو بني همة بن عامر رَهْطَ هُدَيْبِ بنِ خَشْرَمَ :
وإذا معدٌّ أوقدت نيرانها للمجدِّ غَضَّتْ عامرٌ وتَضْمَعُوا^(٦)
وجميل شاعر فصيح مقدّم جامع للشعر والرواية ، وكان راوية هُدَيْبِ بنِ خَشْرَمَ ، وكان هُدَيْبِ شاعرا راوية الخطيئة ، وكان الخطيئة شاعرا راوية زُهَيْرِ وابْنِه ،

(١) عب الشمس : ضوء الشمس .

(٢) في الأغاني : عكبرة وفي صبح الأعشى ج ١ ص ٣١٥ سماها جكرة .

(٣) بجانب كلمة «ولا تنزر» بالهَمْز : «ولا تنسب إلى نزار» وذلك في ١ ، ك .

(٤) بعده في الأغاني : «النسب للمروء غير النكر» وأضاف أيضا وقال مؤرِّج : وهذا شيء

قيل في آخر أيام بني أمية .

(٥) في الأغاني : وأبى معد كان فيء رماحهم .

(٦) في الأغاني : أغضت عامر .

وآخر من اجتمع له الشعر والرواية كَثِيرٌ ، كان كَثِيرٌ رَاوِيَةً جَمِيلٌ ، وَجَمِيلٌ رَاوِيَةً هَذْبَةً ، وَهَذْبَةٌ رَاوِيَةُ الْخَطِيئَةِ ، وَالْخَطِيئَةُ رَاوِيَةُ زَهِيرٍ .

كان جميل يهوى بئينة بنت حَبَّاءَ بن ثعلبة بن الهون^(١) بن عمرو بن الأحب ابن جَزْءٍ^(٢) بن ربيعة في النسب^(٣) ، وكان صادق الصبابة والعشق ، ولم يكن كَثِيرٌ بما شق ولكنه يَقُولُ . وكان الناس يستحسنون بيت كَثِيرٌ في التسيب :

أُرِيدَ لِأَنسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

وفي الناس من يفضل عليه بيت جميل :

خَلِيلٌ فَيَا عِشْتَمَا هَلْ رَأَيْتَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبِيلِي
وَيْتٌ كَثِيرٌ أَخَذَهُ مِنْ جَمِيلٍ حَيْثُ يَقُولُ :

أُرِيدَ لِأَنسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى عَلَى كُلِّ مَرْفَعٍ
لَقِيَ الْفَرَزْدَقُ كَثِيرًا فَقَالَ لَهُ : مَا أَشْرَكَ يَا كَثِيرٌ فِي قَوْلِكَ :

أُرِيدَ لِأَنسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ
يُمرُّصٌ لَهُ بِسَرَّتِهِ مِنْ جَمِيلٍ :

أُرِيدَ لِأَنسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى عَلَى كُلِّ مَرْقَبٍ
فَقَالَ لَهُ كَثِيرٌ : وَأَنْتَ يَا فَرَزْدَقُ أَشْرَعَ النَّاسِ فِي قَوْلِكَ^(٤) :

تَرَى النَّاسَ مَا سِرْنَا يَسِيرُونَ خَلْفَنَا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَانَا إِلَى النَّاسِ وَقَفُوا
وهذا البيت للجميل سرقة الفرزدق ، فقال لكثير : أكانت أمك مَرَّتْ بِالْبَصْرَةِ ؟
قال : لا ، ولكن أبي وكان تَزِيلًا لِأُمِّكَ .

(١) في الأغاني : الهوذ .

(٢) في الأغاني : حسن .

(٣) كذا في أصول المختار . وفي تحرير الأغانى : بن ربيعة تلتقي هي وجميل في حن بن ربيعة في النسب

(٤) في الأغاني : وَأَنْتَ يَا أَبَا فَرَّاسٍ أَفْضَرُ النَّاسِ حِينَ تَقُولُ .

قال طلحة بن عبيد الله : إني لأعجب بجواب كثير هذا ، على أنه ما رأيت أحداً أحق منه قط .

ذَكَرَ جميلٌ لكثيرٌ فقالوا : ما تقول فيه ؟ فقال : من علم الله .
سئل نصيب : أجميل أنسب أم كثير ؟ فقال : أنا سألت كثيراً عن ذلك فقال :
وهل وطأ لنا النسب إلا جميل ؟

وكان نصيب يقول : جميلٌ إمام المحبين .

وكان جميلٌ ينسب بأُم الجسير . وكان أول ما علق بُشينة أنه أقبل يوماً بإبله
حتى أوردتها وادياً يقال له يَنْيِض ، فأضطجع وأرسل إبله مُصعدة ، وأهلُ بُشينةَ
يَذْنِب الوادى ، وأقبلت بُشينة وجارة لها وارتدين الماء ، فرغتا على فصالي له بُرُوكٍ
فمرمتهم بُشينة - يقول : نفرهن - وهى إذ ذاك جَويرة صغيرة ، فسبها جميل فافترت
عليه ، فملح إليه سباً بها فقال :

وَأَوَّلُ مَا قَادَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا بَوَادِي يَنْيِضُ يَا بُشَيْنَ سِيَابُ
فَقُلْنَا لَهَا قَوْلًا لَجَاجَةً بَمِثْلِهِ لِكُلِّ كَلَامٍ يَا بُشَيْنَ جَوَابُ

وكانت بُشينةُ عند نبيه بن الأسود المُذَرَّى . وإياه عنى جميل بقوله :

لَقَدْ أَنْكَحُوا جَهْلًا نَبِيَهَا ظَلَمِينَةً

لطيفةً طَلَى البطنَ ذَاتَ شَوْى خَدَلٍ (١)

ولما أُخبرت بُشينةُ أن جيلاً نسب بها حلفت بالله لا يأتنها على خلاء إلا خرجت
إليه ولا تتوارى منه ، فكان يأتنها غفلاتٍ (٢) الرجال ، فيحدث إليها ومع أخواتها

(١) الخذل : للمتلئ والشوى : الأطراف .

(٢) فى الأغاني : عند غفلات .

حتى نبي إلى رجالها أنه يتحدث إليها إذا خلا منهم ، وكانوا غيراً^(١) ، فرسده
بجماعة نحو بضمة عشر رجلاً ، وجاء على الصبياء ناقة حتى وقف على شينة وأم
الجسير وما يحدثانه . وهو ينشدهما :

حلفت رب الرافعات إلى منى هوى القطا يجترن بطن دفين^(٢)
لقد ظن هذا القلب أن ليس لاقياً سلمي ولا أم الجسير لحين
فلت رجلاً فيك قد نذرُوا دمي وهموا بقتلي يا بشين لقوني
إذا مارأوني طالماً من ثنية^(٣) يقولون من هذا وقد عرفتوني
وأعينهم شراً إلى كائنها خرُوف سيوف في غموض جفون
يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحباً ولو ظفروا بي ساعة قتلوني
فكيف ولا توفى دماؤهم دى ولا مالهم ذو ندهم فيدوني^(٤)
نجتني على الذب أهلي وأهلها ولو عرفوا وجدى بها عذروني
لحى الله من لا ينفع الودُّ عنده^(٥) ومن حبيله إن مد غير متين
ومن هو ذو لوين ليس بدائم على العهد خوآن لكل أمين
فبينما هو على تلك الحال إذ وثب عليه القوم فرماهم بها فسبقت به وهو يقول :
إذا جمع الأبنانُ جماعاً رميتهم^(٦) بأركانها حتى تُخلّى سبيلها

(١) ضبطها في ١ و ٢ : غيراً بتشديد الياء مفتوحة .

(٢) دفين : موضع .

(٣) هذا البيت وما بعده ليس في الأغاني عند ترجمته وأضيف بهامش ك و صلب ١ .

(٤) التبعة : الكثرة .

(٥) في ت : من لا يعرف الود عنه .

(٦) كلمة الأبنان غير واضحة في المختار إلا أن فوق التون قطبها . وفي الأغاني جلت «الأتان»
هذه ، والأبنان تكون ذا المداومن الأتنة وهي المداوة يقال بينهم أين أى عداوات أو لكون الأتنان
أى المقارب المخطو من قولهم : أين الرجل : فارب المخطو ، ويريد بذلك ضفه لكبر .

وكان هذا أول المهاجة بينه وبين عبد الله بن قنطة^(١) .

وكان جميل^(٢) قد خطب بثينة وهي ابنة خالته ، وكان نبيه ابن عمها قد سبقه إلى خطبتها ، فوعده أبوها ولم يعقد نكاحها لأنها كرهته ، وكان قبيحا دميما ، في إحدى عينيه نكتة بيضاء ، فخرج وابنا عمه له يقال لها مسعدة وروقي ، وخرج معهم نبيه إلى الصيد ، فربهم رجل من خزاعة يكنى أبا عباية ، وكان شديدا بتعاطي الصراع . فقال له نبيه : هل لك يا أبا عباية في مصارعتي ؟ قال : ذلك إليك ، فاتّحدا^(٣) فصرعه أبو عباية وجلس على صدره ، فضحك جميل وساحباه من ذلك ، فقام إلى أبي عباية وقال له : عاودتي ، فقال : لا أمل ، فتلق به ، فقال له جميل : ماذا تريد من الرجل ؟ طالبتك بالصراع فصرعك ، والمادة إليه إن أرادها وإلا فلا سبيل لك عليه . قال : أقتصارعني أنت يا جميل ؟ قال : وما تريد بذلك ؟ قال : أحبه وأشتهيه . قال : والله ما لك فيه خير ، فإن أحببته على ذلك فملم ، فاتّحدا فصرعه جميل ، ثم سأله المادة فماوده فصرعه ثانية ، ثم سأله المادة فصرعه ثالثة ، وضرط نبيه من تحته ، ثم قام فانصرف إلى الحى مُغضبا ، وسأله فتیان المشيرة عن سبب رجوعه فقال : دهاني جميل إلى الصراع فكهرت ذلك ، ثم ألح على فصارعته فصرعته ووثب على ابنا عمه فتجّيان عنه وألقياه على صدرى فرجعت مغضبا . فقالوا له : ما كان ينبغي لك أن تصارع ابن عمك وهو نازل في حيّك وإذ قد جرى ذلك فلا ينبغي لك أن تنفّض في ذكره ولا أن تمّيده ، فقالت بثينة : كذب والله نبيه ، لو صرع جميلا لأتّم وجهه^(٤) ، ولكن جميلا صرعه فغضب وانصرف ،

(١) في الأغاني : عبد الله بن قنطة .

(٢) هذا النص بطوله لا يوجد في ترجمة جميل في الأغاني .

(٣) تكتب مرة في المختار : اتّحدا ومرة اتّحدا .

(٤) الكلمة غير منقولة وأتم وجهه تريد لظل في الصيد بقية يومه مع صحبه .

وتصاحكت به هي ونساء الحى ، وعاد جميلٌ وصاحبه فتحدثوا فى الحى بالحديث على وجهته ، ووجَّ نبيه منذ يومئذ فى ترويح بئينة وبذل لهم مالا عظيما ، وكان كثير المال ، فزَوَّجَهَا ودخل بها على كره منها . ولما تزوجت جزع جميل جزعا عظيما وأسف أسفا شديدا ، وقطع زيارة بئينة وهجرها ، وطالت المدة فى هجره إياها ، ثم قال لمسعدة وروِّق ابنتى عمه ، وكانا له صَفِيَّين : قد طال هجرى بئينة وتجلدى على بدنها ، وإن ذلك لقاضٍ علىَّ أو دافى إلى أن أرى منها ما يُسَخِّن عيني ، فقالوا له : اتق الله تعالى وأبقِ على نفسك إن كنت لا تطيق السلوَّ عنها ، واصبر على بعض ما تسكره ، وألمِّم بها إلامة لملك تستريح إليها . فأجمع على ذلك ومضى معها ، فلما جارية لها حبشية ، فلم يكلمها ولا أكلها أنه يريد بئينة ، ولكنه جلس مع ابنتى عمه مستظلاً بشجرة ، ومطايام معقولة كأنهم يريدون أن يُرمحوا ، فبادرت الأمة إلى بئينة فأخبرتها ، فجاءت هى وأُمُّ الجسير ولبنى وأم منظور ، فلما رأينه سلَّمن عليه وعلى صاحبيه وجلسن إليهم ، فقالت له أم منظور : أين كنت بَمَدَنًا ؟ وأين كانت غيبتك ؟ لقد طال شوقنا إليك ، فقال : اعتريت عنكن فى أهلى وافترقنا فرأيت التباعُد مع ما حدث أجمل ، فبكت بئينة وقالت : ما تباعدنا عنك ولا زادتنا الليالى إلا شوقاً إليك وتجديداً لودتك . وتحديثاً بقية ليلتهما وتشاكيا حتى أصبحا فقال جميل فى ذلك ^(١) :

من الحاج ما تدرى بئينة ماهيا	ألا طال كتمانى بئينة حاجة .
فترُكها قَلَّلاً على كُنا هيا	أخاف إذا أنبأتها أن تُضِيعها
ولا مُفَحِّشٍ فيها لديك التقاضيا	أغرُّك أنى لا بحِملٍ عليكم

(١) هذه القصيدة بترتيبها وطولها لم ترد فى الأغانى فى ترجمة جميل بل جاءت ببعض أبيات منها من غير سياق هذا الخبر .

أعدُّ الليالي ليلةَ بعد ليلةٍ وقد عشتُ دهرًا لا أعدُّ الليالي^(١)
 ذكرتُك بالديارينِ يوما فاشرفتُ بناتُ الهوى حتى بَلَغْنَ التَّرافيا
 إذا كنتُ حلتُ عيني بِمَينِكَ لم أزلْ بخيرٍ وَجَلَّتْ غَمْرَةٌ عن فؤاديا
 فأنتَ الذي إن شئتَ أَشقيتَ عيشي^(٢)

وإن شئتُ بعد الله أُنعمتُ باليا
 وأنتَ الذي ما من صديقٍ ولا عدوٍّ^(٣)

يرى نَصو ما أَبقيتُ إِلَّا رَمَى ليا
 إذا خَدَرْتُ رجلى وقيل شفاؤها دعاه حبيبٌ كنتَ أنتَ دعاها
 وما زادني النَّأْيُ المَرُوقُ بيننا سَأَوْا ولا طَولُ التَّلَاقِ تَقَالِيا
 ولا زادني الواشون إِلَّا سَبَابَةً ولا كَثْرَةُ النّاهِينِ إِلَّا تَعَادِيا
 ألمْ تَملِي يا عَذْبَةَ الرِّيقِ أني أَظَلُّ إذا لم أَلِقْ وَجْهَكَ صَادِيا
 لقد خَفْتُ أن أَلْقِي المَنِيَّةَ بَقْتَةً وفي النّفسِ حَاجَتٌ إِلَيْكَ كَاهِيا
 وخبرتُماي أن تِهَاءَ مَنْزِلُ ليلي إذا ما المَصِيفُ أَلْقَى المَراسِيا
 فهذِي شهورُ السَّيفِ عَنِّي قد انقَضَتْ

فما للنوى ترى بَلَيْسَ المَرامِيا
 وإني لَتَنِيئِي الحَفِيظَةُ كُلَّمَا لَقِيتُكَ يوما أن أَبْثُك ما بيا
 وإني لأَسْتَحْيِيكَ أن أذكرَ الصَّبَا إِلَيْكَ فَأَنسَى القلبَ ما ليس نَاسِيا
 وما زِلْتُ يا بَنُ حَتَّى لو أَنِي من الشوقِ أَسْتَبْكِي الحَمامَ بَكَى ليا

(١) هذا البيت ورد في شعر مجنون ليل في الأغاني وكذلك بعض أبيات من القصيدة وفي الأغاني في ترجمة جميل إشارة إلى أن شعرا نسب للمجنون وانظر ديوان مجنون ليل تحقيق وديوان جميل.
 (٢) في الأغاني : « وأنت التي إن شئت كدرت عيشي » وهذا البيت مما ينسب للمجنون .
 (٣) في الأغاني : وأنت التي .

تياه خاصة منزل لبني عمدة وليس من منازل بني عامر ، ولا يروى هذا الشعر
للحجنون إلا من ليس يعلم .
ومن شعره فيها :

أَلَا هَلْ إِلَى إِلَامَةٍ أَنْ أَلِمَهَا بَثْنَةً يَوْمًا فِي الْحَيَاةِ سَبِيلُ
فَإِنْ هِيَ قَالَتْ لَا سَبِيلَ فَقُلْ لَهَا عَنَاءٌ عَلَى الْمُدْرِي مِنْكَ طَوِيلُ

شكا زوجُ بَثْنَةٍ إلى أبيها وأخيها إلام جميل بها ، فوجهوا إلى جميل فأعذروا إليه
وشكوه إلى عشيرته وأعذروا إليهم وتوعدوه وإياهم^(١) ، فلامه أهله وعنفوه وقالوا :
سنُخلصك إليهم^(٢) وتبرأ منك ومن جريرتك ، فأقام مدة لا يُعلم بها ، ثم لقي
أبني عمه روثًا ومسعودًا^(٣) فشكا إليهما ما به . وأنشدهما قوله :

زُورًا بَثْنَةً فَالْجَيْبُ مَزُورُ إِنْ الزَّيَارَةُ لِلْحَبِيبِ يَسِيرُ
إِنْ التَّرْحُلُ لَيْسَ يُبْلِثُ أَمْرَنَا وَإِعْتَاقُنَا قَدَرُ أَحْمَرَ بِكُورُ^(٤)
إِنِّي عَشِيَّةٌ رُحْتُ وَهِيَ حَزِينَةٌ تَشْكُو إِلَيَّ صَبَابَةً لَعِينُورُ
وَتَقُولُ بَتَّ عِنْدِي فَدَيْتُكَ لَيْلَةٌ أَشْكُو إِلَيْكَ فَإِنْ ذَاكَ يَسِيرُ
غَرَاءَ مَيْسَامٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا دُرٌّ تَحْدَرُ نَظْمُهُ مَنُشُورُ
مَحْطُوطَةُ التَّنِينَ مُضْمَرَةٌ الْحَشَا رِيًّا الرُّوَادِفِ خَلْفُهَا مَحْكَورُ^(٥)

(١) في الأغاني ١٢٧/٨ : وأنام . وجاء في رواية أخرى ج ٨ ص ١٤٨ كما هنا .

(٢) في الأغاني ١٢٧/٨ : وقالوا إننا نخلصك إليهم . وفي ج ٨ ص ١٤٨ : أستخلص إليهم وذلك

مثل نسخة ت .

(٣) سبق أن ابن عمه مسعدة . لكن في الأغاني ١٢٧/٨ ونسخة ١ وك : ومسعودا أما نسخة

حنطه « ومسعدة » وكذلك في الأغاني ١٤٨/٨ ومسعدة . وجاء بالشعر الذي هنا . أما في ج ٨

ص ١٢٧ فشم قائلته عين .

(٤) في الأغاني : « إلت الترهل إن تلبس أمرنا » وفي ١ : أحمر مكور .

(٥) محطولة التنين : ممدودتها ومكور : ممتلئ .

(٢/١٦ مختار الأغاني)

لَا حُسْنَهَا حُسْنٌ وَلَا كَدْلَاهَا دَلٌّ وَلَا كَوَافَرُهَا تَوْقِيرٌ^(١)
وَلَيْتَنِي جَزَيْتُ الْوَدَّ مِثْلَهُ إِنِّي بِذَلِكَ يَا بَشِينَ جَسِيرٌ

فقال له روق: إنك لما جرت ضعيف في استكانتك لهذه المرأة وتركت الاستبدال بها مع كثرة النساء ووجود من هو أجل منها ، وإنك فيها بين فجور أرفعك عنه ، أو ذل لا أحبه لك ، أو كمد يؤدبك إلى التاف. ومخاطرة بنفسك لقومها إن تعرضت لها بعد إعدارهم إليك ، وإن صرفت نفسك عنها وغلبت هواك فيها وتجرعت مرارة السلوان فذلك الحزم^(٢) حتى تألفها وتضير نفسك عليها طائفة وكراهة ألفت ذلك وسلوت. فبكي جميل وقال: يا أخى ، لو ملكت اختيارى لكان ما قلت صوابا ، ولكنى لا أملك الاختيار ، ولا أنا إلا كالأسير لا يملك لنفسه نقما ، وقد جئتكم لأمر أسألك ألا تكدر فيه ما رجوته عندك بلوم ، وأن تحمّل على نفسك فى مساعدتي ، فقال له : فإن كنت لابد مهلكا نفسك فاعمل على زيارتها ليلا ، فلما تخرج مع بنات عمها لها إلى ملتب لمن ، فأجىء معك حينئذ سرا ، ولئلا أخرج من رهط بئينة من بنى الأحب نأوى عنده نهارا ، وأسأله مساعدتك على هذا ، فنقيم عنده أياما نهارا وتجتمع معها بالليل إلى أن تفضى أربك . فشكره ، ومضى روق إلى الرجل الذى من رهط بئينة ، فأخبره الخبر ، واستمعده كتمانها ، وسأله مساعدته فيه ، فقال له : لقد جئتني بإحدى المظالم ، ويحك ! إن فى هذا معاداة الحى جميعا إن فطن به . فقال : أنا أتحرز فى أمره من أن يظهر . فوآعده لذلك ، ومضى إلى جميل فأخبره بالقصة ، فأتيا الرجل ليلا فأقاما عنده ، وأرسل إلى بئينة بوليدته له بجاتم جميل ، فدفعته إليها ، فلما رآته عرفته ، فقبعتها وجاءته ، فحدثا ليلتهما ،

(١) لاحسنا : أى لا كسنا . هذا ، ويمده فى الأغاني بيت .

(٢) فى الأغاني : وتجرعت مرارة الحزم .

وأقام موضعه ثلاثة أيام ثم ودّعها فقال لها : عن غير قلّي والله يا بئينة ولا ملل كان وداعي إياك ، ولكنى قد تدنّمت من هذا الرجل الكريم وتبريضه نفسه لقومه ، وقد أقت عنده ثلاثة ، ولا مزيد على ذلك . ثم انصرف ، وقال فى عدل روقي ابن عمه إياه :

لقد لامنى فيها أخ ذوقرابة	حبيب إليه فى ملامته رُشدى
فقال أفرق حتى متى أنت هائم	بئينة فيها قد تُميد وقد تُبدى
فقلت له فيها قضى الله ما ترى	على وهل فيها قضى الله من رد ^(١)
لقد لجّ ميثاق من الله بيننا	وليس لمن لم يُوف بالله من عهد ^(٢)
فلا وأبها الخير ما خنت عهدا	ولا لي علم بالذى فملت بَمدى
وما زادها الواشون إلا كرامة	على وما زالت مودتها عندى
أفى الناس أمثال أحبوا فخالهم	كحالى أم أحببت من بينهم وحدى
وهل هكذا يلتقى المحبون مثل ما	لقيت بها أم لم يجد أحد وجدى
إذا ما دنت زدت اشتياقا وإن نأت	جزعت لئلاى الدار منها وللبند ^(٣)
أبى القلب إلا حب بشنة لم يُرد	سواها وحب القلب بشنة لا يُجدى

وكان رهط بئينة قد ائتمنوا عليها مجوزا منهم يشقون بها يقال لها أم منظور ، فجاءها جميل فقال لها : يا أم منظور ، أرى بئينة ، قالت : لا والله لا أفعل ، قد ائتمننى عليها ، فقال : أما والله لأضربنك إذا ، فقالت : المضرّة والله أن أركبها ، فخرج من عندها وهو يقول :

(١) بعده فى الأغاني بيت .

(٢) فى الأغاني : يوف لله .

(٣) هذا البيت والذى بعده لم يجيئا فى الخبر ، هذا الذى ورد فى ج ٨ ص ١٥٠ وإنما جاءا

وحدما فى ج ٨ ص ١١١ .

ما أنْسَ لَا أنْسَ مِنْهَا نَفْزَةً سَلَفَتْ بِالْحَجْرِ يَوْمَ جَلَّتْهَا أَمْ مَنْظُورٍ
وَلَا انْسِلَابَتْهَا خُرْسًا جِبَاثُهَا إِلَى مَنْ سَاقَطَ الْأُرُوقُ مَسْتَوِرٌ^(١)
فَا كَانَ إِلَّا قَلِيلًا^(٢) حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ خَبْرَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ
لَأَمْ مَنْظُورٍ^(٣) ، خَلَفَتْ لَهُمْ بِكُلِّ يَمِينٍ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهَا .

وَلَمَّا بَلَغَتْ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ مُصْصَبَ بْنِ الزَّيْبِرِ قَالَ : وَدِدْتُ أَنِّي عَرَفْتُ كَيْفَ جَلَّتْهَا ،
فَقِيلَ لَهُ : إِنْ أُمَ مَنْظُورٌ حَيَّةٌ ، فَكُتِبَ فِي حَمْلِهَا إِلَيْهِ مُكْرَمَةٌ ، تُحْمِلُ إِلَى ، فَقَالَ
لَهَا : أَخْبِرِي كَيْفَ كَانَتْ الْجَلْوَةُ ؟ قَالَتْ : أَلْبَسْتُهَا قِلَادَةً بَلَحٍ وَمِخْنَقَةً بَلَحٍ^(٤)
فِي وَسِطَتِهَا تَفَاحَةً ، وَضَعْتُ شَعْرَهَا وَوَضَعْتُ فِي فَرْقِهَا شَيْئًا مِنْ خُلُقٍ ، وَمَرَّ بِنَا
جَمِيلٍ رَاكِبًا نَاقَتَهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ وَيَلْتَفِتُ حَتَّى غَابَ عَنْهَا ، فَقَالَ لَهَا مُصْصَبُ :
أَسْمِ عَلَيكَ إِلَّا جَاوَتْ عَائِشَةَ بِنْتَ طَلْحَةَ مِثْلَ مَا جَلُوتِ بَيْتِنَا . فَعَمَلْتُ ، وَرَكِبَ
مُصْصَبُ نَاقَتَهُ وَأَقْبَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِمُؤَخَّرِ عَيْنِهِ وَيَلْتَفِتُ حَتَّى غَابَ عَنْهَا ثُمَّ رَجَعَ .

جَاءَ جَمِيلٌ إِلَى بَيْتِنَا وَقَدْ أَخَذَ ثِيَابَ رَاغٍ لِبَعْضِ الْحَيِّ ، فَوَجَدَ عِنْدَهَا ضَيْفَانًا لَهَا ،
فَانْتَبَذَ نَاحِيَةً ، فَسَأَلَتْهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَقَالَ : مُسْكِينٌ مُكَاتَبٌ^(٥) جَلَسَ وَحْدَهُ ،
فَعَمَّتْ ضَيْفَانَهَا وَعَشَّتْهُ وَحْدَهُ ، ثُمَّ جَلَسَتْ هِيَ وَجَارِيَةٌ لَهَا عَلَى صِلَاةٍ^(٦) ، وَاضْطَجَعَ
الْقَوْمُ مُنْتَحِينَ ، فَقَالَ جَمِيلُ :

(١) الانسلا ب هنا يراد به التسلل . والجباثر جمع جبيرة ومن معانيها السوار والدمليج . والأرواق :
الفساطيط . وق المختار وأغلب نسخ الأغاني : من ساقط الأوراق . فتكون هنا بمعنى الأوراق الجالطة
المتساقطة على الأرض تميز فوقها حفرة .

(٢) في الأغاني : « إِلَّا قَلِيلٌ » وهنا المعنى : فَا كَانَ الْأَمْرُ أَوْ الزَّمَنُ إِلَّا قَلِيلًا .

(٣) في الأغاني : فَتَطَلَّعُوا بِأَمْ مَنْظُورٍ .

(٤) المِخْنَقَةُ القِلَادَةُ .

(٥) المُكَاتَبُ من يجلس عليه سيده أفتاحاً إذا أذاها صار حراً .

(٦) الصلوة : النار . ويراد أنهما تستدفئان أو توقدان .

هل البائسُ المَقْرورُ دَانٍ مُعْظَلٌّ
من انْتَارٍ أَوْ مُعْطَى لِحَافًا فَلَائِسُ
فَقَالَتْ لَجَارِئَتِهَا : سَوْتُ جَمِيلٌ وَاللَّهِ ، اذْهَبِي فَانْظُرِي ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهَا فَقَالَتْ :
هُوَ وَاللَّهِ جَمِيلٌ ، فَشَهَقَتْ شَهَقَةً مِمَّهَا الْقَوْمُ ، فَأَقْبَلُوا يَجْعُرُونَ إِلَيْهَا ، فَطَرَحَتْ بُرْدًا لَهَا
جِرَّةً فِي النَّارِ وَقَالَتْ : احْتَرَقَ بُرْدِي . فَارْجِعِ الْقَوْمُ ، وَأَرْسَلَتْ جَارِئَتَهَا إِلَى جَمِيلٍ
فَجَاءَهَا بِهِ ، فَحَبَسَتْهُ عِنْدَهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ ، ثُمَّ سَلِمَ عَلَيْهَا وَوَدَّعَهَا وَخَرَجَ عَنْهَا ^(١) .

كَانَتْ بَثِينَةً قَدْ وَاعَدَتْ جَمِيلًا أَنْ يَلْتَقِيَا فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ ، فَأَتَى لَوْعِدَهَا ، وَجَاءَ
أَعْرَابِيٌّ يَسْتَنْصِفُ الْقَوْمَ ، فَأَتَزَلَوْهُ وَقَرَّوْهُ ، فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ رَأَيْتُ فِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي
ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مُتَفَرِّقِينَ مُتَوَارِينَ فِي الشَّجَرِ ، وَأَنَا خَافْتُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَسْلُوكُوا ^(٢) بَعْضُ إِبْلكُمْ ،
فَمَرُّوا أَنَّهُ جَمِيلٌ وَمُصَاحِبَاهُ ، فَخَرَسُوا بَثِينَةً وَمَنْعُوهَا مِنَ الْوَفَاءِ بَوْعِدِهِ ، فَلَمَّا أَسْفَرَ
الصَّبِيحُ انْصَرَفَ كَثِيرًا سَيَّ الظَّنَّ بِهَا ، فَارْجَعَ إِلَى أَهْلِهِ ، فَجَعَلَ نِسَاءَ الْحَيِّ يُقَرِّعْنَ
بِذَلِكَ وَيَقْنَنَ لَهُ : إِنَّمَا حَصَلَتْ مِنْهَا عَلَى التَّدْرِ وَالْبَاطِلِ ، وَغَيْرُهَا أَوَّلَى بِوَصْلِكَ مِنْهَا ،
كَأَنَّ غَيْرَكَ يَحْطِي بِهَا . فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَبِينِ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتْ فَاسْجِجِي	وَاخْذِي بِحِطِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاسِلِ ^(٣)
فَلَرُبُّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَسَلَّهَا	بِالْجِدِّ تَخْلِطُهُ بِقَوْلِ الْهَازِلِ
فَأَجَبْتُهَا بِالْقَوْلِ بَعْدَ تَسْثِيرِ	خَبِيٍّ بَثِينَةً عَنْ وَصَالِكَ شَاغِلِ
لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدْرِ قُلَامَةٍ	فَضَلًا وَصَلْتُكَ أَوْ أَتَاكَ رَسَائِلِ
وَيَقْنَنُ إِنَّكَ قَدْ رَضَيْتَ بِيَاطِلِ	مِنْهَا فَمَهْلُكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
وَلِبَاطِلِ مِمَّنْ أَحَبُّ حَدِيثِهِ	أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الْبَنِيضِ الْبَازِلِ

(١) وَالْأَفْأَى : ثُمَّ سَلِمَ عَلَيْهَا وَخَرَجَ .

(٢) اللَّ : السَّرْقَةُ خَفِيَّةٌ .

(٣) أَسْجِجَ : أَحْسَنَ الْقَوِ .

لِيَرْلِنَ عَنْكَ هَوَايَ ثُمَّ يَصِلَنِي
صَادَتْ فَوَادِي يَا بَيْنَ حَبَالِكُمْ
مَنْبِتِي بَقَاوَيْتَ مَا مَنَّبَتِي^(١)
وَتَنَاقَلَتْ لَنَا رَأَتْ شَفَقِي بِهَا
وَأَطَمَتْ فِي عَوَازِلَا فَهَجَرَتَنِي
حَاوَلْتَنِي لِأَبْتِ حَبَلٍ وَمَالِكُمْ
فَرَدَدْتَهُنَّ وَقَدْ سَمِعَ بِهِجْرَكُمْ
يَمْعُضُنَّ مِنْ فَيْظٍ عَلَى أَنَامِلَا
وَيَقْلُنَ إِنَّكَ يَا بَيْنَ بَحِيلَةٍ
وَقَالَ فِي هَذَا الْوَعْدِ مِنْ آيَاتٍ :

إِنِّي لَأَحْفَظُ غِيَمَكُمْ وَيَسْرُفِي
وَيَكُونُ يَوْمٌ لَا أَرَى لَكَ مُرْسَلَا
يَا لَيْتَنِي أَلْقَى الْمَنِيَّةَ بِنَفْسَةٍ
أَوْ أَسْتَطِيعُ تَجَلُّدًا عَنْ ذِكْرِكُمْ
إِنِّي إِلَيْكَ لَمَّا وَعَدْتُ لِنَظَرٍ

وَإِذَا هَوَايَ فَمَا هَوَايَ بِزَائِلٍ
يَوْمَ الْحُجُونِ وَأَخْطَأْتُكَ حَبَائِلِي
وَجَعَلْتِ عَاجِلًا مَا وَعَدْتِ كَاجِلٍ
أَحِبُّبٌ إِلَيَّ بِذَاكَ مِنْ مُتَنَاقِلٍ
وَعَصِيتُ فَيْكَ وَقَدْ جَهَدَنَ عَوَازِلِي
مَتَى وَلَسْتُ وَإِنْ جَهَدَنَ بِفَاعِلٍ^(٢)
لَمَّا سَمِعِينَ لَهُ بِأَسْهَمٍ نَاضِلٍ^(٣)
وَوَدِدْتُ لَوْ يَمْعُضُنَّ صَمٌّ جَنَادِلِي
تَقْسَى فِدَاؤُكَ مِنْ صَنِينَ بَاخِلٍ

(١) لَوَاهُ : طَوَاهُ وَسَتَرَهُ وَأَخْفَاهُ .

(٢) جَهَ : قَطَعَهُ .

(٣) النَّاضِلُ : الْغَالِبُ فِي النِّضَالِ . وَفِي الْأَغَانِي : «بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ» وَالسَّهْمُ الْأَفْوَقُ : الَّذِي

بِهِ مِيلٌ وَالنَّاصِلُ : الَّذِي لَا تَمْلِكُ لَهُ .

(٤) بِسَمْعِهِ فِي الْأَغَانِي خَمْسَةُ آيَاتٍ .

تَمِدُّ الدِّيونَ وَلَيْسَ تُنْجِزُ وَعْدَهَا (١) هَذَا الْفَرِيمُ لَنَا وَلَيْسَ يُغْمِرُ
مَا أَنْتِ وَالْوَعْدُ الَّذِي تَعِدِدِينِي إِلَّا كَبْرَقِ سَحَابَةٍ لَمْ تُنْطِرِ (٢)
وَقَالَ أَيْضًا فِي إِخْلَانِهَا هَذَا الْوَعْدُ مِنْ آيَاتِ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ آيَتُنَّ لَيْلَةً بَوَادِي الْقَرْيِ إِنِّي إِذَا لَسَمِيدُ
وَهَلْ أَلْقَيْنَ قَرَدًا بَيْنَنَا مَرَّةً تَجُودُ لَنَا مِنْ وُدِّهَا وَنَجُودُ
عَلِفْتُ الْهَوَى مِنْهَا وَلَيْدًا وَلَمْ يَرْكُ إِلَى الْيَوْمِ يَنْمِي حُبُّهَا وَيَزِيدُ
وَأَنْفَيْتُ عَمْرِي بِاتِّظَارِي وَعَدَهَا وَأُبَلَّتْ بِذَاكَ الدَّهْرِ وَهُوَ جَدِيدُ (٣)
فَلَا أَنَا مُرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا وَلَا حُبُّهَا فِيهَا يَبِيدُ يَبِيدُ
وَمَا أَنْسَمِ الْأَشْيَاءَ لَا أَنْسَ قَوْلَهَا وَقَدْ قَرَّبْتُ نَضْوَى أَمِصْرَ تُرِيدُ (٤)
وَلَا قَوْلَهَا لَوْلَا الْعِيونُ الَّتِي تَرَى لِرِزَّتِكَ فَاعْذِرْتِي فَدَتَّكَ جُدُودُ (٥)
يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِنَزْوَةٍ وَأَيَّ جِهَادٍ غَيْرَ هَذَا أُرِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ يَنْهَنُ بِشَاشَةٍ وَكُلِّ قَتِيلٍ يَنْهَنُ شَهِيدُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بَيْتَنُ قَاتِلِي مِنَ الْحُبِّ قَالَتْ ثَابِتٌ وَيَزِيدُ
وَإِنْ قُلْتُ رُدِّي بَعْضَ عَقْلِي أَعْشِ بِهِ مَعَ النَّاسِ قَالَتْ ذَاكَ مِنْكَ بِعِيدُ (٦)
إِذَا فَكَّرْتُ قَالَتْ قَدْ أَدْرَكْتُ وَدَّهَ وَمَا ضَرَّتْ بِي بِخَلِّي فَكَيْفَ أَجُودُ
فَلَوْ تَكْشَفُ الْأَحْشَاءُ سُودَ فِتْحَتِهَا لَبَيَّنَّةَ حُبِّ طَارِفٍ وَتَلِيدُ (٧)
وَقَدْ تَلَقَّتِ الْأَشْتَاتُ بَعْدَ تَفَرُّقِي وَقَدْ تُدْرِكُ الْحَاجَاتُ وَهِيَ بَعِيدُ

(١) في الأغاني : يمد الديون وليس ينجز موعدا .

(٢) بعده في الأغاني بيت .

(٣) في الأغاني : وأبلت فيها الدهر :

(٤) النضو : الهزول من الحيوان ، ويريد ناضجه .

(٥) بعده في الأغاني بيت .

لني جيلٌ بئينةً بعد تهاجر كان بينهما ، فماتبا طويلا ؛ فقالت له : ويحك يا جميل ، أترعم أنك تهوانى وأنت الذى تقول :

رَى اللهُ فى عَيْنى بئينةً بالقدَى وفى النُرِّ من أنيابها بالقوادِحِ
قال : فأطرق طويلا يبكى ثم قال : بل أنا الذى أقول :

أَلَا لَيْتَنِى أَعْمَى أَصَمُّ تَقودُنِ بئينةً لا يَخْفَى عَلَى كَلَامِهَا

فقالت : وما حَمَلَكَ على هذا ؟ أو ليس فى سَمَةِ العافية ما يسمعنا جميعا ^(١) ؟

وَسَتْ أُمّةٌ بئينةً إلى أبيها ^(٢) وأخيها فقالت لها : إن جميلًا عندها الليلة ، فأنيا مُسْتَمِلَيْنِ على سيفين ، فراءاه جالسا حَجْرَةً ^(٣) منها يحدثها ويشكو إليها بئنه ثم قال لها : يا بئينة ، أرايتِ ودّى إياك وشغفى بك ألا تجزيته ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابّين ، فقالت له : يا جميل ، أهذا تَبَنّى ؟ والله لقد كنتَ عندي بعيدا منه ، ولئن عاودتَ تمرّضا بريية لا رأيتَ وجهي أبدا . فضحك ثم قال : والله ما قلتُ لك هذا إلّا لأعلم ما عندك ، ولو علمتُ أنك تُجيبيني إليه لعلمتُ أنسك تجيبين غيرى ، ولو رأيت منك ^(٤) مساعدةً عليه لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي إن أطاعني نفسى أو لهجرتك أبدا ^(٥) ، أو ما سمعت قولى :

وإني لأَرْضَى مِنْ بئينةً بالذى لو استيقن الواشى لقرّت بلاباه ^(٦)

بِلاَ وِبانٍ لا أَسْتَطِيعُ وبالمُنى وبالأملِ المرجوِّ قد خاب آمله

وبالنظرةَ العَجَلَى وبالحوَلِ تنقضى أو آخره لا نلتقى وأوائلسه

(١) فى الأغاني : ما كفنا جميعا .

(٢) فى الأغاني : سمّت أمةً لبئينةً بها إلى أبيها .

(٣) حجرة : ناحية .

(٤) فى ١ : ولو علمت .

(٥) فى الأغاني : لهجرتك هجرة الأبد .

(٦) فى الأغاني : لو ابصره الواشى .

قال : فقال أبوها لأخيها : قم بنا فإني نأخذ لك هذا اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقاءها . فانصرفا وتركاهما .

بلغ جميلاً أن رهن بئينة يقولون إن جميلاً ليس مع بئينة ، وإنما هو مع أمه لها ، وذلك أن بئينة كانت قد أرسلت إليه : إن رجالي قد نذروا دمك فلا تأتني والقي أمي ، فإن أمي هذه تأتيك برسالي وترسلها إليّ فيا تريد ، ففعل ذلك حين كثر ما يوجد مع الأمة ، فقال بعضهم لبعض : ظلمت بئينة وشهرتموها ، وإنما يتبع جميلٌ أمتهما . فقال جميلٌ لأمتها : عديها في برقة^(١) ذي ضالٍ فإن سأتبها وتتحدث ، حتى إذا جاءها الكركى قلت : نأمن ساعة ثم أرحي لها فأوسع لها بردي فتأمن وأنسلُ فإذا أصبحت ففوي بوضوئها فقول : أين بئينة . ففعل ذلك وفعلت الجارية فأشارت إليها أمٌ بئينة وهي تصلي : أن اسكني ، فلما انصرفت حلفت على الجارية لتأقبنها إن لم تخبرها أين هي ؟ فأخبرتها ، فقالت : اذهبي بالوضوء وجهاً غير وجهها ، إنهم سيقتبمونك ، ففعلت ما أمرتها ، فتبعوها ، ونهضت أمها فأيقظتها وخالفهم إلى البيت ، فلما رجعوا اتبعوا أثرهما من حيث جاءت ، فوجدوا ملقاهما ، فافتضحت وقال جميل في ذلك :

فمن كان في حُبِّ بئينة يمتري فبرقة ذي ضالٍ على شهيد
لئن كان في حُبِّ المحب حبيبه حدود لقد حلت على حدود
ألا أيها النيران في أن أحبها يستخطك ينمي حبها ويريد
فلو ميت كل الموت كمي يخلق الهوى^(٢)

لها في فؤادي مت وهو جدي

(١) في الأغاني : برقاء ذي ضال ولكن النصة و الأغاني مختلفة مختصرة وكذلك شعرها .

(٢) يخلق : ييل .

وَيَحْسَبُ نِسْوَانٌ إِذَا جِئْتَ زَائِرًا بَيْتِنَا أَنِي بَعَثْنَهُنَّ أُرِيدُ
فِيَالَيْتَ أَنَّ الرِّيحَ فِي ذَاتِ بَيْتِنَا إِذَا نَحْنُ شَتْنَا بِأُبَيْنَ بَرِيدُ
إِذَا بَلَّغْتَكُمْ حَاجَةً رَجَعْتَ لَنَا إِلَيْكُمْ بِأُخْرَى مِثْلَهَا فَمَسُودُ
فَفَضِبْتَ بَيْتِنَا عَلَيْهِ وَأَلْتَ لَا تَظْهَرُ لَهُ ، وَقَالَتْ : فَضَحْتَنِي ، وَهَجَرْتَهُ فَاسْتَحْيَا
وَمَضَى إِلَى الشَّامِ ، وَعِنْدَ^(١) ذَلِكَ وَاصَلَتْ حُجَّةً^(٢) الْهَلَالِي ، وَكَانَ ابْنُ سُرَيْةَ ،
فَقَالَ لَهَا : لَا أَرْضَى أَوْ تَعْلَمِي جَمِيلًا أَنْ قَدْ اسْتَبَدَلْتَنِي بِهِ ، فَجَاءَهَا جَمِيلٌ فَقَالَتْ :
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ غُبْرٌ حَاضِرًا وَأَنَّ شِمَابَ الْقَلْبِ بِمَدِّكَ حُلَّتِ^(٣)
فَقَالَ جَمِيلٌ :

فَإِنْ تَكُ حُلَّتْ فَالشَّمَابُ كَثِيرَةٌ وَقَدْ تَهَلَّتْ مِنْهَا قَلَوُصِي وَعَلَّتْ
فَقَالَتْ بَيْتِنَا : عَرَضْتَنِي لَجِيلٍ تَجْمَلُنِي حَدِيثًا وَيُسَمِّعُنِي ، لَا أَطِيْمُكَ إِلَيْهِ بَشِيءٌ
بَعْدَ هَذَا أَبَدًا ، وَقَالَتْ لَجِيلٌ : إِنَّهُ اسْتَزَلَّنِي فَأَنْشُدْكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكْشِفَ مَا تَحْتَ ثَوْبِي
وَتَذَكِّرَهُ ، فَإِنَّمَا كَانَتْ هَفْوَةٌ وَأَتْرَكَ تَمَفُّوهَ الرِّيحُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ ، فَقَالَ جَمِيلٌ^(٤) :
أَيَا بَنُؤُ إِنِّ وَاصَلْتُ حُجَّةً فَاصْرِي حِسَالِي ، وَإِنْ صَارَ مَتْنُهُ فَصَلِينِي
وَلَا تَجْمَلِينِي أُسْوَةَ الْمَبْدِ وَاجْعَلِي مَعَ الْمَبْدِ عَبْدًا مِثْلَهُ وَذَرِينِي
أُحْذِرُ مَا لَا تَحْذَرِينَ وَأَتَّقِي عَلَى قَرْنِي مَنْ لَيْسَ لِي بِقَرِينٍ^(٥)

-
- (١) هذا الخبر ليس في الأغاني وانظر الخزائن ٩٤/٣ فإنه يفهم أنه ذكر في الأغاني .
(٢) ورحق ، ك حجية وكذلك الخزائن ٩٤/٣ ولكن الشعر يقتضي حجة كالأغاني ١١٩/٨
حيث ورد اسمه مضبوطا . وفي الخزائن حجة .
(٣) في المختار : «وَأَنَّ شِمَابَ» وجاءت صحيحة في بيت جميل في نسخة ١ والقلب جمع قلب :
وهي البئر . والشباب جمع الشعب : وهو سيل الماء في بطن الأرض . أو تكون القلب «فتح القاف»
أي نواحي القلب وانظر الخزائن ٩٤/٣ وديوانه ص ٣٩ .
(٤) هذا الشعر وخبره لم يرد في الأغاني وانظر الخزائن ٩٤/٣ .
(٥) القرن : المقرون بآخر

رَأَيْتُ بِمَيْتِي الْيَقِينَ فَمَا الَّذِي تَمَعَّى عَلَى عَيْنِي بَعْدَ يَقِينٍ
فَانصَرَفَ عَنْهَا وَتَرَكَهَا ، وَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ فِيهَا :

رَبِّىَ اللَّهُ فِى عَيْنِي بَشِينَةٌ بِالْقَدَى وَفِى النُّرِّ مِنْ أَنْبَاءِهَا بِالْقَوَادِحِ

ولما^(١) قدم جميلٌ من الشام مكثَ يروم زيارةَ بَشِينَةٍ أيا ما فلم يقدر عليها ، لشدةِ
مراعاةِ أبيها وزوجها وأخيها لها ، وهو مع ذلك يرأسها ويجهدها فيها فلا يمكنه لقاءها ،
فترَّبَ به فِتْيَةٌ مِنْ قَرِيْشٍ ذَاتِ يَوْمٍ ، فَتَزَلُّوا بِهِ وَيَأْتُوا عَنْدهُ ، فَقَالُوا لَهُ بِمَعْصُومٍ : فَهَلْ لَكَ
وَحَدَّثَهُمْ حَتَّى مَلَأُوا قُلُوبَهُمْ ، وَعَرَفَهُمْ نَفْسَهُ وَحَالَهُ ، فَقَالَ لَهُ بِمَعْصُومٍ : فَهَلْ لَكَ
مِنْ حَاجَةٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، تَنْزِلُ بِأَبِي بَشِينَةٍ وَتَبَيَّتْ عَنْدهُ ، فَإِذَا وَجَدَتْ غَفْلَةً قُلْتُ لَهُ :
إِنْ غَرِمَا وَعَدْنِي وَحَلَفَ أَلَّا أَطْلُبَهُ وَلَا أُرْسِلَ إِلَيْهِ إِلَّا أَتَانِي ، وَقَدْ طَالَ مَطْلُهُ إِيَّايَ ،
وَهُوَ رَجُلٌ مِنْكُمْ ، وَأُرِيدُ أَنْ تَمِينُونِي عَلَيْهِ ، فَأَسْأَلُكَ بِحَبْلِكَ بِوَعْدِ تَحَصُّلِهِ ، فَعَمِلَ
الْقَرَشِيُّ ذَلِكَ وَخَاطَبَ أَبَاهَا ، فَقَالَتْ بَشِينَةُ : يَا أَبَتِ ، قَدْ رَأَيْتَ هَذَا الْفَقْرَ الْقَرَشِيَّ
مُلَازِمًا لِرَجُلٍ يَطْلُبُهُ بِحَقٍّ لَهُ عَلَيْهِ فِي وَقْتِ مَسَاءٍ تَحْتَ شَجَرَاتٍ بِأَعْلَى الْوَادِي ،
وَلَسْتُ أَعْرِفُ الرَّجُلَ بِمَعْنَى لَأَنَّهُ كَانَ فِي وَقْتِ مَظْلَمٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهَا : إِذَا غَدَوْتَ عَلَيْهِ
وَطَالَبْتَهُ عَاوِذَكَ وَكَرَامَةً ، فَلَمَّا أَصْبَحَ مَضَى إِلَى جَمِيلٍ وَأَخْبَرَهُ بِالْوَعْدِ ، فَلَمَّا أَمْسَى
أَتَى الشَّجَرَاتِ ، فَوَافَقَتْهُ بَشِينَةُ لِلْوَعْدِ وَمَعَهَا أَرَابِهَا : أُمُّ الْجَسِيرِ وَأُمُّ مَنْظُورٍ وَلَيْلَى ،
فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ وَتَمَاتَبَا ، وَقَالَ لَهَا فِي بَعْضِ قَوْلِهِ : اجْعَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَكَمًا
مِنْ أَخَوَاتِكَ أَحَاكَمَكَ إِلَيْهَا . فَقَالَتْ : قَدْ رَضِيتُ بِأُمِّ مَنْظُورٍ ، فَقَالَ لَهَا : إِنْ بَشِينَةُ
قَدْ عَاهَدْنِي أَلَّا أُوجِّهَ إِلَيْهَا أَبَدًا إِلَّا أَجَابَتْنِي ، وَلَا أَسْأَلُهَا شَيْئًا ، وَقَدْ وَجَّهْتُ إِلَيْهَا
مَرَارًا فَلَمْ تَأْتِنِي وَلَا وَقْتُ مَبْهَدِهَا ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ مَنْظُورٍ : مَا تَقُولِينَ ؟ قَالَتْ : مَا فَعَلْتُ .
فَسَأَلَتْهُ الْبَشِينَةُ ، فَقَالَ : لَا شَاهِدَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، فَقَالَتْ بَشِينَةُ : مَا عَاهَدْتِكَ عَلَى هَذَا قَطْ ،

(١) هذا الخبر لم يرد في الأغاني مع طوله ولا وردت القصيدة مع طولها .

ولكنى على ذلك، وما جاءتنى رسالتك إلا سارعت إليك ، ولا تأخرتُ إلا من عذر .
فغضب جميل لُججودها^(١) وأطرق وما راجعها حرقاً واحداً حتى برق الصبح ،
فلما أرادا الافتراق ودعته فلم يودعها ، وكلمته فلم يُجيبها ؛ فلم ترل تجهد به أن يكلمها
فلم يفعل ، فانصرفت ، والتفتت فرأته جالسا فرجعت فأكبت عليه وقالت له : إن
الحى راحلٌ ، ولما لا نلتقى مُدَّةً ، وأنا الآن أشهد أخواني على ما أردت ، فودعها ،
وبكى ، ورحلَ قريبها إلى الشام^(٢) منتجعين ، فجعل يطوف ديارهم ، ويتتبع آثارهم ،
ويبكي ويتذكر محادثته بشينة إلى آرابها ، وأنشأ يقول :

أشأقتك المصارف والطلول	عَفَوْنَ وَخَفَّ مِنْهُنَّ الْحُمُولُ
نَمْ فذكرتُ دُنْيَا قد تَقَعَّتْ	وَأَيْ نعيمٍ دُنْيَا لَا يَزُولُ
أَسْأَلُ دَارَ بَنَّةٍ أَيْنَ حَلَّتْ	كَأَنَّ الدَّارَ تُخْبِرُ مَا أَقُولُ
فَمَنْ هَذَا يُبَلِّغُنِي رَسُولًا	كَذَاكَ لِكُلِّ ذِي حَلٍ رَسُولُ
فِيَسْأَلُنِي وَيَنْظُرُ هَلْ إِلَيَّ	تَخْلُوهُ سَاعَةً مِنْهَا سَبِيلُ
أَقُولُ لَهَا اعْتَلَّتْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ	وَشَرُّ النَّاسِ ذُو الْعِلَلِ الْبَخِيلُ
تُقَاضِيَنِي إِلَى حَكَمٍ مِنْ أَهْلِي	وَأَهْلِكَ لَا يَحِيفُ وَلَا يَمِيلُ
فَوَلَّيْنَا الْحُكُومَةَ ذَا وَفَاءٍ	أَخَا هَدْلٍ لَهُ طَرَفٌ كَحِيلُ
فَقُلْتُ لَهُ قُتِلْتُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ	وَعِيبُ الظُّلَمِ مَرَّتُهُ وَيَمِيلُ
فَسَلْ هَذِي مَتَى تَقْضِي دِيُونِي	وَهَلْ يَقْضِيكَ ذَوَالِدَةُ اللَّطُولُ
فَقَالَتْ كُلُّ ذَا كَذِبٍ وَمَيِّنْ	وَزُورٌ مِنْ خُصُومَتِهِ طَوِيلُ
أَأَقْتَلُهُ وَمَالِي مِنْ سِلَاحٍ	وَمَالِي لَوْ أَقَاتِلُهُ حَوِيلُ ^(٣)

(١) فى ت : من ججودها .

(٢) فى ١ : ورحل معها إلى الشام .

(٣) الحويل هنا بمعنى القوة ، من الحول وهو القدرة على دقة التصرف .

وَلَمْ أَخْذْ لَهُ مَالًا قِيلَنِي لَهُ دِينَ عَلَىٰ كَمَا يَقُولُ
وَأَلَّتْ حَلْفَةً أَن لَيْسَ عِنْدِي نَقِيرٌ يَدْعِيهِ وَلَا قَتِيلٌ^(١)

ولما نزلوا^(٢) إلى الشام دخل أبو بئينة إلى عبد الملك بن مروان في حاجة له ،
وكان ذا جاه عنده ، فشكا إليه جميلا ، فقبض عبد الملك وقال : أعياء الداء الدواء ،
فقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقول هذا فيجترى علينا ، فقال : قد اجتمع دمه
إن وجدتموه ، وبلغ ذلك جميلا فقال :

مَنْعَ النَّوْمِ شِدَّةُ الْإِشْفَاقِ وَادَّكَرْتُ الْحَبِيبَ يَوْمَ الْفِرَاقِ
لَيْتَ شَعْرِي إِذَا بَيْتِنُ بَانَتْ هَلْ لَنَا بَعْدَ بَيْنِنَا مِنْ تَلَاقٍ
وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ نَادَى الْمُنَادَى مُسْتَحِشًّا بِرَحْلَةٍ وَانْطِلَاقِ
لَيْتَ لِي الْيَوْمَ يَا بَيْتِنُ مِنْكُمْ مَجْلِسًا لِلْوَدَاعِ قَبْلَ الْفِرَاقِ
حَيْثُ مَا كُنْتُمْ وَكُنْتُ فَإِنِّي غَيْرُ نَاسٍ لِلْمَهْدِ وَالْمِثَاقِ

نظر^(٣) جميل إلى مُصَـبِّ بْنِ الزُّبَيْرِ وهو غلام شاب في ثوبين أسودين من ثياب
اليمين على الجبل بمرقة ، فمره فقال : إن ها هنا لجمالا أكره أن تراه بئينة .

خرج^(٤) جميل ذات يوم مع أصحاب له إلى الصيد ، فمَنَّتْ لَهُمْ طَبِيبَةٌ بِبَيْعِهَا خِشْفٌ ،
فلما رأتهم ففَرَّتْ وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَنْجُو الْخِشْفُ لَصْفَرِهِ ، فَوَقَّتْ تَنْظُرَ إِلَيْهِمْ وَتُخَافُهُمْ
وَلَا تَهْرَبُ إِشْفَاقًا عَلَيْهِ ، خَلَفَ جَمِيلٌ إِلَّا يَكْلَمُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِنْ رَمَاهَا أَوْ رَى الْخِشْفَ
فَتَرَكُوهَا وَانْصَرَفُوا عَنْهَا ، فَلَحِقَ الْخِشْفُ بِأَمَةٍ ، فَقَالُوا لَجَمِيلٍ : مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ هَذَا ؟
فَقَالَ : شَبَّهَهَا بِبَيْتِنَةَ وَتَلَقَّيْتُهَا إِلَىٰ عِنْدِ الْوَدَاعِ ، ثُمَّ قَالَ :

(١) النقيير : النكتة في ظهر النوا .

(٢) هذا الخبر وشعره ليس في الأغاني .

(٣) هذا الخبر لم يرد في الأغاني .

(٤) هذا الخبر لم يرد في الأغاني والقصيدة لم ترد في ديوانه .

عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَيْسَتْ بِلَاهَا قِفَا يَا صَاحِبِي فَسَائِلَاهَا
وَمَا يُسْكِيكَ مِنْ عَرَصَاتِ دَارٍ تَقَادَمَ عَهْدُهَا وَبَدَأَ بِلَاهَا
ذَكَرْتُ بِهَا الَّتِي تَرْمِي فِتْوَرِي إِذَا مَا أُرْسِلَتْ مَهْمًا شَوَاهَا ^(١)
أَتَيْتَنِي لِي وَقَسَى قَدْ بَجَلَّتْ عَمَايَةُ غِيَّهَا وَرَأَتْ هُدَاهَا
وَزَايِلَهَا السَّفَاهُ فَلَيْسَ مِنْهَا وَثَابَ الْحَلَمُ وَاجْتَنِبْتُ صِيَاهَا
وَقَدْ طَالَبْتُهَا حَتَّى مَلَلْنَا مَوَاعِدَهَا وَأَعْيَانَا مُنَاهَا
فَمَا جَادَتْ لَنَا حَتَّى وَرَدْنَا ^(٢) حِيَاضَ الْمَوْتِ أَوْ كِدْنَا زَاهَا
ذَكَرْتُكَ إِذْ رَأَيْنَا أُمَّ خَشَفَ بِنْدِي ضَالِي تَرِيْعٍ إِلَى طَلَاهَا ^(٣)
رَأَيْنَا قَاصِدِينَ لَهَا فَوَلَّتْ أَمَامَ الْخَشْفِ مُضْطَرِبًا حَشَاهَا
وَقَدْ حَفَّ الرَّمَاةُ بِجَانِبِهَا وَكَلَّمَهُمْ عَلَى حَنْقٍ رَاهَا
جَفَّتِ السَّاعَةُ نَحْمُ اسْتَظَلَّتْ إِلَى سَنَدٍ تُحَاوِلُ مُلْتَجَاهَا
إِلَيْهِ نَارَةٌ تَرْمِي بِطَوْفٍ وَأُخْرَى نَحْنُوْنَا قَلْقًا حَشَاهَا
وَقَدْ أَلَيْتُ خَشْيَتَهُمْ عَلَيْهَا أَكَلَمَ مِنْهُمْ رَجُلًا رَاهَا
فَقَالُوا مَا دَهَاكَ فَقُلْتَ نَفْسِي وَبَيْتَ اللَّهِ تَعْلَمُ مَا دَهَاها
وَمَا بِي فَأَعْلَمُوا مِنْ حُبِّ ظَمِيرٍ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ بِهِ سِوَاهَا
أَلَا يَا شَيْبَةَ ذَاتِ الْخِلَالِ قَرِي بِأَرْضِكَ لَنْ تُرَاعَى فِي رُبَاهَا
فَقَدْ أَشْبَهْتَ ذَاتَ الْخِلَالِ إِلَّا مَنَاطَ الْقُرْطِ مِنْهَا أَوْ شَوَاهَا

(١) الشوى : الأطراف .

(٢) في ت : حتى وصلنا .

(٣) تريغ : ترجع . والطل : ولد الطفلة .

وسأفك حَمَّةَ والساق منها خَدَلَجَةَ يَمَسُّ بِهَا يَرَامَا^(١)
ولو مَاشَيْتَهَا لَمَجَلَّتْ عِنَّا وذاتُ الخَالِ مَقْصُورٌ خُطَاها
ولكن التي أَشْبَهَتْ مِنْهَا مُقَلِّدُهَا الْمُتَتِيقُ وَمُقَلِّتُهَا^(٢)

كان جميل قد هاجى جَوَّاسَ بْنَ قُطَيْبَةَ^(٣) بن ثعلبة وسافر جواس إلى يهود نيباء فقالوا لجميل : قل في نفسك ما شئت ، فأنت الشاعر الجميل الوجه ، وقل أنت يا جَوَّاسُ في نفسك وفي أهلك ما شئت ، ولا تذكر أنت يا جميل أباك في غفر ، لأنه كان يسوق منا الغنم بنباء عليه شَمْلَةٌ لا توارى استه ، وقرءوا عليه جَوَّاساً ونَشِبَ الشرُّ بين جَمِيلٍ وبين جواس ، وكان جَوَّاس من رهط بئينة ، وكانت تحتها أم الجسير أخت بئينة ، فغضب لجميل نفر من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جَوَّاس ليلاً وهو في بيته فضرروه وقرءوا امرأته أم الجسير في تلك الليلة وزاد الشر بين جميل وجواس وتهاجيا .

وكانت بئينة امرأة حسناء^(٤) كثيرة اللحم حلوة العينين ، بأعلى حاجبيها أثر كأنه هلال طالع في وجهها .

التقى جميل والأحوص^(٥) فتصادما وتناشدا ، وجميل جميل يشكو إلى الأحوص ما يلقي من بئينة وضيق السبيل عليه في إتيانها فقال له الأحوص : هل لك أن ترتدِف

(١) حَمَّة : دقيقة ؛ وخَدَلَجَةُ : ممتلئة . والبرى : جيم البرة وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال ووراد هنا الغلخال . وفي النخار يسمى بها براما .

(٢) الحبى من معانيه الكرم والرائع . ولعلها أيضا المتيق وتكون صفاً من عنق عتقا طال عنقه ولكن الذي ورد هو أعنى .

(٣) في ١ و ٢ : قُطَيْبَةُ وفي ٣ بدوت قُطَيْبَةُ هذا ، والخبر لم يرد في الأغاني .

(٤) في ٤ : وكانت جميلة امرأة حسناء وفي ٢ : وكانت امرأة جميلة حسناء وأثبت ما في ١ .

(٥) هذا الخبر لم يرد في ترجمة جميل في الأغاني .

خلفي وأغشى منازل بئينة وأهلها عشيًّا فأنسب لهم وأهلها غيب وأزل بأبها فأنه
وَدُلِّي^(١) ولن يستريب بك . وتلتحف أنت التحاف المرأة ليظن أنك امرأة مى
فيضرب لي^(٢) هناك بيتا وأقيم فيه ثلاثة أيام حتى أريح جسمي ويميرى ثم أرحل، ويكون
بينك وبين صاحبك ما تحب فقال: والله لقد أشرت برأى، فقم بنا ، فركب الأحوص
وارتدفه جميل ، ومضيا ، وجاء الأحوص حتى نزل ببني الأحب وسأل عن أبي بئينة
فدُلَّ على منزله ، وأناه فنزل عليه وقصده ، فسلم كل واحد منهما على صاحبه ، وأفرد
له أبو بئينة بيتا في ناحية من بيته وبعث إليه بوليدة تخدمه ، فذفع إليها جميل خاتمه
وقال : أعطيه بئينة ففعلت فلما هدا الليل جاءته فجلست معه ومع الأحوص فقالت :
أنشدني قولك :

يا بيتَ عاتكة الذي أنزَل حَذَرَ الداءِ وبه الفؤادُ موَكَّلُ

فقال لها : بل ينشدك جميل فهو أنجح وأبلغ فيما قصدنا له ، فإذا قضى وطرا من ذات
نفسه أنشدتك حينئذ ، ثم أقبلت على جميل فقالت له : أنشدني يا أخى ما قلت فأنشدها:

أبلغُ بئينة أنى لست ناسيها	ما عشت حتى تحيب النفس دأعيا ^(٣)
قامت تراءى لنا والمينُ ساجدةً	يومَ الرحيل وقد أودت أمانيا
ترنو بميتى مهامةً أقصدت بهما	قلبي عشيّة ترميني وأرميا
هيفاء مقبلةً عجزة مدبرةً	ربّما المظالم بلا عيب يرى فيها
من الأوانس مكسالٌ مبتلةٌ	خودٌ غداها بلين الميشر غاذيا ^(٤)

(١) الود من مائة الحب .

(٢) في ١ : تيميرى .

(٣) لم يرد الشعر في الأغاني ولا في ديوانه .

(٤) امرأة مبتلة الخلق : منقطعة الخلق عن النساء لما عليهن ففضل أو التامة الخلق ،
والخود : الشابة . وفي ت : مكسال مسلمة .

بانت فلا القلبُ يَلو من تذكريها يوما ولا نحن في أمرٍ نلانيها
فليتها وموالى أمرها قبلوا جهدَ الفلاء بها منى فأغلبها
أوليتْ جُون القطا حَنَنَ بُدوبها إلى السماء فكُنّا في خوافيها
أكثرُ لَيْتاً لو أنّ اللَّيْتَ ينفعى ومن مَنى النفسِ ما يُبقي تمنّيها
وأقاموا عندهم ثلاثاً ثم قال جميل للأخوص : يا أخى قد قضيتَ حقاً وأوجبتَ
شكراً وسليتَ همّاً ، ولست آمنُ أن يَفشوَ الحديث وتلحقنا مَرّةٌ من القوم
فأرتحل بنا . فودّعهم الأخوص وخرج عنهم سَحراً . والتفت جميل فنظر أربابهم
وقد بعد عنها فقال ^(١) :

وإن زماناً يا بئس أشتكم وأخلاكِ عن أوطاننا لذميم
وإنّ مَلِيكا فيك ألوى بِحُجّةٍ علىّ وما خاسمته لخميم
ثم بكى حتى كاد يسقط عن راحته ، فقال الأخوص : مهلا يا أخى . فقال : إني
على ما ترى منى ومن صبوتى لجليد .

حدث ^(٢) بمض الرواة قال : دخلتُ حمّاما بمصرَ يقال له حمام السُرّ ، فإذا
برجل لم أر من خلق الله تعالى أحسن منه ، فظننته قرشياً ، فأعظمته وسألته : من
هو ؟ فقال : أنا جميل ، فقلت : صاحب بُشينة ؟ فضحك وقال : نعم ، وإني لأراها
تغلب على نسي كما تغلب على عقل . قال : فقلت له : فأنت القاتل :

لها النظرة الأولى عليهن بسطةً وإن كرت الأَبصارُ كان لها العقب ^(٣)

(١) البيتان ليا في ديوانه .

(٢) المجر وشمره ليا في الأغاني .

(٣) في ١ : وإن كلت الأَبصار . وانظر ديوانه ص ٢٦ .

قال : نعم ، قال [قلت] : وأنت القاتل :

ترى الزُّلَّ يكرهن الرياح إذا جرت^(١) وبئنة إن هبَّت لها الرِّيح تَمَرَحُ
قال : نعم ، قال : فقلت له : لقد ملأت بلاد الله تنويهاً بذكرها ، وإني لأظنها
حَدِيدَةُ المَرْقُوب ، رَقِيقَةُ الظَّنْبُوب^(٢) ، كثيرة وسخ المِرْفَق ، إذا كَلَّت شُفْرَةُ الحَيِّ
ذَكَّوْا بِمَرْقُوبِهَا . فضحك حتى استلقى ثم قال : لا تقل ذلك يا ابن أخي ، فوالله
لو رأيته لأحببت أن تلقى الله عز وجل منها بَنِيكَ مُصِرّاً فيها على الزنا أبدا .

أرسلت عائشة^(٣) بنت طلحة إلى كُثَيْبٍ ، فلما أتاها أدخلته إليها وقالت له :
يا ابن أبي مُجَمَّة ، ما الذي يدعوك إلى أن تقول في عزة من الشعر ما قلتَ وليست
من الحسن على ما نصف ، ولو شئتَ لصرفتَ ذلك إلى غيرها ممن هو أولى به منها
أنا ومثلي ؟ فإني أشرف وأجمل وأوصل من عزة ، فقال :

إذا ما أَرَادَتْ خُلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا أَيْنَا وَقُلْنَا الْحَاجِبِيَّةُ أَوَّلُ
سَنُؤَلِّقُ عُرْقًا إِنْ أَرَدَتْ وَصَالَنَا وَنَحْنُ لَتَلَكِ الْحَاجِبِيَّةُ أَوْصَلُ
لَهَا مَهْلٌ لَا يَسْتَطَاعُ ادِّرَاكُهُ وَسَابِقَةٌ فِي الْحُبِّ لَا تَحْوَلُ

فقلت له عائشة : أخطأت أَسْتُكَ الحُفْرَةَ^(٤) يا أبا صخر . لقد سميتني خُلَّةً
وما أنا لك بِخُلَّةٍ ، وعرضت عليَّ وَصْلَكَ وما أريدُه ولو أَرَدْتَهُ أَنْتَ لَكَرِهْتُهُ أَنَا ،
وإنما أَرَدْتُ أَنْ أُلُو ما عندك قولاً وفِعْلاً فَا أَفْلَحْتَ وَلَا أَنْجَحْتَ ، هلا قلت كما قال
سَيِّدُكَ جَمِيلٌ :

-
- (١) انزل جمع زلا: وهي الخفيفة الوركين .
(٢) الظنبوب : حرف عظم الساق من الأمام .
(٣) هذا الخبر ليس في ترجمة جميل بالأغاني .
(٤) هذا مثل يضرب فيمن رام شيئاً فلم يثله .

وَيَقُنُّ إِنِّي قَدْ رَضِيتُ بِبَاطِلِهِ مِنْهَا فَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ الْبَاطِلِ
وَلِبَاطِلٍ مِنْ أَحِبِّ حَدِيثِهِ أَشْهُى إِلَيَّ مِنَ الْبَيْضِ الْبَازِلِ
حدث جماعة من بني عُذرة أن جميلاً رَمَدَ بَيْتَنَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي نَجْمَةٍ لَهُمْ ،
حَتَّى إِذَا صَادَفَ مِنْهَا خُلُوةً تَنَكَّرَ وَدَنَا مِنْهَا ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةٍ ظُلُمَاءُ ذَاتِ غَيْمٍ وَرَعْدٍ
وَرِيحٍ ، فَخَذَفَهَا بِحَصَاةٍ فَأَصَابَتْ بَعْضَ أَرْبَابِهَا ، فَفَزَعَتْ وَقَالَتْ : مَا حَذَفَنِي فِي هَذَا
الْوَقْتِ إِلَّا الْجَنُّ ، فَقَالَتْ بَيْتَنَهُ وَقَدْ فَطَنْتُ : إِنْ جَمِيلًا فَعَلْ ذَلِكَ فَانصُرِي نَاحِيَةَ
إِلَى مَنْزِلِكَ ^(١) حَتَّى تَنَامَ ، فَانصرفت وَبَقِيَ مَعَ بَيْتَنَهُ أُمُّ الْجَسِيرِ وَأُمُّ مَفْظُورٍ ، فَقَامَتِ
إِلَى جَمِيلٍ فَأَدْخَلَتْهُ الْخَبَاءَ مَعَهَا ، وَتَحَدَّثَا طَوِيلًا ، ثُمَّ اضْطَجَعَا وَاضْطَجَعَتْ إِلَى جَنْبِهِ
فَذَهَبَ النَّوْمُ بِهِمَا حَتَّى أَصْبَحَا ، وَجَاءَهَا غُلَامٌ زَوْجُهَا يَصْبُوحُ مِنَ اللَّبَنِ بَيْتَ بِهِ إِلَيْهَا ،
فَرَأَاهَا نَائِمَةً مَعَ جَمِيلٍ ، فَضَى لَوَجْهَهُ حَتَّى يَخْبُرَ سَيِّدَهُ . وَرَأَاهُ لَيْلَى وَالصَّبُوحُ مَعَهُ
وَقَدْ عَرَفَتْ خَبَرَ جَمِيلٍ وَبَيْتَنَهُ ، فَاسْتَوْفَقَتْهُ كَأَنَّهُا تَسْأَلُهُ عَنْهُ حَالَهُ ، وَبَشَتْ بِجَارِيَتِهَا
وَقَالَتْ : حَدِّرِي بَيْتَنَهُ وَجَمِيلًا . فَجَاءَتِ الْجَارِيَةُ فَتَبَيَّنَتْ لَهَا بَيْتَنَهُ الصَّبِيحَ
قَدْ أَضَاءَ ^(٢) وَالنَّاسُ مُنْتَشِرِينَ ارْتَاعَتْ وَقَالَتْ : يَا جَمِيلُ ، تَسْكُ تَسْكُ ، فَقَدْ جَاءَنِي
غُلَامٌ يُبَيِّنُ بِالصَّبُوحِ مِنَ اللَّبَنِ وَرَأَانَا نَائِمِينَ ، فَقَالَ لَهَا جَمِيلٌ وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ
بِمَا خَوَّفَتْهُ مِنْهُ :

لَعَمْرُكَ مَا خَوَّفَتْنِي مِنْ عِجَافِهِ بَيْنَ وَلَا حَدَّرْتَنِي مَوْضِعَ الْحَذَرِ
وَأَقْسَمَ لَا يُبْلَغُنِي لِي الْيَوْمَ غَرَّةٌ ^(٣) وَفِي السَّكْفِ مَنَى صَارِمٌ قَاطِعٌ ذَكَرُ
فَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ أَنْ يُبْلَغُنِي نَفْسَهُ تَحْتَ النَّضْدِ وَقَالَتْ : إِنَّمَا أَسْأَلُكَ خَوْفًا عَلَى نَفْسِي

(١) ن ت : فَانصُرِي يَا أُخِيَّةَ إِلَى مَنْزِلِكَ .

(٢) ن ت : فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ بَيْتَنَهُ رَأَتْ الصَّبِيحَ قَدْ أَضَاءَ .

(٣) ن ت : لَا يَلْقَى لِي الْيَوْمَ غَرَّةَ .

من الفضيحة لا للخوف عليك . ففعل ذلك ونامت كما كانت ، واضطجعت أمُّ الجسير إلى جانبها ، وذهبت جارية ليلي^(١) إليها بالخبر ، فتركت البعد فضى إلى سيده والصبحُ معه وقال : رأيت بئنة ناعمة وجميل إلى جنبها . فجاء زوجها^(٢) إلى أبيها وأخيها فأخذ بأيديهما وعرفهما الخبر ، فجاءوا بأجمعهم إلى بئنة وهي ناعمة ، فكشفوا الثوب عنها ، وإذا أمُّ الجسير إلى جانبها . ففجّل زوجها وسبَّ عبده ، فقالت ليلي لأخيها ولأبيها : فبحكما الله ، أفي كلّ وقت تفضحان فتانكما ويلقاكما هذا الأعور فيها بكلّ قبيح ؟ فبحه الله وإياكما ، فجعلتا يسبّان زوجها ويقولان له كل قول قبيح . وأقام جميل عند بئنة حتى جنة الليل ، ثم ودعها وانصرف . وحذرت^(٣) بئنة لما جرّى من لقائه إياها فتصامته مدة . وقال في ذلك من أبيات :

ولستُ بناسٍ أهلها حين أقبلوا	وجألوا علينا بالسيوف وطوّفوا
وقالوا جميل بات في الحى عندها	وقد جرّدوا أسيافهم ثم وقفوا
وفي البيت ليت الغاب لولا خافه	على نفسٍ بئن والإله لا أرعفوا ^(٤)
هممتُ وقد كانت مِراراً تطلعت ^(٥)	إلى حربهم نفسى وفي الكف مرهف
وما سرّني غيرُ الذي كان منهم	ومنى وقد جاءوا إلى وأوجفوا
وكم مُرّيجٍ امرأً أتيج له الردى	ومن خائفٍ لم يتقصه التخوف

(١) في الأغاني : خادم ليلي .

(٢) في الأغاني : بئنة مضطجة وجميل إلى جنبها فجاء نبيه .

(٣) في الأغاني : وحذرتهم .

(٤) في الأغاني أبيات كثيرة قبل أول بيت هنا .

(٥) أرعفوا : أعجلوا . هنا ، وى ا ، ك والأغاني : على نفسٍ جمل والإله لأرعفوا .

وأثبت ما في ت .

(٦) في الأغاني : وقد كادت مرارا .

أُمنصفتي بَيْنُ فَعْدِلَ بَيْنَنَا إِذَا حَكَمْتَ وَالْحَاكِمُ الْمَدْلُ يُنْصَفُ^(١)
تَلَقَّيْتُهَا وَالْجِسْمُ مِنِّي مُنْصَحَّخٌ فَازَالَ بَيْنِي حَبُّ بَيْنٍ وَأَضْفُ^(٢)
إِلَى الْيَوْمِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي وَشَفَّيْ وَأَنْكَرْتُ مِنْ نَفْسِي الَّذِي كُنْتُ أَعْرِفُ
قَالَ الْهَيْمَنُ بْنُ عَدِيٍّ : قَالَ لِي صَالِحُ بْنُ حَسَّانٍ : هَلْ تَعْرِفُ بَيْتًا نِصْفُهُ أَعْرَابِيٌّ
فِي شَمْلَةٍ وَآخَرُهُ مُغْنَتٌ يَتَفَكَّكُ مِنْ غَنَّتِي الْمَقِيقُ ؟ قُلْتُ : لَا أَدْرِي ، قَالَ :
قَدْ أَجَلَّتْكَ حَوَّلًا . فَقُلْتُ : لَوْ أَجَلَّتْنِي حَوَّلَيْنِ مَا عَلِمْتُ . فَقَالَ لِي : وَيْحَكَ ،
هُوَ قَوْلُ جَمِيلٍ^(٣) :

* أَلَا أَيُّهَا النَّوَامُ وَيْحَكُمْ هُبُّوا *

فهذا أعرابي في شملة ، ثم قال :

* أَسْأَلُكُمْ هَلْ يَقْتُلُ الرَّجُلَ الْحَبُّ *

كَأَنَّهُ وَاللَّهِ مِنْ غَنَّتِي الْمَقِيقُ .

كَانَ لِأَبِي نَفِيسٍ^(٤) جَارِيَةٌ مُنْمِيَّةٌ ، وَقَدْ كَلَفَ بِهَا فَتَى عُمَانِيٌّ ، فَكَانَ يَبِيعُ
عُقْدَةً عُقْدَةً^(٥) مِنْ مَالِهِ وَيَتَفَقَّحُ ثَمَنَهَا عَلَيْهَا ، فَأَبْتَلَى بِرَجُلٍ إِفْرِيقِيٍّ غَنَّتِي مَنَزَلُ
أَبِي نَفِيسٍ ، فَعَمِلَ^(٦) بِكَسْوِ الْجَارِيَةِ وَأَهْلِهَا وَيَرْثِمُ حَتَّى حَظَى عِنْدَهُمْ وَغَلَبَ عَلَيْهِمْ ،
وَتَنَاقَلُوا عَنِ الْمَنَائِي ، فَاتَّفَقَ أَنْ اجْتَمَعَا عَشِيَّةً فِي مَنَزَلِ الْجَارِيَةِ ، فَزَرَعَ الْإِفْرِيقِيُّ خُفَّهُ ،
فَتَنَازَرَ الْمَسْكُ مِنْهُ وَجَلَسُوا سَاعَةً ، فَقَالَ الْإِفْرِيقِيُّ : غَنَى بِشْمَرِ جَمِيلٍ :

(١) هذا البيت والبيتان بعده مقدمان في الأغاني على أول هذه القصيدة هنا . وفي ١ ، ك ،
والأغاني : « أُمْنِصَفْتِي جَمِيلَ فَعْدِلَ بَيْنَنَا » وَأَثْبِتَ مَا فِي ت .

(٢) في المصادر السابقة ما عدا « ت » : حَبُّ جَمِيلٍ وَأَضْفُ .

(٣) في الأغاني : مَا عَلِمْتُ . قَالَ : قَوْلُ جَمِيلٍ .

(٤) في الأغاني : ابْنُ نَفِيسٍ .

(٥) القفدة : الضيقة .

(٦) في الأغاني : مِنْ أَهْلِ الْإِفْرِيقِيَّةِ وَمِمَّنْ ابْنُ لَهْ فَتَشَى ابْنُ الْإِفْرِيقِيِّ بَيْتَ ابْنِ نَفِيسٍ فَجِيلُ . .

فَبَيْنَمَا جِبَالٌ ذَاتُ عَقْدٍ لَبْنَةً أُتِيحَ لَهَا بَعْضُ النَوَاةِ فَحَلَاها
فَعُدْنَا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَنَا هَوًى وَصَارَ الَّذِي حَلَّ الْجِبَالَ هَوًى لَهَا
وَقَالُوا نَرَاهَا يَا جَمِيلُ بَدَلَتْ وَغَيَّرَهَا الْوَأْسَى فَعَلَتْ لَهَا
يُمَرِّضُ بِالْمَنَانِي . فَقَالَ الْمَنَانِيُّ : لَا حَاجَةَ لَنَا فِي هَذَا ، وَلَكِنْ غَي :
وَمَنْ يَرْعُ نَجْدًا يَلْقَى قَدَرَعَيْتَهُ بِحِمَّتِهِ الْأُولَى وَيُورِدُ عَلَى وَرْدِي ^(١)
قَالَ : فَكَسَّ الْإِفْرِيقُ رَأْسَهُ ، وَخَرَجَ الْمَنَانِيُّ فَذَهَبَ ، وَحَمِدَ أَهْلَ الْبَيْتِ فَمَا
اتَّقَعُوا بِبَقِيَّةِ يَوْمِهِمْ .

دَخَلَتْ بَثِينَةُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَرَأَتْ امْرَأَةً مُؤَلِيَةً خَلَقًا ^(٢) ، فَقَالَ لَهَا :
مَا الَّذِي رَأَى فِيكَ جَمِيلٌ ؟ قَالَتْ : الَّذِي رَأَى فِيكَ النَّاسَ حَتَّى اسْتَخْلَفُوكَ . فَضَحَكَ
عَبْدُ الْمَلِكِ حَتَّى بَدَتْ لَهُ سِنَى سَوْدَاءَ كَانَ يَسْتَرُهَا .

لَمَّا هَدَرَ السُّلْطَانُ دَمَ جَمِيلٍ لَرَهْطٍ بَثِينَةُ إِنْ غَشَى دُورَهُمْ حَذِرَهُمْ مَدَّةً ، ثُمَّ وَجَدُوهُ
عِنْدَهَا فَأَعْدَوْا إِلَيْهِ وَتَوَعَّدُوهُ ، وَكَرِهُوا أَنْ تَنْشَبَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ قَوْمِهِ حَرْبٌ فِي دِمِهِ ،
وَكَانَ قَوْمُهُ أَعَزَّ مِنْ قَوْمِهَا ، فَأَعَادُوا شَكْوَاهُ فَطَلِبَ طَلِبًا شَدِيدًا ^(٣) ، فَهَرَبَ إِلَى الْبَلَيْنِ
فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةً ، حَتَّى عُزِّلَ ذَلِكَ الْوَالِي عَنْهُمْ ، وَانْتَجَمُوا نَاحِيَةَ الشَّامِ فَحَرَلَ إِلَيْهِمْ ،
ثُمَّ إِنْ مَشِيخَةً حَلَّى مَشَوْا إِلَى أَبِي جَمِيلٍ — وَكَانَ يَلْقُبُ صُبَّاحًا وَكَانَ ذَا مَالٍ وَفَضْلٍ
وَقَدَّرَ فِي أَهْلِهِ وَشَكَّوْا جَمِيلًا إِلَيْهِ وَنَاشَدُوهُ الرَّحِيمَ ، وَسَأَلُوهُ كَفَّ ابْنَهُ عَمَّا يَتَمَرَّضُ
لَهُمْ وَيَفْضَحُهُمْ فِي فِتْنَتِهِمْ ، فَوَعَدَهُمْ كَفَّهُ وَمَنْعَهُ مَا اسْتَطَاعَ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا ، فَدَعَاهُ

(١) الحجة : السواد ولون بين الفحمة والكتمة ويراد على اخضراره الشديد الأول وفي بعض نسخ الأغاني : بجنيته الأولى. وفي بعضها : بجنته .

(٢) في الأغاني : « خفاء » وفسرت بالهامش أنها الخفاء . وهنا يراد أنها بالية كبيرة وتتفق مع مولية .

(٣) في الأغاني : فَأَعَادُوا شَكْوَاهُ إِلَى السُّلْطَانِ فَطَلِبَهُ طَلِبًا شَدِيدًا .

وقال له : يا بني ، حتى متى أنت عامية في ضلالك ، لا تأنف من أن تتعلق ذات بمل
يخلو بها ويُنكِحها وأنت عنها بمنزل ، ثم تقوم من تحته إليك فتفرك بخداعها ،
وتريك الصفاء والمودة ، وهي تضمر لبليلها ما تضمره الحرّة لمن ملكها ، فيكون
قولها لك تمليلًا ، وغرورًا ، فإذا انصرفت عنها عادت إلى بليلها بحالة المبدولة^(١) ، إن
هذا لثقل وضيم ، ما عرف أخيب سهما ولا اضيع عمراً منك أنشدك الله إلا كفت
وتأملت أمرك ، فإنك تعلم أن ما قلته حق ، ولو كان إليها سبيل لبذلت ما أملكه
فيها ، ولكن هذا أمر قد فات واستبد به من قدر له . وفي النساء عرس ، فقال
له جميل : الرأى بما رأيت والقول ما قلت ، فهل رأيت أحداً قبلي قدر أن يدفع
قلبه عن هواه^(٢) ، وملك أن يسلي نفسه ، أو استطاع أن يدفع ماضى الله عليه ،
والله لو قدرت أن أعوذ ذكرها من قلبي أو أزيل شخصها عن عيني لعلت ، ولكن
لا سبيل إلى ذلك ، وإنما هذا بلاء يليت به لحيين قد أتيحت لي ، وأنا أمتنع من
طروق هذا الحي والإلام بهم ولو مت كمدأ ، وهذا جهدي ومبلغ ما أقدر عليه .
وقام وهو يبكي ، فبكي أبوه ومن حضر جزعاً لما رأوا منه ، فذلك حين يقول جميل :

الآن من لقلب لا يمل قيدَهـلُ أفرق فالتعزى عن بيئته أجملُ
سلاكل ذي ودٍ علت مكانه وأنت بها حتى المات موكلُ
فما هكذا أحببت من كان قبلها ولا هكذا فيما مضى كنت تفعلُ
فيا قلب دغ تذكرك بثنة إنها^(٣) وإن كنت تهواها تمنن وتبخلُ
وقد أبست من كيلها وتجهمت ولليأس إن لم يقدر النيل أمثلُ

(١) في الأغاني : على حالتها المبدولة .

(٢) في الأغاني : أن يدفع عن قلبه هواه .

(٣) في الأغاني : دغ ذكرى بيئته .

وإلا فسلها نائلا قبل بينها فأبخل بها مسئولة حين تُسأل
وكيف تُرجى وصلها بد بُدّها وقد جُدَّ جبل الوصل ممن تُومَلُ
وإن التي أحببت قد حيلَ دونها فكن حازما فالخازم المتحولُ
ففي اليأس ما يُسلى وفي الناسِ خلّةٌ وفي الأرض ممن لا يواتيك معدلُ^(١)
بدّا كلف مني بها فتناقلت وما لا يرى من فائب الوجَدِ أجملُ^(٢)
هيبي بريثا نلته بظلامه عفاها لكم أو مُذنباً يتنصّلُ
قناةً من الرّان^(٣) ما فوق حنوها وما تحته منها نقاً يتميّلُ

لما أراد جميل الخروج إلى الشام هجم ليلا على بيئته ، وقد وجد غفلة ، فقالت له :
أهلكتني وأهلكت نفسك ، وبحك ، أما تخاف ؟ فقال لها : هذا وجهي إلى الشام ،
وإنما جئتكم مودعا ، فحادثها طويلا ثم ودّعها وقال : يا بيئته ، ما أرانا نلتقي بعدها ،
وبكيا طويلا ، وقال وهو يبكي :

ألا لا أبالي جفوة الناس ما بدّا لنا منك رأيي يا بئيرَ جميلُ
وما لم تُطمي كاشحا أو تبدلي بدّيلاً بنا أو كان منك ذهولُ
وإني وتكراري الزبارة نحوكم لبينَ بدّي هجرُ بُئيرَ طويلُ
وإن مصباتي بكم لكثيرةٌ بُئيرَ ونسياني لكم لقليلُ^(٤)
قالوا : ولم يعدح جيلٌ أحدا قط .

(١) للعدل : للصرف . وفي الأغاني : معزل .

(٢) في الأغاني : أفضل .

(٣) الران : شجر يتخذ منه الرماح الددة في صلابته .

(٤) في الأغاني : ونسيانكم للويل .

قال متمم العبدى^(١) : خرجت من مكة حرسها الله تعالى زائراً قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإني لبسوق الجحفة إذا ببجورية تسوق يميرا وتترنم بصوت طيب في شمر جميل :

ألا أيها البيتُ الذي حِيلَ دُونَهُ بنا أنتَ من بيتٍ واهلك من أهلِ
بنا أنتَ من بيتٍ دُخُولُكَ لَذَّةٌ وظلُّكَ لو يُسْتَطَاعُ بِالْبَارِدِ السَّهْلِ
ثلاثةُ أيَّاتٍ فيتُّ أجْبُهُ وبيتانِ ليسا من هوى ولا شكوى

فقلت : لن هذا الشر يا جورية ، فقلت : أما ترى الكوة الموقاة بالسككة الجراء ، قلت : أراها ، قالت : من هناك نهض هذا الشر ، قلت : أو قائله في الأحياء ؟ قالت : هيهات ، لو أن ليت أن يرجع من طول غيبته لكان ذلك ، فأعجبني فصاحة لسانها ورقة الفاظها ، فقلت لها : ألك أبوان ؟ فقالت : فقدت خيرهما وأجلهما ولى أم . فقلت : أين أمك ، قالت : بمرأى منى ومسمع ، وإذا امرأة تبيع الخرز على الطريق بالجحفة ، فأتيتهما فقلت : يا أمتاه استمعى منى ، قالت . حياك الله ، هيه ، هل لك من حجة ؟ قلت : هذه ابنتك ؟ قالت : كذا كان يقول أبوها ، قلت : أزوجينيهما ؟ قالت : لست رغبتهما . فما عندها جالٌ ولا لها مال ، قلت : حلالة لسانها وحسن عقلها ، قالت : أينما أملكُ بها ؟ أنا أم هي بنفسها قلت : بل هي بنفسها . قالت : فأياها نخطب . فقلت : لعلمها أن تستحي من الجواب عن مثل هذا ، قالت : ماذا عندها ، أنا أخبرُ بها . فقلت : بإجارية ، أنسمعين ما تقول أمك ؟ قالت : قد سمعتُ . قلت : فاعندك ؟ قالت : أو ليس حسبك أن قلتَ إني أستحي من الجواب في مثل هذا ؟ فإذا كنتَ أستحي من شئ عظم أفعله ؟ أريد أن تكون الأعلى وأكون بساطك ؟ لا والله لا يشدُّ رجلٌ

(١) هذا الخبر لم يرد في ترجمة جميل وإنما جاء في المجلد ٢٢/٣٣٩ دار الثقافة في عقب ترجمة

على حواء^(١) وأنا أجد مدقة^(٢) بين أوبقة ألين بها معاً . قال : فورد على أعجبُ كلام على ظهر الأرض فقلت لها : أنا أتزوجك والإذن إليك وأعطى الله تعالى عهداً ألا أفر بك إلا عن إرادتك^(٣) ، قالت : إذا والله لا يكون لي إرادة في هذا أبداً ولا بحد الأبدي إن كان بحد بعد . فقلت : قد رَضيت بذلك ، فتزوجتها وَحَلَّتْهَا وَأَمَّا معي إلى العراق ، فأقامت معي ثلاثين سنة ما ضمنتُ عليها حواشي قط ، وكانت قد عَلِمَتْ من أغاني المدينة أصواتاً كثيرة ، فكانت ربما ترنمت بها فاشتبهها ، فقلت : دعيني من أغانيك هذه فإنها تبمثنى على الدنو منك ، فما سمعتها رافعة صوتها بعد ذلك حتى فارقت الدنيا ، وأما عندي حتى الساعة . فما دار في سمعي حديث امرأة أعجب من حديثها .

اجتمع جميل بامر بن أبي ربيعة بالأبطح فأنشد جميل قصيدته:

لقد فرح الواشون أن صرمت حيلي بثينة أو أبدت لنا جانب البُخل
يقولون مهلاً يا جميل وإنني لأقسم ما بي عن بثينة من مَهل
أحلاً فقبل اليوم كان أوانه أم أخشى فقبل اليوم أوعدت بالقتل
لقد أنكحوا جهلاً نبياً ظمينةً لطيفة طي البطن ذات شوى خذل^(١)
وكم قد رأينا ساعياً يمينه لآخر لم يجعل بكف ولا رجل^(٢)
إذا ما تراجعت الذي كان بيننا^(٣) جرى النسم من عيني بثينة بالكُحل

(١) الحواء : أخبية يداني بعضها بعضاً . وراود هنا معنى للمضاجعة .

(٢) اللذقة من ألين : المزوجة بالماء .

(٣) في ١ : إلا بإرادتك .

(٤) في الأغاني : « لقد أنكحوا حربن نبيا » والشوى : الأطراف والمذل : المتلى .

(٥) في الأغاني : وكم قد رأينا ساعياً بئيمية لآخر لم يعد

(٦) في الأغاني : إذا ما تراجعت .

كلانا بكى أو كاد يبكي صباية
فلو تركت عقلى معى ما طلبتها
فيا وىح نفسى حسب نفسى الذى بها
خليلى فيا عشتا هل رأيتا
قال : وأنشد عمر بن أبى ربيعة :

جرى ناصح بالحب بينى وبينها
فما أنسى م الأشياء لا أنسى موقفى
فلما توافقنا عرفت الذى بها
فقلن لما هذا عشاء وأهلنا
فقلت فاشئن قلن لما ازلى
واقبلن أمثال الدمى فاكشفننا
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى
فقلت وألقت جانب الستر إنما
فقلت لما ما بى لهم من ترقب
فلما اقتصرنا دونهن حديثنا
عرفن الذى نهوى فقلن ائذنى لنا
فقلت فلا تلبثن قلن تحمدنى
فقمى وقد أفهمن ذا اللب إنما

إلى إله واستجلت عبرة قبلى
ولكن طلابها لما فات من عقلى
ويا وىح أهلى ما أصيب به أهلى^(١)
قتيلا بكى من حب قاتله قبلى

يقربنى يوم الحصاب إلى قتل^(٢)
وموقفها يوما بقارعة النخل
كئل الذى بى حدوك النمل بالنمل
قريب ألما تسأى مركب البغل
فللأرض خير من وقوف على رطل^(٣)
وكل يفدى بالمودة والأهل
عدو مكافى أو يرى كاشع فعل
معى فتحدث غير ذى رقية أهلى
ولكن سرى ليس يحمله مثلى
وهن طيبات بحاجة ذى الشكل^(٤)
نطف ساعة فى برد ليل وفى مهل^(٥)
أتيناك وأنسن انسياب مها الرمل
أتين الذى يأتين من ذاك من أجلى

(١) بعده فى الأغاني خمسة أبيات .

(٢) فى الأغاني : جرى ناصح بالود ... فتربنى .

(٣) فى المختار : على رجل .

(٤) الشكل : الأمر للمشكى . وفى الأغاني دار الكتب غبرت عن ديوانه ذى النيل .

(٥) فى الأغاني : وفى سهل .

فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب ، لا أقول والله مثل هذا سَجِيس^(١) اللبالي ، وما خاطب النساء أحد مخاطبتك . وقام مشمراً .

قال كَثِيرٌ : لقيت جميلاً المذريّ مرة فقال لي : من أين أقبلت ؟ فقلت : من عند أبي الحبيبة - أعني بثينة - فقال : وإلى أين تمضي ؟ قلت : إلى الحبيبة - أعني عزة - فقال : لا بد من أن ترجع عَوْدَكَ على بَدْنِكَ وستجدّ لي موعداً من بثينة ، فقلت له : عهدي بها الساعة ، وأنا أستحي أن أرجع ، قال : لا بد من ذلك ، فقلت له : فتى عهديك ببثينة ؟ قال : في أول الصيف وقمت سحابةً بأسفل الوادي المروف بوادي الدّوم ، فخرجت ومعهما جارية لها تفسل ثيابها ، فلما أبصرتني أنكرتني ، فضربت ييدها إلى ثوب في الماء فالتصفت به ، وعرفتني الجارية فأعادت الثوب في الماء ، وتحدّثنا حتى غابت الشمس ، فسألها الموعد فقالت : أهلي سائرون ، وما لقيتها بعد ذلك^(٢) ولا وجدت أحداً آمنه فأرسله إليها . فقال له كَثِيرٌ : فهل لك أن آتي الحىّ فأنزِعَ بآيات من شعر أذكر فيها هذه العلامة ؟ قال : إذا لم تقدر على الخلوة بها قال : فذلك الصواب^(٣) . فخرج كَثِيرٌ حتى أناخ بهم ، فقال له أبوها : ما ردّك يا ابن أخي ؟ قال : قلت آياتاً عرضت لي ، قال : هاتها ، فأنشدته وبثينة تسمع :

فقلتُ لها يا عَزَّ أرسلَ صاحبي إليك رسولا والموكلُ يُرسلُ
بأن تجملِي بيني وبينك مَوْعداً وأن تأمريني بالذي فيه أقبلُ
وآخرُ عهدي منك يومَ لَقِيتني بأسفل وادي الدّوم والثوبُ يُفسلُ

(١) سَجِيس اللبالي : طول اللبالي .

(٢) جملة « وما لقيتها بعد ذلك » ليست في الأغاني .

(٣) في الأغاني : أذكر فيها العلامة لأن لم أقدر على الخلوة بها ، قال : ذلك الصواب .

قال : فضربت بثينة جانب خدرها وقالت : اخساً اخساً^(١) ، فقال أبوها : مهيم^(٢) يا بثينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نَوَمَ الناسُ من وراء الراية . ثم قالت للجارية : ابنينا من الدَّوَمَاتِ حطباً لنذبحَ لكثيرَ شاةٍ ونشويها له . فقال كثيرٌ : أنا أجعلُ من ذلك . وراح فأخبره ، فقال له جميل : الوعد منها الدَّوَمَاتِ . فقالت بثينة لأُمِ الجسير^(٣) وليلى [ونُصَيَّا]^(٤) بنات خالتها : رأيتُ في نَشِيدِ كثيرٍ أن جميلاً معه . وخرج جميلٌ وكثيرٌ حتى أتيا الدَّوَمَاتِ ، وجاءت بثينةُ ومن معها . فلما برحوا حتى برقَ الصبحُ . فقال كثيرٌ : مارأيتُ مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك المجلس ولا مثلَ علمِ أحدهما بضميرِ صاحبه^(٥) ، وما أدري أيهما كان أفهم ؟

وكان الوالى على وادى القرى لما هَدَرَ السلطانُ دَمَ جميلٍ دَجاجةً بَنِ رَبِيعِي . فلما هدرَ دَمُه ومُنِعَ منها ضاقت به الدنيا ، فكان يصمد بالليل على قُورٍ رَمَلٍ^(٦) يتشمس الریحَ من نحو حَيِّ بثينة ، ويتنفس الصُّمَداءَ ويقول :

أيا ريح الشمالِ أَمَا تَرَبَّيْنِي أَهْمِي وَأَنْنِي بِأَدَى النُّصُولِ
هَبِي لِي شَمَّةً مِنْ رِيحِ بَثْنِ وَمُنَى بِالْهَبُوبِ عَلَى جَمِيلِ
وَقُولِي يَا بَثِينَةَ حَسْبُ نَفْسِي قَلِيلُكَ أَوْ أَقْلُ مِنْ الْقَلِيلِ

فإذا بدا الصبح انصرف ، وكانت بثينة تقول لجوارى الحَيِّ : ويحكُنَّ ، إني أسمع أنينَ جميلٍ في بعض القيران . فيقلن لها : اتقِ الله ، فهذا شئٌ يُخَيِّلُهُ لك الشيطان لا حقيقة له .

(١) في المختار : أحس أحس .

(٢) مهيم : ما أمرُك وما نَأْأُكَ .

(٣) في الأغاني : أُمُ الحسينِ وفي ١ : لأُمِ الغير . وفي ت : لأُمِ الكثير . وأُنْهت ما في ك .

(٤) زيادة من الأغاني .

(٥) في الأغاني : بضمير الآخر .

(٦) القور : الأكام الطيبة جمع قارة .

زار جميل بثينة ذات يوم فنزل قريبا من الماء يترصد أمة لها حبشية معها قربة ، وكانت بما بينهما عالة ، فسلمت عليه وجلست معه ، وجعل يحدثها وسألها عن أخبار بثينة ويحدثها بخبره بعدها ويحملها رسائله ، ثم أعطاها خاتمه وسألها دفعه إلى بثينة وأخذ موعد عليها . ففعلت وانصرفت وقد أبطأت عليهم ، فلقيها أبو بثينة وزوجها وأخوها ، فسألوها عما أبطأ بها ، فالتوت عليهم ولم تخبرهم وتملكت ، فضربوها ضربا مبرحا ، فأعلمتهم حالها مع جميل ، ودفعت إليهم خاتمه ، ومر بها في تلك الحال فتينان من بنى عُذرة ، فسمعاها تحدث ، وعلمتا القصة وعرفتا الموضع الذى فيه جميل ، فأحبا أن يبيطا عنه ، فقالا للقوم : إنكم إن لقيتم جميلا وليست بثينة معه ثم قتلتموه أناكم ذلك كل مكره ، وأهل جميل أعزاه عُذرة ، فدعوا الأمة توصل خاتمه إلى بثينة ، فإذا زارته ليلا أتيتموها جميعا^(١) ، فقالوا : صدقنا لعمري أن الرأى هذا ، فدفعوا الخاتم إلى الأمة وأمروها بإيصاله إلى بثينة وحذروها أن تخبر بثينة بالقصة ، ففعلت ، ولم تعلم بثينة بما جرى . ومضى الفتيتان فأندرا^(٢) جميلا ، فقال : والله ما أراههم إن فى كنانتي ثلاثين سهما ، والله لا أخطأت بكل واحد منها رجلا منهم ، وهذا سيفي والله ما أنا به رِعش اليد ولا جبان الجفان . فناشداه الله وقالا : البقية أصلح ، فقيم عندنا فى بيوتنا حتى يهدأ الطلب ، ثم نبث إليها فنزورك وتقضى من لقاءها وطرا وتنصرف سليما غير ممتور^(٣) فقال : أما لأبشئ من يندرها^(٤) ، فأتياه براعية لها وقالا : قل حاجتك ، قال : ادخلى إليها وقولى لها : إني أردت اختصاص ظلي بخذره ذلك جماعة

(١) فى الأغاني : فإذا زارها يتيموها جميعا .

(٢) ساق المختار الكلام هنا وبعد ذلك على الجماعة : فأندروا . . . إلخ .

(٣) فى الأغاني : « غير مؤبن » أى غير معيب .

(٤) فى الأغاني : فقال : أما الآن فابشئ إليها من يندرها .

من القناصين^(١) فقاتني الليلة ، فضت فأعلمتها ما قال لها ، ففرت فقصتها وبمحت فعلمتها^(٢) فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ، ورسدوها فلم تَبْرَحْ من مكانها ، ومضوا يَتَصَوَّنُونَ أثره ، فراوا بعمر ناقته في الموضع ، ففروا أنهم لا يدركونه ، وأنه قد فاتهم^(٣) . فقال جميل في ذلك :

خليلى عوجا اليوم حتى تسلمنا على عَذْبَةِ الْأَنْيَابِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ
أَلِمَّا بِهِ أَنَّمْ أَشْفَعْنَا لِي وَسَلَّمْنَا عَلَيْهَا سَقَاهَا اللَّهُ مِنْ سَبِيلِ الْقَطْرِ
وَبُوحَا بِذِكْرِي عِنْدَ بَشَنَةِ وَانْظُرَا أَتَرْتَا حِوَارَ أُمِّ تَهَشُّ إِلَى ذِكْرِي
هِيَ الْبَدْرُ حُسْنًا وَالنِّسَاءُ كَوَاكِبُ وَشَتَانُ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ وَالْبَدْرِ^(٤)
لَقَدْ فَضَّلْتُ لَيْلِي عَلَى النَّاسِ مِثْلَهَا^(٥) عَلَى أَلْفِ شَهْرِ فَضَّلْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

قال أيوب بن عبّابة : خرجت من تيهاء في أعباش السَّحَر ، فرايت مجوزا على أتان ، فسكملت فإذا أعراابية فصيحة ، فقلت : ممن أنت ؟ قالت : عُذْرِيَّة ، فَأَجْرَيْتُ ذِكْرَ جَمِيلٍ وَبَشِينَةٍ ، فَقَالَتْ : وَأَقْبَهُ إِنَّا لَعَلِّي مَاءُ لَنَا بِالْجَنَابِ وَقَدْ تَنَكَّبْنَا الْجَادَّةَ^(٦) لَجِيُوشٍ كَانَتْ تَأْتِينَا مِنْ قَبْلِ الشَّامِ تَرِيدُ الْحِجَازَ ، وَقَدْ خَرَجَ رَجَالُنَا لِسَفَرٍ وَخَلَقُوا مَعَنَا أَحْدَانَنَا ، فَأَمَحَدُوا ذَاتَ عَشِيَّةٍ إِلَى صِرْمٍ^(٧) قَرِيبٍ مَنَا يَتَحَدَّثُونَ إِلَى جَوَاكِرٍ مِنْهُمْ ، فَلَمْ يَبْقَ غَيْرِي وَغَيْرِ بَشِينَةٍ إِذَا امْحَدَرُ عَلَيْنَا مُنْحَدِرٌ مِنْ هَضْبَةٍ تَلْقَاءُنَا ، فَسَلِمَ وَنَحْنُ مُسْتَوْحِشُونَ وَرَجُلُونَ فَتَأَمَّلْتُهُ وَرَدَدْتُ السَّلَامَ فَإِذَا جَمِيلٌ ، فَقُلْتُ : أَجَمِيلٌ ؟

(١) في الأغانى : جماعة اعتوروه من القناص .

(٢) في الأغانى : ففرت قصته وبمحت عنها ففهمتها .

(٣) في الأغانى : بعمر ناقته ففروا أنه قد فاتهم .

(٤) هذا البيت وتاليه جاء في الأغانى في موضع آخر في غير القصة هذه وذلك في ج ٨ ص ١٥١

(٥) في الأغانى : لقد فضلت حسنا على الناس .

(٦) الجادة : الطريق .

(٧) الصرْم : الجماعة من الناس .

فقال : إى والله ، وإذا به لا يتأسك ، فعمت إلى قَمَبٍ لنا فيه أَطِطَ مَطْحُون ، وإلى عُكَّةٍ^(١) فيها سَمَن ورُب^(٢) . فعصرتها على الأَطِط ثم أدبيتها منه ، فأصاب منها ، وقت إلى سِقَاء فيه لبن فصبيت عليه ماء باردا ، فشرب منه وتراجعت نفسه ، فقلت له : لقد بَلَنْتَ ولقيتَ شَرًّا ، فما أحرك ؟ قال : أنا والله في هذه المضربة التي ترين منذ ثلاث ما أريحها ، أنتظر أن أرى فُرْجَةً ، فلما رأيت مُنَحَدَر فتَيَانِكُم أنيسكم لأودعكم ، وأنا عائِد^(٣) إلى مصر . فتحدثنا^(٤) ساعة ثم ودعنا وشخص ، فلم تطل غَيْبَتُهُ أن جاءنا نَمِيَهُ . فحدث رجل شهده لما حضرته الوفاة بمصر أنه دعا به فقال له : هل لك في أن أعطيك كل ما أخلقه على أن تفعل شيئاً أعهدك إليك ؟ قال : فقلت : اللهم نعم ، قال : إذا أنا متُ فخذ حُلَّتِي هذه التي في عَيْتِي فأغزِلها جانبا ، وكل شئ سواها لك ، وارحل إلى رهط بني الأحب من عُذرة حتى بشينة ، فإذا صرت إليهم فأرحل ناقتي هذه ثم اركبها ، والبس حُلَّتِي هذه وشقها ثم اغلُ على شَرَفِي وصب هذه الأبيات وخلاك ذمٌ ، وأنشد :

وَتَوَى بِمَصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قُفُولٍ	صَرَخَ النَّعْمَى وَمَا كُنَى بِجَمِيلٍ ^(٥)
نَشَوَانِ بَيْنَ مِزَارِعٍ وَنَخِيلٍ	وَلَقَدْ أَجْرُ الذَّبِيلِ فِي وَادِي الْقُرَى
وَابِكِي خَلِيلَكَ دُونَ كُلِّ خَلِيلٍ	قُسُومِي بَشِينَةٌ فَانْدُبِي بِمَوِيلٍ
حُلُوِّ الشَّامِلِ لِلرَّجَالِ قَبُولٍ ^(٦)	بَكَرَ النَّعْمَى بِفَارِسٍ ذِي بَهْجَةٍ

(١) العكة : زق صغير للسمن .

(٢) الرب : ما يطبخ من التمر .

(٣) في الأغاني : وأنا عائد .

(٤) في الأغاني : فتحدثنا .

(٥) في الأغاني : صدع النعْمَى .

(٦) لم يرد هنا البيت في الأغاني وروايته في ديوانه ص ١٨٣ :

... بطل إذا حمل اللواء مندبل

فلما قَضَى وواريته آتيت رهط بئينة وفلمت ما أمرني به جميل ، فلما استتممتُ
الأيام حتى برزت امرأة تتبعها نسوة قد فرعن طولاً وبرزت أمامهن كُنْها بدرُ
قد برق^(١) في دُجْنَةٍ وهي تمشي في مِرْطِها ، فقالت لي : يا هذا ، إن كنت صادقاً
فقد قتلتنِي ، وإن كنت كاذباً فقد فضحتني ، فقلت : لا والله بل صادقاً^(٢) . وأخرجتُ
حُلَّتَه ، فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها وصكَّت وجهها ، واجتمع نساء الحى يكيبن
مها ويندبنه حتى صَمَعْتُ^(٣) فمكثت مفشياً عليها ساعة ، ثم قامت وهي تقول :
وإن سُلُوِي عن جميل لساعة من الدهر ما آبت ولا حنَّ حِينِها^(٤)
سَوَلا علينا يا جميلُ بنَ مَعْمَرٍ إذا متَّ بأُساءِ الحِياةِ ولِينِها
قال : فما رأيتُ أكثر من ذلك اليوم باكية وبأكية^(٥) .

قالت جميلة^(٦) : حدثني بئينة — وكانت سدوقة اللسان جميلة الوجه حسنة البيان
عفيفة البطن والفرج — قالت : والله ما أُرادني جميل رحمه الله برية قط ، ولا حدثت
أنا نفسى بذلك قط منه ، وإن الحى اتجموا موضعا ، وإلى لنى هودج لي أسير إذا
أنا بهاتف يُنشد أبياتا ، فلم أتعالك أن رميت بنفسى وأهل الحى ينتظرون ،
فسميت^(٧) أطلب المنشد فلم ألق عليه ، فنادت : أيها الهاتف بشمر جميل ما وراءك
منه ؟ فإني لأحسبه قد مضى لسبيله . فلم يجبني بحبيب ، فنادت ثلاثا ، في كل ذلك

(١) في الأغاني : قد برز .

(٢) في الأغاني : والله ما أنا إلا صادق .

(٣) في المختار : حتى ضغمت .

(٤) في الأغاني : من الدهر ما حانت .

(٥) في الأغاني : فلم أر يوما كان أكثر باكية وبأكية منه يومئذ .

(٦) هذا الخبر لم يجرى في ترجمة جميل وإنما جاء في ترجمة جميلة ج ٨ ص ٢٠٧ .

(٧) في الأغاني : فبقيت .

لا يردُّ على شيئا . فقال صويحباتي : يا بئنة أصابك طائف من الشيطان ؟ فقلت : كلا ، لقد سمعت قائلا يقول فقلن نحن معك ولم نسمع . فرجعت فركبت مطيقي وأنا حيرى والهمة المقل كاسفة البال ، ثم سرنا . فلما كان في الليل إذا ذلك الهاتف يهتف بذلك الشعر بعينه ، فرميت بنفسى وسمعت إلى الصوت ، فلما قرَّبت منه انقطع ، فقلت : أيها الهاتف ارحم حيرتى ومسكنتي^(١) وسكن عيرتى بخبر هذه الآيات ، فلم يردَّ على شيئا ، فرجعت إلى رحلى فركبت وسرت وأنا ذاهبة المقل ، وفي كل ذلك لا يخبرنى صويحباتى أنهن يسمعن شيئا ، فلما كانت الليلة القابلة نزلنا ، وأخذ الحى مضاجعهم ونامت كل عين إذا بهاتف يهتف بى ويقول : يا بئنة أقبلى إلى أحدئك عما تريدن ، فأقبلت نحو الصوت ، فإذا شيخ كان من رجال الحى ، فسألته عن اسمه ونسبه^(٢) فقال : دعى هذا وخذى فيما هو أهم إليك . فقلت له : فإن هذا مما يهمنى ، فقال : اقضى بما قلت لك ، قلت : أنت تنشد الآيات ؟^(٣) قال : نعم ، قلت : فما خبر جميل ؟ قال : فارقته وقد قضى نحبه وصار إلى حفرة ، رحمه الله ، فصرخت صرخة أذنت منها الحى ، وسقطت لوجهى وأغمى على ، فكأن صوتى لم يسمعه أحد ، وبقيت سائر ليلتى ، ثم أفتت بعد طلوع الفجر وأهلى يطلبونى ولا يفتقون على موضعى ، ورفعت صوتى بالعويل والبكاء ، ورجعت إلى مكانى ، فقال لى أهلى : ما خبرك ؟ وما شأنك ؟ فقصمت عليهم القصة ، فقالوا : رحمه الله جميلا . واجتمع نساء الحى وأنشدتهن الآيات ، وأسمننى^(٤) بالبكاء ، فلم نزل كذلك لا يفارقننى ثلاثا

(١) كلمة « ومسكنتى » ليست فى الأغاني .

(٢) فى الأغاني : وبيته .

(٣) لعلها : منشد الآيات وفى الأغاني : أنت المنشد الآيات .

(٤) فى الأغاني : وأسعدنى .

وَنَحْزَنُ^(١) الرِّجَالُ أَيْضاً وَبَكَوْهُ وَرَثَوْهُ وَقَالُوا كُلُّهُمْ : رَحِمَهُ اللَّهُ فَإِنَّهُ كَانَ عَفِيفاً مَدُوناً
فَلَمْ أَكْتَحِجْ بِمَدِّهِ يَأْتِدْ وَلَا فَرَقْتُ رَأْسِي بِمَخِيطِ^(٢) وَلَا مِشْطَ ، وَلَا دَهْنَتَهُ إِلَّا مِنْ
صُدَاعٍ خَفْتُ مِنْهُ عَلَى بَصْرِي ، وَلَا لِبْسْتُ ثَوْباً^(٣) مَصْبُوغاً وَلَا إِزَاراً ، وَلَا أَزَالُ
كَذَلِكَ أَبْكِيهِ إِلَى الْمَاتِ . قَالَتْ جَمِيلَةُ : وَالشَّمْرُ الَّذِي سَمَّيْتُ الْمُهَافَ يَنْشُدُهُ هُوَ :

أَلَا مَنْ لِقَلْبٍ لَا يَمِلُّ فَيَنْهَلُ أُرْفِقُ فَالْتَمَزْتُ عَنْ بُشْبَنَةِ أَجْمَلُ
فَا هَكَذَا أَحْبَبْتُ مَنْ كَانَ قَبْلَهَا وَلَا هَكَذَا فِيهَا مَعَى كُنْتُ تَفْعَلُ
وَإِنِّي أَحْبَبْتُ قَدْ حِيلَ دُونَهَا فَكُنْ حَازِماً وَالْحَازِمُ التَّحَوُّلُ

(١) في ١ : وَتَحَرَّقَ الرِّجَالُ .

(٢) كُنَّا فِي الْخَطِّ وَالْأَفَانِي .

(٣) في الْأَفَانِي : وَلَا لِبْسْتُ خُفّاً .

جميلة^(١)

مولاة بنى سليم^(٢) ثم مولاة بطن منهم يقال لهم بنو بهز ، وكان لها زوج من موالى بنى الحارث بن الخزرج ، وكانت تنزل فيهم ، فقلب عليها ولادة زوجها ، وقيل : إنها مولاة الأنصار وقيل : كانت لرجل من الأنصار ينزل بالسُّنَج^(٣) ، وهو الموضع الذى كان ينزله أبو بكر الصديق رضى الله عنه . وقيل : هى مولاة الحجاج بن علاط السلمى ، وهى أصل من أصول الفناء . أخذ عنها معبد وابن عائشة وسلامة القس وغيرهم ولم بدع أحد مقاربها فى الفناء ، وكل مكى ومدنى يشهد لها بالفضل . وفيها يقول عبد الرحمن بن أُرطاة :

إِنَّ الدَّلَالَ وَحَسَنَ الْفَنَاءِ * وَسَطَ بِيوتِ بَنِي الْخَزْرَجِ
وَتِلْكَ جَمِيلَةُ زَيْنِ الْقَسَا * إِذْ هِيَ تَزْدَانُ لِلْمَخْرَجِ
إِذَا جِئْتَهَا بِذَلِكَ وَدَهَا * بَوَجْهِ مُنِيرٍ لَهَا أَبْلَجِ

قال أبو عبيد : أتيت جميلة يوما وكان لى موعد ظننت أنى سبقت الناس إليها وإذا منزلها^(٤) غاص ، فسألها أن تعلمنى شيئا فقالت لى : إن غيرك قد سبقك ، أفيجمل تقديمك على سواك^(٥) ؟ فقلت : جُملتُ فداك ، إلى متى تفرقين بمن سبقنى ؟ قالت : هو ذاك ، الحق يَسْمُكُ ويسمهم ، فبينما نحن كذلك إذ أقبل عبد الله بن جعفر

(١) الأغاني: دار الكتب ١٨٦/٨ ودار الثقافة ١٨٨/٨ وبولاق ١٢٤/٧ والساقى ١١٨/٧

والتجريد ٩٦٣ .

(٢) فى ١ : « مولاة بنى جميل » وهو سهو .

(٣) السنج: موضع قرب المدينة .

(٤) فى الأغاني : فلذا مجلسها .

(٥) فى الأغاني : ولا يجمل تقديمك على من سواك . وفى ت : على من سواك .

فإنه لأوّل يوم لقيته وآخره ، وكنت صغيراً كئيباً . وكانت جميلة شديدة الفرح بي ، قامت وقام الناس فتلقتني وقبّلت رجلي وبيدي ، وجلس في صدر المجلس وأحياه حوله وأشارت إلي من عندها بالانصراف ، ففترّق الناس عنه ، وعزّزني إلا أبرح فأقّت ، وقالت : يا سيدي وسيد آبائي ومواليّ ، كيف فشّطت أن تنقل قدميك إلى أمّتك ؟ قال : يا جميلة قد علمتُ ما آليتُ أنك لا تندين أحداً إلا في منزلك ، وأحببت الاستماع منك ، وكان ذلك طريقاً مادّاً . قالت : جُمِلت فداك ، فأنا أسير إليك وأكفر . قال : لا أكفّك ذلك ، وبانفي^(١) أنك تنين بيتين لامرئ القيس تجيدين النناء فيهما ، وكان الله عز وجلّ أقنذ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت : يا سيدي ، نعم . فاندفعت ففتنت بدودها ، فما سمعت منها قبل ذلك ولا بعده إلى أن ماتت مثله ، فسبّح عبد الله بن جعفر والقوم معه ، وهما :

ولما رأيتُ أنّ الشريرة همّها وأنّ البياض من فرائصها داري^(٢)
تيمّمت العين التي عند ضارجٍ يفي عليها الظلّ عَمَصُها طاري^(٣)
فلما فرغت قالت : يا سيدي أزيديك ! قال : حسبي ، هذا شعر أقنذ الله به جماعة من المسلمين ، فقال بمض من كان معه : جُمِلت فداك وكيف أقنذ الله عز وجلّ بهذين البيتين جماعة من المسلمين ؟ قال : نعم أقبل قوم من أهل اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فأضلّوا^(٤) الطريق ووقدوا على غيرها ، ومكثوا ثلاثاً لا يقدرّون على

(١) في سقطت جملة طويلة ونصه : وأحببت الاستماع منك وبلغني .

(٢) الشريرة : مورد الماء . وهما : طلبها والفريضة وجعلها فرائض : اللحم الذي بين الكف والصدر والفرائض أيضاً المروق .

(٣) ضارج : اسم موضع . والرمض : الطعاب . وانظر اللسان خرج وعرفني .

(٤) هكذا في المختار وأصول الأغاني . والمروق ضلوا الطريق وعن الطريق إذا أخطأوا موضعها ويقال أضلّت الشيء إذا ضاع منك قال أبو عمرو إذا لم تعرف المكان قلت ضلّته وإذا سقط من يدك شيء قلت أضلّته قال : يعني أن المكان لا يضل وإنما أنت تضل عنه .

الماء وجعل الرجل منهم يَسْتَدْرِي^(١) بِنْي السَّمْرِ والَطْلَح يَأْسَا من الحياة إذ أقبل
راكب على بئر له ، فأشده بعضُ القوم هذين البيتين . فقال الراكب : من يقول
هذا ؟ قال : امرؤ القيس . قال : والله ما كذب ، هذا ضارحٌ عندهم . وأشار لهم
إليه فَجَثُوا على الرُّكْب فإذا ماء عذب ، وإذا عليه العَرْمَضُ والظِّلُّ يَفِيءُ عليه ،
فشربوا منه رِيَّهْمُ ، وحملوا ما اكتفوا به حتى بلنوا الماء ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أحيانا الله عز وجلّ يبيّتين من شعر امرئ القيس .
وأنشدوه الشعر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذاك رجلٌ مذكور في الدنيا
شريف فيها منسبٌ في الآخرة خامل فيها ، يجيء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى
النار » ثم نهض عبدُ الله بن جعفر ونهض القوم ، فإرأيت مجلسا أحسن منه .

زار مَعْبَدُ مالِكِ بْنِ أَبِي السَّمْح ، فقال له : هل لك أن نصير إلى جميلة ؟ فمضيا
جميعا فقصداها فدخلا ، فأخرجت إليهما رُقعة فيها أبيات ، فقالت لمعبد : بمث بهذه
الرُقعة إلى فلانْ أَعْتَى بها . فقال مَعْبَدُ : فابتدئ . فابتدأت جميلة ففنت في شعر
الأحوص :

إِنَّمَا الدَّلَاءُ هَمِّي فَلْيُلْمَنِي مِنْ يَوْمٍ^(٢)

فغنى معبد :

أَحْسَنُ النَّاسِ جَمِيعاً حِينَ تَمُتِي أَوْ تَقُومُ

ففنت جميلة :

حَبِّبَ الدَّلَاءُ عِنْدِي مَنطَقٌ مِنْهَا رَخِيمٌ

فغنى معبد :

أَسِيلُ الْحَبِيلِ إِلَيَّ وَهِيَ لِلنَّحِيلِ صَرُومٌ

(١) يستدري : يستظل .

(٢) في الأغانى : فليدعني من يوم .

فنت جميلة :

حبُّها في القلب داءٌ مُسْتَكِينٌ ما يَرِيمُ

هذه الدلاء هي التي فتن بها أهل المدينة ، وقال فيها بعض من كانت عنده

وطلقها :

لا بارك الله في دارٍ عَدَدْتُ بها طلاق ذلاء من دارٍ ومن بلدٍ
فلا يقول ثلثنا قاتلٌ أبداً إني وجدتُ ثلثنا أنكدَ المددِ

وكان إذا عدَّ شيئا قال : واحد اثنان أربعة ، ولا يقول ثلاثة .

لما حَبَّتْ جميلةٌ حجَّ معها خمسون قينةً مُشَيَّعات لها وممظلمات لقدرها ، وجَّهَ بهنَّ موالينَ منها ، وأعطوهن النفقات وحملوهن على الإبل في الموادج والقياب ، فأبت جميلة أن تنفق واحدةً منهن درهما فافوقه حتى رجعن ، وحجَّ معها أيضا رجال من المئاني جماعة ، ومن غير المئاني ابنُ أبي عتيق والأخوص وكثيرٌ ونُصِيبَ وغيرهم ، وصَاحَر من ممَّا في انحاذ اللباس العَجِيب الطريف ، وكذلك في الموادج والقياب ، وقال أهل المدينة : إنهم ما راوا سفرا مثل ذلك طيبا وحسنا وملاحة . ولما قاربوا مكة تلقاهم ابنُ سُرَيْجَ والفريض ومُعَيْد وابنُ مُحَرِّز وجماعة من الأشراف من المنين من أهل مكة ، ومن غير المنين عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد الخزومي والعرَجِيُّ ، فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز من حاذق ولا مغنية إلا وهو معها وجماعة من الأشراف ، وخرج أبناء مكة من الرجال والنساء ينظرون جمعها وحسن هيئتهم فلما قضت حجَّها سألتها المكِّيُّون أن تجمل لهم مجلسا ، فقالت : أالفناء أم الحديث ؟ فقالوا لها : لهما جميعا ، فقالت : ما كنت أخلط رجلاً بهزل ، وأبت أن تجلس للفناء قال : فقال عمر بن أبي ربيعة : أقسمت على من كان في قلبه حبٌّ لسباع غنائها ألا أخرج معي إلى المدينة فإنِّي خارج ، فخرجت من مكة في جمع أكثر من جمعها بالمدينة ، فلما قدمت المدينة تلقَّاهَا الناس والأشراف ، ودخلتها بأحسن مما

خرجت منها وخرج النساء والرجال من بيوتهم فوقوا على أبوابهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها ، فلما دخلت منزلها وتفرق الجمع إلى منازلهم ونزل أهل مكة على أقاربهم أتاهم الناس يسلمون عليها ، وما استنكف لذلك كبير ولا صغير ، فلما مضى لَمَقَدَمُهَا عشرة أيام جلست للفتاء ، وقالت لعمر بن أبي ربيعة : إني جالسة لك ولأصحابك فإذا شئت قمت الناس ، ففصت الدار بالأشراف من الرجال والنساء ، وابتدأت جميلة ففتت في شعر عمر بن أبي ربيعة ^(١) .

ما أنس لا أنس يوم الخفيف موففها وموقفي وكلانا ثم ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية والجمع منها على الخدين ذو سن ^(٢)
بألفه قولي له في غير ممتبة ماذا أردت بطول الكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها ^(٣) فما أصبت بترك الحج من تمن
فضج القوم لحسن ما سموا ، وما سمعوا غناء أحسن من غنائها هذا الصوت ،
ودمت حين عمر حتى جرى دمه على ثيابه وليحيته . ثم أقبلت على ابن سريج ،
فقلت : هات ، فاندفع يفتي لحنه في شعر عمر :

أليست بالتي قالت لمولاي لها ظهرا
أشيري بالسلام له إذا هو نحونا نظرا
وقولي في ملاطفة لزينب نولي عمرا
أهذا يحرك النساء وإن قد خبرتني الخبرا

ثم غنى في ذلك المجلس كل من حضر باقتراح منها ، وهي تحسن لهذا

(١) في الأغاني أبيات قبل بدء هذا الشعر هنا أربعة أبيات .

(٢) في ت : ذومت .

(٣) في الأغاني : أو ضمت بها .

وَتَمَسَّحُ لِهَذَا وَتَسْتَطِيبُ مِنْ هَذَا ، ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، ثُمَّ عَادَ كُلُّ إِنْسَانٍ إِلَى وَطْنِهِ فَأَرْنَى أَحْسَنُ مِنْ تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلَا مِنْ جَمْعِهَا .

جلست جميلة يوما على كرسي لها وقالت لآذنتها : لا تَخْبِئِي اليومَ عني أحدا ، واقعدى بالباب ، فكلُّ من يمرُّ بالباب اغرضي عليه جاسي ، ففعلت ذلك حتى غَمَّتِ الدَّارُ بالنَّاسِ ، فقالت جميلة : اصعدوا إلى المَلَّالِ ، فصعدت جماعة حتى امتلأت المَلَّالِ والسُّطُوحُ فجاءت بمض جواربها فقالت لها : يا سيدتي إنَّ عمادي أمركُ هل هذا لم يبق في الدار موضع ^(١) إلا سقط ، فأظهرى ما تريدن ، قالت لها : اجلسي ، فلما تمَّ إلى النهار واشتدَّ الحرُّ واستسقى النَّاسُ دَعَتْ لَهم بالسُّويقِ ^(٢) فشرب من أراد ، فقالت : أَقَسَمْتُ على رجلٍ أو امرأة دخل منزلي إلَّا اشرب ، فلم يبق في سُفْلِ الدَّارِ وَلَا غُلُوبِهَا أَحَدٌ إلَّا شرب ، وقام على رؤوسهم الجوارى بالنناديل والمراوح الكبار ، وأمرت جواربها فَعَمَّنَ على كراسي صغارٍ فيما بين كلِّ عشرة ^(٣) نفرٍ جارية تَرْجُحُ ، ثم قالت : إني رأيت رؤيا في منامي أفزعتنى وأزعبتني ولست أعرف ما سبب ذلك ، وقد خِفْتُ أن يكون قَرَبٌ أجلى ، وليس ينفعني إلَّا صالحٌ عملي ، وقد رأيت أن أترك النِّماءَ كراهةً أن يلحقني منه شيء عند ربِّي عز وجل ، فقال قوم منهم وَفَّقَكَ اللهُ وَثَبَّتَ عَزْمَكَ ، وقال آخرون : بل لا حَرَجَ عليك في النِّماءِ . وقال شيخ منهم ذُو سِنَّةٍ وعلم وفقه وَتَجَرِبَةٌ : قد تَكَلَّمْتُ الجماعةَ ، وكلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون ، ولم أعترض عليهم في قولهم ، ولا شَرَكْتُهُمْ ^(٤) في رأيهم ، فاستمعوا الآن لقولي وأَنْصِتُوا وَلَا تَتَنَبَّؤُوا إلى وقت انقضاء كلامي ، فن قَبِلَ قولي فأَلَّفه موقفه

(١) في الأغاني: حائط .

(٢) السويق : شراب يتخذ من الخطة والشعر ولعله ما يقال له الآن « السوية » .

(٣) في المختار : عشر نفر .

(٤) في : : ولا شاركتهم .

ومن خالفني فلا بأس عليه إذا كنت في طاعة ربى فسكت القوم جميعا ، وتكلم الشيخ
 فحمد الله عز وجل وأثنى على النبي ^(١) صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا معشر أهل
 الحجاز، إنكم متى تجادلتم فسلمتم وإذا فسلمتم وثب عليكم ^(٢) عدوكم وظفر بكم فلا
 تفلحوا بعدها أبدا ، إنكم قد انقلبتم على أعقابكم لأهل العراق وغيرهم ممن لم يزل
 ينكر عليكم ما هو وارثه عنكم لا ينكره عالمكم ، ولا يدفنه عابدمكم ، بشهادة
 شريفكم ووضيكم ، يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزكم ، فأكثر
 ما يكون عند عابدمكم فيه الجلوس لا للتحريم لكن للزهد في الدنيا ، لأن الفناء من
 أكبر اللذات وآسر ^(٣) للنفوس من جميع الشهوات ، يُحيي القلب ، ويزيد في العقل ،
 ويسر النفس ، ويُفسح في الرأي ، ويتيسر به السير ، وتفتح به الجيوش ، ويدلّل به
 الجبارون حتى يمتنعوا أنفسهم عند استماعه ، ويُبْرِئُ للرضى وَمَنْ مات قلبه وعقله
 وبُصره ، ويزيد أهل الثروة غنى وأهل الفقر قناعة ورضا باستماعه ، فينصرفون ^(٤)
 عن طلب الأموال ، وَمَنْ تمسك به كان عالما ، وَمَنْ فارقه كان جاهلا ، لأنه لا منزلة
 أرفع ، ولا شيء أحسن منه ، فكيف يُستصوب تركه ؟ وكيف لا يستعان به على
 عبادة ربنا عز وجل ؟ وقال كلاما كثيرا غير هذا ، فارد عليه أحد ، ولا أنكر
 ذلك منهم بشر ، وكلّ عادة بالخطأ على نفسه ، وأقر بالفضل له . ثم قال لجميلة :
 أوعيت ما قلت ووقع في نفسك ما ذكرت ؟ قالت : أجل ، وأنا أستغفر الله تعالى ،
 فقال لها : فاختمي مجلسنا وفرّق جماهتنا بصوت فقط ، فأخذت عودها وغنت :

(١) في الأغانى : وأثنى عليه وصلى على النبي .

(٢) في الأغانى : تحاذت فسلم ووثب عليكم .

(٣) ضبطت في تحقيق دار الكتب وأسر وفضلت هذا الضبط لأنه أدق فالفناء أشد أسرا
 للنفوس من جميع الشهوات . وبخاصة جاء بعد ذلك ويسر النفس .

(٤) في ١ ، ك : فيصرفون .

أَفِي رَسْمِ دَارِ دَمْعِكَ التَّرْقِيقُ سَفَاهًا وَمَا اسْتَطَاعَ مَا لَيْسَ يَنْطِقُ
بِحَيْثُ التَّقَى جَمْعٌ وَأَقْصَى مُحَسَّرٍ مَنَازِنِهِ قَدْ كَادَتْ عَلَى الْمَهْدِ تَخْلُقُ^(١)
مُقَامٌ لَنَا بِمَسَدِ الْمَشَاءِ وَمَنْزِلٌ بِهِ لَمْ يُكَدِّرْهُ عَلَيْنَا مُوَقُّ
فَقَالَ الشَّيْخُ : حَسَنٌ وَاللَّهِ ، أَمِثَلُ هَذَا يُتْرَكُ ؟ لَا وَاللَّهِ لَا يُتْرَكُ هَذَا وَلَا كِرَامَةُ
لِمَنْ خَالَفَ الْحَقَّ ، ثُمَّ قَامَ وَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَفْرِقْ جَمَاعَتَنَا
عَلَى الْيَأْسِ مِنَ الْغَنَاءِ وَلَا عَلَى جُحُودِ فَضِيلَتِهِ ، وَالسَّلَامُ .

(١) جَمْعٌ : عَلِمَ لِلزُّدْفَةِ ، وَوَادَى عَمْسَر : مَوْضِعٌ بَيْنَ مَنَى وَالزُّدْفَةِ .

جرادتا عبد الله بن جُدعان^(١)

هما أمتان يقال لهما الجرادتان ، كانتا لعبد الله بن جُدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب . سماهما بجرادتي عاد .
وكان ابن جدعان سيِّدا جوادا يصل الرَّحِمَ ويُطعم المسكين ، وكان أُمِّيَّةُ بنُ أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ قد امتدحه بقصيدته التي هي :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
فأعطاه الجاريتين كما نذكره ها هنا فيما يمد .

روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قلت : يا رسول الله إن ابن جُدعان كان في الجاهلية يصل الرَّحِمَ ويُطعم المسكين ، فهل ذلك نافعه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم « لا ، إنه لم يقل يوما : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » .
ولما قدم أُمِّيَّةُ بن أبي الصلت على عبد الله بن جُدعان ودخل عليه قال له عبد الله : أمر ما أتى بك . فقال أُمِّيَّةُ : كلابٌ غُرِّمناه قد نبحتني ونهشتني ، فقال له عبد الله : قدمت وأنا عليلٌ من حقوقٍ لُزمتني ، فأنظرني قليلا ، وقد ضمنت وفاء دينك ولا أسألك من مبلغه . فأقام أُمِّيَّةُ أياما ثم أتاه فقال :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
وعلمك بالأمور وأنت قرَّمٌ لك الحسبُ المَهْدَبُ والسَّناء
كرِّمٌ لا يُنْبِرُهُ صَبَاحٌ عن الخلق الجليل ولا مساء^(٢)

(١) الأغاني : دار الكتب ٢٢٧/٨ ودار الثقافة ٣٢٩/٨ وبولاق ٢/٨ والسلي ٢/٨ والتجريد ٩٩٢ .
(٢) في الأغاني : من الخلق السلي .

يُبَارِي الرِّيحَ مَكْرُمَةً وَبَجْدًا إِذَا مَا الْكَلْبُ أَجْجَرَهُ الشَّتَاءُ
 إِذَا أَتَيْتُ عَلَيْكَ الرَّءُ بَوْمًا كَفَاءُ مِنْ تَعْرِضِكَ التَّنَاءُ^(١)
 إِذَا خَلَفْتَ عَبْدَ اللَّهِ فَاعْلَمْ بَأَنَّ الْقَوْمَ لَيْسَ لَهُمْ جَدَاءُ^(٢)
 فَأَرْضِكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَاهَا بَنَسُو تَيْمِيرَ وَأَنْتَ لَهُمْ سَمَاءُ^(٣)
 وَهَلْ تَخْفَى السَّمَاءُ عَلَى بَصِيرٍ وَهَلْ بِالْشَّمْسِ طَالِمَةٌ خَفَاءُ
 فلما أُنْشِده أُمَيَّةَ هَذَا الشَّعْرَ قَالَ لِأُمَيَّةَ : خُذْ أَيَّ مِنْ شَيْءٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْفَيْتَيْنِ ،
 وَأَشَارَ إِلَى الْجُرَادَتَيْنِ^(٤) ، فَأَخَذَ إِحْدَاهُمَا وَانْعَرَفَ ، فَمَرَّ بِمَجْلِسِ مِنْ مَجَالِسِ قُرَيْشٍ ،
 فَلَامُوهُ عَلَى أَخْذِهَا وَقَالُوا لَهُ : لَقَدْ أَلْفَيْتَهُ عَلِيلًا ، فَلَوْ رَدَدْتَهَا عَلَيْهِ فَإِنَّ الشَّيْخَ مُحْتَاجٌ
 إِلَى خِدْمَتِهَا فَكَانَ ذَلِكَ أَقْرَبَ لَكَ عِنْدَهُ وَأَكْثَرَ مِنْ كُلِّ حَقٍّ ضَمِنَهُ . فَوَقَعَ الْكَلَامُ
 مِنْ أُمَيَّةَ مَوْقَعًا ، وَنَدِمَ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ لِيَرُدَّهَا عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَتَاهَا بِهَا قَالَ لَهُ ابْنُ جُدْعَانَ :
 لِمَلِكٍ إِنَّمَا رَدَدْتُهَا لِأَنَّ قُرَيْشًا لَامُوكَ عَلَى أَخْذِهَا وَوَصَفَ لِأُمَيَّةَ مَا قَالَ الْقَوْمَ ، فَقَالَ
 أُمَيَّةَ : مَا أَخْطَأْتُ يَا أَبَا زُهَيْرٍ . قَالَ : فَمَا الَّذِي قُلْتَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ أُمَيَّةُ :
 عَطَاؤُكَ زَيْنَ لَامِرِيٍّ إِنْ حَبَوْتَهُ يَبْذُلُ وَمَا كُلُّ الْمَطَاءِ يَزِينُ
 وَلَيْسَ بِشَيْءٍ لَامِرِيٍّ بِذَلِّ وَجْهِهِ إِلَيْكَ كَمَا يَمْنُ السُّؤَالِ يَشِينُ
 فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ لِأُمَيَّةَ : خُذِ الْآخَرَى . فَأَخْذَهَا وَخَرَجَ .

(١) فِي الْأَغَانِي : مَنْ تَعَرَّضَ . وَسَيَأْتِي فِي التَّخَارِجِ مَرَّةً أُخْرَى : مَنْ تَعَرَّضَ ، وَيَكُونُ هُنَا مِنْ
 التَّعَرُّضِ لَكَ .
 (٢) الْجِدَاءُ : الْفَنَاءُ . وَفِي الْأَغَانِي : « الْجَزَاءُ » وَمَا هُنَا أَصَوَّبُ .
 (٣) بِسَمَةِ فِي الْأَغَانِي يَت .
 (٤) جُمْلَةٌ « وَأَشَارَ إِلَى الْجُرَادَتَيْنِ » لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي .

قال الحسين بن الحسن الرّوزي : سألتُ سفيانَ بنَ عُيينةَ فقلت : يا أبا محمد ، ما تفسرُ قولَ النبي صلى الله عليه وسلم « كان من أكثرِ دعاءِ الأنبياء قبلَ بِرْفَةٍ لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير » وإنما هذا ذِكْرٌ وليس فيه من الدعاء شيء ، فقال لي : أعرفت حديث مالك بن الحويرث ^(١) يقول الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه « إذا شغل عبدي ثناؤه على من مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » قلت : نعم ، أنت حدثتني عن منصور ابن مالك ^(٢) بن الحويرث . قال : فهذا تفسير ذلك ، ثم قال : أما علمت ما قال أمية ابن أبي الصلت حين خرج إلى ابن جُدعان يطلب نائله وفَضله ؟ قلت : لا أدري . قال : قال له :

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أنفى عليك المرء يوما كفاه من تعرُّضه الثناء

قال سفيان بن عيينة : فهذا مخلوق يُنسب إلى الجود قيل له : يكفيك من مسألتك أن تُنفي عليك ونسكت حتى تأتي على حاجتنا ، فكيف بالخالق أكرم الأكرمين ^(٣) ؟ قال أبو الزناد ^(٤) : ما مات أحد من كبراء قريش في الجاهلية حتى ترك ^(٥) الخمر استحياء مما فيها من الدنس ، ولقد عابها ابنُ جُدعان قبل موته وقال في ذمها شعرا ^(٦)

(١) في الأغاني : الحارث . وهذا ، ومالك بن الحويرث صحابي نزل البصرة ، انظر تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٤ وفيه أيضا مالك بن الحارث ثلاثة أشخاص .

(٢) كذا في نسخ المختار وفي الأغاني : « عن منصور عن مالك بن الحارث » هذا ، وسفيان روى عن منصور بن الضمر . كما في تهذيب التهذيب ترجمة منصور بن الضمر .

(٣) كلمة « أكرم الأكرمين » ليست في الأغاني .

(٤) الذي في الأغاني : ابن أبي الزناد .

(٥) في الأغاني : إلا ترك .

(٦) ذكر في الأغاني الشعر وهو ثلاثة أبيات .

وكان سبب تركه الخمر أن أمية بن أبي الصلت شرب معه ففطم عينه^(١) فأصبحت
مُخَضَّرَةً يخاف عليها الذهاب ، فقال له عبد الله : ما بال عينك ؟ فسكت أمية ، فألح
عليه ، فقال له : أنت صاحبها أصبتها البارحة ، فقال : وبلغ مني الشراب ما بلغ به
هذا الحد^(٢) ! لا جرّم ، لأدينّها دية عَيْنٍ . فأعطاه^(٣) عشرة آلاف درهم وقال :
الخمرُ على حرام أن أذوقها أبدا . وتركها من يومئذٍ .

(١) جملة « ففطم عينه » ساقطة من الأغاني .

(٢) في الأغاني : أو بلغ مني الشراب الذي أبلغ معه من جليسي هذا .

(٣) في الأغاني : لأدينها لك ديتين فأعطاه .

جذيمة الأبرش^(١)

هو جذيمة بن قهم بن غانم بن دؤس بن عُذْثَان^(٢) الأزدى ، وقيل له الأبرش لبرص كان به وهو أول من ملك قضاة بالحيرة ، وأول من هذا النمل ، وأدّج من الملوك ورُفِع له الشمع . قال يوما لجلسائه : قد ذُكر لى عن غلام اسمه عدى من لخم مقيم فى أخواله من إباد أن فيه ظرفا ولُبًّا فلو بشتُ إليه لىكون من نُدْمائى ووليتَه كُلى والقيام بجلسى كان الرأى . قالوا: الرأى ما يراه الملك . فليبعثُ إليه ، ففعل ، فلما قدم عليه فعل به ما أَراده ، فكث كذلك مدة طويلة ، ثم أشرفت عليه يوما رقاشِ أخت جذيمة ، فلم تزل تراسله حتى انصل بينهما ، ثم قالت له : يا عدى إذا سقيت القوم فامزج لهم واسقِ الملكِ صرًّا فإذا أخذت فيه الخمر فاخطبني إليه فإنه يزوجك ، وأشهد القوم بأن هو فعل فعل الغلام ذلك وخطبها فزوجها ، فانصرف الغلام بالخبر إليها فقالت : عرّس بأهلك ، ففعل ، فلما أصبح غدا مُصْرَجًا بالخلق . فقال له جذيمة : ماهذه الآثار يا عدى ؟ قال : آثار المرس . قال : أى عرس ؟ قال : عرس رقاش . قال : فتصحر وانكب على الأرض ، فرفع عدى جَرامِيزَه^(٣) ، فأسرع جذيمة فى طلبه ، فلم يظفر به ، وقيل : إنه قتله . وكتب إلى أخته :

حَدَّثَنِي رَقَاشٍ لَا تَكْذِيبُنِي أَبْجَرَّ زَنْتِ أُمَّ بَهَجِينَ
أَمْ بَعِيدٍ فَأَنْتِ أَهْلُ لَبِيدٍ أَمْ بَدُونٍ فَأَنْتِ أَهْلُ لَدُونٍ

(١) الأغاني : دار الكتب : ٣١٢ / ١٥ ودار الثقافة ١٥ / ٢٥٠ ويولاق ٧٢ / ١٤ والساسى ٦٩ / ١٤ . ويلاحظ أن ترتيب الجيم بالنسبة للأغاني الذى بين أيدينا يتقدم فيه على جذيمة هؤلاء الآتون وهم الحسين المذرى والجفاف السلى وجعفر بن علبة الحارثى وجعفر بن الزبير وجيلة ابن الأيهم . وابن منظور لا يلاحظ الترتيب فى الحرف قسه .

(٢) فى ث ، ك : غرثان أما « ا » فبدون نقط وانظر الاشتقاق ٤٩٦ .

(٣) الجراميز : ما انتصر من ثيابه ويريد أنه جمع ما انتصر من ثيابه ليجرى مسرعا ويقال أيضا : إن الجراميز هى قوائم الوحش ويقال : جمع جراميزه ، إذا تقيض لثب .

فقلت : بل زوجتي امرأةً عربياً . فتلقاها جذيمة إليه وحششها في قصره ، واشتملت على حبل^(١) فولدت غلاماً وسمته عمراً وربته حتى ترعرع فطهرته وحأته وأبسته كسوة مثله ، ثم أرتته^(٢) خاله فأعجب به ، وألقيت عليه محبته . فخرج النملان في سنة قد اكثأت [وخرج عمرو معهم وقد خرج جذيمة]^(٣) فبسط له في روضه ، وخرج النملان يبحثنون السكاة ، فكانوا إذا أصابوا كثاة طيبة أكلوها ، وإذا أصابها عمرو خبأها ، ثم أقبلوا يتماذون وهو معهم يقدمهم ويقول :

هذا جنائى وخياره فيه^٤ إذ كل جن يدؤه إلى فيه

فأكرمه جذيمة وحيآه^(٥) وقرّبه من قلبه وحلّ منه بكل مكان ، ثم إن الجن استطارت عمراً ، فلم يزل جذيمة يرسل في الآفاق في طلبه فلم يسمع له بخبر ، فكفت عنه ، ثم أقبل رجلان يقال لأحدهما مالك وللآخر عَمِيل ابناً فالجّر ، وهما يريدان الملك بهديّة ، فنزلا على ماء ومهما قيّنة يقال لها أمّ عمرو ، فنصبت لهما قدراً ، وأصلحت لهما طعاماً ، فبيناهما يأكلان إذ أقبل رجل أشمت أغبر قد طالت أظفاره وساءت حاله حتى جلس بمزجر الكلب^(٥) فدّ يده ، فناولته القيّنة شيئاً فأكاه ،

(١) في الأغاني : على حمل .

(٢) في بعض نسخ الأغاني أزارته .

(٣) زيادة من الأغاني .

(٤) في الأغاني طبعة دار الكتب : وجاه . وفي طبعة دار الكتب ودار الثقافة : وقرّب

من قلبه .

(٥) يقال : هوى مزجر الكلب : أى تظك للثرة ، وراذ أنه في موضع بحيث يكون فيه الكلب

حين ينهته .

ثم مد يده فقالت : إن يُعْطِ العَيْدُ كُراعاً يَبْتَغِ^(١) ذراعاً . فأرسلتها مثلاً ، ثم تناولت صاحبها من شرابهما وأوْكَأت زِفًا^(٢) فقال عمرو بن عدى :

سَدَدَتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمُّ عمرو وكان الكَأْسُ بِجِراها اليمينِ
وما شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمُّ عمرو بصاحبك الذى لا تَصْبَحِينَا

فقال الرجلان : من أنت ؟ فقال :

إن تُنْكِرَانِي وتُنْكِرَا نَسَبِي فإِنْسِي عمرو بن وعدِي أبي

فقاما إليه فلثاه وغسلا رأسه وقلما أغفاره وقصرا من لثته وألبساه من طرائف ثيابهما وقالا : ما كُنَّا لنُهْدِي إلى الملك هَدِيَّةً أنفس عنده ولا هو أحسن عليها صَدَقًا^(٣) من ابن أخته قد رده الله تعالى إليه . فخرجا حتى إذا دَقَا^(٤) إلى باب الملك بشرأ به ، فصرفه إلى أمه ، فألبسته ثيابا من ثياب الملوك وجملت في عنقه طَوْفاً كان يَلْبَسُهُ وهو صغير ، وأمرته بالدخول على خاله ، فلما رآه قال : شبَّ عمرو عن الطَّوْقِ ، فأرسلها مثلاً ، وقال للرجلين اللَّذَيْنِ قدماه به : احْكُمَا فلكما حُكِمَا . قالَا : مناديتك ما بقيت وبقينا . قال : ذلك لكما . فهما نديما جَذِيعة اللذان ذكرهما مُتَمِّمٌ فقال :

وَكُنَّا كَنَدَمَانِي جَذِيعة حِقْبَةٍ من الدهر حتى قيل لن يَتَصَدَّعا
فلما تفرَّقْنَا كَانِي ومالك لطولِ اجْتِمَاعٍ لم تَبِتْ لَيْلَةٌ مِمَّا

وذكرهما الشراء فقال أبو خراش الحمدليّ يعنيهما :

أَلَمْ تَلَمَّا أَنْ قد تفرَّقَ قَبْلَنَا خَلِيلَا صَفَاءَ مالِكٍ وعَقِيلُ

(١) في الأغاني طبعة دار الكتب : يلبس .

(٢) أوْكَأت الزق : ربطته بالكواء وهو الرباط . وفي الأغاني : وأوْكَأت زفها .

(٣) الصغد : العطية وفي طبعة دار الثقافة : صنما .

(٤) يقال : دَقَا ودَقَا بالبناء للمعلوم والمجهول .

وكان جَذِيمةً من أفضل الملوك رأيا وأبدم مُناراً وأشدّهم نكابةً ، وهو أول من استجمع له الملك بَارض المِراق ، وكانت منازلُه بين الأنبار وبَقَّةَ وَهَيْتَ وعين التمر وأطراف البرِّ والقُطُفُطَانَةِ والحيرة ، فقصِد في جموعه عمرو بن ظَرِبٍ بن حَسَّان [ابن] أذينة بن السَّمِيدَع بن هَوَيْرِ المامليّ من عَامِلَةِ المَعَالِيْق ، فخرج عمرو في جموعه وولّيه ، فقتله جَذِيمةٌ وانقَضَ من ممه ، فَلَكَوْا عليهم ابنته الزَّباء ، وكانت من أحزم الناس^(١) فخافت أن يَفْزوها مُلوك العرب ، فأتخذت لنفسها نفقاً في حِصْنٍ كان لها على شاطئ الفرات وسَكَرَتْ^(٢) الفرات في وقت قِلَّةِ الماء وبنت في بطنه^(٣) أَزْجاً^(٤) من الآجر والسِكْلَس متصلًا بذلك النفق ، وجعلت نفقا آخر في البرِّيَّةِ متصلًا بمدينةٍ لأختها ، ثم أجَرَت الماء عليه ، فكانت إذا خافت عدواً دخلت النفقَ . فلما استجمع^(٥) لها أمرها واستحكم مُلْكُها جمعت لتغزو جَذِيمةً^(٦) نائرةً بأبيها . فقالت لها أختها - وكانت ذات رأي وحزم - إنك إن غزوتِ جَذِيمةً فإنه أمرٌ^(٧) له ما يهدم ، فإن ظفرتِ أصبتِ تَأْرَكَ ، وإن ظفرك فلا بَقِيَّةَ لك ، والحربُ سِجَالٌ ولا تدرين كيف تكون ، لك أم عليك ، ولكن ابعثي إليه فأعلميه أنك قد رغبت في أن تزوجه وتُجمعي مُلْكَكَ إلى ملكه ، وسَلِّيه أن يُجيبك إلى ذلك ، فإنه إن اغترَّ وفعل ذلك ظَفِرَتْ به بنيرٌ مُخاطرة . فكتبت إلى جَذِيمة تقول له : إنها قد رغبت في سِلَّةٍ بلديها ببلده ، وإنها في ضَمَفٍ من سلطانها وقِلَّةٍ ضبطٍ لملكها ، وإنها

(١) في طبعة دار الثقافة : النساء .

(٢) سكرت : سدت .

(٣) كلمة « في بطنه » ساقطة من طبعة دار الكتب .

(٤) الأزج : البيت بيني طولاً .

(٥) في طبعة دار الكتب : اجتمع .

(٦) في طبعة المارين : أجمعت على غزو جَذِيمة .

(٧) في طبعة دار الكتب : فإنه امرؤ له ما يصدده !

لم تجدْ لملكها كُفُوًا غيرَه . وسألته الإقبال إليها وجمَعَ مُلكها إلى ملكه . فلما وصل ذلك إليه استخفّه وطمع فيه ، وشاور أصحابه ، فكلُّ صَوَّبَ رأيه في قصدها وإجابتها إلا قصيرَ بنَ سميذ بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هلال بن نمارة بن لخم فقال: هذا رأيي فآثر، وغدَرَ حاضر ، فإن كانت صادقة فلتَقِيلْ إليك وإلا فلا تُسَكِّنْها من نفسك فتَقَعَ في حبالها وقد وَثَرَتْها في أبيها ، فلم يوافقْ جَذِيمة ما قاله : وقال له: أنت امرؤُ رأيتك في الكِنِّ لا في العَنج^(١) ورَحَلَ ، فقال له قصير في طريقه : انصرف ودُمك في وَجْهِكَ . فقال له جذيمة : بَبَقَ قُضِيَ الأمر . فأرسلها مثلاً ، ومضى حتى إذا شارف مدينتها قال لقصير : ما الرأي ؟ قال : بَبَقَ تركت الرأي . قال : فما ظنُّك بالزَّيَّاء ؟ قال : القول رِدْأَن ، والحَزْمُ عِراف^(٢) ، لا يُخَاف ، واستقبلته رسلها بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ، كيف ترى ؟ قال : خَطَرٌ يَسِير ، في خُطْبٍ كبير . وستلقاك الخيول ، فإن سارت أمامك فالرائة صادقة وإن أخذت جَنْبَتَيْكَ وأحاطت بك فالقومُ غَادِرُونَ . فلقيته الخيول فأحاطت به ، فقال له قصير : اركب المصا فإنها لا تَسْبِقُ ولا تُدْرِكُ - يعني فرساً له كانت تُجَنَّبُ - قبل أن يحولوا بينك وبين جنودك ، فلم يفعل ، فجاء قصير في ظهرها ومَرَّتْ به تمدو في أوائل أصحاب جَذِيمة ، ولما أحيط بجذيمة التفت فرأى قصيرا على فرسه في أول القوم فقال لِعَازِمٍ ما يُجِيرِي المصا^(٣) . فلم يقف حتى جرت ثلاثين ميلاً ثم وقفت فانت^(٤) هناك

(١) الكِن : البيت . والفضح : الشمس وضوؤها .

(٢) كذا في نسخ المختار فيكون بمعنى المعرفة . وفي نسخ من الأغاني : والحزم عثراته تخاف وفي بعضها : عيراته لا تخاف . وفي بعضها مثل ما في المختار .

(٣) في طبعة دار الكتب : «لمازم من يجري المصا في أول القوم» وفي طبعة دار الثقافة : «لمازم من يجري المصا في أول القوم» . وفي جميع الأمثال : «ول أمه حزمًا على متن المصا» .

(٤) في الأغاني : فبالت . وفي جميع الأمثال : «ثم نقتت» يعني ماتت ، انظر فيه «خطب يسير في خطب كبير» .

فبنى على ذلك الموضع^(١) بَرَجَ وَسَمَّى بَرَجَ الْعَصَا ، وَأَخَذَ جَذِيْعَةً فَأَدْخَلَ عَلَى الزَّيْبَاءِ ،
فَاسْتَقْبَلَتْهُ وَقَدْ كَشَفَتْ عَنْ فَرْجِهَا وَإِذَا هِيَ قَدْ ضَمَرَتْ الشَّعْرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَتْ : يَا جَذِيْعَةُ
أَشْوَارِ عُرُوسٍ^(٢) تَرَى ؟ فَقَالَ : لَا بَلْ أَرَى مَتَاعَ أُمَةٍ^(٣) لَكُمْاءَ غَيْرِ ذَاتِ خَفَرٍ . ثُمَّ قَالَ :
بَلِّغِ الْمَدَى وَجَفِّ التَّرَى ، وَأَمُرِّي غَدْرِي أَرَى . قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَاكَ مِنْ عَدَمِ مَوَاسٍ ،
وَلَا قِلَّةِ أَوَاسٍ^(٤) وَلَكِنهَا شَيْمَةٌ أَنَاسٍ ، ثُمَّ قَالَتْ لِحَوَارِيسَهَا : خُذْنِي بِمَعْنَدُ
سَيْدِكُنِّي ، ففعلن ، ثُمَّ دَعَتْ بِنَطْعٍ وَأَجْلَسَتْهُ عَلَيْهِ ، وَأَمَرَتْ رِوَاهِيْسَهُ^(٥) فَقَطَعَتْ
فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ لَيْسِيلَ دَمِهِ فِيهِ ، وَقَالَتْ : يَا جَذِيْعَةُ لَا تُغْنِيَنَّ مِنْ دَمِكَ شَيْئًا
فَإِنِّي أُرِيدُ لِلخَبَلِ^(٦) . فَقَالَتْ لَهَا : وَمَا يَحْزُبُكَ^(٧) مِنْ دَمِ أَضَاعَةِ أَهْلِهِ ؟ وَإِنَّمَا أَرَادَتْ
بِذَلِكَ أَنْ كَاهَنَاتُهَا قَالَتْ لَهَا : إِنَّ تَقَطُّ مِنْ دَمِهِ شَيْءٌ فِي غَيْرِ الطَّسْتِ أَذْرَكَ بِثَأْرِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ
دَمُهُ يَجْرِي فِي الطَّسْتِ حَتَّى صَفَفَ ، فَتَحَرَّكَ فَتَقَطَّتْ قِطْعَةً مِنْ دَمِهِ عَلَى أَسْطُوَانَةٍ
رَخَامٍ فَمَاتَ . وَالرَّبْرَبُ تَحَدَّثَ أَنْ فِي دِمَاءِ اللُّوْكَ شِفَاءٌ مِنَ الْخَبَلِ . قَالَ [التَّلَّس] :
مِنَ الدَّارِمِيِّينَ الَّذِينَ دَسَّأُوهُمْ شِفَاءً مِنَ الدَّاءِ الْمُجِنَّةِ وَالْخَبَلِ

وجعلت دمه في بَرَّةٍ نَيَّةٍ ، وجعلته في خزانها . ومضى قصيرٌ إلى عمرو بن عبد الحُرِّ
التَّنُوخِيِّ فَقَالَ لَهُ : اطْلُبْ بَدْمَ ابْنِ عَمِّكَ وَإِلَّا سَبَيْتُكَ الرَّبْرَبَ ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِذَلِكَ ، فَخَفَى
قَصِيرٌ إِلَى عَمْرِو^(٨) ابْنِ أَخْتِ جَذِيْعَةٍ فَقَالَ لَهُ : هَلْ لَكَ فِي أَنْ أَصْرِفَ الْجُنُودَ إِلَيْكَ

(١) في طبعة دار الكتب : الموضع بَرَجَ يَسْمَى الْعَصَا .

(٢) في طبعة دار الكتب : « أَذَاتُ عُرُوسٍ » هَذَا ، وَالشَّوَارُ : النَّظَرُ وَالزِّيْنَةُ .

(٣) في طبعة دار الثقافة : شَوَارِ أُمَةٍ .

(٤) الْأَوَاسِيُ جَمْعُ آسِيَةٍ وَهِيَ كُنْيَاةُ عَنِّ الْخَاتَنِ . وَلِلْوَاسِيِ هِيَ جَمْعُ الْوَاسِيِ الَّذِي يَحْلُقُ بِهِ الشَّعْرُ .

(٥) الرِّوَاهِيْسُ : هَرُوقٌ فِي بِلَاطِنِ الْقِدْرَاعِ .

(٦) الْخَبَلُ : الْجُنُونُ أَوْ شِبْهُهُ .

(٧) حَزَبُهُ الْقَم : أَصَابَهُ وَاشْتَدَّ عَلَيْهِ . وَفِي الْأَغَانِي : مَا يَحْزُنُكَ .

(٨) فِي الْأَغَانِي : فَخَرَجَ قَصِيرٌ إِلَى عَمْرِو .

على أن تطلب بدم خالك^(١) . فجعل له ذلك ، فأتى القادة والأعلام فقال : أنتم القادة والرؤساء وعندكم^(٢) الأموال والكنوز فانصرف إليهم منهم خلق^(٣) كثير . فالتقى عمرو والتنوخى^(٤) فلما صافوا^(٥) القتال تأبىه التنوخى ومُلك عمرو^(٦) بن عدى . فقال له قصير : انظر ما وعدتني في الزّباء ، فقال : وكيف وهى أمتع من عقاب الجوّ؟ فقال : أمّا إذا آيت فأننى جادع أننى ومعتال لقتلها فأعسى وخلاك ذمّ ، فقال له عمرو : أنت أبصر . فجذع قصير أنفه وأذنيه ، ثم انطلق فدخل على الزّباء . فقالت له : من أنت ؟ فقال : أنا قصير ، لا ورب البشر ما كان على ظهر الأرض أحد أنصح لجذيمة منى ولا أغش لك حتى جذع عمرو بن عدى أنقى وأذى وقال : أنت أشرت على خالى بالسير إليها . وقد عرفت أنى لا أكون مع أحد أثقل عليه منك . فقالت : أى قصير ، نقبل ذلك منك ونصرفك في بضاعتنا ، فأعطته مالا للتجارة ، فأتى بيت مال الحيرة فأخذ مما فيه بأمر عمرو بن عدى ما ظن أنه يرضيها ، وانصرف إليها به ، فلما رأت ما جاء به فرحت وزادته ، ولم يزل بها حتى أنست به ، فقال لها يوما : ليس من ملك ولا ملكة إلا وقد بينى أن يتخذ له تقفا يهرب فيه عند حدوث حادثة يخافها ، فقالت : أمّا إنى قد فعلت واتخذت تقفا تحت سريرى هذا يخرج إلى تقفر تحت سرير أختى . وأرته إياه ، فأظهر سرورا بذلك ، وخرج في تجارة كما كان يفعل ، وعرف عمرو بن عدى ما فعله فركب عمرو في ألفى دارع على ألف بئر في الجواليق ،

(١) في الأغاني : بئار خالك .

(٢) في الأغاني : وعندنا .

(٣) في الأغاني : بشر .

(٤) في الأغاني : فالتقى بعمرو التنوخى .

(٥) في بعض نسخ الأغاني : صافوا .

(٦) في طبعة دار الكتب : ومُلك بن عمرو .

حتى إذا صار إليها تقدم قصير^(١) فسبق الإبل ، ودخل على الزباء فقال لها : اسمدى على حائط مدينتك فانظري إلى مالك وتقدمي إلى بوابك فلا يمرض لشيء من أهكامنا^(٢) ، فإني قد جئت بمالي صامت وقد كانت أمتته فلم تكن تهمة ولا تخافه ، ففعلت كما أمرها^(٣) ، فلما نظرت إلى ثقل مشي الجمال قالت : - وقيل : إنه مصنوع منسوب إليها - :

ما للجمال مشيها وثيدا أجندلا يحملن أم حديدا
أم صرفانا باردا شديدا^(٤) أم الرجال جثما قموذا

فلما دخل آخر الإبل نخس البواب : عكنا من الأعكام بمنخسة معه ، فأصاب خاصرة رجل فضرط ، فقال البواب : شر والله عكمتكم في الجواليق . فثاروا بأهل المدينة ضربا بالسيف ودخلوا عليها قصرها ، فهربت تريد السرب ، فوجدت قصيرا قائما عنده بالسيف^(٥) ، فأنصرفت راجعة ، فاستقبلها عمرو بن عدى بالسيف فضربها ، وقيل : بل مصت خاتمها وقالت : بيدي لا بيد عمرو . وأخبرت المدينة ، وسُبيت الندراري ، وغنم عمرو كل ما كان لأبيها ولها ولأختها .

وقالت الشعراء تذكر ذلك وما كان من قصير في مشورته على جذية وفي جدع ألقه ، فأكثروا ، فن ذلك قول عدي بن زيد العبادي :

ألا أيها الرُّجِّي الرُّجِّي^(٥) ألم تسمع بخطب الأولينا

(١) الأعكام جمع الكم : وهو العنبل أو ما شد وجمع من ثوب أو سواد .

(٢) في الأغاني : فصعدت كما أمرها .

(٣) الصرافان : الرصاص . والصرقان : الموت .

(٤) جملة « ودخلوا عليها قصرها » عنده بالسيف » ساقطة من طبعة دار الكتب والسرب : المفير تحت الأرض أى النفق .

(٥) في الأغاني : ألا يا أيها اللزى الرجي .

دَعَا بِالْبَقَّةِ الْأَمْرَاءَ يَوْمَا جَذِيمَةً عَصَرَ يَنْجُوهُمْ بُيْنَا^(١)
 فطَاوَعَ أَمْرَهُمْ وَعَصَى قَصِيرًا وَكَانَ يَقُولُ - لَوْ تَقَمَّ - الْيَقِينَا^(٢)
 وَكَانَ جَذِيمَةُ الْمَلِكِ شَامِرًا ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ الْأَبْرَشُ وَالْوَضَّاحُ ، لَبَرَصٌ كَانَ بِهِ
 وَوَضَّحَ ، وَكَانَ يُضْمَنُ أَنْ يُسَمَّى بِذَلِكَ ، فَعَمِلَ مَكَانَهُ الْأَبْرَشُ وَالْوَضَّاحُ ، وَهُوَ الَّذِي
 يَقُولُ :

وَالْمَلِكُ كَانَ لَدُنِي نَوَا سِرِّ حَوْلِهِ مِنْ ذِي يُجَايِرُ^(٣)
 بِالسَّابِنَاتِ وَبِالْقَنَاطِ وَالْبَيْضِ تَبَيُّقُ وَالْمَقَافِرُ
 أَزْمَانٌ لَا مَلِكٌ يُجِيبُ رَ وَلَا ذِمَامٌ لَنْ يُجَاوِرُ
 أَزْمَانٌ عَمْرَانٌ وَفَهْ مٌ مِنْهُمْ بِأَدٍ وَحَاضِرُ^(٤)
 أَوَدَّتْ بِهِمْ غَيْرَ الزُّمَا نَ فَمُنْجِدُهُ مِنْهُمْ وَغَاوِرُ

وَقَالَ الْمُتَلَسِّسُ يَذْكُرُ جَدْعَ قَصِيرٍ أَقْبَهُ :
 وَمَنْ حَذَرَ الْأَيَّامَ مَا جَدَّ أَقْبَهُ قَصِيرٌ وَرَامَ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسَ^(٥)

(١) ينجوهم : يسارهم بما في فؤاده من الأسرار والمواقف . وتبين : جمع تبة ومرفوعها ثبون
 والثبة : المعبة من العرسان . ورواية أخرى بهاشا ، كـ وبعض مخطوطات الأغاني : جذيمة يتنحى
 عصا ثينا .

(٢) في مطبوع دار الكتب : لو سمع اليقينا .

(٣) يجابر : اسم أبي قبيلة من اليمن تنسب إليه وهو مراد وفي أغلب نسخ الأغاني تروى بجابر .

(٤) هنا البيت ساقط من مطبوع دار الكتب :

(٥) في الأغاني : وغاض الموت بالسيف .

الجمد المُنزى^(١)

هو الجمد بن مهجع أحد بني سَلَمَانٍ من عُذْرَة .

قال حماد الراوية : أتيت مكة فجاست في حلقة فيها عمر بن أبي ربيعة ، فذاكروا المذربين ، فقال عمر : كان لي صديق من عُذْرَة يعرف بالجمد ، وكان يلقي مثل الذى أتى من الصَّباة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عاهرَ الخلوَّة ولا سَرِيع السَّوَة ، وكان يواي الموسم في كل سنة ، ففمى ذات سنة إبطاؤه حتى قدم حُجَّاج عُذْرَة ، فأتيت القوم أنشد صاحي ، فإذا غلام قد تنفَّس الصُّمءاء ثم قال : عن أبي السَّهَرِ تسأل ؟ قلت : عنه أسألُ وإياه أردتُ قال : هيهات !! أصبح أبو السَّهَرِ لا يؤيسُ منه فيهمل ، ولا يُرجى فيمَنَّل ، أصبح والله كما قيل :

لمرك ما حي لأسماء تاركى أعيش ولا أقضي به فأمرتُ

فقلت : وما الذى به ؟ فقال : مثل الذى بك من تَهَوُّرٍ كما فى الضلال وجَرٍّ كما أذبال الخسار ، فكأنما لم تسمعا بجنة ولا نار . قلت : ومن أنت منه ؟ قال : أخوه ، فقلت : أما والله يا ابن أخى ما يمتك أن تسلك مسلك أخيك من الأدب وأن تركب منه مَرَكِبَه إلا أنك وأنه^(٢) كالبرد والبيجاد^(٣) لا ترقمه ولا يرقمك . ثم صرفت وجه ناقتى وأنا أقول :

أرائحة حُجَّاج عُذْرَة وجهه ولما يَرُحُ فى القوم جمْدُ بن مهجع
خليلانٍ نَشكو ما نلاق من الهوى متى ما يَقلُّ أسمع وإن قلتُ يَسمع

(١) الأغاني : دار الكتب ١٦٩/١١ ودار الثقافة ١٥٧/١١ ويولان ١٠/١٠

والناسى ٤٨/١٠ .

(٢) فى الأغاني : لا أنك وأذاك .

(٣) البيجاد : توب غلط . وفى المختار : « والتجاد » والتجاد : حائل السيف .

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي أَيْ شَيْءٍ أَصَابَهُ فَلَ زَفَرَاتٍ هِجْنَ مِنْ بَيْنِ أَصْلَى^(١)
فَلَا يُبَيِّنُكَ اللَّهُ خِلًا وَإِنِّي سَأَلْتُ كَمَا لَا قَيْتَ فِي الْحُبِّ مَصْرَعِي^(٢)
ثُمَّ وَقَفْتُ^(٣) مَوْفَى مِنْ عِرْقَاتٍ ، فَيِنَّا أَنَا كَذَلِكَ إِذَا إِنْسَانٌ^(٤) قَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ
وَسَاءَتْ هَيْئَتُهُ ، فَأَدْنَى نَاقَتَهُ مِنْ نَاقَتِي حَتَّى خَالَفَ بَيْنَ أَعْنَاقِهِمَا ثُمَّ عَانَقَنِي وَبَكَى حَتَّى
اشْتَدَّ بِكَأَوْهٍ ، فَقُلْتُ : مَا وَرَاءَكَ ؟ فَقَالَ : بَرَّحُ الْمَذَلِّ وَطُولُ الْمَطْلِ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :
لَئِنْ كَانَتْ عُدْبَةُ ذَاتِ لُبٍّ لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْحَسْبَ دَاهٍ
أَلَمْ تَنْظُرْ إِلَى تَغْيِيرِ جَسْمِي وَأَنِّي لَا بِفَارِقِي الْبَكَاءِ
وَإِنِّي لَوْ تَكَلَّفْتُ الَّذِي بِي تَغْيَى الْكَلَمُ وَأَنْكَشَفَ الْغِطَاءُ^(٥)
وَإِنْ مَعَاشِرِي وَرَجَالَ قَوْمِي خُوفُهُمُ الصَّيَابَةُ وَاللَّقَاءُ
إِذَا الْمُنْدَرِيُّ مَاتَ خَلِيٍّ دِرْعٍ فَذَلِكَ الْعَبْدُ يَبْكِيهِ النِّسَاءُ^(٦)
فَقُلْتُ : يَا أَبَا السَّهْرِ ، إِنَّمَا سَاعَةٌ تُضْرَبُ إِلَيْهَا أَكْبَادُ الْإِبِلِ مِنْ شَرْقِ الْأَرْضِ
وَعَرَبِهَا ، فَلَوْ دَعَوْتُ كُنْتُ قَمِينًا أَنْ تَنْظُرَ بِحَاجَتِكَ وَأَنْ تُنْصَرَ عَلَى عَدُوِّكَ . فَتَرَكَنِي
وَأَقْبَلَ عَلَى الدَّمَاءِ ، فَلَمَّا تَدَلَّتِ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ وَاتَّقَضَ النَّاسُ سَمْعَتَهُ يَقْسِمُ بِشَيْءٍ
فَأَصْنَحْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ :

(١) فِي الْأَغَانِي : مَا بَيْنَ أَصْلَى .

(٢) فِي الْأَغَانِي : فِي كُلِّ مَصْرَعٍ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : ثُمَّ أَطْلَعْتُ حَتَّى وَقَفْتُ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : إِذْ أَنَا إِنْسَانٌ .

(٥) تَغْيَى : تَغْيَى . وَأَنْكَشَفَ : وَفَى الْأَغَانِي : وَقَفَ . وَفَى : الْفَرْجُ بَعْدَ

الشَّدَّةِ مِنْ ٤٢٦ قَتْلًا عَنْ الْأَغَانِي : لَفَ .

(٦) فِي الْأَغَانِي : « يَبْكِيهِ الرَّشَاءُ » وَكَذَلِكَ فِي : الْفَرْجُ بَعْدَ الشَّدَّةِ .

يَا رَبَّ كُلِّ غَدَوَةٍ وَرَوْحَةٍ مِنْ مُخْرِمْ يَهْكُو الضَّحَى وَلَوْحَةٍ^(١)
أَنْتَ حَسِيبُ الْخَطْبِ يَوْمَ الدَّوْحَةِ^(٢)

فقلت له : وما يوم الدَّوْحَةِ ؟ قال : والله لأخبرنك ولو لم تسألني ، فيممننا نحو
مزدلفة فقال : إني رجل ذو مال كثير من نَمَمٍ وشاء ، وذو المال لا يُصدِرُهُ الْقُلُ^(٣)
ولا يُرْوِيهِ الثَّمَادُ^(٤) وإني خَشِيتُ عَاماً أَوَّلَ عَلَى مَالِي التَّلَفُ^(٥) ونصر التَّيْتِ^(٦)
أَرْضِ كَلْبٍ ، فالتَّجَعْتُ أَخْوَالِي مِنْهُمْ ، فَأَوْسَمُوا لِي مِنْ صَدْرِ الْمَجْلِسِ ، وَسَقَوْنِي
جُمَّةَ الْمَاءِ^(٧) ، وَكُنْتُ فِيهِمْ فِي خَيْرِ حَالٍ ، ثُمَّ إِنِّي عَزِمْتُ عَلَى مُوَافَقَةِ إِبِلِي بِمَاءِ لَهْمٍ
يَقَالُ لَهُ الْخَوْدَاتُ^(٨) ، فَرَكِبْتُ فَرْسِي وَسَمَّطْتُ^(٩) خَلْفِي شَرَاباً ، فَلَمَّا كُنْتُ بَيْنَ الْحَيِّ^(١٠)
وَمَرْحَى النَّعَمِ^(١١) رُفِعْتُ^(١٢) لِي دَوْحَةٌ عَظِيمَةٌ ، فَتَزَلْتُ عَنْ فَرْسِي وَشَدَّدَتْهُ فِي بَعْضِ
أَغْصَانِهَا^(١٣) ، وَجَلَسْتُ فِي ظِلِّهَا ، فَسَطَعَ غَبَارٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْحَيِّ ، وَرُفِعْتُ لِي شُخُوصٌ

(١) اللوح : التَّيْتِ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : أَنْتَ حَسِيبُ الْخَطْبِ .

(٣) الثَّمَادُ : جَمْعُ ثَمَدٍ وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ هَذَا ، وَكَلِمَةُ « الْقُلُ » لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي وَمَوْجُودَةٌ

فِي : الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ .

(٤) جُمَّةٌ « وَإِنِّي خَشِيتُ عَاماً أَوَّلَ عَلَى مَالِي التَّلَفُ » لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي وَمَوْجُودَةٌ فِي :

الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ .

(٥) نَصَرَ التَّيْتِ : الْأَرْضَ عَمَّا بِالْجُودِ . وَفِي أَصُولِ الْأَغَانِي وَاسْتَحْتَارَ « وَنَصَرَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ

وَفِي نَسْخَةِ مَنْهُ : وَقَطَرَ .

(٦) جُمَّةُ الْمَاءِ : مِظْمَةٌ :

(٧) فِي الْأَغَانِي : الْخَوْدَاتُ .

(٨) سَمَّطَ : عَلَّقَ .

(٩) فِي الْأَغَانِي : النَّعَمَ وَكَذَلِكَ فِي ت .

(١٠) رَفَعَ لَهُ الشَّيْءُ : أَبْصَرَهُ مِنْ بَعِيدٍ .

(١١) فِي الْأَغَانِي : وَشَدَّدَتْهُ بَنَصْنِ مِنْ أَغْصَانِهَا .

ثلاثة : فارس يطرد مسحلاً^(١) وأثانا ، وعليه درع صفراء وعمامة خزّ سوداء ،
وإذا فروع شمره تقربُ خصره ، فقلت : غلام حديث عهد بمرس أمجلته لذة الصيد
فترك ثوبه ولبس ثوب امرأته ، فاجاز عني إلا يسيرا حتى طمن المسحّل طمنة
وثني طمنة للأثان فصرعهما ، ورجع نحوى وهو يقول :

نظمنهم سلكي ومخلوجة كركك لأمين على نابل^(٢)

فقلت : إنك تبت وأنبت ، ولو زلت استرحت ، فثني رجله وزل ، وشدّ
فرسه بفنّ من أغصان الشجرة ، وألقى رمحه وجلس ، فجعل يحدثني حديثا ذكرت
به قول أبي ذؤيب :

وإن حديثا منك لو تبدلني جنى النخل في ألبان عوذ مطايل^(٣)

فممت إلى فرسي فأصلحت من أمره [ثم رجعت]^(٤) وقد حبر العمامة عن
رأسه ، فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش ، فقلت : سبحانك اللهم ، ما أعظم
قدرك وأحسن صنّتك . فقال لي : مم ذلك ؟ فقلت : مما راعني من جمال وجهك
وبهرني من حسنك ، فقال : وما الذي يروعك من حبيس التراب وأكيل الدواب
فلا يدرى أينهم أم ييأس ؟ قلت : لا يصنع الله بك إلا خيرا . ثم تحدثنا ساعة فقال :
ما هذا الذي سمّعت في سرجك ؟ قلت : شراب أهداه إلى بعض أهلك ، فهل لك
من أرب ؟ فقال : أنت وذاك [فأتيته به]^(٥) فشرب منه وجعل يئنك بالسوط

(١) يهامش ١ ، ك : المسحل : الحمار الوحشي .

(٢) السلكي : الطنة المستقيمة تلقاء الوجه . والمخلوجة : الطنة الموجهة عن يمين وشمال
والأثم : السهم عليه ريش يلاثم بضه بضاً والتابل : صاحب النبل . أي كما ترد سهين على رام رى
بها . والبيت لامرئ القيس .

(٣) العوذ : جمع عاذ وهو الحديثة التناج . والمطائل ذوات الأظفار .

(٤) زيادة من الأغاني .

على ثنياه ، وظلَّ السوطِ يتبين لى والله فيهن^(١) فقلت له : مهلا ، فإنى خائف أن
تكرهن . فقال : ولم ؟ فقلت : لأنهن رفاق وهُنَّ عذاب . فرفع عقيرته وغنى :
إذا قبلَ الإنسانُ آخرَ يشتهى ثنياه لم يَأْتُمْ وكان له أجراً
فإن زادَ زادَ اللهُ فى حسناته مثاقيلَ يححو اللهُ عنه بها الوزراً
ثم قام [إلى فرسه]^(٢) فأصلح من امره ورجع ، فبرقت لى بارقة تحت الدرع ،
فإذا نهَّد^(٣) كأنه حقٌ عاج ، فقلت : نشدتك الله أنت امرأة ؟ قالت : إى والله
إلا أنى أكره المشير الماهر ، وأحب النزل . ثم جلست وجلت تشرب مى
ما أقعد من أنسها شيئاً ، حتى نظرت إلى عينيها كأنها عينا مهابة مدهورة ، فراعى
إلا ميلها على الدوحة سكرى ، فزُيِّن لى القدرُ وحسن فى عيني ، ثم إن الله عز وجل
عصمنى منه ، فجلست حَجْرَةً^(٤) منها ، فإلى يسيرا حتى انقبت مدهورة ،
فلأنت عمامتها برأسها ، وجالت فى متن فرسها وقالت : جزاك الله عن الصحبة خيراً ،
فقلت : أنصرفين ولا تزودينى^(٥) منك زادا ؟ فناولتنى يدها فقبلتها ، فشمت منها
رائحة المسك المفتوح ، فذكرت قول الشاعر :

كأنها إذ تقضى النومَ وانقبت سَيَّابَةً ما بها عينٌ ولا أثر^(٦)

قلت : وأين الموعد ؟ قالت : إن لى إخوة شُرُساً وأباً غيوراً ، والله لأن أسرك
أحبُّ لى [من] أن أضرك . ثم انصرفت ، فجعلت أثبمها بصرى حتى غابت ،

(١) فى الأغاني : فصل والله يتبين لى ظل السوط فيهن .

(٢) زيادة من الأغاني .

(٣) فى الأغاني : ندى .

(٤) حجرة : ناحية .

(٥) فى الأغاني : فقلت : أو ما تزودينى .

(٦) السبابة : الحُر . وفى الأغاني « سحابة » وما هنا أحسن وأصح .

فهي يا ابن أبي ربيعة أحلّتي هذا المحلّ . فقلت : يا أبا المَسْهَر إن العنبر بك مع ما تذكر للمسيح ، فاشتدّ بكأوه ، فقلت : لا تَبْك ، فما قلتُ لك ما قلتُ إلا مازحا ، ولو لم أبلغ في حاجتك بما لي لسميتُ في ذلك حتى أقدر عليه . فقال : جزاك الله خيرا^(١) ، فلما انقضى الموسم شدّدتُ على بعيري وحملتُ عليه قُبّة حمراء من آدم كانت لأبي ، وحملتُ معي ألف دينار ومِطْرَفَ خَزَرٍ وأتينا بلاد كلب ، وسألنا هن أبي الجارية^(٢) ، فوجدناه في نادى قومه ، وهو سيّد الحَيّ ، والناس حوله ، فوقفت على القوم فسلمت ، فردّ الشيخ السلام ثم قال : من الرجل ؟ قلت : عمر بن أبي ربيعة ، قال : المعروف غير المنكر ، ما الذي جاء بك ؟ قلت : خاطبا . قال : الكفّاء^(٣) والرغبة . قلت : إني لم آت ذلك لنفسى من غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ، ولكنى أتيت في حاجة ابن أختك المندى ، وها هو ذلك ، فقال : والله إنه لكفى . الحسب رفيع النسب ، غير أن بناتى لا يقمن إلا في هذا الحى من قریش ، فوجعت . لذلك ، وعرف التغيّر في وجهي فقال : أما إني صانع بك ما لم أصنع بغيرك ، فقلت : وما ذاك ؟ فثنى من شكر قال : أخبرها ، فهي وما اختارت ، قلت : ما أنصفتني إذ تختار لبعيري وتولّي الخيار غيرك . فأشار إلى المندى أن دعه يُخبرها ، فأرسل إليها إن من الأمر كذا وكذا ، فأرسلت إليه : ما كنت أستبدّ بأمر دون القرشي والخيار له في قوله وحكمه^(٤) ، فقال لي : إنها ولّتك أمرها ، فاقض ما أنت قاض ، فحمدت الله عز وجل وأنثيت عليه وقلت : اشهدوا أني قد زوجتها من الجعد بن مِجْعج وأصدقها هذه الألف دينار وجعلت نكحها العبد والبعير والقُبّة . وكسوتُ

(١) في الأغاني : فقال لي خيرا .

(٢) في الأغاني : ففشدنا عن أبي الجارية .

(٣) الكفّاء : للثقل والتظهير . وفي الأغاني : الكفاء .

(٤) في الأغاني : في قوله ، حكمه .

الشيخ المطرف وسأله أن يبنى عليه بها من ليلته ، فأرسل إلى أمها ، فأبى ذلك وقالت : تخرج بنتي كما تخرج الأئمة ؟ فقال الشيخ : نخذى ^(١) في جهازها ، فابرحت حتى ضربت القبة في وسط الحرم ، ثم أهديت إليه ليلا ، وبث أنا عند الشيخ ، فلما أصبحنا أتيت القبة فصبحت صاحبي ^(٢) ، فخرج إلى وقد أثر السرور فيه ، فقلت : كيف كنت بدمي ؟ وكيف هي بدمك ؟ فقال : أبدت لي كثيرا مما كانت تخفيه هي يوم لقيتها ، فسألتهما عن ذلك فأنشأت تقول :

كتمتُ الهوى لما رأيتك جازعا وقلت قتي بعض الصديق يُريد ^(٣)
فوريتُ عما بي وفي داخل الحشا من الوجد برح ما علمتُ شديدا

فقلت : أقم على أهلك ، بارك الله لك فيهم وانطلقت وأنا أقول :
كفيتُ أخى المذرى ما كان نابه وإني لأعياه النوايب حمال
أما استحسنيتُ مني الكارم والملا إذا طرقتُ إني لمالي ببدال ^(٤)
فقال المذرى :

إذا ما أبو الخطاب خلى مكانه فأف لدنيا ليس من أهلها عمر
فلاحي فتیانُ الحجازين بدمه
ولا سقيتُ أرضُ الحجازين بالطر

(١) في الأغاني : هجرى في جهازها .

(٢) مسج : حياه بالسلام صباح . وفي الأغاني : فصحت بصاحي .

(٣) بدمه في الأغاني بيت .

(٤) في الأغاني : إذا طرحت إني لمالي ببدال .

الْجَحَافُ السَّلَیُّ^(١)

هو الجَحَافُ بن حَكِيم بن عاصم بن قيس بن سباع بن خُزَاعِي بن مَخْلَد^(٢)
ابن قَالِح بن ذَكْوَان بن ثَعْلَبَة بن بُهْثَة بن سُلَیْم بن مَنصُور .

ولد بالبصرة ، وهو الذي قال لما أوقع بيني ثعلب يوم البشر :

لله درَّ عَصَابَةٍ سَاحِبَتُهُم يوم الرُّصَافَةِ مِثْلُهُم لم يُوجَدِ

مِثْلُهُم سَفَاحًا هِنْدِيَّةً يترَكْنَ من ضَرْبِوا كُنْ لم يُولَدِ

وعدا الرجالُ الثَّائِرُونَ كَأَنَّمَا أَحْدَاقُهُم قَطَعُ الحَدِيدِ المَوْقَدِ^(٣)

وكان السبب في يوم البشر أن عمير بن الحباب لما قتله بنو ثعلب بالْحَشَاك .
وهو إلى جانب الثرثار وهو قريب من تَسْكُرِيَتْ - آتَى تَمِيمُ بنُ الحُجَابِ زُفَرَ بنَ الحَارِثِ
فأخبره بمقتل عُمَيْر ، وسأله الطلب له بثأره ، فكره ذلك وأباه عليهم^(٤) فسار تميم
بمن معه من قيس ، وتابوه على ذلك مسلم بن ربيعة^(٥) الثقيل ، فلما توجهوا نحو بني ثعلب
لقيمهم الهذيل بن زُفَرَ بنَ الهَذَلِيل ، فقال لهم : أين تريدون ، فأخبروه بما كان من زفر ،
فقال : أمهلوني ألقى الشيخ ، فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زُفَرَ فقال له : بئس ما صنعت ،
والله لأن ظفرك بهذه المصابة لمار عليك ، وإن ظفروا إنه لأشد . قال زفر : فاحبس
على القوم وقام زفر في أصحابه فخرَّضهم ، ثم شخص واستخلف عليهم أخاه أوساً ،

(١) الأغاني : دار الكتب ١٢/١٩٨ والنظر ١٩٧ ودار الثقافة ١٢/١٩٥ والنظر ١٩٤
ويولات ١١/٥٧ والساسي ١١/٥٥ والتجريد ١٣٩٦ .

(٢) في الأغاني : عاربي . وفي المؤلفات والمختلَف تحقيق م ١٠٢ : ابن خزاعي بن عارب
ابن هلال بن قالح .

(٣) في الأغاني : أبصارهم قطع الحديد .

(٤) جملة « وأباه عليهم » ليست في الأغاني .

(٥) في الأغاني : مسلم بن أبي ربيعة : وجاء بعد ذلك صحيحاً .

وسار حتى أتى الثرثار فدفنوا أصحابهم ثم وجه زُفرُ بنُ الحارثَ يزيد بن خُمران في خيل فأسرى^(١) إلى بني فدوكس^(٢) من تغلب ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، ولم يبقَ في ذلك الحى غيرُ امرأةٍ واحدة يقال لها حُميدة بنت امرئ القيس ، عذت بآبن خُمران ، فأعاذها ، وبث الهذيل إلى بني كعب بن زهير ، وبث مسلم^(٣) ابن ربيعة إلى ناحية أخرى ، فسلّ منهم قتل ونهب ، وبلغ ذلك بني تغلب والنذر^(٤) ، فارتحلوا يريدون عبور دجلة فلحقهم زفر بالسكحيل - وهو نهر أسفل من الموصل - مع المغرب ، فالتفتلوا قتالا شديدا ، وترجل أصحاب زفر أجمعون وبقى زفرُ على بئر له فقتلوه من ليلتهم وبقرّوا ما وجدوا من النساء ، وكان الذي غرق في دجلة أكثر من الذي قُتل بالسيف ، وكان الدم في دجلة قريبا من رمية سهم [فلم يزالوا يقتلون من وجدوا]^(٥) حتى أصبحوا ، ودخل زفر دجلة ، وكانت فيه بُحّة ، فجعل ينادى ولا يسمع صوته ففقدوه أصحابه^(٦) وحسبوا أنه قتل فتذامروا^(٧) وابتغوه وقالوا : إن قُتل شيخنا فما صنعنا شيئا ، فاتبعوه ، فإذا هو يصيح في الماء بالناس ، وتغلب قد رمتْ بأنفسها في الماء ، ونفّرج من الماء وأقام في موضعه ، فهذه الوقعة الحرجية ، لأنهم أحرقوا^(٨) فألقوا أنفسهم في الماء .

(١) في الأغاني : « فأساء » ويدو أنها تحريف .

(٢) في المختار : « دوكس » والتصويب من الأغاني والاشتقاق ص ٣٣٨ .

(٣) في المختار : « مسلمة بن ربيعة » وتقدم « مسلم بن ربيعة » وفي الأغاني هنا : مسلم بن

ربيعة .

(٤) في الأغاني : « والين » وهو يبدو أنه تحريف .

(٥) زيادة من الأغاني .

(٦) كذا في المختار وتكون على لغة أكلوني البراغيث . وفي الأغاني : ولا يسمعه أصحابه

ففقدوا صوته . وفي نسخة من الأغاني : فلا يسمع صوته ففقدوه أصحابه .

(٧) تذامروا : حنّ بعضهم بعضا على القتال .

(٨) في ١ ، ت : أخرجوا .

(٢٠ / ٢ مختار الأغاني)

ثم وجه يزيد بن مهران وتميم بن الحباب ومسلم بن ربيعة والهديل بن زفر في جماعة ، وأمرهم ألا يلقوا أحدا إلا قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم وكل قد أصاب حاجته من القتل والنهب ، ثم مضى بجماعة من أصحابه يستقبل الشمال حتى أتى رأس الأثيل ، ولم يخلف بالكحيل أحدا ، والكحيل على عشرة فراسخ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب ، فصعد قبل رأس الأثيل فوجد عسكرا من النمر^(١) وتغلب ، فقاتلهم بقیة ليلتهم ، فهزمت^(٢) تغلب وصبرت النمر^(٣) .

هذه الليلة تسميها تغلب ليلة الهير وفي ذلك يقول زفر بن الحارث :
ولما أن نَمَى النامى عُميراً
حسبت مماء دُهَيْتْ بَلِيلِ
دُهَيْتْ بَلِيلُ : أى أظلمت نهارا كأن ليلا دهاها أى غشيها^(٤) :

وكان النجمُ يَطْلُعُ في قتامة
وكانَ قُبَيْلَهَا يا أُمَّ عَمْرٍو
فلو بُنِى القابرُ عن عُمَيْرِ
غداةً يَفَارِغُ الأبطالَ حتى
قَبِيلٌ يَنْهَدُونُ إلى قَبِيلِ
وفي ذلك يقول جرير يُعَيِّرُ الأخطلَ :

أَنْسَيْتَ يَوْمَكَ بِالْجَزِيرَةِ بِسَدْمَا
كُنْتَ عَوَاقِبُهُ عَلَيْكَ وَبِالْأَ
حَمَلْتُ عَلَيْكَ مَهْمَةً قَيْسٍ خَيْلَهَا
شُعْنًا عَوَابِسَ تَحِيلُ الأبطالَا

(١) في الأغاني : البين .

(٢) في الأغاني : فهزمت .

(٣) كلمة « أى غشيها » ليست في الأغاني .

(٤) في البيت لقواء وفي الأغاني : من يمن سهيل .

مازلت تحسب كل شيء بدمهم خيلاً تكرر عليهم ورجالاً
 زفرُ الرئيس أبو الهذيل أبارككم^(١) وسبي الرجال وأحرز الأموال
 فلما كانت سنة ثلاثٍ وسبعين ، وقُتل عبد الله بن الزبير ، وهدأت الفتنة ،
 واجتمع الناس على عبد الملك بن مروان وتكافأت قيسٌ وتغلب عن النازي بالشام
 والجزيرة ، وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلم عبد الملك
 في ذلك ولم يُحكِم الصلح فيه ، فبينما هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبدَ الملك
 وعنده وجوه قيس :

الأسائل الجحاف هل هوائُرُ بقتلى أصيبت من سليمٍ وطمرِ
 يعني اليوم الذي قتل فيه بنو تغلب عُمرَ بن الجباب السلمي^(٢) .
 أجحاف إن نهبط عليك فتلتقي عليك مجورٌ ظامياتُ الرواخرِ
 تكن مثل إبداء الجباب الذي جرى^(٣)

به البحرُ ترميه رياحُ الصراصرِ
 فوثب الجحاف يجرُّ مطرَته وما يعلم من النضب ، فقال عبد الملك للأخطل :
 ما أحسبك إلا قد أكسبت قومك شرًّا . وقيل : إن الجحاف أجابه فقال :
 نعم سوف نبيكمهم بكل مهندٍ ونبي عُمرَ بالرماح الخواطرِ
 ثم قال : ظننت أنك يا ابن النصرانية لا تجترى عليّ ولو رأيتني مأسوراً لك .
 وتوعده ، فابرح الأخطلُ حتى حُمُ فقال له عبد الملك : أنا جارك منه . قال :
 هَبْكَ أجرتي^(٤) منه يظنان فن يمجري منه نائماً . ثم افتعل الجحاف عهداً من

(١) أبارككم : أهلككم . وفي الأغاني : أبادكم .

(٢) هنا الترح بين البيتين ليس في الأغاني .

(٣) إبداءه : ما أنشأه ويريد بذلك ابنه عميراً . وفي ديوانه : مثل إقضاء الجباب .

(٤) في الأغاني : « هذا أجرتي » وظاهر أنه تحريف .

عبد الملك على صدقات بكر وتغلب ، فصحبه من قومه نحو ألف فارس ، فسار^(١) بهم حتى بلغ الرصافة وبينها وبين شطّ الفرات ليلة ، وهي في قبلة الفرات ، ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شعر الأخطل وقال لهم : إنما هو الثار أو العار ، فمن صبر فليقدم ، ومن كره فليرجع . قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبة ، فأخبرهم بما يريد ، قالوا : نحن معك فيما كنت فيه من خير أو شر . فارتحلوا فطرقوا صهر^(٢) بمد روبة من الليل^(٣) - وهي في قبلة الرصافة على ميل^(٤) - ثم صيحوا عاجنة الرهوب^(٥) وهو واد لبني تغلب^(٦) في قبلة صهر ، والبشر وهو واد لبني تغلب فأغاروا على بني تغلب ليلاً فقتلهم ، وبقروا بطون الحوامل من النساء ، وقتلوا من كانت غير حامل ، وقتل في تلك الليلة ابن الأخطل يقال له أبو غياث ، ففي ذلك يقول جرير له :

شربت الخمر بمد أبي غياثٍ فلا نمت لك السوءات بالآ

ويسمى هذا اليوم يوم البشر ويوم عاجنة الرهوب ويوم مخاشن وهو جبل إلى جانب البشر ، وقيل : إن الأخطل وقع في أيديهم وعليه عباءة دينة ، فسألوه : من أنت ؟ فذكر أنه عبد ، فأطلقوه ، فقال ابن صمار^(٧) في ذلك :

لم يُنَجَّ إِلَّا بالتعبُدِ نَفْسَهُ لَمَّا تَيَقَّنَ أَنَّهُمْ قَوْمٌ عِدا
وتشابهت يروقُ المباءة عليهم^(٨) فنجا ولو عرفوا عباؤه هوى

(١) في الأغاني : فثار .

(٢) كذا في المختار وفي ١ ، ك فوق الصاد حرف « ط » وفي الأغاني : صهرين .

(٣) الروبة من الليل : الطائفة منه ، وضبطت خطأ في طبعة دار الكتب بالهمزة وفسرت بأنها القطعة .

(٤) في الأغاني : وبينهما ميل .

(٥) في الأغاني : الرحوب .

(٦) « وهو واد لبني تغلب » لم تذكر في الأغاني وهنا تكررت مع ما سيأتي .

(٧) في الأغاني : ابن صقار .

(٨) البرق جمع الأبرق : وهو كل شيء اجتمع فيه سواد وبياض .

وصعد الجحاف الجبل فجعل ينادى : من كانت حاملا فإلى ، فصعدن إليه ، فجعل ينفّر بطونهن . ثم هرب الجحاف بعد قتلته ، وفرق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحقه عبيدة بن همام التغلبي ، دون الدروب^(١) ، ففكر عليه الجحاف فهرمه وهزم أصحابه وقتلهم ، ومكث زمانا بالروم حتى سكن غضب عبد الملك ، فكلّمته القيسية في أن يؤمنه فلان وتلكأ ، فقيل له : إنا والله لا نأمنه على المسلمين أن يأتى بالروم فأمنه ، فأقبل ، فلما قدم على عبد الملك لقيه الأخطل فقال له الجحاف :

أبا مالك هل لُمتنى إذ خَصَصْتَنِي على القتل أم هل لأمنى لك لايمى^(٢)
أبا مالك إني أطمعتك في التي خَصَصْتَ عليها فعمل حرّ أن حازم
فإن تدعى أخرى أجبك بمثلها وإنى لَطَبْتُ بالوعى جدّ عالم

فقيل : إن الأخطل قال له : أراك والله شيخ سوء . وقال فيه جرير :

فإنك والجحاف يوم تحضه أردت بذلك المكث والورد أم جعل
بكي دؤبل لا يرقى الله دمه إلا إنما يبكي من الدلّ دؤبل^(٣)
وما زالت القتل سمور دماؤها يدجلة حتى ماء دجلة أشكل^(٤)

فقال الأخطل : ما لجرير لمنه الله ! والله ما سمّيتنى أى دؤبلا إلا وأنا صبي صغير . ثم ذهب عن ذلك . فقال الأخطل :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقمة إلى الله منها المشتكى والمول

(١) في الأغاني : الدرب .

(٢) في المختار : « لك لأم » فيكون فيه إقواء كل مؤنث والمختف ١٠٢ وفي الأغاني كما أثبت ، فلا إقواء .

(٣) البويل : الخنزير المذكور .

(٤) الأشكل : ما فيه يياض يضرب إلى الحمرة والكثرة .

فسأله بنى مروان ما بال ذِمَّةٍ وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ لَا يَزَالُ يُوسَّلُ
فَالَا تَغْيَرُهَا قُرَيْشٌ يَمْلِكُهَا يَكُنْ عَنْ قَرِيبٍ مُسْتَمَارًّا وَمَرْحَلًا^(١)
فقال عبد الملك : فإلى أين يا ابن النصرانية ؟ قال : إلى النار ، قال : أولى لك^(٢)
لو قلت غير ذلك .

ثم رأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم كأنه لم يُحْكَمْ الأمر ، فأمر ابنه الوليد
فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضَمَّنَ الجحافَ قَتْلَ النَّشْرِ وأزومه
إياها عقوبة له ، فأدى الوليد الحِمَالَات ، ولم يكن عند الجحاف ما يَحْمِلُ ، فلحق
بالجحاف بالمرأى يسأله ، لأنه من هوازن ، فسأل الإذن على الجحاف فنه فلقى أسماء بن
خارجة فَمَصَّبَ حاجته به ، فقال : إني لا أقدر لك على منفعة ، وقد علم الأمير بمكانك
فأني أن يأذن لك . فقال : لا والله لا أزمها غيرك أَجَحَّتْ أم أَكْدَتْ ، فلما بلغ
الجحاف ذلك قال : ما له عندي شيء ، فَأَبْلَيْتَهُ ذلك فقال : وما عليك أن تكون أنت الذي
تؤيسه ، فإنه قد أبى ، فأذن له ، فلما رآه قال : أهدتني خائناً لا أبالك ؟ قال له : أنت
سيد هوازن ، وقد بدأنا بك وأنت أمير العراقيين وابن عظيم القريتين ، وعملتُك في
كل سنة خمسمائة ألف درهم ، وما بك بمدها حاجة إلى خيانة . قال : أشهد أن الله قد
وفك وأنت نظرت بنور الله ، صدقت ، ولك نصفها العام ، فأعطاه وأدوا البقية .

ثم إن الجحاف تأله^(٣) بمد ذلك واستأذن في الحج فأذن له ، وخرج في المشيخة الذين
شهدوا معه ، فلبسوا الصوف وأخرموا وأبروا أَنفَهُمْ أي خزموها ، وجعلوا فيها البرى^(٤) ،

(١) بملكها : يغيرتها والستار : الافضال . والمزحل : البعد . وفي الأغاني : مستراد ومزحل .

(٢) أولى لك : الويل لك .

(٣) تأله : تعبد وتنسك .

(٤) البرى جمع البرة : وهي الحلقة في أنف البعير .

ومشوا إلى مكة ، فلما قدموا المدينة ومكة خرج الناس ينظرون إليهم ويمجبون منهم ، قال : وسمع ابنُ عمر الجَحَافَ وقد تملَّقَ بأستار السكبة وهو يقول : اللهم اغفر لي وما أراك تفعل . فقال له ابنُ عمر : يا هذا لو كنتَ الجَحَافَ ما زدتَ على هذا قال : فأنا الجَحَافُ ، فسكت ، وسمعه محمد بن علي بن أبي طالب وهو يقول ذلك فقال : يا عبد الله قنوطك من عفو الله أعظم من ذنبك .

وكان قتل عُمر أن بنى تغلب وقيسا تماشدا لما كان بينهما من الوقائع منذ ابتداء الحرب بمرج راهط ، فكانوا يتناورون ، فأرسلت تغلب إلى مهاجريها وهم بأذربيجان فاتام منها شُعيب بن مُلَيْك^(١) في ألقى فارس . واستنصر عُمرَ عَمِيَّاً وأسداً فلم يأتَ منهم أحد . ولما توجه شُعيب إلى الترتار نظر إلى دواخن^(٢) قيس فقال لثعلبة بن نياط : سرُّ بنا إليهم ، فقال له : الرأي أن نسير إلى جماعة قومنا فيكون مقاتلنا واحداً . فقال شُعيب : والله لا تحدث تغلب آتي نظرت دواخهم ثم انصرفت عنهم ، فأرسل قوماً من أصحابه قدَّامه . وعمر يقاتل بنى تغلب ، وعلى تغلب حنظلة بنُ هَوَبر ، فجاء رجل من أصحاب عُمرِ إليه فأخبره أن طلائع شُعيب أته ، وأنه قد عدلَ إليه ، فقال عُمرُ لأصحابه : اكفوني قتالَ ابنِ هَوَبر . ومضى هو في جماعة من أصحابه فأخذ الذين قدَّمهم شُعيب فقتلهم كلهم غير رجل من بنى كعب بن زهير يقال له قَتَبُ بنُ عُبَيْد ، فقال له عُمر : يا قَتَبُ ، أخبرني من وراءك ؟ قال : قد أتاك شُعيب بن مُلَيْك في أصحابه .

وفارق ثعلبة بن نياط شُعيباً ومضى إلى حنظلة بن هَوَبر وقاتل معه القيسية فقتل ،

(١) كذا في المختار وأما في الأغاني فهو مليل في جميع مواضعه .

(٢) الدواخن : للدخان .

والتقى عُمير وشُعيب فاقتتلوا قتالا شديدا ، فاصْلَيْتِ المِصرُ من يوم الخميس^(١)
حتى قُتِلَ شُعيب وأصحابه وقطعت رجلُ شُعيب يومئذ ، فجعل يقاتل وهو يقول :
قد علمتُ قيسَ ونحن نعلمُ أن التقي يَفْتِكُك وهو أجذم^(٢)
فلما قُتِلَ شُعيب نزل أصحابه وعقروا دوابَّهم ثم قاتلوا حتى قُتِلُوا ، فلما رآه عُمير
قتيلا قال : مَنْ سرَّه أن ينظر إلى الأسدِ عَقِيرًا فيها هو ذا . وجعلت تغلب ترتجز
وتقول وهي تقاتل :

انْمُوا إِيَّاسَا واندُبُوا مُجَاشِمًا كلاهما كان كريما فاجِمًا
إِيهًا بَنِي تَغْلِبَ ضَرْبًا نَاقِمًا^(٣)

وانصرف عُمير إلى عسكره وبلغ بنى تغلب مقتل شُعيب فخميت على القتال
واجتمعت لذلك^(٤) وتذامرت^(٥) على العبر ، فقال محسن بن جُبَيْر^(٦) : مضيت
أنا وَمَنْ أَفَلت من أصحاب شُعيب بعد المِصر ، فأَتينا راهبا في صومعة ، فسألنا
عن خَبَرنا ، فأخبرناه ، فأمر تلميذًا له بخاءنا بمِزْق فداوى جراحنا ، وذلك غداة
الجمعة فأقننا بمكاننا ، فلما كان آخر ذلك النهار أتانا خبر [مقتل] عُمير وأصحابه
وهرب من أفلت منهم .

(١) جملة « من يوم الخميس » ليست في الأغاني .

(٢) الأَجْذَم : الأَصلع .

(٣) ليه : اسم فعل للاستراحة . وفي الأغاني : ويه بنى تغلب .

(٤) جملة : « واجتمعت لذلك » ليست في الأغاني .

(٥) تذامرت تخاصمت .

(٦) في الأغاني : محسن بن حصين بن جَنْجُور .

جعفر بن عُبَبة الحارثي^(١)

هو جعفر بن عُبَبة بن ربيعة بن عَبْدِ يَفُوث - الشاعر أسير يوم الكلاب - ابن معاوية بن صلاءة بن المغفل بن ثعلب^(٢) بن الحارث بن كعب ، كنيته أبو هارم ، وعارمُ ابن له ذكره في شعره ، وهو من غُضْرَى الدولتين الأموية والعباسية ، شاعر مقلّ غزل فارس مذكور في قومه ، وأبوه عُبَبة شاعر أيضا ، وكان جعفر قتل رجلاً من بني عقيل في شأن أمة كانا يزورانها فتنازرا عليها ، وقيل : بل في غارة ، [أغارها عليهم] . وقيل : بل كان يُحدث نساءم فنهوه فلم ينته ، فرسدوه في طريقه إلىهن فقاتلوه فقتل رجلاً منهم ، فاستمدوا عليه السلطان فأقاد منه^(٣) .

شرب جعفرُ بن عُبَبة حتى سكر . فأخذه السلطان وحبسه ، فأنشأ يقول :

لقد زعموا أني سَكِرْتُ وربما يكون الفتى سكران وهو حلِيمُ
لعمركم بالسكر عارٌ على الفتى ولكنَّ عارا أن يقال لثِيمُ
أسجنُ وقيدُ واعتراِبٌ وعُسرةٌ وذكرُ حبيبٍ إنَّ ذا لعظيمُ^(٤)
وإنَّ امرأاً دامت موافقُ مَهْدِهِ^(٥) على دُونِ ما لا يفتُهُ لكَرِيمُ

خرج جعفر بن عُبَبة الحارثي ، وعلى بن جُمْدَب والنضر بن مُضارب وأغاروا على بني عقيل . وخرج بنو عقيل في طلبهم ، واقتربوا عليهم في الطريق التي قدروا

(١) الأغاني : دار الكتب ٤٥/١٣ وانظر ص ٤٤ ودار الثقافة ٤٤/١٣ وانظر ص ٤٣ وبولاق ١٤٦/١١ والساسي ١٤١/١١ والتجريد ١٤٥٤ .

(٢) في الأغاني : بن المغفل بن كعب .

(٣) أقاد منه : قتله به .

(٤) هذا البيت لم يرد في الأغاني في ترجمته .

(٥) في الأغاني : وإن فتى دامت .

أنهم يقصدونها^(١) ، ووضعوا عليهم الأرصاد على المضائق ، فكانوا كلما أفلتوا من عصابة لقيتهم أخرى ، حتى انتهوا إلى بلاد بني نهد ، فرجع عنهم بنو عقيل ، وقد ضجروا وملؤا وقد كانوا قتلوا فيهم حتى لحقوهم ، ورجع جعفر بن عُلبَة عليهم فصنع فيهم ما صنع ، وقتل منهم قتيلًا يقال له خُشينة وهزموها وما وقفوا له ، ففي ذلك يقول جعفر بن علبَة :

ألا لا أبالي بعد يومٍ بسحبَلٍ	إذا لم أُعذَّب أن يجيء حماميا
تركت بأعلى سَحْبَلٍ ومضيقيهِ	مُراقَ دمٍ لن يريح الدهر ثاويا
شفيتُ به فيظي وجُربَ موطنِي	وكان سناء آخر الدهر باقيا
أرادوا لينتوني فقلتُ تجنَّبوا	طريق فمالي حاجةٌ من ورثايا
فدَّى لبني عمِّ أجابوا لدعوتي ^(٢)	شَفَوَا من بني القرعاء عَمِي وخاليا
كأن بني القرعاء يوم لقيتهم	فراخُ القطا لاقَيْنَ صَفْرا يمانيا
أنول وقد أجَلَّتْ من القومِ عَرَكةٌ ^(٣)	لَيْبِكَ الْمُقِيلِيْنَ من كان باكيا
فإن بقرى سَحْبَلٍ لأمارَةً	ونَضَحَ دماءَ مِنْهُمْ ومَحَايا

الحاجي : آثارهم ، حبَّوا : ضمنا من الجراح التي بهم .

ولم أتُرك لي ريبَةً غير أني	وددت مُعَاذًا كان فيمن أنانيا
شَفِيتُ غليلي من خُشينةٍ بعد ما	كَسَوْتُ الهُدَيْلَ المَشْرِفُ المِمانيا
أحقًا عبادُ الله أن لست رائيا	صحاريَّ نَجْدٍ والرياحِ النَواريَا
ولا زائرًا شُمِّ العَرَايِنِ يَنْثَى ^(٤)	إلى عاصِيٍّ يَحُلُّنِ رَمَلًا مُعَالِيَا

(١) جملة « التي قدروا أنهم يقصدونها » ليست في الأغاني .

(٢) يمكن قراءتها في أ : فدَّى لبني عمرو « ولكن لا توجدوا بعد الراء » .

(٣) العركة : المرة من الحركة . وفي الأغاني : أجَلَّتْ من اليوم عركة

(٤) في الأغاني : انثى .

إذا ما أثبتَ الحارِثِيَّاتِ فأنسى لمنَّ وخبرهنَّ أن لا تلتايا
وقودَ قَلوصى بينهنَّ فإنها ستُبردُ أكبادا وتُبكى بواكيا
أوصيهمُ - إن متَّ يوماً - بمارم ليُنْفى شَيْئاً أو يقوم مقاميا^(١)
ومما قال أيضاً من أبيات^(٢) :

ألهفى بقرى سَحْبَلٍ : حين أجلبت علينا الولايا والمدُّ الباسِلُ^(٣)
قرى : ماء . وسَحْبَلٍ واحدٍ التقت فيه بنو عقيل وبنو الحارث بن كعب .
والولايا : القبائل جمع ولية . وروى : أحلبت بالخاء المهملة : أى أعانت .

فقالوا لنا ثنتان لا بدَّ منهما صدورٌ وماعٍ أشيرت أو سلاسلُ
فقلنا لهم تلكم إذا بعد كَرَّةٍ تُنادر صرعى نوبها مُتخاذِلُ^(٤)
ولم تُدر إن جُسنًا من الموت جَيْشَةً^(٥) كم العمرُ باقى والذى مُتطاوِلُ^(٦)
إذا ما ابتدرنا مأزقا فرجَتْ لنا بأيماننا يبيضُ جلَّتْها الصياقلُ^(٧)
ويروى : إذا القوم سدوا مأزقا .

لهم سُدْرُ سيقى يوم بَطْلحاء سَحْبَلٍ ولى منه ما ضُمَّت عليه الأناملُ

(١) تقدم أن كنية جعفر هى أبو عارم وعارم ابنه . وفى الأغاني : أو يكون مقاميا .

(٢) القصيدة فى الأغاني ١٣ بيتا .

(٣) فى الأغاني : عشية قرى سَحْبَلٍ إذ تعطفت علينا السرايا . وفى شرح التبريزى للحماسة ٢٢/١

مثل المختار .

(٤) التواء : التهوض . وفى الأغاني : نهضها متخاذل . وشرح التبريزى كالمختار .

(٥) هذا البيت لم يجمى فى الأغاني فى ترجمة جعفر بن عتبة وجاء فى شرح التبريزى .

(٦) الجيئس : العدول والانحراف ، جائن يبيض جيساً والجيئسة : اسم مرة منه .

(٧) فى الأغاني : إذا ما رصدنا مرصدا فرجت لنا . وفى شرح التبريزى كالمختار .

ومن شعره أيضاً^(١) :

لا يكشف الفناء إلا ابنُ حُرّة يرى غمرات الموت ثم يزورها
تقاسمهم أسيافنا شرّ قسمة ففينا غواشيها وفيهم صدورها
غواشيها : قواعها أو أعمادها .

وكان جعفر شجاعاً بطلاً مقداماً ، وكان مُقدّماً في قومه ، إلا أنه كان قد حُب إلى الفارات على سائر العرب ، وكان يَمْضِي ويتلاحق الناسُ فلا يلحقه أحد إلا عطف عليه وأذاقه حِيَاض الموت ، فلما جرت له هذه الإغارة مع بَنِي عَقِيل استمدّوا عليه السَّريَّ بن عبد الله الهاشمي عامل مكة لأبي جعفر ، فوجّه فطلبهم فاقدر عليهم ، فأخذ عُلْبَةً أبا جعفر وحبسه حتى دفعهم وسار من كان معهم إليه ، فأما النضر فاستقيد منهم ، فلم يكن مطلوباً إلا بجراحة فاستقيد منه بها ، وأما علي^(٢) ابن جُمْدَب فإنه احتال بطريقة لطيفة ، وذلك أنه قال لرجل كان يدخل إليه الحبس : احتلّ في مِبرِدٍ ، فاحتال له في مبرد وأدخله إليه ، فلم يزل يَبْرُدُ قيوده إلى أن قطعها وترك السجّان حتى نام ، وآتى إلى باب الحبس وقد أوثق بالأقفال ففتحها ، وخرج ليلاً^(٣) وهم لا يعلمون ، فانتبه السجّان فصادف الأقفال مُفَتَّحَةً والبابُ مفتوحٌ ، فقال : ذهبتُ والله ثم قُتِلَ الحبس فما فقد غير عليّ بن جُمْدَب . فاتى الأمير فعرّفه حيلته ، فمجب من إقدامه وسعة نفسه وشدة بأسه ، وأمره بطلبه فأعجزه .

(١) هذا النس والبيان ليسا في الأغاني في ترجمة جعفر بن علة . وورد الشعر في الحماسة شرح التبريزي عقب الشعر السابق

(٢) في الأغاني : اختصار ونسه : فأما النضر فاستقيد منه بجراحة وأما علي .

(٣) قصة هرب علي بن جمدب وحيلته اللطيفة لم تذكر في الأغاني وكل ما فيه هو وأما علي ابن جمدب فأُفَات من الحبس وأما جعفر بن علة ..

وأما جعفر بن عُلبَة فأقامت عليه بنو عُقيل قَسَامَةً^(١) أنه قتل صاحبهم ، وأنكر هو ، فقال لهم : إنه يُنكر ، وقد شهدتم عليه ، أفاقتله ودمه في رقابكم ؟ فقالوا : نعم أيها الأمير ، فإن الله يشهد علينا وملأكتُهُ وأنبيأوه ورسله أن جعفرأ قتل أخانا . فلما سمع ذلك^(٢) أخرج من الحبس ليُقتل فقال : أيها الأمير أقتلني بشهادة هؤلاء الظالمين وهم كاذبون عليّ ؟ فأمر به فضربت رقبته^(٣) .

وقال جعفر وهو في الحبس بمكة :
 هوأى مع الركب اليمانيْنُ مطلقُ
 جَنِيْبٌ وجُنَانِي بمكة موثقُ^(٤)
 عَجِبْتُ لمسراها وأنى تَحَلَّصْتُ
 إلى رُبَابُ السجْنِ دوني مُتَلَقُ
 أَلَمْتُ فحَيْتُ ثم وَلَّتْ فودَعْتُ
 فلما تولَّتْ كادت النفسُ تَرْهَقُ
 فلا تَحْسَبِي أَنِّي تَخَشَعْتُ بِمَدَمِ
 لشيء ولا أُنِي من اللوثِ أفرقُ
 ولا أن تقسى يَزْدَهِمها وَعِيدُ كم
 ولا أنى بالمشي في القيدِ أخرقُ
 وكيف وفي كفى حسامٌ مُدَلَّقُ^(٥)
 بعضُ بهائمَاتِ الرِّجَالِ وَيَعْلَقُ
 ولكن عرنتي في هوائك صَبَابَةٌ
 كما كُنْتُ ألقى منك إذ أنا مُطْلَقُ
 فأما الهسوي والوُدُّ مني فطامحُ
 يمانٍ وجُنَانِي بمكة موثقُ^(٦)

(١) القسامة : الجماعة يقسمون على الشيء أو يشهدون .

(٢) جملة . « وأنكر هو فقال لهم .. فلما سمع ذلك » ليست في الأغاني في ترجمة جعفر .

(٣) جملة : « أخرج من الحبس ليقتل فقال .. فأمر به فضربت رقبته » ليست في الأغاني

في ترجمة جعفر .

(٤) هذا البيت لم يرد في الأغاني في ترجمته وجاء في شرح التبريزي ج ١ ص ٢٥ ورواجه :

هوأى مع الركب اليمانيْنُ مصعد .

(٥) للذلق : المجدد .

(٦) في الأغاني : إليك وجناني

وكان الذي وَلِيَ ضربَ عُنُقِ جعفرِ بنِ علبه نَحْبَهُ بنِ كِلاب^(١) أخو المجنون
أحد بني عامر بن عَقِيل وقال في قتله إياه :

شَفَى النَّفْسَ مَا قَالِ ابْنُ عُلبَةَ جَعْفَرُ
هَوَى رَأْسُهُ مِنْ حَيْثُ كَانَ كَأَ هَوَى
عُقَابٌ تَدَلَّى طَالِبَا خَانَهُ الْوَكْرُ^(٢)
أَبَا عَارِمٍ فَيُنَا عُرَامَ وَشُدَّةُ
وَسَطَةُ أَيْمَانٍ مَوَاعِدُهَا شُعْرُ
مُ ضَرَبُوا بِالسِّيفِ هَامَةً جَعْفَرُ
وَقَدْنَاهُ قُوْدَ الْبَكْرِ قَسْرًا وَعَنُودَ
وَلَمْ يُنْجِهِمْ بَرٌّ عَظِيمٌ وَلَا بَحْرُ
إِلَى الْقَبْرِ حَتَّى ضَمَّ أَنْوَابَهُ الْقَبْرُ

ورثاه أبوه عُلبَةُ بقصائد ، ويقال إنه قال لامراته أم جعفر قبل أن يقتل
جعفرُ يوم :

لعمرك إن الليل يا أم جعفر
أحاذرُ أخبارَ من القومِ قد دَنَتْ
عَلَى وَإِنْ عَلَّتْنِي لَطَوِيلُ
وَرَجْمَةُ أَقْضَاسٍ لَهْنٍ هَزِيلُ^(٣)
فأجابته أم جعفر :

أيا جعفر أسلمت للقوم جعفرًا
فُتِمْتُ كَذَا أَوْ عَشْرَ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

وقيل إن جعفرًا كان يزور نساء بني عَقِيل بن كعب ، وكانوا متجاوزين هم
وبنو الحارث بن كعب ، فأخذته عَقِيل وكشفوا دُبْرَ قِمِصِهِ وربطوه إلى جنته ،
وضربوه بالسياط وكتفوه ، ثم أقبلوا به وأدبروا على النسوة اللاتي كان يتحدث إليهن
على ذلك السبيل لينظروهن ويفضحونه عندهن ، فقال لهم : يا قوم ، لا تفعلوا ،

(١) في الأغاني : كليب وكذلك في اللؤلؤ م ١٩

(٢) في الأغاني حُرِفَتِ التَّافِيَةُ : « طَالِبَا جَانِبِ الْوَكْرِ » قَبِيهَ إِقْوَاء .

(٣) كَذَا فِي الْمَخْتَارِ . وَالْمَزِيلُ لَا عَرَفَ تَوْجِيهِهَا . وَالْأَقْضَاسُ تَكُونُ مِنَ النَّفَاسِ . وَهِيَ الْإِبِلُ
الْمَزْلُ أَوَّلُهَا تَطْلُعُ الْأَرْضَ . وَفِي الْأَغَانِي : أَقْضَاسُ جَمِيعُ قَضَى : وَهُوَ الْمَزْلُ مِنَ الْإِبِلِ وَفِي : أَيْضَاسُ
وَفِي الْأَغَانِي : لَهْنٌ ذَلِيلٌ .

فإن هذا الفعل مُثَلَّة ، وأنا أحلف لكم بما يثلج صدوركم إلا أزور بيوتكم أبداً ولا أليجها . فلم يقبلوا ذلك . قال : فإذا لم تفعلوا فحسبكم مامضى ومثوا على بالكف عني وأنا اعتدته نعمة لكم وبدلاً لا أكفرها أبداً أو فاقتلونى وأريحونى فأكون رجلاً أذى قوماً فى دارهم فقتلوه . فلم يفعلوا ، وجعلوا يكشفون عورته بين أيدي النساء ويضربونه ويفرون به سفهاءهم حتى شَفَوْا أنفسهم منه وخَلَّوْا سبيله . فلم تَعُضْ إلا آياتهم فَلَائِلُ حتى عاد جعفر ومعه صاحبان له فدفع راحلته حتى أوجها البيوت ومضى ، فلما كان فى نُقْرة من الرمل أناخ هو وصاحبه ، وكانت عُقِيلٌ أَقْبَى خلق الله للأثر ، فاتبعوه حتى انتهوا إليه وإلى صاحبيه والمقيليون مقترون ليس مع واحد منهم عصا ولا سلاح ، فوثب عليهم جعفرٌ وصاحبه فقتلوا رجلاً وجرحوا آخر واقترقا ، فاستعدت عُقِيلٌ عليهم السرىَّ عاملَ المنصورِ على مكة ، فأحضرهم وحبسهم ، وقادَ من الجارج ، ودافع عن جعفر ، وكان يُحِبُّ أن يدرأ عنه الحَدَّ ولِخْوَلةَ أبى العباس السفاح فى بنى الحارث ولأن أخت جعفر كانت تحت السرى ، وكانت حَظِيَّةً عنده ، فتوَعَّدوه بالخروج إلى أبى جعفر والتظلمَ إليه ، فخاف العَزَل فدعا بجعفر واقْتاد منه فَضْرَتَ عنقه . ولما خَرَجَ جعفرٌ لِيَقْتُلَ قال له غلام من قومه : أَسْقَيْتَ شَرْبَةَ ماء بارد ؟ فقال له : اسكت ، لا أم لك ، إني إذا لَمِيتُ^(١) ، وانقطع شِسْعُ نَمْلِهِ ، فوقف فأصلحه ، فقال له رجل : ما يَشْمُكُكُ عن هذا ما أنت فيه ؟ فقال :

أشدُّ قِبَالٍ نَمْلِي أن يرانى^(٢) عَدُوِّى للحوادث مُسْتَكِينَا

(١) المياف : التى لا يصير على العيش . وقى المختار : مهتاف .

(٢) قبال النمل : شسعها .

ولما قُتِلَ كانت ابنة ليحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي حضرت الموسم في ذلك
العام ، فسكفته واستجادت له السكنى وبكته وجميع من كان معها ، وجملن يندبته
بأبياته التي يقول فيها :

أحسَّ عباد الله أن لستُ رائياً . صحارى نجد والرياح الدَّواريَا

وفي هذه القصيدة يقول :

ولم أترك لي ربةً غير أنى . وددتُ مُعَاذًا كان فيمن أنانيا

فقال معاذ بعد قتله يخاطب أباه ويُرَّضُ له أن جعفرًا قُتِلَ مظلوماً لأنهم أقاموا
قسامةً كاذبةً عليه حتى قُتِلَ ، ولم يكونوا عرفوا القاتل من الثلاثة بيمينه ، إلا أن غيظهم
على جعفر حملهم على أن ادَّعَوْا عليه القتل حتى قتل :

أبا جعفر سَكَنَ بَجْرَانٍ واحْتَسَبَ^(١) أبا هارم والمُسَمَّنَاتِ العَوَالِيَا^(٢)
وقوِّدْ قُلُوبًا أَتَلَفَ السَيْفُ رِيًّا بشير حم في القومِ إلا تَمَارِيَا^(٣)
إذا ذَكَرْتُهُ مَعِصِرُ حَارِثِيَّةٍ^(٤) جرى دمعُ عَيْنَيْهَا على الخَدِّ سَافِيَا
فلا تَحَسِّنِ الدِّينَ بِالْعَلْبِ مُنْسَأً ولا الثَّائِرَ الْحَرَّانَ يَنْسَى التَّقَاضِيَا
سَنَقُتِلُ مِنْكُمْ بِالْقَتِيلِ ثَلَاثَةً وتُنْثَى وإن كانت دماءُ غَوَالِيَا
تَمْنَيْتَ أَنْ تَلْقَى مُعَاذًا سَفَاهَةً ستَلْقَى مُعَاذًا وَالتَّقْصِيبَ الْيَمَانِيَا

(١) كذا في المختار . وفي الأغاني : « أبا جعفر سلب بجران واحسب » هذا ، والنسب
أصله يَكُونُ للنساء وهي ليس ثياب الحداد السود حين يموت الزوج .

(٢) المسنات : ذوات السنة .

(٣) التمارى : التكذيب .

(٤) المعصر : الجارية التي بلغت وأدركت .

ولما قُتِلَ جعفرُ بنُ عتبة قام نساء الحَيِّ يبيكين عليه بمكة ، وقام أبوه إلى كل نافذة له وشاةٍ فنحروا ولادها وألقاها بين يديها وقال : ابكين معنا على جعفر ، ليسكنَ لكنَّ معنا نصيب في الحزن على جعفر^(١) فما زالت النوق ترغو والشاة تشنو والنساء يصرخن^(٢) ويبكين وهو يبكي ممهن ، فما رُئِيَ يومَ كان أوجع من ذلك اليوم ولا أحرَّ مأتما في العرب^(٣) ، ومكث أبوه على ذلك أياما لا يأكل ولا يشرب باكية حزينا وأهل الحَيِّ معه على ذلك^(٤) .

(١) « جملة : ليكن لكن معنا . . . على جعفر » ليست في الأغاني . وفي المختار : ليكن ليكن معنا .

(٢) في الأغاني : يصحن .

(٣) في الأغاني : فما رُئِيَ يومَ كان أوجع وأحرق مأتما في العرب من يؤمذ .

(٤) جملة : « ومكث أبوه . . . على ذلك » ليست في الأغاني .

جعفر بن الزبير^(١)

هو جعفر بن الزبير بن المَوَّام بن خُوَيْلِد بن أَسَد بن عبد المَرْزِي بن قُصَيِّ بن كِلَاب
ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، أمه زينب بنت بشر بن عبد عمرو من بني قيس
ابن ثعلبة بن عسابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .
كان جعفر مُبْتَغَلًا ما رُئِيَ في الناس أحد أبخل منه ولا من عبد الله بن الزبير
خاصة ولم يكن في بني الزبير جوادٌ غير مصعب .

وشهد جعفرٌ مع أخيه عبد الله حروبه واستعمله عبد الله على المدينة ، وقاتل معه
يوم قتل عبد الله بن الزبير حتى جمد الدم على يده .

وفي ذلك يقول جعفر :

لمعرك إني يوم أجلت ركائبي لأطيبُ نفساً بالجلاد لدى الزكن
صنينٌ بمن خلقي شجاعٌ بطاعتي^(٢) طرادَ رجالٍ لا مطاردةَ الحصن^(٣)

كانت قريش في المدينة إذا جاء مال الصدقة أذان من أراد منهم شيئاً^(٤) وكتب
بذلك صكاً عليه ، فيستعبد السُلطان به ، ويختلفون إليه ويدارونه ، فإذا غضب
على أحدهم استخرج ذلك منه ، حتى كان الرشيد هارون فكلّمه عبد الله بن مصعب

(١) الأغاني : دار الكتب ١٥ / ٤ ودار الثقافة ١٥ / ٥ ويولات ١٣ / ١٠٤ والسامى
١٣ / ١٠٠ والتجريد ١٦٠٧ .

(٢) في الأغاني : شحيح بطاعتي .

(٣) شرح في الأغاني : الحصن جمع حصات يقول : هذا طراد القتال لا طراد الخيل بالميدان
وبعد في الأغاني بيت .

(٤) في الأغاني : كان السُلطان في المدينة إذا جاء مال الصدقة أذان من أراد من قريش منه .

سُكُوكٍ بَقِيَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ قَرِيْشٍ ، فَأَمَرَهَا فَخَرَقَتْ عَنْهُمْ . وَذَلِكَ
قَوْلُ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْرِ :

وَمَا كُنْتُ دِيْنًا أَفْقَدْتُ إِذْ بَدَتْ سُكُوكُ أَمِيْرِ الْمُؤْمِنِيْنَ تَذُوْرُ
تَرْوُجَ جَعْفَرِ بْنِ الزَّيْرِ امْرَأَةً مِنْ خُرَاعَةٍ وَفِيْهَا يَقُوْلُ :

هَلْ فِيْ إِذْكَ لَكَرِ الْحَبِيْبِ مِنْ حَرَجٍ أَمْ هَلْ لَّهُمُ الْفَوَادِ مِنْ فَرَجٍ
أَمْ كَيْفَ أَنْتَى رَحِيْلُنَا حُرْمًا يَوْمَ حَلَلْنَا بِالنَّخْلِ مِنْ أَمَجٍ
يَوْمَ يَقُوْلُ الرَّسُوْلُ قَدْ أَذِنْتُ فَأَنْتِ عَلَى غَيْرِ رِقَبَةٍ فَلَجِجِ
أَقْبَلْتُ أَسْمَى إِلَى رِحَالِهِمْ فِيْ نَفْثَةٍ مِنْ تَسْمِيْمِ الْأَرْجِ
تُسْفِرُ عَنْ وَاضِحٍ إِذَا سَفَرْتُ لَيْسَ بِذِيْ آمَةٍ وَلَا سَمِيْعٍ^(١)

كَانَ الْحِجَااجُ وَهُوَ أَمِيْرُ تَرْوُجَ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَتَى رَجُلٌ
سَمِيْعُ بْنُ الْمَسْبُوحِ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ، وَلَقَدْ دَعَا
بِذَلِكَ دَاعٍ قَابِلٌ ، وَعَسَى اللَّهُ ؛ فَإِنْ أَبَاهَا لَمْ يَزُوجْ إِلَّا الدَّرَاهِمَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ
ابْنُ مَرْوَانَ أَبْرَدَ الْبَرِيدَ إِلَى الْحِجَااجِ وَكُتِبَ إِلَيْهِ يُنْلِظُ عَلَيْهِ وَيَقْصُرُ بِهِ وَيَذْكُرُ تَجَاوُزَهُ
قَدْرَهُ ، وَيَقْسِمُ بِاللَّهِ لَنْ مَسْهَا لِيَقْطَعْنَ أَحَبَّ أَعْضَائِهِ إِلَيْهِ ، وَأَمْرُهُ بِتَسْوِغِ أَبِيهَا الْمَهْرَ
وَتَعْجِيلِ فِرَاقِهَا . فَعَمِلَ ذَلِكَ ، فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ فِيهِ خَيْرٌ إِلَّا وَسْرَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ جَعْفَرُ بْنُ الزَّيْرِ
فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ :

وَجَدْتُ أَمِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ ابْنَ يُوسُفَ حَمِيْمًا مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كُنْتُ تَنْكُفُ^(٢)
وَبُئِثْتُ أَنْ قَدْ قَالَ لَمَّا نَكَحْتُهَا وَجَاءَتْ بِهِ رُسُلٌ تُخَبِّئُ وَتُورِجُ

(١) الْآمَةُ : الْعَلِيْبُ .

(٢) نَكَفَ أَثَرُهُ يَنْكُفُهُ : اعْتَرَضَهُ فِي مَكَانٍ سَهْلٍ . وَإِبْنُ يُوسُفَ مَنَادَى ، أَيْ يَا ابْنَ يُوسُفَ
وَهَذَا يُرِيدُ أَنَّ الْحِجَااجَ اعْتَرَضَ بِنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ بِسَهْوَةٍ بِسَبَبِ سُلْطَانِهِ وَدَرَاهِمِهِ وَذَنَابِيرِهِ .
وَفُسِّرَتْ تَنْكُفُ « وَكُسِرَتْ كَانَهَا » بِأَنَّهَا تَعْمَلُ . وَفِي الْأَعْيَانِ : مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي جِئْتُ تَنْكُفُ .

ستعلم أنى قد أتيقت لِمَا جَرَى ومثلك منه — عمرك الله — يُؤَنَفُ
ولولا انتكاس الدهر ما نال مثلها رجاؤك إذ لم يرجُ ذلك يُوسِفُ
أَبْنَتَ الْمُصَنَّى ذى الجفاحين تبتنى لقد رُمْتُ خطباً قدره ليس يوصفُ
كان جماعة من قريش مُتَنَحِّينَ عن المدينة ، فصدر عن المدينة بدوىٌّ فسألوه :
هل كان بالمدينة^(١) خير ؟ قال : نعم ، مات أبو الناس . قالوا : وأنى ذلك ؟ قال : شهده
أهل المدينة جميعاً وبُكِيَ عليه فى كل دار ، فقال القوم : هذا جعفر بن الزبير ، فجاءهم
الخبْرُ بعد ذلك أن جعفر بن الزبير قد مات^(٢) .

(١) فى الأغانى : للمدينة .

(٢) إلى هنا انتهت نسخة الراجحة على نسخة ك فقط إلى جانب ت .

جبلۃ بن الأيهم^(١)

هو من بنى جَفْنَةَ مُلُوكِ غَسَّانَ .

لما أسلم جبلۃ بن الأيهم كتب إلى عمر رضى الله عنه يستأذنه في القدوم عليه ، فأذن له فخرج إلى عمر في خمسمائة من أهل بيته من عك وغسان ، حتى إذا كان على مرحلتين كتب إلى عمر يعلمه بقدومه ، فسُرَّ عمر رضى الله عنه بذلك ، وأمر الناس باستقباله ، وبعث إليه بأنزال^(٢) ، وأمر جبلۃ مائتي رجل من أصحابه فلبسوا الديباج والحريز ، وركبوا الخيول معقودةً أذنابها ، وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلۃ تاجه وفيه قُرْطاً مَآرِيَةً ، وهى جَدَنُّهُ ، ودخل المدينة فلم يبق بها يَسْكُرُ ولا عانس إلا تَبَرَّجَتْ وخرجت تنظر إليه وإلى زِيَّهِ ، فلما انتهى إلى عمر رضى الله عنه رَحَّبَ به وأدقَّ مجلسه ، ثم أراد عمر الحجَّ فخرج جبلۃ معه ، فبينما هو يطوف بالبيت وكان مشهوراً بالموسم إذ وَطِئَ إِزارَهُ رجلٌ من فَزَاةٍ فأنحَلْ ، فرفع جبلۃ يده فهشم أنفه فاستمدى عليه عُمرُ ، فبعث إلى جبلۃ فأثاء فقال : ما هذا ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، إنه تمعد حلٌّ إزارى ، ولولا حُرْمَةُ الكعبة لضررت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقررت ، فأبأ أن تُرضى الرجل وإما أن أقيده مفك . قال جبلۃ : تصنع بى ماذا^(٣) ؟ قال : آمر بهشم أنفك كما فعلت . قال : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وهو سَوْفَةٌ وأنا ملك ؟ قال : إن الإسلام جمعك وإياه ، فليست تفضله

(١) الأغاني : دار الكتب ١٥/١٥٧ ودار الثقافة ١٥/١٢٢ ويولاق ١٤/٢ والسامى ١٤/٢

والجريد ١٦٣١ .

(٢) الأنزال جمع نزل : وهو ما يهبأ للضيف .

(٣) في الأغاني : ماذا تصنع بى ؟

بشيء إلا بالتقى والمافية . قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أني أكون بالإسلام
أعز مني في الجاهلية . قال عمر : دع هذا عنك ، فإنك إن لم ترض الرجل أقدرته منك .
قال : إذن أنتصر ، قال : إن تنصرت ضربت عنقك ، لأنك قد أسلمت فإن ارتددت
قتلتك ، فلما رأى جبلة الجدة^(١) من عمر قال : أنا ناظر في هذا ليلتي هذه ، وقد
اجتمع يباب عمر رضى الله عنه من حى هذا وحى هذا خلق كثير ، حتى كاذت أن
تكون بينهم فتنة ، فلما أسوا أذن له عمر في الانصراف ، حتى إذا نام الناس وهدوا
تحمل جبلة بخيله ورواحله إلى الشام ، فأصبحت مكة وهى منهم بلائع ، فلما انتهى
إلى الشام تحمّل في خمائة رجل من قومه حتى أتى القسطنطينية ، فدخل إلى هرقل
فتنصر هو وقومه ، فسّر هرقل بذلك جدًا وظنّ أنه فتح من الفتوح عظيم ،
وأقطعه حيث شاء ، وأجرى عليه من التزل ما شاء وجعله من محدثيه ومُحمّاره .

وقيل : إنه جرى بينه وبين رجل مدنيّ كلام ، فسبّ الدينّ فردّ عليه ، فطمعه
جبلة ، فطمعه الدينّ ، فوثب عليه أصحابه فقال : دعوه حتى أسأل صاحبه وأنظر ما
عنده . فجاء إلى عمر فأخبره ، فقال : إنك فعلت به فعلًا فعل بك مثله ، فقال له :
وليس عندك من الأمر إلا ما أرى ؟ قال : فما الأمر عندك يا جبلة ؟ قال : من سبّنا
ضربناه ، ومن ضربنا قتلناه ، قال : إنما أنزل القرآن بالقصاص ، ففضب وخرج ودخل
بلاد الروم فتنصر ، ثم ندم فقال :

تنصرت الأشراف من عار لطمعة وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
ويا ليت لى بالشام أدنى معيشة أجالس قوى ذاهب السمع والبصر
أدين بما دانوا به من شريعة وقد يجبر المود الصّجور على الدبر^(٢)

(١) في الأغاني : الصدق .

(٢) المود : اللسن من الإبل ، والدبر : الإصابة بالدبرة وهى الفرخة تحدث من الرجل .

ولما ولي معاوية بمث إليه فدماء إلى الرجوع إلى الإسلام ، ووعده التوبة بأسرها ، فأبى ولم يقبل .

ثم بدا لعمر رضى الله عنه أن يكتب إلى هرقل ملك الروم يدعو إلى الله عز وجل وإلى الإسلام ، ووجه إليه رجلا من أصحابه وهو جثامة بن مساحق الكنانى ، فلما انتهى إليه بكتاب عمر أجاب إلى كل شيء سوى الإسلام ، فلما أراد الرجل الانصراف قال له هرقل : هل رأيت ابن عمك هذا الذى جاءنا راعيا فى ديننا ؟ قال : لا ، قال : فالتقه . قال : فتوجهت إليه ، فلما انتهيت إلى بابه رأيت من البهجة والحسن والسرور ما لم أر مثله بباب هرقل ، فلما أدخلت عليه إذا هو فى بهو عظيم ، وفيه من التماوير مالا أحسن وصفه ، وإذا هو جالس على سرير من قواريق وقوائمه أربعة أسد من ذهب وإذا هو رجل أصهب ذو سيال وعُتُون^(١) وقد أمر بمجلسه فاستقبل به وجه الشمس ، فما بين يديه من آنية الذهب والفضة يلوح ، فما رأيت أحسن منه ، فلما سلمت ردة السلام ورحب بى والطفنى ولأمنى على تركى النزول عنده ، ثم أجلسنى^(٢) على شيء لم أثبتته ، وإذا هو كرسى من ذهب فأمحدرت عنه ، فقال لى : مالك ؟ فقلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن هذا ، فقال جبلة أيضا مثل قولى فى النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكرته وصلى عليه . ثم قال : يا هذا إنك إذا طهرت قلبك لم يضررك ما لبسته ولا ما جلست عليه . ثم سألتى عن الناس ، وألحفت فى السؤال عن عمر ، ثم جعل يُفكر حتى عرفت^(٣) الحزن فى وجهه ، فقلت : ما يمنعك من الرجوع إلى قومك والإسلام ؟ فقال : أيمد الذى قد كان ؟ قلت : ارتد الأشعث

(١) البال : جميع البلية وهى ما على الشارب من الشر . والعتون : اللعبة .

(٢) فى الأغاني : أقعدنى .

(٣) فى الأغاني : رأيت .

ابن قيس عن الإسلام وضربهم بالسيف ومنع الزكاة ثم رجع إلى الإسلام فتحدثت
ملياً ثم أوماً إلى غلام على رأسه بشيء ، فولى يُخْضِر ، فاكان إلا هنيئة حتى أقبلت
الأخوة تحملها الرجال ، فوضعت ، ورجى بخوانٍ من ذهب فوضيع أُمَامِي
فاستمعيت منه فوضع أُمَامِي خَوَانُ خَلَنَج^(١) وجاماتُ قَوَارِير ، وأدبرت الخمر فاستمعيت
منها ، فلما فرغنا دعا بكأس من ذهب فشرب فيه خمساً عدداً ، ثم أوماً إلى غلام
نُفْرَج يُخْضِر^(٢) ، فما شمرت إلا بمشر جوارٍ يتكسّرُن في الحلى والحلل ، فقامد
خمس من يمينه وخمس عن يساره ، ثم سمعت وسوسة من ورائي ، فإذا أنا بمشر
أفضل من الأولِ عليهن الوشي [والحلى] فقامد خمس عن يمينه وخمس عن يساره ،
ثم أقبلت جارية على رأسها طائر أبيض كأنه لؤلؤة ، مؤدب ، وفي يدها المني جام
فيه مسك وعنبر قد خلطاً وأنعم سحقيهما وفي يدها اليسرى جام فيه ماء ورد ، فألقت
الطائر في ماء الورد فتممك بين جناحيه وبطنه وظهره ، ثم أخرجته فألقته في جام
المسك والعنبر ، فتمرغ^(٣) فيه حتى لم يدع فيه شيئاً ثم تهرته فطار فسقط على تاج
جبله ، ثم رفرف ونفض ريشه ، فما بقي فيه شيء إلا سقط على جبله^(٤) ، ثم قال
للجوارى : أطربنني ، فحفقن بعيدهن يفتنين :

لَقَدْ دَرَّ عَصَابَةً نَادِمَتُهُنَّ هَوَامًا يَجْلِقُ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
بِيضُ كَرِيمَةٍ أَحْسَابُهُنَّ شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
يُقَشُّونَ حَتَّى مَا نَهَرُ كَلَابُهُنَّ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقُبُلِ

(١) المحتجج : شجر يتخذ من خشب الأواني .

(٢) في الأغاني لولي يخضر .

(٣) في الأغاني : تمسك ومناها تمرغ وكذلك في ت تمسك وأثبت ما في ك .

(٤) بهامش نسخة ك تعليق بخط مختلف ونصه : لا والله إن القيصر الذي كان يخدمه جبله لا يقدر على
ما ذكرت لأنني قد كتبت توارخهم وأمنت النظر في أحوالهم فظهر لي ما عليهم من الضيق والفنك .

فاستهل واستبشر وطرب ثم قال : زِدْنِي ، فاندفعن يفتين من أبيات^(١) :

لمن الدار أقفرت بمناني بين شاطئ اليرموك فالصَّمان^(٢)
فالقربيات من بلاسٍ فدارياً فسكَّاء فالقصور الدَّوائِ
فحبي جاسمٍ فأبغية السَّفِّ ر مَنَعِي قبالٍ وهيجانٍ
ذاك معنى لآل جَفَنَةِ في الدا رِ وَحَقِّ تَمَقُّبِ الأَزمانِ
قد دنا الفِصحُ فالولائد ينظمه نَ سِراها أ كِلَّةَ المَرَّجانِ

ثم قال لي : أتعرف هذه المنازل ؟ قلت : لا ، قال : هذه منازلنا في مُلْكنا بأكناف دمشق ، وهذا شعرُ ابنِ الفَرِيمة حسان بنِ ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : أما إنه مضرور البصر كبير السن . قال : يا جارية ، هاتي . فأنته بخمسة دینار وخمسة أثواب ديباج ، فقال : ادفع هذا إلى حسان وأقره مني السلام ، ثم أرادني^(٣) على مثلها فأبيت عليه ، فسكى ثم قال لجواريه : أبكينني . فوضعن هيدانهن وأنشأن يقلن :

تنصَّرت الأشراف من عارٍ لَطمَةٍ وما كان فيها لو صبرت لما ضررُ
تَكَنَّفَنِي فيها لَجَاجٌ وَنَخْوَةٌ وبت بها المينَ الصَّحيحةَ بالمَوَرُ
فيا ليت أُمي لم تلدني وليتني رجعت إلى القول الذي قاله عُمرُ
ويا ليتني أَرَمي المَخاضَ بِقَفَرَةٍ وكنت أسيراً في رِيمة أو مُضَرُ
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشَةٍ أَجالِسُ قومي ذاهبَ السَّمعِ والبَصَرُ

(١) كلمة « من أبيات » ليست في الأغاني .

(٢) اليرموك والصَّمان والقربيات وبلاس وداريا . . . أما كن . وفي الأغاني يمان . وفي نسخ

منه : يمان .

(٣) في الأغاني : ثم راودني .

ثم بكى وبكى فنفذت دموعه تَجْرى ^(١) على لحيته كأنها اللؤلؤ. ثم سلمت عليه وانصرفت . فلما قدمت على عمر سألت عن هرقل وجبلته . فقصصت عليه القصة ، فقال : أَوِ رَأَيْتَ جِبِلَّةً يَشْرَبُ الْخَمْرَ ؟ قلت : نعم ، قال : أبغده الله تمجلاً فانيةً اشتراها بياقيةً فما ربحت تجارتَه ، فهل سرَّحَ معك شيئاً ؟ قلت : سرَّحَ إلى حسان خمسمائة دينار وخمسة أثواب ديباج ، فقال : هاها . وبعت إلى حسان ، فأقبل يقوده قائده ، حتى دنا فسلم وقال : يا أمير المؤمنين إني لأجد ريح آل جفنة ، فقال له عمر : قد نَزَعَ اللهُ لك منه على رغم أنفه وأناك منه بمغونة . فانصرف وهو يقول :

إِنْ ابْنَ جَفْنَةٍ مِنْ بَقِيَّةِ مَعْشَرٍ لَمْ يَنْذُمْ آبَاؤُهُم بِالْأُثُومِ
لَمْ يَنْسَى بِالشَّامِ إِذْ هُوَ رَجُلًا مَلِكًا وَلَا مَتَنَصِّرًا بِالرُّومِ ^(٢)
يُعْطَى الْجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ إِلَّا كَبَعْضِ عَطِيَّةِ الذَّمِّومِ
وَأَتَيْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِي ^(٣) وَسَقَى فِرَوَانِي مِنَ الْخَرْطُومِ ^(٤)

فقال له رجل في مجلس عمر : أنذرك قوما كانوا ملوكاً فأبادهم الله عز وجل وأفانهم ؟ قال : بمن الرجل ؟ قال : مَرْئِي . قال : أما والله لولا سوابق قومك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لطوَّقْتُكَ طَوْقَ الْحِمَامِ وقال : ما كان خَلِيلِي لِخَيْلِي بِي ، فما قال لك ؟ قال : قال لي : إِنْ وَجَدْتَهُ حَيًّا فَادْفِنِي إِلَيْهِ وَإِنْ وَجَدْتَهُ مَيِّتًا فَاطْرَحِ الثِّيَابَ عَلَى قَبْرِهِ وَابْتَغِ بِهِذِهِ الدَّنَانِيرَ بُدْنًا فَأَحْمَرِهَا عَلَى قَبْرِهِ . فقال حسان : ليتك وجدتي مَيِّتًا ففعلت بي ذلك .

(١) في الأغاني : حتى رأيت دموعه تجول .

(٢) في الأغاني : كلا ولا متنصرا .

(٣) في الأغاني : جلسي .

(٤) الخرطوم من أسماء الخمر .

وقيل : إنه قال لرسول معاوية لما وصل إلى هرقل وقد اجتمع به : أترى صاحبك
يقى إن خرجتُ إليه؟ قال : قل ما شئتَ لأعرضه عليه . قال : يعطيني الثَّنيَّةُ^(١) كلها ،
فإنها كانت منازلنا ، وعشرين قريةً من النُّوطة ، منها دارياً وبلاص وسكاً ، ويفرض
لجماعتنا ويُحسن جوازنا . قال : قالت : أبلغه . فلما قدمت إلى معاوية قال : وددت
لو أنك أجبتَه إلى ما سألتُ وأجزَّته^(٢) ، وكُتِبَ إليه معاوية بأن يُعطيه ذلك ، فوجده
قد مات . قال : ودخلتُ إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت حسان ،
فقلت : يا أبا الوليد ، صديقك جبلة يسلم عليك ، فقال : هات ما معك . قالت :
وما علمك أن مى شيئا ؟ قال : ما أرسل إلى بالسلام قط إلا ومعه شيء . قال :
فدفعتُ إليه المال .

قال حسان بن ثابت : أتيت جبلة بن الأيهم النسائي وقد مدحته ، فأذن لي فجلست
بين يديه ، وعن يمينه رجل له صغيرتان ، وعن يساره رجل لا أعرفه ، فقال : أتعرف
هذا^(٣) ؟ فقلت : أما هذا فأعرفه ، وهو النابتة ، وأما هذا فلا أعرفه . فقال : هو
عَلْقَمَةُ بن عَبْدِمَنَّة ، فإن شئتُ استنشدتُهما وسمعتُ منهما ثم إن شئتُ أنشدتُ بدمهما ،
وإن شئتُ سكتُ . قلت : فذاك . فأنشده النابتة :

رَكِبْنِي لَهْمَ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلِ أَقَاسِيهِ بَطَى السَّكَاكِبِ

قال : فذهب ناصبي ، ثم قال لمعلقة : أنشد ، فأنشد :

طَحَا بِكَ قَلْبِي فِي الْحَسَانِ طَرُوبُ بُمَيْدِ الشَّيْبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ
فذهب ناصبي الآخر ، فقال لي : أنت أعلم الآن ، إن شئتُ أنشدتُ بدمهما أو سكتُ
فشددتُ ثم قلت : لا بل أنشد . قال : هات ، فأنشدته :

(١) الثنية: يراد بها ثنية الغاب وهي مشرفة على غوطة دمشق « انظر معجم البلدات » .

(٢) في المختار : وأخذته .

(٣) كذا في المختار . وفي الأغاني : هذين .

أبناء جفنة حول قبر أبيهم . قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم^(١) كلساً يصفق بالرحيق السلسل
ينشون حتى ما تهرئ كلابهم لا يسألون عن السواد القبل
بيض الوجوه كريمة أحسابهم شم الأنوف من الطراز الأول
فقال: أدنه أدنه ، لعمري ما أنت بدونهما ، ثم أمر لي بثلاثمائة دينار وعشرة
أقصة ، وقال : هذا لك عندنا في كل عام .

وقيل : إن هذا إنما جرى لحسان مع عمرو بن الحارث وأنه قدم عليه فاعتصم الوصول
إليه ، فقال للحاجب بمد مدة : إن أذن لي عليه وإلا هجوت الين كلها واقلبت
عنكم ، قال : فأذن لي فدخلت فوجدت عنده النابغة جالسا عن يمينه ، وعلقة بن عبدة
جالسا عن يساره ، فقال لي : يا ابن القرية ، قد عرفت عيصك^(٢) ونسبك في غسان ،
فارجع فإني باعث إليك بصلة سنية ولا أحتاج إلى الشمر فإني أخاف عليك هذين
السبعين : النابغة وعلقة أن يفضحاك ، وفضيحتك فضيحتي ، وأنت والله لا تحسن
أن تقول :

رفاق النعال طيب حُجْزاًهُمْ يُحْيَوْنَ بِالْيَمْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِ^(٣)
فأبيت وقلت : لا بد منه ، فقال : ذلك إلى عميك . فقلت لهما : بحق الملك
إلا قدمتهما عليكما ، فقالا : قد فعلنا . فقال عمرو بن الحارث : هات يا ابن القرية ،
فأنشأت أقول والقلب وجل^(٤) :

أَسَأَلْتُ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ بَيْنَ الْخِلَافِ قَالْبَصِيعَ حَفْوَمَلْ

(١) البريص : اسم نهر دمشق ، وفي المختار البريص .

(٢) البيس : الأصل .

(٣) يوم السباب : عيد لتصارى يسمونه السعائين .

(٤) جملة « أقول والقلب وجل » ليست في الأغاني .

فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل عن مجلسه سروراً حتى شاطرني البيت وهو يقول
هذا وأبيك الشعر لا ما تملأني به منذ اليوم ، هذه والله البتارة التي قد بترت اللدائع ،
أحسنف والله يا ابن الربيعة . قال : هات لي يا غلام ألف دينار مرّوجة وهي التي
في كل دينار عشرة دنانير ، فأعطيت ذلك ، ثم قال : لك عليّ في كل سنة مثلها ،
ثم أقبل على النابغة فقال : قل يا زياد وهات الثناء المسجوع . فقام النابغة فقال : ألا
انعم صباها أيها الملك المبارك ، الساء غطاؤك . والأرض وطاوك ووالدي فداؤك .
والرب وقاؤك والمجم حماؤك والحكام جلساؤك والمدارة سياؤك^(١) والمقاويل
إخوانك ، والمقل شमारك والسلم منارك^(٢) والحم دثارك ، والسكينة مهادك ،
والوقار غشاؤك ، والبر وسادك ، والصّدق رداؤك ، واليمن حذاؤك ، والسقاء
ظهارتك والحمية بطانتك ، والقلاء غايك^(٣) ، وأكرم الأحياء أحياءك ، وأشرف
الأجداد أجدادك ، وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال
أخوالك ، وأهف النساء حلائك ، وأنغر الفتيان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ،
وأهلى البنيان بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك ، وأنسج^(٤) الدارات داراتك ، وأزهر
الحدائق حدائقك ، وأرفع اللباس لباسك ، وأدفع الأجناد أجنادك^(٥) قد حالف
الإضرع عاتقك ولائم المسك مسكك ، وجاور المنبر تراثيك^(٦) ، وصاحب النعم
جسدك ، المسجد آيتك ، واللّجين محافك ، والمصب مناديلك ، والحواري

(١) في الأغاني : والمداره سارك .

(٢) كلمة جملة « والسلم منارك » ليست في الأغاني

(٣) في بعض نسخ الأغاني : علائك .

(٤) في الأغاني ورواية أخرى بأصل الفخار (أ) وأضبح .

(٥) جملة « وأدفع الأجناد أجنادك » ليست في الأغاني .

(٦) في الأغاني : تريك .

طعامك ، والشهد إدامك ، واللذات غذاؤك ، وألخرطوم شرابك ، والأبكار
مستراحك ، والشرف مُناصِفُك^(١) ، والخير بفتائك ، والشرُّ بساحة أعدائك ،
والنصر منوطٌ بلوائك ، والخذلان مع أُلوية حُسادك ، زين قولك فُتُك^(٢) ، وطعطح
عدوك غضبك وهزم مقارنهم جندك^(٣) وسار في الناس عدلك وشاع بالنصر ذِكرُك ،
وسكن قوارع البلاد^(٤) ظَفَرُك ، الذهب عطاؤك ، والدواة رَمَزُك ، والأوراق لحظك ،
والنسي إطرأك^(٥) ، وألف دينار مُرْجوة إِمَّاؤُك ، أيفأرك المنذرُ للخمى ؟ فوالله
لَقَناك خيرٌ من وَجهه ، ولشمالك أجود من يمينه ، ولأخصك خيرٌ من رأسه ،
ولخطوك خيرٌ من سوابه ، ولصمتك خيرٌ من كلامه ، ولأملك خيرٌ من أبيه ، ولخدمك
خيرٌ من قومه . فهب لي أسارى قوى ، واسترهن بذلك شكركى ، فإنك من أشرف
قحطان ، وإني من سَروَات^(٦) عدنان .

فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه فقال : مثلُ هذا فليُثَن^(٧)
على اللوك ومثلُ ابنِ الفُرَيْمة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه . وقيل : إن عمرو
ابن الحارث قال : اجعل المفاضلة بيني وبين المنذر شعرا فإنه أسير فقال :
وَبُئِثَ أَنْ أَبَا مُنْذِرٍ يُسَامِيكَ لِلْحَدَثِ الْأَكْبَرِ

(١) في الأغاني : « والأشرف مناصفك » وللناصف الخدم .

(٢) في الأغاني : « والبر فُتُك » .

(٣) في الأغاني : مضمك .

(٤) في الأغاني : قوارع الأعداء .

(٥) في الأغاني : والأوراق لحظك وإطرأك .

(٦) تفسير الألفاظ الغريبة : الإسرع : كساء أصفر أو ألحز الأحمر : الملك : الجلد . النصب :
ضرب من البرود . الحواري : لياب الدقيق . الخرطوم : الخر السريعة الإسكار : طعطح : يدد وأهلك
الغائب : لجماعة الخيل . شمس : يمد . الأوراق : الدراهم . السروات : الساحة .

(٧) في الأغاني : يثقل هذا قليق .

فذلك أحسن من وجهه وأمك خير من النذر
ويسراك أجود من كف اليمين فقول له آخر

كان حسان بن ثابت ^(١) يفد على جيلة بن الأيهم سنة، ويقم في أهله سنة، فقال:
لو وفدت على الحارث بن أبي شمر النسائي فإن له قرابة ورعاً بصاحي، وهو أبذل
الناس للمعروف وقد ينس من أن أفد عليه لما يعرف من انقطاعي إلى جيلة. قال:
فخرجت في السنة التي كنت أقيم فيها بالمدينة حتى جئت الحارث، وقد كنت هيأت
له مديحاً، فقال له حاجبه - وكان قد خالني وكان لي ناصحاً - : إن الملك قد سُرَّ
بقدمك عليه، وهو لا يدعك حتى تذكر جيلة، فإياك أن تقع فيه، فإنه إنما يجتبرك،
فإن رآك قد وقفت فيه زهدك، وإن ذكرت عاصنه ثقلت عليه، ولا تبدئ بذكره.
فإن سألك عنه فلا تطنب في الثناء عليه، ولا تمينه، وامسح ذكره مسحاً وجاوز
إلى غيره، فإن صاحبك - يعني جيلة - أشد إغضاء من هذا وأشد تنافلاً وأقل حَفلاً
به، وذلك أنه أعقل من هذا، وليس لهذا بيان، وإذا دخلت عليه فسوف يدعوك
إلى الطعام، وهو يشغل عليه أن يؤكل طعامه ولا يبالى بالكرم والدينار، ويشغل عليه
أن يشرب شرابه أيضاً، فإن وضع طعامه فلا تدن منه حتى يدعوك. وإذا دعاك
فأصيب بعض الإصابة. قال: فشكرت لحاجبه ذلك ثم دخلت عليه فسألني عن البلاد
وعن الناس وعن عيشنا بالحجاز وعن رجال يهود وكيف ما بيننا من تلك الحروب، وكل
ذلك أخبره، حتى انتهى إلى ذكر جيلة فقال: كيف تجد جيلة فقد انقطعت إليه وتركنا؟
فقلت: إنما جيلة منك وأنت منه، ولم أجر معه إلى مدح ولا ذم، وجاز ذلك إلى غيره،
ثم قال: النداء، فأتى بالطعام ووضع، فوضع يده فأكل أكلًا شديدًا، وإذا رجل
جبار، فقال: بعد ساعة أذن فأصيب من هذا، فدنوت فخطفت تحطيطاً، ثم رفعت

(١) في الأغاني: يفد.

الطعام وجاء وُسْفاء كثيرٌ عددهم ، ومعهم أباريق ، وفيها ألوان الأثرية ، ومعهم
الناديل ، فقاموا على رءوسنا ، ودعا أصحابَ رابطة^(١) من الروم ، فأجلسهم ، وشرب
فأنهوه ، وقام الساق على رأسى فقال : اشرب ، فأبيت حتى قال هو اشرب ، فشربت ،
فلما أخذ فينا الشراب أنشدته شعرا فاعجبه ولذَّ به ، وأقت عنده أياما ، فقال لى حاجبه :
إن له صديقا هو أخفُ الناس عليه ، وهو جاء فإذا جاءه جفاك وخصَّ به^(٢) وقد قرب
قدومه^(٣) ، فاستأذنه قبل أن يقدّم عليه ، فإنه قبيح أن يجفوك بعد الإكرام . قلت :
ومن هو ؟ قال : نابتة بنى ذبيان . قال : فقلت للحارث إن رأى الملك أن يأذن لى
فى الانصراف إلى أهلى فمل . قال : قد أذنت لك وأمر لى^(٤) بخمسمائة دينار وكُسا
وحملان ، فقبضتها وقدم النابتة ورجعت إلى أهلى .

(١) الرباط : آلات ذات أوتار .

(٢) فى الأغاني : وخلص به .

(٣) فى الأغاني : وقد ذكر قدومه .

(٤) فى الأغاني : وأسرت لك .

جُورِيَّةُ أُمِّ حَكِيم^(١)

هِيَ جُورِيَّةُ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ قَارِظِ الْكِنَانِيَّةِ، كُنِيَّتُهَا أُمُّ حَكِيمٍ ، وَلَيْسَتْ هِيَ صَاحِبَةُ الْكَأْسِ ، وَقَدْ ذَكَرْتُ تِلْكَ فِي حَرْفِ الْأَلْفِ وَهِيَ زَوْجَةُ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، كَانَ بُسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ قَتَلَ وَلَدِيهَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ وَقَتَّمُ ابْنِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، فَأَصَابَتْ بِهِمَا ، وَكَانَتْ لَا تَعْقِلُ وَلَا تَعْنَى إِلَى قَوْلٍ مِنْ أَعْلَمَ أَنْهُمَا تَتَلَا ، بَلْ كَالْوَالِهَةِ عَلَيْهِمَا ، وَكَانَ سَبَبُ قَتْلِهِمَا أَنْ مَمَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سَفْيَانَ كَانَ يَمُتُ بُسْرُ بْنُ أَرْطَاةَ أَحَدَ بَنِي هَاشِمٍ ابْنِ أُوَيْيَةَ بِمَدِّ حَكِيمِ الْحَكَمِيِّ ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى يَوْمَئِذٍ ، وَبِثَ مَعَهُ جَيْشًا ، وَوَجَّهَ بِرَجُلٍ مِنْ عَامِرٍ^(٢) وَضَمَّ إِلَيْهِ جَيْشًا آخَرَ ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا فِي الْبِلَادِ فَيَقْتُلُوا مَنْ وَجَدُوا مِنْ شِيعَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابِهِ وَيَذْبَحُوا عَلَى سَائِرِ أَعْمَالِهِ . فَضَمُّوا لَوُجُوهِهِمْ يَشْنُونَ النَّارَاتِ عَلَى عَمَلِهِ ، وَيَقْتُلُونَ أَصْحَابَهُ ، وَلَا يَكُونُ أَيْدِيهِمْ مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ ، فَرُبُّسْرٌ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى آتَى الْمَدِينَةَ فَقَتَلَ بِهَا نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ ، وَهَدَمَ بِهَا دُورًا ، وَمَضَى إِلَى مَكَّةَ فَقَتَلَ بِهَا تَقْرَأَ ، ثُمَّ آتَى السَّرَّاءَ فَقَتَلَ مِنْ بِهَا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَآتَى نَجْرَانَ فَقَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الْمَدَّانِ الْحَارِثِيَّ وَابْنَهُ ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ بَنِي الْعَبَّاسِ ، ثُمَّ آتَى الْيَمِينَ وَعَلَيْهَا عُبَيْدِ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ عَامِلًا لِمَلِكِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانَ غَائِبًا ، وَقِيلَ : بَلْ هَرَبَ لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ بُسْرٍ فَلَمْ يَصَادَفْهُ بُسْرٌ ، وَوَجَدَ ابْنَيْنِ لَهُ سَيِّئَيْنِ ، فَأَخَذَهُمَا وَذَبَحَهُمَا ذَبْحًا بَدِيدَةً كَانَتْ مَعَهُ^(٣) ، ثُمَّ انْكَفَأَ رَاجِعًا إِلَى مَمَاوِيَةَ

(١) الْأَغَانِي دَارُ الْقَفَافَةِ ١٦ / ٢٠٠ - ٢٠٦ وِيُولَاقُ ١٥ / ٤٧ وَالسَّاسِي ١٥ / ٤٢ وَالتَّجْرِيدُ ١٧٤

(٢) كَفَا فِي الْأَغَانِي وَالْمَخْتَارِ : وَانْتَظِرْ شَرْحَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ج ٢ ص ١١٨ غُلَد .

(٣) بِهَاشِمِ الْمَطْلُوطِ لَمْ تَعْلِقْ بِخَطِّ مُخْتَلَفٍ : لِنَهْجِ اللَّهِ تَعَالَى وَلَمَنْ مِنْ يَأْوُنُهُ عَلَى ذَلِكَ سَوَفَ تَرَى سَيَجِيءُ الْبَارِهُلُ فَرَسَ تَحْتَكَ أُمُّ حَارُوسٍ سَيَلِمُ الظَّالِمُونَ لِمَنْ عَقِبَ الدَّارُ وَكَتَبَهَا وَسَيَلِمُوا الظَّالِمُونَ .
(٢٢ / ٢) خُتَارُ الْأَغَانِي

وفعل مثل ذلك سائر من بعث به فقصده المامري^(١) الأتبار فقتل حسان بن حسان البكري،
 وقتل نساء ورجالا من الشيعة، فبلغ ذلك على بن أبي طالب رضى الله عنه، فخرج
 حتى رقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أما بعد،
 فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذلّة وشمله البلاء،
 وسيم الخسف ودّيت^(٢) بالصغار، وقد قلت لكم اغزوم قبل أن يغزوكم، فإنه لم يغز
 قوم في عقر دارهم إلّا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم، وتركتم قولى وراء ظهوركم حتى
 شئت عليكم النار، هذا أخو بنى عامر قد جاء إلى الأنبار، فقتل عاملى عليها
 حسان بن حسان، وقتل رجالا كثيرا ونساء، والله لقد بلغتني أنه كان يأتي المرأة
 المسلمة أو الماهدة فينزعه حبّلها ويرعاتها^(٣) ثم ينصرفون موفورين^(٤) لم يكلم أحد منهم
 كئلا^(٥) وإن امرا مسلما مات من دون هذا أسفالم يكن عليه ملوما، بل كان به
 جدرا، يا عجبا عجبا يمت القلب ويشعل الأحران من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم
 وفشلهم من حقكم، حتى صرتم غرضا ترّمون، تغزون ولا تغزون، ويُعصى
 الله وترضون: إذا قلت لكم اغزوم في الصيف^(٦) قلم حماره القَيْظ [فأمهلنا]
 وإن قلت لكم اغزوم في الشتاء قلم هذا برد وقُر فأمهلنا، فإذا كان كنتم من الحر
 والبرد تفرون، فأنتم والله من السيف أشدّ فرارا، يا أشباه الرجال ولا رجال،
 ويا طغام الأحلام ومقول ربّات الرجال، وددت والله أنى لم أرفكم، ووددت والله

(١) في شرح نهج البلاغة: النامدى وكذلك فيها سيأتى.

(٢) ديث: ذل. وفي الأغاني: ريب. ومناها تعرض له غيره وأزعجه.

(٣) الرعات جمع الرعثة وهى الفرط.

(٤) في المختار موفورون.

(٥) الكلم الجرح وكلمه: جرحه.

(٦) في الأغاني: في الحر.

أني لم أركم ، والله لقد تجرعت منكم ندماً وملائم جوفى غيظاً بالعصيان والمخذلان ،
حتى اقد قالت قريش : ابنُ أبي طالب شجاع ولكن لا علم له بالحرب ، ويحهم ،
هل فيهم أشدّ مراساً للحرب مني ؟ والله لقد دخلت فيها وأنا ابنُ المشرين ،
وأنا الآن قد نَيْفَتْ على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع . فقام إليه رجل فقال :
يا أمير المؤمنين أنا كما قال الله عز وجل « لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي » ^(١) فرنا
بأمرك فوالله لنطيعنَّ أمرك ولو حال بيننا وبينه حجرٌ النَّصَا وشوك القتاد . فقال :
وأيّن تبغنان مما أريد ؟ ثم نزل .

كعب عَقِيل بن أبي طالب إلى أخيه عليّ عليهما السلام : أما بعد ، فإن الله
عز وجل جازك من كل سوء ، وعَصَمَك من المكروه ، وإني خرجت مُتَمَرّاً ،
فلقيت عبد الله بن أبي سَرْح في نحو أربعين رجلاً من أبناء الطُّلَقَاء ، فقلت لهم
وقد عرفت المنكر في وجوههم : يا أبناء الطُّلَقَاء ، الدَاوَةُ والله لتأمنكم غير مستنكرة
قديماً تريدون بها إطفاء نور الله وتغيير أمره ، فأسمعنِي القومُ وأسمعتهم ، ثم قدمت
مَكَّةَ وأهلها يتحدّثون أن الضحَّاك بن قيس أغار على الحيرة ، فاختمل من أموال
أهلها ما شاء ثم انكفأ راجعاً ، فأَنْفَ لحياتِهِ في دهرٍ جَرّاً عليك الضحَّاك ، فقد بلنّى
أن أنصارك خذلوك ، فاكتب إليّ يا ابنَ أُمِّ بَرَأَيْك ، فإن كنتَ الموتُ تُريدُ تحمّلتَ
إليك بَنِي أُمِّك وولد أخيك فَمِشْنَا ما عشتَ ومَتْنَا مَعك ، فوالله ما أحبُّ أن أبقى
بعدك فَوَاقاً ^(٢) ، فأقسم بالله الأعزَّ الأجلَّ إن عِشْتَ أعيشه بعدك في هذه الدنيا
لعيشٌ غيرُ هَينٍ ولا مَرِيءٍ والسلام . فأجابه عليّ رضي الله عنه : أما بعد كلانا لله

(١) سورة المائدة الآية ٢٥ .

(٢) الفواق : فترة من الوقت قدرها ما بين حلّتين وقبل مقدار ما بين فتح يد الحالب وقبضها

على الضرع .

وإياك كلاءة من يحشاء بالغبى إنه حميد مجيد . فقد قدم على عبد الرحمن بن عبد^(١) الأزدى بكتابك تذكر فيه أنك لتيت ابن أبي سرح مقبلا من قديد في نحو أربعين شابا من أبناء الطلقاء وإن بنى سرح^(٢) طالما كادوا الله ورسوله وكتابه وسدوا عن سبيله وبنوها عوجا . فدع بنى أبي سرح^(٣) عنك ، ودع قريشا وتر كاضهم في الضلالة وتجوالم في الشقاق ، فإن قريشا قد أجمت على حرب أخيك إجماعها على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اليوم ، فأصبحوا قد جهلوا حقه ، وجحدوا فضله ، وبادؤوه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كل الجهد ، وساقوا إليه خيس الأمرين^(٤) ، اللهم فاجز قريشا عنى الجوازي ، فقد قطعت راحى ، وتظاهرت على ، والحمد لله على كل حال ، وأما ما ذكرت من غارة الضحالك على الحيرة ، فهو أقل وأذل من أن يقرب الحيرة ، ولكنه جاء في خيل جريدة ، فلزم الظهر ، وأخذ على السماوة ، فرّ بواقصة وشراف وما والى ذلك الصقع ، فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين ، فلما بلغه ذلك جاز هاربا ، فأتبعوه فلقوه ببعض الطرق وقد أمعن في السير ، وقد طفلت الشمس للغروب^(٥) فاقتتلوا شيئا ، كلا ولا ، فولى ، ولم يصبر ، وقتل من أصحابه بضمة عشر رجلا ، ونجا جريحا^(٦) . وأما ما سألت عنه من أن أكتب إليك برأى فإن رأيت قتل المحلين حتى أتى الله عز وجل ، لا تريدنى كثرة الناس حولي عزّة ، ولا تفرقهم عنى وخشة ، لأنى محيق ،

(١) في الأغاني : عبيد .

(٢) في الأغاني : وأنتك نبي عن ابن أبي سرح طالما كاد .

(٣) في الأغاني : ابن أبي سرح

(٤) في الأغاني : « جيش الأمرين » وهنا الصواب .

(٥) في الأغاني : للأياب .

(٦) في الأغاني « جريضا » . والجريش المشرف على الملاك .

والله مع الحق وأهله ، وما أكره الموت مع الحق ، وما انخير كله إلا بعد الموت
لئن كان محققاً . وأما ما عرضته على من مسيرك إلى بني أبيك وولد أخيك
فلا حاجة لي في ذلك ، فأقم راشداً مهدياً ، فوالله ما أحب أن تهلكوا معي
إن هلكت ، ولا تحبب ابن أبيك لو أسلمه الناس متضرعاً متخشعاً ولكني أقول
كما قال أخو بني سليم^(١) :

فإن تسأليني كيف أنت فإنني صبورٌ على ريب الزمان صليبُ
يمرُّ على أن ترى في كتابة فيسمت عادٍ أو يساء حبيبُ

وأما بسر بن أرطاة فإنه لما كره راجعاً وانتهى خبره إلى علي رضي الله عنه وأنه
قتل عبد الرحمن وقتل ابنه عبيد الله بن العباس سرّح حارثة بن قدامة السمدى في
طلبه ، وأمره أن يُنْفَذَ^(٢) السير في طلبه ، فخرج مسرعاً ، فلما وصل إلى المدينة أتته
إليه مقتل علي رضي الله عنه وبيمة ابنه الحسن ، فركب في السلاح ، ودعا أهل
المدينة إلى البيعة للحسن فامتنعوا ، فقال : والله لتبأيمنن ولو بأستاهكم ، فلما رأى
أهل المدينة الحجد منه بايعوا الحسن ، وكره راجعاً إلى الكوفة وأصيبت أم حكيم في
ولديها ، فكانت والهة تطوف في المواسم تُشَدُّ الناس ابنها بهذه الأبيات :

يا من أحسن يابني اللذين هما كالدرّتين تشطى عنهما الصدق
يا من أحسن يابني اللذين هما سمى وقلبي فقلبي اليوم مختطف
يا من أحسن يابني اللذين هما مخ المظالم فمخى اليوم مزدحف^(٣)
نبتت بُسراً وما صدقت ما زعموا من قولهم ومن الإفك الذي افتروا

(١) هو صخر أخو الحنساء .

(٢) أغذ السير : أسرع .

(٣) مزدحف : مهلك .

أَنْصَحِي عَلَى وَدَجِيٍّ ابْنِيَّ مُرْهَنَةً
حَتَّى لَقَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُرُومَتِهِ
ثُمَّ الْأَنْوَفَ لَمْ فِي قَوْمِهِمْ شَرَفُ
هَذَا لَعَمْرُؤُ ابْنِي بُسْرٍ هُوَ السَّرَفُ
مَنْ دَلَّ وَالْهَمَّةَ حَيْرَى مُدْلَهَةً
عَلَى صَبِيحِينَ ضَلَّ إِذْ غَدَا السَّلَفُ

ولما بلغ علياً قتل الصبيين جزع لذلك جزعا شديدا ، ودعا على بسر فقال : اللهم اسلبه دينه ولا تخرجه من الدنيا حتى تسلبه عقله . فأصابه ذلك وفقد عقله ، فكان يعذى بالسيف ويطلبه ، فيؤثرني بسيف من خشب ويؤعمل في يديه زرق منفوخ ، فلا يزال يضربه حتى يسأم . ثم مات .

ولما استقرَّ الأمرُ على معاوية دخل عليه عبيد الله بن العباس وعنده بسر بن أرطاة فقال له عبيد الله : أنت قاتل الصبيين أيها الشيخ ؟ فقال بُسر : نعم أنا قاتلها . فقال عبيد الله : أما والله لو ددت أن الأرض كانت أنبتني عندك . فقال له بسر : قد أنبتك الآن عندي . فقال عبيد الله : ألا سيف ؟ فقال له بسر : هالك سيف ، فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله أخذه معاوية ثم قال لبسر : أخراك الله شيئا قد كبرت سنك وذهب عقلك ^(١) ، نعيم إلى رجل من بني هاشم قد وترته وقتلت ابنيه تدفع إليه سيفك ؟ إنك لناقل عن قلوب بني هاشم ، والله لو تمكن منه لبدأ بك ثم كفى بي . فقال : لا والله ، بل بدأت بك ونئيت به ^(٢) .

قال الأعمى : سمع رجلا من أهل اليمن - وقد قدم مكة - جورية امرأة عبيد الله ابن العباس تندب ابنيها بقولها :

(١) في الأغاني : وكذلك الإمام يقترب .

(٢) في الأغاني : قد كبرت وذهب عقلك .

(٣) في الأغاني : لبدأ بي قبلك فقال عبيد الله : أجل والله ثم لئنيت به .

يا من أحسَّ يابتيَّ الذين هما كالدُّرَيْنِ تَشَطَّىٰ عَنْهُمَا الصَّدَفُ
 فَرَّقَ لَهَا وَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ اتَّصَلَ بِبُسْرِ وَحَدَّثَهُ ، فَلَمَّا وَرَّقَ بِهِ احْتَالَ لِقَتْلَ ابْنَيْهِ ،
 فَخَرَجَ بِهِمَا إِلَى وَادِي أُوطَاسٍ فَقَتَلَهُمَا وَهَرَبَ وَقَالَ :
 يَا بُسْرُ بُسْرَ بْنِي أَرْطَاةَ مَا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَلَا غَابَتْ عَلَى النَّاسِ
 خَيْرٌ مِنَ الْهَاشِمِيِّينَ الَّذِينَ هُمَا عَيْنُ الْهَدَى وَسِمَامُ الْأَشْوَسِ الْقَاسِي
 مَاذَا أَرَدْتَ إِلَى طِفْلِي مُدْلَهَةً تَبْكِي وَتَنْدُبُ مِنْ أُنْكَلَتْ فِي النَّاسِ
 فَاشْرَبْ بِكَأْسِهِمَا مُنْكَلًا كَمَا شَرِبْتَ أُمُّ الصَّبِيِّينَ أَوْ ذَاقَ ابْنُ عَبَّاسٍ ^(١)
 إِمَّا قَتَلَهُمَا ظُلْمًا فَقَدْ شَرِقَتْ مِنْ صَاحِبَيْكَ قَنَاتِي وَيَوْمَ أُوطَاسٍ

(١) هذا البيت جاء آخرًا في الأغاني . وبهامش نسخة ك رواية أخرى : أم الصبيين أولاد

بن عباس .

جُمَيْرَانُ الْمَوْسَوْنِ^(١)

هو جَمْعَر بن عليّ بن أصغر بن السري بن عبد الرحمن الأنباري من ساكني سُرّ من رأى . ومولده ومنشؤه ببغداد ، وكان أبوه من أبناء الجند الخراسانيين يتشيع ويكثر لقاء أبي الحسن عليّ بن موسى بن جعفر عليهم السلام ، وكنيته أبو الفضل ، وكان جَمْعَران أدبياً شاعراً مطبوعاً ، وغلبت عليه المِرَّة السوداء فاخْتَلَطَ وبطل في أكثر أوقاته ومعظم أحواله ، وكان إذا أفاق وثاب إليه عقله وطبمه قال الشعر الجيد وكان أهله يزعمون أنه من العجم من ولد أُذَيْن . وكان أبوه دِهْقَان الكَرُخ ببغداد ، فظهر على ابنه جَمْعيران أنه خالفه إلى جارية له سُرِّيَّة ، فطرده عن داره وشكا إلى موسى بن جعفر ، فقال له موسى : إن كنت صادقاً فليس يموت حتى يفقد عقله ، فلا تساكنته في منزلك ، ولا تطعمه شيئاً من مالك في حياتك ، وأخرجته من ميراثك وسأل الفقهاء عن حيلة يُشْهَد بها في ماله حتى يخرجته عن ميراثه ، فدلّوه على السبيل إلى ذلك ، فأشهد به ، وأوصى إلى رجل ، فلما مات حاز الرجل ميراثه ومنع منه جَمْعيران ، فاستمدى عليه أبا يوسف القاضي ، فأحضر الوصيَّ وسأل جَمْعيرانَ البَيِّنَةَ على نسبه وتركه أبيه ، فأقام على ذلك بَيِّنَةً عُدُولاً ، وأحضر الوصيَّ بَيِّنَةً عُدُولاً على الوصية يشهدون على أبيه بما كان احتال به عليه ، فلم ير أبو يوسف ذلك شيئاً ، وعزم على أن يورثه ، فدافعه الوصيُّ عن ذلك مرَّاتٍ بَعْل ، ثم عزم أبو يوسف على أن يسجل لجَمْعيرانَ بالمال ، فقال له الوصي : أنا أدفع هذا بحجة واحدة بقيت عندي ، فأبى أبو يوسف أن يسمع منه ، وجعل جَمْعيرانَ يخرج عليه ويقول : قد ثبت

(١) الأغاني : دار الثقافة ١٤٧/٢٠ وانظر ص ١٤٦ و يولاق ٦١/١٨ والساسي ٦١/١٨

عندك أمرى فبأى شيء تدفعنى ، وجعل الوصى يسأله أن يسمع منه منفردا فبأى أبو يوسف ويقول : لا أسمع منك إلا بمحضرة خصمك ، فقال له : أجئنى إلى غد ، فأجله فجاء إلى منزله وكتب رُقعة إلى القاضى يخبره فيها بحقيقة الخبر وما أفتى به موسى ابن جعفر عليهما السلام ، ودفعها إلى صديق لأبى يوسف ، فدفعها إليه ، فلما قرأها دعا بالوصى فاستحلفه أنه قد صدق فى ذلك ، خلف اليمين النمرس ، فقال : أغدُ غداً على مع صاحبك . فحضر وحضر جعفران معه ، فحكم عليه أبو يوسف للوصى ، فلما أمضى الحكم عليه وُسوس جُعفران واختلط منذ يومئذ .

قال عثمان بن محمد : كفت يوماً برُصافة مدينة السلام ، جالسا ، فجازَ بي جعفران وهو مُتَنصَّب ، فوقف على وقال :

• اسْتَوْجِبَ الْعَالَمُ مِثْقَالَ الْقَتْلِ •

فقلت له : لم يا أبا الفضل ؟ فنظر إلى نظرة مُنكرة خفت منها ثم قال :

لَا شَرَّ قَرَأُونِ فَحَلَا قَالُوا هَلْ كَذِبًا وَبَطَلَا

أَنْىَ مَجْنُونٌ فَقَدَّتْ الْعَقْلَا قَالُوا الْحَالُ كَذِبًا وَجَهَلَا

أَقْبَحُ بِهَذَا الْقَوْلِ مِنْهُمْ قَمَلَا

ثم ذهب لينصرف ، فحُفَّت أن يؤذيه الصبيان ، فقلت : اصبرْ فديتك حتى أفوم معك فإنك مُنصَّب ، وأكره أن تخرج على هذه الحال ، فرجع إلى وقال : سبحان الله ، أترانى أنسبهم إلى الكذب والجهل وأستقيح فتلهم وتخشو منى مكاناتهم ؟ ثم ولى وهو يقول :

لَسْتُ بِرَاضٍ مِنْ جَهْلٍ جَهَلَا وَلَا مُجَازِيهِ بِفَعْلٍ فَعَلَا

لَكِنْ أَرَى الصَّفْحَ لِنَفْسِي فَحَلَا مَنْ يُرِدُ الْخَيْرَ يَجِدْهُ سَهْلَا

ثم مضى .

قال عثمان بن محمد : كنت أشرف ليلة من سَطَحٍ لي على جُمَيْران وهو في داره وحده ، وقد اعتلّ وتحركت عليه السوداء ، فهو يدور في الدار طول ليلته ويقول :

طاف به طيفٌ من الوَسْواسِ نفرَّ عنه لذة النَّماسِ
فما يرى يأنس بالأُناسِ ولا يَلْذُ عِشْرَةَ الجُلّاسِ

فهو غريبٌ بين هذا النَّاسِ

حتى أصبح وهو يُردُّدها ، ثم سقط كأنه بقلة ذابله .

قال مسعدة بن محارب : مررتُ ببنداد ، فرأيتُ قوماً مجتمعين على رجل ، فقلت : ما هذا ؟ فقالوا : جُمَيْران الوسوس المجنون ، فقلت له : قل بيتا على الجيم بنصف درهم ، فقال : ها به ، فأعطيته فقال :

لَجَّ ذَا أَلْهُمُ فَأَعْتَلَجَ كلَّ هَمٍّ إِلَى فَرَجٍ

ثم قال : زد إن شئتَ حتى أزيدك .

قال عثمان بن محمد : غاب عنا جُمَيْران أياما ثم جاءنا والصبيان يُشتدُّون خلفه وهو غريان ، وهم يصيحون به : يا جُمَيْران يا خرا في الدار ، فلما بلغ إلى وقف وتفرقوا عنه ، فقال لي : يا أبا عبد الله :

رأيت الناس يدعوني بمجنونٍ على حَالٍ
وما بي اليوم من جنٍّ ولا وسواسٍ بَلْبَالٍ
ولكن قولهم هذا لإفلاسي وإفلالٍ
ولو كنت أبا مالي رَحِيًّا ناهم البال^(١)
رأوتني حسنَ القلِّ أحلُّ المنزل السَّالِي
وما ذاك على خُبْرٍ ولكن هَيْبَةُ المَالِ

(١) في الأغاني : أنا وفر .

قال : فأدخلته منزلي فأكل وشرب أقداحاً^(١) ، ثم قلت له : تقدر أن تغير تلك القافية ؟ فقال : نعم ، ثم قال بديها من غير فكر ولا توقف :

رأيتُ الناسَ يرمون بي أحياناً بيوسواس
ومن يَضِيطُ يا صاح مقال الناس في الناس
قدح ما قاله الناسُ ونازع صفوة الكأس
فتى خراً صحيح الوُ د ذا يرم وإيناس
فإن الخلقَ مَغرُونٌ^(٢) بأمنالي وأجناسي
ولو كنتُ أخا مالٍ أتوقى بيت جُلّاسي
يُحيوني ويحبوني على العيتين والرأس
ويدهوني هزيراً غي ر أن الدلّ إفلاسي

ثم قام يبول ، فقال لبعض من حضر : أيش^(٣) معنى عشرتنا هذا الجنون الثريان ؟ والله ما تأمنه وهو صاح ، فكيف إذا سكر ؟ وفطن جيفيران للمعنى ففرج إلينا وهو يقول :

ونداي أكلوني إذ تنبتُ قليلاً
زعموا أنني مجنو ن أرى الثرى جميلاً
كيف لا أعري ولا أؤ صر في الناس مثيلاً^(٤)
إن يكن ساءكم قر بي نفلوا لي السبيل
وانثوا يومكم سر كم الله طويلاً

(١) في الأغاني : وسقته أقداحاً .

(٢) في المختار : « فإن الخلق مغرور » والتصويب من الأغاني .

(٣) أيش : أي شيء . وهكذا جاءت في الأغاني .

(٤) الثبل يطلق على الفاضل .

فَرَفُّنَا بِهِ^(١) واعتبرنا له وقتنا له : والله ما نلتدُّ إلا بقربك ، وأتينا بشوب فلبسه ، وأعمنا يومنا ذلك معه .

تقدَّم جُصَيْرَان إلى أَبِي يَوْسُفَ الْأَعُورِ الْقَاضِي بِسَرٍّ مِنْ رَأْيٍ فِي حُكُومَةٍ [مع شخص^(٢)] فِي شَيْءٍ كَانَ فِي يَدِهِ فِي وَقْفٍ لَهُ ، فَدَفَعَهُ عَنْهُ وَقَضَى عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ :
أَيُّهَا الْقَاضِي أَرَأَيْكَ سَوَاءً^(٣)

فَأَمْسَكَ عَنْهُ وَأَمَرَ بِرَدِّهِ إِلَى دَارِهِ ، فَأَطَعَهُ وَوَهَبَ لَهُ دِرَاهِمَ ثَمَّ قَالَ لَهُ : مَا أَرَدْتَ بِدَعَاكَ ؟ أَرَدْتَ أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ عَلَيَّ مَا ذَهَبَ مِنْ بَصْرِي ؟ فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ وَهَبْتُ لِي هَذِهِ الدِّرَاهِمَ ، لَأَسْخِرَ مِنْكَ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْمَجْنُونُ لَا أَنَا ، أَخْبِرْنِي ، كَمْ مِنْ أَعُورٍ رَأَيْتَهُ عَمِي ؟ قَالَ : كَثِيرٌ ، قَالَ : فَهَلْ رَأَيْتَ أَعُورَ قَطْ صَحَّ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَكَيْفَ تَوَهَّمْتَ هَذَا الْغُلَطَ ؟ فَضَحَكَ وَصَرَفَهُ .

قَالَ عَلِيُّ بْنُ يَوْسُفَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي ذُلْفِ الْمَجْلِي ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ حَاجِبُهُ لُجَيْمِرَانِ الْمَوْسُوسِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيُّ شَيْءٍ أَصْنَعُ بِمَوْسُوسٍ ؟ قَدْ قَضَيْنَا حَقَّوqِ الْمَقْلَاءِ وَبَقِيَ عَلَيْنَا حَقُّوqِ الْمَجَانِينِ ، فَقُلْتُ لَهُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، إِنَّهُ مَوْسُوسٌ أَفْضَلُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَقْلَاءِ ، وَإِنْ لَهُ لِسَانًا يُتَقَمَّى وَقَوْلًا مَأْثُورًا يَبْقَى ، فَأَلَّهَ اللَّهُ أَنْ تَحْجُبَهُ ، فَلَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهُ أَدْنَى وَلَا ثَقْلٌ ، فَأَذِنَ لَهُ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ :

يَا أَكْرَمَ الْعَالَمِ مَوْجُودَا وَيَا أَعَزَّ الْخَلْقِ مَفْقُودَا^(٤)
لَمَّا سَأَلْتُ النَّاسَ عَنْ وَاحِدٍ أَصْبَحَ بَيْنَ النَّاسِ مَعْمُودَا .

(١) فِي الْأَغَانِي : فَرَفُّنَا لَهُ .

(٢) كَلِمَةٌ مَعَ « شَخْصٍ » سَاقِطَةٌ مِنَ الْأَغَانِي .

(٣) جَاءَ هَذَا الْبَيْتُ نَهْرًا فِي الْأَغَانِي : « أَرَأَيْكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْقَاضِي عَيْنِكَ سَوَاءٌ » وَهَذَا أَحْسَنُ .

(٤) فِي الْخِتَارِ « ك » « يَا أَكْرَمَ الْمَالِينِ » وَفِي « يَا أَكْرَمَ الْمَالِينِ » .

فقالوا جيمًا إنه قاسمٌ أشبه آباء له صيدًا
لو عبدوا شيئًا سوى ربهم أصبحت بين الناس معبودا
لا زلت في نمتى وفي غبطةٍ مُكرَّمًا في الناس ممدودا

قال : فأمر له بألف درهم وبكسوة ، فلما جرى بالدرهم أخذ منها عشرة دراهم
وقال : تأمر القهرمان أن يعطيني الباقي مُفرِّقا كلما جئتُ ، لئلا تنضيع منى . فقال
للقهرمان : أعطه المال وكلما جاءك فأعطه ما شاء حتى يُفرِّق الموت بيننا ، فبكى عند
ذلك جعفران وتنفس الصعداء وقال :

يموت هذا الذي أراه وكلُّ شيء له فناء
لو غيرُ ذى العرشِ دام شيءٌ لدام ذا المُفضِّلِ الجوادُ

ثم خرج ، فقال أبو دلف : أنت كفت أعلم به منى . قال : وغير عني مدة ثم
لقيني فقال : يا أبا الحسن ، ما فعل أميرنا وسيِّدنا وكيف حاله ؟ فقلت : بخير وعلى
غاية الشوق إليك ، فقال : يا أخى أنا والله أشوق ، ولكنى أرفأ أهل السَّكر
وشَرَّهم وإلحاحهم ، والله ما أراهم يتركونه من السَّألة ، ولا يترك كَرَمه عليهم
ولا يُخلِّصهم من العطية حتى يخرج فقيرا ، فقلت له : دع عنك هذا وزُرْه ؛ فإن كثرة
السؤال لا تضرُّ بماله ، فقال : كيف ؛ هو أيسر من الخليفة ؟ قلت : لا ، قال : والله
لو يبذل لهم الخليفة كما يبذل أبو دلف وأطمعهم من ماله كما يطعمهم لأفقروه
يومين ، ولكن اسمع ما قلتُه في وقتي هذا ، فقلت : هات يا أبا الفضل ، فأندد :

أبا حسن بَلَّغْنِ قاسمًا بأئى لم أجفُه عن قلى
ولا عن ملالٍ لإتيانه ولا عن سُدودٍ ولا عن غنى
ولكن تمفَّتُ عن ماله وأصفيته مدحيتى والثنا
أبو دلف سيِّد ماجدٌ سَنَى العطية رَحْبُ الثنا
كريمٌ إذا انتابَه المُتَفَوُّ ن عمَّهم يجزىلُ النجا

قال : فأبلغته أبا دلف ، وحدّثته بالحديث الذي جرى ، فقال لي : قد لقيته منذ أيام ، فلما رأيته وقفت له وسلّمت عليه ، فقال : سرّ أيها الأمير على بركة الله تعالى ، ثم قال لي :

يا مُعَدِّيَ الْجُودِ عَلَى الْأَمْوَالِ ويا كَرِيمَ النَّفْسِ وَالْفَعَالِ
قَدْ صُنْتُكَ عَنْ ذَلِكِ السُّؤَالِ بِجُودِكَ الْمَوْفَى عَلَى الْأَسَالِ
صَانِكَ ذُو الْعِزَّةِ وَالْجَلَالِ مِنْ غَيْرِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ
وَلَمْ يَزَلْ يَخْتَلِفُ إِلَى أَبِي دَلْفٍ وَيُرِيهِ حَتَّى تَفْرَقَا^(١) .

وكان جعفران خيث اللسان هجاء لا يسلم منه أحد ، فاطلع يوما في الحب^(٢) فرأى وجهه قد تغيّر وعفا شمره^(٣) ، فقال :

ما جفرتُ لأَيِّهِ وَلَا لَهُ إِشْبِيهِ
أَحْبَبِي لِقَوْمٍ كَثِيرٍ وَكُلُّهُمْ بِدَعِيهِ
هَذَا يَقُولُ بُنَيَّ وَذَا يُخَاصِمُ فِيهِ
وَالْأَثْمُ تَضْحَكُ مِنْهُمْ لَمَلَمَهَا بِأَيِّهِ

حدث رجل من أهل الكوفة قال : لقيت جعفران الموسوس فقال : إني جانع فأنى شيء عندك تطعمني ؟ فقلت : سلق بخردل . فقال لي : اشتريه بطيخا ، فقلت : أفل ، ادخل . فدخل وبشت الجارية تحبته بالبطيخ ، وقدمت إليه السلق والخردل وألحز ، فأكل منه حتى ضجّر ، وأبطأت الجارية ، فأقبل عليّ وقد غضب وقال : سَلَقْتَنَا وَخَرَدَلْتَنَا وَتَوَلَّيْتَنَا وَادْبَرْتَنَا وَأَرَاهَا بِوَاحِدٍ وَافِرِ الْأَثَرِ قَدْ خَلَّتْ

قال : فخرجت - يشهد الله - أطلبها ، فوجدتها خالية في الدّهليز بسائس لي كما وصّف.

(١) في الأغاني : افترقا .

(٢) الحب : البقرة الكبيرة .

(٣) عفا الشمر : كثر وطال .

حرفاء

حُنين^(١)

هو حُنين بن بلوع^(٢) الحيرى ، قيل : هو من بنى تميم من العباديين ، وقيل : من بنى الحارث بن كعب ، وقيل : من قُرَاء^(٣) جَدِيسَ وطِمْ ، كنيته أبو كعب ، شاعر مُنَنٍ فَحَلَّ من غول المُنَنِّينَ ، كان نصرانيا يسكن الحيرة ويُكرى الجلال إلى الشام وغيرها ، وهو القائل :

أنا حُنينٌ ومَنْزِلُ النَّحْفِ وما نَدِيعِي إِلَّا الْفَتَى الْقَصِيفُ^(٤)
أَفْرَعُ بِالْكَأْسِ بَطْنَ بَاطِيَةٍ^(٥) مُتَرَعَّةً تَارَةً وَأَغْرَفُ
من قَهْوَةٍ بَاكَرَ التَّجَارُ بِهَا بَيْتَ يَهُودٍ قَرَارُهَا الْخَزَفُ
وَالْمَيْشُ غَمٌّ وَمَنْزِلُ خَصْبٍ لَمْ تَمْدُدْنِي شِقْوَةً وَلَا غَمًّا

حَجَّ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعَدِيلُهُ الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ ، فَوَقَفَ لَهُ حُنينٌ بظَهْرِ الْكَوْفَةِ وَمَعَهُ عَوْدُهُ وَزَامِرُ لَهُ وَعَلَيْهِ قُلْنَسِيَّةٌ طَوِيلَةٌ ، فَأَمَرَ بِهِ هِشَامُ فَحَمِلَ عَلَى جَمَلٍ وَعَدِيلُهُ زَامِرُهُ ، وَسِيرَ بِهِ أَمَامَهُ وَهُوَ يَفْنِيهِ فِي شَمْرِ الْأَحْوَصِ :

-
- (١) الأغاني دار الكتب ٣٤١/٢ ودار الثقافة ٣٠١/٢ وبولاق ١٢٠/٢ والسامى ١١٦/٢ والتجريد ٢٧٦/١ .
(٢) ضبط في الأغاني نسخة واحدة « بفتح فسكون ففتح » ، أما في كنى اللام شدة وبدون ضبط الباقي .
(٣) كذا في المختار . أما في الأغاني : « وقيل : إنه من قوم بقوا من جديس وطيم » فلعل كلمة قراء محرفة عن « بقايا » .
(٤) التصف : اللامى اللامب ، من التصف « بسكون الصاد » .
(٥) في الأغاني : قمر باطية .

صاح هل أبصرت بالخبير من أسماء ناراً
مَوْهِنًا شَبْتُ لَمِينِي كَ وَلَمْ تُوقِدْ نَهَاراً
كَتَلَالِي الْبَرْقِ فِي الْمَرْقِ إِذَا الْبَرْقُ اسْتَطَاراً
أَذْكُرْتُ نَفْسِي الْوَصْلَ مِنْ سُدِّي وَأَيَّاماً قِصَاراً

وقيل إن الذي غناه به :

أَمِنْ سُلَى بَطْهَرِ الْكُوْفَةِ الْآيَاتُ وَالطَّلَلُ
يَلُوحُ كَمَا يَلُوحُ عَلَى جُفُونِ الصَّيْقِلِ الْخَلَلُ^(١)

فأمر له هشام بمائتي دينار وللزامر بمائة دينار .

قيل : لحنين : أنت تفتني من نحو خمسين سنة ما تركت لكريم داراً ولا عقاراً
إلا أتيت عليه ، فقال : بأبي أنتم ، إنما هي أرقام أفسسها بين الناس ، أتولموني
أن أفلج بها النمن .

حدث شيخ من السكيين قال : إنا كلباً بطح أيام الموسم نشترى ونبيع إذا قبل
شيخ أبيض الرأس واللحية والثياب ، على بقله شهباء ، ما ندرى أهو أشد بياضاً
أم بقلته أم ثيابه ، فقال : أين بيت أبي موسى ؟ فأشرنا إليه ، قال : فأين النخل ؟
فأشرنا لذلك الحائط . فمضى حتى انتهى إلى الظل من بيت أبي موسى ثم استقبلنا
ببقلته ووجهه وغنى في شعر كثير بن كثير بن الطلح بن أبي وداعة السهمي ،
وذلك قوله :

أسمدني بدمية أسراب من دموع كثيرة التسكاب
إن أهل الحصاب قد تركوني مغرماً مولماً بأهل الحصاب^(٢)

(١) الصيقل : شحاذ السيوف ، والخلل جمع خلّة : وهي بطانة ينشئ بها جنح السيف وبها
يشب الطلل .

(٢) الحصاب : موضع رى الجمار يعني . وفي المختار : ابن أهل الحصاب . . . الحصاب .

فارقوني وقد علمتُ يَقِينَا مَا لَنْ ذَاقَ مِيتَةً مِنْ إِبَابِ
سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزَعٌ حَىَّ أَبِى مُو سَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُنَى السَّبَابِ
كَمْ بِذَاكَ الْحُجُونَ مِنْ حَىِّ سِدْقٍ وَكُهُولٍ أَعْفَى وَشَبَابٍ^(١)
أَهْلُ بَيْتٍ تَسَابَمُوا لِلنَّابِ^(٢) مَا عَلَى الْمَوْتِ بِمَدَمٍّ مِنْ عِتَابِ
فَلَيْ الْوَيْلَ بِمَدَمٍّ وَعَلَيْهِمْ صِرْتُ فَرْدًا وَمَلْنَى أَصْحَابِ

ثم ضرب بثلثه وذهب فقبناه وسألناه من هو؟ فقال : إني حنين بن بلوع ، وأنا رجل جَمَالٌ أَكْرَى الْإِبِلِ . ثم مضى .

وكان حُنينٌ غلاماً يحمل الناكهة بالحيرة ، وكان لطيفاً في عمل التحيات^(٣) . وكان إذا حمل الرياحين إلى بيوت الفتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القِيَانِ والمتنظرين إلى الحيرة ورأوا رشاقتَه وحسن قَدِّه وحلاوته وخِفَّةَ روحه استَحْضَوْهُ وأقامَ مَدَمِّمْ وخَفَّ لَهُمْ ، وكان يسمع الغناء ويشهيه ويُصْنِي إِلَيْهِ وَلَا يَكَادُ يَنْتَفِعُ بِهِ فِي شَيْءٍ إِذَا مَعَهُ حَتَّى شَدَّ مِنْهُ أَسْوَاتَا فَاسْتَمِعَهُ النَّاسُ ، وَكَانَ مَطْبُوعاً حَسَنَ الصَّوْتِ ، فَاشْتَبَهُوا غِنَاءَهُ وَعِشْرَتَهُ وَاسْتَمَاعَهُ ، وَشُهِرَ بِالْغِنَاءِ وَمَهَّرَ فِيهِ وَبَلَغَ فَتًى مَبْلَغاً كَبِيراً ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى عَمْرِ بْنِ دَاوُدَ الْوَادِيَّ وَإِلَى حَكَمِ الْوَادِي ، فَأَخَذَ مِنْهُمَا وَأَجَادَ الصَّنْعَةَ وَأَحْكَمَهَا ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمَرَاقِ غَيْرُهُ فَاسْتَوَلَى عَلَيْهِ فِي عَصَرِهِ ، وَقَدَّمَ ابْنُ مُحَرَّرٍ حِينُذَ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَبَلَغَ خَبْرَهُ حُنيناً وَكَانَ يَعْرِفُهُ ، وَكَانَ بَشَرٌ بِنُ مَرْوَانَ بِالْكُوفَةِ فَقَصَدَهُ ، لِأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُ يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيَسْمَعُ الْغِنَاءَ ، فَصَادَفَهُ قَدْ خَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَخَشِيَ حُنينٌ

(١) صنَى السباب : موضع بمكة . في الأغاني : جزع بيت أبي موسى .

(٢) التناج : الوقوع في الشر من غير فكرة ولا روية والتابعة عليه ويكون في الشر .

(٣) التحيات : يراد بها هنا ما يقدم من الرياحين للتحية .

أن يرفه الناس ويستحلوه ويستولى على البلد فيسقط هو ، فتلفح حنينٌ حتى دعا ابنَ محرز ففناه ابنُ محرز لحنه :

وَحُرُّ الزَّبْرِجْدِ فِي نَظْمِهِ عَلَى وَاضِحِ اللَّيْلِ زَانَ الْمُقَوِّدَا^(١)
يُهْمِّسُ بِأَقْوَتِهِ دُرَّةً وَكَأَجْزْرِ أَبْصَرَتْ فِيهِ الْفَرِيدَا^(٢)

فسمع حنينٌ شيئاً هاله وحيره . فقال : كم مَنَّتْكَ نَفْسُكَ مِنَ الْعِرَاقِ ؟ فقال : أَلِفَ دِينَارٍ ، فقال : هَذِهِ خَمْسَمِائَةُ دِينَارٍ حَاصِلَةٌ وَتَقَعْتُكَ فِي عَوْدَتِكَ وَبَدَأْتُكَ ، وَدَعِمَ الْعِرَاقُ وَأَمَضَ مُصَاحِبًا حَيْثُ شِئْتُ وَاحِلِفَ إِلَّا تَمُودَ إِلَى الْعِرَاقِ . وَكَانَ ابْنُ مُحْرَزٍ صَنِيرَ الْهَمَّةِ لَا يُحِبُّ عِشْرَةَ الْمُلُوكِ وَلَا يُؤْثِرُ عَلَى الْخُلُوةِ شَيْئًا فَأَخَذَهَا وَانصَرَفَ .

قال حنينٌ : خَرَجْتُ إِلَى رَحْمَنِ التَّمَسِّ الْكَسْبِ وَارْتَادَ مِنْ اسْتِفِيدِهِ^(٣) فَسَأَلْتُ رَجُلًا مِنَ الْفَتَيَانِ ابْنَ يَجْتَمِعُونَ ، فَقَالَ : هَلِيكَ بِالْحَمَامَاتِ ، فَإِنَّهُمْ يَجْتَمِعُونَ إِذَا أُسْبِحُوا فِيهَا ، فَجِئْتُ إِلَى أَحَدِهَا فَدَخَلْتُهُ ، فَإِذَا فِيهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ فَأَنْتَسْتُ وَانْبَسَطْتُ ، وَأَخْبَرْتَهُمْ أَنِّي غَرِيبٌ ، ثُمَّ خَرَجْنَا فَذَهَبُوا بِي إِلَى مَنْزِلِ أَحَدِهِمْ ، فَلَمَّا قَعَدُوا أَتَيْنَا بِالطَّعَامِ فَطَعَمُنَا وَبِالشَّرَابِ فَشَرَبْنَا ، فَقُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ فِي مُعْنَى يُفْنِيكُمْ ؟ فَقَالُوا : وَمَنْ لَنَا بِذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ : أَنَا لَكُمْ بِهِ ، هَاتُوا لِي هَوْدًا . فَبَدَأْتُ فِي غِنَاءٍ مَعْبُودٍ ، فَكَأَنَّهَا غَنَّتْ لِلْحَيَّطَانِ ، لَا فَكَّهُوا لِنَغْنَائِي وَلَا سُرُّوا بِهِ ، فَقُلْتُ : ثَقُلَ عَلَيْهِمْ غِنَاءُ مَعْبِدٍ لِكثَرَةِ عَمَلِهِ وَصَمُوبَتِهِ ، وَشِدَّةِ مَذْهَبِهِ ، فَأَخَذْتُ فِي غِنَاءِ الْفَرِيضِ فَإِذَا هُوَ كَلَّ شَيْءً . فَغَنَيْتُ خَفَافَ ابْنِ سُرَيْجٍ وَأَهْزَاجَ حَكَمٍ وَالْأَغَانِي الَّتِي لِي ، وَاجْتَهَدْتُ فِي أَنْ يَفْهَمُوا فَلَمْ يَتَحَرَّكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَجَمَلُوا يَقُولُونَ : لَيْتَ أَبَا مُنْبِّهٍ جَاءَنَا ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : أَرَى أَنَّنِي سَأُفْتَضِحُ الْيَوْمَ

(١) الليث : صفحة الغنى .

(٢) الفريد : البدر إذا نظم وفصل بشيره .

(٣) كذا في المختار . وفي الأغاني : استفيد منه .

بأنى مُنبِّهٍ فضيحةً لم يفتَحْ مثلها أحدٌ . فبينما نحن كذلك إذ جاء أبو مُنبِّهٍ
فإذا هو شيخٌ عليه خَفَّانٌ أحمران كأنه جَمَّالٌ ، فوثبوا إليه جميعاً وسلموا عليه وقالوا :
يا أبا مُنبِّهٍ أبطأت علينا . وقدموا إليه الطعام وسقوه أقداحاً وخَنَسَتْ^(١) أنا ومِرتُ
كلأ شيءٍ خوفاً منه ، فأخذ المود وعنى :

طَرِبَ البحرُ فاطربى يا سَفِينَةَ لا تَشْقَى على رجال المدينة^(٢)

فأقبل القوم يصفقون ويطربون ويشربون ، ثم أخذَ في نحو هذا النناء ، فقلت
فى نفسى : لئن أصبحت سالماً لا أُمِيت فى هذه المدينة . فلما أصبحت شددت رحلى
على ناقى ، وأخَنَقْتُ زُكْرَةَ^(٣) من شرابٍ ورحلت متوجِّهاً إلى الحيرة وقلت :
لَيْتَ شِمرى متى تَخْبُ بِى النَّأ قَةُ بَيْنَ السَّديرِ والصَّفِينِ^(٤)
مُحْتَمِياً زُكْرَةَ وخُبْزَ رِفاقٍ وُقُولاً وقُطْمَةً من نُونٍ^(٥)
لست أبهى اذن سِواها من الشا م وحسبى غِلالةٌ تكفى^(٦)
فإذا بْتُ سالماً قلت سَحَقاً وبماداً لعشرٍ فارقونى

كان خالد بن عبد الله القسرى قد حرم النناء بالعراق فى أيامه ثم أذن للناس يوماً
فى الدخول عليه عامَّةً ، فدخل حنين وفى يده مود تحت ثيابه ، فقال : أصلح الله الأمير ،
كانت لى صناعة أعود بها على عيالى فخرمها الأمير ، وأضر ذلك بى وبهم ، فقال :

(١) خنست : تأخرت .

(٢) كذا فى ت ولا أدرى من أين أتى بما يقرب من الصواب فى المعنى ، أما فى ك فهو وطرف
البحر فاضربى يا سفينة « وذلك مثل عدة نسخ من الأغانى وفى سلب الأغانى المطبوع : طرب البحر
فاعبرى يا سفينة .

(٣) احطب : احمل خلفه والزكرة : زق منبر الغمر .

(٤) الصفين : بلد كان بظاهر الكوفة . وفى الشعر سناد : وهو الخافضة بين الحركات التى تلى الأرداف .

(٥) النون : الموت .

(٦) فى الأغانى : لست أبهى زاداً سواها

وما كانت صناعتك ؟ فكشف عن موده وقال : هذا ، فقال خالد : غنّ فمرك. موده
وغنّي^(١) في شعر عدى بن زيد :

أيها الشامت المصير بالدهر ر أنت المبرأ الموفور
أم لديك المهد الوثيق من الأية أم أم أنت جاهل مفرور^(٢)
من رأيت النون خلدن أم من ذا عليه من أن يضام خفير
فبكى خالد وقال : أذنت لك وحدك خاصة ، فلا تجالس سفيها ولا مريدًا .
فكان إذا دعى يقول : فيكم سفيه أومريد ؟ فإذا قيل له : لا ، يدخل .

قال سليمان بن عبد الملك بن بشر بن مروان : كان بمض ولادة الكوفة يذم
الحيرة في أيام بني أمية ويسمونها ، فقال له رجل من أهلها - وكان عاقلاً ظريفاً - :
تعيب بلدة يضرب بها المثل في الجاهلية والإسلام ؟ قال : وبماذا تمدح ؟ قال : بصحة
هوائها ، وطيب مائها ، وزهرة ظاهرها ، تصلح للخف والظلف ، سهل وجبل وبادية^(٣)
وبستان وبحر وبر محل الملوك ومسكنهم ومثوام ، وقد قدمتها أصلحك الله خفيًا^(٤)
فأصبحت مثقلًا^(٥) ووردتها مثقلًا فأصارتك مكثرا . قال : فكيف نعرف ما وصفتها
به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إليها ثم اذع بما شئت من لذات العيش ، فوالله لا أجوز
بك الحيرة فيه قال : فاصنع لنا صنيعا واخرج من قولك . قال : أصنع^(٦) . فصنع لهم
طعاما فأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها من طباء ونعام وأرانب
وخياري وسقام ماءها في قلالها ، وخمرها في آنيها . وأجلسهم على رقعتها^(٧) وكان

(١) في الأغاني : فمرك أو تاره وغنى .

(٢) في الأغاني : بل أنت جاهل .

(٣) في الأغاني : فرجت مثقلا .

(٤) في الأغاني : قال : أفضل .

(٥) الرمز : شرب مختلط من الوشى أو الخبز .

يَتَّخِذُ بِهَا مِنَ الْفُرُشِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً ظَرِيفَةً ، وَلَمْ يَسْتَخْدَمْ لَهَا خُرًّا وَلَا عَيْدًا إِلَّا مَوْلودًا
بِهَا مِنْ وَصَافٍ وَخَدَمٍ وَوُصَفَاءَ كَانَهُمُ الْأَوَّلُو وَلَقَبَهُمْ لِقَةَ أَهْلِهَا ، ثُمَّ أَقْبَدَ مَعَهُمْ حُثَيْنًا ،
فَقَنَافِمُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ فِي شِعْرِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ شَاعِرِهِمْ وَأَعَشَى هُمْدَانٍ لَمْ يَتَجَاوَزْهَا ، وَحَيَّامٍ
بِرِيَا حِينَهَا وَنَقَلَهُمْ ^(١) عَلَى خَرَّهَا بِقَوَاكِمِهَا ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : هَلْ رَأَيْتَنِي اسْتَمْنْتُ عَلَى شَيْءٍ
مِمَّا رَأَيْتَ وَأَكَلْتُ وَشَرِبْتُ وَشَمَمْتُ وَافْتَرَشْتُ وَسَمِعْتُ بَغِيرَ مَا فِي الْحَيْرَةِ ؟ فَقَالَ :
لَا وَاللَّهِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنْتَ صِفَةَ بِلَادِكَ وَنَصَرْتَهُ فَأَحْسَنْتَ نُصْرَتَهُ وَالْخُرُوجَ مِمَّا تَصَمَّنْتَهُ ،
فِيَارَكَ اللَّهُ لَكُمْ فِي بِلَادِكُمْ .

وعاش حُثَيْنٌ مِائَةَ سَنَةٍ وَسَبْعَ سِنِينَ .

قال إبراهيم بن المهدي : كنت مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عَوْنِ
الْمِبَادِي بِالْحَيْرَةِ ، فَأَتَانِي عَوْنُ بَابِنِ ابْنِ حُثَيْنِ بْنِ بُلُوعٍ ، وَهُوَ شَيْخٌ ، فَمَنَانِي عِدَّةَ
أَسْوَاطٍ لَجْدَةٍ فَا اسْتَحْسَنْتُهَا ، لِأَنَّهُ كَانَ مَشْبِيًّا الْخَلْقِ كَرَّ الْغِنَاءِ ^(٢) ، إِلَى أَنْ غَنَانِي
فِي شِعْرِ عَنْتَرَةٍ :

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السَّبَاعِ بَنَشْنَه مَا بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ وَالْمُصَمِّمِ

فَمَا سَمِعْتَهُ مِنْ أَحَدٍ أَحْسَنَ مِمَّا سَمِعْتَهُ مِنْهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : لَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي هَذَا الصَّوْتِ
وَمَا هُوَ مِنْ أَغَانِي جَدِّكَ وَلَا أَغَانِي بِلَادِكَ ، وَإِنِّي لَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ الشَّيْخُ :
وَالْقُرْبَانِ وَالصَّلَيبِ ، مَا صُنِعَ هَذَا الصَّوْتُ إِلَّا فِي مَنْزِلِنَا وَفِي سِرْدَابِ الْجَدِيِّ ، وَلَقَدْ
كَادَ أَنْ يَأْتِيَ عَلَى نَفْسِ عَمَّتِي . فَسَأَلْتُهُ عَنْ الْخَبَرِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ عُيَيْدَ
ابْنَ سُرَيْجٍ قَدِمَ الْحَيْرَةَ وَمَعَهُ ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ ، فَأَتَى بِهَا مَنْزِلَنَا فِي وِلَايَةِ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ

(١) قَلَمٌ : أَطْعَمَهُمُ النَّقْلَ .

(٢) لِلشَّيْءِ : الْمَكْرُوهُ ، وَالْكَزْرُ : التَّيْسُ ، وَالْيَابِسُ .

الكوفة وقال: أنا رجل من أهل الحجاز ، باننى طيب الحيرة وجودة خمرها وحسن غنائك في هذا الشعر :

حَنَنْتِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي حَابِلٌ يَدْنُو لِرَصِيدِ^(١)
قَرِيبِ الْخَطْوِ يَحْسِبُ مِنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَيِّدًا أَمْشَى رِبْعِيذِ

فخرجت بهذه الدنانير لأتقمها معك وعندك وتتأمر حتى تنفذ وأنصرف إلى منزلي . فسأله جدى عن اسمه ونسبه فغيرهما واتسب إلى ولاء بنى غزوم^(٢) ، فأخذ جدى المال منه وقال : هذا مؤقر عليك ولك عندنا كل ما يحتاج إليه مثلك ، فابسط المقام^(٣) ، عندنا ، فإذا دعيتك نفسك [إلى بلدك] جهزناك إليه^(٤) ورددنا إليك مالك ، وأخلفنا عليك ما أنفقته إلى أن جئتنا . وأسكنه دارا كان يتقرب^(٥) فيها فكث عندنا شهرين لا يعلم جدى ولا أحد من أهلنا أنه يُفنى حتى أنصرف جدى من دارِ بشر بن مروان في يومٍ صائفٍ مع قيام الظهيرة ، فصار إلى باب الدار التي كان ابن سريج ينزل فيها ، فوجده مُتَمَلِّقا ، فارتاب بذلك ودق الباب فلم يفتح له ولم يُجِبه ، فصار إلى منزل الحَرَم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريتها ، ورأى الباب الذي ما بين دار الحَرَم والدار التي كان أنزل ابن سريج فيها مفتوحا ، فالتصق سيفه ودخل الدار ليقتل ابنته ، فلما دخل رأى ابنته وجواريتها وقفا على باب السرداب وهنَّ يَوْمَيْنِ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء ، فلم يلتفت إلى إشارتهن لِمَا تداخله ، إلى أن سمع قرنه ابن سريج بهذا الصوت ، فألقى سيفه وصاح به - وقد عرفه من غير أن

(١) في الأغاني : كَأَنِّي خَائِلٌ .

(٢) في الأغاني : واتسمى إلى بنى غزوم .

(٣) في الأغاني : ما تشعلت للمقام .

(٤) في الأصل : « دعيتك نفسك جهزناك إليها » والزيادة من الأغاني .

(٥) في الأغاني : يتفرد فيها .

يكون رآه قطاً ولكن بالصدق والنعمت - : يا أبا يحيى ، جُمِلت فذاك ، أئينتنا بثلاثمائة دينار لتنفقها عندنا في حيرتنا ، فوالسبح لا خرجت منها إلا وممك ثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار وثلاثمائة دينار سوى ما جئت به معك . ثم دخل إليه ورحب به وعاتقه ، ولقيه بخلاف ما كان يلقاه ، وسأله عن هذا الصوت فأخبره أنه صاعه في ذلك الوقت ، فصار به إلى بشر بن مروان فوصله بمشرة آلاف درهم في أول مرة ، ثم وصله بمثلها بعد ذلك ، فلما أراد الخروج ردّ عليه جدى ماله ، وجهّزه ووصله بمقدار نفقته التي أنفقها من مكة إلى الحيرة ، ورجع ابن سُرَيْج إلى أهله وقد أخذ جميع من كان في دارنا منه هذا الصوت .

قال عبد الله بن حنين الحيرى : كان المننون في عصر جدّى أربعة نفر : ثلاثة بالحجاز : ابن سُرَيْج والفريض وممّبد ، وهو وحده بالعراق ، فبلنهم أن جدّى حنيناً غنى في هذا الشعر :

هَلَّا بَكَيْتَ عَلَى الشَّبَابِ الذَّاهِبِ	وَكَفَفْتَ عَنْ ذَمِّ الشَّيْبِ الْآئِبِ
هَذَا وَرُبَّ مُسَوِّفٍ سَبَّحَتْهُمْ ^(١)	مِنْ خَمْرِ يَابِلَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِ
بَكَرُوا عَلَى سُبْحَرَةٍ فَصَبَّحَتْهُمْ	مِنْ ذَاتِ كُوبٍ مِثْلَ نَعْبِ الْحَالِبِ
بِزَاجَةٍ مِثْلِ الْيَدَيْنِ كَانَهَا	قَنْدِيلُ فِصْحٍ فِي كَنِيسَةِ رَاهِبِ

قال : فاجتمعوا فعذا كروا أمر جدّى وقالوا : ما في الذّهر^(٢) أهلُ صناعة شرّ منا لنا أُنْحُ بالعراق ونحن بالحجاز لا نزوره ولا نستزيره ، فكتبوا إليه ، ووجهوا له نققة ، وكتبوا له يقولون : نحن ثلاثة وأنت واحد ، فأنت أولى بزيارتنا . فشخص إليهم ، فلما كان على مرحلة من المدينة بلنهم خبره ، نفرجوا لتلقيه ، فلم ير يوم كان

(١) المسوف : الصبور . وصبحه : سقاه الصبوح . وفي الأغاني : ورب مسوخين سفيهم .

(٢) في الأغاني : ما في الدنيا .

أكثر جما ولا حَشْداً من يومئذٍ . ودخلوا ، فلما صاروا في بعض الطريق قال لهم مَمْبَدٌ : صَبِرُوا إِلَى . فقال ابنُ سُرَيْجٍ . إن كان لك من الشرف والمروءة مالمولاتي سُكَيْنَةُ بنتُ الحسين عطفنا إليك . فقال : مالى من ذلك شيء ، فمدلوا إلى منزل سُكَيْنَةِ ، فأذنت للناس إذنا عاماً ، ففصَّت الدارُ بهم وصمدوا فوق السطوح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا . ثم سألوا جدى أن يفتحهم صوته :

* هَلَّا بَكَيْتَ عَلَى الشَّابِّ الذَّاهِبِ *

ففَنَّاهُمْ إِيَّاهُ بِمَدِّ أَنْ قَالَ لَهُمْ : ابْدَعُوا أَنْتُمْ : فقالوا : ما كنا لتتقدمك ولا نفى قبلك حتى نسمع هذا الصوت ، ففَنَّاهُمْ إِيَّاهُ ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فزدحم الناسُ على السطح وكثروا لیسعموا ، فسقط الرُّواقُ على من تحته ، فَسَلِمُوا جَمِيعاً وأُخْرِجُوا أَمْحَاءَ وَمَاتَ حُنَيْنٌ تَحْتَ الْهَدْمِ . فقالت سُكَيْنَةُ : لقد كَدَّرَ حُنَيْنٌ هَلِينَا سُورَرَنَا ، انتظرناه مُدَّةً طَوِيلَةً كَأَنَّ كُنَّا نَسُوقُهُ إِلَى مَبِيتِهِ .

الحكم بن عبدل^(١)

هو الحكم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عقال بن بلال بن سدد ابن جبالة بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمه ، شاعر مجيد متقدم في طبقة ، هجاء خيث اللسان ، من شعراء الدولة الأموية أخرج أحدب ومنشؤه ومنزله الكوفة .

قال الشنقي ، كان الحكم الأسدي لا تقارقه المصا ، وترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب حاجته على عصاه ويبيت بها مع رسوله فلا يجنس له رسول ، ولا تؤخر له حاجة ، فقال في ذلك يحيى بن نوفل :

عَصَا حَكَمٍ فِي الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ وَنَحْنُ عَلَى الْأَبْوَابِ نَقْصَى وَنُجَبِ
وَكُنْتُ عَصَا مُوسَى لِفِرْعَوْنَ آيَةً وَهَذِي لِمُرِّ اللَّهِ أَدْمَى وَأَجَبُ
تَطَاعٌ وَلَا تُعْصَى وَيُحْذَرُ سُخْطُهَا وَيُرْتَفَبُ فِي الرِّضَا مِنْهَا وَيُرْهَبُ

فشاعت هذه الأبيات في الكوفة ، وضحك منها الناس ، فكان ابن عبدل بمد ذلك بقول ليحيى : يا ابن الزانية ، ما أردت من عصاى حتى صيرتها ضحكة . واجتنب أن يكتب عليها كما كان يكتب ، وكاتب الناس في حوائجهم بالرقاع .

كان الحكم بن عبدل مقدماً ، وله صديق أعمى يقال له أبو عليّة ، فخرجا ليلة من منزلها إلى منزل إخوانهما ، والحكم يتحمل وأبو عليّة يقاد فلقيهما صاحب المسن بالكوفة فجلسهما ، فلما استقرا في الحبس نظر الحكم إلى عصا أبي عليّة موضوعة إلى جانب عصاه ، فضحك وأنشأ بقول :

(١) الأغاني: دار الكتب ٤٠٤/٢ وانظر ص ٤٠٢ ودار الثقافة ٣٦٠/٢ وانظر ص ٣٥٩ وبولاق ١٤٩/٢ والسامى ١٤٤/٢ والتجريد ٢٩٩ .

حَبَسَى وَحَبَسُ أَبِي عَلِيٍّ عَمَى مُقَادٌ وَمُقَدُّ
لَا الرَّجُلُ مِنْهُ وَلَا الْيَدَانِ لَكَ وَبَى يَحْبُ الْحَامِلَانِ
يَا مَنْ رَأَى ضَبَّ الْفَلَا طِرْفَى وَطِرْفَى أَبِي عَلِيٍّ
مَنْ يَفْتَخِرُ بِجِيَادِهِ^(١) طِرْفَانِ لَا عِلْفَاهَا
هَبْنِي وَإِيَّاهُ الْحَرِيدُ نَقِ أَكْلَانِ يَسْطَعُ بِالْذُّخَنِ

وكان اسمُ أبي عَلِيٍّ يحيى ، فقال فيه الحكم :

أَقُولُ لِيَحْيَى لَيْلَةُ الْحَبْسِ سَادِرًا وَنَوَى بِسَهْ نَوْمِ الْأَسِيرِ الْمُقِيدِ
أَعْنَى عَلَى رَمَى النُّجُومِ وَلِضَظْهَاهَا أَعْنَى عَلَى تَحْيِيرِ شِعْرِ مُنْعَدٍ^(٢)
فَنَى حَالَتَيْنَا عِبْرَةً وَتَسْكُرُ وَأَعْجَبَ شَيْءٌ حَبَسَ أَعْمَى وَمُقَدِّ
كِلَانَا إِذَا السَّكَّازُ فَارَقَ كَفَّهُ يُنْيِخُ صَرِيحًا أَوْ عَلَى الْوَجْهِ يَسْجُدُ^(٣)
فَمَكَّازُهُ تَهْدِي إِلَى السَّبِيلِ أَكْمَهَا وَأُخْرَى مَقَامَ الرَّجُلِ قَامَتْ مَعَ الْيَدِ

كانت لابن عبد الأسد حاجةٌ إلى عبد الملك بن بشر بن مروان ، فجعل يدخل إليه ولا يتهأ له الكلام ، حتى جاءه رجل فقال : إني رأيت لك رؤيا ، قال : هاتِها . فقصَّها عليه ، فقال ابنُ عبدل : وأنا أيضا قد رأيت ، قال : هاتِ ما رأيت ، فقال :

(١) في الأغاني : بجواده .

(٢) في الأغاني : شعر مُنْعَد .

(٣) في هذا البيت لقوء .

أَغْنَيْتُ قَبْلَ الصَّبْحِ نَوْمَ مَسْهَدٍ فِي سَاعَةٍ مَا كُنْتُ قَبْلُ أَنَا مُهَا
فَضَحَكَ وَقَالَ: فَمَهْ^(١) . فَقَالَ :

فَحَبِوْ تَنِي فِيمَا أَرَى بَوَاسِدَةٍ مَغْنُوجَةٍ حَسَنَةٍ عَلَى قِيَامِهَا
فَقَالَ : قَدْ قَمَلْتُ . فَقَالَ^(٢) :

وَيَبْدُرَةٌ حُمِلَتْ إِلَى وَبَنَلَةٍ شَبَاءَ نَاجِيَةٍ بِصِلِّ لِحَامِهَا
لَيْتَ الْمَنَابِرَ يَا ابْنَ بَشَرٍ أَصْبَحْتَ تَرْقَى وَأَنْتَ خَطِيئُهَا وَإِمَامُهَا

فَقَالَ لَهُ ابْنُ بَشَرٍ : إِذَا رَأَيْتَ هَذَا فِي الْيَقِظَةِ تَعْرِفُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَإِنَّمَا رَأَيْتُهُ قَبْلَ
الْفَجْرِ^(٣) ، فَقَالَ : يَا غِلَامُ ، ادْعُ فَلَانًا ، فَجَاءَ بَوَكِيلُهُ ، فَقَالَ : هَاتِ فَلَانَةَ ، فَجَاءَتْ ،
فَقَالَ : أَيْنَ هَذِهِ مِمَّا رَأَيْتَ ؟ قَالَ : هِيَ هِيَ ، وَإِلَّا فَعَلِيهِ وَعَلِيهِ . ثُمَّ دَعَا يَبْدُرَةَ ، فَقَالَ
مِثْلَ ذَلِكَ . وَبَيْنَمَا هُمَا ، فَرَكَبَهَا وَخَرَجَ ، فَالْقِيَهُ قَهْرْمَانُ^(٤) عَبْدُ الْمَلِكِ فَقَالَ : أَتَبِيعُهَا ؟
قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : بَكْمُ ؟ قَالَ : بِسَبَاةٍ ، قَالَ : هِيَ لَكَ ، فَأَعْطَاهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَمَّا وَاللَّهِ
لَوْ أَرَيْتَ إِلَّا الْأَلْفَ لَأَعْطَيْتُكَ . قَالَ : إِيَّايَ تُنَدِّمُ ؟ وَاللَّهِ لَوْ أَرَيْتَ إِلَّا بَسْتَةً لَبَعَثْتُكَ .

تَوَلَّى عَلَى بَعْضِ كُؤُورِ السَّوَادِ عَامِلٌ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ بْنِ سَعْدِ التَّمِيمِيِّ ،
فَسَأَلَهُ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَاجَةً ، فَرَدَّهَا مِنْهَا فَهَجَاهُ . وَخَطَبَ مُحَمَّدُ بْنُ حَسَّانَ هَذَا امْرَأَةً مِنْ
وَلَدِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ وَهِيَ مُعَاذَةُ بِنْتُ مُقَاتِلِ بْنِ طَلْبَةَ بْنِ قَيْسٍ ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهَا رَجُلٌ
مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ زِيَادٌ ، فَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ يَهْجُوهُ :

بَاعَ زِيَادٌ سَوَدَ اللَّهِ وَجْهَهُ^(٥) عَقِيلَةً قَوْمِ سَادَةٍ بِالْدَرَامِ

(١) فِه : تَكُونُ اخْتِصَارٌ : فَهِيَ أَوْفَانًا . وَالْمَاءُ الْسَكْتُ . هَذَا وَالْجَمْلَةُ لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي .

(٢) الْجَمْلَةُ لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي .

(٣) فِي الْأَغَانِي : قَبِيلُ الصَّبْحِ .

(٤) الْقَهْرْمَانُ : الْوَكِيلُ .

(٥) فِي الْبَيْتِ خَرَمٌ . وَفِي الْأَغَانِي : أَبَاعَ .

وما كان حسان بن سمد ولا ابنه
ولكنه رد الزمان على استيه
خذى دية منه تكن لك عنده^(١)
فلو كنت في رَوْحٍ لما قلتُ خاصمي
ولكنما ألقيت في سجن هارم^(٢)
فلما بلغ أهلها شعره أنفوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسان حتى فارقها .
سمع ابن عبدل الأسدئ امرأة تمشي بالبلاط وتمثل :
وأعسر أحيانا قششت عسرتي وأذكرك ميسور النسي ومي عرضي
فقال لها ابن عبدل : يا أختي ، أترفين قائل هذا الشعر ؟ قالت : نعم ، ابن
عبدل ، قال : أفتدبينه معرفة ؟ قالت : لا ، قال : أنا هو ، وأنا الذي يقول أيضا :
وأنمظ أحيانا فينقد جلدته وأعذله جدي فلا ينفع المدل
وزداد إنما إذا أبصر جارتى^(٣) فأوثقه كيما يثوب له عقيل
وربما لم أدر ما جيلتي له إذا هو آذاني وعي به الجهل^(٤)
فأوقبه في بطن جاري وجارتي مكبرة قُدما وإن رغم الفعل^(٥)
فقال : بئس والله الجار أنت للمنيبة . قال : إني والله ولتي معها زوجها وابنها .
قدِم الحكم بن عبدل واسط على ابن هُبيرة ، وكان بخيلا ، فأقبل حتى وقف
بين يديه ثم قال :

(١) في الأغاني : عدة .

(٢) «سجن» هارم قال عنه ياقوت : أظنه بالطائف .

(٣) في الأغاني . وأزداد نفلا حين أبصر جارتى .

(٤) في الأغاني : وغربه الجهل .

(٥) أوقبه : أدخله . وقدما : إنداما . وسكنت انفال للضرورة . وفي الأغاني : فأوقبه في بطن ...

أَتَيْتُكَ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِ عَشِيرَتِي وَأَعْيَا الْأُمُورِ الْمُفْطَمَاتِ جَسِيئُهَا
فَإِنْ قُلْتُ لِي فِي حَاجَتِي أَنَا فَاعِلٌ فَقَدْ تَلَجَّتْ نَفْسِي وَوَلَّتْ مُوْمُهَا
فَقَالَ : أَنَا فَاعِلٌ إِنْ اقْتَصَدْتَ فَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ آلَافِ دَرَاهِمٍ ، قَالَ نَحْنُ
مُنَاصِفُوكَهَا . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، أَخَافُ عَلَى التَّخَمَةِ إِنْ أَعْمَمَتْهَا . قَالَ : أَا كَرِهَ
أَنْ أَعُودَ النَّاسَ هَذِهِ الْمَادَّةَ . قَالَ : فَأَعْطِنِي جَمِيعَهَا سِرًّا وَامْنَعْنِي جَمِيعَهَا ظَاهِرًا حَتَّى
تُؤَدَّ النَّاسَ الْمَنْعَ ، وَإِلَّا فَالضَّرَرُ وَاقِعٌ عَلَيْكَ إِنْ بَذَلْتَ لَهُمْ نِصْفَ مَا يَطْلُبُونَ ^(١) .
فَضَحِكَ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَقَالَ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا بَذَلْنَا لَكَ ، فَجِئْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : اإِسْرَافُهُ
طَالِقٌ إِنْ أَخَذْتُ أَقْلَ مِنْ أَرْبَعَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ وَأَنْصَرَفَ ، أَوْ أَنْصَرَفُ وَأَنَا غَضَبِيَانُ ،
قَالَ : أَعْطُوهُ إِيَّاهَا ، قَبِجْهُ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ — مَا عَلِمْتُ — حَلَّافٌ مَهِينٌ . فَأَخَذَهَا وَأَنْصَرَفَ .
وَلَمَّا وَقَعَ الطَّاعُونَ بِالْكُوفَةِ قَبِضَ بَنُو غَاضِرَةَ ، وَمَاتَ بَنُو زُرَّ بْنِ حُبَيْشٍ
الْفَارِسِيُّ سَاحِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكَانُوا ظُرَفَاءَ
وَبَنِي عَمٍّ ، فَقَالَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْفَارِسِيُّ يَرِثُهُمْ :
أَبَعَدَ بَنِي زُرَّ وَبَعَدَ ابْنُ جَنْدَلٍ وَعَمْرٍ وَأَرْجَى لَذَّةَ الْعَيْشِ فِي خَفَضٍ
مَضُوءٍ وَبَقِيْنَا نَأْمُلُ الْمَيْشَ بِمَدْمٍ أَلَا إِنْ مِنْ يَبْقَى عَلَى إِثَرٍ مِنْ مَعْصِي
فَقَدْ كَانَ حَوْلِي مِنْ جِيَادٍ وَسَالِمٍ كَهَوْلٍ مَسَاعِيرٍ وَكُلٌّ فَتَى بَصِيٍّ
يَرَى الشَّحَّ هَارًا وَالسَّاحَةَ رِفْعَةً أَغْرُ كَمُودٍ الْبَانَةَ النَّاعِمِ النَّصِّ
جَاءَ الْحَكَمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَسَنِ بْنِ سَمْدٍ وَكَانَ عَلَى خَرَاجِ الْكُوفَةِ ،
فَكَلَّمَهُ فِي رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ مِنْ خَرَاجِهِ ثَلَاثِينَ دِرْهَمًا ، فَقَالَ : أَمَا تَنْتَ
اللَّهُ إِنْ كُنْتَ أَقْدَرُ أَنْ أَضَعَ مِنْ خَرَاجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ شَيْئًا ، فَانْصَرَفَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ
يَقُولُ مِنْ آيَاتِ :

(١) فِي الْأَغَانِي : إِنْ عَوَدْتَهُمْ نِصْفَ مَا يَطْلُبُونَ .

دَعِ الثَّلَاثِينَ لَا تَمْرُضْ لِمَا جَاءَ
أَحْسِنُ فَإِنَّكَ قَدْ أُعْطِيتَ كَمَلَكَةً
لَا يُنْطِكُ اللَّهُ خَيْرًا مِثْلَهَا أَبَدًا
فَلَمْ يَضَعْ شَيْئًا مِمَّا عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ (١) :

رَأَيْتُ مُحَمَّدًا شَرِّهَا ظُلُومًا
يَقُولُ أَمَا تَنِي رُبِّي خِدَاعًا
رَكِبْتَ إِلَيْهِ فِي رَجُلٍ أَنَا نِي
فَقُلْتُ لَهُ وَبِمَنْ الْقَوْلِ تُصَحِّحُ
تَوَقَّ دِرَاهِمَ الْبَكْرَى إِنِّي
أَقْرَبُ كُلِّ أَمِيرَةٍ لَأَذْنُو (٢)
فَأَقْسِمَ غَيْرَ مُسْتَنْتَنٍ يَمِينًا
فَمَا صَادَفْتُ فِي قَحْطَانٍ مِثْلَ
أَقْلٍ رَاعِيَةٍ وَأَشَدَّ مُخْضَلًا
وَلَوْ كُنْتُ الْمُهَذَّبُ مِنْ تَعِيمٍ
نَكَهْتُ عَلَى نَكْهَةِ أَخْذَرِي
فَإِنْ أَهْدَيْتَ لِي مِنْ فَيْكِ حَقًّا

وَكُنْتُ أَرَاهُ ذَا وَرَعٍ وَقَصْدٍ
أَمَاتَ اللَّهُ حَسَّانَ بْنَ سَعْدٍ
كَرِيمٍ يَبْقَى الْمَرْفُوفَ عِنْدِي
وَمِنْهُ مَا أَمِيرٌ لَهُ وَأَبْدِي
أَخَافُ عَلَيْكَ عَاقِبَةَ التَّعْدِي
فَمَا يَرْدَادُ مِنِّي غَيْرَ بُعْدٍ
أَبَا بَجْرٍ لَتَتَخَيَّرَنَّ رَدِّي (٣)
وَلَا صَادَفْتُ مِثْلَكَ فِي مَعْدٍ
وَالْأَمَّ عِنْدَ مَسْأَلَةٍ وَتَحْدٍ
لَخِفْتُ مَلَامَتِي وَرَجَوْتُ حَمْدِي
شَتِيمٍ أَعْصَلَ الْأَنْيَابَ وَرَدِي (٤)
فَإِنِّي كَلَانِي أَهْدَيْتَ أَهْدِي

(١) يهده في الأغاني بيت .

(٢) رواها أبو الفرج مرتين وفيها عنده زيادة .

(٣) في الأغاني : ليدنو .

(٤) في الأصل : أبا بجر . وصوبت من الأغاني ، ومن المعنى الآتي في قوله : نكحت على نكبة

أخدرى .

(٥) الأخدرى : يراد به هنا الأسد كأنه من خادر وخضر . والشقيم : العابس ، وأعصل

الأنياب : معوجها . والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .

وما زال ابنُ عبدلٍ يزيدُ قصيدته هذه الدالية حتى مات ، وهى طويلة جداً ، واشتهرت حتى كان المُكاري يسوق بمله أو حماره فيقول له : عَدٌ^(١) .

* أمات الله حسان بن سعدٍ *

فإذا سمع ذلك حسان أبو محمدٍ قال : بل أمات الله محمداً فهو عرضنى لهذا البلاء فى ثلاثين درهما .

دعا أبو المهاجر الحكم بن عبدل فشرّب عنده ، وله جارية تفتى ، ففتت ، فقال ابنُ عبدل :

أبَا المهاجرِ قد أَرَدْتَ كرامتى^(٢) فَأَهَنْتَنِي وَضَرَرْتَنِي لَوْ تَعْلَمُ
عِنْدَ النَّاسِ لَوْ مَسَّ جِلْدِي جِلْدُهَا يَوْمًا يَقِيتُ مُخْلَدًا لَا أَهْرَمُ
أَوْ كُنْتُ فِي أَحْمَى جَهَنَّمَ مُقَمَّدًا فَرَأَيْتُهَا بَرَدَتْ عَلَى جَهَنَّمَ
فَجَلَّ أَبُو المهاجرِ يَضْحَكُ وَيَقُولُ : وَيْحَكَ ، وَاللَّهِ لَوْ كَانَ إِلَيْهَا سَبِيلٌ لَوْهَبْتُهَا
لَكَ ، وَلَكِنْ لَهَا مَنِي وَلَدٌ .

كان عمرو بن زيد الأسدى مُبَخَّلًا ، ووجده أبوه مع أُمِّهِ له ، فكان يُعَيِّرُ بذلك ، فجاء الحكم بن عبدل ومعه جماعة ، فدخل عليه بهم وهو يأكل تمرًا فلم يدعهم ، وذكروا له حاجتهم فلم يقضها ، فقال ابنُ عبدل :

جِئْنَا وَبَيْنَ يَدَيْهِ التَّمَرُ فِي طَبَقٍ فَمَا دَعَانَا أَبُو حَظْصٍ وَلَا كَادَا
عَلَا عَلَى جِسْمِهِ ثَوْبَانِ مِنْ دَنَسٍ لَوْمْ وَكُفْرٌ وَلَوْلَا أَيْرُهُ سَادَا^(٣)
وكان عمر هذا على شُرطة الحجاج ، وأصابه قولنج فحقنه الطيبُ بدهن كثير ،

(١) عد : كلمة تقولها العامة زجرا للبخال بدل عدس .

(٢) فى الأغانى : يا أبَا المهاجر .

(٣) فى الأغانى : لَوْمْ وَجِبْن .

فأنجل ما في بطنه في الطست ، فقال للبلاد : ما تصنع به ؟ قال : أصبه في السراح ، قال : لا ولكن خلّص منه ^(١) الدهن فاستصبح به .

كانت امرأة مؤمّرة بالكوفة لها على الناس ديون بالسواد ، فاستمات بامرئ عبدل في دينها وقالت : أنا امرأة ليس لي زوج ، وجعلت تُمرّضُ بأنها تزوجه ، فقام امرئ عبدل في دينها حتى اقتضاه ، فلما طالبها بالوفاء كتبت إليه :

سَيُخْطِئُكَ الَّذِي حَاوَلْتُ مَنِي فَقَطَّعَ حَبْلَ وَصْلِكَ مِنْ حِبَالِي

كَمَا أَخْطَاكَ مَعْرُوفُ ابْنِ بَشْرِ وَكَفَتَ تَعْدُ ذَلِكَ رَأْسَ مَالِي

وكان امرئ عبدل أتى ابن بشر بالكوفة وسأله فقال : أيما أحب إليك خمسمائة العام أم ألف في قابل ؟ فقال : ألف في قابل ، فلما أتاه في القابل قال : ألف أحب إليك العام أم ألفان في قابل ؟ فقال : ألفان فلم يزل ذلك رأيته حتى مات بشر وما أعطاه شيئا .

دخل امرئ عبدل على عبد الملك بن [بشر بن] مروان فقال : ما أحدثت بعدى ؟ فقال : خطبت امرأة من قومي ، فردت عليّ جواب رسالتني بيتين من الشعر ، فقال : ما هما ؟ قال : قالت :

* سَيُخْطِئُكَ الَّذِي حَاوَلْتُ مَنِي *

وأنشده البيتين ، فضحك عبد الملك وقال : أجدت فيها أذكّرت به نفسك ^(٢) . وأمر له بأن يدرم .

(١) في الأغاني : ميّز منه .

(٢) زيادة من الأغاني .

(٣) في الأغاني : أذكّرت بنفسك .

لما أراد عمر بن حُبيرة أن يُنْزِي الحَكَمَ بنَ عبدِ النَاضِرِ فاعتَلَّ بِالزَّمانَةِ ،
فَحُمِلَ وأُلْقِيَ بين يديه ، فَجَرَّده فَإِذَا هو أَمْرَجُ مفلوج فوضع عنه الفَرْوَ وضَمَّهُ إِلَيْهِ ،
وَشَخَّصَ بِهِ مَعَهُ إِلَى واسط . فقال الحَكَمُ :

لعمري لقد جرَّدتني فوجدتني كثيرَ العيوبِ سيِّئِ اللَّتَجَرِّدِ
فأعفيني لَمَّا رأيتَ زَمَانَتِي وَوَقَّفتَ مِنِّي لِلقضاءِ السُّدِّدِ
ولستُ بِذِي شَيْخَيْنِ بَلْزَمَانِهِ وَلَكِنْ بِتَمِّ ساقطِ الرَّجُلِ وَالْيَدِ

فلما صار عمر إلى واسط شكّا إليه الحَكَمُ الضُّبْعَةَ^(١) فوهب له جارية
من جوارديه ، فوابها لَيْلَةً صارتَ إِلَيْهِ ، ففكَّحها تَسْمَةً أو عَشْرَةً ، فلما أصبحت قالت
له : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، من أَى الناس أنت ؟ قال : امرؤٌ من أهل الشام . قالت : بهذا
العملُ نُصِرْتُمْ . وكان الحِجَاجُ قد ضرب البعث على المُتَحَلِّينَ ومن أنبت من الصبيان
فكانت المرأة تَجِيءُ إلى ابنها وقد جرَّدتضممه إليها وتقول له : بُنْيَ بَنِيَّ^(٢) جَزَعَا عَلَيْهِ
فسمي ذلك الجَيْشُ جَيْشُ بُنْيَ . وأحصر الحَكَمُ ابنَ عبدِ الجُرَّدِ فوجد أَمْرَجَ فَأُفِي
[فقال في ذلك : لعمري لقد جرَّدتني فوجدتني]^(٣) .

كان الحَكَمُ بن عبدِ مُنْقَطَعًا إلى بشر بن مروان ، وكان يأنس به ويحبّه ويستطيه ،
فأخْرَجَهُ مَعَهُ إلى البصرة لَمَّا وَلِيَهَا ، فلما مات بشرُ جَزَعَ عَلَيْهِ الحَكَمُ وقال يرثيه :
أصبحت جَمَّ بِلابلِ الصَّدْرِ مُتَمَجِّبًا لِتَصْرِفِ الدَّهْرَ
ما زلتُ أَطْلُبُ فِي البِلادِ قَتَى لِيَكُونَ لِي ذُخْرًا مِنَ الدُّخْرِ

(١) الضبعة : شدة شهوة الفعل . وفي المختار وبعض أسول الأغاني : الضيقة .

(٢) في الأغاني : وتقول له يأبى جزعا عليه . . جيش يأبى .

(٣) زيادة من الأغاني كأنها رواية أخرى لشعر السابق .

ويكون يُسعدني وأُسعدده في كلِّ نائبةٍ من الأُمُرِ
حتى إذا ظفرت يدَايَ به جاء القضاء لِحينِه بِجُري
لَمَني لَمَني هَمَّ يَأْكُرُنِي مِنْهُ وَهَمَّ طَارِقِ بَسيْرِ
فَلَأَسْبِرَنَّ وما رأيتُ دَوًّا لَهُمْ مِثْلَ عَرِيضَةِ الصَّبْرِ
والله ما استمظمتُ فُرْقَتَه حتَّى أحاطَ بِفَضْلِهِ خُبْرِي

خرج يزيدُ بنُ عمر بنِ هُبيرة يسير بالكوفة ، فأتتهى إلى مسجد بني غاضرة
وقد أقيمت الصلاة ، قبدأ فصلِّي ، واجتمع الناس لمكانه في الطريق ، وأشرف النساء
من السطوح ، فلما قضى صلاته قال : لمن هذا المسجد ؟ قالوا : لبني غاضرة ، فتمثل
بقول الشاعر :

ما إنْ تَرَ كُنَّ مِنَ النِّوَاصِرِ مُعَصِّراً إِلَّا تَظَنَّنَ بِسَاقِهَا خَلْخَالاً^(١)
فقلتُ له امرأةٌ مِنَ المُشْرِقاتِ :

ولقد عَطَفَنَ عَلَى فِرَازَةَ عَطْفَةً كَرَّرَ اللَّيْلِجَ وَجُلْنَ ثُمَّ مَجَالاً^(٢)

فقال يزيد : من هذه المرأة ؟ فقالوا : بنت الحكم بن عبدل . فقال : هل تلد الحيَّةُ
إِلَّا حَيَّةً . وانصرف خجلاً .

وكان ابنُ عبدل من أطيب الناس وأملحهم . فلقبه صاحبُ السِّس ليلة وهو
سكران محمول في حَفَّةٍ ، فقال له : من أنت ؟ فقال له : يا بنيض يا بارد ، أنت أعرفُ
بِي من أنْ تسألني من أنا . فاذهبُ إلى شغلِكَ فإنك تعلمُ أن اللصوص لا يخرجون
بالليل إلى السَّرَقِ محمولين في حَفَّةٍ ، فضحك وانصرف .

(١) في الأغاني : فضمن بساقها .

(٢) للنَّيج : فرس كان للقيس بن مسعود الشيباني .

كانت للحكم جارية سوداء ، وكان يعيل إليها ، فولد له ابن أسود ، وكان من
أعزَم^(١) الصبيان وقال فيه:

يَارُبَّ خَالٍ لَكَ مُسَوِّدَ الْقَفَا لَا يَشْكِي مِنْ رِجْلِهِ مَسَّ الْحَفَا
كَانَ عَيْنِيهِ إِذَا تَشَوَّفَا هِينَا غُرَابٍ فَوْقَ رَيْنَقٍ أَشْرَفَا^(٢)

اجتمع الشعراء إلى الحجاج بن يوسف وفيهم ابن عيذل ، فقالوا : إنما شعرُ
ابنِ عيذلٍ كله هجاء ، وشعرُ سخيِّف . فقال : قد سمعت قولهم فاسمع الآن مِنِّي . قال :
هاتِ ، فأنشده قوله :

وَإِنِّي لَأَسْتَفْنِي فَا أَبْطِرَ النَّفْيَ
وَأَهْرِضُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَنِي عَرَضِي^(٣)
وَأَعْسِرُ أَحْيَانًا فَتَشْتَدُّ عُسْرِي
وَأُذِرُكَ مَيْسُورَ النَّفْيِ وَمَعِي عَرَضِي
وَلَسْتُ بَذِي وَجْهَيْنِ فِيمَنْ مَرَفَتُهُ
وَلَا الْبَخْلُ فَاغْلَمَ مِنْ مَبَائِي وَلَا أَرْضِي
فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ : أَحْسَنْتَ ، وَفَضَّلَهُ عَلَيْهِمْ فِي الْجَائِزَةِ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ .

(١) أعزَم : به أخبث .

(٢) الرينق : أَرَضَ موضع في الجبل .

(٣) في الأغاني : لِمَنْ يَبْتَنِي عَرَضِي .

حُرثان ذو الإصبع^(١)

هو حُرثان بن الحارث بن عُحْرَث بن ثعلبة بن ثياب^(٢) بن ربيعة بن هيرة بن ثعلبة ابن ظرب بن عمرو بن عباد بن بشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد بن قيس بن عيلان ابن مضر بن نزار . أحد بني عدوان ، بطن من جديلة ، شاعر فارس من قدماء شعراء الجاهلية ، وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة .

قال الأصمعي^٣ : نزلت عدوان على ماء فأخصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل^(٤) سوى من كان غثونا ، لكثرة عددهم . ثم وقع بأسهم بينهم فتفانونا ، فقال ذو الإصبع^(٥) :

عَذِرَ الحَيَّ مِنْ هَدُوا	نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ
بَنَى بِمَضْمُومٍ بِنَصَا	فَلَمْ يُبْقُوا عَلَى الْبَيْضِ ^(٥)
فَقَدْ سَارُوا أَحَادِيثَ	بَرَفَعَ الْقَوْلِ وَالْخَفِصِ
وَلَيْسَ الْأَمْرُ فِي شَيْءٍ	مِنَ الْإِبْرَامِ وَالنَّقْصِ
إِذَا أَيْرَمُ أَمْرًا خَا	لَهُ يَفْقِصِي وَلَا يَفْقِصِي
يَقُولُ الْيَوْمَ أَمْنِيهِ	وَلَا يَمْلِكُ مَا يَمْنِي
وَمِنْهُمْ كَانَتِ السَّادَا	تُ وَالْوُفُونَ بِالْقَرَضِ

(١) الأغاني: دار الكتب ٨٩/٣ وانظر ص ٨٨ ودار الثقافة ٨٥/٣ وانظر ص ٨٤ وبولاق

٢/٣ والسامى ٢/٣ والتجريد ٣٥٣ .

(٢) في الأغاني : سيار . وفي الخزانة ٤٠٨/٢ : شيابة .

(٣) فسرته بالهامش : أى أقلق .

(٤) ذكرها أبو الفرج في مواضع ثلاثة باختلاف في ترتيبها .

(٥) في الأغاني : على يسن .

ومنه من يميز النسا ومنهم حكم يقضي
 س بالثنية والقرض فلا ينقض ما يقضي
 وهم من ولدوا عا ر ذا الطول وذا الرض
 وم كانوا بلا كذب^(١) ذوي القوة والنهض
 وهم من ولدوا أشبوا^(٢) يسر الحسب الخفض

منها :

وكان الناس إذ هموا ليسير خاشع ثمضي
 تنادوا ثم ساروا رب رئيس لهم مريض^(٣)
 فمن ساجلهم حربا في الخيبة والخفض
 ممالى لم ينلها النسا س في بسط ولا قبض

قوله : « ومنهم حكم يقضي » يعني عامر بن الظرب الدواني ، وهو الذي كانت العرب تحتكم إليه ، ولما كبر كانت المصا تفرع له ، فقال له الثاني^(٤) من ولده : إنك ربما أخطأت في الحكم فيحتمل منك . قال : فاجعلوا لي أماره أعرفها إذا رُغيت فسمعتها رجعت إلى الحكم بالصواب . فكان يجلس قدام بيته ويقعد ابنه في البيت ومعه المصا ، فإذا زل أو هفا قرع له الجفنة بالمصا فرجع إلى الصواب ، وفي ذلك يقول المتكس :

لدى الحمر قبل اليوم ما تفرع المصا وما علم الإنسان إلا ليملا

(١) في الأغاني : فلا تكذب .

(٢) كذا في الأغاني وأشي فلان : إذا ولد له ولد كيس . وفي الأصول : « أسنوا » .

(٣) ضبط في الأغاني « بضم الليم » وما أثبت عن ضبط « ك » .

(٤) تعبير الأغاني وهو أحسن : وهو الذي كانت المصا تفرع له وكان قد كبر فقال له الثاني .

وَرِيعةٌ تُدعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام واليمن تُدعيه لريعة ابن مُخَاشِن وهو ذو الأعواد . وهو أول من جلس على مِنْبَرٍ أو سِريرٍ وتسلَّم . وفيه يقول الأسود بن يَمْفَر :

ولقد عَلِمْتُ لَوْ أَنَّ عِلْمِي نَافِعٌ أَنْ السَّبِيلَ سَبِيلُ ذِي الْأَعْوَادِ
وقوله : « ومنهم من يميز الناس » . فإن إجازة الناس كانت تُخْزَاهُ فَأَخَذَهَا
منهم عَدُوَانُ وصارت إلى رجل منهم يقال له أَبُو سَيَّارَةَ أحد بني وابش^(١) بن زَيْد
ابن عَدُوَان ، وفيه يقول الراجز :

خَلُّوا السَّبِيلَ هُنَّ أَبِي سَيَّارَةَ وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنَى فَرَارَةَ
حَتَّى يُجِيزَ سَائِلًا حِمَارَةَ مُسْتَقْبِلَ الْكَمِيَةِ يَدْعُو جَارَةَ
وكان أَبُو سَيَّارَةَ يُميز الناس في الصَّحْ ، بأن يتقدمهم على حمار ثم يخبطهم فيقول:
اللهم أَسْلِحْ بَيْنَ نَسَائِنَا وَعَادِلٍ^(٢) بَيْنَ رَعَائِنَا واجعل المال من سُحْحَانِنَا . أو قُوا
بِمَهْدِكُمْ ، وأكرموا جاركم واقروا ضيفكم . ثم يقول: أَشْرِقَ ثَبِيرٌ كَيْمَا نَنْفِرُ^(٣) . فكانت
هذه إجازته ، ثم يتقدم^(٤) ويتبعه الناس :

لما قَدِمَ عَبدُ المَلِكِ بنُ مروان الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس يَمْرُضُ
أَحْيَاءُ العرب ، فقام إليه مَعْبِدُ بنُ خالدٍ الجندِيُّ وكان قصيرا دُميا ، فَقَدَّمَ رجل
حَسَنُ الهَيْئَةِ . قال مَعْبِدُ : فنظر عبد الملك إلى الرجل فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ فَسَكَتَ
وكان مَنَاءُ فَقُلْتُ مَنْ خَلْفُهُ : نَحْنُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ جَدِيدَةٍ فَأَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ وَرَكَنِي

(١) في الأصل : فاس . والتصويب من الأغاني ، وشرح القاموس مادة وبش .

(٢) في الأغاني : وعاد .

(٣) ثبير : جبل بكة . وأشرق : ادخل في الشروق . وكيا نثير : أي كيا نسرع لننحر .

(٤) في الأغاني : ثم ينفر .

فقال : من أَيْبَكُم ذُو الإصْبَعِ ؟ قال الرجل : لا أدري . قلت : كان عَدَوَانِيَّ . فَأَقْبِلْ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرْكِنِي وَقَالَ : لِمَ سَمَّيَ ذَا الإصْبَعِ ؟ قال الرجل : لا أدري ، فقلت من خلفه : نَهَشْتَهُ حَيَّةً فِي إصْبَعِهِ فَيَبِست ، فَأَقْبِلْ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرْكِنِي وَقَالَ : وَبِمَ كَانَ يُسَمَّى قَبْلَ ذَلِكَ ؟ فقال الرجل : لا أدري ، فقلت من خلفه : كَانَ يُسَمَّى حُرَّانَ . فَأَقْبِلْ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرْكِنِي وَقَالَ : من أَيِّ عَدَوَانٍ كَانَ ؟ قال : لا أدري . قلت من خلفه : من بَنَى نَاجِرَ الَّذِينَ يَقُولُ فِيهِمُ الشَّاعِرُ :

وَأَمَّا بَنُو نَاجِرٍ فَلَا تَذْكُرْهُمْ وَلَا تَتَّبِعَنَّ عَيْنِيكَ مَنْ كَانَ هَالِكًا
إِذَا قُلْتَ مَعْرُوفًا لِأَصْلِحَ بَيْنَهُمْ تَقُولُ مُرَيْنُ لَا أَسْلَمَ ذَلِكَ^(١)
فَأَضْحَى كَطَلْعِ النَّجْلِ جُبَّ سَنَامُهُ تَحُومُ عَلَيْهِ الطَّيْرُ أَحْدَبَ بَارَكًا^(٢)
فَإِنْ تَكَ عَدَوَانُ بْنُ عَمْرِو تَفَرَّقَتْ فَقَدْ غَنَيْتُ دَهْرًا مُلُوكًا هُنَالِكَ
فَأَقْبِلْ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرْكِنِي وَقَالَ : أَنَشَدَنِي قَوْلُهُ :

عَذِيرَ أَلْحَى مِنْ عَدَوَا نَ كَانُوا حَيَّةَ الْأَرْضِ^(٣)

قال الرجل : لست أروها . قلت : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ شئتُ أَنَشِدْتَكُمَا . قال : ادْنُ مِنِّي ، أَرَاكَ بِقَوْمِكَ عَالِمًا . فَأَنَشَدْتُهُ التَّقْسِيدَةَ ، فَأَقْبِلْ عَلَى الرَّجُلِ وَتَرْكِنِي فَقَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قال : أَلْفَانِ . فَأَقْبِلْ عَلَيَّ فَقَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قلت : خَمْسَمِائَةٍ . فَأَقْبِلْ عَلَى كَاتِبِهِ وَقَالَ : اجْعَلِ الْآلَفِينَ لِهَذَا وَالْخَمْسَمِائَةَ لِهَذَا . فَاَنْصَرَفَتْ بِهَا .

كَانَ لَدَى الإصْبَعِ أَرْبَعُ بَنَاتٍ وَكَانَ يَخْطُبُنَ إِلَيْهِ فَيَعْرِضُ ذَلِكَ عَلَيْهِنَّ فَيَسْتَحِبْنَ فَلَا يَزُوجُهُنَّ ، وَكَانَتْ أُمَّهُنَّ تَقُولُ لَهُ : زَوِّجْنِي^(٤) ، فَلَا يَفْعَلُ ، فَخَرَجَ لَيْلَةً

(١) فِي الْأَغَانِي : تَقُولُ وَهَيْبُ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : يَدْبُ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَحْدَبَ بَارَكًا .

(٣) لَمْ يَذْكُرْ هَذَا الْبَيْتَ فِي الْأَغَانِي فِي تَرْجُمَةِ ذِي الإصْبَعِ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : تَقُولُ : لَوْ زَوَّجْتَهُنَّ .

إلى مُتَحَدِّثٍ لهنَّ فاستمع عليهن وهن لا يملن ، فقلن : تمالَيْنِ تَمَتَّى وَلَنَصُدُقْ
في أمانَيْنَا . فقالت الكبرى :

أَلَا لَيْتَ زَوْجِي مِنْ أَنَاسٍ ذَوِي غَيِّ حَدِيثُ الشَّبَابِ طِيبُ الرِّيحِ وَالْعَطْرِ
طِيبٌ بِأَدْوَاءِ النِّسَاءِ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ جَانٍ لَا يَنَامُ عَلَى هُجْرٍ^(١)
فقلن لها : أنت تحبين رجلا ليس من قومك . فقالت الثانية :

أَلَا هَلْ أَرَاهَا مَرَّةً وَضَجِيعُهَا أَشْمُ كَنَصْلِ السِّيفِ غَيْرِ مُهَنْدٍ^(٢)
لَصَوْقٍ بِأَكْبَادِ النِّسَاءِ وَأَصْلُهُ إِذَا مَا اتَمَّى مِنْ سِرٍّ أَهْلِي وَمَحْتَدِي
فقلن لها : أنت تحبين رجلا من قومك . فقالت الثالثة :

أَلَا لَيْتَهُ يَمَلَأَ الْخِفَانِ وَلَيْتَهُ لَهُ جَفَنَةٌ تَشْقِيهَا النَّيْبُ وَالْجُزُرُ
بِهِ مُحْكَمَاتُ الشَّيْبِ مِنْ غَيْرِ كِبَرَةٍ وَلَا هُوَ بِالْفَانِي وَلَا الضَّرْعُ النُّعْرُ^(٣)
فقلن لها : أنت تحبين رجلا شريفاً . وقلن للصغرى : تَمَتَّى . فقالت : والله ما أريد
شيئاً . قلن : والله ما تبرحين حتى نعلم ما في نفسك . فقالت : زوجٌ من هُودٍ خَيْرٌ
مِنْ قَعُودٍ . فلما سمع أبوهن ذلك زوَّجهن أربمهن . ثم مكث^(٤) بهمة ثم اجتمعن
عنده ، فقال للكبرى : يا بنية ما مآلكم ؟ قالت : الإبل . قال : فكيف تجمدونها ؟
قالت : خير مال ، نأكل لحومها ، مِرْعَا ، ونشرب ألبانها جُرْعَا ، ونحملنا وضميقنا
معا . قال : فكيف تجمدين زوجك ؟ قالت : خير زوج ، بُكْرَمِ الْحَلِيلَةِ ، وَيُنْعَلِي
الْوَسِيلَةَ^(٥) . قال : مالٌ عَيمٍ ، وَزَوْجٌ كَرِيمٍ . ثم قال للثانية : يا بنية ، ما مآلكم ؟

(١) في الأغاني : على وتر .

(٢) في الأغاني : غير ميلد .

(٣) روايته في الأغاني :

له محكمات الدهر من غير كبرة تشين ولا الفاني ولا الضرع النمر

(٤) في الأغاني : فكثن .

(٥) الوسيلة : ما يتقرب به إلى الغير .

قالت : البقر ، قال : وكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، تألف الغناء ، وتودك
السَّاء^(١) ، وتعلأ الإناء ونساء مع نساء . قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت
خير زوج ، يُكرِّم أهله ، وينسى فضله . قال : حَظَّيتِ ورَّغيتِ . ثم قال للثالثة :
يا بُنَيَّة ، ما مالكم ؟ قالت : المِزْي ، قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأس بها ،
نُورِلدها هِمًّا^(٢) ، ونَسْلُخها أَدَمًا ، قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : لا بأس به ،
ليس بالبخیلِ الخَترِ^(٣) ، ولا بالسمح البذر . قال : جَدَوِي مُغْنِيَّة ، مالٌ مُوَيْل ،
ورَجُلٌ رُجِيل^(٤) . ثم قال للرابعة : يا بُنَيَّة ، ما مالكم ؟ قالت : الضأن . قال : كيف
تجدونها ؟ قالت : شرُّ مال : جُوفٌ لا يَشْبَعن ، وَهِيْمٌ لا يَنْقَمَن . وصمٌّ لا يسمعن ،
وأَمْرٌ مُنَوِيْتَمَن يَنْقَمَن . قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : شرُّ زوج ، يُكرِّم
نفسه وَهِيْن عِرْسِه . قال : أشبه امرأً بعضُ بَرَّة .

وعمرُّ ذو الإصبع طويلا حتى خَرف ، فكان يُفرق ماله فمذه أصهاره وأخذوا
هلى يده ، فقال من أبيات^(٥) :

أهلَكنا الليلُ والنهارُ مَمَّا والدَّهْرُ يَمْدُو مُصِمِّمًا جَدَمًا
فليس فيما أصابني عَجَبٌ إن كنتُ شَيْبًا أَنْكَرْتُ أَوْصَلَمًا

ولما اختَصِرَ ذو الإصبع دما ابنه أُسَيْدًا فقال : يا بُنَيَّ ، إن أباك قد قَنِي وهو
حَيٌّ ، وعاش حتى سَمَّ العيش ، وإنِّي مُوسِيك بما إن حفظته بلفت في قومك ما بَلغْتُهُ .
فاحفظ عني : أرلن جانبك لقومك يُحبُّوك . وتواضع لهم برفموك ، وابسط لهم وَجْهَكَ

(١) تودك : تجعل فيه الودك وهو السن .

(٢) البهم : أولاد الفم . والأدم جمع أديم وهو الجلد . وفي الأغاني : نورلدها فطما .

(٣) الختر : الذي يأخذه استرخاء كالخدر . وفي الأغاني : الحكر .

(٤) « مال مويل ورجل رجيل » ليست في الأغاني .

(٥) هي في الأغاني طويلة .

يعطموك ، ولا تستأز عليهم بشيء يسودوك ، وأكرم سفارهم كما تكرم كبارهم
بكرمك كبارهم ويكبر على مودتك سفارهم ، واسمح بمالك ، وأخر حرمتك ،
وأعز جارك ، وأعين من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في
الصريح . فإن لك أجلاً لا يمدوك ، وصن وجهك من مسألة أحد شيئاً ، فبذلك
يتم سودوك . ثم انشأ يقول :

أَسْتَيْدُ إِذَا تَنَعَمَ	نَ ^(١) فَيَرْبُ بِهِ سَيِّراً جَمِيلاً
أَخْرَ الْكِرَامَ إِذَا اسْتَطَعُ	تَ إِلَى إِخَائِهِمْ سَلِيلًا
وَأَشْرَبُ بِكَاسِهِمْ وَإِنْ	شَرِبُوا بِهِ السَّمَّ الثَّمِيلَ ^(٢)
أَهْنِ الثَّامَ وَلَا تَكُنْ	لِإِخَائِهِمْ جَمَلًا ذُلُولًا
إِنْ الْكِرَامَ إِذَا تَوَاحِيَهُمْ	تَجِدُ لَهُمْ قَبُولًا
وَدَعِ الَّذِي يَمْدُ الْمَشِي	رَةَ أَنْ يَسِيلَ وَلَا يَسِيلَا
أَبْيَ إِنْ الْمَالُ لَا	يَبْكِي إِذَا فَقَدَ الْبَخِيلَا
أَأْسَيْدُ إِنْ أَزَمْتَ مِنْ	بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ رَحِيلَا
فَاخْطُ إِذَا شَحَطَ الزَّأ	رُ أَخَا أَخِيكَ أَوْ الزَّيْلَا
وَارْكَبْ بِنَفْسِكَ إِنْ هَمَّ	تَ بِهَا الْحَزُونَةُ وَالْتِهْوَلَا
وَصِلِ الْكِرَامَ وَكُنْ لِمَنْ	تَرْجُو مَوَدَّةَ وَمُؤُولَا
وَدَعِ التَّوَاتِي فِي الْأُمُ	رِ وَكُنْ لَهَا سَلَسًا ذُلُولَا
وَابْسُطْ يَمِينَكَ بِالْأَسَدَى	وَامْدُدْ لَهُ بَاعًا طَوِيلَا
وَابْسُطْ يَدَيْكَ بِمَا مَلَكَ	تَ وَشَيْدَ الْحَسَبِ الْأَثِيلَا

(١) في الأغاني : أأسيد إيت مالا ملكت فسر به

(٢) هو من الثمال والثلث : وهو السم اللتق .

واعزيم إذا حولت أم
وابذل لضيقتك ذات رخ
واحلل على الأبقاع لل
وإذا القروم تخاطرت
فاهمير كهضر الليث يخ
وانزل إلى الهيجا إذا
وإذا دُعيت إلى المهر
رأ يفرج الهم الدخيلا
لك مكرما حتى يزولا
ماقين واجتنب السيل
يوما وأردعت الخصيل^(١)
ضرب من فريسته التليلا^(٢)
أبطالها كرهوا التزولا
م فكن لفادحه هولا

وكان سبب تفرق عدوان وقتال بعضهم بعضا حتى تفانوا أن بنى ناج بن يشكر ابن عدوان أغاروا على بنى عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ، فاقتلوا ، وتدرت بهم بنو عوف . فقتل بنو ناج منهم ثمانية نفر فيهم عمير بن مالك سيد بنى عوف ، وقتل بنو عوف رجلا منهم يقال له سنان بن جابر ، ثم اصططح سائر الناس على الديات أن يتماطوها ، ورضوا بذلك ، وأبى مرين^(٣) ابن جابر أن يقبل لسنان بن جابر دية واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومالاهم^(٤) . فشى ذو الإصبع في قبول دية سنان وقال : قد قتل منا ثمانية نفر فقبلنا الدية ، وقتل منكم رجل واحد فاقبلوا ديته ، فأبوا ذلك ، وأقاموا على الحرب ، وكان ذلك بدء حربهم حتى تفانوا وتقطعوا ، فقال ذو الإصبع في مرين بن جابر :

(١) الخصيل جمع خصلة : وهى كل لحة فيها عصب . وفى المختار : وأودعت الخصيل .

(٢) التليل : العنق .

(٣) فى الأغاني : مرير . وسيأتى فى الشعر : يامر . ولعل اسمه « مر » والياء والتون

زيادة لاسخ .

(٤) فى الأغاني : ومن والام . ويعد فى الأغاني : وتبعه على ذلك كرب بن خالد أحد بنى

عبس ابن ناج فمضى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبول الدية وقال . . . فأبيا ذلك وأقاما على الحرب . أما فى ك : فاقبلوا ديته فأبوا ذلك وأقاما على الحرب .

يَا مَنْ لَقَلْبٍ شَدِيدٍ الهمَّ حَزُونِ
أُمِّي تَدْكُرُهَا مِنْ بَدَمٍ شَحَطَتْ
فَإِنْ يَكُنْ حُبُّهَا أُمِّي لَسَا حِنًا
فَقَدْ غَنِينَا وَشَمَلُ الدَّارِ يَجْمَعُنَا^(١)
تَرَى الْوُشَاةَ فَلَا تُخْطِي مَقَاتِلَهُمْ
لِي ابْنِ عَمٍّ عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُلُقٍ
أَزْرَى بِنَا أَنَا شَأْنُ نَمَاتُنَا
لَا إِبْنَ عَمِّكَ لَا أَفْضَلَتْ فِي حَسَبِ
وَلَا تَقُوتُ عِيَالِي يَوْمَ مَسْنَبَةٍ
فَإِنْ تُرِدْ عَرَضَ الدُّنْيَا يَمْنَقِصْتِي
وَمَا تَرَى فِي غَيْرِ الصَّبْرِ مَنْقَصَةً
لَوْلَا أَوَامِرُ قُرْتِي لَسْتُ تَحْفَظُهَا
إِذَا بَرَيْتُكَ بَرِيًّا لَا أَنْجِبَارَ لَهُ
إِنْ أَلْتِي يَقْبِضُ اللَّهُ نِيًّا وَيَسْطُهَا
اللَّهُ يَمْلَأُنِي وَاللَّهُ يَمْلَأُكُمْ
مَا ذَا عَلَيَّ وَإِنْ كُنْتُمْ ذَوِي رَحِمِي
لَوْ تَشْرَبُونَ دِي لَمْ يَرَوْ شَارِبَكُمْ

أُمِّي تَدْكُرُ رِيًّا أَمْ هَارُونِ
وَالدهرُ ذُو غِلْظٍ حِينًا وَذُولِينَ
وَأَصْبَحَ الْوَلِيُّ مِنْهَا لَا يُوَالِي^(٢)
أُطِيعَ رِيًّا وَرِيًّا لَا نَمَاصِينَ
بِخَالِصٍ مِنْ صَفَاءِ الْوُدِّ مَسْكُونِ
مُخَالِفٌ لِي أَقْلِيهِ وَيَقْلِي^(٣)
تَفَالَى دُونَهُ بِلِ خِلْتِهِ دُونِي
شَبَثًا وَلَا أَنْتَ دِيَانِي فَتَخْزُونِي^(٤)
وَلَا بِنَفْسِكَ فِي الْمَرْءِ تَكْفِينِي^(٥)
فَإِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يُشْجِينِي
وَمَا سِوَاهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِينِي
وَرَهْبَةُ اللَّهِ فِي مَوْتِي يُمَادِينِي
إِنِّي رَأَيْتُكَ لَا تَنْفَكُ تَبْرِينِي
إِنْ كَانَ أَعْنَاكَ عَنِّي سَوْفَ يُغْنِينِي
وَاللَّهُ يَجْزِيكُمْ هُنِي وَبِجْزِينِي
أَلَا أَحْبَبُّكُمْ إِذْ لَمْ تُحِبُّونِي
وَلَا دِمَاؤُكُمْ جَمْعًا تَرُوبُنِي

(١) الولي : القرب . وفي الأغانى : الوالى منها لا يواليتنى .

(٢) غنينا : أقمنا .

(٣) في الأغانى : ولي ابن عم . . . مخلصان فأقلبه .

(٤) في الأصول : تخزيتنى .

(٥) المزاء : العدة .

لِي ابْنُ عَمِّهِ لَوْ أَنَّ النَّاسَ فِي كَيْدِي
يَأْمُرُونِ لَأَتَدَعُ شَتْمِي وَمَنْقَصِي ^(١)
كُلُّ أَمْرِي صَارَتْ يَوْمًا لِشَيْمَتِهِ
إِنِّي لَمَمْرُكُ مَا بَابِي بَنَى عَلَّقِي
وَلَا لِسَانِي عَلَى الْأَذَى بِمُطْلَقِي
لَا يَخْرُجُ الْقَسْرُ مِنِّي غَيْرَ مَنْصَبِي ^(٢)
وَأَنْتُمْ مَمْشَرٌ زَيْدٌ عَلَى مَائَةٍ
وَأَنْ عَلِمْتُ سَبِيلَ الرَّشِيدِ فَانْطَلِقُوا
يَا رَبُّ ثَوْبٍ حَوَاشِيهِ كَأَوْسَطِهِ
يَوْمًا شَدَدْتُ عَلَى فِرْعَاءَ فَاهِقَةٍ
مَاذَا عَلِيٌّ إِذَا تَدَعُونِي ضَرَمًا ^(٣)
قَدْ كُنْتُ أَطْعِيكُمْ مَالِي وَأَمْنُكُمْ
يَا رَبُّ حَتَّى شَدِيدِ الشَّعْبِ ذِي لَجَبٍ
رَدَدْتُ بَاطِلَهُمْ فِي رَأْسِ قَائِلِهِمْ
يَا صَاحِرَ لَوْ كُنْتُ لِي الْفَيْتَنِي بَشَرًا ^(٤)

لَظَلَّ مُنْجَجِرًا بِالنَّبْلِ بِرَمِيٍّ ^(٥)
أَضْرَبَكَ حَتَّى تَقُولَ الْهَامَةُ اسْقُونِي
وَأَنْ تَخْلُقَ أَخْلَاقًا إِلَى حِينٍ
عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ
بِالنُّكْرَاتِ وَلَا فَتْكَ بِأَمُونٍ
وَلَا أَلِينُ لِمَنْ لَا يَبْتَغِي لِيْنِي
فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ شَتَّى وَكَيْدُونِي
وَأَنْ غَبَيْتُمْ طَرِيقَ الرَّشِيدِ فَأَتُونِي
لَا عَيْبَ فِي التَّوْبِ مِنْ حُشْنٍ وَلَا لِينٍ ^(٦)
طَوْرًا مِنَ الدَّهْرِ تَارَاتِ تَمَارِينِي ^(٧)
أَلَا أُجِيبُكُمْ إِذْ لَا تُجِيبُونِي
وُدِّي عَلَى مُثَبَّتِ الصَّدْرِ مَسْكُونٍ
دَعَوْتُهُمْ رَاهِنًا مِنْهُمْ بِمَرْهُونٍ ^(٨)
حَتَّى يَظْلُوهَا خُصُومًا ذَا أَظَانِيفٍ
سَمَحًا كَرِيمًا أَجَازِي مَنْ يُجَازِينِي

- (١) في المختار : في كبد . وفي الأغاني : « في كبدِي لَظَلَّ مُنْجَجِرًا » وفيه أيضا « منججرا » .
(٢) في الأغاني : « يا عمرو إني لأتدع » هناء . ويقدم أنه يقول الشعر في مريد بن جابر .
(٣) في المختار : لا يخرج السر . والتصويب من الأغاني والمفضليات .
(٤) الحُشْنُ تكون من الحشوة . وفي الأغاني : من حسن ومن لين .
(٥) فرعاء الطريق : أعلاه ومنقطعه . وفق الإتياء يفتح : امتلأ حتى صار تصيب . ومريد بذلك الطريق المزدحم بالبدو . وقد ورد في الأغاني : فرعاء فاهقة . وفسرت الفرعاء بالطفنة الواسعة والفاهة : التي تفتح بالدم أي تصيب . وفي الأغاني : يوما شددت . . يوما من الدهر .
(٦) في الأصل : « ماذا علي بأن تدعوني » وفي الأغاني : « إذا تدعوني فرعا » .
(٧) في الأغاني : ذعرت من راهن منهم ومرهون .
(٨) في الأغاني : يا عمرو لو كنت لي الفيتني بشرا .

وقد عجبتُ وما في الدهرِ من عجبٍ يَدُ تَشُجٍّ وأُخرى منك تَأْسُونِي ^(١)
فإن نُصِبتُ من الأيامِ جَاحِمَةٌ لا أَبْكُ مِنْكَ هَلِ دُنْيَا وَلَا دِينِ
وقالت أُمَامَةُ بنتُ ذِي الإصْبَعِ ترى قومها ، وكانت شاعرة :

كَمَ مِنْ فَتَى كَانَتْ لَهُ مَنَّةٌ ^(٢) أبلجَ مثلَ القمرِ الزاهرِ
قد مرَّتِ الخليلُ بِحَافَاتِهِ كَرَّ غَيْثٌ لِيَجِبَ مَارِطِرِ
قد لَقِيتُ فَهَمُّ وَعَدْوَانُهَا قَتَلًا وَهَلَكًا آخِرَ النَّابِرِ
كَانُوا مُلُوكًا سَادَةً فِي الدَّرَا دَهْرًا لَهَا الْفَخْرُ عَلَى الْبَاخِرِ
حَتَّى تَسَاقُوا كَأَسْهَمٍ بَيْنَهُمْ بَغْيًا فَيَا لِلشَّارِبِ الْخَالِرِ
بَادُوا فَمَنْ يَحْتَلُّ بِأَوْطَانِهِمْ يَحْتَلُّ بِدَرْسٍ ^(٣) مُقْفَرِ دَائِرِ

ولأُمَامَةُ هذه يقول أبو الإصْبَعِ وقد رآته نهض فسقط وتوكلًا على عصا فبكت فقال :

جَزَعَتْ أُمَامَةُ أَنْ مَشَيْتُ عَلَى الْعَصَا وَتَذَكَّرْتُ إِذْ نَحْنُ مِنَ الْفَتَيَانِ
فَلَقَبْتُ مَا رَأَيْتُ الزَّمَانَ بِكَيْدِهِ إِرْمًا وَهَذَا الْحَيَّ مِنْ عَدْوَانِ
بَعْدَ الْحُكُومَةِ وَالْفَضِيلَةِ وَالنَّهْيِ طَافَ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ بِأَوَانِ
وَتَفَرَّقُوا وَتَقَطَّعَتْ أَشْلَاؤُهُمْ وَتَبَدَّدُوا فِرْقًا بِكُلِّ مَكَانِ
جَدَّبَ الزَّمَانُ وَأَغْوَيْتُ أَرْحَامَهُمْ ^(٤) وَالدَّهْرُ غَيَّرَهُمْ مَعَ الْخَدَنَانِ
حَتَّى أَبَادَهُمْ عَلَى أَخْرَامٍ صَرَعَى بِكُلِّ بَعِيدَةٍ وَمُدَانِي ^(٥)
لَا تَمُجِّينَ أُمَامُ إِنْ حَدَّثَ عَرَا فَالدَّهْرُ غَيَّرَنَا مَعَ الْأَزْمَانِ

(١) هذا البيت لم يبي في ترجمة ذِي الإصْبَعِ ولأنما جاء في ترجمة قِيلَ مَوْلَى الْبَلَاتِ بِهِ .

(٢) النمة : القوة . وفي الأغاني : نمة . والمية : أول الشباب .

(٣) الدرس : الطريق الخفي . وفي الأغاني : يحلل برسم .

(٤) في الأغاني : جذب البلاد .

(٥) في الأغاني : بكل قبرة ومكان .

الحارث بن خالد^(١)

هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن تخزوم ابن بَقْظَةَ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب . وأمه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام وأُمها بنت أبي جهل بن هشام . وكان جَدُّه العاصُ ابن هشام خَرَجَ مع المشركين يوم بدر فقتله عليُّ بن أبي طالب كَرَّمَ اللهُ وجهه ، لأنه كان قد قامر أبا هُبَ في عَشْرٍ من الإبل فقَمَرَه أبو هُبَ ، ثم في عشر فقمره ثم في عشر فقمره إلى أن خلمه من ماله فلم يبق له شيء . ، فقال له العاص : إني أرى القداح قد خالفتك يا ابن عبد المطلب ، فقال : أقامرك فيما أذكركه ، فأثبنا قَمَرَ كان عبداً لصاحبه ، فقَامَرَآ على أنهما أيهما غَلَبَ استرقَّ صاحِبَه . فقمره أبو هُبَ ففكره أن يسترقه فتنضب بنو تخزوم ، فغشي إليهم وقال : اقتدؤوه مني بمشرة من الإبل ، قالوا : لا والله ولا بِوَبَرَةٍ ، فاسترقَّه ، فكان يرعى إبله ، وقيل : أجلسه قَيْنَا يعمل الحديد إلى أن خرج المشركون إلى بدر ، فكان مَنْ لم يخرج أُخْرِجَ بِدِيلَا ، وكان أبو هُبَ عليلاً ، فأخرج العاص وقعد على أنه إن عاد أعتقه ، فقتله عليُّ رضوان الله عليه يومئذ .

والحارث أحد شعراء قريش المدودين التزليين ، يذهب مذهب مُر بن أبي ربيعة ولا يجاوز النزل إلى مديح ولا هجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ابن عبيد الله ويُشَبِّبُ بها ، وولَّاه عبد الملك بن مروان مَكَّة وكان ذا قَدَرٍ وَخَطَرٍ في قريش .

(١) الأغاني : دار الكتب ٣/٣١١ وانظر ٣١٠ ودار الثقافة ٣/٣٠٧ وانظر ٣٠٥ وبولاق ٣/١١٠ والسامى ٣/١٠٠ والتجريد ٤٢٨ .

وأخوه عكرمة بن خالد المخزومي مُحدث جليل القدر من وجوه التابعين ، روى
عن جماعة من الصحابة ، وله أخ أيضا يقال له عبد الرحمن بن خالد ، وهو القائل :

رَحَلَ الشَّيْبَابُ وَلَيْتَهُ لَمْ يَرَحَلَ	وَمَضَى لَطِيفَةٌ ذَاهِبٌ مُتَحَمِّلٌ ^(١)
وَلَيْ بِلَايٍ ذَمٌّ وَغَادَرٌ بِمَدَّه	شَيْبًا أَقَامَ مَكَانَهُ فِي الْمَنْزِلِ
لَيْتَ الشَّيْبَابَ نَوَى لَدُنَّا حِقْبَةً	قَبْلَ الْمَشِيبِ وَلَيْتَهُ لَمْ يَرَحَلَ
فَنُصِيبَ مَنْ لَدَّائِهِ وَنَمِيبِهِ	كَالْمَهْدِ إِذْ هُوَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

كانت العرب تفضل قريشاً في كل شيء إلا في الشعر ، فلما نجم في قريش عمر
ابن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزومي والمرجى وأبو ذؤيب وعبد الله^(٢) بن قيس
[الرقيات] أقرت لها العرب بالشعر أيضا .

تفاخر مولى لعمر بن أبي ربيعة ومولى للحارث بن خالد بشعرهما ، فقال مولى
الحارث لمولى عمر : دعني منك فإن مولاك لا يعرف المنازل إذا قُلبت ، يعني قول
الحارث :

إِنِّي وَمَا نَحْرُوا غَدَاةً مِنِّي	عند النجارِ تَوَدُّهَا الْعَقْلُ ^(٣)
لَوْ بُدِّلَتْ أَعْلَى مَنَازِلُهَا	سُقِلُوا وَأَصْبَحَ سُقْلُهَا يَمْلُو
فَيُظَلُّ بِمَرْفَعِهَا الْخَبِيرُ بِهَا	فِيرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْحَلُّ ^(٤)
لَمَرَفْتُ مَبْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ	مِنِّي الصَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

فقال له مولى ابن أبي ربيعة : والله ما يحسن مولاك في شعر إلا نُسب إلى مولاي .

(١) العلية : التمدد والتأني . والتحمل : الراحلة .

(٢) في الأغاني : وعبيد الله . وكلمة الرقيات زيادة من الأغاني .

(٣) تَوَدُّهَا : تتقلبها . والعقل جمع عقال .

(٤) الإقواء : الإقار . وفي الأغاني : فيكاد يعرفها الخبير بها .

وكان الحارث يُشبَّب بجاريةٍ لماثئة بنت طلحة يقال لها بشرة^(١)، وكان يكنى عن ذِكْرِ عائشة بهذه الجارية، فمن شعره فيها^(٢):

يَارْبِعَ بَشْرَةَ إِنِ اضْرَبَكَ الْبَيْلَى فَلَقَدْ عَهْدُنْكَ أَهْلًا مَعْمُورًا
أَعْرِفَتْ أَطْلَالَ الرُّسُومِ تَنَكَّرَتْ بَعْدَى وَغَيْرِ آيَةٍ ذُنُورًا^(٣)
إِنْ يُمْسِ حَبْلُكَ بِمَدْطُولٍ تَوَاصَلَ خَلَقًا وَصُصِيحَ يَثْقُكُم مَّهْجُورًا
فَلَقَدْ أَرَانِي وَالْجَدِيدُ إِلَى بَيْلَى زَمَنًا بَوَصْلِكَ رَاضِيًا مَسْرُورًا
جَدَلًا بِمَالِي عِنْدَكُمْ لَا أَتُنِي لِلنَّفْسِ غَيْرِكَ خُلَّةً وَغَيْرًا
كُنْتُ الْمُنَى وَأَعَزَّ مِنْ وَطِيءِ الْحَمَا عِنْدِي وَكُنْتُ بِذَلِكَ مِنْكَ جَدِيرًا

قال الهيثم بن عدي: دخل أشعبُ مسجدَ النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل يطوف الحِجْلَى، فقيل له: ما تريد؟ قال: أَسْتَفْتِي في مسألة، فبينما هو كذلك إذ مرَّ رجل من ولد الزبير وهو مستند إلى سارية، وبين يديه رجل عُلَوِيٌّ، فخرج أشعب مبادرًا، فقيل له: أوجدت من أفتاك في مسألتك؟ قال: لا، ولكن علمت ما هو خير منها. قيل: وما ذاك؟ قال: وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد:

قَدْ بَدَّلَتْ أَهْلِي مَنَازِلَهَا سُقُفًا وَأَصْبَحَ سُفُلُهَا يَمْلُو

رأيت رجلا من بني الزبير جالسا في الصدر، ورجلا من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام جالسا بين يديه، فكفاني هذا عجبا وانصرفت.

قال: وبنو غزوم كلهم زُبَيْرِيَّةٌ سوى الحارث بن خالد فإنه مَرْوَانِي.

(١) ذكر في الأغاني: «بشرة» وانظر المجلد ١٧ / ٨ تحقيق.

(٢) في ترجمته في الأغاني يختلف الترتيب.

(٣) في الأغاني: ويدل آيه.

ولما ولي عبدُ الملك الخلافةَ حجَّ ، فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت منه جفوة ، وأقام بيابه شهرا لا يصل إليه ، فلما انصرف عنه قال فيه :
 حُبُّكَ إِذْ عِنَى عَلَيْهَا عِشَاوَةً فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتَ نَفْسِي أَوْمَهَا
 وَمَا بِي إِذَا أَقْصَيْتَنِي مِنْ ضَرَامَةٍ وَلَا افْتَقَرْتُ نَفْسِي إِلَى مَنْ يَضِيْمُهَا

وبلغ عبدُ الملك خبره ، فأرسل إليه من رده ، فلما دخل عليه قال له : أخبرني عنك ، هل رأيت عليك في المقام بيابي غَضاضة أو في قصدي دناءة ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : فما حملك على ما قلت ؟ قال : جفوةٌ ظهرت لي كنتُ حقيقا بغيرها . قال : فاختَرْتُ إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتُكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، أَوْ قَضَيْتُ عَنْكَ دِينَكَ ، أَوْ وَلَيْتُكَ مَكَّةَ ، قال : بَلْ تَوَلَّيْنِي مَكَّةَ ، فَوَلَّاهُ إِيَّاهَا ، فَحَجَّ بِالنَّاسِ وَحَجَّتْ^(١) عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ يَوْمَئِذٍ وَكَانَ يَهْوَاهَا ، وَخَرَجَ الْحَارِثُ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ هَائِشَةُ : إِنَّهُ قَدْ بَقِيَ عَلَيَّ مِنْ طَوَافِي شَيْءٍ لَمْ أَتِمِّهِ فَأَخَّرُ الصَّلَاةَ حَتَّى أَفْرَغَ مِنْ طَوَافِي فَقَمِدَ وَأَمَرَ الْمُؤَذِّنِينَ فَكَفَّوْا عَنِ الْإِقَامَةِ حَتَّى فَرَّغَتْ مِنْ طَوَافِهَا وَجَعَلَ النَّاسُ يَضْجُونَ وَيَصِيحُونَ ، فَلَا وَاللَّهِ مَا قَامَ حَتَّى فَرَّغَتْ ثُمَّ أَقِيَمَتِ الصَّلَاةُ وَصَلَّى بِالنَّاسِ ، فَأَنْكَرَ أَهْلُ الْمَوْسِمِ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ وَأَعْظَمُوهُ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَفَزَلَهُ ، وَوَلَّى مَكَّةَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَالِدِ بْنِ أَسِيدٍ ، وَكَتَبَ إِلَى الْحَارِثِ : وَيْلَكَ ، أَتَرَكْتَ الصَّلَاةَ لِعَائِشَةَ ؟ فَقَالَ الْحَارِثُ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَقْضِ طَوَافِي إِلَى الْفَجْرِ لَمَا كَبَّرْتُ . وَقَالَ : مَا أَهْوَنَ غَضَبُهُ عَلَيَّ إِذَا رَضِيتُ عَائِشَةَ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

أَنْتَ لَ جُسُودِي عَلَى التَّيْمِ أَنْتَ لَا تَزِيدِي فُؤَادَهُ أَنْتَ خَبَلَا
 أَنْتَ لِي وَالْإِقْصَاتِ بِجَمْعٍ يَتْبَارِئِينَ فِي الْأَرْزَةِ فُتْلَا^(٢)

(١) جاء هذا الخبر في الأغاني بروايتين وفق بينهما ابن منظور وذلك في ص ٣١٧ و ص ٣٣٩ .

(٢) في الأغاني : بك خبلا .

(٣) قتل جهم فحلاه : وهي الناقة الثقيلة المتأطرة الرجلين .

سَامِحَاتٍ يَقْطَعْنَ مِنْ عَرَفَاتٍ بَيْنَ أَيْدِي الْمَطِيِّ حَزَنًا وَسَهْلًا
 وَالْأَكْفُ الْمَطَهَّرَاتِ عَلَى الرُّكُ نَزَلِشْعَثٍ سَعَوْا إِلَى الْبَيْتِ رَجُلًا^(١)
 لَا أَخُوهُ الصَّدِيقَ فِي السَّرِّ حَتَّى يُنْقَلُ الْبَحْرُ فِي الْفَرَايِلِ قَلًا^(٢)
 أَنْهُمْ اللَّهُ لِي بِذَا الْوَجْهِ عَيْنًا وَبِهِ مَرْجَبًا وَأَهْلًا وَسَهْلًا
 حِينَ قَالَتْ لَا تُفَشِّينَ حَدِيثِي يَا ابْنَ عَمِّي أَفَدَيْكَ قُلْتُ أَجَلًا^(٣)
 لَا تَصُدِّي فَتَقْتُلِينِي ظُلْمًا لَيْسَ قَتْلُ الْمُحِبِّ لِلْحَبِّ حِلًّا
 أَتَى اللَّهَ وَأَقْبَلِي الْمُسْدَرَ مَنِي وَتَجَانَّى مِنْ بَعْضِ مَا كَانَ زَلًا
 مَا أَكُنْ سَوْئَكُمْ بِهِ فَلَكِ الْمَنَّةُ سَيِّ لَدِينَا وَحَقٌّ ذَاكَ وَقَلًا
 لَمْ أُرْحَبْ بِأَنْ سَخِطْتَ وَلَكِنْ مَرْجَبًا إِنْ رَضِيتَ عَنِّي وَأَهْلًا
 جَلَّ اللَّهُ كُلُّ أَتَى رِفْدَاءَ لَكَ بَلْ خَدَّهَا لِرَجْلِكَ نَمَلًا
 إِنْ وَجْهًا رَأَيْتَهُ لِمِلَّةِ الْبَدَنِ رِ عَلَيْهِ أَرَسَى الْجَمَالَ وَحَلًا^(٤)
 وَجْهَهَا الْوَجْهَ لَوْ سَأَلْتُ بِهِ الْمَرْ نَ مِنْ الْحُسْنِ وَالْجَمَالَ اسْتَهْلًا
 إِنْ عِنْدَ الطَّوَائِفِ حِينَ أَتَيْتَهُ لَجَمَالًا فَمَمَّا وَخَلَقًا رِفْلًا^(٥)
 وَكُسَيْنِ الْجَمَالَ إِنْ غَيْنَ عَنْهَا وَإِذَا مَا بَدَتْ لَهْنٌ اِضْمَحَلًا

وكان الحادث أرسل إليها : إني أريد السلام عليك فألحى بنا ، أوعدينا مجلسا
 نتحدث فيه وإن خفَّ عليك أنيت . وكان الرسولُ التريضُ ، فأرسلت إليه :
 أنا حرُّمٌ ، فإذا حللنا آذناك ، فلما حلت خرجت من ليثها سِرًّا على بفلتها ،

(١) الرجل : للماشون على أرجلهم ، جمع رجلان . وفي الأغاني : والأكف للمضمرات .

(٢) يده في الأغاني بيت .

(٣) في الأغاني : يا ابن عمي أقسمت قلت أجل لا .

(٤) في الأغاني : أثنى الجمال .

(٥) النعم : المتلى . والرقل : الكثير اللحم . وضبطت في الأغاني « مُخَلَّتَا » بضم الخاء .

ولِحِقِهَا التَّرِيضُ يُسْتَفَانُ أَوْ قَرِيبٍ مِنْهُ وَمَعَهُ كِتَابُ الْحَارِثِ إِلَيْهَا وَفِيهِ :
 مَاغَرَّكُمْ لَوْ قُلْتُمْ سَدَدًا إِنَّ الطَّيَّابَ عَاجِلٌ غَدَا
 وَلَهَا عَلَيْنَا نِعْمَةٌ سَلَفَتْ لَسْنَا عَلَى الْآيَّامِ نَجْعِدُهَا
 لَوْ تَمَمَّتْ أَسْبَابُ نِعْمَتِهَا تَمَّتْ بِذَلِكَ عِدْدَانَا يَدُهَا

فلما قرأت الكتاب قالت : ما يدع الحارث باطله ثم قالت للغريص : هل أحدثت شيئاً ؟ قال : نعم ، فاسمعي . ثم اندفع يعني في هذا الشعر ، فقالت عائشة : والله ما قلنا إلا سَدَدًا ولا أردنا إلا أن نَشْتَرِيَ لِسَانَهُ . واستحسن غنائه وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب وقالت : زِدْنِي ، ففسي في قول الحارث فيها :

زَعَمُوا بَأْنَ الْبَيِّنِ بَعْدَ غَدٍ فَالْقَلْبُ مِمَّا أَحْدَثُوا يَحِيفُ
 وَالْمَيِّنُ مِنْذُ أَجَدَّ يَبْلُهُمْ مِثْلُ الْجَانِ دُمُوعُهَا تَكِفُ
 تَشْكُو وَتَشْكُو مَا أَشْتَ بِنَا كُلُّ يَوْشَكِ الْبَيِّنِ مُعْتَرِفُ
 وَمَقَالِهَا وَدُمُوعُهَا سُجْمٌ أَقْلِلْ حَتَيْنِكَ حِينَ نَنْصَرِفُ

فقالت له عائشة : يا غريص ، بحق عليك أهو أمرك أن تُنَبِّئَنِي فِي هَذَا الشَّعْرِ ؟ قال : لا ، وحياتك ياسيدي ، فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت : غنني في شعرٍ غيره . ففناها في شعرٍ عُمر بن أبي ربيعة :

أَجَمَّتْ خُبْلَتِي مَعَ الْفَجْرِ بَيْنًا جَلَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْوَجْهَ زَيْنًا
 أَجَمَّتْ بَيْنَهَا وَلَمْ نَكُ مِنْهَا لَذَّةَ الْعَيْشِ وَالشَّبابِ قَصِينًا
 فَتَوَلَّتْ حُمُولُهَا وَاسْتَقَلَّتْ لَمْ نَنْلُ طَائِلًا وَلَمْ نَقْصُ دَيْنًا
 وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ مَكَّةَ لَنَا أُرْسَلَتْ نَقْرًا السَّلَامُ عَلَيْنَا
 أَنْعَمَ اللَّهُ بِالرَّسُولِ الَّذِي أُرْ سَلَ وَالرُّسُلِ الرِّسَالَةَ عَيْنًا

فضحكت ثم قالت : وأنت يا غريص فأَنعَمَ اللَّهُ بِكَ هِينًا وَأَنعَمَ بَابِنِ ابْنِ ربيعة هِينًا . لقد تَلَطَّفْتُ حَتَّى أَدْبَيْتُ إِلَيْنَا رِسَالَتَهُ ، وَإِنْ وَفَّاءُكَ لَهُ لِمِمَّا يَزِيدُنَا رَغْبَةً فِيكَ وَثِقَةً بِكَ .

وقد كان عمرُ سؤالِ الفَرِيضِ أن يُعَيِّنَها هذا الصوت ، لأنه كان قد ترك ذِكْرَها لما غَضِبَتْ بنو تَيْمٍ من ذلك ، فلم يُحِبِّ التصريحَ بها وكره إغفال ذِكْرِها ، فقال له عمر : إن بَلَّغْتَها هذه الأبياتَ فلكَ خمسةُ آلافِ درهمٍ ، فوفى له بها . وأمرت له عائشةُ بخمسةِ آلافِ درهمٍ أخرى ، ثم انصرف الفَرِيضُ من عندها فلقى عائِكةَ بنتَ يزيدِ ابنِ معاويةِ امرأةَ عبد الملكِ بنِ مروان ، وقد كانت حَجَّتْ تلكَ السنة ، فقالت لها جَواريها : هذا الفَرِيضُ ، فقالت لمن : علىَّ به ، فجئني به . قال الفَرِيضُ : فلما دخلتُ سَلَّمْتُ ، فردَّتْ عليَّ السَّلامَ وسألَتني عن الخبرِ فقصصته عليها ، فقالت : غَنَّيَ ما غَنَيْتَها به ، ففعلت ، فلم أرَها تَهَشُّ لذلك ، ففَنَيْتُها مُعَرَّضًا بها ومُدَّ كَرًّا بنفسِي في شعرِ مُرَّةِ بنِ مُحَكَّانِ السَّعْدِيِّ يُخاطبُ امرأته وقد نزل به أُمَيَّان :

أقولُ والضيْفُ مَخْشَى ذِمَّامَتُهُ	على الكريمِ وحقُّ الضيفِ قد وَجِبَا
ياربَّةَ القومِ قومي غيرَ صاغرةٍ	صُمِّيَ إليك رجالَ القومِ والقربا ^(١)
في ليلَةٍ من جُمادَى ذاتِ أُندِيَّةِ ^(٢)	لا يُبْصِرُ الكَلْبُ في ظلماتِها الطُّنْبَا
لا يَبْصِحُ الكَلْبُ فيها غيرَ واحدةٍ	حتى يَلْفَ على خَيْشومِهِ الدُّنْبَا

فقالت وهي متبسمة : نعم قد وجبَ حقُّك علينا فنُنِّي . فننيتها :

يا دهرُ قد أكَثَرْتَ فَجَمَعْتَنَا	بِسرَاتِنَا وَوَقَرْتَ في المَظْمَرِ ^(٣)
وسَلَبْتَنَا ما لَسْتَ مُخْلِيفُهُ	يا دهرُ ما أَنْصَفْتَ في الحُكْمِ
لو كَانَتْ لي قِرْنٌ أَناضِلُهُ	ما طاشَ عِنْدَ حَفِظَتِهِ سَهْمِي

(١) الغرب : أجنان السيوف واحدها قربا ، هكذا شرحها المرزبان في معجم الشعراء تحقيق ص ٢٩٥ - ٢٩٦ وضبطت في الأغاني : والقربا « بكسر القاف وفتح الراء » تحقيق دار الكتب
هنا وفي الأغاني ومعجم الشعراء : ياربة البيت قومي .
(٢) جمادى يراد به الشتاء وأندية جمع ندى .
(٣) وقرت : صدعت .

أو كان يُعْطَى النِّصْفَ قُلْتُ لَهُ أَحْرَزْتَ سَهْمَكَ فَالَهُ عَنْ قِسْمِي^(١)
 فقالت: نعمطيك النصف فلا يطيش^(٢) سهمك عندنا ونجزلك قسمك، وأمرت له
 بخمسة آلاف درهم وثياب عدنية وغير ذلك من الألفاف . قال النريض : فأثيت
 الحارث بن خالد فأخبرته الخبر ، وقصصت عليه القصة ، فأمر لي بمثل ما أمرتني إلى
 جميعا ، وأثيت ابن أبي ربيعة فأخبرته بما جرى فأمر لي بمثل ذلك ، فما انصرف أحد
 من الموسم بمثل الذي انصرفت به من المال ومن نظرة من عائشة ومن نظرة من
 عائكة وما أجل نساء عالمها ، وبما نلت منهما ، وبالنزلة عند الحارث وهو أمير
 مكة ، وبالنزلة عند ابن أبي ربيعة .

لما تزوج مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة ورحل بها إلى المراق قال الحارث
 ابن خالد في ذلك :

ظننَ الأميرُ بأحسنِ الخلقِ	وعَدَا بلبُّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
فظَلَّتْ كالْقَمُورِ مُهْجَتُهُ ^(٣)	هَذَا الجُنُونُ وَلَيْسَ بِالعِشْقِ
أُتْرُجَةُ عَيْقِ العَبِيرِ ههـ	عَبَقَ الدَّهَانِ بِجَانِبِ الحَقِّ
فِي البَيْتِ ذِي الحَسَبِ الرَفِيعِ وَمِنْ	أَهْلِ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالصَّدْقِ
مَا صَبَّحَتْ أَحَدًا بِرؤْيَيْهَا	إِلَّا عَدَا بِكَوَاكِبِ الطَّلُقِ ^(٤)

لما تولى الحارث بن خالد مكة قال للنريض : لا أرينك في عملي ، وقد كان قبل
 ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه ، فخرج النريض إلى ناحية الطائف فبلغ ذلك الحارث

(١) النصف مثلثة النون مع سكون الصاد: الإنصاف . وفي الأغاني: أحرزت سهمك فآله عن سهمي .

(٢) في الأغاني : ولا تضغ .

(٣) في الأغاني : كالقهور مهجة .

(٤) الطلق : للمرق ويريد كواكب السعود والإشراق .

فردّه ورقّ له وقال له : لم كنت تُبغضنا وتهجرنا ولا تقربنا ولا تقبى فى شعرنا ؟ فقال
الغريض : كانت هفوة من هفوات النفس وخطرة من خطرات الشيطان ، ومثلك
من وهب الذنب وصنح عن الجرم وأقال العثرة وغفر الزلّة ، ولست بمائد إلى ذلك
أبدا . قال : ففנית فى شيء من شعرى ؟ قال : نعم ، فى ثلاثة أصوات من شرك ،
قال : هات ما غنيت به . فنناه :

بان الخليطُ فما عاجوا ولا عدّوا إذ ودّعوك وحَبَّتْ بالهوى الإبل^(١)
كأنّ فيهمُ عداةَ البينِ إذ رحلوا آدماء طاع لها الخوذانُ والنفل^(٢)
فقال له : أحسنت والله هات ما غنيت فيه أيضا من شعرى ، فنناه :
ومضمّر الكشح يطوره الضجيجُ له

طىّ الحماله لا جافٍ ولا نفر^(٣)
لها شيهانٍ لا نقصٌ يبعيها بحيث كانا ولا طولٌ ولا قصر^(٤)
فقال له الحارث : أحسنت والله يا غريض ، إيه وماذا أيضا افنناه :
عَفَّت الدَّيَارُ فابها أهلُ حِرَانُها ودِمَائُها السَّهلُ^(٥)
إنى وما نحروا غداة مئى عندَ الجَمَارِ يؤودُها الثُّفلُ
لو بُدِّلَتْ أعلى منازلها سُفْلًا وأصبح سُفْلُها يملو
فيظلُّ يعرفُها الخبيرُ بها فيردُّه الإقواءُ والثَّحْلُ
لرَفَّتْ مَغْنَاهَا لِمَا احْتَمَلَتْ منى الضُّلُوعُ لأهلها قَبْلُ

(١) فى الأغاني : وحتت بالنوى الإبل . وفى نسخة منه : وراحت بالدى .

(٢) الأدماء : الظبية البيضاء . وطاع : اتبع . والخوذان والنفل : نيتان

(٣) فى الأغاني : بيت قبل البيت .

(٤) الحماله : علاقة السيوف . وفى الأغاني : لا جاف ولا نفر .

(٥) فى الأغاني : له شيهان .

(٦) الحزان : المواضع من الأرض كثرت حجارتها . والدماء : السهول من الأرض .

فقال له الحارث يا غريض ، لا لوم في حُبكِ ، ولا عُذْر في هرك ، ولا لَذَّةَ
لِمَنْ لم يَرْوَحْ قَلْبَهُ بِكَ ، ولو لم يكن في ولايتي مَكَّةَ حَظًّا إِلَّا أَنْتَ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ حَظًّا
وافيا يا غريض . إنما الدنيا زينة ، فَأَزِينُ الزينةَ ما فَرَّحَ النفسَ ، ولقد فَهِمَ قَدَرُ الدنيا
على حقيقتها مَنْ فَهِمَ قَدَرُ الفناء .

كانت سوداء بالمدينة مشفوفةً بشعر عمر بن أبي ربيعة ، وكانت من مولدات مكة
فلما ورد على أهل المدينة نَعْيُ عمر بن أبي ربيعة أَكْبَرُوا ذلك واشتدَّ عليهم ، وكانت
السوداء أشدَّهم حزنًا ، فجعلت لا تمرُّ بِسَكَّةٍ من سِكَكِ المدينة إِلَّا نَدَبَتْهُ ، فلقبها
بعض فتيان مكة فقال لها : خَفَضِي عليك ، فقد نشأ ابنُ عمٍ له يشبه شعرهُ شِعْرَهُ ،
فقلت : أنشدني بمضنه ، فَأَنشدها قول الحارث :

إِنِّي وَمَا نَحْرُوا غَدَاةَ مِئْنَى عِنْدَ الْجَمَارِ يُوْثِدُهَا الْعُقْلُ
قال : فجعلت تَمَسُّحُ عَيْنَيْهَا مِنَ الدَّمْعِ وتقول : الحمد لله الذي لم يُضَيِّعْ حَرَمَهُ .
لما مات عُمر بن عبد الله التيمي عن عائشة بنت طلحة ، وكانت قبله عند مصعب
ابن الزبير ، قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك من طلبها الآن ؟ قال : والله لا يتحدث
رجالُ قريش أبداً أَنْ تَشْبِي بِهَا كَانَ لشيءٍ من الباطل .

لما خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان اشتغل به عن أَنْ يُؤَلَّى على الحج
رجلا ، وكان الحارث بن خالد عامله على مكة ، وكان أبان بن عثمان عامله على المدينة ،
وكان أبان ربما جاءه كتاب من الخليفة أَنْ يصلي بالناس وبقيم لهم حجَّتهم ، فتأخَّرَ
كتاباه عنه أيضا في تلك السنة ، فلما حضر الموسم شخص أبان من المدينة ، وقدم
على الحارث ليحجَّ بالناس ، وعاوناه بنو أمية ومواليهم ، فنازله الحارث وقال له :
لم يَأْتِنِي كتابُ أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم ، وتغالبا فغلبه أبان بنسبه وعين معه ،
ومال إليه الناس فصحَّ بهم ، فقال فيه الحارث :

فإن تنج منها يا أبان مسلماً فقد أفلت الحجاج خيل شبيب^(١)
وكاد غداة الدّير يُنفذ حصنه غلام بطن القرني جد طيب^(٢)
وأنسوه وصف الدّير لا رآهم وحسن خوف الموت كل معيب

فبلغ ذلك الحجاج فقال : مالى وللحارث ! ينازعه أبان وينتبه على الصلاة ويهتف بي أنا ، ما ذكركه لى^(٣) ؟ فقال الحارث : ما عتمدت مساءته ، ولكن بلغني أنه كاتبه . فقال : والله ما فعلت . فقال الحارث : فالعذرة إلى الله وإلى أبي محمد . وقيل : إن عبيد بن موهب قال للحجاج : أأأذن لى فى إجابته وهجائه ؟ قال : نعم ، فقال :

أبا وإبصر ركب علائك والتيس مكاسبها إن اللثيم كسوب^(٤)
ولا تدكر الحجاج إلا بالصالح فقد عشت من معروفه يدنوب^(٥)
ولست بوال ما حيت إمارة لمستخلف إلا عليك رقيب

كانت أم عبد الملك بن عبد الله بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد ، فولدت منه فاطمة بنت الحارث وكانت قبله عند عبد الله بن مطيع ، فولدت منه عمران ومحمدا ، فقال فيها الحارث وكناها بابنها عمران :

بان الخليط الذى كُناه نثق بانوا وقلبك مخبول بهم عليق
بأم عمران ما زالت وما برحت بنى الصبابة حتى شفى الفرق^(٦)

(١) ضبطت فى ك برفع « الحجاج » ونصب « خيل » .

(٢) بريد بالدير : دير الجاجم . وكانت الوقعة بين ابن الأشعث والحجاج .

(٣) فى الأغاني : ما ذكره لى .

(٤) العلاء : يراد بها الناقة .

(٥) فى البيت إقواء . والذنوب : الخط والصيب .

(٦) فى الأغاني : شفى الشفق .

القلبُ ناقٍ إليكم كى يُلاقيكم كما يتوقُ إلى منجاةهِ التَّرقُ
تُيسلُ نَزْراً يَسيراً وهى مُشْفِقةٌ كما يخافُ مَسِيسَ الحَيَّةِ التَّرقُ
لا اعتق الله قلبى من صبايتكم ضارُّه أنه صَبَّ بكم فلقى^(١)
فأنشد رجلٌ يوماً هذه الأبيات بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مطيع ثم
فطن فأمسك ، فقال له : لا بأس عليك ، امضِ رحلك الله . رجلٌ تزوج ابنة عمه
وكان لها كُفواً كريماً ، فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ فكان ماذا .

لما طافت ليلى بنت أبى مرة بن عروة بن مسمود - وأُمها ميمونة بنت أبى سفيان
ابن حرب - بالكعبة رآها الحارث بن خالد فقال :

أطافت بنا شمسُ النهار ومن رأى من الناس شمساً بالعِشاء تطوفُ
أبو أمها أَرْنَى قرينىَ بَدِمْسَ وأُمها ما سألتَ ثَقِيفُ
وفى ليلى هذه يقول الحارث بن خالد أيضاً :
لقد أرسلتُ فى السرِّ كَيْلى تَلُومى وتزعمنى ذَا مَلَلٍ طَرَفًا جَلَدًا^(٢)
وقد أخلفتنا كلَّ ما وعدتْ به والله ما أخلفتها هابِداً وَعَدَا
فقلتُ مُجِيباً للرسول الذى آتى نَرَاهُ ، لك الويلاتُ مِن قولها جَدَا
إذا جِئْتها فاقَرِّ السلامَ وقلْ لها

دَعِ الجُورَ ليلى واسلكى مَسَلَكاً قَصِداً
أفِ مُكْنِئنا عنكم لِيَالِي مَرَضَتُما تَزِيدِنِى كَيْلى على مَرَضَى جَهْدَا
تَعُدِّينَ ذَنْباً واحداً أنْ جَنَيْتُهُ^(٣) على وما أَحْصَى ذُنُوبَكُم عَدَا
فإن شئتِ حرِّمْتُ النساءِ سِوَاكُم وإن شئتِ لم أطمعْ تَقَاخاً ولا بَرْدًا^(٤)

(١) فى الأغاني : ما ضرتنى آتى صب .

(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب .

(٣) فى الأغاني : ما جنيتُهُ .

(٤) التقاق : إلقاء البارد . وبعده فى الأغاني بيت .

قال عبد الملك بن مروان للحارث بن خالد : أى البلاد أحب إليك ؟ قال :
ما حَسُنَتْ فيه حالى وعَرَضَ لى ، ثم أنشد :
لا كُوفَةً أُمى ولا بَصْرَةَ أبى ^(١)
ولست كَمَنْ يَبْنِيهِ عن وَجْهِهِ الكَسَلُ

كان الحارث تزوج ^(٢) مُحَمَّدة بنت النعمان بن بشير بدمشق لما قدم على عبد الملك
ابن مروان ، فقالت فيه :

فقدتُ الشيوخَ وأشياهمْ	وذلك من بعض أقوالِية
ترى زوجةَ الشيخِ مَمْنُومَةً	وَتُوسِي لصُحبته قَالِيَةً
نكحتُ اللدِّيَّ إذ جاءنى	فيا لك من نَكْحَةٍ غَاوِيَةٍ
كهولُ دِمَشْقٍ وشُبَّانها	أحبُّ إلينا من الجَالِيَةِ ^(٣)
سُنانٌ لهم كسُنانِ الثيو	سِ أَعْيَا على السِّكِّ والقَالِيَةِ
وقلُّ يدبُّ ديبَ الجرادِ	أكاريسَ أَعْيَا على القَالِيَةِ

فأجابها الحارث :

قاطناتِ الحِجُونِ أشهى إلى القلِّ
ب من السَّاكِناتِ دُورَ دِمَشْقٍ
يَقْضُوْنَ لو تَضَمَّنَ بالـ
لِكَ صُنَانًا كأنه رِيحُ صَرْقٍ

(١) فى أول البيت خرم وهو سقوط حركة فى أوله .

(٢) هذا النس لم يرد فى ترجمة الحارث بن خالد فى ج ٣ وإنما جاء فى ج ٩ / ٢١٨ حاز
الثقافة وج ٩ / دار الكتب وج ١٣٢ / ٨ بولاق وج ٨ / السامى ونقص هناك بيتان عماف المختار
وانظر أيضا المجلد السادس عشر دار الثقافة ص ٢٠ فى ترجمة النعمان بن بشير؛ فقد أورد الخبر
ويصح أن يكون عنوانا باسم حميدة بنت النعمان بن بشير .

(٣) الجالية: تريبهم أهل الحجاز؛ كان أهل الشام يسمونهم بذلك لأنهم كانوا يجلون عن بلادهم
إلى الشام .

فطلقها الحارث تغلف عليها رَوْحُ بن زِنْبَاع ، وبلغ عبدُ الملك قولها فقال : لولا
أنها قدَّمت الكُمُولَ على الشباب في شعرها لما قبَّتها ، ونظر إليها روح بن زنباع يوما
وهي تنظر إلى قومه جُدَام وقد اجتمعوا عنده ، فلامها فقالت : وهل أرى إلَّا جُدَاما !
والله ما أحبُّ الحلالَ منهم فكيف الحرام ؟ وقالت تهجوه :

بِكِي الْخُرْ مِنْ رَوْحٍ وَأَنْكَرِ جِلْدَهُ وَعَجَبْتُ عَجِيجًا مِنْ جُدَامِ الْمَطَارِفِ
وقال العَبَّاءُ قد كنتُ حينًا لِبَاسَهُمْ وَأَكْسِيَهُ كُرْدِيَّةً وَقَطَائِفُ

فقال روح :

إِنْ تَبَّكَ مِنْ تَبَّكَ مَنْ يُهَيِّنُهَا وَإِنْ تَهَوَّاكُمْ تَهَوَّ اللَّثَامُ الْقَارِفُ

وقال روح :

أُثْنِي عَلَىَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي أَثْنِي عَلَيْكَ بِشَيْءٍ خَشَوُ الْمَنْطِقِ

فقالت :

أُثْنِي عَلَيْكَ بِأَنَّ بَاعَكَ ضَيِّقُ وَبِأَنَّ أَمْلَكَ فِي جُدَامٍ مُلْصِقُ

فقال روح :

أُثْنِي عَلَىَّ بِمَا عَلِمْتَ فَإِنِّي مُثْنٍ عَلَيْكَ بِمَثَلِ رِيحِ الْجَوَرِبِ

فقالت :

فَتَنَاوَنَّا شَرُّ الثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ أَسْوَأَ وَأَنْتُمْ مِنْ سُلَاحِ الثَّمَلِبِ

وقالت :

وهل أنا إلَّا مُهْرَةٌ عَرَبِيَّةٌ سَلِيمَةٌ أَفْرَاسٍ تَجَلَّلَهَا بَنْلُ
فإن نَتَجَّتْ مُهْرًا كَرِيمًا فَبِالْحَرَى وَإِنْ تَكُ أَفْرَافًا فَا أَجِبِ النَّحْلُ^(١)

(١) في الأغاني : وإن بك إفراف .

فقال روح :

فما بال مهرٍ رائحٍ عَرَصَتْ له أَنَا نَ فَيَا لَتَ عِنْدَ جَحْفَلَةِ الْبَيْلِ
إِذَا هُوَ وَلَّى جَانِبَا أَرْبَحَتْ له كَأَلْ رَحَتْ قَرَاهُ فِي دَمِ سَهْلٍ ^(١)

وكان الحارث يخطب أمة الملك بنت عبيد الله بن خالد بن أسيد وعبد الله بن مطيع يخطبها ، فتزوجها عبد الله ثم طلقها أو مات عنها ، فتزوجها الحارث بدمه ، وكان لمحبة أخت يقال لها عمرة وكانت تحت المختار بن أبي عبيد ، فأخذها مصعب بدم قتله المختار ، وأخذ امرأته الأخرى وهي ابنة سمرة بن جندب ، فأمرها بالبراءة من المختار ، فأما بنت سمرة بن جندب فبرئت منه ، وأبت ذلك عمرة ، فكتب بذلك مصعب إلى أخيه عبد الله ، فكتب إليه : إن أبت تبرأ منه فاقطعها . فأبت ، فحفر لها حفرة وأقيمت فيها فقتلت ، فقال عمر بن أبي ربيعة ^(٢) :

إِن مِّنْ أَحْجَبِ الْمَجَانِبِ عِنْدِي قَتَلْتُ بِيضَاءَ حُرَّةٍ عَطْبُولٍ ^(٣)
قُتِلَتْ حُرَّةٌ عَلَى غَيْرِ جُرْمٍ إِنْ لَّهْ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرُّ الدُّيُولِ

وقالت عمرة لأخيها أبان بن النعمان الذي زوجها من روح :

أطال الله سأمك من غلامٍ ^(٤) متى كانت منا كحنا جُذَامُ
أترضى بالفراسن والدُّنَابِي ^(٥) وقد كنا يقرُّ لنا السنامُ

(١) «أرحت» تكون من رحت : أى استرخت . والقمراء : البيضاء . والدمث : النسل وفى الأغاني : رحت له كما رحت ... فى دمس سهل .

(٢) فى المختار : عمر بن عبد العزيز . وصحح بهامشك ومثله الأغاني صواب عمر بن أبي ربيعة .

(٣) الطبول : المرأة الفتية .

(٤) السام جمع سامة : وهى الخيزابة والسام أيضا الموت . وفى الأغاني : أطال الله شأوك . وفى المجلد ١٦ / ٢١ نسب الشعر لمحبة وروايه : أطال الله حلقك .

(٥) الفرسن : طرف خنجر البيروجه فراسن . وفى صلبك « بالنام » وبهاش « بالفراسن » وفى الأغاني : أترضى بالأكراع والدُّنَابِي .

وينهما أقاويل كثيرة ، فما قالت لروح :

تُكَلِّلُ عَيْنِيكَ بَرْدَ الْمَاءِ كَأَنَّكَ مُوسَى زَانِيَةٌ
وَأَيُّ ذَلِكَ بِمَدِّ الْخُفُوقِ تُنْفِئُ رَأْسَكَ بِالْغَالِيَةِ
فَإِنْ بَيْنَكَ لِرَيْبِ الزَّمَا نِ أَمْسَتْ رِقَابَهُمْ خَالِيَةٌ
فَلَوْ كَانَ أَوْسٌ لَهُمْ شَاهِدًا^(١) لَقَالَ لَهُمْ إِنَّ ذَا مَا لِيَةِ

أوس من جذام كان يقال : إنه استودع رَوْحًا مَالًا فَلَمْ يَرُدُّهُ عَلَيْهِ فَقَالَ رُوح :

وإِنْ يَكُنِ الْخُلُوعُ مِنَ الْكُفْرِ فَلَيْسَ الْخُلَاعَةُ مِنْ بَالِيَةٍ
وإِنْ كَانَ مَنْ قَد مَضَى مِثْلَكُمْ فَأَقْبِرْ وَتَفِ عَلَى اللَّأْثِيَةِ
وَمَا إِنْ يَرَى اللَّهُ فَاسْتَيْفِنِي مِنْ ذَاتِ بَلْمٍ وَلَا جَارِيَةٍ
شَبِيهَا بِكَ الْيَوْمَ فِيمَنْ بَقِيَ وَلَا كَانَ فِي الْأَعْصُرِ الْخَالِيَةِ
فَبُئِدَا لِمَحْيَاكِ إِيَّامَا حَيِّدٍ مِثْ وَبُئِدَا لِأَمْظَمِكِ الْبَالِيَةِ

وقال رَوْحٌ فِي بَعْضِ مَا يَتَنَازَعَانِ فِيهِ : اللَّهُمَّ إِنْ بَقِيتَ بَعْدِي فَأَبْقِلْهَا بِبَلْمٍ يَلْطِمُ
وَجْهَهَا وَيَعْلَأُ حِجْرَهَا قَيْثًا . فَمَرَّوْجَهَا بَعْدَهُ الْقَيْضُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ ، وَكَانَ شَابًّا
جَمِيلًا يَصِيبُ مِنَ الشَّرَابِ فَأُحْبَتَهُ ، وَكَانَ رِيْمَا سَكْرَ فَلَطَمَهَا وَبَقِيَ فِي حِجْرَهَا فَتَقُولُ : رَحِمَ
اللَّهُ أَبَا زُرْعَةَ ، قَدْ أَجَبَيْتَ فِي دَعْوَتِهِ . وَقَالَتْ فِي الْقَيْضِ :

سُمِّيتَ قَيْضًا وَمَا شَيْءٌ تَقْيِضُ بِهِ إِلَّا بِخَرْمِكَ بَيْنَ الْبَابِ وَالْدَارِ^(٢)
فَكَانَ دَعْوَةَ رَوْحٍ الْخَلِيرِ أَعْرَفَهَا سَقَى الْإِلَهَ صِدَّاءُ الْأَوْطَفِ السَّارَى^(٣)

(١) فِي الْخِتَارِ : لَهُ شَاهِدًا .

(٢) فِي الْأَغَانِي : إِذَا مَا حَيَّتْ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : لِإِسْلَاحِكَ .

(٤) سَعَابُ أَوْطَفِ : دَانَتْ مِنَ الْأَرْضِ .

وقالت فيه أيضا :

ألا يا فيضُ كنتُ أراكُ فيضًا فلا فيضًا وجدتُ ولا قرأتا

وقالت فيه :

وليس فيضٌ بفيضِ العطاء لنا لكنَّ فيضًا لنا بالقى فيضُ
ليثُ الليوثِ علينا باسلُ شرسُ وفي الحروبِ هبوبُ الصدرِ جياضُ^(١)
وتمثلُ الفيضُ يوما بهذا البيت :

إن كنتِ ساقيةً يوماً على كَرَمٍ صفو المدامةِ فاستقيها بنى قطنِ
وتحركِ فضرطِ ، فقالت له : واسقِ هذه أيضا بنى قطنِ .

وولدت من الفيض ابنةً فتزوجها الحجاجُ بن يوسف ، وكان عند الحجاج قبلها
أم أبان بنت النعمان بن بشير ، فقالت مُحمدة للحجاج :

إذا تذكَّرتُ نِكَاحَ الحجاجِ من النهار أو من الليل الدَّاجِ
فاضت له العين بدمعِ نَجَّاجِ واشتمَلَ القلبُ بوجدِ وَهَّاجِ
لو كانَ نعمانُ قتيلاً الأَعلاجِ مُستوى الشخصِ صَحِيحِ الأَوْداجِ
ما نلتَ ما نلتَ بِمَحْتَلِ الدَّراجِ وكُنتَ منها بِمَكَانِ النَّساجِ
قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرَّاجِ أنْ تَنسَكِيهِ مِلْكا أو ذَا تاجِ

وقدمت مُحمدة على ابنتها زائرة فقال لها الحجاج : يا حميدة ، إني كنت أحتمل
مُزاحمتكِ مرَّةً فأما اليوم فإني أمير المراق وهم قومُ سوءِ فأياكِ . فقالت : سأكُفُّ
حتى ارتحل . .

قالت مُحمدة يوما لزوجها رَوْحِ بن زِنباع وكان أسود ضخما : كيف تَسودُ قومك
وفيك ثلاث خصال ؟ أنت من جُذام ، وأنت جبان ، وأنت غيور . قال : أما جُذام

(١) الجياض : الرواح .

فَأَنَّى فِي أَرُومَتِهَا وَبِحَسْبِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ فِي أَرُومَةِ قَوْمِهِ . وَأَمَّا الْجَبْنُ فَإِنْ لِي تَسَا
وَاحِدَةً وَلَوْ كَانَتْ لِي نَفْسَانِ جَدْتُ بِإِحْدَاهُمَا . وَأَمَّا النَّيْرَةُ فَهُوَ أَمْرٌ لَا أَحِبُّ أَنْ أَشَارَكَ
فِيهِ ، وَإِنْ الْمَرْءُ حَلَقَ بَيْنَ النَّيْرَةِ عَلَيْكَ وَعَلَى الْمَرْأَةِ مِثْلَكَ الْوَرَهَاءُ^(١) لَا يَأْمَنُ أَنْ تَأْتِيَ بَوْلِدَ
مِنْ غَيْرِهِ تَقْدِزُهُ فِي حِجْرِهِ .

والحارث هو القائل^(٢) :

أَظْلَمَ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً ظُلْمُ

غَدَى غَمَارِقُ يَوْمَا هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ يَدَيِ الْوَائِقِ فَلَحَنَهُ قَوْمٌ وَصَوَّبَهُ آخَرُونَ ، فَسَأَلَ
الْوَائِقُ عَنْ بَقِيٍّ مِنْ رُؤُسَاءِ النُّحُورِ ، فَذَكَرَ لَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْمَازِنِيُّ فَأَمَرَ بِإِرَاحَتِهِ عَلَيْهِ
وَحَمَلَهُ ، فَحَمَلَ . قَالَ : فَلَمَّا وَصَلْتُ إِلَيْهِ سَلَمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : رِمْنِ الرَّجُلَ ؟ فَقُلْتُ :
مِنْ بَنِي مَازِنٍ . قَالَ : أَيْمَنْ مَازِنٍ تَيْمٍ أَمْ مِنْ مَازِنٍ قَيْسٍ أَمْ مِنْ مَازِنٍ رَيْبَعَةٍ أَمْ مِنْ مَازِنٍ
الْبَيْنِ ؟ فَقُلْتُ : مِنْ مَازِنٍ رَيْبَعَةٍ ، فَقَالَ لِي : بِأَسْمُكَ ؟ يُرِيدُ مَا اسْمُكَ ، وَهِيَ لَفَةٌ كَثِيرَةٌ
فِي قَوْمِنَا ، فَقُلْتُ عَلَى الْقِيَاسِ : اسْمِي مَكْرُ أَيْ بَكْرٍ ، فَضَحَكَ وَقَالَ : اجْلِسْ وَأَطْبِئْ
يُرِيدُ وَأَطْمِئْ فَجَلَسْتُ فَسَأَلَنِي عَنِ الْبَيْتِ ، فَقُلْتُ : إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا . فَقَالَ : أَيْنَ خَبْرُ
إِنْ ؟ فَقُلْتُ : « ظُلْمٌ » آخِرُ الْبَيْتِ . وَقُلْتُ لَهُ : إِنْ مَعْنَى مُصَابِكُمْ إِصَابَتِكُمْ مِثْلَمَا تَقُولُ :
إِنْ قَتَلْتُمْ رَجُلًا حَيًّا كُمْ ظُلْمٌ . ثُمَّ قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ الْبَيْتَ كُلَّهُ مُعَلَّقٌ لَامَعْنَى
لَهُ حَتَّى يَتِمَّ بِقَوْلِهِ « ظُلْمٌ » أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ قَالَ :

أَظْلَمَ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً

فَكَانَتْ لَهُ لَمْ يُفِدْ شَيْئًا حَتَّى يَقُولَ « ظُلْمٌ » وَلَوْ قَالَ :

أَظْلَمَ إِنْ مُصَابِكُمْ رَجُلًا أَهْدَى السَّلَامَ تَحِيَّةً

(١) الْوَرَهَاءُ بِمَعْنَى الْحَقَاءِ .

(٢) هَذَا النَّسَبُ جَاءَ فِي الْمَجْلَدِ الثَّامِسِ مِنَ الْأَغَانِي دَارُ الْكِتَابِ وَدَارُ التَّفَاقَةِ .

لا احتاج إلى ظلم ولا كان له معنى إلا أن يجعل التحية بالسلام ظلماً ، وذلك محال
ويجب أن يقول حينئذ :

أظلم إن مصابكم رجلٌ أهدي السلام تحيةً ظلماً
ولا معنى لذلك ولا كان له وجه . فقال : صدقت ، ألك ولد ؟ قلت : بُنْيَةٌ .
قال : فما قالت حين ودعتها ؟ قلت : أنشدت قول الأعمش :

تقول ابنتي حين جدَّ الرحيل أَرَأَا سِوَاهُ وَمَنْ قَدْ يَتِمُّ
أَبَا فَا لَرِمَتْ مِنْ عِنْدِنَا قَانًا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمُّ
أَرَأَا إِذَا أَصْرَمْتُكَ الْبِلَادُ نَخَافُ وَتُقَطَّعُ مِنْهُ الرِّجْمُ^(١)

قال : فما قلتَ لها ؟ قلت : ما قال جرير :

ثِقَى بِأَقْبِهِ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ بِالْجَحَاحِ

فقال : ثِقَ بِالْجَحَاحِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عز وجل إِنْ هَاهُنَا قَوْمًا يَخْتَلِفُونَ إِلَى أَوْلَادِنَا
خَامِتَحْنَهُمْ ، فَمَنْ كَانَ عَالِمًا يَنْتَفِعُ بِهِ الزَّيْمَانُمْ إِيَّاهُ ، وَمَنْ كَانَ بَغِيرَ ذَلِكَ قَطَعْنَاهُ عَنْهُمْ .
وَأَمْرُهُمْ فَجَبِمُوا إِلَى قَامِتَحْنَتِهِمْ ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِمْ طَائِلًا ، وَحَذَرُوا نَاحِيَّتِي فَقُلْتُ :
لَا بَأْسَ عَلَى أَحَدٍ ، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَيْهِ قَالَ : كَيْفَ وَجَدْتَهُمْ ؟ قلت : يَفْضُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
فِي مَالِهِمْ ، وَيَفْضُلُ الْبَاقُونَ فِي غَيْرِهَا ، فَكُلُّهُمْ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ . فقال الواصل : إِنِّي خَاطَبْتُ
مِنْهُمْ وَاحِدًا فَكَانَ فِي نَهَايَةِ الْجَهْلِ فِي خُطَابِهِ وَنَظَرُهُ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرَ
مَنْ تَقْدِمُ مِنْهُمْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ وَقَدْ أَنْشَدْتُ فِيهِمْ :

إِنَّ الْعِلْمَ لَا يَزَالُ مُضْمَقًا وَلَوْ ابْتَنَى فَوْقَ السَّمَاءِ بِنَاءً
مَنْ عَلَّمَ الصَّبِيَانَ أَصْبَوْا عَقْلَهُ مِمَّا يُبْلَاقِي غَدَوَةً وَعِشَاءً

(١) في الأغانى : ... البلا * د ن هـ ي و قطع

حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ^(١)

هو حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ حَرَامِ بْنِ عَمْرِو بْنِ زَيْدِ بْنِ مَنَاةَ بْنِ عَدَى بْنِ عَمْرِو
ابْنِ مَالِكِ بْنِ النُّجَارِ وَهُوَ تَيْمُ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ
ابْنِ ثَعْلَبَةَ^(٢) وَهُوَ الْمَنْقَاءُ - وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمَنْقَاءَ لِطُولِ عُنُقِهِ - ابْنُ عَمْرِو - وَهُوَ مُزَقِّقِيَا -
ابْنُ عَامِرٍ مَاءِ السَّمَاءِ بْنِ حَارِثَةَ الْفَطْرِيفِ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ الْبَطْرِيقِ بْنِ ثَعْلَبَةَ الْبُهْلُولِ
ابْنِ مَازَنِ بْنِ الْأَزْدِ وَهُوَ دَرِي وَقِيلَ دَرَاءُ - مَمْدُودٌ -^(٣) ابْنُ الْقَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ
ابْنِ زَيْدِ بْنِ كِهْلَانَ بْنِ سِبْأَ بْنِ يَشْجُبَ بْنِ يَرْبُوبَ بْنِ قَحْطَانَ ،

بَنُو عَدَى بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النُّجَارِ يُسَمُّونَ بَنِي مَنَاةَ وَمَنَاةَ^(٤) أُمُّهُمْ ،
وَهِيَ امْرَأَةٌ مِنَ الثَّقَيْنِ وَإِلَيْهَا كَانُوا يَنْسَبُونَ .

وَأُمُّ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ : الْفُرَيْمَةُ بِنْتُ حُبَيْشِ بْنِ لَوْذَانَ^(٥) ابْنِ عَبْدِوَدَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ
ابْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَاسْمُ النُّجَارِ تَيْمُ اللَّاتِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ
حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ :

وَأُمُّ رِضَارٍ تَنْشُدُ النَّاسَ وَالْهَاءَ أَمَا لَابْنِ تَيْمِ اللَّاتِ مَا ذَا أَضَلَّتِ^(٦)

(١) الأغاني : دار الكتب ١٣٤/٤ وانظر ١٣٣ ودار الثقافة ١٣٩/٤ وانظر ص ١٣٧
وبولاق ٢/٤ والساسي ٢/٤ والتجريد ١٦٠ .

(٢) في الأغاني : بن حارثة بن ثعلبة .

(٣) في شرح القاموس مادة «أزده» : دره بكسر الدال فسكون وآخره همزة . وعن أبي القاسم
الوزير أنه دراء ككتاب .

(٤) في الأغاني : مَنَاة .

(٥) في الأغاني : بنت خالد بن قيس بن لؤذات .

(٦) في الأغاني : أَمَا لَابْنِ تَيْمِ اللَّهِ .

يعني ضرار بن عبد المطلب ، وكان ضلَّ قنشدته أمه ، وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم تيم الله لأن الأنصار ينتسبون إليه ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون في أنسابها ذكر اللات .

وكنية حسان أبو الوليد ، وهو غل من غول الشعراء ، يقال إنه أشعر أهل الدَّر^(١) وهو أحد الخُضَرَمِين للمعمرين ، عمر مائة وعشرين سنة ، ستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الإسلام ، وعاش ثابت بن المنذر مائة وخمسين سنة .

قال حسان بن ثابت : إني لفلان يَفَقَّه ابنُ سبع سنين أو ثمان سنين إذا يهودى^١ ييثرب يصرخ ذات غداة . يا معشر يهود ، فلما اجتمعوا قالوا : وياك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد التى وُلِدَ به في هذه الليلة . قال : ثم أدركه اليهودى ولم يؤمن به . وهذا يدل على أن عمره في الجاهلية ستون سنة ، لأنه كما ذكر أدرك ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وله ثمان سنين ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وله أربعون سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وقدم المدينة والحسان يومئذ على ما ذكر ستون سنة أو إحدى وستون سنة ، وحينئذ أسلم .

وكان حسان يَحْضِبُ شاربه وَعَنْفَقَتَهُ بِالْحَنَاءِ ولا يَحْضِبُ سائر لحيته ، فقال له ابنه عبد الرحمن يا أبت ، لم تفعل هذا ؟ قال : لأكون كأنى أسد والنَّعْ في دم . وكانت له ناصية يُسَدِّهَا بين عينيه .

وفضل حسان الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام .

(١) الدر : المدن والحضر .

جاء حسان بن ثابت إلى نفر فيهم أبو هريرة ، فقال : نشدتك الله ، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أجب عني ثم قال اللهم أيده روح القدس » قال أبو هريرة : اللهم نعم .

وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قريش منهم عبد الله بن الزبيري وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعمر بن الماص . فقال قائل لملي بن أبي طالب عليه السلام : اهج عنا القوم الذين هجونا ، فقال علي عليه السلام إن أذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلت . فقال رجل : يا رسول الله أئذن لملي كيما يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . فقال : « ليس هناك ، أو ليس عنده ذاك » ثم قال للأنصار : « ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بالسنتهم » فقال حسان بن ثابت : أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال : والله ما يسرنى به مقول بين بصرى وصنماء ، يعني أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ^(١) فقال : « كيف تهجوم وأنا منهم » فقال : إني أسلك منهم سلك الشجرة من المجين . فكان يهجوم ثلاثة من الأنصار : حسان ابن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة . فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويميزانهم بالمثلث ، وكان عبد الله بن رواحة يُعَيِّرُهم بالكفر ، ويعلم أنه ليس فيهم شيء أشد من الكفر ، وكان في ذلك الزمان أشد القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول عبد الله بن رواحة ، فلما أسلموا وفهموا الإسلام كان أشد القول قول ابن رواحة .

وقيل : إن حسان بن ثابت قام فقال : يا رسول الله أئذن لي فيه ، يعني أبا سفيان ابن الحارث . وأخرج لسانا أسود ووضعه على طرف أرنبته وقال : يا رسول الله ،

(١) جملة « يعني أبا سفيان » ليست في الأغاني .

لو شئت لفرّيت به الزاد^(١) ، فقال : « يا حسان وكيف وهو منى وأنا منه » فقال :
والله لأسلّته منك كما تُسلُّ الشجرة من العجين . فقال : « يا حسان ، اذهب إلى أبي بكر
ليحدّثك حديث القوم وأحسابهم وأنسابهم وأيامهم فإنه أعلم بأنسابهم منك ،
ثم اجمعهم وجبريلُ معك » فأتى أبا بكر رضى الله عنه فأعلمه ما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقال : كفّ عن فلانة ، واذكّرْ فلانة . فقال :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبى ووالدتي وعرضي لمرض محمدٍ منكم وقاه

أتهجوه ولست له يكفّ فشرّ كما تخبركنا الفداء

ولما أنشيدت قريشُ شِعْرَ حسان قالت : إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن
أبي تُحافة .

ولما بلغ أهل مكة شعْرُ حسان ولم يكونوا علموا أنه شعره جملوا يقولون : لقد
قال أبو بكر الشعر بمدنا .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه نهى الناس أن يُنشدوا شيئاً من مُناقضة
الأنصار ومُشرك قريش ، وقال : في ذلك شتم الحى بالميت وتجديد الضعائن ، وقد
هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام . فقدم المدينة عبد الله بن الزُّبَيْرِ
السهميُّ وضرارُ بن الخطاب التيمريُّ الحنّانيُّ ، فترلا على [أبي] أحمد بن جحش
وقالا له : نحب أن ترسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك فنشده ونُشِدنا مِمَّا قاله
لنا وقتلنا له ، فأرسل إليه فجاءه فقال له : يا أبا الوليد ، هذان أخواك : ابنُ الزُّبَيْرِ
وضرار قد أحبا أن يُسمعاك^(٢) وتُسمعهما ما قالاك وقلت لهما . وقال ابنُ الزُّبَيْرِ

(١) الزاد جمع للزادة وهى التى يحمل فيها الماء .

(٢) فى الأغانى : قد جاء أن يسمعاك .

وضرار : يا أبا الوليد ، إن شرك كان يُحتمل في أوّل الإسلام ولا يُحتمل الآن^(١) . فقال حسان : أتبتدئان أو أبدا ؟ قالا : نبدأ نحن . فأنشداه حتى صار كالمرجل غضبا . ثم استويا على راحتيهما يريدان مكة ، فخرج حسان حتى دخل على عمر رضي الله عنه فقصّ عليه قصتهما وقصته ، فقال له عمر : لن يذهب عنك شيء إن شاء الله عز وجل ، ثم أرسل من ردّها وقال : إن لم تلحقها إلا بمكة فاردّهما على ، وخرجا حتى إذا كانا بالروحاء رجع ضرار إلى صاحبه بعد ما أعمل فكره فقال له : يا ابن الزُّبَيْرِ ، أنا أعرفُ عَمَرَ وَذَبَّه عن الإسلام وأهله ، وأعرف حسان وقِلَّةَ صَبْرِهِ على ما فعلنا به ، وكأني به قد شكّا إليه ما فعلنا فأرسل في آثارنا وقال لرسوله إن لم تلحقهما إلا بمكة فاردّهما على^(٢) فارتبح بنا النماء^(٣) وأقم بنا في مكاننا هذا ، فإن كان الذي طننتُ فالرجوع من الروحاء أسهل منه من أبعد منها ، وإن أخطأ طنّني فذلك الذي نحب ونحن من وراء المضيّ فقال له ابن الزُّبَيْرِ : نعم ما رأيت ، فأقاما بالروحاء ، فإكان إلا كمر الطائر حتى وافاهما رسول عمر ، فرجما إليه ، فدعا لها بحسان ، وعمر في جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : أنشدّهما ما قلت لهما . فلما فرغ قال له عمر : أنشدّاك في الغلّا ، وأنشدّتهما في المَلّا ، وقال لهما عمر : إن شئنا أقبّا وإن شئنا فأنصرِفا . وقال لمن حضره من الأنصار : قد كنتُ نهيتكم أن تذكروا بما كان بين المسلمين والمشركين ، نقيّا للتضاغن^(٤) عنكم وبثّ القبيح فيما بينكم ، فأما إذ أبوا فاكذبوه واحفظوه^(٥)

(١) في الأغاني : ولا يحتمل شرنا .

(٢) في الأغاني : فارتبح بنا ترك النماء .

(٣) في الأغاني : دفعا للتضاغن .

(٤) كلمة « واحفظوه » ليست في الأغاني .

واحتفظوا به ودونوا ذلك عنهم^(١) . فكان الأنصار يُجِدُّونه كلما خافوا بِلَّاه .
وقال حسان بن ثابت :

إِنْ سَنَاءَ الْمَجْدِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ^(٢) بَنُو بَيْتِ غَزْوِمٍ وَوَالِدُكَ الْعَبْدُ
وَمَا وَلَدَتْ أَبْنَاءَ زَهْرَةٍ مِنْكُمْ كِرَامًا وَلَمْ يَلْحَقْ عِمَارُكَ الْجَدُ
وإِنْ امْرَأٌ كَانَتْ تُنْقِلُهُ أُمُّهُ^(٣) وَصِمْرَاءُ مَغْلُوبٌ إِذَا بَلَغَ الْجَهْدُ
وَأَنْتَ هَجِينٌ نَيْطَ فِي آلِ هَاشِمٍ كَأَنْ يَطَّخَلَ الْكَابُ الْقَدْحُ الْفَرْدُ
فَقَالَ الْعَبَّاسُ : مَالِي أَنَا وَلِحَسَانِ^(٤) ، يَعْنِي فِي ذِكْرِ ثَقِيلَةٍ وَهِيَ أُمُّهُ ، فَقَالَ فِيهَا :
وَلَسْتُ كَمُبَاسٍ وَلَا كَابْنِ أُمِّهِ وَلَكِنْ هَجِينٌ لَيْسَ يُورَى لَهُ زَنْدُ
وقيل : إِنْ جَبْرِيلَ أَعَانَ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ فِي مَدِيحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِسَمْعَيْنِ بَيْتًا ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَمَرْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فَقَالَ
وَأَحْسَنُ ، وَأَمَرْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيَّ فَقَالَ وَأَحْسَنُ ، وَأَمَرْتُ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ
فَشَفَى وَأَشْفَى » وَقَالَتْ عَائِشَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَسَانَ
ابْنِ ثَابِتٍ : « إِنَّ رُوحَ الْقُدُّوسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ » . وَرَوَى
أَنْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ : « أَيْنَ حَسَانَ بْنَ ثَابِتٍ » فَقَالَ
حَسَانَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : « أَنْشُدْ »^(٥) فَجَلَّ يَنْشُدُ وَيَصْنَعِي
إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَسْمَعُ ، فَمَا زَالَ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ وَهُوَ شَانِقٌ رَاحِلَتَهُ^(٦)

(١) فِي الْأَغَانِي : فَعَدُّونَا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : وَإِنْ سَنَاءَ الْمَجْدِ .

(٣) كَذَا فِي الْمَخْتَارِ وَالْأَغَانِي . وَفِي دِيَوَانِهِ : « سَمِيَّةُ أُمُّهُ » وَسَمِيَّةُ هِيَ أُمُّ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
وَصِمْرَاءُ أُمُّ أَبِي سَقِيانَ بْنِ الْحَارِثِ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : مَالِي وَمَا لِحَسَانَ .

(٥) فِي الْأَغَانِي : « أَحَدٌ » .

(٦) فِي طَبْعَةِ دَارِ الْكِتَابِ « وَهُوَ سَائِقٌ » وَهَذَا تَحْرِيفٌ ظَاهِرٌ . وَشَقَّ الْبَعِيرُ : جَذَبَهُ بِزِمَامِهِ
وَهُوَ رَاكِبٌ وَرَفَعَ رَأْسَهُ .

حتى كاد رأسُ الراحلة يمسُّ الوركَ حتى فرغ من نشيده . فقال رسول الله صلى الله وسلم : « لهذا أشدُّ عليهم من وقع النبل » .

مرَّ عمر رضى الله عنه بحسان وهو ينشد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ بأذنه وقال : أرغما كرهاء البعير ؟ فقال حسان : دعنا منك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم أنى كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فلا تُثبِّرْ على^(١) . فصدقه عمر .

مر الزبيرُ بن العوام بمجلس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحسان بن ثابت ينشدهم الشعر وهم غيرُ نشاطٍ لما يسمعون منه . فجلس الزبير معهم وقال لهم : ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريمة ؟ ولقد كان يمرض به لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيُحسِن استماعه ويُجزِل صلة نوابه^(٢) ولا يشغل عنه بشيء . فقال حسان فيه :

أقامَ على عهدِ النبيّ وهديهِ	حواريُّه والقولُ بالفعلِ يُمدِّل ^(٣)
أقامَ على منهاجِه وطريقه	يُوَالِي وَلِيَّ الحقِّ والحقُّ أعدلُ
هو الفارسُ المشهورُ والبطلُ الذي	يصولُ إذا ما كان يومُ مُحجِّلُ
إذا كشفتْ عن ساقها الحربُ حَسَّها	بأبيضِ سباقٍ إلى الموتِ يرُقِّلُ ^(٤)
وإنْ امرأةٌ كانت صفيّةُ أمِّه	ومن أسدٍ في بيتها أرُقِّلُ ^(٥)

(١) في الأغاني : فلا يغير .

(٢) في الأغاني : ويجزل عليه نوابه .

(٣) بهامشك رواية أخرى مثل ت : والقول بالفضل .

(٤) حس النار : ردها على خبز الملة . ورقل يرقل : جرديله وتبخر . وفي الأغاني : حشها...

يرقل .

(٥) للرقل : اللعظم المسود .

له من رسول الله قُرْبَى قَرِيبَةً ومن نُصْرَةِ الإسلامِ حِجَّةً مُؤَكَّلَةً
فكم كُرْبَةً ذُبَّ الزُّيْرُ بِسَيْفِهِ عن المُصْطَفَى واللهُ يُمْلَى وَيُجْزَلُ
فما مثله فيكم ولا كان قبله وما إن يكون الدهرَ ما كان يَدْبُرُ^(١)
تَنَازُلُكَ خَيْرٌ من فِصالِ مَعاشِرٍ وفُضْلُكَ يا ابنَ المَاشِيَةِ أَفْضَلُ

ولما كان يوم الأحزاب^(٢) وردم الله بنيظهم لم ينالوا خيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يحمى أعراض المسلمين ؟ » قال كعب : أنا يا رسول الله ، وقال عبد الله بن رواحة : أنا يا رسول الله . وقال حسان : أنا يا رسول الله ، قال : « نعم ، أحبهم أنت فإنه سيعينك عليهم روح القدس » .

جاء رجل إلى ابن عباس فقال : قد جاء اللعينُ حسان من الشام ، فقال ابن عباس : ما هو بلعين ، لقد جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانه ويده .

قدم وفد بنى تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وهم سبعون أو ثمانون رجلا ، وفيهم الأقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب ، وقيس بن حاصم ، وعمرو بن الأهم . وانطلق معهم عيينة بن حصن ، فدخلوا المسجد فوقفوا عند الحَجَرَاتِ فنادوا بصوت عال جَافٍ : أخرجُ يا محمد فقد جئنا لنفاخرك وجئنا بشاعرنا وخطيبنا . ففرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، فقام الأقرع بن حابس فقال : والله إن مدحى لَرَيْنٌ ، وإن ذمى لَشَيْنٌ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك الله مز وجل » فقالوا : إنا لأكرمُ العرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكرم منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم » فقالوا : ائذن لشاعرنا وخطيبنا . فقام عطارد فقال : الحمد لله الذى له الفضل علينا وهو أهله ،

(١) يذيل : اسم جبل . وفي الأغاني : في مثله فيكم . . . مادام يذيل .

(٢) في الأغاني : عام الأحزاب .

الذى جعلنا ملوكا ، وجعلنا أُمّ أهل الشرق ، وآتانا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وليس في الناس مثَلنا ، ألسنا بِرُؤُوسِ الناس وذوى فضلهم ؟ فمن فآخرنا فليمددْ علينا مثل ما عددنا ، ولو نشأ لأكثرنا ، ولكننا نستحي من الإكثار فيما خولنا الله وأعطانا ، أقول قولى هذا فأتوا بقول أفضل من قولنا أو أَسْأين من أمرنا . ثم جلس . فقام ثابتُ بن قيس بن كُمَّاس فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض من خلقه قضى فيهن أمرهنّ ووسع كرسيه علمه ولم يُقْضَ شيء إلّا من فضله وقدرته وكان من قُدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولا ، أكرمهم حسبا ، وأصدقهم حديثا ، وأحسنهم رأيا ، وأنزل عليه كتابه واثنمنه على خلقه . وكان خيرة الله من المالين فدعا إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذوى رحمة المهاجرون ، أكرم الناس أنسابا ، وأصبح الناس وجوها ، وأفضل الناس أفعالا . ثم كان أول من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرب واستجاب له نحن معشر الأنصار ، ففتح أنصار الله ووزراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تُقاتل الناس حتى يؤمنوا ويقولوا : لا إله إلا الله ، فمن آمن بالله ورسوله مَنَعَ مَنّا ماله ودمه ، ومن كفر بالله ورسوله جاهدناه ، في الله ، وكان جهاده علينا يسيرا ، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات فقام الزبير بن جراح فقال :

نحنُ الملوكُ فلا حتى يُقاربنا مِنّا الملوكُ وفيما يُوحِذُ الرُّبُعُ^(١)
تلك الكارم حُرْناها مُقارعةً إذا الكرام على أمانها اقترعوا
كم قد قسَرنا من الأحياء كلهم عند النّهاب وفضلُ الرِّبِّ يُتَّبِعُ^(٢)

(١) الرّج : المربع وكان يأخذه الرئيس خلاصا دون أصحابه .

(٢) في الأغاني : كم قد نشدنا ... وفضل الرّبِّ يتبع .

وَنَتَصَرُّ الْكُومَ عُيُطًا فِي مَنَازِلِنَا^(١) لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا اسْتَطَعَمُوا شَبَعُوا
وَنَحْنُ نَطْعِمُ عِنْدَ الْقَضِطِ مَا أَكَلُوا مِّنَ الْعَيْطِ إِذَا لَمْ يَظْهَرْ الْقَرْعُ^(٢)
وَنَتَصَرُّ النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فَنَمْنُضِي ثُمَّ نَتَّبِعُ^(٣)
فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ جَاءَ فَأَمَرَهُ أَنْ يَجِيبَهُ فَقَالَ :
إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فَيْهَرٍ وَإِخْوَانِهِمْ قَدْ يَتَّبِعُونَ سُنَّةَ النَّاسِ تَتَّبِعُ^(٤)
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوَى إِلَهَهُ وَبِالْأَمْرِ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرَوْا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاقَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَائِهِمْ نَفَعُوا
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَاقُونَ بِمَدَمٍ فَكُلُّ سَبِقٍ لَّأَدْنَى سَبَقِهِمْ تَبِعُ^(٥)
سَجِيَّةَ تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرُ مُخَدَّئَةٍ إِنْ انْخَلَقَتْ قَاعُفٌ شَرُّهَا الْبِدَعُ
لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَفَعُوا
أَعْفَى ذِكْرَتٌ فِي الْوَحْيِ عِفَّتِهِمْ لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يَزْدِرِي بِهِمْ طَبْعُ^(٦)
وَلَا يَصْنُونَ مِنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَحْشَمُ مِنْ مَقْطَعِ طَبْعِ^(٧)
يَسْمُونَ لِلْحَرْبِ تَبْدُو وَهِيَ كَالْحَفَى إِذَا الرِّعَافُ مِنْ أَطْفَارِهَا خُشِعُ^(٨)
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا جُرْعُ

(١) الكوم جمع أكرم أو كوما : وهو البحر الضخم السنام . والبيط جمع البيط : وهو ما يذبح من غير داء .

(٢) القَرْع : السحاب . وفي الأغاني : ونحن نطعم عند الحبل .

(٣) كتب في الأغاني : فَنَمْنُضِي ثُمَّ نَتَّبِعُ .

(٤) جاء هذا البيت في الأغاني سادس الأبيات .

(٥) طبع يطعم طبعاً « على وزن فرح » : دلس في جسمه أو خلقه بيب . وفي الأغاني : ولا يردبهم طبع .

(٦) في الأغاني : من مطعم طبع .

(٧) في الأغاني : خشموا .

كأنهم في الوغى والموت مُكْتَنِعٌ
خُذْ مِنْهُمْ مَا اتَّوَعَفُوا وَإِنْ غَضِبُوا
فإن في حربهم قاتركُ عداوتهم
أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولُ اللَّهِ قَاتِدُهُمْ
أَهْدَى لَمْ يَدْحَى قَلْبٌ يُؤَازِرُهُ
وإنهم أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ
فقام عطار بن حاجب فقال :

أتيناك كما يعلم الناس فضلنا
بأننا فروعُ الناسِ في كلِّ موطنٍ
فقال حسان :

منعنا رسولُ الله من غضبٍ له
هل الجُدُّ إِلَّا السُّودُّ الْفَرْدُ وَالنَّدَى^(١)

وجاء الملوكة واحتمل المظالم

فقال الأفرع بن حابس : والله إن هذا لمؤنني له^(٢) ، والله لشاعره أشعر
من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولأسواتهم أرفع من أسواتنا ، أعطني
يا محمد ، فأعطاه . قال : زدني . فزاده ، فقال : اللهم إنه سيّد العرب ، فنزلت فيهم

(١) مكنتهم : قريب . وبيشة : مكان كثير الأسود . والقدح : اعوجاج في الرسغ .

(٢) الصاب والسلع : نوعان من الشجر مران .

(٣) شتموا : مزحوا . وفي المختار وأصول الأغاني : أو سمعوا .

(٤) في الأغاني : على رضم أقف من معد وراغم .

(٥) في الأغاني : إلا السؤدد المود .

(٦) مؤنن : ميسر ومسهل .

« إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونكَ مِنَ الْحِجْرَاتِ أَكْثَرُكُمْ لَا يَعْقِلُونَ »^(١) ثم إن القوم أسلحوا وأقاموا عند النبي صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويتفقهون في الدين ، ثم أرادوا الخروج إلى قومهم فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقال : « أما بقي منكم أحد؟ » وكان عمرو بن الأَهم في ركبهم ، فقال قيس بن عاصم ، وهو في رهنه وكان مُشاحنا له : لم يبق منا إلا غلام حديث السنِّ في ركبنا . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم . فبلغ عَمْرًا ما قال قيس فقال له : ظَلَلَتْ مُفَرِّشُ الْهَلَاءِ تَشْتَمِي^(٢) عند الرسولِ فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ إن تُبَيْضُونَا فإِن الرُّومَ أَسْلَكُم والرومُ لا تملك البغضاء للعربِ فإِن سُوِّدْنَا عَوِّدْ وسُوِّدَدِكُم مؤخَّرْ عند أصل المجبِّ والذَّئِبِ^(٣) فقال قيس :

لولا دِفَاعِي كَدْتُمْ أَعْبَدًا دَارَكُمْ الْحَيْرَةُ وَالسَّيْلَحُونَ^(٤)

قال مسروق : دخلت على عائشة رضی الله عنها وعندها حسان بن ثابت يرضى ابنة له ماتت وهو يقول :

حَصَانُ رَزَانُ مَا تَزُنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنَ لُحُومِ النَّوَافِلِ^(٥)
فأُفِيَّتْ لَهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَكِنَّكَ لَسْتَ كَذَلِكَ ، فقلت لها : أَيْدُخِلْ عَلَيْكَ هَذَا وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ »^(٦)

(١) سورة الحجرات الآية ٤ .

(٢) الهباء : الاست .

(٣) العجب : ما انضم عليه الوركاب من أصل الذئب المفروز في مؤخر العجز .

(٤) السيلحون : موضع قرب الحيرة أو هو بين الكوفة والقادسية .

(٥) رزان : ذات وقار وزنه غير أوشر : ظنه به . وغرنى : جائعة . أى لانتخاب أحدا منهم .

(٦) سورة النور الآية ١١ .

فقلت له : أما تراه في عذاب عظيم قد ذهب بصره ؟ وكان حسان قد قال شعرا
يُمرِّضُ فيه بِصَفْوَانَ بْنِ الْمُطَّلِّ وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ مَضْرٍ وَهُوَ :
أَمْسَى الْجَلَايِبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْمَةِ أَمْسَى يَبِضَّةَ الْبَلَدِ
فَاعْتَرَضَهُ صَفْوَانُ بْنُ الْمُطَّلِّ بِالسَّيْفِ فَضْرِبَهُ لِمَا قَذَفَهُ بِهِ مِنَ الْإِفْكِ وَلَمَّا عَرَّضَ
بِهِ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ ، ثُمَّ قَالَ :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنْكَ فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِئْتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب ثابت بن قيس بن الشماس على صفوان بن المطلب فجمع يديه إلى عنقه
فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة فقال : ما لهذا ؟
فقال : أَلَا أُعْجِبُكَ ؟ ضرب حسان بالسيف وما أراه إلا قد قتله ، فقال له عبد الله
ابن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ،
قال : لقد أُجْتَرأت ، أُطْلِقَ الرجل . فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المطلب فقال صفوان : يا رسول الله آذاني
وهماني فضربتني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : يا حسان أُنْفِسْتَ
على قومي ^(١) أن هذا كرم الله عز وجل للإسلام ؟ أحسن يا حسان في الذي أصابك
قال : هي لك يا رسول الله .

كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع حصن حسان بن ثابت . يعني يوم الخندق .
وكان حسان فيه مع النساء والصبيان ، قالت : فرَّ بنا رجل من يهود ، فجعل يُطيف
بالحصن وقد حارب بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
في نُحُورِ عَدُوِّهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا إِلَيْنَا عَنْهُمْ إِنْ أَتَانَا آتٍ ، فقلت :
يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يُطيف بالحصن ، وإني والله ما أمتة أن يَدُلَّ

(١) في الأغانى : أُنْجِبَ على قومي .

على عوراتنا، مَنْ وراءنا من يهود، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل إليه فأقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب
هذا فأنزل إليه فأقتله فلما قال ذلك ولم يكن عنده شيء اخْتَجَزَتْ^(١) . وأخذت عمودا
ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلتها ، فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن
فقلت : يا حسان أنزل إلي فأسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . فقال :
مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب .

وكان أكحل^(٢) حسان قد قطع فلم يكن يضرب بيده .

ولا أنشد حسان رسول الله صلى الله عليه وسلم :

لقد غدوتُ أمامَ القومِ مُطلقاً بصارمٍ مثلَ لَوْنِ اللّٰحِ قَطَاعٍ
يَحْفَرُ هِيَ نِجَادَ السِّيفِ سَابِغَةً^(٣) فَضْفَاضَةً مِثْلَ لَوْنِ النَّهْيِ بِالْقَاعِ^(٤)
ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظن أن ضحكك من وصفه نفسه مع جبنه
قال مالك^(٥) بن أبي عامر : بينما نحن جلوس عند حسان بن ثابت . وحسان مضطجع
مسند رجله إلى فارع قد رفعهما عليه إذ قال : مه ، أمارأيت ما مرّ بك الساعة ، قالوا :
لا والله وما هو ؟ قال : فأخذه مرت الساعة بيني وبين فارع فصدمتني أو قال : فزحمتني .
فقالوا : وما هي ؟ قال :

ستأتيتكمُ غدوًّا أحاديثُ حجة فأصغوا لها آذانكم وتسمّعوا

قال : فصباحنا من الفد خبر صيقين .

(١) اخجرت بردائه : عده على وسطه .

(٢) الأكحل : عرق في وسط القراع .

(٣) يحفر : يندفع . وفي المختار : يحف عن . والتصويب من الأغاني .

(٤) النهي : التدبير .

(٥) هذا الس والتمالي في الأغاني وجاء في هامش ك وبعضهما غير واضح واستعملت بالأغاني

على إثبات ما لم يظهر .

وَحَدَّثَ أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ عَوْفٍ أَرْسَلَ اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : ابْعَثْ مَعِيَ
مَنْ يَدْعُو إِلَى دِينِكَ وَأَنَا لَهُ جَارٌ . فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . فَتَدَرَّتْ بِالْحَارِثِ
عَشِيرَتُهُ فَقَتَلُوا الْأَنْصَارِيَّ . فَقَدِمَ الْحَارِثُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَا يُؤَنِّبُ أَحَدًا فِي وَجْهِهِ . فَقَالَ : « اذْهَبُوا حَسَنًا » فَدُعِيَ لَهُ . فَلَمَّا
رَأَى الْحَارِثُ أَنْشَدَهُ :

يَا حَارِثَ مَنْ يَنْذِرُ بِذِمَّةِ جَارِهِ مِنْكُمْ فَإِنْ مُحَمَّدًا لَمْ يَنْذِرْ
إِنْ تَنْذَرُوا فَالْمَنْذَرُ مِنْكُمْ شَيْعَةٌ وَالتَّنْذِرُ يَنْبِتُ فِي أَصُولِ السَّخْبَرِ
السَّخْبَرُ : نَبْتٌ (١) .

فَقَالَ الْحَارِثُ : اكِفْنِي عَنِّي يَا مُحَمَّدُ وَأُودِيَ لَكَ دِيَةَ الْخِفَارَةِ (٢) فَأَدَّى إِلَى النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْعِينَ عَشْرًا وَكَذَلِكَ دِيَةَ الْخِفَارَةِ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ . أَنَا عَائِدٌ بِكَ
مِنْ شَرِّهِ فَلَوْ مُزِجَ الْبَحْرُ بِشَمْرِهِ مَزِجَهُ .
لَمَّا صَارَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى رُبَيْلٍ (٣) تَمَثَّلَ رُبَيْلٌ بِقَوْلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ فِي الْحَارِثِ
ابْنِ هِشَامٍ :

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّتِي حَدَّثْتَنِي فَنَجَوْتُ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكْتُ الْأَحِبَّةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَتَجَاوَزْتُ رَأْسَ طَيْرَةٍ وَلِجَامٍ (٤)
فَقَالَ ابْنُ الْأَشْعَثِ : أَوْ مَا سَمِعْتَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ؟ فَقَالَ : وَمَا يَقُولُ ؟
قَالَ : قَالَ :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَاوَزُوا فِرْسِي بِأَشْقَرِ مَرْبِدٍ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتَلْتُ وَاحِدًا أَتَمَلُّ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي

(١) جملة « السخبر نبت » ليست في الأغاني . هناء ، ويقال : ركب فلان السخبر : إذا غدر .

(٢) الخفارة : القمام .

(٣) رُبَيْلٌ صاحب الترك كان بنو أحيى سجستان غزاهم عبد الله بن أبي بكر سنة ٧٩ هـ .

(٤) الطمرة : الأتي من الجباد الطويلة القوائم الخفيفة .

ففررت عنهم والأحبة فيهم طمعا لم يقاب يوم مرصد
فقال رُبَيْل : يا معشر العرب ، حسنتم كل شيء حتى الفرار حسنتموه .

ولاعرض صفوان بن المظلل وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا حسان ،
أنسيت على قومي أن هدام الله عز وجل للإسلام » أعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وتردد حسان إليه مرتين وهو يمرض عنه ، إلى أن قال له في المرة الثالثة :
يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، احفظني في قولي :

هوت محمدأ فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فرضى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووهب له شيرين أخت مارية
أم إبراهيم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
موضا من ضربته ببرحاء ، وهي قصر بني جديلة بالمدينة ، وولدت له شيرين
عبد الرحمن بن حسان .

وكان صفوان رجلا حصورا لا يأتي النساء ، وقتل شهيدا وهما رجل حسان
بما فعل به صفوان فقال :

وإن ابن المظلل من سئليم أذل قياد رأسك بالخطام

قال عمر بن شبة^(١) : كان النابتة الديباني كُضرب له فبة من آدم يسوق عكاظ ،
يجمع إليه فيها الثمراء ، فدخل حسان بن ثابت وعنده الأعشى والخنساء ، وقد أنشدته
شعرا ، فأنشدته الخنساء قولها :

وإن صخرأ لمولانا وسيدنا وإن صخرأ إذا نشئوا لنحارأ

وإن صخرأ لتأتئم الهدأ به كأنه علم في رأسه نارأ

(١) هذا النص بطوله ليس في ترجمة حسان وإنما جاء في ترجمة النابتة ج ١١ ص ٦ دار
الكتب ودار الثقافة المجلد ١١ ويولاق ١٦٣/٦ مع اختلاف كثير .

فقال : لولا أن أبا بصير أنشدني قبلك لقلت : إنك أشعر الناس ، ولكنه أشعر من كل ذات هنٍ ، فقالت : إى والله ومن كل ذى حُصَيْن . فقال حسان : أنا والله أشعر منك ومنها ومن أبيك . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول :
لنا الجفَنَاتُ الغُرُّ يَلْعَمَنَّ بالضحى وأسِافُنَا يَقَطُرَنَّ من نَجْدَةٍ دَمًا
وَلَدْنَا بنى المَنْقَاءِ وابْنَى مُحَرَّرِي فأَكْرِمَ بنا خَالًا وَأَكْرِمَ بنا ابْنَمَا^(١)
فقال له : إنك قلت « الجفَنَات » فقلت المدد ولو قلت الجفَنَان لكان أكثر ،
وقلت : « يلعمن بالضحى » ولو قلت « يبرقن بالضحى » لكان أبلغ في المدح ،
لأن الضيف بالليل أكثر ، وقلت « يقطرن من نجدة دما » فدلت على قلة القتل ،
ولو قلت : « يجرى » لكان أكثر لانصباب الدم . ونفرت بمن ولدت ولم تفخر
بمن ولدك . فقام حسان منكسرا منطلقا منقطعا . فقال له : ولكنك لا تحسن
أن تقول :

خَطَاطِيفُ حُجْنٍ فِي جِبَالٍ مُتَبَيِّنَةٍ تُمَدُّ بِهَا أَيْدِي إِلَيْكَ نَوَازِعُ

ومن شعر حسان يمدح بنى جفنة من قصيدة أولها^(٢) :

* أسألت رسم الدار أم لم تسأل *

وهى من فاخر المدائح يقول فيها :

إِن الَّتِي عَاطَيْتَنِي فَرَدَّتْهَا قُتِلَتْ قُتِلَتْ فَهَاتِهَا لَمْ تُقْتَلِ
كَلِّتَاهُمَا حَلَبُ الْمَصِيرِ فَعَاطَنِي رَزُجَاةٌ أَرْخَاهُمَا لِلْمَفْصِلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةِ الْجَوَادِ الْمُفْصِلِ

(١) ابنا : ابنا .

(٢) هذا النص ليس في ترجمة حسان ولا القصيدة ، وجاء بعضها في ج ١٥ ص ١٢٢
حارث الثقافة في أخبار حسان وجيلة بن الأيهم .

يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِّ بَيْضَ عَلَيْهِمْ
بَيْضُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٍ أَحْسَابُهُمْ
بَرْدَى يُصَقُّ بِالْحَقِيقِ السَّلْسَلِ
شُمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقُبْلِ
يُنْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهَرُّ كَلَابُهُمْ

قال (١) ابن ظبيان الحناني : اجتمع جماعة من الحنّ على شراب ، فتنفى رجل منهم بشعر حسان : « إن التي عاطيتني » البيتين . فقال رجل من القوم : ما معنى قوله « إن التي عاطيتني » فجعلها واحدة ، ثم قال « كَلَّتَاهَا حَلَبِ الْمَصِيرِ » فجعلها ثنتين . فلم يعلم أحد منا الجواب ، فقال رجل من القوم : امرأته طالق ثلاثا إن بات أو يسأل القاضي عُبيد الله بن الحسين عن تفسير هذا الشعر ، فأسقط في أيدينا ليمينه ، ثم أجمعنا على إتيان عبيد الله ، قال ابن ظبيان : فحدثني بعض أصحابنا السعديين قال : فأتيناه نتخطف إلى الأحياء حتى أتينا وهو في مسجده يصل بين العشائين ، فلما سمع حسنا أوجز في صلاته ، ثم أقبل علينا فقال : ما حاجتكم ؟ فبدأ رجل منا كان أحسننا هيئة فقال : أعز الله القاضي ، ترعنا إليك من طرف البصرة في حاجة مهمة فيها بعض الشيء ، فإن أذنت لنا قلنا . قال : قولوا ، فذكرَ يمينَ الرجل والشعر . فقال : أما قوله : « إن التي عاطيتني » يعني الخمر . وأما قوله : « قُتِلَتْ قُتِلَتْ » معنى مزجت بالماء . وقوله « كَلَّتَاهَا حَلَبِ الْمَصِيرِ » فإنه يعني الخمر ومزاجها . فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب . قال الله تعالى « وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً نَبَّاجًا » (٢) انصرفوا إذا شئتم .

قال يوسف بن ماهك : أخبرني أمي أنها كانت تطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرت حسان ، قالت : فسبّته . فقالت : بئس ما قلت أنسبته وهو الذي يقول :

(١) هذا النص ليس في ترجمة حسان .

(٢) سورة النبا الآية ١٤ .

فإن أبي ووالده وعرضي لعرضي محمدٍ منكم وعاقه
فقلت : أليس ممن لعن الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئاً ،
ولكنه يقول :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيْسَةٍ وَنُصِيحٌ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
فإن كان ما قد جاء عني قلته فلا رفعت سوطي إلى أناميلي

دخل حسان بن ثابت بيت خمار في الشام في الجاهلية ومعه أعشى بكر بن وائل ،
فاشتريا خمرًا وشربا ، فنام حسان ثم اتقه ، فسمع الأعشى يقول للخمار : كره الشيخُ
الغُرمَ . فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خمرَ الخمار كلها ثم سكبها في البيت حتى
سالت تحت الأعشى ، فعلم الأعشى أنه سمع كلامه فاعتذر إليه .

قدم عبد الله بن جعفر^(١) على معاوية وافداً ، فدخل إليه إنسان ثم ذهب إلى
معاوية فقال : هذا ابنُ جعفر يشرب النبيذَ ويسمع الفناء ويحرك رأسه عليه . فجاء
معاوية مُتَغَيِّراً حتى دخل على ابن جعفر وعزَّةُ الليل بين يديه كالشمس الطالمة تضيء
في كثير البيت تنفيه على عُودها :

تَبَلَّتْ قُودَاكَ فِي النَّامِ خَرِيْدَةٌ^(٢) تَشْفِي الضَّجِيعَ يِبَارِدِ بَسَامِ
وبين يديه عُسٌّ عَسَلٌ ، فقال : ما هذا يا ابن جعفر ؟ فقال : أقسمت عليك
يا أمير المؤمنين لتشربنَّ منه ، فإذا عَسَلٌ ممزوج بمسك وكافور ، فقال : هذا طيبٌ ،
فما هذا النناء ؟ قال : هذا شعر حسان في الحارث بن هشام ، قال : فهل تنفي بنير
هذا ؟ قال : نعم ، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابي الجاني الأذفرُ القبيحُ المنظرُ

(١) هذا النص جاء بعد غزوة بدر ج ٤ ص ٢١٢ دار الكتب .

(٢) في الأغاني : في الظلام خريدة .

فَيُشَافِهَكَ^(١) بِهِ فَيَقْطَعُهُ عَلَيْهِ وَيَأْخُذْهُ أَنَا فَأَخْتَارُ مَحَاسِنَهُ وَرَقِيقَ كَلَامِهِ وَأَعْطِيهِ هَذِهِ
الْحَسَنَةَ الْوَجْهَ اللَّيِّنَةَ اللَّمَسَ الطَّيِّبَةَ الرَّيْحَ فَيَرْتَلُّ بِهَذَا الصَّوْتِ الْحَسَنَ . قَالَ : فَمَا
تَحْرِيكَكَ رَأْسُكَ ؟ قَالَ : أَرْيَحِيَّةٌ أَجِدُهَا إِذَا سَمِعْتُ النَّعَاءَ لَوْ سُئِلْتُ [عِنْدَهَا]
لَأَعْطَيْتُ ، وَلَوْ لَقِيتُ لَأَبْلَيْتُ . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : قَبِّحَ اللَّهُ قَوْمًا عَرَضُونِي لَكَ . ثُمَّ خَرَجَ
وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِصَلَةِ سَنِيَّةٍ .

(١) فِي الْخِتَارِ : فَيَشْفِيكَ . وَشَفِيَهُ : ضَرَبَهُ عَلَى شَفْتِهِ أَوْ أَلْحَ عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ أَوْ شَفَلَهُ .
وَالْتَصَوَّبُ مِنَ الْأَعْيَانِ .

حَبَّانُ النَّابِغَةِ الْجَعْدَى^(١)

هو حَبَّانُ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَحَّاحِ بْنِ عُدَسَ - وقيل : ابن عمرو بن عُدَسَ - بن ربيعة بن جَعْدَةَ بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر . هذا النسب مُجْمَعٌ عليه ، وقد قيل : إن خصفة الذي يقول الناس إنه ابن قيس بن عيلان وليس كما ذكروا . وإن عكرمة بن قيس بن عيلان وخصفة أمه امرأة من هَجَرَ ، وقيل بل حاضنته ، وكان قيس بن عيلان مات وعكرمة صغير ، فربته حتى كبر ، وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خصفة ، فبقيت عليه ، ومن لا يعلم يقول : عكرمة بن خصفة بن قيس كما يقال خندف ، وإنما هي امرأة تزوجها إلياس بن مضر ، وقالوا في صعصعة بن معاوية إن النَّابِغَةَ بنت عامر بن مالك - وهو النَّابِغُ سُمِّيَ بذلك لأنه انتقم بِلَطْمَةِ لَطْمِهَا - وكنية النابغة أبو ليلي ، وقيل : إن اسمه قيس بن عبد الله بن عُدَسَ بن ربيعة بن جَعْدَةَ ، وهذا وهم ممن قاله ، وليس يُشَكُّ في أنه كان له أخ يقال له وَحَّاحُ بْنُ قَيْسِ ، وهو الذي قتله بنو أسد^(٢) .

كان بنو كعب قد أغاروا على بني أسد وفيهم وَحَّاحُ ، فطعن وأخذ خالد بن نَضْلَةَ الأَسَدِيُّ ، وعطف عليه أخوه النابغة ، فقال له خالد : هلمَّ إلَيَّ وأنت آمنٌ . فقال النابغة : لا حاجة لي في أمانك ، أنا على فرسي ، ومي سلاحي ، وأصحابي قريب ،

(١) الأغاني : دار الكتب ١/٥ ودار الثقافة ٣/٥ ويولاق ١٢٨/٤ والسامى ١٢٧/٤ والتجريد ٦١٣ هذا ، وفي المختار : حسان النابغة وبهاشك عن غطوط آخر : حبان . وفي أصول الأغاني : حسان أيضا والتصويب من الإساءة وغيره من كتب الصحابة .
(٢) بهاشك ك إشارة إلى نسخة أخرى ذكرت أنهم بنو راشد .

ولكنى أوصيك بما فى الموسجة ، يعنى أخاه وحوح ، فمدل إليه خالد وأخذه وضمه إليه ومنع من قتله حتى قُدِّى بعد ذلك .

وأمُّ النابغة فاخترة بنت عمرو بن جابر شحنة الأسدى ، وإنما سُمِّى النابغة لأنه أقام ثلاثين سنة لا يتكلم ، ثم تكلم بالشعر . وقيل : إنه قال الشعر فى الجاهلية ، ثم اختلَّ دهرها ، ثم نبغ بالشعر فى الإسلام .
كان النابغة الجعديُّ أسنَّ من النابغة الذبياني .

وكان الجعديُّ شاعرا مُفلقا طويل البقاء فى الجاهلية والإسلام ، ومن الدليل على أنه أكبر من الذبيانيِّ قوله :

ومن يكُ سائلاً عنى فإنى من الفتیان أيام الخنآنِ
أنت مائةٌ لمامٌ ولِدْتُ فيه وعشرٌ بعد ذاك وجِجَتانِ
فقد أبقتُ صروفُ الدهرِ مئى كما أبقت من السيفِ المياني
ومُحَرَّر بعد ذلك طويلا .

سئل محمد بن حبيب عن أيام الخنآن فقال : وقمة لهم ^(١) . قال قائل منهم وقد لقوا عدوهم : خُنُوهم بالرماح ، فسمى ذلك عام الخنآن ، ويدل أيضا على كبره أنه كان قد مُحَرَّر مع المنذر بن الحرِّق قبل النعمان بن المنذر ، وكان النابغة الذبياني مع النعمان ابن المنذر فى عصره ، ولم يكن له قدمٌ إلا أنه مات قبل الجعديِّ ولم يُدرِك الإسلام وأدرِكه الجعديُّ .

(١) فى اللسان مادة خنن : الخنآن : زمن معروف عند العرب قد ذكروه فى أسفارهم . . .
« وذكر البيت » وقال الأصبغى : كان الخنآن داء يأخذ الإبل فى متاعها وتموت منه فصار ذلك تاريخاً لهم . ورواية اللسان : فن يجرى على كبرى فإن من الشبان أيام الخنآن .

والجمدى الذى يقول :

تذكرت شيئا قد مضى لسبيله
ندامى عند المنذر بن محرّق
كهول وفتيان كأنّ وجوههم
وعمر النابنة مائة وثمانين سنة وقال :

لَبِستُ أناسا فأفنيتهم
ثلاثة أهلين أفنيتهم
وكنْتُ غلاما ألقى الحرو
فلمّا دَنَوْنَا لِحِجْرٍ من النُّبا
أضاءت لنا النارُ وجها أف
وأفنيْتُ بعد أناس أناسا
وكان الإلهُ هو المُستأَسَّ (١)
بَ ويَلقى المُقاسُون مِنى مِرَّاسا
ح لم نعرف الحى إلّا التماسا (٢)
رَ مُلتَبِيا بالجمال التماسا (٣)

وأشدد عمر بن الخطاب رضى الله عنه هذه السينية إلى أن قال :

* ثلاثة أهلين أفنيتهم *

فقال : كم لبثت مع كل أهل ؟ فقال : ستين سنة .

وقال أيضا :

الآزعت بنو سميء بآئى
أنت مائة لعامٍ ولِدْتَ فيه
وأشدد رجلٌ من المعجم قول النابنة :
لبستُ أناسا فأفنيتهم
وأفنيْتُ بعد أناس أناسا

(١) شاف الديار أو الياف : جلاء .

(٢) التماس : المتعاض .

(٣) حرس النباح : صوت نباح الكلاب .

(٤) فى الأغاني كهامش ك : بالفؤاد التماسا .

وَفُسِّرَ لَهُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَقَالَ « بَدِشَارُ بَنِيوَد » ^(١) أَيْ هَذَا رَجُلٌ مَشْتُومٌ .

وَقَالَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ : إِنَّهُ عُمَرُ مَائَتَيْنِ وَعَشْرِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ بِأَسْجِهَانَ . وَمَا ذَاكَ بِمُنْكَرٍ ، لِأَنَّهُ قَالَ لِعَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ : إِنَّهُ أَفْنَى ثَلَاثَةِ قُرُونٍ كُلِّ قَرْنٍ سِتُونَ سَنَةً ، فَهَذِهِ مِائَةٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، ثُمَّ عَمِرَ بَعْدَهُ إِلَى أَيَّامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَاسْتَأْذَنَهُ وَمَدَحَهُ . وَفِي بَقِيَّةِ مُدَّةِ عُمَرَ وَأَيَّامِ عُمَانَ وَأَيَّامِ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ وَزَيْدِ نَحْوِهِ مَا ذَكَرَ ابْنُ قَتِيْبَةٍ .

وَهَاجِي أَوْسَ بْنَ مَفْرَاءَ بِحَضْرَةِ الْأَخْطَلِ وَالْمِجَاجِ وَكَبَّ بْنَ جُمَيْلٍ فَغَلَبَهُ أَوْسٌ وَكَانَ مُغْلَبًا .

قَالَ النَّابِغَةُ : أَنْشَدَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الشَّعْرَ فَأَعْجَبَهُ :
بَلَفْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجُدُونَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَطْهَرًا
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَأَيْنَ الْمَطْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ » فَقُلْتُ : الْجَنَّةُ .
فَقَالَ : « قُلْ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ » فَقُلْتُ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قُلْتَ بَعْدَ ذَلِكَ :
وَلَا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ بِوَادِرُ تَحِيٍّ صَفْوَةٍ أَنْ يُكْدَّرَا
وَلَا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَجِدْتِ » ، فَلَا يَفْضُضُ اللَّهُ فَاكْ » فَلَقَدْ أَنْتَ عَلَيْهِ مِائَةٌ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا وَمَا انْقَضَ مِنْ فِيهِ سَنٌ .

وَكَانَ النَّابِغَةُ عَمَّنْ فَكَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنْكَرَ الْحَرْ ، وَالشُّكْرَ وَمَا يَفْعَلُ بِالْمَقْلِ ، وَهَجَرَ الْأَزْلَامَ وَالْأَوْتَانَ ، وَقَالَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَلِمَةً الَّتِي أَوْلَاهَا :
الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مِنْ لَمْ يَقْلَعَهَا لِنَفْسِهِ ظَلَمًا ^(٢)

(١) فِي الْأَغَانِي « بَدِشَارُ بَنِيوَد » .

(٢) فِي الْأَغَانِي : لِنَفْسِهِ ظَلَمًا .

وكان يذكّر دين إبراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويترقّ أشياء لمواقبها .
ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم وقال :

أُتيتُ رسولَ الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالبحرِ نَسِيرًا
وجاهدتُ حتى ما أحسُّ ومن مَعِي سَهِيلًا إذا ما لاح ثُمّتَ غَوْرًا
أُقيمُ على التقوى فأرضى بفعلها وكنت من النار الخوفة أوجرًا
أوجرَ أي أوجَل .

وحسن إسلامه ، وشهد مع عليّ رضوان الله عليه صفين .

وكان دخل على عثمان رضى الله عنه فقال : أستودعك الله يا أمير المؤمنين ،
قال : وأين تريد يا أبا ليلى ؟ قال : ألتحقُ بإبلى وأشرب من أنبائها فإنى مُسكرٌ
لنفسى . قال : أنترأ^(١) ؟ بعد الهجرة يا أبا ليلى ؟ أما علمت أن ذلك مكروه ؟ قال :
ما علمته ، وما كنت لأخرج حتى أعلمك . قال : فأذن له وأجلّه فى ذلك أجلا .
فدخل على الحسن والحسين رضوان الله عليهما فودّعهما ، فقالا له : أنشدنا من
شعرك يا أبا ليلى ، فأنشدهما :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها لنفسه ظَلَمًا

فقالا : يا أبا ليلى ما كنا نَرَوِى هذا الشعر إلا لأُمّية بن أبي الصلت . فقال :
يا أبنى رسول الله ، إني لصاحب هذا الشعر وأوّل من قاله ، وإن السروق عَيْنُ
السروق^(٢) مَنْ سَرَقَ شِعْرَ أُمّية .

وكان السبب فى مهاجرة النابغة وأوس بن مخرّاء أن معاوية لما ندّب بُسر بن

(١) التهرب أن يصير الرجل أعرابيا وذلك أن يمود إلى البادية ويقسم مع الأعراب بعد أن كان مهاجرا .

(٢) كلمة « عين السروق » ليست فى الأغاني .

أَرْطَاءَ الْفِهْرِيِّ لَقِلْتُ شَيْعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ جَاءَ إِلَيْهِ مَعْنُ بْنُ يُزَيْدَ
ابْنِ الْأَخْنَسِ السَّكْمِيُّ وَزِيَادُ بْنُ الْأَشْهَبِ بْنُ وَرْدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ رَيْمَةَ بْنِ جَعْدَةَ فَقَالَا :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَسْأَلُكَ بِاللَّهِ وَالرَّحِمِ الْأَتَجَمِلُ لِبُسْرِ عَلَى قَيْسٍ سُلْطَانَا فَيَقْتُلَ قَيْسًا
بِمَنْ قَتَلْتُ بَنُو سَلِيمٍ مِنْ زُهْرٍ وَمِنْ كِنَانَةَ يَوْمَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مَكَّةَ . فَقَالَ مِصَاوِيَةُ : يَا بُسْرُ ، لَا لَا أَمْرُكَ عَلَى قَيْسٍ ، فَسَارَ بُسْرٌ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ ^(١) ،
وَقَتْلَ ابْنَيْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ، وَفَرَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَدَخَلُوا الْحَرَّةَ حَرَّةَ بَنِي سَلِيمٍ
[ثُمَّ سَارَ حَتَّى أَتَى الطَّائِفَ] وَقَالَتْ ثَقِيفٌ : مَا لَكَ عَلَيْنَا سُلْطَانٌ ، نَحْنُ مِنْ قَيْسٍ ،
فَسَارَ حَتَّى أَتَى كَهْدَانَ وَقَدْ تَحَصَّنُوا فِي جَبَلٍ لَهُمْ ، فَسَارَ بُسْرٌ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِمْ ، حَتَّى
إِذَا اغْتَرَوْا وَزَلُّوا عَلَى قُرَاهِمِ أَغَارَ عَلَيْهِمْ ، فَقَتَلَ وَجَبِي نِسَاءَهُمْ ، فَكَانَ أَوَّلُ مُسْلِمَاتٍ
سُبَيْنَ فِي الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ مِنْ نَجَا مِنْ سَعْدِ زُؤَلَا بَيْنَ ظَهْرَانِي بَنِي جَعْدَةَ
بِالْفَلَجِ ^(٢) فَأَغَارَ بُسْرٌ عَلَى السَّمْعِدِيِّينَ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ وَأَسَرَ ، فَقَالَ أَوْسُ بْنُ مَرْغَاءَ
فِي ذَلِكَ :

مُسْرِينَ يَرْعُونَ النَّجِيلَ وَقَدْ أَتَتْ ^(٣)

بِأَوْصَالٍ قَتَلَكُمْ كِلَابُ مُرَاجِمٍ

الْمُسْرِ : الَّذِي قَدْ بَسَطَ ثَوْبَهُ . فَقَالَ النَّابِغَةُ بِحَبِيئِهِ :

مَتَى أَكَلْتُ لَحْمَكُمْ كِلَابِي أَكَلْتُ بِدَيْكَ مِنْ جَرَبٍ تَهَامٍ

(١) فِي الْمَخْتَارِ : الطَّائِفَ . وَقَتْلَ ابْنَيْ عُبَيْدِ اللَّهِ كَانَ بِالْيَمَنِ . وَفِي الْأَغَانِي : حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ .

(٢) زِيَادَةُ مِنَ الْأَغَانِي .

(٣) فِي الْأَغَانِي « وَرَبَّحِي مِنْ بَنِي سَعْدِ زُؤُلٍ بَيْنَ ظَهْرَانِي بَنِي جَعْدَةَ بِالْفَلَجِ » هَذَا ، وَالْفَلَجُ
مَدِينَةٌ بِأَرْضِ الْحِجَازِ لِبَنِي جَعْدَةَ كَمَا فِي مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : وَقَدْ غَدَتْ .

ولم يكن أوس مثل النابغة ولا قريبا منه في الشعر ، فقال النابغة : إني وإياه
لنبتدِرُ نَبْتًا أَيُنَا سَبَقَ إِلَيْهِ غَلَبَ سَاحِبِهِ . فلما بلغه قولُ أوس :
لعمرك ما تبلى سرايلُ عامي من اللُّوم ما دامت عليها جلودُها
قال النابغة : هذا البيت الذي كنا نبتدِرُ إليه فنُلَبِّ أوسُ عليه .
وكان سبب المهاجرة بين الجعدي وبين ليل الأخيلىة أن رجلا من قشير يقال له
ابنُ الحلياءِ - وهي أمُّه - واسمه سَوَادٌ ^(١) بن أوفى بن سَبْرَه هجاء وسبَّ أخواله من بني أسد
في أمر كان بين قشير وبين جعدة وهم بأصبهان ، فأجابه النابغة بقصيدته الفاضحة -
مُحِيتَ بذلك لأنها ذَكَرَ فيها مساوئ قشير وعُقيل وكل ما كانوا يُسَبِّون به - ونُفِرَ
بمآثر قومه :

جَهَلَتْ عَلَى ابْنِ الْحَلِيَاءِ وَظَلَمَتْنِي وَجِئِمَتْ قَوْلًا خَاسِتًا وَمُضَلَّلًا
وقال أيضا قصيدته التي أولها :

أَمَّا تَرَى ظِلَّ الْأَيَّامِ قَدْ حَسَرَتْ عَنِّي وَشَمَرْتُ ذَيْلًا كَانَ ذَيْلًا ^(٢)
ويوم مكة إذ ماجدُنمُ نَفَرًا حَامُوا عَلَى عَقْدِ الْأَحْسَابِ أَرْوَالًا ^(٣)
عند النجاشي إذ تُعْطُونَ أَيْدِيَكُمْ مُقَرَّنِينَ وَلَا تَرْجُونَ إِرْسَالًا ^(٤)
إِذ تَسْتَحْيُونَ عِنْدَ الْجَدَلِ أَنْ لَكُمْ ^(٥)

من آل جعدة أعماما وأخوالا
لو تستطيعون أن تُلْقُوا جُلُودَكُمْ وَتَجْعَلُوا جِلْدَ عَبْدِ اللَّهِ سِرْبَالًا
يعني عبد الله بن جعدة بن كعب .

(١) في الأغاني : سوزر .

(٢) ذيلًا : طويلا .

(٣) الأروال جمع الزول : وهو القتي الخفيف الغلظيف ، والجواد .

(٤) في المختار : « ولا ترخون » .

(٥) في الأغاني : « عند الجدال أن لكم » .

إذا تسربلتم فيه لِيُنَجِّيَكُمْ فيما يقول ابنُ ذي الجدين إذ قالَا
 حتى وَهَبْتُمْ لعبدِ الله صَاحِبَهُ والقولُ فيكم يا ذن الله ما قالَا
 تلك السكارمُ لا قَمْبَانٍ من لَبَنٍ شِيْبَا بَعَاءُ فَعَادَا بَعْدُ أَبُوَالَا
 يعني بهذا البيت أن ابن الحليّا نَغَرَ عليه بأنهم سَقَوْا رجلا من جَمْدَةٍ أدركوه
 في سفر وقد جَهَدَ عطشاً ، فسقوه لبنا وماء فماش . ونغر عليهم أيضا ييوى رَحْرَحَانَ
 فقال:

هَلَا سَأَلْتَ ييوى رَحْرَحَانَ وقد ظَلَنْتُ هَوَازَنُ أَنْ المِرَّ قد مَالَا^(١)
 فلما قال النابتة :

* تلك السكارمُ لا قَمْبَانٍ من لبن *

وكونه نَغَرَ بماله وَغَضَّ مالهْم اعْتَنَتْ^(٢) ليلي الأَخيليةُ بينهما ، وقالت :
 وما كُنْتُ لو فَارَقْتُ حَبْلَ عَشِيرَتِي لأَذْكُرُ قَمْبِي خَازِرٍ قد تَنَمَّلا^(٣)
 فلما بلغ النابتة قولها قال :

أَلَا حَيِّياً ليلي وقولاً لها هَلَا رَكِبْتُ لَنَا أَيْراً أَعْرَ مُحَجَّلَا^(٤)
 وقد أَكَلْتُ بَقْلًا وَخَيْمًا نَبَاتُهُ وقد شَرِبْتُ من آخر اللَّيْلِ أَيْلَا
 أَيْلَا يعني أَيْلَانِ الأَيْلِ ، وقد تَوَرَّثَ السُّلْمَةُ :

دَعَى مِنْكَ تَهَجَّاءَ الرِّجَالِ وَأَقْبَلِي على أَذْلَقِي يَمْلًا اسْتَكَّ قِنْشَلَا^(٥)
 وكيف أَهَاجِي شَاعِرًا رُمَحَهُ اسْتُهُ خَضِيبَ البَنَانِ لَا يَزَالُ مُسْكَلَا

(١) بهامش ك رواية عن نسخة أخرى : « قد زالا » مثل الأغاني .

(٢) اعتنت : اعترضت . وفي الأغاني : ودخلت ليلي .

(٣) المازر : اللبن الحامض . وتشل : صار كتلا من الرغوة .

(٤) في الأغاني : فقد ركب أيرا أعر محجلا .

(٥) الأذلقى : الضخم الطويل من الأيور .

فردت عليه ليلي الأخيالية ف قالت :

أنا بَعُ لَمْ تَنْبَغْ ولم تَكْ أَوَّلًا وقد كنت صُنِيًّا بين صَدَيْنِ مَجْهَلًا^(١)

الصُّنْيُ شَعْبٌ يَسِيلُ مِنْهُ الْمَاءُ ، وَصَدَّانِ : جَبَلَانِ .

أنا بَعُ إِنْ تَنْبَغْ بَلُوْمُكَ لَا تَجِدُ بَلُوْمُكَ^(٢) إِلَّا وَسَطَ جَمْعَةٍ مَجْهَلًا

تُعَبِّرُنِي دَاءُ بِأَمِّكَ مِنْهُ وَأَيُّ حَصَانٍ لَا يَقَالُ لَهَا هَلَّا

فَعَلَبَتْهُ ، فَلَمَّا آتَى بَنِي جَمْعَةٍ قَوْلَهَا هَذَا اجْتَمَعَ نَاسٌ مِنْهُمْ وَقَالُوا : لَتَأْتِيَنَّ صَاحِبَ

الْمَدِينَةِ أَوْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَلْيَأْخُذَنَّ لَنَا بِحَقِّنَا مِنْ هَذِهِ الْخَبِيثَةِ ، فَإِنَّهَا قَدْ شَمَتَتْ أَعْرَاضَنَا

وَأَقَرَّتْ عَلَيْنَا ، فَتَاهَبُوا لِذَلِكَ ، وَبَلَّغُوا أَنَّهُمْ يَرِيدُونَ يَسْتَعْمِدُونَ عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ :

أَنَا نِي مِنَ الْأَنْبَاءِ أَنْ عَشِيرَتِي بِشَوْرَانَ يَزُجُّونَ الْمَطِيَّ الذَّلَّلَا^(٣)

يَرُوحُ وَيَفْدُو وَفَدُّهُمْ بِصَحِيفَةٍ لَيْسَتْ جَلْدُونِي سَاءَ ذَلِكَ مَعْمَلًا

وَمِنَ الْأَيَّامِ الَّتِي غَرَبَ فِيهَا النَّابِتَةُ يَوْمَ شَرَّاحِيلَ بْنِ الْأَصْهَبِ الْجَنْفِيِّ ، وَهُوَ يَوْمٌ

مَذْكُورٌ تَفَخَّرَ بِهِ مُضَرٌّ كُلُّهَا وَذَلِكَ أَنَّ شَرَّاحِيلَ خَرَجَ مُنْغِيرًا فِي جَمْعٍ مِنَ الْبَيْنِ ،

وَكَانَ قَدْ طَالَ عَمْرُهُ وَكَثُرَ تَبَعُهُ وَبَعْدَ سَوْتِهِ^(٤) وَاتَّصَلَ ظَفَرُهُ وَصَالِحُ بَنِي حَامِرٍ عَلَى

أَنْ يَفْزُو الْعَرَبُ فَإِنَّهُمْ بَدَأَتْهُ وَعَوَدَتْهُ ، لَا يَمْرُضُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لَصَاحِبِهِ . فَأُبْعِدَ فِي بَعْضِ

غَزَوَاتِهِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَرًّا عَلَى بَنِي جَمْعَةٍ فَقَرَّبَتْهُ وَنَحَرَتْ لَهُ ، فَعَمِدَ نَاسٌ مِنْ سَفَهَاءِ

أَصْحَابِهِ فَتَنَّاوَلُوا إِبْلًا لِبَنِي جَمْعَةٍ فَتَنَحَّرُواهَا ، فَشَكَّتْ ذَلِكَ بَنُو جَمْعَةٍ إِلَى شَرَّاحِيلَ

فَقَالُوا : قَرَبْنَاكَ وَأَحْسَنَّا صِنِيفَاكَ وَلَمْ تَمْنَعْ أَصْحَابَكَ مِمَّا يَمْعَلُونَ ، فَقَالَ : إِنَّهُمْ قَوْمٌ

مُنْغِيرُونَ ، وَقَدْ أَسَاءُوا لِعَمْرِي ، وَإِنَّمَا يَقِيمُونَ عِنْدَكُمْ يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ يَرْتَحِلُونَ .

(١) فِي الْمَخَارِ : صَنَائِينَ : صَدَيْنِ هَذَا وَالصُّنْيُ تَصْغِيرُ الصُّوِّ : وَهُوَ النُّورُ يَسِيلُ فِيهِ الْمَاءُ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : لِلْوُؤْمِكِ .

(٣) شَوْرَانَ : جَبَلٌ فِي دِيَارِ بَنِي جَمْعَةٍ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : صِينَةٍ .

فقال الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جمدة لأخيه ورد بن عمرو - وقيل : بل قال لابن أخيه الجعد بن ورد - : دَعْنِي أَذْهَبْ إِلَى بَنِي قُشَيْرٍ - وَجَمَدَةُ وَقُشَيْرٌ أَخَوَانِ أُمُّهُمَا رَيْطَةُ بِنْتُ قُنْفُذَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ أُمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ بَهْتَةَ بْنِ سَلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ - فَأَدْعُوهُمْ ، وَاصْنَعْ أَنْتَ لَشَرَاهِيلَ طَعَامًا حَسَنًا وَادْعُهُ وَأَدْخِلْهُ إِلَيْكَ وَأَقْتُلْهُ ، فَإِذَا احْتَجَجْتَ إِلَيْنَا فَدَخِّنْ ، فَإِنِ إِذَا رَأَيْتَ الدِّخَانَ أَتَيْتَكَ بِهِمْ فَوَضَعْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْحَرْبَ ^(١) . فَمَعِدَ وَرَدٌ إِلَى الطَّعَامِ فَأَصْلَحَهُ ، وَدَعَا شَرَاهِيلَ وَنَاسًا مِنْ أَصْحَابِهِ وَبَنِي عَمِّهِ ، فَجَعَلُوا كُلُّهُمْ دَخَلَ الْبَيْتِ رَجُلٌ قَتَلَهُ وَرَدٌ ، حَتَّى اتَّخَصَفَ النَّهَارُ ، فَجَاءَ أَصْحَابُ شَرَاهِيلَ يَتَبِعُونَهُ ، فَقَالَ لَهُمْ وَرَدٌ : تَرَوْحُوا ، فَإِنِ صَاحِبَكُمْ قَدْ شَرِبَ وَثَمَلَ وَسَيَرُّوْحُ . فَرَجَعُوا ، وَدَخَّنَ وَرَدٌ ، فَجَاءَتْ قُشَيْرٌ فَقَتَلُوا مِنْ أَدْرَكُوا مِنْ أَصْحَابِهِ ، وَسَارَ سَائِرُهُمْ ، وَبَلَنَهُمْ قَتْلُ شَرَاهِيلَ فَرَّوْا عَلَى بَنِي عُقَيْلٍ وَهُمْ إِخْوَتُهُمْ فَقَالُوا : لِنَقْتُلَنَّ مَالِكَ بْنِ الْمُتَفِيقِ ، فَقَالَ لَهُمْ مَالِكٌ : أَنَا أَتَيْتُكُمْ بَوْرِدٍ . فَرَكِبَ بَنِي عُقَيْلٍ إِلَى بَنِي جَمَدَةَ وَقُشَيْرٍ لِيُعْطَوْهُ وَرَدًا ، فَامْتَنَعُوا مِنْ ذَلِكَ ، وَسَارُوا بِأَجْمَعِهِمْ فَذَبُّوا عَنْ عُقَيْلٍ حَتَّى تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ مِمَّنْ كَانَ ^(٢) مَعَ شَرَاهِيلَ ، فَقَالَ بَحْمِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ :

أَحْيَى يُنْفِدُونَ الْمِيرَ نَحْرًا أَحَبُّ إِلَيْكَ أُمُّ حَيَّا حِلَالٍ ^(٣)

لَمَلَّكَ قَاتِلٌ وَرَدًا وَلَمَّا نَسَأُ الْخَلِيلُ بِالْأَسْلِ الطَّوَالِ ^(٤)

أَلَا يَا مَالٍ وَنَيْحَ سِوَاكَ أَقْصِرْ أَمَا يَنْهَاكَ حِلْمُكَ عَنْ ضَلَالٍ

(١) فِي الْأَغَانِي : فَوَضَعْنَا سَيْوفَنَا عَلَى الْقَوْمِ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : حَتَّى خَرَقَ مِنْ كَانَ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : حَيَّا هَلَالٌ ..

(٤) فِي الْأَغَانِي : بِالْأَسْلِ الْهَالِ .

وأما قوله :

لو تستطيعون أن تلقوا جلودكم وتحملوا جلد عبد الله سربالا
فإن سبب ذلك أنه كان هُبيرة بن عامر بن سلمة بن قُشير لقي خِدَاش بن زُهَيْر
الْبِسْكَائِي فتنافرا على مائة من الإبل لمائة [قال كل منهما لصاحبه] ^(١) :لأنا أكرم منك
وأعز . وحكّافى ذلك رجلا من بني الجَدْيَيْن فقضى بينهما أن أعزها وأكرمهما أقرَّبهما
من عبد الله بن جمدة نسبا ، فقال خِدَاش : أنا أقرب إليه ، لأن أم عبد الله بن جمدة عمتي
وهي أميمة بنت عمرو بن عامر ، وإنما أنت أدنى إليه مني بآبٍ . فلم يزالا يختصمان
في القرابة لعبد الله دون المكاثرة بآبائهما إقرارا بذلك حتى فُلج ^(٢) بذلك هُبيرة
القُشَيْرِيُّ وظفر به . وكان عبد الله بن جمدة سيّدا مطاعا ، وكانت له إناوته يُكَاظ
يُؤْتى بها ، فجاء سُلَيْان ^(٣) بن سلمة القُشَيْرِيُّ وعبد الله جالس على ثياب قد مُجِمت له
من إناوته ، فأثَره منها وجلس مكانه ، فجاء رِياح ^(٤) بن عمرو بن ربيعة وهو أَخْلِيع
سمى بذلك لتخلمه على الملوك لا يعطيهم طاعة ، فقال للقُشَيْرِي : مالك ولشيخنا تنزله
عن إناوته ؟ فقال القُشَيْرِيُّ : كذبت ، ما هي له . ومد القُشَيْرِي رِجله وقال : هذه
رِجْلِي فاضربها إن كنت عزيزا . فقال : لا لعمري لا ضربتُ رِجلك . فقال له
القُشَيْرِيُّ : فامدُد لي رِجلك حتى تعلم أضربها أم لا . قال : ولا أمدُّك رِجلي ، ولكن
أفعل ما لا تنكره المشيرة وما هو أعزُّ لي وأذلُّ لك . ثم أهوى إلى رجل القُشَيْرِيِّ فسحبه
على قفاه فنجاه وأقعد عبد الله بن جمدة مكانه .

(١) زيادة من الأغاني .

(٢) فلج : فاز .

(٣) في بعض أصول الأغاني : سمير .

(٤) في المختار وبعض أصول الأغاني : « رياح » . والتصويب من بعض أصول الأغاني
وتصويب الشنيطي .

وعبدُ الله بن جمدة أول من صنع الدَّبَابَةَ ، وكان سببها أنهم اتجمعوا ناحية البحرَينَ وهجموا على عبدٍ لرجل يقال له الكَوْدَنُ في قَصْرِ حَصِينٍ ، فدخلَ العبدُ ودعا النساءَ والصبيانَ ، فظنوا أنه يريد أن يطعمهم ثريدًا ، حتى إذا امتلأَ القصرُ منهم أغلقه عليهم ، فصاح النساءُ والصبيانُ ، وقام العبدُ ومن معه على شُرَفِ القصرِ ، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رماه ، فلما رأى ذلك عبدُ الله بن جمدة صنع دَبَابَةً على جذع نخلة^(١) وألبسها جُلُودَ الإبلِ ، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها إلى القصرِ ، ثم خفروا حتى خرقوه ، فقتل العبدُ ومن كان معه واستنقذوا نساءً وصبيانهم فلذلك يقول النابغة :

ويومَ دعا ولداً نكم عبدُ كودنٍ نغالوا لدى الداعي ثريداً مُفغلاً
وفي ابنِ زيادٍ وهو عَقْبَةُ خيرِكم هُبيرةٌ بنزو في الحديديدِ مُكْبَلًا

يعني هُبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير . وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جمدة خرج ومعه مالك بن عبد الله حتى مروا على قبيلة بني زياد المَبْسِيينَ والرجالُ غَيَّبٌ ، فأخذوا ابناً لأنس بن زياد ، فانطلقوا به يرجون الفداء ، وانطلق معه عُمارَةُ بن زياد حتى أتى بني كعب ، فلقى هُبيرة بن عامر فقال له : يا هُبيرة ، إن الناس يقولون إنك بخيل ، قال : معاذ الله ، قال : فهب لي جُبَّتِكَ هذه ، فأهوى ليخلمها ، فلما وقفتُ في رأسه وثب عليه فأمره ، ثم بحث إلى بني قشير وقال : على وعلى إن قبلتُ من هُبيرة أقلَّ من فدية حاجبٍ إلا أن تأتوني بأخي الذي في بني جمدة ، فشتت بنو قشير إلى بني جمدة فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم فافتقدوا به هُبيرة .

(١) في الأغاني : جذوع النخل .

ومن شعر النابغة ، وهو أول من سبق إلى الكناية في هذا الشعر :

هَلْ بِالْدِيَارِ الْغَدَاةَ مِنْ صَحْمٍ أَمْ هَلْ يَرْبَعُ الْأَيْسَ مِنْ قَدَمٍ
أَمْ مَا تَنَادَى مِنْ مَا زِلَ دَرَجِ الْ سَيْلُ عَلَيْهِ كَالْحَوْضِ مِنْهُدَمٍ
غَرَاءَ كَاللَّيْلَةِ الْمُبَارَكَةِ الْقَمَ رَاءَ تَهْدَى أَوَائِلُ الظُّلَمِ
أَكْرَبِي بِغَيْرِ اسْمِهَا وَقَدْ عَلِمَ الْ هَ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمٍ ^(١)

قال الأخفش : النابغة أول من سبق إلى الكناية عن اسم من يعنى بغيره ،
فسبق الناس جميعاً وتبعوه ، ولقد أحسن أبو نواس في أخذه حيث يقول :

اسْأَلِ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانَ كَيْفَ خَلَقْنَا أَبَا عَمَانَ
فَيَتَوَلَّانِ لِي جَسَانٌ كَمَا رَكَ فِي حَالِهَا فَسَلَّ عَنْ جَنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يُبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كِمَانِي

وأما خبره مع ابن الزبير فإنه دخل على ابن الزبير المسجد الحرام وقد أقصمته
السنة ^(٢) فأنشد :

حَكَيْتَ لَنَا الصَّدِيقَ لِمَا وَلَيْتَنَا وَعُمَانَ وَالْفَارُوقَ فَارْتَاخَ مُعَدِمُ
أَنَاكَ أَبُو لَيْلَى يَجُوبُ بِهِ الدُّجَى دُجَى اللَّيْلِ جَوَابُ الْغَلَاةِ عَثَمُ ^(٣)
لِتَجْبُرَ مِنْهُ جَانِبًا ذَعَذَعَتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالزَّمَانُ الْمُسَمُّ

فقال له ابن الزبير : هَوْنٌ عليك أبا ليلى ، فإن الشعر أهونُ وسألك عندنا ،
أما صَفْوَةُ مَا لَنَا فَلَا لَ الزُّبَيْرِ وَأَمَا عَفْوَتُهُ ^(٤) فَإِنْ بَنَى أَسَدُ بْنُ قَبِيذٍ الْمَرْغَى تَشْفَلَهَا

(١) بعده في الأغاني بيتان .

(٢) أقصمته : ألقته . والسنة : الجذب .

(٣) العشم : الجمل الشديد الطويل .

(٤) عفوة للال : خياره . وفي ابن الأثير مادة عفا : « أما صفو أمواتنا . . . وأما عفوه »

وعفو المال : ما يفضل من النفقة .

عنتك وَتَيْمًا مِمَّهَا^(١) وَلَكِنْ لَكَ فِي مَالِ اللَّهِ حَقَانٌ : حَقُّ بَرِيَّتِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَقُّ لِيثَرِ كَفِّكَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ فِي قَيْتِهِمْ . ثُمَّ أَخَذَ يَدَهُ فَأَدْخَلَهُ دَارَ النَّعَمِ فَأَعْطَاهُ قَلَائِصَ سَبْعًا وَجَمَلًا رَحِيلًا^(٢) ، وَأَوْفَرَ لَهُ الرَّكَّابَ^(٣) بُرًّا وَتَمَرًا وَثِيَابًا ، فَجَعَلَ النَّابِتَةُ يُسْتَعِجِلُ فِي كُلِّ الْحَبِّ صِرْفًا فَقَالَ ابْنُ الزَّيْرِ : وَيْحَ أَبِي لَيْلَى ! لَقَدْ بَلَغَ بِهِ الْجَهْدُ . فَقَالَ النَّابِتَةُ : أَشْهَدُ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « مَا وَرَيْتُ قُرَيْشٌ فَمَدَّتْ ، وَاسْتَرْجَمْتُ فَرَحِمْتُ ، وَحَدَّثْتُ فَصَدَقْتُ وَوَعَدْتُ خَيْرًا فَأَنْجَزْتُ ، فَأَنَا وَالنَّبِيُّونَ لَهَا قُرَاطٌ^(٤) ضُمْنٌ » .

رَعَتْ بَنُو عَامِرٍ بِالْبَصْرَةِ فِي الزَّرُوعِ ، فَبِثَّ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ فِي طَلَبِهِمْ ، فَتَنَاصَرَحُوا : يَا آلَ عَامِرٍ ، يَا آلَ عَامِرٍ ، نَفَرَجَ النَّابِتَةُ الْجَمْدَى وَمَعَهُ عُصْبَةٌ لَهُ ، فَأَتَتْ بِهِ إِلَى أَبِي مُوسَى ، فَقَالَ : مَا أَخْرَجَكَ ؟ قَالَ : سَمِعْتُ دَاعِيَةَ قَوًى ، فَضَرَبَهُ أَسْوَاطًا ، فَقَالَ النَّابِتَةُ :

رَأَيْتُ الْبَكْرَ بَكْرَ بَنِي ثَمُودٍ	وَأَنْتَ أَرَاكَ بَكْرَ الْأَشْعَرِيْنَ
فَإِنْ يَكُنْ ابْنُ عَفَّانٍ أَمِينًا	فَلَمْ يَبْعَثْ بِكَ الْبَرَّ الْأَمِينَا
فَيَا قَبْرَ النَّبِيِّ وَصَاحِبَيْهِ	أَلَا يَأْغُوسُونَنَا لَوْ تَسْمَعُونَا
أَلَا صَلَّى إِلَهُكُمْ عَلَيْكُمْ	وَلَا صَلَّى عَلَى الْأُمَرَاءِ فِينَا

وَلَمَّا خَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى صِفِّينَ خَرَجَ مَعَهُ النَّابِتَةُ الْجَمْدَى فَسَاقَ بِهِمْ يَوْمًا فَقَالَ :

(١) فِي الْخِتَارِ : « وَتَمَانِهَا » وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْأَغَانِي . وَتَيْمٌ : قَبِيلَةٌ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ لِأُمِّهِ .

(٢) الْجَمَلُ الرَّحِيلُ : الْقَوَى عَلَى السَّيْرِ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : الْإِبِلُ .

(٤) الْقُرَاطُ : لِلتَّقَدُّمِ إِلَى الشِّفَاعَةِ . وَالضَّمْنُ : الْكَافِلُونَ .

قَد عَلِمَ الْمِصْرَانِ وَالْعِرَاقُ أَنْ عَلِيًّا فَخَلَهَا الْمُتَقَاتُ
أَبْيَضَ جَحْجَحًا لَهْ رَوَاقُ وَأُمُّهُ غُصُولِي بِهَا الصَّدَاقُ
أَكْرَمُ مِنْ شُدِّهَا نِطَاقُ إِنَّ الْأَلَى جَارُوكَ لَا أَفَاقُوا
لَهُمْ سِبَاقٌ وَلَكُمْ سِبَاقُ^(١) قَد عَلِمْتُ ذَلِكَ الرِّفَاقُ
سَقَمْتُ إِلَى فَحْجِ الْهَدَى وَمَاقُوا إِلَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا عِرَاقُ
* فِي مِلَّةٍ عَادَتُهَا التَّفَاقُ *

فلما قدم معاوية الكوفة قام النابغة بين يديه فقال :
الْمَ يَا أَهْلَ الشَّرْقَيْنِ رِسَالَتِي وَأَيَّ قَصِيحٍ لَا يَبِيتُ عَلَى عَقَبِي
مَلِكُكُمْ فَكَانَ الشَّرُّ آخِرَ عَهْدِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَدَارِكْكُمْ حُلُومُ بَنِي حَرْبِ
وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأخذ أهل النابغة وماله ، فدخل النابغة
على معاوية وعنده عبد الله بن عامر ومروان فأنشده :
مَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي ابْنَ هَنْدٍ بِحَاجَتِي فَتَنْفُذَ وَالْأَنْبَاءَ تُنْمَى وَتُجَلَّبُ^(٢)
وَيُخْبِرُ عَنِّي مَا يَقُولُ ابْنُ عَامِرٍ وَنَشَمَ الْفَتَى يَأْوِي إِلَيْهِ الْمَصِيبُ^(٣)
فَإِنْ تَأْخُذُوا أَهْلِي وَمَالِي بِظَنَّةٍ فَإِنِّي لِحُرَابُ الرِّجَالِ مُجَرَّبُ^(٤)
صَبُورٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ الرُّدَّ كُلَّهُ سَوَى الظُّلْمِ إِنِّي إِنْ ظَلَمْتُ سَأَغْضِبُ
فالتفت معاوية إلى مروان فقال : ما ترى ؟ قال : أرى ألا ترد عليه شيئا ، فقال :
ما أهون عليك أن ينجرح هذا في غارم ثم يقطع عرضي على ثم تأخذه العرب فترويه ،
أما والله إن كنت لمن يرويه . اردد عليه كل ما أخذت له .

(١) في الأغاني : لهم سباق ولكم سباق .

(٢) في الأغاني : بحاجتي على النأي والأنباء .

(٣) المصعب : ألقى أكلت ماله المتنون وفي الأغاني : ما أقول ابن عامر .

(٤) في بعض أصول الأغاني : محرب .

ومن شعر النابغة :

أَيَادُ اسْلَمَى بِالْحُرُورِ يَةَ اسْلَمَى	إِلَى جَانِبِ الصَّمَانِ وَالْمُتَلَمِّ
أَقَامَتْ بِهِ الْبَرْدَيْنِ ثُمَّ تَذَكَّرَتْ	مَنَازِلَهَا بَيْنَ الدُّخُولِ مُفِرَّتُمْ
لِيَالِي تَصْطَادُ الرِّجَالِ بِفَاحِمٍ	وَأَبْيَضَ كَالْأَغْرِضِ لَمْ يَنْتَلِمْ ^(١)
فَأَبْلَغَ عِقَالًا أَنْ غَايَةَ دَاحِسٍ	بِكَفَيْكَ فَاسْتَخِرْهَا أَوْ تَقَدَّمْ ^(٢)
تُجِيرُ عَلَيْنَا وَإِلَّا فِي دِمَانَا	كَأَنَّكَ عَمَّا قَالَ أَشْيَاعُنَا عَمِي
كَلِيبٌ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَنَا صِرًا	وَأَيْسَرُ جُرْمًا مِنْكَ ضُرُجٌ بِالْدَمِ
رَمَى ضَرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَّ بِطَمْعِهِ	كَأَشِيَةِ الْبُرْدِ الْبِمَانِي السَّهْمِ ^(٣)
وَمَا يَشْعُرُ الرَّمْحُ الْأَصَمُّ كُؤُوبُهُ	بِثَرْوَةٍ رَهْطِ الْأَبْلَغِ الْمُتَعَلِّمِ ^(٤)
وَقَالَ لِحِجَّاسٍ أَغْنِنِي بِشَرْبَةٍ	تَقْضِلُ بِهَا طَوْلًا عَلَى وَأَنْعَمِ
فَقَالَ تَجَاوَزْتَ الْأَحْسَ وَمَاءَهُ	وَبَطْنُ شَيْثٍ وَهُوَ دُوْ مُرْسَمِ ^(٥)

هذا الشعر يقوله النابغة بن خويلد الثقفي يحذره غيب الظلم لما أجاز بني وائل
ابن ممن وكانوا قتلوا رجلا من بني جمدة ، فحذرهم مثل حرب البسوس إن أقاموا
على مثل ذلك .

-
- (١) الإغريض : كل أبيض طرى والإغريض : الطلع .
(٢) داحس : جواد قيس بن زهير التي وقت بسببه الحرب المروقة بحرب داحس والغبراء .
(٣) الناب : الناقة المسنة . والسهم : المخطط كالسهم .
(٤) الأبلغ : العظيم في نفسه الجريء على ما أتى من التجور . والمتعلم : الذي يظلم الناس حقوقهم .
(٥) الأحس وشيث : غديران . والترسم : موضع الماء لمن طلبه .

حماد الراوية^(١)

هو حماد بن ميسرة مولى بني شيان ، وقيل : حماد بن سابور ، أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . كانت ملوك بني أمية تُقدِّمه وتُؤثِّره وتُسِّنِّي برّه وتُسزِّره ويقَدِّم^(٢) عليهم فينادمهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها ويجزلون صلته .

سئل حماد : ممن أنتم ؟ فقال : كنّا من سبى سليم^(٣) بن ربيعة فطوّحتنا سُهَمانُ لبني شيان فولّأونا لهم .

وكان أبوه يكنى أبا ليلي :

قال الوليد بن يزيد يوما لحماذ : بم استحققت هذا اللقب فقيل لك : حماد الراوية ؟ قال : لأنّي أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف أنك لا تعرفه ولم تسمع به ثم لا أنشد شعرا لقديم ولا عحدث إلّا مَيَّزْتُ بين القديم والحديث . قال : إن هذا لعلّ كبير وإليك ، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من الشعر لشعراء الجاهلية دون شعراء الإسلام . قال : سأمتحنك وأمره بالإنشاد ، فأنشد حتى ضجّر الوليد ، ثم وَكَّلَ به من استخلفه

(١) الأغاني : دار الكتب ٧٠/٦ وانظر ص ٦٩ ودار الثقافة ٦٨/٦ وانظر ص ٦٧ وبولاق ١٦٤/٥ والسامى ١٥٦/٥ والتجريد ٧٣٦ .

(٢) في الأغاني : يفيد .

(٣) في الأغاني : سلمان .

(٤) في أصول من الأغاني : فطرحنا سلمان لبني شيان وفي أصول آخر كما هنا .

أَنْ يَصْدُقَهُ عَنْهُ وَيَسْتَوِي عَلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ الْفَنِينَ وَتَسْمِئَةَ قَصِيدَةَ لِلجَاهِلِيِّينَ ، وَآخِرَهُ الْوَلِيدَ بِذَلِكَ ، فَأَمَرَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدَى يَوْمَاحِدِ الرَّأْيَةِ : أَلْقَى عَلَى مَا شِئْتُ مِنَ الشَّعْرِ حَتَّى أَفْتَرَهُ لَكَ . فَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا مَعْنَى قَوْلِ مُزَارِحِ التَّمَالِي :

تَخَوَّفَ السَّيْرُ مِنْهَا نَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفْنُ
فَلَمْ أَدْرِ مَا أَقُولُ . فَقَالَ : تَخَوَّفُ : تَنْقُصُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ « أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ » ^(١) أَيْ عَلَى تَنْقُصٍ .

كَانَ بِالْكُوفَةِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ يُقَالُ لَهُمُ الْحَمَادُونَ : حَمَادُ بَجَرْدٍ وَحَمَادُ الرَّأْيَةِ وَحَمَادُ ابْنِ الزُّبُرْقَانِ ، يُتَنَادَمُونَ عَلَى الشَّرَابِ ، وَيَتَنَاشَدُونَ الْأَشْجَارَ وَيَتَعَاشَرُونَ عَشْرَةَ جَمِيلَةً ، وَكَانُوا كَالْهَمِ كَنْفَسٍ وَاحِدَةً ، وَكَانُوا يُرْمَوْنَ بِالزُّنْدَقَةِ جَمِيعًا .

قَالَ أَبُو عَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ : مَا سَأَلْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنَ الْعَلَاءِ عَنْ حَمَادِ الرَّأْيَةِ إِلَّا قَدِمَهُ عَلَى نَفْسِهِ . وَلَا سَأَلْتُ حَمَادًا عَنْ أَبِي عَمْرٍو إِلَّا قَدِمَهُ عَلَى نَفْسِهِ .

[قَالَ حَمَادُ : كُنْتُ مُنْقَطِعًا إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ هِشَامُ يُجَفِّوُنِي لِذَلِكَ دُونَ بَنِي أُمِيَّةَ ، فَلَمَامَاتِ يَزِيدَ وَوَلِيِّ هِشَامِ خَفَتَهُ وَمَكَّثَتْ سَنَةً فِي بَيْتِي لَا أُخْرَجُ إِلَّا إِلَى مَنْ أَتَقَى بِهِ مِنْ إِخْوَانِي سِرًّا ، فَلَمَّا لَمْ أَسْمَعْ أَحَدًا يَذْكُرُنِي سَنَةً أَمِنْتُ وَخَرَجْتُ ، فَصَلَيْتُ الْجُمُعَةَ ، وَإِذَا شُرَاطِيَانِ قَدْ وَقَفَا عَلَيَّ وَقَالَا : يَا حَمَادُ ، أَرَجَبِ الْأَمِيرَ يُوسُفَ بْنَ عَمْرِو . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : هَذَا مَا كُنْتُ أَحْذَرُ ، ثُمَّ قُلْتُ لِلشُّرَاطِيَيْنِ : هَلْ لَكُمْ أَنْ تَدْعَانِي إِلَى أَهْلِ فَأَوْدَعَهُمْ وَدَاعَ مَنْ لَا يَرْجِعُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ ثُمَّ أُصِيرُ مَعَكُمْ إِلَيْهِ ؟ فَقَالَا : مَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلُ ، فَاسْتَسَلَّمْتُ فِي أَيْدِيهِمَا وَصَرْتُ إِلَى يُوسُفَ بْنَ عَمْرِو وَهُوَ فِي الْإِيْوَانِ الْأَحْمَرِ ، فَسَلَّمْتُ

(١) سُورَةُ النَّحْلِ الْآيَةُ ٤٧ .

عليه فردٌ على السلام ، ورى إلى كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أما بعدُ ، فإذا قرأت كتابي هذا فأرسل إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا مُتَمَتِّع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً^(١) يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق . فأخذت الخمسمائة دينار ونظرت فإذا جملٌ مرحولٌ ، فركبت وصرت إلى دمشق ، فوافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام ، وهو في مجلس مفروش بالرخام ، وبين كل رُخامتَين قضيب من ذهب وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طنفسةٍ حمراء ، وعليه ثياب خزٍ حر ، وقد ضَمَخَ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مبيوث^(٢) في أواني ذهب ، يقلبه بيده فتفوح رائحته ، فسلمت عليه فردٌ على السلام واستدنانى فدنوت حتى قبلت رجليه ، وإذا جاريقان لم أر مثلهما ، في أذُن كل واحدة منهما حلقتان فيها لؤلؤتان توكَّدان ، فقال لي : كيف أنت يا حماد ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال : أتدرى فيما بعثت إليك ؟ قلت : لا ، قال : بعث إليك لبيت خطر يبالى لم أدر من قائله ، قلت : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :

فدعوا بالصَّبوح يوما فجاءتُ قِينَةً في يمينها إبريقُ

فقلت : هذا يقوله عدِيُّ بن زيد في قصيدة له ، قال : أنشدنيها ، فأنشدته :

بَكَرَ الماذلون في فَلَاقِ الصُّبِّ ح يح قولون لي أما تستفيق^(٣)

ويكومون فيك يا ابنة عبد الله والقابُ عندكم مَوْهُوقُ^(٤)

لست أدري إذ أكثروا المذل عندى أعدوْهُ بولمى أم صديقُ

(١) لابل مهريه: منسوبة إلى مهرة بن حيدان وهو أبو قبيلة .

(٢) في الأغاني : مفتوت .

(٣) في الأغاني : في وضع الصبح .

(٤) الموهوق : المشدود بالهوى وهو جبل فيه أنشودة .

زَانَهَا حُسْنُهَا وَفَرَحَ عَمِيمٌ وَأَثَيْتُ سَلْتُ الْجَبِينَ أَثِيْقُ^(١)
وَنَثَايا مُفْلَجَاتٍ عَذَابُ لَا قِصَارُ تُرَى وَلَا هُنَّ رَوْقُ^(٢)
فَدَعَوْا بِالصَّبُوحِ يَوْمَا لُجَامَتُ قَيْنَةُ فِي بَيْمِهَا إِبْرِيقُ
قَدَمَتُهُ عَلَى عُقَارِ كَمِينِ ۖ دَيْكَ صَقَى سَلَفَهَا الرَّأْوُوقُ^(٣)
وَتَرَى فَوْقَهَا فَوَاقِعَ كَالِيَا قُوْتٍ يَجْرِي خِلَالَهَا التَّصْفِيْقُ^(٤)
مُرَّةً قَبْلَ مَرْجِهَا فَإِذَا مَا مُزِجَتْ لَدَّ طَعْمَهَا مَن يَذُوقُ
ثُمَّ كَانَ الْمِرْزَاجُ مَاءَ سَحَابٍ غَيْرَ مَا آجِنٍ وَلَا مَطْرُوقُ

قال : فطرب ثم قال : والله أحسنت يا حماد . يا جارية اسقيه ، فسقتني شربة ذهبت بثلك عتلى . وقال : أعدت فأعدت ، فاستحسنه واستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه ثم قال للجارية الأخرى : اسقيه ، فسقتني شربة ذهبت بثلثي عتلى ، فقال : أعدت ، فأعدت ، فقلت : إن سقيت الثالثة افضضت ، فقال لى : سل حوائجك ، فقلت : كائنة ما كانت ؟ فقال : نعم ، قلت : إحدى الجاريتين ، قال : هما لك جئما بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأولى : اسقيه ، فسقتني شربة سقطت معها فلم أعقل ، ثم نقله من غدير إلى منزل أعدته له فوجد فيه الجاريتين وما لهما وكل ما يحتاج هو إليه ، وإذا عشرة خدام مع كل واحد منهم بدرة فقال لى أحدهم : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام : ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها فى سفرك ، فأخذتها والجاريتين وانصرفت : وقيل : إن ذلك فعله بنير شرب ، لأن هشاما لم يكن . على ما قيل - بشرب ولا يسقى أحدا بمحضرة مسكرا ، وكان ينكر ذلك ويمنيه ويماقب عليه .

(١) الفرع : الشعر . والأثيت : الكثير . والصلت : الواضح .

(٢) الروق : الطوال .

(٣) الراووق : للصفاء .

(٤) هذا البيت جاء فى الأغاني بعد تأليه وروايته فيه :

وترى فوقها فواقيع كالد وصنار يثيرها التصفيق

طلب المنصورُ حمّاداً الراوية فلم يجدّه بيغداد وسئل عنه من إخوانه^(١) فمروا
من سألهم أنه بالبصرة ، فوجهوا إليه بالبصرة برسول يُشخصه . قال الرسول :
فوجدته في حانة وهو عريان يشرب نبيذاً من إجانة^(٢) وعلى سوانه رأس دسّجة^(٣) ،
فقلت : أجب أمير المؤمنين ، فما رأيت رسالة أرفع ولا حالاً أوضع . فأجاب . فلما
مَثَل بين يديه قال : أنشدني شعر هفان بن همام بن فضلة يرى أباه فأنشدته :

خَلِيلِي عَوْجاً إِنِّهَا حَاجَةٌ لَنَا عَلَى قَبْرِ هَمَّامٍ سَقَتَهُ الرَّوَاعِدُ
عَلَى قَبْرِ مَنْ يُرْجَى نَدَاهُ وَيُتَقَى جَدَّاهُ إِذَا لَمْ يَحْمَدِ الْأَرْضَ حَامِدُ^(٤)
كَرِيمِ النَّثَا حُلُو الشَّمَائِلِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الزُّجْجَى نَفْثُ مُتَبَاعِدِ^(٥)
صَبُورٍ عَلَى الْمَلَاتِ يُصْبِحُ بَطْنُهُ كَحَمِيصٍ وَأَتَيْهِ إِلَى الزَّادِ حَامِدُ
وَضَعْنَا الْفَتَى كُلَّ الْفَتَى فِي حَفِيرَةٍ بِمُحَرِّينَ قَدْ نَاحَتْ عَلَيْهِ الْمَوَائِدُ^(٦)
صَرِيحاً كَمَثَلِ السِّيفِ تُضْرِبُ حَوْلَهُ تَرَائِبُهُنَّ الْمُؤَلَّاتُ الْفَوَائِدُ
فَبَكَى أَبُو جَمْفَرٍ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ ، ثُمَّ قَالَ : هَكَذَا كَانَ أَخِي أَبُو الْمُبَاسِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْدِيَّةِ يَسْتَحِفُّ مُطِيعَ بْنَ إِبَاسَ
ويحبه ، وكان منقطماً إليه ، وله منه منزلة حسنة ، فذكر مطيعٌ حمّاداً الراوية

(١) في الأغاني : وسئل عنه إخوانه .

(٢) الإجانة : آتية .

(٣) الدسّجة : الإناء الكبير من الزجاج .

(٤) في الأغاني : رائد .

(٥) المزجي : الضيف . والنثا ما أخبرت به الرجل من حسن أو سي . والنفث : الهواة

بين جبلين .

(٦) حرين : بلد . وفي الأصل حوين . وفي الأغاني : قد راحت عليه الموائد .

وكان صديقه وكان مُطَرِّحاً مُجَفِّوًّا في أيامهم ، فقال له : ائتنا به لئراه ، فأبى مطيع حماداً فأعلمه بذلك وأمره بالصير معه ، فقال حماد : دعني فإن دولتي كانت مع بني أمية ، ومالي مع هؤلاء خير ، فأبى مطيع إلا الذهاب به^(١) ، فاستمار حماد سواداً وسيفاً ، ثم مضى معه إلى جعفر ، فلما دخل سلم سلاماً حسناً وأثنى عليه ، فرد السلام وأجلسه ، ثم قال له جعفر : أنشدني فقال : لمن أيها الأمير ؟ لشاعر بعينه أو لمن حضر ؟ قال : أنشدني لجريز ، فسلخ الله شعر جريز كله من قلبي إلا قوله :

بَانَ الْخَلِيطُ رَامَتَيْنِ فَوَدَّعُوا أَوْ كَلَّمَا اعْتَزَمُوا لِبَيْنِ تَجَزَعُ

حتى أتيت إلى قوله :

وَقَوْلِ بَوَزَعُ قَدْ دَبَبْتَ عَلَى الْمَصَا إِلَّا هَزَمْتَ بِنَيْرِنَا يَا بَوَزَعُ

قال حماد : فقال جعفر : أريد . البيت فأعده ، فقال : بوزع أي شيء هو ؟ فقلت : اسم امرأة . فقال : هو برة من الله ورسوله ونفى من العباس بن عبدالمطلب إن كانت بوزع إلا غولاً من النيلان . تَرَكَتْنِي وَاللَّهِ يَا هَذَا لَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنْ فَزَعِ بَوَزَعُ ، يَا غِلْمَانُ ، قِفَاهُ . فَصُفِّعْ حَتَّى لَمْ يَدْرِ ابْنُ هُو . ثم قال : جُرُّوا بِرِجْلِهِ . فخرجوه حتى أخرجوه من بين يديه وقد تقطع السوادُ ، وانكسر جفنُ السيف ، ولقي شراً عظيماً ، وكان أشد ما عليه قرامة السواد وجفنُ السيف . فلما انصرف أناه مطيع يتوجع إليه ، فقال : ألم أخبرك أني لا أصيب منهم خيراً ، وأن حظي كان مع بني أمية .

كان رجل يرمى بالأبنة ، فتحدث يوماً في مجلس حماد الراوية فقال : بلنفي أن المأبون له رحيم كرحيم المرأة . فقال حماد لنفلامه : اكتب هذا الخبر عن الشيخ ، فإن خير العلم ما قيل عن أهله .

(١) في الأغانى : الذهاب إليه .

كتب حماد الراوية إلى بعض الأشراف :

إن لي حاجةً فرأيتك فيها لك نفسى فدى من الأوصابِ
وهي ليست مما يُبَلِّغُها غَيِّ رى ولا يَسْتَطِيعُها في كتابِ
غير أنى أقولها حين ألقا ك رويدًا أسرها في حجابِ

فكتب إليه : اكتب لي بحاجتك ولا تشهرني في شعرك . فكتب إليه حماد :

إننى عاشقٌ لجيتك الذك ناد عشقا قد حال دون الشرابِ
فاكسنيها فدنك نفسى وأهل أنباهى بها على الأصحابِ
ولك الله والأمانة أن أج ملكها عمرها أميرَ ثيابِ

فبث بها إليه . وقد رويت هذه القصة عن مطيع بن بإس .

قال أبو يعقوب الخريزي : كنت في مجلس فيه حماد مجرد وحماد الراوية ، ومعه غلام أمرد ، فنظر إليه حماد الراوية نظرا شديدا وقال لى : يا أبا يعقوب ، قد عزمت الليلة على أن أدب على هذا الغلام . قلت : شأنك . ثم نحا ، فلم أشعر إلا وحماد على ، وإذا بى قد غلظت ونمت في موضع الغلام ، وكرهت أن أنكلم فتنتبه الناس وأفتضح وأبطل عليه ماأراد ، فأخذت يده فوضعتها على عيني الموراء ليعرفنى ، فقال لى : قد عرفتك الآن فيكون ماذا « وقد ينأه يذبح عظيم » قال : وعلم الله أنه مارج وأنا أعالجه جهدى ولا ينفعنى حتى قضى حاجته .

أهدى حماد إلى صديق له غلاما ، وكتب إليه : قد بثت إليك بنلام تتعلم عليه كظم النعيط .

جاء رجل إلى حماد الراوية فأشده شمرا وقال : أنا قلته ، فقال له : أنت لا تقول هذا ، فإن كنت صادقا فاهجنى . فذهب ثم عاد إليه فقال : قد قلت فيك : سيملم حماد إذا ما هجوته أأتحل الأشعار أم أنا شاعر

ألم تر حماداً تقدّم بطنه وأخّر عنه ما تُجِنُّ السَّارِ
فليس يراء خُصِيَّتَيْهِ ولو جَنَّا لِرُكْبَتَيْهِ ما دامَ للزَيْنَةِ عاصِرُ
فيا ليتني أمسى قَمِيذَةً مَنَزِلٍ لها بَئِلُ سَوءِ لَوْنُهُ مُتَوَارٍ^(١)
فجاد نِعمَ العِرْسُ للعرء يبتنى الذِّكْرَ وبئس المرء فيمن يُفاخر

فقال حماد : حَسْبُكَ - عافاك اللهُ - هذا القَدَار وحسبنا ، قد علمنا أنك شاعر
وأنك قائل الشعر الأول وأجود منه ، وأحب أن نكتم على هذا الشعر ولا نتميده^(٢)
فتفصحنى . فقال له : قد كنت غَنِيًّا عن هذا . فانصرف الرجل وجعل حماد يقول :
أسمعتُ أعجب مما جَرَزْتُ على نفسى من البلاء ؟

عاب حماد الراوية شعرا لأبي النُّول ، فقال يهجوهُ :

نعم الفقى لو كان يعرف رَبِّيهِ أَوْ حِينَ وَقَتِ صَلَاتِهِ حَمَادُ^(٣)
ضَمَّتْ مَشَاغِرَهُ السَّهُولُ فَأَتَقَهُ^(٤) مِثْلُ الْقَدَوَمِ يَسْنُهَا الْحَدَادُ
وأيضاً من شُرْبِ اللِّدَامَةِ وَجْهَهُ فَيَبْيَاضُهُ يَوْمَ الْحَسَابِ سَوَادُ^(٥)
حَمَادُ يَا ضَبْعاً تَجَرُّ جَمَارَهَا أَخْنَى لَهَا بِالْقَرَيْتَيْنِ جَرَادُ^(٦)

معنى قوله « أَخْنَى لَهَا بِالْقَرَيْتَيْنِ جَرَاد » هو مثل قول العرب للضبع « خَامِرِي
أُمِّ هَامِر ، أَبْشِرِي بِجَرَادٍ^(٧) عِظَال ، وَكَمَرِ رَجَال » يقولون لها : كمر رجال لأن

(١) في الأغاني : « قَمِيذَةٌ بَيْتُهُ لَه بِلْ صَدَقْ كَوْمَه مُتَوَار » هذا والكوم : النكاح .

(٢) في الأغاني : ولا تذييه .

(٣) في الأغاني : ويقيم وقت صَلَاتِهِ .

(٤) في الأغاني : هَدَلَتْ مَشَاغِرَهُ الدَّنَان .

(٥) بعده في الأغاني بيت .

(٦) الجمار جمع جر : وهو نجوكل ذى غلب . وَأَخْنَى المِرَاد : كثر بَيْضُهُ .

(٧) خَامِرِي : استترى . والجراد العِظَال : ألقى ركب بَيْضُهُ بَيْضاً كَثَرَهُ .

الضبع تجميء إلى التبتيل وقد استلقى على قناه وافتتح غُرموله فكان كالمنعظ فتحتك به وتحريض من الشهوة ، فيثب عليها الذئب حينئذ فتلد منه السَّمع وهو دابة ، لا تلد مثل البغل ، وفي هذا المعنى قال تأبط شرا :

تضحك الضبع لقتلي هُذَيْلٍ و ترى الذئب لها يَسْتَهْلُ^(١)

تضحك : تحيض .

وكان حماد في أول عمره يتشطر ويصحب اللصوص ، فنقب ليلة على رجل وأخذ ماله ، وكان فيه جُزء من أشعار الأنصار ، فقرأ حماد فاستحلاه وتحفظه ثم طلب الأدب والشعر ولفات العرب بمد ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ .

قدم حماد على بلال بن أبي بُردة البصرة ، فأنشده حماد شعرا ، وكان ذو الرُمة عند بلال ، فقال له بلال : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيد ، وليس له ، قال : فمن يقوله ؟ قال : لا أدري إلا أنه لم يقله . فلما قضى بلال حوائج حماد وأجازه قال له : إن لي إليك حاجة ، قال : هي مقضية ، قال : أنت قلت ذلك الشعر ؟ قال : لا ، قال : فمن قاله ؟ قال : هو شعر قديم لبعض شعراء الجاهلية ، وما يرويه غيري . قال : فعين أين عرف ذو الرُمة أنه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلام الجاهلية من كلام الإسلام .

قال ابن الأعرابي : سمعت المفضل الضبي يقول : قد سُلط على الشعر من حماد الراوية من أنسده فلا يصلح أبدا . فقلت : وكيف ؟ أيخطئ في روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان ذلك ، فإن أهل العلم يردون من أخطأ ولكنه عالم بلغات العرب ومذاهب الشعراء ومعانيها فلا يزال يقول الشعر يشبه مذهب رجل فيدخله في شعره ، ويحتمل ذلك عنه في الأفاق فيختلط بأشعار القدماء ، ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذلك ؟

(١) يستهل : يصبح .

اجتمع ذات يوم في دار المهدي بميساباذ عآلم من الرّواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وشعرها ولناثها ، فخرج الحاجب فدعا بالفضل الضبيّ ، فدخل فكث ملها ، ثم خرج الحاجب والفضل وجماعة معه ، وقد بان في وجه حماد الانكسار والتمّ ، وفي وجه الفضل السرور والشاط ، ثم خرج الخادم معهما فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن أمير المؤمنين يملككم أنه قد وصل حماداً الشاعر بشرين ألف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل الفضل الضبيّ بخسين ألف درهم لصِدقه وصِحّة روايته ، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها من الفضل ، ثم سألتنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي لما دعا الفضل قال له : إني رأيت زهير بن أبي سلى افتتح قصيدته بأن قال :

* دَعْ ذَا وَعَدَّ الْقَوْلَ فِي هَرَمِ *

ولم يتقدم قبل ذلك قول ، فإلّا الذي أمر نفسه بتركه ؟ فقال له الفضل : ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أنني توهمته كان في قول^(١) يقوله أو يتروى في أن يقول شيئاً ، فمدل عنه ، إلى مدح هرم ، أو كان مُفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال : دع ما أنت فيه من الفكر وعدّ إلى مدح هرم . ثم دعا بحماد وسأله من ذلك فقال : ليس هكذا يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ؟ فأنشده :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِقُنَّةِ الْحَبْرِ أَقْوَمُ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ عَشْرِ^(٢)
قَرَرٌ بِمُدْفَعِ النَّحَائِثِ مِنْ ضَفَوَى أُولَاتِ الْعَالِ وَالسُّدْرِ^(٣)

(١) في الأغاني : يفكر في قول يقوله .

(٢) في الأغاني : أقوم من حجاج ومنعهم .

(٣) النحائث : آبار في موضع معروف . وفي الأصل : والأغاني : « النجائب » وسوب فيه . وضفوى : مكان .

دع ذا وعدَّ القول في هَرَمٍ خَيْرَ الكحولِ وَسَيِّدَ الخضرِ

قال : فأطرق المهدي ساعة ثم أقبل على حماد فقال : بلغنا خبراً لا بد من استخلاصك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البَيْمَةِ وكلَّ يَمِينٍ مُخْرِجَةً لِيَصْدُقَنَّهُ ، خلف ، فلما توثق منه قال له : أصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ؟ فأقر له حيثئذ أنه قالها . فأمر به ، وبالفضل بما أمر به من شهرة أمرهما وكشفه .

وقال حماد الراوية للوليد - وقد سأله : ما بلغ من روايتك ؟ فقال - : أروى سبعة قصيدة ، أول كل قصيدة « بانت سعاد » . فقال : إنها لرواية ثم دعا بشراب فجاءته جارية بكأس وإبريق فصبت في الكأس ثم مزجته حتى رأيت له حباباً فقال : أنشدني في مثل هذه فقلت : هي كما قال عدو بن زيد :

ثم نادوا إلى الصُّبُوح فقامت قَيْنَةٌ في يَمِينِهَا إِبْرِيقُ
فَتَرَى فَوْقَهَا فَوَاقِعَ كَالِيَا قُوتٍ يَجْزِي خِلَالَهَا التَّصْفِيقُ

قال : فشرب ولم يزل يستمدي الأبيات ويشرب حتى سكر ، ثم قام فتناول مرفقة من تلك المرافق فجعلها على رأسه ، ثم نادى : مَنْ يشتري لحم البقر . ثم قال لي : يا حماد ، دونك ما في البيت فهو لك . فكان أول مال تأثله ^(١) .

قال منصور العربي ^(٢) - وكان من رواة العرب - دخلت على زياد فقال لي : أنشدني ، فقلت : من شعر مَنْ أيها الأمير ؟ قال : من شعر الأُمَيَّة . فأنشدته :
* رحلت مُمَيَّةً غُدُوَّةً أَجَاهَا ^(٣) *

(١) تأمل المال : اكتسبه .

(٢) في الأغاني : المسور العنزي .

(٣) في الأغاني : بكرت سمية .

فما أنتمت القصيدة حتى تبينَّ الغضبُ في وجهه . وقال الحاجب للناس : ارتقموا ،
خفاموا . قال حماد : فلما سمعت بهذه الحكاية كنت بمد ذلك إذا استنشدني خليفة
أو أمير فنبهت قبل أن أنشده لئلا يكون في القصيدة ذكر اسم بنت له أو زوجة .

قال حماد الراوية ^(١) : حدثني ابنُ أخيتي من مُراد قال : ولدت صدقات قوم
من العرب فبينما أنا أقسمها في أهلها . إذ قال رجل منهم : ألا أريك عجبا ؟ قلت :
بلى . فأدخلني في شعبٍ من جبل ، فإذا أنا بهم من سهام عادٍ من قنأ قد نُسب في
ذُرْوَةٍ من الجبل ، وإذا على الجبل مكتوب :

الْأَهْلُ إِلَى آيَاتٍ تَخْتَجُّ إِلَى الْوَلَى لَوَى الرَّمْلُ يَوْمًا لِلنَّفُوسِ مَعَادُ
بِلَادَ بِهَا كَانُوا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِهَا إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالْبِلَادُ بِلَادُ

ثم أخرجني إلى ساحل البحر ، فإذا أنا بحجر يملؤه الماء طورا ويظهر طورا ،
وإذا عليه مكتوب : يا ابن آدم ، يا عبد ربِّه اتق الله ولا تجعل في رزقك ، فإنك
لن تسبق رزقك ، ولا تُرْزَقَ ما ليس لك . ومن البصرة إلى الذَّهَبِ سِتَامَةُ فرسخ ،
فمن لم يصدق بذلك فليَمْشِ الطريق على الساحل حتى يتحققه ، ومن لم يقدر على ذلك
فليَنْطَلِجْ برأسه هذا الحجر .

قال الطِّرِمَاح : أنشدت حمادا الراوية في مسجد الكوفة — وكان أذكي الناس
وأحفظهم — قولي :

* بَانَ الْخَلِيطُ بِسُحْرَةٍ فَتَبَدَّدُوا *

وهي ستون بيتا ، فسكت ساعة ولا أدري ما يريد ، ثم أقبل على فقال : هذه لك ؟

(١) هذا الخبر لم يرد في الأغاني في ترجمة حماد الراوية .

فقلت : نعم ، قال : الأمر ليس كذلك ، ثم رَدَّها عليَّ كُلَّها وزاد عشرين بيتا في وقته ، فقلت له : ويحك ، إن هذا شعر قلته منذ أيام ما اطلع عليه أحد ، فقال : قد والله قُلْتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة ، وإلا فعلىَّ وعلىَّ ، فقلت : لله علىَّ حِجَّةٌ أَحَبُّها حافيا راجلا إن جالستك بمدِّها أبدا ، فأخذ قبضة من حَصَى المسجدِ ثم قال : لله علىَّ بكلِّ حصاة مائة حِجَّةٍ إن كنت أبالي ، فقلت له : أنت رجل ماجن ، والكلام منك ضائع . ثم انصرفت .

حكم الوادى^(١)

هو الحَكَم بن ميمون ، مولى الوليد بن عبد الملك ، كان أبوه حلاقا يخلق رأس الوليد ، فاشتراه وأعتقه ، وكان حكم طويلا أحول يُكْرِى الجلال ينقل عليها الزيت من الشام إلى المدينة ، وكنيته أبو يحيى . وقيل : هو الحكم بن يحيى بن ميمون ، وأصله من الفرس ، وكان يحمل الزيت من جدة إلى المدينة ، وكان واحد دهره في الحذق يفنى بالدف ومرتبلا^(٢) وعمر طويلا ، غنى الوليد بن عبد الملك ، وغنى الرشيد ومات في شطر خلافته ، وأخذ عن عمر الوادى ، وكان بوادى القرى مع جماعة مغنين كلهم .

قال حكم الوادى : دخلت على الوليد بن زيد ، فخرج إلينا وهو على حمار ، وعليه جُبَّة وشئ ، ورداء وشئ ، وخُفَّ وشئ ، وفى يده هَقْد جوهر ، وفى كُفَّه شئ . لا أدرى ما هو ، فقال : من غنَّائى ما أشتى فله ما فى كفى وما مى ، وما تحق . فغنوه كلهم فلم يطرب ، فقال لى : غن يا غلام فغنيت :

إِكْلِيلُهَا الْوَانُ وَوَجْهَهَا فَتَّانُ
وَنَاحِلُهَا فَرِيدُ لَيْسَ لَهُ جَبْرَانُ
إِذَا مَشَتْ تَنَنَّتْ كُلُّهَا مُعْبَانُ^(٣)

فطرب وأخرج ما فى كفه ، فإذا ألف دينار ، فرمى بها إلى مع السِّد الجوهر ، ولما دخل بعث إلى بالجار وكل ما كان عليه .

(١) الأغاني : دار الكتب ٢٨٠/٦ ودار الثقافة ٢٦٦/٦ وولات ٦٤/٦ والسامى ٦٢/٦ والتجريد ٧٨٨ .

(٢) في طبعة دار الكتب : وكانت ينفر بالدف ويفنى مرتبلا .

(٣) هذا الشعر لحليج بن لياس كما فى الأغاني ٢٨١/٦ .

سمع رجلٌ حَكَمَ الوادى بنى فقال : أحسنت ، فألقى الدف وقال للرجل : قبحك .
الله ، ترى مع المنين ستين سنة وتقول لى أحسنت ؟

زار حَكَمَ الوادى الرشيد فَبَرَّه ووصله بثلاثمائة ألف درهم ، وسأله عن يختار أن يكتب بها إليه ، فقال : اكتب لى إلى إبراهيم بن المهدي ، وكان عاملاً له بالشام . قال إبراهيم : فقدم على حَكَمَ الوادى بالشام بكتاب الرشيد فدفعته إليه ما كتب له به ووصلته بمثل ذلك إلا أننى أقتصته ألفاً من الثلاثمائة ألف وقلت : لا أصلك بمثل صلة أمير المؤمنين . وأقام عندي ثلاثين يوماً أخذت منه فيها ثلاثمائة صوت ، كل صوت منها أحب لى من الثلاثمائة ألف التى وهبتها له .

كان خبر حَكَمَ يصل إلى المنصور ويبلغه ما يصله به بنو سليم بن على ، فيموجب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلا أن حَسَنَ شعرا بصوته وطرب مُستمعه له ؟ فإذا يكون غلام يعطيه هذه المطايا السرفة ؟ إلى أن جلس يوماً فى مستشف له ، وقد دخل حَكَمَ الوادى على عَلَى بن بَقِطِين أحد قَوّاده ، ثم خرج عَشِيّاً وقد حمّله على بغلة يعرفها له المنصور ، وخلع عليه ثياباً يعرفها له ، فلما رآه المنصور قال : من هذا ؟ قيل : حَكَمَ الوادى ، فحرك رأسه مَلِيّاً ثم قال : الآن علمت أن هذا يستحق ما يُعطى ، قيل له : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك عنه ؟ فقال : لأن فلانا لا يعطى شيئاً من ماله باطلاً ولا يضمه إلا فى حقه .

قال حَكَمَ الوادى : كان موسى الهادى يشتهى من الفناء ما توسّطَ وقلّ ترجيئُهُ ولم يبلغ أن يستخف جداً ، فأخرج ليلة ثلاثِ بَدَرٍ وقال : من أطربنى فعلى له ^(١) ففناه ابن جامع وإبراهيم الموصلى وابن دحمان ، فلم يصنموا شيئاً ، وعلمت ما أراد ، فنفيته للناينة الجمعدى :

غراء كالليلة المباركة انعم سراء تهدي أوائل الظلم
أَكْبَى بغير اسمها وقد علم الله هُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مُكْتَمٍ
كَأَنَّ فَاها إِذَا تَبَسَّم عَنْ طِيب مَشَمِّ وَحَسَنٍ مُبْتَسَمٍ

فطرب ووثب عن فراشه طرباً وقال : أحسنت ، أحسنت والله ، استقوى ، فسق
وطرب ، ووثقت أن البدر لي ، ففقت فجلست عليها ، وأحسن ابن جامع الحضر
وقال : أحسن والله يا أمير المؤمنين كما قلت ، وإنه لحسن مجمل ، فلما سكر أمر
الفراسين يحملها ممي ، فقلت لابن جامع : مثلك بفعل ما فعل في شرفك ونسبك ،
فإن رأيت أن تشرفني في قبول إحداها فقلت . فقال : لا والله ، لا فقلت ولوددت
أن الله زادك ، فأسأل الله أن يهنئك بما رزقك . ولحقني الموصلي فقال : أخذني (١)
يا حكم من هذا . فقلت : لا والله ولا درهما واحدا ، لأنك لم تحسن الحضر .
ومات حكم الوادي من قرحة أصابته في صدره .

(١) أحذاه : أعطاه قسماً من التهمة .

الحسين بن الضحاك^(١)

مولى باهلة : بصرى المولد والنشأ ، كنيته أبو علي وأبو عبد الله ، من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء خلفاء بني هاشم ، أول من جالس منهم محمد الأمين ، وهو شاعر أديب ظريف مطبوع حسن التصرف في الشعر حاو المذهب ، لشعره قبول ورونق صافي . كان أبو نواس يأخذ شعره ومعانيه في الخمر فينير عليها ، وإذا شاع له ذكر بشعر نادر في هذا المعنى نسبته الناس إلى أبي نواس ، وله معان في صفتها أبدع فيها وسبق إليها ، وكان يلقب الخليج والأشقر ، وهاجى مسلم بن الوليد فاتمصف منه ، وهو من المطبوعين الذين خلت أشعارهم من التكلف ، وعمر عمرًا طويلًا حتى قارب المائة سنة ، ومات في خلافة المستعين أو المنتصر .

وهو الحسين بن الضحاك بن ياسر مولى سليمان بن ربيعة الباهلي . وربما قالوا بين الضحاك وبين ياسر أبا آخر . وأصله من خراسان ، وهو وعمر بن حازم الباهلي ابناً خالتي .

لما قدم المؤمنون من خراسان إلى بغداد أمر أن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذكروا له جماعة منهم الحسين بن الضحاك ، وكان من جلساء محمد الخلويع ، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم حسين بن الضحاك فقال : أليس هو الذي يقول في محمد :

هَلَّا بَقِيَتْ لَسَدٌ فَاقْتَنَّا فِينَا وَكَانَ لِنَبْرِكَ التَّلَفُّ
فَلَقَدْ خَلَفْتَ خَلَاثَةً سَلَفُوا وَلَسَوْفَ يُعْمَزُ بِمَدِّكَ الْخَلَفُ

(١) الأغاني : دار الكتب ١٤٦/٧ وانظر ص ١٤٥ ودار الثقافة ١٤٣/٧ وانظر ص ١٤٢ وبولاق ١٧٠/٦ والساسي ١٦٥/٦ والتجريد ٨٥٢ .

لا حاجة لنا فيه ، والله لا يراني أبدا ، إلا في طريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من مجائته له ومن تريضه به ، وانحدر الحسين إلى البصرة فأقام بها طول أيام الأمان .

دخل ابن البواب الحاجب يوما إلى الأمان وفي يده رقعة وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن في إنشادها . فظنها له فقال : هات ، فأنشده (١) :

أَجَرْتَنِي فَإِنِّي قَدْ ظَمِئْتُ إِلَى الرَّعْدِ مَتَى تُنْجِزَ الْوَعْدَ الْمَوْكَدَ بِالْمَهْدِ
أَمِيدُكَ مِنْ خَلْفِ الْمُلُوكِ وَقَدْ تَرَى تَقَطَّعَ أَتَقَامِسُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْدِ
أَبْيَحُلُ فَرْدُ الْحَسَنِ عَنِّي بَنَائِلَ قَلِيلٍ وَقَدْ أَفْرَدْتَهُ بِهَوَى فَرْدِ
إِلَى أَنْ بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

رَأَى اللَّهُ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَلَكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمَبْدِ
أَلَا إِنَّمَا الْأَمَانُ لِلنَّاسِ عَصْمَةٌ (٢) مَمِيزَةٌ بَيْنَ الضَّلَالَةِ وَالرُّشْدِ

فقال الأمان : أحسنت يا عبد الله ، قال : يا أمير المؤمنين ، بل أحسن قائلها . قال : ومن قائلها ؟ قال : عبدك الحسين بن الفضاح . فقطب ثم قال : لا حياء الله من ذكرت ولا يباه ولا قرّبه ولا أنم به عينا . أليس هو القائل :

أَعْيِنِي جُودًا وَابْكِيَا لِي مُحَمَّدًا وَلَا تَذْخُرَا دِمْعًا عَلَيَّ وَأَسْمِدًا
فَلَا تَمُتِ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَلَا زَالِ شَمْلُ الْمَلِكِ فِيهِمْ مُبْدِدًا
وَلَا فَرَحَ الْأَمَانُ بِالْمَلِكِ بَدَدَ وَلَا زَالِ فِي الدُّنْيَا طَرِيدًا مُشْرِدًا

هذا بذلك ، ولا شيء له عندنا ، فقال له ابن البواب : فأين فضل إحسان

(١) بهاشم خطوط كورلي تعليق ونصه : ومن الناس من يروى هذه الأيات لعبد الله بن البواب ؛ وقد ذكرها المصنف في ترجمته فإنه اسمه عبد الله .
(٢) في الأصل : لله عصمة . والتصويب من الأغاني .

أمير المؤمنين وسمة حله وعادته في الغزو ! فأمر بإحضاره ، فلما حضر سلم ، فردّ عليه ردّاً جافياً ، ثم أقبل عليه فقال : أخبرني عنك ، هل عرفت يوم قُتل أخى رحمه الله تعالى هاشميةً قتلت أو هتكت ؟ قال : لا ، قال : فما معنى قولك ^(١) :

ومما شجى قلبي وكفكف عبرى عمارم من آل النبي استُحِلَّت
وممتهوك بالخلد عنها سجونها ^(٢) كساب كقرن الشمس حين تبدّت
إذا خفرتها روعة من منازع لها الرط عادت بالخشوع ورنّت
وسرب طلباء من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حرٍّ وميت
أردُّ يسداً متى إذا ما ذكرته على كبد حرّى وقلب مفتّت
فلا بات ليل الشامتين ينبطه ولا بلغت آمالهم ما تمتّت

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة سلبتها بمد أن غمرتني ، وإحسان شكرته فأنطقني ، وسيد فقدته فأقلقني ، فإن عاقبت فبحقك ، وإن عفوت فبفضلك . فدمعت عين المأمون وقال : قد عفوت عنك ، وأمرت بإدراار رزقك عليك ، وإعطائك ما فات منه وجعلت عقوبة ذنبك امتناعي من استخدامك .

طلب صالح بن الرشيد يوماً شعراً يملّمه جواريه ، وطلب دفاتره من بيته ، فجاء بها ليختار منها شعراً ، فرت به هذه الأبيات التي أولها :

* أعيى جوداً وابكيا لي حمداً *

فقال صالح : المأمون يحىء إلى في كل ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلاماً ؟ ثم دما بسكين وجعل يحكه . وسعد المأمون من الدرج ، فرمى صالحاً بالدفتر ، فقال المأمون : يا غلام ، الدفتر ، فألقى به ، ففطر فيه ووقف على الحلك ، وقال ابن حضر :

(١) الأبيات الثلاثة الأولى لا توجد في الأغاني في هذا الخبر ولا في الترجمة له .

(٢) الضمد : من قصور خفاء بني عباس .

إن قلت لكم ما كنتم فيه تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال: ينبغي أن يكون أخى بمث
فأحضر الدفتر ليتخير ما يطرحه على الجوارى، فوقف على هذا الشعر، وكره أن
أراه فحكه، فقالوا: هذا كان. ثم قال لمعرو بن بانة: غنه يا معرو، فقال:
يا أمير المؤمنين، هذا شعر الحسين بن الضحاك، والفناء فيه لسعيد بن جابر، قال:
وما يكون؟ غنه، فغنيته، فاستماده، فرددته ثلاث مرات، وأمر لي بثلاثين ألف
درهم، وقال: حتى تعلم أنه لم يضر رُك عندنا.

وكان حسين بن الضحاك شديد الموالاة لحمد الأمين، وله فيه مرث كثيرة،
ويبلغ من حزنه عليه أنه اختلط في عقله، وكان ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول:
إنه مستتر، وإنه وقف على تفرق دُعائه في الأمصار يدعوون إلى مراجعة أمره
والوفاء ببيته.

ومن جيد مرثيه فيه:

سألونا أن كيف نحن فقلنا	من هوى نجمه فكيف يكون
نحن قوم أسابنا حدث الدهر	ر فظننا لرَبِّه نستكين
تتمنى من الأمين إبابا	لهفَ نفسى وابن منّا الأمين

ومنها:

أعزى يا محمد عنك نفسى	مما ذلَّ والأيدى الجسام
فهلّا مات قوم لم يموتوا	ودُفِعَ عنك في يوم الحجام
كأن الموت سادف فيك غنما	أواستشفى يربك من سقام

قال الحسين بن الضحاك: كنت عازما على أن أرى الأمين بلسانى كله، وأشقى
لوعتى، فلتعنى أبو المتاهية فقال: يا حسين، أنا إليك مائل، ولك عجب، وقد علمت

مكانك من الأمين ، وأنت حقيق أن ترثيه إلا أنك قد أطلت^(١) لسانك في التلهم عليه والتوجه له بما صار وجاء لغيره ، وثلبا له ، وتحريضا عليه ، وهذا الأمون مُنْصَبٌ إلى المراق قد أقبل عليك ، فأتى الله في نفسك ، ويحك يا حسين ، أتجسر أن تقول :

تَركوا حريم أيهم قَلَّا فالحُصناتُ سوارِخُ هُتَفُ
هيهاتَ بمدك أن يدوم لنا عِزٌّ وأن يسقى لنا شَرَفُ
وبلك أكفُ غَرَبَ لسانك ، واطور ما قد انتشر عنك ، وتلاف ما فرط منك ، فملت أنه قد نصحتني ، فجزيتُه الخير ، وقطعت القول ، فنجوت برأيه وما كدت أنجو .
قال محمد بن عباد المهلبى : قال الأمون وقد قدمت من البصرة : كيف ظريفُ شرائِكُم وواحد مصرِكُم ؟ قلت : ما أعرفه ، قال : الحسين بن الضحاك ، أليس الذى يقول :

رأى اللهُ عبدَ الله خير عبادِه فَلَكَ وَاللهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ
ثم قال لى : ما قال أحد من الشعراء فى زماننا أبلغ من بيته هذا ، فاكتب إليه فاستقدمه . وكان حسين عليلا ، وكان يخاف بوادى الأمون لِمَا فرط منه ، فكان يكره لقاءه ، فقلت للأمون : إنه حليل يا أمير المؤمنين علة تمنُّه من الحركة ، قال : نخذ كتابنا إلى عامل خراجنا بالبصرة حتى يُعطيه ثلاثين ألف درهم . فأخذت الكتاب إليه فأخذ المال .

لما ولى المتصمُّ الخلافةَ بعد الأمون سأل عن الحسين بن الضحاك فأخبر بمقامه بالبصرة لانحراف الأمون عنه ، فأمر بمكاتبته بالقدوم ، فقدم ، فلما دخل سلم واستأذن فى الإنشاد ، فأذن له فأنشده :

(١) فى الأغاني . أطلت .

هلا رحمتَ تَلَذُّذَ المشتاقِ ومَنَنْتَ قَبْلَ زِفاته بِنَلاقِ
تَنسى الفداهَ غَلَاظِ مُتَرَقِّبِ جعلَ الوداعَ إِشارةً بِنَاقِ
إِذْ لا جوابَ لَفَحِهِمَ متَحِيرِ إِلَّا السَموعُ تُصانُ بِالإِطراقِ
حتى انتهى إلى قوله :

خَيْرُ الوفودِ مُبَشِّرُ بَخلافِ خَصَّتْ بِهِجَتِها أبا إِسحاقِ
وَافَتِهِ في الشَّهرِ الحرامِ سَلِيمَةٍ من كُلِّ مُشكلةٍ وَكُلِّ نَفاقِ^(١)
أَعطته صَفَقَتِها الضمائرُ طاعةً قَبْلَ الأَكْفِ بِأَوْكِ المِيثاقِ
سَكَنَ الزَّمانُ إلى إمامِ سَلامَةٍ عَفَّ الضميرُ مُهَذَّبَ الأخلاقِ
كَفَى رَهِيئَةً ودافعَ دونها وأجارَ مُمْلِكِها من الإِطلاقِ

حتى أتمها . فقال له المعتصم : اذنُ مني ، فدنا منه ، فلأفه جوهرا من جوهـ
كان بين يديه ، ثم أمره أن يخرجـه من فيه وأن يُنظِّمَ له عِقْدًا ويخرج إلى الناس
وهو في يده ، ليعلموا موقفه من رأيه ، ويعرفوا ثمره إحصانه .

ولما افتتح المعتصم عَمُورِيَّةَ مدحه الشعراء على ذلك ، ووصفوا حسن فعله ،
وكان أحسن ما مُدِحَ به يومئذ وما قدمه أهلُ العلمِ^(٢) على سائر ما قاله الشعراء قول
الحسين بن الضحاك :

قل للآلئِ صرفوا الوجوهَ عن الهدى مُتَمَسِّقِينَ تَمَسَّفَ المُرَّاقِ
إني أحذركم بَوادِرَ ضَنِينِهم دَرَبِ بِحُظْمِ موائلِ الأَنفاقِ
مُتَأَهِّبٍ لا يَسْتَفِزُّ جَنانَه ذَرَجُلُ الرُّعودِ ولا مَعُ الإِبراقِ

(١) في الأغاني : وكل شقاق .

(٢) في الأغاني نفس وهذا الكلام متصل صحيح . في الأغاني : ليعلموا موقفه من رأيه
ويعرفوا فعله فكان أحسن ما مدح به يومئذ . وما قدمه أهل العلم . . .

لم يبقَ من مُتَمَرِّمينَ تَوَكَّبُوا
 من بين مُتَجَدِّلٍ تَجَّ عُرُوقُهُ
 وَتَنَى الْخِيُولَ إِلَى مَعَاظِلِ قَيْصَرٍ
 يَحْمِلُنَ كُلُّ مَشَمَّرٍ مُتَغَشِّسِمٍ
 حَتَّى إِذَا لَمْ الْحِصُونُ مُنَازِلًا
 هَرَّتْ بِطَارِقِهَا هَرِيرَ قَسَاوِرٍ
 ثُمَّ اسْتَكَاثَتْ لِلْحِمَارِ مَلُوكَهَا
 هَرَبَتْ وَأَسَلَتْ الصَّالِبَ لِسْلِمٍ^(١)
 بِالشَّامِ غَيْرَ جَمَاجِمٍ أُنْفَلَقِ
 عَلَقَى الْأَخَادِعَ أَوْ أُسِيرَ وَتَاقِ
 تَخْتَالُ بَيْنَ أَحْزَى وَرِقَاقِ
 لَيْثٍ هَزَبٍ أَهْرَبَ الْأَشْدَاقِ
 وَالْمَوْتُ بَيْنَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقِ
 بُدِثَ بِأَكْرَهٍ مِنْظَرٍ وَمَذَاقِ
 ذُلًّا وَنَاطَ خُلُوقَهَا بِمُخْنَقِ
 لَمْ يُبْقَ غَيْرَ حُشَاشَةِ الْأَرْمَاقِ

فَأَمَرَهُ الْمُتَمَرِّمُ لِكُلِّ بَيْتٍ بِأَنفِ دَرَمٍ ، وَقَالَ لَهُ : أَنْتَ تَعْلَمُ يَا حَسِينَ أَنَّ هَذَا أَكْثَرُ
 مَا حُجِّي^(٢) بِهِ مَا دَخَلَ فِي دَوْلَتِنَا ، فَجَبَلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحَمَلَ الْمَالَ مَعَهُ .

وَكَانَ الرِّيَاشِيُّ يَسْتَحْسِنُ قَوْلَهُ :

إِذَا مَا الْمَاءُ أَمَكْنِي وَصَفَوْهُ سُلَافَةَ الْمِنْبِ
 صَبَبْتُ الْفِضَّةَ الْبَيْضَا ۖ فَوْقَ قُرَاضَةِ الدَّهَبِ

فَقِيلَ لَهُ : مَنْ يَقُولُهَا يَا أَبَا الْفَضْلِ ؟ قَالَ : أَرْقَى النَّاسِ طَبْعًا ، وَأَكْثَرُهُمْ مُلْكًا ،
 وَأَحْسَنُهُمْ ظَرْفًا^(٣) ، الْحَسِينُ بْنُ الضَّحَّاكِ .

وَلَا أَعِيَتْ الْحَسِينَ بْنَ الضَّحَّاكِ الْحِيلَةُ فِي رِضَا الْمَأْمُونِ مِنْهُ رَى بِأَمْرِهِ إِلَى عَمْرُو
 ابْنِ مَسْعُودَةَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَنْتَ طَوْدِي مِنْ بَيْنِ هَذَيْنِ الْخَضَابِ وَشِبَاهِي مِنْ دُونِ كُلِّ شِهَابِ

(١) فِي الْأَغَانِي : الصَّالِبُ عَشِيَّةُ :

(٢) فِي الْأَغَانِي : مَا مَدَحَنِي .

(٣) فِي الْأَغَانِي : وَأَكْمَلُهُمْ ظَرْفًا .

أنت يا عمرو قوّتي وجنّاتي^(١) ولساني وأنت ظفري ونابِي
أزّاني أنسى أيا ديك اليد عن إذا اسودّ نائلُ الأحبابِ
أين عطف الكرام في مأقَطِ الحَا جة يحمون حوزة الآدابِ^(٢)
أين أخلاقك الرضيّةُ حالَتْ في أم أين رِقّةُ السكّابِ
أنا في ذِمّة السحابِ وأظمّا إن هذا لوصمة في السحابِ
قم إلى سيّد البريّة عني قومة تستجِرُ حسنَ خطابي
فلعلّ الإله يُعطى عني بك ناراً على ذات التّهابِ

فلم يزل عمرو يتلطّف له مع المأمون حتى أوصله إليه وأدّر أرزاقه عليه . وقيل
إنه توسل بالحسن بن سهل ومدحه ووعدّه بذلك ولكنه لم يتمكن ، لسوء رأى
المأمون فيه ، ولما عاجل الحسن من علقته .

قال الحسين بن الضحاك : غضب على المتصمّ في شيء جرى على النبيذ ،
فقال : والله لأؤدّبته^(٣) وحجّبتني أيّاما ، فكثبت إليه :

غضبُ الأمير أشدّ من أدبِهِ وقد استجرتُ وعُدْتُ من غَضَبِهِ
أصبحتُ مُمتصِّيا بمتصمٍ أُنسى عليه الله في كُتْبِهِ
لا والذي لم يُبق لي سببًا أرجو النجاة به سوى سببِهِ
ما لي شفيعٌ غيرُ رحمته^(٤) ولكلّ من أشتى على عطبِهِ

فلما قرئت عليه الرقعة التفت إلى الوراق وقال : بمثل هذا الكلام تُستعطف
الكرام ، ما هو إلا أن سمعت أبيات حسين هذه حتى أزال ما في نفسي عليه .

(١) في الأغاني : وجنّاتي .

(٢) المأقَط : الضيق في الحرب .

(٣) في الأغاني : لأؤدّبته . وتحمل مخطوطة ك ذلك .

(٤) في الأغاني : غير رحمته .

فقال له الواثق : هو حقيق بأن يوهب له ذنبه ويتجاوز عنه . فرضى عني وأمر بإحضاري .

قال الحسين بن الضحاك^(١) : أنشدت أبا نواس قصيدتي :
وشاطرنيّ اللسان غخلق الكرك ربه شاب المجون بالنسك
حتى بلغت إلى قولي :

كأنما نُصِبَ كأسه قر يكرع في بعض أنجم الفلك

قال : فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه :

إذا عبّ فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا
قال : فقلت له : يا أبا علي ، هذه مصالاة . فقال لي : أنظن أنه يروى لك في الخبر
معنى جيد وأنا حي .

« المصالاة أن يأخذ الشاعر بيتاً لغيره لفظاً ومعنى » .

ومن أبيات الحسين بن الضحاك :

أعطيه مشمولة وأصرفها لصرعته أوفي على درك
حتى إذا رنحته سورتها وأبدلته السكون بالحرك
حسرت عن ثلجة مزعفرة في لين صبتية من الفنك
فكان ما كان لا أبوح به في الناس من هاتك ومنهتك

قال علي بن الجهم : دخلت على المتوكل يوما وفي يده غصن آس وهو يتمثل

بهذا الشعر :

بالشطى سَكَنَ أفديه من سَكَنَ أَهْدَى من الآسِ لي غُصْنينِ في غُصْنِ
فقلت إذ نَظِمًا سَكَلينِ والتبساً^(٢) سَبَقِيَا ورَعِيَا لِقَالِ فيكما حَسَنَ

(١) النص موجود بالأغاني ماعدا التعقيب بذكر الأبيات فإن ما بالأغاني البيتان الثاني والثالث

علا البيت الذي سرق معناه أبو نواس .

(٢) في الأغاني : إذ نظما لثين .

فَالْأَسْرُ لَا شَكَّ أَسْرٍ مِنْ تَشَوُّقِنَا شَافٍ وَأَسْرٌ هَوًى يَبْقَى عَلَى الزَّمَنِ^(١)
بَشَرَتَانِي بِأَسْبَابٍ سَتَجْمَعُنَا إِنْ شَاءَ رَبِّي وَمَهْمَا يَقْضِيهِ يَكُنْ
فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ إِنْشَادِهَا — وَقَدْ كَدَتْ أَنْشَقُ حَسَدًا — قَالَ لِي : لِمَنْ هَذَا الشَّرِّ
يَا عَلِي ؟ فَقُلْتُ : لِلْحُسَيْنِ بْنِ الصُّحَّاحِ يَا سَيِّدِي ، فَقَالَ لِي : هُوَ أَشْرُ أَهْلِ زَمَانِهِ
وَأَمْلَحَهُمْ مَذْهَبًا وَأَظْفَرَهُمْ تَخَطًّا. فَقُلْتُ — وَقَدْ زَادَ غِيظِي — : فِي النَّزْلِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) ،
فَقَالَ : وَفِي غَيْرِهِ وَإِنْ رَغِمَ أَعْنُكَ وَمَتَّ حَسَدًا .

كَانَ الْمُتَوَكِّلُ قَدْ أَحْبَبَ أَنْ يَنَادِمَهُ حُسَيْنُ بْنُ الصُّحَّاحِ وَأَنْ يَرَى مَا بَقِيَ مِنْ طَرَفِهِ^(٣) ،
فَأَحْضَرَهُ وَقَدْ كَبُرَ وَضْعُفُ ، فَسَقَاهُ حَتَّى سَكَرَ ، وَقَالَ لَخَادِمِهِ شَفِيعُ : اسْقِهِ ، فَسَقَاهُ
وَحَيَّاهُ بَوْرَدَةً ، وَكَانَتْ عَلَى شَفِيعِ ثِيَابٌ مَوْرَدَةٌ ، فَدَسَّ الْحُسَيْنُ يَدَهُ إِلَى ذِرَاعِ شَفِيعِ ،
فَقَالَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ : وَيْحَكَ يَا حُسَيْنَ ، أَتَجْمَشُ أَخَصَّ خَدْيِي عِنْدِي بِمَحْضَرَتِي ؟ فَكَيْفَ
لَوْ خَلَوْتُ ؟ مَا أَحْوَجُكَ إِلَى أَدَبٍ ! وَكَانَ الْمُتَوَكِّلُ قَدْ تَغَمَّرَ شَفِيعًا عَلَى الْمَبَثِّ بِهِ ،
فَقَالَ الْحُسَيْنُ : يَا سَيِّدِي ، أُرِيدُ دَوَاءَ وَقْرُطَاسَا . فَأَمَرَ بِذَلِكَ ، فَكُتِبَ فِيهَا :

وَكَالْوَرْدَةِ الْجُرَاءِ حَيًّا بَوْرَدَةً مِنْ الْوَرْدِ يَمْسِي فِي قَرَارِطِقٍ مِنْ وَرْدٍ^(٤)
لَهُ عَيْبَاتٌ عِنْدَ كُلِّ تَحِيَّةٍ بِكَفِّيهِ تَسْتَدْعِي الْحَلِيمَ إِلَى الْوَجْدِ^(٥)
تَمْنَيْتُ أَنْ أُسْقَى بِكَفِّيهِ شَرِبَةً تَذَكَّرُنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْمَهْدِ
سَقَى اللَّهُ عَيْشًا لَمْ أَرَبْتُ فِيهِ لَيْلَةً مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَغْدٍ
ثُمَّ دَفَعَ الرِّقْمَةَ إِلَى شَفِيعِ وَقَالَ : ادْفِنِهَا إِلَى مَوْلَاكَ . فَلَمَّا قَرَأَهَا اسْتَمْلَحَهَا

(١) فِي الْأَغَانِي : وَأَسْرٌ لَنَا يَبْقَى .

(٢) فِي الْأَغَانِي : فِي النَّزْلِ يَا مَوْلَايَ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : وَأَنْ يَرَى مَا بَقِيَ مِنْ شَهْرَتِهِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ .

(٤) الْفَرَطِيُّ : قَبَاءُ ذُو طَلَقٍ وَاحِدٌ وَجْهَهُ قَرَارِطِقٌ .

(٥) فِي الْأَغَانِي : بِسَيْتِهِ تَسْتَدْعِي .

وقال له : أحسنت يا حسين ، ولو كان شفيعٌ ممن يجوز هَبْتُهُ لوهبته لك ، ولكن
بحيائي يا شفيع إلا كنت ساقيةً بقيَّةَ يومه هذا ، واخذنهُ كما تخمِنِي . وأمر له
بمال كثير . وقيل : إنه قال لحسين : قل شيئاً في هذا ، فقال الأبيات ، فلما سمعها
التوكل قال : يُحمل إلى الحسين عن كل بيت مائة دينار ، وكان محمد بن عبد الله
حاضرا ، فقال كالتعجب : لمَ يا أمير المؤمنين ؟ والله لقد أجاب فأُسرِع ، وذكر
فأُوجع ، وأطرب فأمتع ، ولولا أن يد أمير المؤمنين لا تطاولها يدُ لأجزأتُ له العطاء ،
ولو أحاط بالتليد والطارف . فحجل التوكل وقال : يُعطى بكل بيت ألف دينار .

اجتمع الحسين بن الضحاك وعمرو بن بانة يوما عند ابن شغوف الهاشمي فاحتبسهما
عنده ، وكان لابن شغوف الهاشمي خادم حسن الوجه يقال له مُفْعِم ، وكان عمرو بن بانة
يتشقه ويستر ذلك عن ابن شغوف ، فلما أكلوا ووضعوا النبيذ قال عمرو بن بانة
للحسين : قل في مفعم أبيانا أغنى فيها الساعة ، فقال الحسين :

وَأَبَايَ مُفْعِمٍ بِنُرَّتِهِ ^(١) قلت له إذ خلوت مُكْتَتِمًا
تُحِبُّ بِاللَّهِ مِنْ يَخْصُكَ بِالوَدِّ فَا قَالَ لَا وَلَا نَمَّا
ثُمَّ تَوَلَّى بِمَقَلَّتِي خَجَلْ أَرَادَ رَجَعَ الْجَوَابِ فَاحْتَشَمَا
فَكُنْتُ كَالْبَتِينِ بِحِيلَتِهِ مُرْءَا مِنْ الشُّمِّ فَابْتَدَى سَقْمًا

وغنى فيه عمرو بن بانة ، فبينما هم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الوصلي
بالباب ، فقال له عمرو : أعفنا من دخوله وإلا نغص علينا بقره وصلفهِ وبُنْفَصِه
وَقَتْلِهِ . ففعل ، وخرج الحاجب فاعتلَّ على إسحاق حتى انصرف ، وأقاموا يومهم
وباتوا ليلتهم عند ابن شغوف ، فلما أصبحوا مضى الحسين بن الضحاك إلى إسحاق
فحدثه الحديث ، فقال إسحاق :

(١) في الأغاني : لنزته .

يا ابنَ شَنُوفٍ أما علمتَ بما قد صار في الناسَ كلِّهم علماً
دعوتَ عمراً فباتَ ليلته في كلِّ ما يشتهي كما زَعَمَا
حتى إذا ما الظلامُ ألبسه سرى دُبيباً فضاجعاً الخلدَما
نُمتَ لم يَرْضَ أن يُضاجعهم سرّاً ولكنْ أبدى الذي كتما
ثم تَنَسَّى من فرطِ صَبوته صوتاً شَقِيَ من عليه السَّعَمَا
وابأبى مُفحم بفرقه^(١) قلت له إذا خلوت مكثتما

وشاعت الأبيات في الناس ، وغنى بها إسحاق ، فبلغت ابنَ شَنُوفٍ ، خلفه
الآ يَدْخُلُ عمراً دارَه أبداً ولا يكلمه وقال : فضحني وشهرني وعرضني للسان
إسحاق . ومات مهاجراً له . وغنى إسحاق الوصلى هذه الأبيات للمعتم ، فسأله
عن خبرها فأخبره ، فضحك وصفق وطرب ، ولم يزل يستعيد الصوت وابنُ شَنُوفٍ
يكاد أن يموت إلى أن سكر وقام .

سئل الحسين بن الضحاك عن خبره مع الحسن بن سهل في فصل الخريف ،
وقد جاء وسمي الطر فرشاً رشاً حسناً ، واليوم في أحسن نمط وأطيبه وأحلى مظهر^(٢)
وهو جالس على سرير آبنوس ، وعليه قُبَّة من فوقها طارمة^(٣) ديباج أصفر ، وهو
يشرف على بستان في داره ، وبين يديه صائف يتردد في خدمته ، وعلى رأسه غلام
كالدبنار فسلمت فردَ على السلام ، ونظر إلى كالمستطلق ، فقلت :
* أَلَسْتَ تَرَى دِجَّةً تَهْطِلُ *

(١) في الأغاني : لمزته .

(٢) في الأغاني : واليوم في أحسن منظر وأطيبه .

(٣) الطارمة : أصلها بيت من خشب كالقبة ويراد هنا الستر .

فقال: بلى . فقلت:

* وهذا صباحك مُسْتَقْبَلُ *

وتلك المدام وقد شاقنا برؤيته الشادن الأكل

فقال : صدقت، فقلت :

فساد بنا وبه سكرة تُهَوِّنُ مكروه ما يُسأل

فسكت ، فقلت :

فإني رأيت له نظرة تُضَيِّرُنِي أَنَّهُ يَفْعَلُ

قال: ثم قلت :

وقد أشكل الميث في يومنا فيا حَبِّدَا عَيْشُنَا الشُّكْلُ

فقال : الميث مشكل ، فما ترى ؟ فقلت : مبالغة القصف ، وتقريب الإلف ،

قال : عَلَى أَنْ تَقِيمَ معنا وتبيت عندنا ، فقلت له : لك الوفاء وعليك مثله لى من الشرط ،

قال : وما الشرط ؟ قلت : يكون هذا الواقف على رأسك يستقي ، فصحك ثم قال :

ذلك لك عَلَى ما فيه . ودعا بالطعام فأكلنا ، وبالشراب فشربنا أفداحا ، ولم أر النلام ،

فسألت عنه ، فقليل : الساعة يجيء ، فلم يلبث أن جاء فسأله عن غيبته فقال : كنت

في الحمام ، وهو الذى حبسنى هناك ، فقلت :

وإبائى أبيضٌ فى سُفْرَةٍ كأنه يَبْرُ عَلَى فِضَّةٍ

جُرْدَنِ الْحَمَامِ مِنْ دُرَّةٍ^(١) يَلُوحُ فِيهَا عُكْنٌ بِقَصَّةٍ

غصنٌ تَبْدَى بِتَشَى عَلَى مَا كَمَّةٌ مُتَقَلَّةٌ التَّهْنِئَةِ^(٢)

كأنما الرشح على خَدِّهِ^(٣) طَلٌّ عَلَى تَفَاحَةٍ غَضَّةٍ

(١) فى الأغاني : جرده الحمام .

(٢) المأكمة : المعيزة .

(٣) فى الأغاني : كأنما الرز .

صِدَائِهِ فَاتَتْهُ كُلُّهَا فَبِعِصْهِ يُذَكِّرُنِي بِعِصْهِ
يَا لَيْتَهُ زَوَّدَنِي قُبْلَةً أَوْ لَا فَن وَجَّهَتْهُ عِصْهُ

فقال لى الحسن بن سهل : قد عمل فيك النيذ ، فقلت : لا وحياتك ، فقال :
هذا شر من ذاك ، فقلت :

استقياني وصرِّفاً بنت حولين قرقفا
واسقيا المرهف النري رَ سقى الله مرهفاً
لا تقولوا نراه أكلد ف نضواً مخففاً
نعم ربحانة الند يم وإن كان مخففاً
إن يكن أكلفاً فإ نأ ترى البدر أكلفاً
بأبي ماجن الربد رة يُبْدِي تمففاً
حفاً صدافه وعة ربها ثم صففاً
وحشا مدرج القصا ص بمسك ورسفاً^(١)
وإذا سُمته منا لَا تَأْتِي وَعَنفَا^(٢)
ليس إلَّا بأن يُمدَّ فغ الشكر مُسِفَا^(٣)
باكرًا لا تُسَوِّفَا نى هدمت التسوفاً
أعجلاه وباللفظا ظلة في السقي فاعنفَا^(٤)
واخِلا شغبه وإن هور زئي وأففاً
وإذا هبَّ للعنا م قُومًا وخففاً^(٥)

(١) قصاص الشعر : نهاية منجته .

(٢) في الأغاني : فإذا رمت منه ذاك .

(٣) في الأغاني : ليس إلَّا بأن يرنمه السكر

(٤) في الأغاني : « وبالفضاضة في السقي » والفضاضة : آخر السقي .

(٥) في الأغاني : وإذا هم للمنام .

فبمناصب الغلام وقام ، فذهب ثم عاد فقال لي : أَقْبِلْ علي شرابك ودَعْ الهَدْيَان .
ونَاوَلْنِي قدحا . وقام أبو محمد ليبول ، فشربت وأعطاني قُلًّا ، فقلت له : اجعل بدله
قبلة ، فضحك وقال : أَفْسَل ، فقلت : متى ؟ هذا وقته ^(١) ، فبدا له وقال : لا أفسل ،
فماودته فأنهزني وتهددني ، فأطرقت ثم عاودته فأنهزني ، فقال له خادم للحسن يقال
له فَرَج : بجيأتني يا بُنَيَّ أَسْمِفَه بما طلب . فضحك ثم دنا مني كأنه يناولني قُلًّا ،
وتنافل لي ، فاخترت منه قبلة ، فقال لي : هي حرام عليك ، فقلت :

وبدیع الدَّلِّ قَصْرِي الفَنَجِ	سره العین کلیل بالدَّعَجِ ^(٢)
مُحْمَتُهُ شَيْثًا وَأَصْنِيتُ لَهُ	بمدا صَرَفَ كَأْسًا وَمَزَجَ
واستخفَّتُهُ عَلَى نَشْوَتِهِ	تَبَرَاتٍ مِنْ خَفِيفٍ وَهَزَجِ ^(٣)
فَتَابَنِي وَتَنِي خَجَلًا	وَذَرَا الدَّمْعَ فَنُونًا وَنَشَجَ
لَجَّ فِي لَوْلَاوِي سَوْفَ تَرَى	وَكَذَا كَفَكْ عَنِي وَخَلَجِ ^(٤)
ذهب الليلُ وما نوَلِي	دون أن أسفر صبحٍ وأنبلجَ
هوْنَ الأَمْرِ عَلَيْهِ فَرَجٌ	بِتَأْتِيهِ فَسْقِيًا لَفَرَجٌ
خَيْرَ النِّكْمَةِ لَا مِنْ قَهْوَةٍ	أَرَجَ الْأَصْدَاغَ بِالسِّكِّ الْأَرَجِ
فينفسي نفسٌ من قال وقد	كان ما كان : حرامٌ وَحَرَجُ

قال : ثم أسفر الصبح فأنصرفت ، وعدت إلى الحسن من غد ، فقال لي : كيف
كنت ليلتك ! وكيف كنت عند نومك ؟ فقلت له : أصف ذلك ترا أو نظما ؟ قال :
بل نظما ، فقلت :

(١) في الأغاني قص ولصه : وقال : أَفْسَل هذا وقته .

(٢) المره العين : ألقى خلت عينه من الكحل . وفي ت : قره العين .

(٣) في قرات من خفيف .

(٤) يريد أبعد يدك غنى . وهي زواية أصول المختار وأغلب نسخ الأغاني . وفي نسخة من
الأغاني : وكذا كفكف عني .

فواصلنى بعد ما قد صرمت	تألفت طيف غزال الحرم
بما تجتنبه بنات الحلم ^(١)	وما زلت أفنع من نيله
ألم به الشوق فيما زعم	بنفسى خيال على رقبته
من البهز تحت كسور الظلم ^(٢)	أتانى يُمِاذب أردافه
وعنبرة ريقه والنسم ^(٣)	تُعج سوائفه مسكة
فطاب من القرن حتى القدم	تضخم من بمد تجميره
على أن يقول لشيء نعم	يقول ونازعه ثوبه
وأعرض لإعراضه واحتشم	فنفذ الجفون على خجلته
وأصنيت ألسنم ذرا بسم	فنبكت كفى على كفه
بيحد ولا مطمع متمر	فنهني دفع لا مؤيس
تكنى وقال لك الويل لم	إذا ما همت فأذنيقه
وأفرط في اللهو حتى ابسم	فما زلت أبسطه مازحا
بشيء ولكنه مكتسم	وحكمي الريم في نفسه
على أن ما كان أبقي سقم	فواهاً لذلك من طارق

فقال الحسن : يا حسين أعلن ما ادعيته في النوم كان في اليقظة مع الشخص نفسه ، وأصلح الأشياء لنا بعد ما جرى أن ندفع المار عن أنفسنا بهبة الغلام لك ، نُفذه لا بورك لك فيه ، فأخذته وانصرفت .

قال الحسين بن الضحاك : [كنت] في [المسجد] الجامع بالبصرة فدخل أبو نواس وعليه جبة خز جديدة فقلت له : من أين لك هذه يا أبا علي ؟ فلم يجبرني .

(١) في الأغاني : بنان الحلم .

(٢) في الأغاني : كسور الظلم .

(٣) في ت : والنسم .

فتخيلت أنه أخذها من موسى بن عمران لأنه دخل من باب بني نعيم ، فقامت فوجدت
موسى قد ليس جبة خزٍ أخرى . فقلت له :

كيف أصبحت يا أبا عمران :

فقال : بخير صبحك الله به . فقلت :

* يا كريم الإخاء والإخوان *

فقال : اسمعني اسمعك الله خيرا ، فقلت :

إن لي حاجة فرأيتك فيها إننا في قضائها سيان

فقال : هاتها على اسم الله وبركته . فقلت :

جبة من جيبابك الخرز حتى لا يراني الشتاء حيث يراني

قال : خذها على بركة الله ، ومدد كفه فزعتها وجئت وأبو نواس جالس ،

فقال : من أين جاءتك هذه ؟ فقلت : من حيث جاءتك تلك .

قال الحسين بن الضحاك : دخلت أنا ومحمد بن عمرو على المتصم ، فخرج إلينا

كلحا ، فتوهما أنه أراد النكاح فمجز عنه ، فجاء إيتاخ^(١) فقال : غارقٌ وعلوية

وأشباههما بالباب ، فقال : عليك وعليهم لعنة الله ، اغرب عني . قال : فتبسمت إلى

محمد بن عمرو ، وفهم المتصم تبسمي فقال لي : مم تبسمت ؟ فقلت : من شيء حضرني ،

قال : هات ، فأنشدته :

انفِ عن قلبك الحزنَ باقترابِ من السَّكنِ

وتتَّعْ بكَرٍّ طَرَفَ فِكَ في وجهه الحسنِ

إن فيه شفاء صدرك من لايح الحزنِ

فدعا بألفي دينار : ألف لي وألف لمحمد بن عمرو ، فقلت : الشعر لي ، فامضى

(١) هو إيتاخ الترك المتصمى القائد ، كان غلاما خزريا اشتراه المتصم ورفعه .

الألف ل محمد بن عمرو؟ قال : لأنه جاءنا معك ، ثم أذن لمخارق وعاروة فدخلوا ، فأمرهما أن يفتنيا به^(١) ففعلوا ، وما زال يمد هذا الصوت ، ولقد قام لحاجته وهو يرده .

كان صالح بن الرشيد يمشي يُسرا خادما أخيه أبي عيسى ، وكان يرأوده عن نفسه فيمده ولا يفي له ، فأرسله أبو عيسى يوما إلى أخيه في السَّحَر ، يقول له^(٢) : يا أخى ، قد انتهيت أن أصطبح اليوم ، فبحياتي إلا ما ساعدتني وصرتَ إليّ لنصطبح . فصار يسر إلى صالح وهو مُتَنِّش وقد شرب في السَّحَر ، فأبلغه الرسالة ، فقال له : يا يسر ، دعني من مواعيدك ومَطْلِكَ ، هذه عشرة آلاف درهم ، فخذها واقض حاجتي وإلا فليس هاهنا إلا النصب ، فقال له : يا سيدي أنا أقضى الحاجة ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراد وطاوعه ففضى حاجته ، وأمر صالح فحُمِلَ المال معه . قال الحسين ابن الضحاك : ثم خرج إلى صالح من خلوته فقال : يا حسين ، قد رأيت ما كُنَّا فيه ، فإن حضرك شيء فقل ، فقلت :

أيا مَنْ رِيقُهُ سَحَرُ	ويا مَنْ طَرَفُهُ سِحْرُ
تَجَاسَرْتُ فَكَاشَفْتُ	لك لما غَلِبَ الصَّبْرُ
وما أَحْسَنَ في مِثْل	لك أن يَهْتَكَ السُّرُّ
وإن لَأَمَنَى النَّاسُ	ففي وَجْهِكَ لى عُدْرُ
فدعني من مواعيد	لك إذ حَيَّنْتَ الدَّهْرُ
فلا والله لا تَبْرُ	ح أو يَنْقُضِيَ الأَمْرُ
فإِما النَّصَبُ والتَّمُّ	وإِما البَذْلُ والشُّكْرُ

(١) في الأصول : يفتنياه . وفي الأغاني : يفتنيا فيه .

(٢) في الأصول : فقال له : والنصوب من الأغاني .

ولو شئتَ تياسرتَ كما تُحميتَ يا بُسرَ
فكُنْ كاسمك لا تمَنِّ مك النخوة والكِبَرُ
فلا قُرْتُ بِمَحْطَى مِنْ لك إن ذاع له ذِكْرُ

قال الحسين : فضحك ، ثم قال : لعمري لقد تيسر كما قلت . فقلت :
ومن لا يتيسر بعد أخذ الدية ؟ لو أردتني أنا أيضا بهذا لتيسرت ، فضحك ثم قال :
نعم عليك أنت أيضا الدية لحضورك ومساعدتك ، ولا يزيدك لما أردنا له يسرا ، فبُست
الطبية أنت . ثم أمر عريب^(١) فغنت فيه .

كان حسين بن الضحاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد ، فبعث به يوما
على سكر ، فأخذ قنينة فضرب بها رأسه فشجّه شجة منكرا ، وشاع خبره ، وتوجّع
له إخوانه ، وهولج منها مدة ، فجفا الخادم وأطرحه ، وأبغضه ولم يمرض له بعدها ،
فراه الخادم يوما في مجلس مولاه فبعث وغازله ، فقال له الحسين :

تَمَزَّيْتُ عَنْ هَوَايَ فَإِنْسَى إِذَا انصرفت نفسى فبهات من رَدِّ
إِذَا خَنَنْتُم بِالغَيْبِ مَهْدَى فَا لَكُمْ تُدِلُّونَ إِدْلَالَ الْقِيمِ عَلَى الْمَهْدِ
وَلِي مِنْكَ بُدَّةٌ فَاجْتَنِبْنِي مُدْمَمَا وَإِنْ خَلَّتْ أُنَى لَيْسَ لِي مِنْكَ مِنْ بُدَّةٍ

لما مات أبو نواس كتب الحسين بن الضحاك على قبره :

كَابَرَيْتُكَ الزَّمَانُ يَا حَسَنُ نَخَابَ سَهْمِي وَأَفْلَحَ الزَّمَنُ
لَيْتَكَ إِذَا لَمْ تَكُنْ بَقِيَتْ لَنَا لَمْ يَبْقَ رَوْحٌ يَمْحُوطُهَا بَدَنُ

حجّ الحسين بن الضحاك ، قرّ في منصرفه على موضع يعرف بالترتين ،
فإذا جارية تَطَّلَعُ في ثيابها وتنظر إلى حُرِّها ، ثم تضربه بيدها وتقول : ما أضيعني
وأضيعمك ، فأنشأ يقول :

(١) في الأصل : عريبا . هذا . وعريب علم على أثني فيمنع من الصرف كما في الأغاني .

مَرَرْتُ بِالْقُرَيْينِ مُنْصَرِّفًا مِنْ حَيْثُ يَقْضَى ذُوو النُّهَى النُّسْكَ
إِذَا فَنَاءَ كُلُّهَا قَرُّ النَّدِّ مَ لَمَّا تَوَسَّطَ الْفَلَكَ
وَاضْمَةً كَفَّهَا عَلَى حِرِّهَا تَقُولُ وَاضْمَعْنِي وَضْمَعْتَا
فَلَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَهُ غَطَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ : وَافْضِيحْتَاهُ أَوْ قَدْ سَمِعْتَ مَا قُلْتُ ؟

كان الواصل يميل إلى الفتح بن خاتن ويأس به ، وهو يومئذ غلام ، وكان الفتح
ذكيًا حادَّ الطبع والفطنة ، وذلك أنه قال له المتصم يوما وقد دخل إلى دار أبيه :
يا فتى أيعا أحسن ؟ داري أودار أبيك ، فقال له غير متوقف : دار أبي إذا كنت فيها .
وكان ذلك الوقت صبيًا له سبع سنين أو نحوها ، فمجب منه وتبناه ، وكان الواصل
له يمثل هذه المنزلة وزاد التوكل عليها . فاعتل الفتح في أيام الواصل علة صعبة
ثم أفاق بعد مدة وعوفي ، وعزم الواصل على الصبوح ، فقال للحسين بن الضحاك :
اكتب بآيات عني إلى الفتح ادعُهِ للصباح ، فكتب إليه :

لَمَّا اصْطَبَحْتُ وَعَيْنُ اللَّهِ تَرْمَعُنِي قَدْ لَاحَ لِي بَاكِرًا فِي ثَوْبٍ بِذَلَّتِهِ
نَادَيْتُ فَتَحًا وَبَشَّرْتُ الدَّامَ بِهِ لَمَّا تَخَلَّصَ مِنْ مَكْرُوهِ عِلَّتِهِ
ذَبُّ الْفَتَى عَنْ حَرِيمِ الرَّاحِ مَكْرَمَةً إِذَا رَأَاهَا أَمْرًا ضِدًّا لِنَحْلَتِهِ
فَاعَجَلْ إِلَيْنَا وَعَجَلْ بِالرُّرُورِ لَنَا وَخَالِسِ الدَّهْرَ فِي أَوْقَاتِ غَفْلَتِهِ
فَلَمَّا قَرَأَهَا الْفَتْحُ صَارَ إِلَيْهِ وَاصْطَبَحَ مَعَهُ .

كان بجوار الحسين بن الضحاك طبيب يداوى الجراحات يقال له نصير ، وكان
مُخَنَّنًا ، فإذا كانت ولية دخل مع المخنثين ، وإذا لم تكن ولية هالج الجراحات ،
فقال فيه الحسين بن الضحاك :

نُصِيرُ لَيْسَ الرُّدُّ مِنْ شَأْنِهِ نُصِيرُ طَبِّ بِالْكَارِيشِ (١) .

(١) التكريش : اللحي . وجمعه نكارش .

يقول للتكريش في خَلْوَةٍ مقالَ ذى لُطْفٍ وتَجَمُّيشِ
هل لك أن نلعب في فرشنا تقلَّبَ الطيرِ المَراعىشِ
بمعنى المبادلة . فكان نُصيرُ بعد ذلك تصيح به الصبيان : يا نصير نلعب تقلَّب
الطير المَراعىش ، فيشتمهم ويرميهم بالحجارة .

سئل الحسين بن الضحاك في مجلس المتوكل عن سِنِّه فقال : ما أحفظ السنة
التي ولدت فيها بعينها ، ولكن أذكر وأنا بالبصرة موت شُعبة بن الحجاج
سنة ستين ومائة .

قال أحمد بن حمدون النديم : أمر المتوكل أن ينادمه الحسين بن الضحاك ويلزمه ،
فلم يطلق ذلك لكبر سِنِّه ، وثَلَبَه بمضُ أولاد الخلفاء عنده وقال : من يطيق
الذهاب إلى القُرَى والمواخير ويشرب فيها يمجز عن خدمتك ^(١) ؟ قبلفه ذلك فدفع إلى
أبيانا وسألني إيصالها إلى المتوكل ، فأوصلتها وهي :

أما في الثمانين وَفَيْتُهَا	عذِرُ وإن أنا لم أعتذرُ
فكيف وقد جُرْتُهَا صاعداً	مع الصاعدين بتسعِ أُخْرُ
وقد رَفَعَ اللهُ أعلامه	عن ابنِ ثمانين دونَ البَشْرِ
سوى من أمرٍ على فتنةٍ	وَأَلْحَدَ في دينه أو كَفَرُ
وإني لمن أسراءِ الإلـ	في الأرضِ نُصِبَ صُروفِ القَدَرُ
فإن يقضِ لي عملاً صالحاً	أثابَ وإن يقضِ شرّاً غفرُ
فلا تُلَجِّ في كِبَرٍ هَدَّتْني	فلا ذنب لي أن بلفتُ الكِبَرُ
فقد بسطَ اللهُ لي عُدْرَه	فمن ذا يلوم إذا ما عَدَرُ
وإني لفي كَتَفٍ مُعَدِّقِ	وعِزِّ بنصرِ أبي التَّصْصِرِ ^(٢)

(١) في الأغاني : هو يطيق . . . ويمجز عن خدمتك .

(٢) بضم في الأغاني ثلاثة أبيات .

قال ابنُ محدون : فأوصلت الرقة وشيئتمُها كلما بشيء عذرت به وقلت : لو أطلق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعد بها ، فقال له المتوكل : صدقت ، فخذ له عشرين ألف درهم فاحملها إليه . فأخذتها وحملها إليه .

قال الحسين بن الضحاك : ضربني الرشيد في خلافته لصحبتي ولده ، وضربني الأمين لما يلتي ابنه عبد الله ، ثم ضربني المأمون لميل كان إلى محمد ، ثم ضربني المتصم لمودة كانت بيني وبين العباس بن المأمون ، ثم ضربني الواثق لأنه بلنه من ذهابي إلى المتوكل ، وكل ذلك يجري مجرى الولع بي والتحذير لي ، ثم أحضرني المتوكل وأمر شفيما بالولع بي ، فتناضب المتوكل عليّ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن كنت تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك فاعلم أن آخر ضربٍ ضربته بسبيك . فضحك وقال : بل أحسن إليك يا حسين وأصونك وأكرمك .

قال عليّ بن يحيى : جاءني يوما حسين بن الضحاك ، فقلت له أي شيء كان خبرك أمس ؟ فقال لي : اسمعه شعرا ولا أزيدك على ذلك فهو أحسن ، فقلت : هات ، فقال :

زائرة زارت على غفلة	يا حبذا الزورة والزائرة
فلم أزل أخدها ليلتي	خديعة الساحر للساحرة
حتى إذا ما أذعنت بالرضا	وأنمت دارت لها الدائرة ^(١)
بت إلى الصبح بها ساهرا	وباتت الجوزاء بي ساهرة
أفعل ما شئت بها ليلتي	وملء عيني نعمة ظاهرة
فلم نمل إلا على تسعة	من غلّة بي وبها ثائرة
سقيما لها لا لأخي شجرة	شعرته كالشجرة الوافرة
وبين رجليه له حربة	مشهورة في حقوة شاهرة
وفي عنقه تلعبها لحيه	تُلحِقُه بالكركة الخاسرة

قال : فقلت له : زينتَ يعلم الله إن كنت صادقا . فقال : قل أنت ما شئت .

(١) في الأغاني : بها الدائر .

حارثة بن بدر^(١)

هو حارثة بن بدر بن حُصَيْن بن قَطْن بن مالك بن عُدانة بن ربوع، وقيل : حارثة بن بدر بن مالك بن كلب بن عُدانة ، ونسب بني ربوع مذكور في نسب جرير .

وأم حارثة امرأة من صُرَيْم بن الحارث يقال لها الصدوف بنت الصدى .
مرّ عمرو بن الأَهم بمحارثة بن بدر والأحنف بن قيس وزيد بن حُليّة^(٢) ، فسَلَّم عليهم ، ثم بقي مفكراً ، فقالوا : مالك ؟ فقال : ما في الأرض ثلاثة أنجب من آبائكم حيث جاءوا بكم من أمثال أمهاتكم . فضحكوا منه .
وأم الأحنف بن قيس الزافرية ، واسمها حُجَي ، من باهلة . وأم زيد بن حلية عمرة بنت جُذام^(٣) من بني الشعيراء ، وحارثة بن بدر من فرسان بني تميم ووجوهها وساداتها .

وفي بني عُدانة يقول الفرزدق :

أَبْنَى عُدَانَةَ إِنِّي حَرَّرْتُكُمْ وَوَهَبْتُكُمْ لِمَطِيَّةَ بْنِ جِمَالٍ
لَوْلا عَطِيَّةٌ لَاجْتَدَعْتُ أَنْوَفَكُمْ مِنْ بَيْنِ الْأُمِّ أَمِينٍ وَسِبَالٍ

وكان عطية استوهب منه أعراضهم لصهر بينه وبينهم ، وكان عطية سيّداً من سادات بني تميم ، فلما سمع عطية هذا الشعر قال : والله لقد امتنّ عليّ أبو فراس بهذه الهبة ، وما تمّمها حتى أرتجمها ، وواصل الامتنان بتحريرهم بأقبح هجاء لهم .

(١) الأغاني : دار الثقافة المجلد ٢٣ آخر المجلد . الجزء الواحد والعشرون ص ٢٠ طبع أوروبا وهو مما سقط من طبعة بولاق ، وفي طبعة السامي الجزء ٢١ ص ١٣ .

(٢) في الأغاني : حليّة .

(٣) في الأغاني : حذلم .

وكان عطية جوادا ، وفيه يقول جرير :

إِنَّ الجَوَادَ عَلَى المَوَاطِنِ كُلِّهَا وَابْنَ الجَوَادِ عَطِيَّةَ بْنَ رِجَالٍ
يَهْبُ التَّجَائِبُ لَا يَمْلُ عَطَاءُهَا وَالقُرْبَاتُ كَأَنَّهُنَّ سَمَالِي^(١)

وربما أن يكون قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم في حال صباه وحداثته^(٢).

كان زياد مكرما لحارثة بن بدر ، قابلا لرأيه ، محتملا لما يعمله من تناول الشراب ، فلما ولي عبيد الله بن زياد آخر حارثة بعض التأخر ، فتابه على ذلك ، فقال له عبيد الله : إنك تتناول الشراب ، فقال له : قد كان أبوك يعلم ذلك مني ، وهو يقربني ويكرمني ، فقال له : إن أبي كان لا يخاف من القالة في تفريق ما أخاف . وإن اللسان إلى فيك أسرع منه إلى أبي . فقال حارثة :

وَكَمْ مِنْ أَمِيرٍ قَدْ تَجَبَّرَ بَعْدَمَا مَرَّيْتُ لَهُ الدُّنْيَا بِسُفَى فَدَرَّتِ^(٣)
إِذَا مَا هِيَ أَحَاوَلَتْ نَفَى حَقِّ مَقْسَمِي وَيَقْسِمُ لِي مِنْهَا إِذَا مَا أَمَرْتُ
إِذَا زَبَنَتْهُ عَنْ فُوقِ يُرِيدُهُ دُعَيْتُ وَلَا أُدْعَى إِذَا مَا أَمَرْتُ

وشاوره عبيد الله بن زياد في أمر فقال :

أَهَانَ وَأَقْصَى ثُمَّ تَنْتَصِحُونِي وَمَنْ ذَا الَّذِي يَمْلَى نَصِيحَتَهُ قَسْرًا
رَأَيْتُ أَكْفَ المَصْلَتَيْنِ عَلَيْكُمْ مِلًّا وَكَتَفِي مِنْ عَطَايَاكُمْ صِفْرًا
مَتَى تَسْأَلُونِي مَا عَلَيَّ وَتَعْنَمُوا الَّذِي لِي لَا أُسْطَعُ عَلَى ذَلِكَمْ صَبْرًا

وحوّل زياد دعوة حارثة ودبوانه في قريش ، لمكانه منه . فقال فيه رجل من بني كلب يهجوّه :

(١) للغرباء من الحبل : التي ضربت للركوب . والإبل للقرية : التي حزمت للركوب أو التي عليها رحال مقربة بالأدم وهي مراكب الملوك . وأنكر المعنى الثاني للإبل .

(٢) ذكر في الإصابة في القسم الثالث من حرف الميم وأشار أنطون إلى أبي الفرج الإصفهاني

(٣) مرى الناقة يمر بها : مسح ضرعها لتدر .

شهدتُ بأن حارثةَ بنِ بدرٍ غُدَّائيَّ اللهازمِ والكلامِ
سَجَّاحٍ في كتابِ الله أدنى له من نوفلِ وبنِي هِشامِ
يعنى سَجَّاحٍ التي أذهتِ النبوةَ ، وهي امرأةٌ من بنِي تميم .

عاقبَ الأحنفُ بنُ قيسِ حارثةَ بنَ بدرٍ على معاقرةِ الشرابِ وقالَ له : قد
فضحتَ نفسك وأسقطتَ قدرك . وأوجهه عتاباً . فقالَ له : إني سأعتبك فأمسِكْ^(١) ،
وانصرفَ الأحنفُ طامعاً في صلاحه ، فلما أمسى راحَ إليه فقالَ له : اسمع يا أبا بحرٍ
ما قلتُ : قال : هاتِ ، فأنشده :

ينمُّ أبو بحرٍ أموراً أريدها	ويكرهها للأريحيِّ السَّودِ
فإن تك عيباً فقل ما تريده	ودع عنك شرِّي لستُ فيها بأوحدِ
سأشربها صبياءَ كالسكِّ ريمُها	أُسْرُ بها في كلِّ نادٍ ومشهدِ ^(٢)
فَنَفْسُكَ فانصَحْ يا ابنَ قيسٍ وخليّ	ورأيي فإ رأيي إذا بمُفْنَدِ ^(٣)
وقائلةٌ يا حارِ هل أنت مُمسك	عليك من التبذيرِ قلتُ لها اقصدي
ولا تأمريني بالسَّدادِ فإني	رأيتُ الكثيرَ المالِ غيرَ مُخلدِ
ولا عيبَ لي غيرَ أسطباحي قهوةَ	مَتى يَمزجُها المرءُ في الكأسِ تَزِيدُ
ممتعةً صبياءَ كالسكِّ ريمُها	إذا هي فاحتِ أذهبتِ غلَّةَ الصَّدي
ألا إنما الرُّشدُ البينُ طريقُه	خِلافَ الذي قد قلتِ إذا أنت مُرشدِي
سأشربها ما حَسِبْتُ لله راكبُ	مُجاهرةً وحدي وفي كلِّ مشهدِ ^(٤)
وأُسعدُ ندماني وأُتبِعُ شهوتي	وأبدلُ عَفْواً كلَّ ما ملكتُ يدي

(١) كلمة « فأمسك » توجد في بعض نسخ الأغاني فقط .

(٢) في الأغاني : وأشربها في كل نادٍ .

(٣) في بعض مخطوطات الأغاني : برأى مفند .

(٤) في بعض مخطوطات الأغاني : مجاهدة وحدي ومع كل مسند .

كذا العيشُ لا عيشُ ابنِ قيسٍ وصَحْبِهِ

من الشربِ للماءِ القراحِ المُبرَّدِ

فقال له الأحنف : حسبك فإني أراك غير مُقلع عن غيِّك ، ولن أمانبك بعدها أبدا .

شرب حارثة بن بدر مع بني زياد ليلة إلى الصبح ، فأكثر وصرف ، فلما غدا على زياد كان وجهه شديد الحمرة ، ففطن له زياد فقال : مالك يا حارثة ؟ قال : أكلت الباردة زمانا فأكثر . قال : قد عرفتُ ومع من أكلته ، ولكنهم قشروه وأكلته بقشره فأشارك إلى ما أرى .

كان حارثة بن بدر يجالس مالك بن مسعم ، فإذا جاء وقتُ يشربُ قام ، فأراد مالك أن يعلم من حضر أنه قام للشرب ، فقال له : إلى أين تضي يا أبا العنيس ؟ قال : أجيء بمباد بن الحصين بقفا عينك الأخرى . وكان عباد فقا عين مالك بن مسعم يوم الرِّبْد .

كان حارثة بن بدر قد نُدب لقتال الأذارقة بدُولاب ، فلما لقيهم واشتدت الحرب بينهم قال لأصحابه :

كَرَبُوا وَدَوَّلُوا^(١) وحيث شئتم فاذهبوا

ثم انهزموا ، فهجاه غوثُ بن الجباب :

أحارِبَ بنِ بدرِ دونَكَ الكأَسَ إنها بئسَكَ أُولَى من فِراعِ الكتائبِ

عليكَ بها صهباءُ كالسِكِ ريمُها يظُلُّ أخوها لِلْمَدَا غَيْرَ هائبِ

ودعْ عنكَ أفواجا وَلَيتَ قَتالُهُم فلستَ صَبُوراَ هُندَ وَقَعَ التواضِيبُ^(٢)

(١) اضطرر مجرم البلدان كربنا وبهامش غطوط كبرى قوله : كربوا : خذوا طريق كربنا ودولوا : خذوا طريق دولاب .

(٢) في الأغاني بينه وبين تاليه ثلاثة أبيات .

ودع عنك أبناء الحروب وشدهم إذا خطرُوا مثل الجمالِ المصاعِبِ
كانت في بني تميم حاتّان ، فاجتمعوا في مقبرة بني شيبان ، فقال لهم الأحنف
ابن قيس : لا تمجلوا حتى يحضر سيّدكم ، قالوا : ومن سيّدنا غيرك ؟ قال : حارثة
ابن بدر . قال : وقدم حارثة من الأهواز بمال كثير ، فبلّغه ما قال الأحنف ، فقال :
أغرّمتها والله ابنُ الزافرية ، ثم أنام كأنه لم يعلم فيم اجتمعوا ، فقال : فيم اجتمعتم ؟
فأخبروه ، فقال : لا تَلَقُوا فيهما أحداً فهما علىّ ، ثم أتى منزله فقال :

خَلَّتِ الدِّيارُ فُسُدْتُ غَيْرَ مُسَوِّدٍ ومن البلاءِ تفرّدى بالسودِ
اجتمع أصحاب الحديث على سفيان بن عيينة فازدحموا ، فقال : لعمري ألا أحدثكم
شعرا ، فقام إليه شاب من أهل العراق فقال : يا أبا محمد إن جانبك وحسن قولك
وتأسن بصالحى سلفك ، وأجملُ مجالسة جلسائك ، فقد أصبحت بقية الناس ، وأمينا
لله ولرسوله على العلم ، والله إن الرجل ليريد الحج فتعظمه مشقة حتى يكاد أن
يقيم ، فيكون لقاءه إليك وطمه فيك من أكثر ما يحركه عليه . قال : نخضع
سفيان وتواضع ، ورقّ وبكى ، ثم تمثل بقول حارثة بن بدر :

خَلَّتِ الدِّيارُ فُسُدْتُ غَيْرَ مُسَوِّدٍ ومن البلاءِ تفرّدى بالسودِ
ثم حدثهم بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا .

اجتاز حارثة بن بدر بمجلس من مجالس قومه ومعه كعب مولا ، فكلما اجتاز
بقوم قالوا له : مرحبا بسيّدنا . وقاموا له ، فقال كعب : ما سمعت كلاما قط أقرّ لعمري
ولا أكفّ لسمى من هذا الكلام . فقال حارثة : لكني لم اسمع كلاما قط أكره
لنفسى وأبغض مما سمعته اليوم ، قال : ولم ؟ قال : ويحك يا كعب ، إنما سودّنى قومي
حين ذهب خيارهم وأمانتهم ، فاحفظ هنى هذا البيت :

خَلَّتِ الدِّيارُ فُسُدْتُ غَيْرَ مُسَوِّدٍ ومن البلاءِ تفرّدى بالسودِ .
كان حارثة بن بدر النداني يسمى في الأرض فسادا فهذّر أمير المؤمنين على بن

أبى طالب رضى الله عنه دمه ، فهرب واستجار بالناس فلم يجره أحد ، فقيل له : عليك بسعيد بن قيس الهمداني فلعله أن يُبِيرَكَ . فطلب سعيداً فلم يجده ، فجلس في طلبه حتى جاء ، وأخذ بلجامه وقال : أجرني أبارك الله . قال : ويحك مالك ؟ قال : هدر أمير المؤمنين دى . قال : وفيه ؟ قال : سميت في الأرض فساداً . قال : ومن أنت ؟ قال : حارثة بن بدر التّداني . قال : أرقم . وانصرف إلى أمير المؤمنين^(١) فوجده قائماً على المنبر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ؟ قال : أن يُقْتَلُوا أو يُصَلَّبُوا أو تُقَطَّعَ أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنْفَوْا من الأرض . قال : يا أمير المؤمنين إلا من تاب . قال : إلا من تاب قال : فهذا حارثة بن بدر قد جاء تائباً وقد أجرته . قال : أنت رجل من المسلمين وقد أجرناه . ثم قال أمير المؤمنين وهو على المنبر : أيها الناس ، إني كنت قد هدرتُ دم حارثة بن بدر ، فن لقيه فلا يَمْرُضُ له . فانصرف إليه سعيد فرفقه وكساه وحمّله وأجاره^(٢) . فقال فيه حارثة بن بدر :

أساغ في الحلق ريقاً كنتُ أجزّضُهُ وأظهر الله سِرِّي بمَدِ كِتْمَانِي^(٣)
إني تداركني عَفْ شَمَائِلُهُ أبأؤه حين تنمى خيرُ قَحْطَانِ
تغميه قيسٌ وزيدٌ والفَتْى مَرِثُ^(٤) وذو جبارٍ من أولادِ عُمَانِ
وذو رُعَيْنٍ وسيفٌ ابنُ ذِي يَزَنٍ وعَلِمَ قَبْلَهُمُ أَعْنَى ابْنِ قِيْقَانِ^(٥)

(١) في أصول المختار : « إلى أمير المؤمنين به » .

(٢) في الأغاني : وأجاره بجائزة سنية .

(٣) جرض بريقه يجرس : ابتلعه على هم وحزن .

(٤) في بعض مخطوطات الأغاني : والفَتْى كَرَب .

(٥) في بعض مخطوطات الأغاني : أعنى ابن بُهَان .

الله يجرى سعيده الخير نافله
أعني سعيد بن قيس قرم همدان
أنقذني من شفا غبراء مظلله
لولا شفاعته ألبست أ كفاني
قالت تميم بن مره لا نخاطبه
وقد أبت ذلكم قيس بن عيلان
فلما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه سعيد بن قيس إلى نهر البصرة في ألف
راكب ، وحله وجهزه ، فقال حارثة يمدحه :

لقد سررت غداة النهر إذ برزت
أشياخ همدان فيها المجد والخير
يتودهم ملك جرل مواهبه
وإرى الزنادلدي الخيرات مذكور
أعني سعيد بن قيس خير ذي برن
نجل الكرام لدى السلطان محبوب
ما إن يلين إذا ما سيم منقصة
لكن له غضب فيها وتنكير
أعز أبلج يستسقى النمام به
جنابه الدهر يضحى وهو تمطور

لني أنس بن زعيم الدثلي حارثة بن بدر ، فقال له : يا حارثة ، قد قلت لك أيانا
فاسمها ، قال : هاتما ، فأنشده :

فحتى متى أنت ابن بدر محيم
وحبك يحسون الحليب من الكرم
فإن كان شرا فآله عنه فإنه
لنبرك من أهل التخط والظلم^(١)
وإن كان غنما يا ابن بدر فقد أرى
سلمت من الإكثار من ذلك القم^(٢)
وإن كنت ذا علم بما في احتسابها
فما لك تأتي ما يشينك عن علم^(٣)
تق الله واقبل يا ابن بدر نصيحتي
ودعها لمن أمسى بميدا من الحرم
فلو أنها كانت شرابا محلا
وقلت لي أتركتها لأوضعت في الحلم^(٤)

(١) التخط : التكبر .

(٢) في بعض مخطوطات الأغاني : ستمت .

(٣) في بعض مخطوطات الأغاني : بها واحتسابها .

(٤) في الأغاني : في الحكم وأوض : أسرع .

وَأَيُّنْتَ إِنْ الْحِلْمَ مَا قَلْتَ فَأَتَفَعُ
فَرَبِّ نَصِيحَ الْقَوْلِ رُدَّ اتِّصَاحُهُ
فَقَالَ حَارِثَةُ : لَقَدْ قَلْتَ فَأَحْسَنْتَ ، وَنَصَحْتَ فَبَالَتْ ، مُجْزِيتُ الْخَيْرِ . فَلَمَّا رَجَعَ
حَارِثَةُ إِلَى مَنْزِلِهِ أَنَاهُ نَدْمَاؤُهُ فَقَالُوا : مَا أَرَادَ إِلَّا تَبْكِيَّتَكَ . فَقَالَ : وَأَنَا وَاللَّهِ أَرَى
ذَلِكَ . ثُمَّ قَالَ حَارِثَةُ لِأَنْسِ بْنِ زَيْمٍ :

تَمِيبُ عَلَى الرَّاحِ مَنْ لَوْ يَذُوقُهَا
فَمِيبَا أَوْ أَمْدَحُهَا فَإِنَّا نَحُبُّهَا
هَلَامُ تَنْمُ الرَّاحِ وَالرَّاحُ كَأَسْمَا
فَلَمَنِي فَإِنَّ اللُّومَ فِيهَا يَزِيدُنِي
وَبِاللَّهِ أَوْلَى صَادِقًا لَوْ شَرِيفُهَا
فَإِنْ شَتَّ جَرَّبَهَا وَذُقَهَا عَقِيقَةً
فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَخْلَعْ عِذَارَكَ وَالْحَيَا
وَقَبْلَكَ مَا قَدْ لَامَنِي فِي اسْطِطْبَاحِهَا
وَحَاسِبَتُهَا قَوْمًا كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ
فَدَعَنِي مِنَ التَّمَذَالِ فِيهَا فَإِنِّي
أَجُودُ وَأُعْطِي الْمُنْفِسَاتِ تَبَرُّهَا^(١)
وَأَشْرِبُهَا حَتَّى أُخَرُّ مُجَدَّلًا
وَلَوْلَا التَّهْنُ لَمْ أَصْبَحْ مُعَاشَتْ سَاعَةً

لُجْنٌ بِهَا حَتَّى يُنَمِّبَ فِي الْقَبْرِ
صُرَاحًا كَمَا أَعْرَاكَ رَبُّكَ بِالْهَجْرِ
تُرِيحُ الْفَتَى مِنْ هَمِّهِ آخِرَ الدَّهْرِ
فَرَامًا بِهَا إِنْ اللَّامَةُ قَدْ تُفْرِى
لَأَفْصَرْتَ عَنْ عَذْلِي وَمِلْتَ إِلَى عَذْرَى
لَهَا أَرْجٌ كَأَلْسِكَ تَحْمُودَةَ الْخُبْرِ
فَقُلْ لِي لِمَاكَ اللَّهُ مِنْ هَاجِرٍ غَمِيرٍ^(٢)
وَإِدْمَامَهَا بَدْرٌ فَأَعْرَضْتَ عَنْ بَدْرِ^(٣)
دَنَانِيرٍ فِي الْأَوَاهِ وَالزَّمَنِ النُّكْرِ^(٤)
خُلِقْتَ أَيْمًا لَا أَلِينَ عَلَى الْقَسْرِ
وَأَغْلَى بِهَا عِنْدَ الْيَسَادَةِ وَالْمُسْرِ
مَعْتَقَةً صِهْبَاءَ طَيِّبَةَ النَّشْرِ
وَلَكِنِّي نَهَمْتُ قَسَى عَنِ الْهَجْرِ

(١) فِي الْأَغَانِي : « عِذَارَكَ فَلَئِنْ » وَالْقَبْرِ : مَنْ لَمْ يَجِرِبِ الْأُمُورَ . .

(٢) فِي بَعْضِ مَخْطُوطَاتِ الْأَغَانِي : وَفِي شَرِّهَا بَدْرُ .

(٣) الْأَوَاهِ : الشَّعْدَةُ وَالْمُحَنَّةُ .

(٤) أَنْسِ بْنِ زَيْمٍ : كَانَ قَبِيصًا .

وقصّرت عنها بمد طول الحاجة
وحقّ لثلى أن يكفّ من الخلفا^(١) ويُقصّر عن بعض النواية والسكّر

كان أنس صديقا لمبيد الله بن زياد ، فرأى منه جفوة وأثرة لحارثة بن بدر ،
فكان يكتب إلى عبيد الله بن زياد بالشعر ، ويأمر عبيد الله بن زياد حارثة بن بدر
بأن يجيبه فجرت بينهما مكاتبات ، ومن جملتها قال أنس بن زُئيم لمبيد الله بن زياد :

سَلْ أَمِيرِي مَا الَّذِي غَيَّرَهُ عَنْ وَصَالِي الْيَوْمِ حَتَّى وَزَعَهُ^(٢)
لَا تُهِنِّي بِمَدِّ إِكْرَامِكَ لِي فَشَدِيدُ هَادَةِ مُنْتَرَعِهِ
لَا يَكُنْ وَعْدُكَ بَرَقًا خُلْبًا إِنَّ خَيْرَ الْبَرَقِ مَا الْفَيْتُ مَمَهُ

استعمل زياد حارثة بن بدر على سَابُور^(٣) فَنَاب عنه أشهرًا ، ثم قدم فدخل
عليه ، فقال له : ما جاء بك ولم أكتب إليك ؟ قال : استنظفتُ خراجك وجئتُك
به ، وليس لي بها عمل ، فما مقامى ؟ قال : أو بذلك أمرتك ! ارجع فارُدْ عليهم
الخراج ، وخذه منهم نجومًا ، حتى تنقضى السنة وقد فرغت من خراجك ، فإنه أرفق
بك وبالرعية ، واحذر أن تحملهم على بيع غَلَّتْهم ولا مواشيهم ولا التميّز عليها^(٤)
فرجع فرد عليهم الخراج ، وأقام يستخرجه منهم نجومًا حتى مضت السنة .

وقال الأحنف بن قيس : ما غبت عن أمر قط فعضره حارثة بن بدر إلا وثقت
بإحكامه إياه وجودة عقده له . وكان حارثة بن بدر من الدهاة . وكان يصيب من
الشراب وكان حَظِيًّا عند زياد ، فعوتب زياد على رأيه فيه فقال : أتولموني على

(١) في بعض مخطوطات الأغاني . والتكر .

(٢) في الآتي : حتى ودعه .

(٣) في بعض المخطوطات : نيسابور .

(٤) في بعض مخطوطات الأغاني : ولا التميّز عليهم .

حارثة؟ فوالله ما تنقل في مجلسي قط ولا حكّ ركابيه ركابي، ولا سار معي في علاوة الريح^(١) فنبرّ على^(٢)، ولا دعوته قط فاحتجت إلى تجشّم الالتفات إليه حتى يوازيني، ولا شاورته في شيء إلا نصحتني، ولا سألته عن شيء من أمور العرب وأخبارها إلا وجدته به بصيرا.

اجتمع حارثة بن بدر والأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد مع غيرهم، فقال عبيد الله: يا حارثة، أي الشراب أطيب؟ قال: بُرّة طيسارية، بأقطة غنوية^(٣)، بسمنة عربية، بسكرة سوسية. فحبس عبيد الله ثم قال للأحنف: يا أبا بحر، أي الشراب أطيب؟ قال: الخمر، فقال له عبيد الله: وما يدريك ولست من أهلها؟ قال: رأيت من يستحلّها لا يمدّوها إلى غيرها، ومن يحرمها يتأوّل فيها حتى يشربها.

ذُكر حلم الأحنف بن قيس عند عبيد الله بن زياد وعنده حارثة بن بدر فنفس عليه حارثة وقال: أيها الأمير، وما حِلْم من لا قدرة له ولا يملك لمدوّه ضرّاً ولا لصديقه نقما؟ وإنما يتكلف الدخول فيها لا يمينه. فبلغ ذلك الأحنف فقال: أهونُ بحارثة وبكلايه، وما حارثة وما مقداره؟ أليس هو الذي يقول فبح الله رأيه:

إذا ما شربتُ الراحُ أبدتُ مكارى وجُدتُ بما حازت يدَاي من الوفرِ
وإن سئى جَهلاً نديمى لم أزدُ على اشرب سَقاك اللهُ طيبةَ النَشْرِ
أرى ذاك حقاً واجباً لنادى إذا قال لى غيرَ الجليل من السُكْرِ

لما أشرف حارثة بن بدر على الموت دخل عليه قومه فقالوا: هل لك من حاجة أو شيء تريد؟ قال: نعم، اكسروا رجل كعب مولاي لثلاث يخرج^(٤) من عندي فإنه يؤنسني، ففعلوا ذلك وأنشأ يقول:

(١) علاوة الريح الجهة التي تهب منها.

(٢) في الأغاني عذبة.

(٣) في بعض مخطوطات الأغاني: لثلاث يخرج.

يا كعبُ صبراً ولا تجزعْ على أحدٍ يا كعبُ لم يبقَ منّا غيرُ أجسادِ
يا كعبُ ماراح من قومٍ ولا ابتكروا إلّا وللـموتِ في آثارهم حادِ
يا كعبُ ما طلعتْ شمس ولا غربتْ إلّا تُقربُ آجالاً ليمادِ
يا كعبُ كم من حمى قومٍ زلت به على صواعقٍ من زجرٍ وإيمادِ
فإن لقيتَ بوايَ حيّةً ذكراً فاذهبْ ودعني أمارِسَ حيّةَ الوادِ

قال زياد يوماً لحارثة : من أخطب ؟ أنا أو أنت . فقال : الأمير أخطب مني
إذا توعد ووعد ، وأعطى ومنع ، وأبرق وأرعد ، وأنا أخطب في الوفادة والثناء
والتخير ^(١) وأنا أكذب إذا خطبت فأحشو كلامي زيادات مليحة شهية ، والأمير
يقصد إلى الحق وميزان العدل فلا يزيد فيه شميرة ولا ينقص مثلها . فقال له زياد :
قاتلك الله ، فلقد أجدت ملخص ^(٢) صفتك وصفتي من حيث أعطيت نفسك الخطابة
كلها وأرضيتني وتخلصت . ثم التفت إلى أولاده فقال : هذا لعمركم البيان الصريح .
دخل حارثة بن بدر على عبيد الله بن زياد وبوجه أثر ، فقال : ما هذا يا حار ؟
قال : ركبت الأشقر فصرعني . فقال : لو ركبت الأثهب ^(٣) لكان أوطلاً وأسلم .

(١) في بعض مخطوطات الأغاني : والتخير

(٢) في بعض مخطوطات الأغاني : تخليس

(٣) الأثهب : يراد به الماء أو اللبن .

الحسين بن عبد الله^(١)

هو الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كنيته أبو عبد الله ، من قتيان بني هاشم وظرقاتهم وشعرائهم . روى الحديث . وروى عنه . فما رواه أنه حدث عن هكرمة عن ابن عباس قال : مرّ النبي صلى الله عليه وسلم على حسان بن ثابت وهو في ظلّ قارع^(٢) وحوله أصحابه ، وجاريتة شيرين تغنيه بجزرها :

هل علىّ ويمكأ إن لهوت من حرج

فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال : لا حرج إن شاء الله تعالى :

وله شعر صالح ، وزوجته عابدة أخت عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن العاص ، وكان يشبب بها ، وكان زواجه لها سببا لردّ أموال بني عمرو بن العاص عليهم في دولة بني العباس .

وكانت أم عابدة عمّة الحسين بن عبد الله ، أمهما عمرة بن عبيد الله بن العباس تزوجها شعيب فولدت له محمدا وشُمييا ابنيّ شعيب ، وعابدة ، وكان يقال لها عابدة الحسن وعابدة الحساء وبسببها رُدّت على ابن عمرو بن العاص أموالهم في دولة بني العباس^(٣) وكان هو قد خطب عابدة ، وخطبها بكّار بن عبد الملك ، فامتنعت

(١) الأغانى : دار الكتب ١٢ / ٦٦ وانظر ٦٥ ودار الثقافة ١٢ / ٦٠ وانظر ٥٩ وبولاق ١٠ / ١٦٨ والساسى ١٠ / ١٦٠ والتجريد ١٣٦٤ .

(٢) قارع : حصن كان لحسان .

(٣) هذا النص بهامش مخطوط كوبرى .

على بكّار وتزوجت الحسين ، فقال له بكار : كيف اختارتك^(١) عابدة مع فقرك ؟
فقال له الحسين : أتميّرنا بالفقر وقد نَحَلْنَا اللهُ عز وجل الكَوْرَ ؟
وكانت أم الحسين أم ولد .

وكان مالك بن أبي السّمح الطائي صديقاً للحسين بن عبد الله وندبما له ويغنى
في أشعاره ، وله يقول الحسين :

لا عيش إلّا بمالك بن أبي السّم	سح فلا تَلَحَّين ولا تَلَم
أيض كالسيف أو كما يَلَمع الـ	سبارق في حِندس الظلّم
يُصيب من لَذّة الكريم ولا	يهتك حقّ الإسلام والحرم
يا ربّ ليل مَضَى كحاشية الـ	بُرْد ويوم كذاك لم يَدُم
لهوت فيه ومالك بن أبي السّم	سح الكريم الأخلاق والشيم
من ليس يَمُصّيك إن رَسَدَتْ ولا	يَجهل آى الترخيص في اللّم

فقال له مالك : ولا إن غَوَيْتَ أيضاً والله بأبى أنت وأمى أعصيك . وغنى
مالك بهذه الأبيات بمحضرة الوليد فقال : أخطأ حسين في صفتك ، إنما كان ينبغي
أن يقول :

أحول كالقِرْد أو كما يخرج السـ ارق في حالك من الظلّم

(١) في الأغاني : تزوجك .

حرمة أبو زُيد الطائي^(١)

هو حرمة بن المنذر بن معدى كرب بن حنظلة بن النعمان بن حجة بن سمعة ابن القوث بن الحارث^(٢) بن ربيعة بن مالك بن سكر بن منى بن عمرو بن القوث ابن طلي بن أرد بن زيد بن يشجب بن [عريب بن زيد بن]^(٣) كهلان بن يعرب بن قحطان، كان نصرا نيا مات على دينه، غضرم أدرك الجاهلية والإسلام، وألحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين وهم المُجبر السَّلولي وذَوُّه^(٤). [وكان أبو زيد أهور أفوه آدم طويلا]^(٥) كان طوله ثلاثة عشر شبرا [وكان من أحسن الناس وأجملهم]^(٦). وكان من زُوار الملوك وخاصة ملوك الفرس^(٧)، وكان عالما بسيرتهم [وهو أحد المعرّين، ذكر أنه عمّر مائة وخمسين سنة]^(٨) وكان عثمان بن عفان يُقرّبُه ويدنى جلسته [فغض ذات يوم وعنده المهاجرون والأنصار]^(٩)، فذاكروا مآثر العرب وأشعارها، فالتفت عثمان إلى أبي زُيد فقال: يا أخا تَيْع السِّمْح أَسَمِعْنَا بِمَعْز قولك في الأسد فقد أنبئنا أنك تجميده. فأنشده قصيدته التي أولها:

من مُبلَغ قومنا النّائين إذ شَحَطُوا أن الفؤاد إليهم شَيْقُ وَلِعُ

-
- (١) الأغاني: دار الكتب ١٢٧/١٢ وانظر ١٢٥ ودار الثقافة ١١٨/١٢ وانظر ١١٦ وبولاق ١١/ ٢٤ والسامى ١١/ ٢٣ والتجريد ١٣٨٣.
- (٢) في الأغاني: بن سمعة بن الحارث.
- (٣) زيادة من الأغاني.
- (٤) دووه هم عبداقة بن هام السلولي ونافع بن قبيط الأسدي.
- (٥) ما بين مستوفين ليس في الأغاني
- (٦) في الأغاني: السجم.
- (٧) ما بين مستوفين زاده محققو الأغاني عن ابن سلام وهو موجود في مختار الأغاني.

ووصف الأسد فقال له عثمان: بالله تقتأ تذكر الأسد ما حيت ، والله إني لأحسبك
جباناً هراً^(١) قال : كلا يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيت منه منظراً ، وشهدت منه
مشهداً ، لا يبرح ، ذكره يتردد في قلبي ، وممدور أنا غير ملوم ، فقال له عثمان :
وأنتى كان ذلك ؟ قال : خرجت في صَيَّابَةٍ^(٢) أشرافٍ من أبناء العرب ،
ذوى هيئة وشارة حسنة ، ترعى بنا المهارى ونحن نريد الحارث بن أبى شعير
الفسائى ملك الشام فاخروط^(٣) بنا السير فى حَمَارَةِ القَيْظِ ، حتى إذا عصبت
الأنفواه^(٤) ، وذبلت الشفاه ، وشالت المياه^(٥) ، وأذكت الحوزاء المُرَّاءَ^(٦)
وذاب الصَّيْهَدُ^(٧) وصَرَ الجُنْدَبُ وأضاف المصفور الضب فى وكره^(٨) ، وجاوره
فى جُحْرِهِ ، قال قائل : أيها الركب غوروا بنا فى ضَوْحِ^(٩) هذا الوادى .
وإذا وادٍ قد بَدَرَ^(١٠) لنا كثير الدَّغَلِ^(١١) دائم النُّلَلِ^(١٢) ، شَجَرَاوُهُ مُثْنَةٌ ،
وأطيَّارُهُ مُرْنَةٌ ، فخططنا رحلنا بأصول دوحات كَنَهَبَلَاتِ^(١٣) فأصبنا من فضلات

(١) فى بعض الأغاني « هدانا » والهدان الأحق الثقيل .

(٢) الصيابة : الأخيار والسادة .

(٣) اخروط : طال .

(٤) عصبت الأنفواه : جفت .

(٥) شالت : قلت .

(٦) المرءاء : الأرض الصلبة .

(٧) الصيهد : السراب الجارى وشدة الحر . وفى المختار : المصح « بدون قطط » .

(٨) كلة فى وكره ليست فى الأغاني .

(٩) الضوح : المنطف .

(١٠) فى الأغاني : بنا .

(١١) الدغل : الفجر المتلف .

(١٢) النلل : الماء الذى يجرى بين الأشجار .

(١٣) الكنهبلات : الأشجار المطام .

الزاد ، وأتبعناها بالماء البارد ، فَإِنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يَوْمِنَا وَمُمَاطَلَّتَهُ إِذْ صَرَ أَقْصَى
الْخَيْلِ بِأَذْنِيهِ ، وَغَصَّ الْأَرْضَ يَسْدِيهِ ، فَوَاللَّهِ مَا لَبِثَ أَنْ جَالَ ثُمَّ سَحَحَمَ
فَبَالَ ، ثُمَّ فَعَلَ فَعَلَهُ الْفَرَسُ الَّذِي يَلِيهِ وَاحِدًا فَوَاحِدًا ، فَتَضَمُّضَتِ الْخَيْلُ
وَتَكَمَّكَمَتِ الْإِبِلُ ^(١) وَتَقَهَّقَتِ الْبَنَالُ ، فَمِنْ نَافِرٍ بِشِكَالِهِ ، وَنَاهَضَ بِقَالِهِ ،
فَعَلِمْنَا أَنْ قَدْ أُتِينَا وَأَنَّهُ السَّمْعُ ، فَفَزَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سَيْفِهِ فَاسْتَلَّهُ
مِنْ جُرْبَانِهِ ^(٢) ثُمَّ وَقَفْنَا رَزْدَقًا ^(٣) ، فَأَقْبَلَ يَتَنَظَّلُ مِنْ بَغْيِهِ ^(٤) كَأَنَّهُ مَجْنُوبٌ ^(٥)
أَوْ فِي هِجَارٍ ^(٦) ، لَصَدْرِهِ أَطْيَطُ وَلِبْلَابِيهِ غَطِيظُ ^(٧) ، وَلَطَرَفِهِ وَمِيضُ ، وَلَأَسَاغُهُ
تَقِيضُ ^(٨) ، كَأَنَّمَا يَخْطِيطُ هَشِيماً ، أَوْ يَطَأُ صَرِيحاً ^(٩) . وَإِذَا هَامَةٌ كَالْحَيَّةِ ،
وَحَدَّةٌ كَالسِّنِّ ، وَهَيْئَانِ سَجَرَاوَانٍ ^(١٠) ، كَأَنَّهُمَا سِرَاجَانِ وَقَصْرَةٌ رَيْبَةٌ ^(١١) ، وَلِهَزِيمَةٌ
رَهْلَةٌ ^(١٢) ، وَكَتَدٌ مُعْبِطٌ ^(١٣) ، وَزَوْرٌ مُفْرِطٌ ، وَسَاعِدٌ مَجْدُولٌ ، وَعَصَدٌ مُنْقُولٌ ،

(١) تكمكت : تأخرت إلى الورا .

(٢) الجربان : الفخذ .

(٣) الرزدق : الصف من الناس . وفي المختار : زردقاً .

(٤) الكلمة غير متقوطة في المختار . وفي الأغاني : « من نمت » وذكر أنها كذا في الأصول

(٥) المجنوب . المصاب بنات الجنب .

(٦) الهيجار : حبل يلتد في رسع رجل البعير .

(٧) في الأغاني : نحيط .

(٨) التقيض : الصوت .

(٩) الصريم : الحب المقطوع من الزرع .

(١٠) المين السجاء : التي يخالط بياضها حمرة .

(١١) القصرة : أصل المنق . والريبة : كل لحة غليظة .

(١٢) الهزيمة : عظم ناثي أو مضقة تحت الأذن . ورهلة : متفتحة .

(١٣) الكتد : ما بين الكاهل إلى الظهر . والنبط : المرتفع .

وكفَّ شَنْتُهُ البرائن^(١) ، إلى غَالِبِ كَالْحَاجِن ، ففُضِرَ بِذَنْبِهِ فَأَرْهَجَ^(٢) ،
وكشَّرَ فَأَفْرَجَ عن أَيْنَابٍ كَالْمَأُول ، وفَمَّ أَشْدَقَ كَالنَّارِ الْأَخْرَقَ . ثم تَمَطَّى
فَأَسْرَعَ بِيَدَيْهِ ، وَحَفَزَ وَرَكِيئَهُ بِرَجْلَيْهِ حَتَّى صَارَ ظِلُّهُ مِثْلِيهِ ، ثُمَّ أَقْبَى فَاغْشَعَرَّ^(٣) ،
وَمِثْلُ فَاكْهَفَرَّ ، ثُمَّ تَجَهَّمَ فَازْبَارَ^(٤) ، فَلَا وَدُوَ يَبْتَهُ^(٥) فِي السَّمَاءِ مَا اتَّقَيْنَاهُ
إِلَّا بَاخَ لَنَا مِنْ فَرَازَةٍ ، كَانَ ضَخَمُ الْجَزَارَةِ^(٦) . فَوْقَصَهُ^(٧) ثُمَّ نَفَضَهُ نَفْضَةً
قَضَقَضَ مَتْنِيهِ^(٨) وَجَمَلَ بَلِغَ فِي دَمِهِ ، فَذَمَرْتُ^(٩) أَحْبَابِي ، فَبَعْدَ لَايٍ
مَا اسْتَقْدَمُوا فَهَجَّجَتْهُ^(١٠) ، فَكَّرَ مُغْشِعِرًا يَزَارُ^(١١) كَانَ بِهِ شَيْهَمًا^(١٢) حَوْرِيًّا ،
فَاخْتَلَجَ رَجُلًا أَجْمَرَ ذَا حَوَايَا ، فَنَفَضَهُ نَفْضَةً ، فَتَرَايَلَتْ مَفَاصِلُهُ ثُمَّ نَهَمَ فَفَرَقَرُ^(١٣)
ثُمَّ زَفَرُوْا بِرَبِّ^(١٤) ، ثُمَّ زَارَ وَجَرَ جَرَ^(١٥) ، ثُمَّ لَحَظَ وَكَّرَرَ^(١٦) ، فَوَاللَّهِ لَخَلَّتْ الْبَرْقُ
يَطَايِرَ مِنْ تَحْتِ جُفُونِهِ مِنْ عَيْنِيهِ وَشِمَالِهِ ، فَأَرَعِدَتْ الْأَيْدِي وَاصْطَلَكَتِ الْأَرْجُلُ ،

-
- (١) شَنْتُ البرائن : خشنها .
(٢) أَرْهَجَ : أثار التَّوَارُ . وفي الْأَغَانِي : فُضِرَ بِدَمِهِ فَأَرْهَجَ .
(٣) اَزْبَارَ : تَفَشَّ حَتَّى ظَهَرَتْ أَصُولُ وَرِشْمِهِ .
(٤) ذَوِيئَةً : الْقِيَّ يَتِي .
(٥) الْجَزَارَةُ : الرَّأْسُ وَالْيَدَانِ وَالرَّجْلَانِ .
(٦) وَقَصَهُ : دَقَّ عُنُقَهُ .
(٧) قَضَقَضَ مَتْنِيهِ : كَسَرَ مَا يَكْتَنِفُ صُلْبَهُ عَنْ عَيْنٍ وَشِمَالٍ مِنْ عَصَبٍ وَلَحْمٍ .
(٨) ذَمَرَهُ : حَضَهُ . وفي الْخَطِّ : ذَمَرْتُ لِأَصْحَابِي .
(٩) هَجَّجَهُ : صَاحَ بِهِ وَزَجَرَهُ .
(١٠) فِي الْأَغَانِي : مَقْشَعِرًا يَزِيرُهُ .
(١١) الشَّيْهَمُ : ذِكْرُ الْفَنَافِذِ .
(١٢) نَهَمَ : أَخْرَجَ صَوْتًا كَالْأَيْنِ . وَفَرَقَرُ : رَدَدَ الصَّوْتِ . وفي الْأَغَانِي : فَرَفَرُ .
(١٣) يَرْبِرُ : صَاحَ .
(١٤) جَرَ جَرَ : رَدَدَ صَوْتَهُ فِي حَنْجِرَتِهِ .
(١٥) كَلَّةٌ « وَكَّرَرَ » لَيْسَتْ فِي الْأَغَانِي .

وَأُطِّتَ^(١) الأضلاع ، وارتجت الأسماع ، وشخصت العيون ، وتحققت النون ، ولحقت الظهور بالبطون وانحزلت النون ، وساءت الظنون ، فقال عثمان : اسكت قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين من لقاء عدوهم .

ولأبي زيد^(٢) في وصفه الأسد :

هبوسٌ شَمْسٌ مُصْلَخِدٌ مَكِيدٌ^(٣) جَسورٌ على الأهوال للقرن قَاهِرٌ
بِرَأْيِهِ شَتْنٌ وَعَيْنَاهُ فِي الدُّجَى كَجَمْرِ المضا في وجهه الشرُّ ظاهرٌ
يُدِلُّ بِأَنْيَابِ حَدَائِدٍ كَأَنَّهُمَا إِذَا قَلَّصَ الْأَشْدَاقُ عَمَّا خَنَاجِرٌ

قال حمزة بن قايوس : لقيت أبا زبيد الطائي فقلت له : يا أبا زبيد ، هل رأيت النعمان بن المنذر ؟ فقال : إي والله لقد لقيته وهو جالس فجالسته ، فقلت : صفه . فقال : كان أزرق أحر أبرش قصيرا . فقلت له : بالله أخبرني أيسرُّك أنه سمع مقاتلك هذه وأن لك حُمرَ النِّم ؟ قال : لا والله ولا سودها . ثم قال : رأيت حمير في مُلكها وغسان في مُلكها ، فما رأيت أحدا قط أشدَّ عِرامةً منه . وكان ظهر الكوفة يُنبئُ الشقائق مُخِمِّي له ذلك المكان ، فقيل له شقائق النعمان . فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأنَّ على رؤوسنا الطير . وكأنه بَازٌ ، فقام رجلٌ من الناس فقال له : أعطني فإني محتاج فتأمله طويلا ، ثم أَمَرَ به فأدنى حتى قعد بين يديه ، ثم دعا بكِنانة . فاستخرج منها مَشَاقِصَ^(٤) فجعل يَجَأُ بها^(٥) في وجهه حتى سمعنا قرع المطام ،

(١) أُلِيت : صوتت .

(٢) هذا النسخة الشعرى لا يوجد في الأغاني في ترجمة أبي زيد .

(٣) للمصلخ : المتعصب قائما . والشمس : الصمب الخلق .

(٤) في الأغاني : مزاته .

(٥) للمخاض نصال عريضة أو سهام فيها نصال عريضة .

(٦) يجأ : يضرب .

وَحُضِبَ صَدْرُهُ وَلَحِيتُهُ بِالْدمِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَتَحِيَ وَمَكَّنْتَنَا مَلِيًّا . ثُمَّ نَهَضَ آخِرَ فَعَالٍ :
 أَيْتَ اللّٰمَنَ أَعْطَيْتَنِي فَتَاتَمَلَهُ ثُمَّ قَالَ : أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرْهَمٍ ، فَأَخَذَهَا وَانْطَلَقَ ثُمَّ التَفَتَ
 عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفَهُ وَأَمَامَهُ فَقَالَ : مَا قَوْلُكُمْ فِي رَجُلٍ أَزْرَقَ أَحْمَرُ يُدْبِحُ عَلَى هَذِهِ
 الْأَكْمَةِ تَرُونَ دَمَهُ سَائِلًا حَتَّى يَبْجُرِي فِي هَذَا الْوَادِي ؟ فَقُلْنَا لَهُ : أَيْتَ اللّٰمَنَ ، أَنْتَ
 أَعْلَمُ بِرَأْيِكَ . فَدَعَا بِرَجُلٍ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ فَأَمَرَ بِهِ فَدُبِحَ ثُمَّ قَالَ : أَلَا تَسْأَلُونِي عِمَا صَنَعْتُ ؟
 فَقُلْنَا : وَمَنْ يَسْأَلُكَ - أَيْتَ اللّٰمَنَ - عَنْ أَمْرِكَ وَمَا تَصْنَعُ ؟ فَقَالَ : أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنِّي
 خَرَجْتُ مَعَ ابْنِ تَصْصِيدٍ ، فَفَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ بِفَنَاءِ دَارِهِ ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عُسٌّ مِنْ شَرَابٍ
 أَوْ لَبَنٍ فَتَنَاوَلْتُهُ لِأَشْرَبَ مِنْهُ ، فَتَنَارَ إِلَى فَارَاقِ الْإِنَاءِ فَلَأُ وَجْهِي وَصَدْرِي . فَأَعْطَيْتُ
 اللَّهَ عَهْدًا لَّئِنْ أَمَكَّنَنِي مِنْهُ يَوْمًا لِأَخْضِبَنَّ لَحِيَّتَهُ وَصَدْرَهُ مِنْ دَمٍ وَجْهَهُ ، وَأَمَّا الْآخَرُ
 فَكَانَتْ لَهُ عِنْدِي يَدٌ فَكَافَأْتُهُ عَلَيْهَا ، وَأَمَّا الَّذِي ذَبَحْتُهُ فَإِنَّ عَيْنَيَّ بِالْشَّامِ كَتَبَ إِلَيَّ
 أَنَّ جَبَلَةَ بْنِ الْأَيْهَمِ بَعَثَ إِلَيَّ رَجُلًا مِنْ رِصْفَتِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ لِيُقَاتِلَنِي ، فَطَلَبْتُهُ أَبَا مَا فَلَمْ
 أَظْفَرْ بِهِ حَتَّى الْيَوْمِ .

وَكَانَ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ دَخَلَهَا مُتَنَكِّرًا ، لِجَمَالِهِ .

فَلَمَّا صَارَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ إِلَى الرَّقَّةِ وَاعْتَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمَعَاوِيَةَ صَارَ أَبُو زُبَيْدٍ
 إِلَيْهِ وَكَانَ يَنَادِمُهُ ، وَكَانَ يُحْمَلُ فِي كُلِّ أَحَدٍ إِلَى الْبَيْمَةِ فَيَحْضُرُ مَعَ النَّصَارَى وَيَشْرَبُ ،
 فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ أَحَدٍ وَالنَّصَارَى حَوْلَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَنَظَرَ ، ثُمَّ رَمَى بِالْكُفَّاسِ
 مِنْ يَدِهِ وَقَالَ :

إِذَا جَمَلَ الْمَرْءَ الَّذِي كَانَ حَازِمًا . يُحْمَلُ بِهِ حَلَّ الْخَوَارِ وَيُحْمَلُ^(١)
 فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ مِنْ يَدِهِ وَتَكْفِينُهُ مَيِّتًا أَعْفُ وَأَجْمَلُ

ومات فدفن هناك على البليخ^(١) فلما حضرت الوليد بن عقبة الوفاة أوصى
أن يُدفن إلى جنب أبي زُبيد .

وقيل إن الوليد بن عقبة بن أبي مَعِيْط لما احتُصِرَ أوصى لأبي زُبيد بما يُصلِحُه
في فِصحِه وأعياده : من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك ، فقال : أهله وبنوه
لأبي زُبيد : قد علمت أنه لا يحِلُّ لنا هذا في ديننا ، وإنما فعله إكراماً لك وتمطيماً
لحَقِّك . فقدَّرَ لنفسك ما شئت وقَوِّم ما أوصى لك به حتى نُعطيك قيمته ، ولا تفضحنا
وتفضح أبانا بهذا ، واحفظه واحفظنا فيه . ففعل أبو زُبيد ذلك وقبله منهم .

(١) البليخ : نهر بالرقعة .

حنظلة بن الشرقى^(١)

هو أبو الطمحان حنظلة بن الشرقى أحد بنى القين بن جسر بن شَيْع الله ،
من قضاة .

كان أبو الطمحان شاعرا فارسا غازيا صملوكا خارباً^(٢) . وهو مخضرم أدرك
الجاهلية والإسلام ، خبث الدين فيهما ، وكان ترباً للزبير بن عبد المطلب في الجاهلية
ونديماً له .

خرج قَيْسَبَةُ بن كلثوم السَّكُونِي - وكان ملكاً - يريد الحج ، وكانت العرب
تُحج في الجاهلية فلا يمرض بمضها لبعض ، فرَّ بنى عامر بن عُقَيْل ، فوثبوا عليه
فأسروه وأخذوا ماله والقوه في القيد^(٣) ، فكث فيه ثلاث سنين ، فشاع باليمن
أن الجن استطارته^(٤) ، فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم إذ قال لها :
أناذنين لي أن آتى هذه الأكمة فأشرف عليها^(٥) فقد أضرَّ بي القرُّ . فقالت له : نعم .
وكانت عليه جبة من حَبْرَةٍ لم يترك عليه غيرها . فتمشى في أغلاله وقبوده حتى صمد
الأكمة ، ثم أقبل فصوب يبصره نحو اليمن ، وتنشته هبرة فبكى ، ثم رفع طرفه
إلى السماء وقال : اللهم ساكن السماء فرِّج لي مما أصبحت فيه . فمرض له راكبٌ

(١) الأغاني : دار الكتب ٣/١٣ وانظر ٣٤٧/١٢ ودار الثقافة ٣/١٣ وانظر ٣٤٧/١٢
وبولات ١١/١٣٠ والسامى ١١/١٢٥ والجريد ١٤٤٢ .

(٢) الخارب : سارق الإبل خاصة .

(٣) في الأغاني : القيد .

(٤) استطارته : ذهبت به .

(٥) في الأغاني : فأشرف عليها .

يسيرُ ، فأشار إليه فأقبل الراكب فقال : ما حاجتك يا هذا ؟ قال : ابن تُريد ؟ قال : أريد المين . قال : ومن أنت ؟ قال : أبو الطمَّحان القيني ، فاستبهر باكيا ، فقال له أبو الطمَّحان : من أنت ، فإني أرى سيما الخير ولباس الملوك ، وأنت بدارٍ ليس فيها ملك ، قال له : أنا قَيْسَةُ بن كلثوم السَّكُونِي ، خرجت عام كذا وكذا أريد الحج ، فوثب عليّ هذا الحيُّ فصنموا بي ما ترى . وكشف عن أغلاله وقبوده . فاستبهر أبو الطمَّحان ، فقال له قَيْسَةُ : هل لك في مائة ناقةٍ حمراء ؟ قال : ما أحوجني إلى ذلك . قال : أرخ ، فأناخ ، ثم قال : أملك سيكين ؟ قال : نعم ، قال : ارفعْ عن رَحْلك . فرفع له عن رحله حتى بدت خشبةٌ مؤخَّره . فكتب عليها قَيْسَةُ بالسُّنْد — وليس يكتب به غير أهل المين — :

بَلِّغَا كِنْدَةَ الملوك جميعاً حيث سارت بالأكرمين الجلالُ
أن ردُّوا المينَ بالغلميسِ عَجَالاً وأصدروا عنه والرواياَ فقالُ
هَزَيْتُ جَارِي وَقالَت عَجيباً إذ رَأَيْتِي فِي جِيْدِي الْأَعْلَالُ
إن تَرَكْنِي هَارِي الْمِظَامِ أَسِيرًا قد بَرَّأَنِي تَصْمَعُ وَاخْتِلَالُ
فلقد أقدم الكتيبةَ بالسيه فِ على السِّلَاحِ وَالسَّرْبَالُ

وكتب تحت الشعر إلى أخيه أن يدفع إلى أبي الطمَّحان مائة ناقة . ثم قال : أقرئ هذا قوماً فإنهم سيمطونك مائة ناقة . فخرج يسيرُ به ناقةً حتى أتى حَضْرَمَوْتَ ، فتشاور بما وُرد له ونسى أَمْرَ قَيْسَةَ ، حتى فرغ من حوائجه ، ثم سمع نسوةً من عَجائزِ الحيِّ يتذاكرُن قَيْسَةَ ويكيبن ، فذكر أمره ، فأتى أخاه الْجَوْنَ بن كلثوم فقال : يا هذا ، إني أدلك على قَيْسَةَ ، وقد جعل لي مائة ناقة . قال : فهي لك ، فكشف عن مؤخرة الرحل . فلما قرأه الْجَوْنَ أمره بمائة ناقة ، ثم أتى قَيْسَ ابن معدى كرب الكنديَّ أبا الأشعث بن قَيْس ، وقال له : يا هذا ، إن أخي

في بني عُقَيْلٍ أَسِيرٌ ، فِسرٌ مَعِي بِقَوْمِكَ ، فقال له : أُنْسِرْ تَحْتَ لَوَائِي حَتَّى أَطْلُبَ ثَأْرَكَ وَأُنْجِدَكَ وَإِلَّا فَأَمُضِ رَاشِداً . فقال له الْجَوْنُ : مَسُّ السَّاءِ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَهْوَنُ عَلَيَّ مِمَّا جِئْتَ بِهِ ^(١) . فَضَجَّتِ السَّكُونُ ثُمَّ فُلِقُوا وَرَجَعُوا وَقَالُوا لَهُ : وَمَا عَلَيْكَ مِنْ هَذَا ؟ هُوَ ابْنُ عَمِّكَ وَيَطْلُبُ ثَأْرَكَ فَأَنْتُمْ لَهُ بِذَلِكَ ، وَسَارَ قَيْسٌ وَسَارَ الْجَوْنُ مَعَهُ تَحْتَ لَوَائِهِ ، وَكَنْدَةُ وَالسَّكُونُ مَعَهُ ، فَهُوَ أَوَّلُ يَوْمٍ اجْتَمَعَتْ فِيهِ السَّكُونُ وَكَنْدَةُ لَقَيْسٌ ، وَهُوَ أَدْرَكَ الشَّرَفَ ، فَسَارَ حَتَّى أَوْقَعَ بَنِي عَامِرِ بْنِ عُقَيْلٍ ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً ، وَاسْتَنْقَذَ قَيْسَةَ . وَقَالَ فِي ذَلِكَ سَلَامَةُ بْنُ صُبَيْحٍ الْكَنْدِيُّ .

لَا تَشْتَمُونَا إِذْ جَلَبْنَا لَكُمْ أَلَيْ كُمَيْتٍ كُلُّهَا سَلْبَةٌ ^(٢)
نَحْنُ أَكَلْنَا الْخَيْلَ فِي أَرْضِكُمْ حَتَّى تَأْرَأَنَا مِنْكُمْ قَيْسَةَ
وَاعْتَرَضَتْ دُونَهُمْ مَذْجِحٌ ^(٣) فَصَادَفُوا مِنْ خَيْلِنَا مَشْغَبَةٌ ^(٤)

وَقِيلَ لِأَبِي الطَّمْحَانِ الْقَيْنِيِّ ، وَكَانَ فَاسِقًا ، مَا أَذْنَى ذُنُوبِكَ ؟ قَالَ : لَيْلَةُ الدَّيْرِ .
قِيلَ لَهُ : وَمَا لَيْلَةُ الدَّيْرِ ؟ قَالَ : تَزَلْتُ بِدَيْرٍ أَنْثِيَةٍ فَأَكَلْتُ طَفِيئَةً ^(٥) بِلَحْمٍ خَنْزِيرٍ ،
وَشَرِبْتُ مِنْ خَمْرِهَا ، وَزَيَّنْتُ بِهَا ، وَسَرَقْتُ كِسَاءَهَا ثُمَّ انْصَرَفْتُ .

جَنَى أَبُو الطَّمْحَانِ جَنَايَةً ، فَطَلَبَهُ السُّلْطَانُ ، فَهَرَبَ مِنْ بِلَادِهِ وَجَأَ إِلَى بَنِي فَرَازَةَ ،
فَنَزَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ مَالِكُ بْنُ سَعْدٍ ، أَحَدُ بَنِي شَمْخٍ ، فَأَكْوَاهُ وَأَجَارَهُ ،
وَضَرَبَ عَلَيْهِ يَتَمًّا ، وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ ، فَأَقَامَ مَدَّةً ، ثُمَّ اشْتَقَى إِلَى أَهْلِهِ وَقَدْ شَرِبَ شَرَابًا
وَعَمِلَ مِنْهُ ، فَقَالَ لِمَالِكٍ : لَوْلَا أَنْ بَدَى تَقْصُرُ عَنْ دِيَةِ جَنَابَتِي لَمُدْتُ إِلَى أَهْلِي .

(١) فِي الْأَغَانِي : مِمَّا خَيْرُهُ .

(٢) السَّلْبَةُ : الطَّوِيلَةُ مِنَ الْخَيْلِ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : وَاعْتَرَضَتْ مِنْ دُونِهِمْ .

(٤) الْمَشْغَبَةُ : مِنَ الشَّجَرِ ، وَهُوَ الْجُلْبَةُ الْمُؤَدِيَةُ إِلَى الْعَصَا .

(٥) الْعَنْثِيَشُ . نَوْعٌ مِنَ الْمَرْقِ .

فقال له : هذه إيلي فخذُ منها ديةَ جنايتك وازددْ ما شئت . فلما أصبح ندم على ما قاله ، وكرِهَ مفارقةَ موضعه ولم يأمن على نفسه ، فأتى مالكا فأنشده :

سأمدحُ مالكا في كلِّ ركبٍ لقيتهمُ وأتركُ كلَّ رذلٍ
فأنا وإليكارَةُ أو نخاضُ عِظامَ جِلَّةٍ سُدُسُ وِزَلِ^(١)
وقد عرفتُ كِلابكمُ ثيابي كَأني منكمُ ونسيتُ أهلي
يَمينُك من بني شَمخٍ زيادُ^(٢) لما ما شئت من فرعٍ وأصل

فقال له مالكٌ : مرحبا فإنك حبيب ازداد حبا إنما اشتقت إلى أهلك ، وذكرت أنك إنما يحبسك عنهم ما تطلب به من عقلٍ أو دية فبدلت لك ما بذلت وهو لك على كل حال ، فأرقم في الرَّحْب والسمة . فلم يزل مقبيا عنده حتى هلك في دارهم .

وأبو الطمحان هو القاتل في بُجَيْر بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، وكان أسيرا في يده فأطلقه وجزَّ ناصيته لما أسره بنو طيء فاشترأه بُجَيْر وأطلقه وجزَّ ناصيته :

إذا قيل أئى الناس خيرٌ قبيلةٌ وأصبرُ يوما لا توارى كواكبُهُ .
فإن بني لأم بن عمرو أرومةٌ علَّتْ فوق صَمْبٍ لا تُنالُ مراقبُهُ
أضاعت لهم أحسابهم ووجوههم دُجى الليلِ حتى نَظَمَ الجَزَعُ فأرقبُهُ^(٣)

قال إسحاق : دخلت يوما على المأمون فوجدته حائرا مفكرا غير نشيط ، فخدمته بمَلَح الأحاديث وطَرَفها أَسْتَمِيلُه لَأَن يضحك وينبسط^(٤) فلم يفعل ، فأنشدته بيتين خطرا لى وهما :

(١) في البيت إقواء . هذا ، والبكارة جمع بكرو وهو النقي من الإبل ، والجلّة من الإبل مسامها والسدس من الإبل الذى حنّ في السنة الثامنة .
(٢) في الأغاني : تحت بك من بني شَمخ .
(٣) الجزع : نوع من الحرز .
(٤) في الأغاني : أو ينشط .

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ نَوَاحِ النَّوَاحِ وَقَبْلَ نُشُوزِ النَّفْسِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
وَقَبْلَ غَدِيٍّ يَأْهَفُ تَقْسَى عَلَى غَدِيٍّ إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَأْبِ
فَتْنِهِ كَالْتَفَزْعِ ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَقُولُ هَذَا وَيَحْكُ ؟ قُلْتُ : أَبُو الطَّمْحَانِ الْقَيْنِيُّ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : صَدَقَ وَاللَّهِ أَعِدْهَا ، فَأَعِدْتُهَا حَتَّى حَفَظْتُهَا . ثُمَّ دَعَا بِالطَّعَامِ
فَأَكَلَ وَبِالشَّرَابِ فَشَرِبَ ، وَأَمَرَنِي بِمِثْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ .

عَانَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ الْحَسَنَ بْنَ الْحُسَيْنِ عَلَى شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ مِنْ دَعَاءِ
أَهْلِ الْعِرَاقِ إِيَّاهُ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَجَعَلَ يَمْتَذِرُ إِلَيْهِ وَيُخْلِفُ لَهُ ، فَقَالَ
لَهُ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا تَقْبَلُ عُذْرَ ابْنِ عَمِّكَ وَتَرْبِلَ عَنْ قَلْبِكَ
مَا أَشْرَبَتْهُ إِيَّاهُ ؟ أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ أَبِي الطَّمْحَانِ الْقَيْنِيِّ :

إِذَا كَانَ فِي صَدْرِ ابْنِ عَمِّكَ إِحْسَنٌ فَلَا تَسْتَعْرِضْهَا سَوْفَ يَبْدُو دَرَفِنُهَا
وَإِنْ حَاجَةَ الْمَعْرُوفِ أَعْطَاكَ صَفْوَهَا تُخَذُّ عَفْوُهُ لَا يَلْتَبِيسُ بِكَ طِينُهَا

لَمْ يَزَلْ أَبُو الطَّمْحَانِ نَازِلًا عَلَى الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، وَكَانَتْ الرِّبَّ تَنْزِلُ عَلَيْهِ ،
وَاسْتَأْذَنَ فِي الرُّجُوعِ إِلَى أَهْلِهِ ، وَشَكَا إِلَيْهِ شَوْقَهُ إِلَيْهِمْ فَلَمْ يَأْذَنْ لَهُ ، وَسَأَلَهُ الْقَامُ ،
فَأَقَامَ مَدَّةً ، ثُمَّ أَتَاهُ مَا دَحَا لَهُ بِأَيَّاتٍ يَتَحَنَّنُ فِيهَا إِلَى أَوْطَانِهِ وَيَمْدَحُهُ ، فَأَنْشَدَهُ إِيَّاهَا ،
فَأْذَنْ لَهُ بِالْأَنْصَرَفِ ، فَانْصَرَفَ إِلَى أَهْلِهِ .

حاجزُ الأزدي^(١)

هو حاجز بن عوف بن الحارث بن الأحم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مُرَجَّج بن مالك بن زهران بن عوف بن مَيْدَعَان بن مالك بن نصر^(٢) ابن الأزد ، حليف لبني مخزوم بن يَظْظَةَ بن مُرَّة بن كعب بن لُؤَيٍّ ، شاعر جاهليٌّ مُقِلٌّ ، ليس من مشهورى الشعراء ، وهو أحد الصماليك المُتَّعِينَ على قبائل العرب ، يمدُّوهلى رجليه عدوًّا يسبق به الخليل .

قال عوف بن الحارث^(٣) لابنه حاجز : يا بني أخبرنى بأشدَّ عدوك . قال : نعم ، أفزعتنى خَنَمٌ قَزَوْتُ نَزَوَاتٍ ، ثم استفزَّتنى الخليلُ واسطفَّ لى ظَبْيَانٍ ، فجعلت أُنْهِمُهُمَا عن الطريق بيدى لضيقة^(٤) ومنماني أن أتجاوزهما فى المدوِّ لضيقة الطريق حتى أتسع واتسعت بنا فسبقتهما قال : فهل جارك أحدٌ فى المدوِّ ؟ قال : ما رأيت أحداً جارائى إلا أطلَّسْتُ أُغْيِرُ من النُّقُوم ، فَإِنَّا عَدَوْنَا مما فلم أقدر على سبقه . والنُّقُومُ بَطْنٌ من الأزد من ولد قاقم ، واسمه عامر بن حَوَالَةَ بن الحِنُو^(٥) من الأزد .

(١) الأغاني : دار الكتب ٢٠٩/١٣ وانظر ص ٢٠٨ ودار الثقافة ٢١١/١٣ وانظر ص ٢١٠ ويولاق ٤٩/١٢ والسامى ٤٧/١٢ والتجريد ١٥٠٣ هذا ، وفى المختار « ك » الزاى بدون نقطة حاجز .

(٢) فى المختار : « مضر » والتصويب من الأغاني .

(٣) فى المختار : « حاجز » وهو تحريف .

(٤) كلمة « لضيقة » ليست فى الأغاني ويبدو أنها زائدة هنا .

(٥) فى ك : بن النقي .

أغار عوف بن الحارث على بنى هلال بن عامر بن صعصعة في يوم داج^(١) ، فقال لأصحابه : انزلوا حتى أعتبر لكم . فانطلق حتى أتى صِرْماً^(٢) من بنى هلال ، وقد عصب على يَدِ قَرْسه عصاها ليطمعوا فيه ، فلما أشرف عليهم استرابوا به ، فركبوا في طلبه ، فانهمز بين أيديهم وطمعوا فيه ، فجهّم بهم على أصحابه بنى سلامان ، فأصيب يومئذ بنو هلال ، وملاً القوم أيديهم من الضائيم ، فقال في ذلك حاجز بن عوف من أبيات :

صَبَاحِكِ فَاسْلُمِي عَنِّي أُمَامَا	تَحِيَّةٌ وَامِقٌ وَعِيبِي ظَلَامَا
بَرْهَرَةً بِحَارُ الطَّرْفِ فِيهَا	كَحَقَّةٍ تَاجِرٍ شُدَّتْ خِتَامَا ^(٣)
فَإِنْ مُنَسَّ ابْنَةُ السَّهْمِيِّ عَنَا	بَعِيدَا لَا تُكَلِّمْنَا كَلَامَا ^(٤)
سَلَى هَنَا إِذَا انْفَرَّتْ مُجَادَى	وَكُلَّ طَعَامُ ضَيْفِهِمُ الثَّمَامَا ^(٥)
أُرَى رَّبْعَ الْفَوَارِسِ يَوْمَ دَاجٍ	وَعَمَى مَالِكٌ وَضَعَ السَّهَامَا ^(٦)
وَلَوْلَا صَبْرُنَا فِي يَوْمِ دَاجٍ	لَمَضَّ نَوَائِبُ الدَّهْرِ النِّظَامَا ^(٧)

يعني بقوله وضع السهاما أن الحارث بن عبد الله بن بكر بن يشكر كان يأخذ من الأزد جميعهم إذا غنموا الرُّبْع ، لأن الرياسة في الأزد كانت لقومه ، وكان يقال لهم الفطاريق ، وهم أسكنوا الأزد بَلَدَ السَّرَاة ، وكانوا يأخذون للمقتول منهم ديتين ، ويمطون غيرهم دية واحدة إذا وجبت عليهم ، ففزعهم بنو قُفَيْم بن عَدِي بن الدَّيْل

(١) المرم : الجماعة .

(٢) البرهرة : البضة النضة .

(٣) بعده في الأغاني بيتان .

(٤) جدى يراد بها الشتاء . والثمام نبت ضعيف .

(٥) ربيهم : أخذ منهم الرباع . وفي الفخار وأصول الأغاني : عبر لكن المرح يؤيد ربح .

(٦) البيت غير موجود في الأغاني وبديله بيت آخر غيره .

ابن عبد مناة بن كنانة فظفرت بهم ، فاستفأوا بني سَلَامَانَ فَأَغَاوَهُمْ ، فهزموا بني نُفَيْمٍ وأخذوا غنائمهم وسلبوهم ، فأراد الحارث أن يأخذ الربيع كما كان يفعل ، فتمعه مالك بن ذهل بن مالك بن سَلَامَانَ ، وهو عم أبي حَاجِرٍ وقال : « هيهات ، تُرِكَ الرُّبُوعُ غُدُوَّةً » فذهبت مثلاً ، فقال له الحارث : أترأى يا مالك تقدر أن تسود ؟ فقال : هيهات ، الأزرد أمتع من ذلك ، فقال : أعطني ولو جَمَبًا - وَالْجَمْبُ : البعيرُ في لنتهم - لثلاثا تسمع العربُ أنك منفعتي . قال مالك : فَمِنْ سَمَاعِهَا أَفْرِ . ومنعه الرُّبُوعُ ، فقال حَاجِرٌ في ذلك :

أَلَا زَعَمْتُ أَيْبَاءَ يَشْكُرُ أَنَا يَرْبُهُمْ - بَاءُوا هَنَالِكَ - نَاضِلٌ^(١)
سَتَمْنَعُنَا مِنْكُمْ وَمِنْ سُوءِ فِعْلِكُمْ^(٢) صَفَاحٌ بِيضٌ أَخْلَصَتْهَا الصَّيَاقِلُ
وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ إِذَا هُرَّ عَاسِلٌ^(٣) بِأَيْدِي كُفَاةٍ جَرَبَتْهَا الْقَبَائِلُ
وَمِنْ شَعْرِ حَاجِرِ الْأَزْدِيِّ :

أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ نُوْحِ النُّوَادِبِ وَقَبْلَ بَكَاءِ الْمُصَوِّلَاتِ الْقَرَائِبِ
وَقَبْلَ ثَوَائِي فِي تُرَابٍ وَجَدَلٍ وَقَبْلَ نَشُوْزِ النَّفْسِ فَوْقَ التَّرَائِبِ
فَإِنْ تَأْتِيَنِ الدُّنْيَا يَوْمَ خِفَاءَةٍ تَجِدُنِي وَقَدْ قَضَيْتِ مِنْهَا مَا رِبِ

بيننا حَاجِرٌ في بعض غزواته إذ أحاطت به خَنَمٌ ، وكان معه بشيرُ ابنِ أخيه . فقال له : يا بشير ، ما تشير ؟ فقال : دَعَهُمْ حَتَّى يَشْرَبُوا وَيَنْقَلُوا^(٤) ويعضوا ونمضى معهم ، فيظنوننا بعضهم . فعصا ، وكانت في ساقِ حَاجِرٍ شامةٌ . فنظرت إليها

(١) الناضل : الثالب .

(٢) في الأغاني : ومن سوء صنعكم .

(٣) العاسل : المهتر .

(٤) الكلمة في المختار غير منقوطة وفي بعض أصول الأغاني : ينقلوا . وفي بعضها . ينقلوا .

امراة من خثم فصاحت : يا آل خثم ، هذا حازر . فطاروا يتبعونه ، فقالت
عجوز منهم ساحرة : انا له ا كفيكم سلاحه او عدوه ، فقالوا : لا نريد ان تكفينا
عدوه ، فان معنا عوفاً وهو يمدو مثله ، ولكن اكفيننا سلاحه ، فسحرت لهم
سلاحه ، وتبعه عوف بن الأغر بن همام حتى قاربته ، فصاحت به خثم : يا عوف
ارم حازراً ، فلم يقدر عليه وجبن ، فنضبوا وقالوا : يا حازر لك الدمام فاقتل عوفاً
فإنه قد فضحنا . فترع في قوسه ليرمى به فانقطع وتره ، لأن المرأة الخثمية كانت
قد سحرت سلاحه ، فأخذ قوس بشير ابن أخيه فترع فيها فانكسرت ، وهربا
من القوم ففاتاهم ، ووجد حازر بمرأى في طريقه فركبه ، فلم يسر في الطريق الذي
يريد ، ونحاً به نحو خثم ، فنزل حازر عنه وهرب فنجاً .

خرج حازر في بعض أسفاره فلم يمد ولا عرف له خبر ، فكانوا يرون أنه
مات عطشاً أو ضلّ ، وكان مع غاراته كثير الفرار .

الحارث بن الطفيل الدؤبي^(١)

هو الحارث بن الطفيل بن عمرو بن عبد الله بن مالك بن عمرو بن فهم^(٢) بن غنم ابن دؤس بن عبد الله بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب ابن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد ، شاعر فارس مخضرم من شمراء الجاهلية والإسلام ، وأبوه الطفيل شاعر أيضا ، وهو أول من وفد من دؤس على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وعاد إلى قومه فدعاهم إلى الإسلام وهاجر إلى المدينة ، وكان رجلا يعضو - والماعى : البصير بالخراج - ولذلك يقال لولده بنو الماعى .

أرسلته قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له : انظر لنا ما هذا الرجل وما عنده ؟ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فمضى عليه الإسلام ، فقال : إني رجل شاعر فاسمع ما أقول ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم « هات » فقال :

فلا وإله الناس نألم حُرَّيَهُمْ ولو حاربنا مُنْهَبُ وبنو فُهْمٍ
ولمَّا يَكُنْ يَوْمُ تَزُولُ نَجْوَاهُ تطير به الرُّكبانُ ذو بُأْسِ خُمٍ
أُسْلَمَا عَلَى خَسْفٍ وَلَسْتُ بِخَالِدٍ وما لِي مِنْ وَاقٍ إِذَا جَاءَنِي حَتْمِي
فَلَا سِلْمٌ حَتَّى تَخْفِرَ النَّاسُ خِيفَةً وَيَصْبَحَ طَيْرٌ كَانَسَاتٍ عَلَى لَحْمٍ^(٣)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « وأنا أقول فاسمع » ثم قرأ : أهوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . وقرأ سورة الإخلاص وسورة الفلق .

(١) الأغاني : دار الكتب ٢١٨/١٣ وانظر ص ٢١٦ ودار الثقافة ١٣/ ٢٢٠ وانظر

ص ٢١٩ ويولاق ٥٣/١٢ والسامى ٥٠/١٢ . والتجريد ١٥٠٤ .

(٢) في الأغاني : بن مالك بن فهم .

(٣) كانتات : مقبات .

ودعاه إلى الإسلام فأسلم ، وعاد فأتى قومه في ليلة مطيرة غلما ، حتى نزل برؤوق ، وهي قرية عظيمة لدوس فيها منبر ، فلم يبصر أين يسلك ، فأضاء له نور في طرف سوطه فبهر الناس ذلك النور ، وقالوا : ناز أحدت على القدوم ثم على برؤوق لا تطفأ . وجعل الناس يأخذون بطرف سوطه ^(١) فيخرج النور من بين أصابعهم ، فدعا أبويه إلى الإسلام ، فأسلم أبوه ولم تسلم أمه ، ودعا قومه فلم يجبه إلا أبو هريرة وكان ينزل هو وأهله في جبل يقال له ذورمع ^(٢) ثم أتى الطفيل بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو هريرة ، فقال له : « ما وراءك » ؟ فقال : بلاد حصينة وكفر شديد . فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ثم قال : « اللهم اهذب دوسا » ثلاث مرات . قال أبو هريرة : فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم خفت أن يدعوا على قومي فيهلكوا ، فصحت : واقوماه ، فلما دعا لهم سرى عني . ولم يحب الطفيل أن يدعو لهم ، لخلافهم عليه ، فقال : لم أحب هذا منك يا رسول الله ، فقال : « إن فيهم مثلك لكثير » وكان جندب بن عمرو بن مخرمة بن عوف بن غويصة بن سعد ابن الحارث بن ذبيان بن عوف بن مخرمة بن دوس يقول في الجاهلية : إن للخلق خالفا لا أعلم ما هو ، فخرج في خمسة وسبعين رجلا حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وأسلموا . وكان جندب يُقدمهم ^(٣) إلى النبي صلى الله عليه وسلم واحدا واحدا فيسلمون . وكانت بين دوس وبين بني الحارث بن عبد الله بن عامر بن الحارث بن يشكر حرب لأن آل الحارث كانوا سادات المشيرة ، وكانت دوس أنبياء لهم ، وكان يقال لبني عامر بن الحارث بن يشكر النطاريف ، وكان لهم ديتان إذا قُتل منهم قتيل ،

(١) في الأغاني : فسلقوا يأخذون بسوطه .

(٢) في المختار وبعض أصول الأغاني : ذومنا وانظر معجم البلدان ذورمع موضع باليمن .

(٣) في الأغاني : يقرهم .

ولسائر قومهم دية ، وكانت لهم على دوس إتاوة يأخذونها كل سنة ، حتى أن الرجل منهم كان يأتي الدوسي فيضع سهمه أو نمله على الباب ثم يدخل فيجىء الدوسي فإذا أبصر ذلك رجع عن بيته ، حتى أدرك عمرو بن ملحمة فقال لأبيه : ما هذا الطول الذي يتطوّل به إخواننا علينا ؟ فقال : يا بني ، إن هذا شيء قد مضى عليه أوائلنا فأعرض عن هذا الأمر . وإن رجلا من دوس عرس بانية عم له ، فدخل عليها رجل من بني عامر بن يشكر ، فجاء زوجها فدخل على الشكرى فقتله ، ثم جاء عمرو بن ملحمة فأخبره بذلك ، فجمع دوسا فقام فيهم خطيبا وقال : إلى كم تصبرون لهذا الذل ؟ بنو الحارث تأتيكم الآن فتقتلكم ، فاصبروا تعيشوا كراما أو تموتوا كراما . فاستجابوا له ، وأقبلت إليهم بنو الحارث ، فاقتتلوا وظفرت بهم دوس وقاتلتهم كيف شاءت ، وقيل : إن غلامين من بني الحارث قالا يوما : اثنا شيخ بن دوس فاقتلوه ، فأتياه فقالا له : يا عم إن لنا أمرا نريد أن تحكم بيننا فيه ، فأخرجاه من منزله ، فلما تنحيا به قال له أحدهما : يا عم ، رجلى دخلت فيها شوكة ، فأخترجها لي ، ففكّس الشيخ رأسه لينزعها ، ففصر به الآخر فقتله ، فعمدت دوس إلى سيد بني الحارث وكان نازلا بقنونا ، فقاموا له في غيضة من الوادي وسرحت إبله ، فأخذوا منها ناقة فأدخلوها النيسة فمقلوها ، فجملت الناقة ترغو وتحن إلى الإبل ، فنزل الشيخ إلى النيسة ليرف شأن الناقة ، فوثبوا عليه فقتلوه ، ثم أتوا أهلهم وعرفت بنو الحارث الخبر ، فجمعوا الدوس وغزوه ، فظفرت دوس وقاتلت بني الحارث كيف شاءوا ، وكان على دوس عمرو بن ملحمة ، فقال الحارث بن الطفيل قصيدته التي أولها^(١) :

يادارُ من ماوى بالشهب مبيت على خطب من الخطب

(١) هي في الأغاني ١٣ بيتا .

منها :

لما سمعتُ نَزَالِيَّ قد دُعِيْتُ أُيَقِنْتُ أَنَّهُمْ بَنُو كَثْبِ
وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ هَتَكَتْ قَرَارَهَا تَحْتَ الْوَعْيِ بِشَدِيدَةِ الْعَضْبِ^(١)
يَا رَبِّ مَوْضُوعِ رَفَعْتُ وَمَرَّ فَوْعٍ وَضَعْتُ بِمَنْزِلِ اللَّصْبِ^(٢)
جَانِيكَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ وَقَدْ تُمْدَى الصَّحَّاحَ مَبَارِكِ الْجَرْبِ^(٣)
وقيل إنهم أقاموا في هذه الواقعة سبع سنين .

(١) المصَّب : العطن والقطع .

(٢) المصَّب : مضيق الوادي .

(٣) علق أبو الفرج على هذا البيت بقوله : هذا البيت في البناء في لحن ابن سريج وليس هو في هذه القصيدة ولا وجد في الرواية . وإنما ألحقناه بالقصيدة لأنه في البناء كما يضيف المثنون شعرا إلى شعر وإن لم يكن فائلاهما واحدا .

الحُصَيْن بن الحُجَّام المُرِّي^(١)

هو الحُصَيْن بن الحُجَّام بن رَيْمَةَ بن مُسَاب بن حِرامَةَ^(٢) بن واثلة بن سَهْم بن مُرَّة
ابن عَوْف بن سَمَد بن ذُبْيَان بن بَنِيض بن الرَّيْث بن غَطَفَان بن سَمَد بن قَيْس
بن عَمِيلَان بن مُضَر بن نَزَار سِيد بنِي سَهْم بن مُرَّة وفارسها ، وكان خُصَيْلَةَ^(٣) بن مُرَّة
وَصِرْمَةَ بن مُرَّة ، وسَهْم بن مُرَّة أمهم جميعا حَرْقُفَةَ بنت مَعْنَم بن عَوْف بن بَكِي
ابن عمرو بن الحَاف بن قُضَاعَةَ . فكانوا جميعاً يَدَا عَلَى من سِوَاهُم ، وكان حُصَيْن
ذَا رَأْسِهِمْ وَقَائِدَهُمْ وَرَائِدَهُمْ ، وكان يُقَالُ لَهُ مَانِعُ الْعَنِيمِ .

جاء ابنُ الحُصَيْن إلى معاوية بن أبي سفيان فقال لَأَذِينَهُ : استأذن لي على معاويةَ
أمير المؤمنين وقل ابنُ مَانِعِ الْعَنِيمِ . فلما استأذن له قال معاوية : ويحك ، لا يكون
هذا إلا ابنُ عُرْوَةَ بنِ الْوَرْدِ السَّبْئِيِّ أو ابنُ الحُصَيْن بنِ الحُجَّامِ المُرِّي ، أَدْخِلْهُ ،
فلما دخل قال له : ابنُ مَنْ أَنْتَ ؟ قال : ابنُ مَانِعِ الْعَنِيمِ الحُصَيْن بنِ الحُجَّامِ المُرِّي . قال :
صَدَقْتَ ، ورفِعَ بَجَلَسُهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

كان قوم^(٤) من بَطْنِ مَنْ قُضَاعَةُ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو سَلَامَانَ بنِ سَمَدِ بنِ زَيْدِ بنِ الحَافِ
ابن قُضَاعَةَ ، وبَنُو سَلَامَانَ بنِ سَمَدِ إخْوَةُ عُنْدَرَةَ بنِ سَمَدِ ، وكانوا حلفاء لبني صِرْمَةَ
ابن مُرَّة ، ونزولا فيهم ، وكان بنو الحَرْقُفَةَ وهم بنو حُمَيْسِ بنِ عَامِرِ بنِ جُعَيْنَةَ حلفاء

(١) الأغاني: دار الكتب ١/١٤ وانظر ج ١٣ ص ٣٦٣ ودار الثقافة ٣/١٤ وانظر ج ١٢

ص ٣٦٤ وبولاق ١٢/١٢٣ والسامري ١٨/١٢ والتجريد ١٥٣٥ .

(٢) في الأغاني : حرام .

(٣) في الأغاني : خَصِيلَةَ وجاء الشريمد ذلك في المختار خَصِيلَةَ ،

(٤) في الأغاني : كان قاس .

لبنى سَهْم بن مُرَّة ، وكانوا يرمون بالنبل رمياً شديداً ، فسُومُوا الحُرقة من شدة قتالهم .
 وكانوا نزولاً في حلفائهم بنى سهم بن مرة ، وكان في بنى صِرْمَة يهوديٌّ يقال
 له جُفِينَة ^(١) بن أبي حَمَل من أهل تَيْمَاء وكان في بنى سهم يهوديٌّ من أهل وادي
 القرى يقال له غُصَيْن بن حَيٍّ ، وكانا تاجرين في الحمر ، وكان بنو جَوْشَن - أهل
 بَيْتٍ من غَطَفَان - جيرانا لبنى صِرْمَة وكان يُشَاءَم بهم ، ففقدوا منهم رجلاً يقال
 له خُصَيْلَة كان يقطع الطريق وحده ، فكان إخوته يسألون الناس عنه وينشدونه
 في كل مجلس وموسم ، فجلس ذات يوم أخٌ لذلك المفقود الجَوْشَنِيّ في بيت غُصَيْن
 ابن حَيٍّ جارِ بنى سهم يتتاع خمرًا ، فبينما هو يشتري إذ مرَّت أخت المفقود تسأل عن
 أخيها خُصَيْلَة ، فقال غُصَيْن :

تَسْأَلُ عَنْ أَخِيهَا كُلَّ حَيٍّ وعند جُفِينَة الخَبْرُ اليَقِينُ
 فأرسلها مثلاً وعَنَى بِجُفِينَة [نفسه] حفظ الجَوْشَنِيّ البيت ، ثم أتاه من الند
 فقال له : نشدتك الله وذممتك هل تعلم لأخي علماً ؟ فقال : لا ، وديني ما أعلم ، فلما
 مضى أخو المقتول ^(٢) تمثّل :

لعمرك ما ضلّت ضلال ابن جَوْشَنٍ حصاةً بَلِيلٍ أَلْقَيْتَ وَسَطَ جَنْدَلٍ
 أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد وهذا لا يوجد أبداً .

فلما سمع الجَوْشَنِيّ ذلك تركه حتى إذا أمسى أتاه فقتله وقال الجَوْشَنِيّ :
 طعنْتُ وقد كاد الظلامُ يُجِثِّنِي غُصَيْنَ بنَ حَيٍّ في جوارِ بنى سَهْمٍ
 وأَتَيْتُ حُصَيْنُ بنَ الحُمامِ فقيلَ له : إن جارك غُصَيْنًا قد قتله ابنُ جَوْشَنٍ جارِ بنى
 صِرْمَة فقال حُصَيْنُ : فاقبلوا اليهودي الذي في جوارِ بنى صِرْمَة فأتوا جُفِينَة

(١) انظر مجمع الأمثال « عند جهينة الخبر اليقين » فإنه أورد أيضاً أنه اسمه جفينة وأورد
 البيت الآتي .

(٢) كذا في المختار . وفي الأغاني : أخو المفقود .

ابن أبي حل فقتلوه ، فشدّ بنو صِرمة على ثلاثة من حُميس جيران بني سهم فقتلهم ، فقال حُصين : اقتلوا من جيرانهم ثلاثة من بني سَلَامان ، ففعلوا واستمر الشرُّ بينهم وكانت بنو صِرمة أكثر من بني سهم رهط الحُصين بكثير ، فقال لهم الحُصين : يا بني صِرمة قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي ، فقتلتم من جيراننا من قضاة ثلاثة نفر ، فقتلنا من جيرانكم من بني سلامان ثلاثة نفر ، وبيننا وبينكم رَحِمٌ ماسّة قريية ، فمروا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم ، ونأمر جيراننا من بني قضاة فيرتحلون عنا ، ثم هم أعلم ، فأبى ذلك بنو صِرمة وقالوا : قد قتلتم جارنا ابن جوشن فلا تفعل حتى تقتل مكانه رجلا من جيرانكم ، فإنكم أعلم أنا أكثر منكم عددا ، وأنتم بنا تميزّون وتمنّعون . فنأشدهم الله والرَّحِم ، فأبوا وما قبلوا^(١) ، وأقبلت الخُضْر خُضْرُ مُحَارِبٍ وكانوا في بني تَمَلبة بن سعد فقالوا : نَشْهَدُ نَهْبَ بني سهم وسُليم^(٢) ، فإذا انتهبوا نُصيب منهم^(٣) ، وخذلت غُظفانُ حُصينا وكرهوا ما كان من منعه جيرانه من قضاة ، وصافهم حُصينُ الحَرْبِ وقَاتلهم ومعه جيرانه ، وأمرهم ألا يَزِيدهم على النبل ، فهزّمهم الحُصين ، وكفَّ يده بعد ما كثر القتل فيهم ، وأبى ذلك البطنُ من قضاة أن يَكفّوا عن القوم حتى أئمنوا فيهم . وقال الحُصين في ذلك من أبيات :

أَلَا تَقْبَلُونَ النُّصْفَ مِنَّا وَأَنْتُمْ بَنُو عَمَّالٍ لَا بِلَّهَامِكُمُ الْقَطَرُ
سَأَبَى كَمَا تَأْتِيُونَ حَتَّى تُلَيِّنَكُمُ صَفَاخُ بُصْرَى وَالْأَسِنَّةُ وَالْأَمْرُ^(٤)

(١) جملة « وما قبلوا » ليست في الأغاني .

(٢) كلمة « وسليم » ليست في الأغاني .

(٣) في المختار : نصيب منه .

(٤) الأصر : الكسر ، وأصره أمرا : كسره .

أَبُو كُلٍّ مَوْلَانَا وَمَوْلَى ابْنِ عَمَّتِنَا مُقِيمٌ وَمَنْصُورٌ كَمَا نَصَرْتَ جَسْرُ^(١)
فَعَلَكِ التِّي لَمْ يَعْلَمْ النَّاسُ أَنْسَى خَفْتُ لَهَا حَتَّى يُفَيِّئَنِي الْقَبْرُ^(٢)
فَوَاعِجِبَا حَتَّى خُصِيْلَةُ أَصْبَحَتْ مَوَالِي عِزٍّ لَا تَحِلُّ لَهَا الْخَرُّ
قوله: « موالى عز » يهزأ بهم . ولا يحل لهم الخر أى أنهم لا يدركون ما أرادوا فخرموا
الخر كما يفعل الأعراء وليس كذلك^(٣) .

أَلَمْآ كَشَفْنَا لَأَمَةً الدَّلَّ عَنْكُمْ تَجَرَّدْتُ لِابْنِ جَعِيلٍ وَلَا شُكْرُ
وَأِنْ يَكُ ظَلَى سَادَقًا تَجَزَّ مِنْكُمْ جَوَازَى الْإِلَهَ وَالْحَيَانَةَ وَالنَّذْرُ
وَأَقَامُوا عَلَى الْحَرْبِ وَالنُّزُولِ عَلَى مُحْكَمِهِمْ وَعَاوَنَهُمْ^(٤) بَنُو ذِيانٍ وَمُحَارِبِ
ابْنِ خَصْفَةِ . وكان رئيس مُحَارِبِ خُصَيْضَةَ بْنِ حَرْمَلَةَ ، وَتَكَمَّصَتْ مِنْ حُصَيْنِ قَبِيلَتَانِ
مِنْ بَنِي سَهْمٍ وَخَاتَاهُ ، وَهَمَّ عَدُوَانُ وَعَبْدُ عَمْرِو ابْنَا سَهْمٍ ، فَسَارَ حُصَيْنٌ وَلَيْسَ مَعَهُ
مِنْ بَنِي سَهْمٍ إِلَّا بَنُو وَائِلَةَ وَحُلَفَاؤُهُمْ وَهَمَّ الْحَرْقَةُ ، وَالتَّقْوَا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ ، فَظَفَرُ بِهِمُ
الْحُصَيْنُ ، وَهَزَمَهُمْ وَقَتْلَ مِنْهُمْ فَأَكْثَرَ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

جَزَى اللَّهُ أَفْنَاءَ الْمَشِيرَةِ كُلَّهَا بِدَارَةِ مَوْضُوعٍ عُقُوقًا وَمَأْتَمَا
بَنَى عَمَّتَا الْأَدْنَيْنِ مِنْهُمْ وَرَهْطَنَا فَرَارَةً إِذْ رَأَمَتْ بِنَا الْحَرْبُ مُمْتَظَمَا
وَلَا رَأَيْتُ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِي وَإِنْ كَانَ يَوْمًا ذَا كَوَاكِبٍ مُظْلِمًا
صَبْرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ مَنَا سَجِيَّةً بِأَسْيَافِنَا يَقْطَعْنَ كَغَفًا وَمَعْصَمًا
تَفَلَّقَ هَامًا مِنْ رَجَالِ أَمَةِ عَلَيْنَا وَهَمَّ كَانُوا أَعْقَى وَأَظْلَمًا

(١) جسر: قبيلة من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان.

(٢) بسمه في الأغاني ثلاثة أبيات.

(٣) في الأغاني: « ولا يحل لهم الخر » أراد فخرموا الخر على أنفسهم كما يفعل العزيز وليسوا هناك .

(٤) في الأغاني: وغاظتهم .

نُطَاعْنَهُمْ نَسْتَنْقِذُ الْجُرَدَ بِالنَّاقَا ^(١) وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْعَرِيَّ الْقَوْمًا
 « نَسْتَنْقِذُ الْجُرَدَ » أَيْ نَقْتُلُ الْفَارِسَ فَنَأْخُذُ فَرَسَهُ . « وَيَسْتَنْقِذُونَ السَّمْعَرِيَّ »
 وَهُوَ النَّاقَا أَيْ نَطْمِنُهُمْ فَتَجْرِمُ الرِّمَاحُ :
 لَدُنْ غُدُوَّةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ مَا تَرَى مِنْ الْخَلِيلِ إِلَّا خَارِجِيًّا مُسَوِّمًا
 الْخَارِجِي : الَّذِي لَيْسَ لَهُ نَسَبٌ ^(٢) :
 وَأَجْرَدَ كَالسَّرْحَانِ يَضْرِبُهُ النَّدَى وَحَبُوكَهُ كَالسَّيْدِ شَفَاءَ صِلْدِمَا ^(٣)
 يَطَانُ مِنَ الْقَتْلِ وَمَنْ قَصَدَ الْقَنَسَا خَبَارًا فَمَا يَجْرِي إِلَّا تَفَحُّمًا ^(٤)
 عَلَيْهِنَ فِتْيَانٌ كَسَاهُمْ مُحَرَّقٌ وَكَانَ إِذَا يَكْسُو أَجَادَ وَأَكْرَمَا
 صَفَاخٌ بُصْرَى أَخْلَصَتْهَا قُيُونُهَا وَمُطْرِدًا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ مُحْكَمًا
 عَرَقَ هُوَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ ، أَيْ كَسَاهُمْ عَرَقَ سَيُوفًا وَأَدْرَاهَا هَذِهِ صَفَتْهَا ^(٥) :
 جَزَى اللَّهُ فِيهَا عَبْدَ عَمْرٍو مَلَامَةً ^(٦) وَعَدَوَانِ سَهْمٍ مَا أَذَلَّ وَالْأَمَا
 عَبْدَ عَمْرٍو وَعَدَوَانِ قَبِيلَتَانِ مِنْ بَنِي مَهْمٍ نَكَسُوا مِنْ حَصِينٍ وَجَانِبِهِ
 فِي الْقِتَالِ ^(٧) :

-
- (١) فِي الْأَغَانِي : نَطَارِدُهُمْ نَسْتَنْقِذُ .
 (٢) هَذِهِ الشَّرْحُ لَيْسَ فِي الْأَغَانِي .
 (٣) السَّرْحَانُ : الْقَتْلُ . وَالسَّيْدُ : الْقَتْلُ . وَالشَّفَاءُ مِنَ الْخِيلِ : الَّتِي تَشْتَقُّ فِي عَدُوِّهَا وَتَذْهَبُ
 عَيْنًا وَشِمَالًا . وَالطَّوِيلَةُ وَالصَّلَامُ : الصَّلْبَةُ .
 (٤) الْقَصْدُ : الْقَطْعُ . وَالْجَارُ : مَا لَانَ وَاسْتَرْخَى مِنَ الْأَرْضِ .
 (٥) هَذَا الشَّرْحُ لَيْسَ فِي الْأَغَانِي وَهُوَ فِي ك فَقَط .
 (٦) فِي الْأَغَانِي : جَزَى اللَّهُ عَنْهُ .
 (٧) هَذَا الشَّرْحُ لَيْسَ فِي الْأَغَانِي وَهُوَ فِي ك فَقَط .

ولست بمبتاع الحياة بِسَيِّئَةٍ ولا مُرْتَقٍ من خَشْيَةِ الموتِ سُلْماً^(١)
 وقتل في تلك الحرب نُعَيْمُ بن الحارث بن عباد بن حبيب بن وائلة بن سهم ، قتله
 بنو صِرمة يوم دَارَةِ مَوْضُوع ، وكان وادّاً للحصين ، فقال يرثيه^(٢) :

قَتَلْنَا خَمْسَةً وَرَمَوْا نُعَيْمًا وكان القتلُ للفتيانِ رَينًا
 لَمَرُّ البَاكِياتِ على نُعَيْمٍ لقد جَلَّتْ رَينَتُهُ عَلَيْنَا
 فلا تَبْعُدْ نُعَيْمٍ فَكُلُّ حَمْدٍ سِيَلِقِي من صُرُوفِ الدَّهْرِ حِينًا

ثم إن بني مُحَيْسٍ سَخَطُوا بِمَضِجَاوَرَةٍ^(٣) بنى سهم ، ففارقوهم وَمَضَوْا ، فلاحق
 بهم الحُصَيْنُ فَرَدَّهُمْ وَلَا مَهْمَ على كُفْرِ نَعْمَتِهِ وَقِتَالِهِ عَشِيرَتِهِ عَنْهُمْ ، وقال في ذلك
 أشعاراً .

كان الْبُرْجُ بن الْجَلَّاسِ الطَّائِيُّ خَلِيلًا لِلْحُصَيْنِ نَدِيمًا له على الشراب ، وفيه يقول
 الْبُرْجُ :

وَنَدَمَانِ يَزِيدُ الْكَأْسَ طِيئًا سَقَيْتُ وَقَدْ تَفَوَّرَتِ النُّجُومُ
 رَفَعْتُ رَأْسَهُ وَكَشَفْتُ عَنْهُ بِمُرْقَةٍ مَلَامَةٍ مَن يَأُومُ
 وَنَشَرْتُ مَا شَرِبْنَا ثُمَّ نَصَحُوا وَلَيْسَ بِجَارِنِي خَدَى كُلُّومُ
 وَنَجَمِلُ عَتَبَهَا لَبِي جُمَيْلٍ^(٤) فَلَيْسَ إِذَا انْتَشَوْا فِيهِمْ حَلِيمُ

(١) بهامش كما يأتي من هذه القصيدة :

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبِقُ الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَ
 فَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أقدامنا تَقَطُرُ الدُّمَاءُ

(٢) انظر طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق ص ٢٥١ فالشعر منسوب للبطين .

(٣) في الأغاني : كرموا مجاورة .

(٤) في الأغاني : ونجمل عتبها .

وكانت للبرج أخت يقال لها القفاطة ، فشرب البرج يوما مع الحصين وانصرف إلى أخته فافتضها ، ولما أفاق ندم على ما صنع ، فقال لقومه : أى رجل أنا فيكم ؟ فقالوا : سيدنا وفارسنا وأفضلنا . قال : فإنه إن علم أحد من العرب بما صنعتُ أو أخبرتم به أحدا ركبْتُ رأسى فلا تروئى أبدا . فكنتموا ذلك ، ثم إن أمة لبعض طيىء وقعت إلى الحصين بن الحُمام ، فرأت عنده البرج الطائى وهما يشربان ، فلما خرج من عنده قالت للحصين : إن نديك هذا سكر عندك ففعل بأخته كيت وكيت ، فيوشك أن يفعل بها ذلك^(١) كلما سكر عندك فزجرها الحصين وسبها فأمسكت ، ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين من الحرقة ، فأخذ أموالهم وأتى الصريخُ الحصين ، فنبع القوم فأدركهم فقال للبرج : ما صَبَّكَ على جيرانى يا بُرج ؟ فقال : وما أنت وهم ؟ هؤلاء من اليمن ، وهم منا ، وأنشأ يقول :

أنى لك الحرقات فيما بيننا عنى بعيدُ منك يا ابنَ حُمام
أى كيف صاروا جيرانك غير اعتراض فيما لا يمنيك^(٢) .

أقبلت تزجى ناقةً متباطئا عطلا تزجىها بنير زمام
تزجى : تسوق . عطلا : لا خطام عليها ولا زمام : أى أنيت كذا مسرها من المجلة .

فأجابه الحصين :

بُرجٌ يؤتمنى ويكفرُ نعمتى صمى لما قال الكفيلُ صمام
صمى : صبرى . صمام : أخرجها مخرج حذام وقطام^(٣) .

(١) فى الأغاني : يفعل ذلك بك .

(٢) هذا الشرح ليس فى الأغاني ، وهو فى ك .

(٣) هذا الشرح ليس فى الأغاني ، وهو فى ك . ومن أمثالهم : صمى صمام يقال للداهية والحرب

صمام ، وفسرت صمى فى جمع الأمثال بمعنى : لا تجدى .

مهلاً أباً زيد فإنك إن تشأ أوردك عرض مناهل أسدام^(١)
لا تحسبن أنا القفاطة أننى رجلاً بخبرك لست بالعلام
فاستزلوك وقد بليت رطاقها من بنت أمك والذبول دواى
ثم ناصبه الحرب ، فقتل من أصحاب البرج عدة وهزم سائرهم واستنقذ
ما فى أيديهم وأسر البرج . ثم عرف له حق نداءيه وعشرته ، فن عليه جز
ناصيته وختل سبيله . فلما عاد البرج إلى قومه وقد سبه الحصين بما فعل بأخته لامهم
وقال : فضحتمونى ، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم فلم يعرف
له خبر إلى الآن . وقيل : بل شرب الخمر صرُفا حتى قتلته .

وأغار الحصين فى جمع من بنى عدي على بنى عُقيل وبنى كعب ، فأسخن فيهم ،
واستاق نهما كثيرة ونساء ، وأصاب أسماء بنت عمرو وسيد بنى كعب ، فن عليها
وأطلقها وقال فى ذلك :

فدى لبنى عدي ركن ساق وما جمعت من نعم مراح
تركنا من نساء بنى عُقيل أياى بقتنى عقد النكاح
أرعيان الشوى وجدتمونا أم أصحاب الكريهة والرماح^(٢)
لقد علمت هوازن أن خيلى غداة النعم صادقة الصباح^(٣)
عليها كل أروع هيزرى شديد حده شاكى السلاح^(٤)
نكرت عليهم حتى التقونا بمعقول هوارضها صباح^(٥)

(١) أسدام : متبصرة . وبه فى الأغاني ثلاث آيات .

(٢) الشوى : جمع شاة . وفى الأغاني : الكريهة والنكاح .

(٣) النعم هنا موضع بيته . وصادقه الصباح أى صادقة النارة فى الصباح .

(٤) الهيزرى : القمام . وفى المختار : شديد حيد .

(٥) التقان : لثية . وفى الأغاني : التقينا .

فَأَبْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَا
وَأَمَقْنَا ابْنَ الْبَكْرِىِّ عَمْرُو
وَبِالْبَيْضِ الْخَرَائِدِ وَالْقَاحِ
وَقَدْ خُضْنَا عَلَيْهَا بِالْقِدَاحِ (١)

وأدرك الحصين الإسلامَ وأسلم ، وبذل على ذلك قوله :

وَقَافِيَةٌ غَيْرُ إِنْسِيَّةٍ
شُرُودٍ تَلَمَّعُ بِالْخَافِقِينَ
قَرَضْتُ مِنَ الشَّعْرِ أَمْثَالَهَا
إِذَا أَثْنَدْتُ قِيلَ مِنْ قَالَهَا
وَحَيْرَانٌ لَا يَهْتَدِي بِالنَّهَارِ
مِنْ الظُّلَمِ يَتَّبِعُ ضَلَالَهَا
وَدَاعٍ دَعَا دَعْوَةَ الْمُسْتَغِيثِ
وَكُنْتُ كَمَنْ كَانَ لِسَى لَهَا
إِذَا الْمَوْتُ كَانَ شَجَى بِالْخُلُوقِ
وَبَادَرْتُ النَّفْسَ أَشْنَالَهَا
صَبْرْتُ وَلَمْ أَكُ رَعِيدَةً
وَالْمَصْبُورُ فِي الرَّوْعِ أَتَجَى لَهَا
وَيَوْمَ تَسْمَرُ فِيهِ الْحُرُوبُ
لَبَسْتُ إِلَى الرَّوْعِ سِرْبَالَهَا
مُضْمَغَةً السَّرْدِ عَادِيَّةً
وَعَضْبَ الْمَضَارِبِ مِفْصَالَهَا
وَمُطَرِدًا مِنْ رُدَيْنِيَّةٍ
أُذُودُ عَنْ الرِّوْدِ أَبْطَالَهَا
فَلَمْ يَبْقَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا التَّقَى
وَنَفْسٌ تُنَالِجُ آجَالَهَا
أُمُورٌ مِنْ أَفْهٍ فَوْقَ السَّمَاءِ
مَقَادِيرُ تَنْزِلُ أَتْرَالَهَا (٢)
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ الْخُزْيَا
تِ يَوْمَ تَرَى النَّفْسَ أَعْمَالَهَا
وَخَفَّ الْمَوَازِينُ بِالْكَافِرِينَ
وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا
وَنَادَى مُنَادٍ بِأَهْلِ الْقُبُورِ
فَهَبُوا لِيُتَبَرِّزَ أَتْقَالَهَا
وَسُمِّرَتِ النَّارُ فِيهَا الْمَذَابُ
وَكُنَ السَّلَاسِلُ أَعْلَالَهَا

(١) في الأغاني : ابنة الصمري عمرو .

(٢) في ك : تنزل أدلالها .

قال أبو عبيدة : مات الحصين بن الحُمام المُرِّي في بعض أسفاره ، فسُمع صارخٌ في بلاد بني مُرة في الليل يصرخ ولا يُعرف :

ألا هلك الخلو الخلالُ الخلالُ ومسن عقده حزمٌ وعزمٌ ونائلُ
ومن خطبه فصلٌ إذا القومُ أفضحوا يُصيب مرادى قوله من يُحاولُ
المرادى جمع مرداة وهي صخرة تُردى بها الصخور أى تُكسر. والخلو : الجميل.
والخلالُ : الذى ليس عليه فى ماله عيب^(١). والخلال : الشريف الماقل .

فلما سمع أخوه مُعينة بن الحُمام قال : هلك والله الحصين . ثم قال يرثيه :

إذا لافيتَ جَمْعاً أو فِئاماً فإنى لا أرى كَأبى يزيداً
أشدَّ مهابةً وأعزَّ رُكناً وأصلبَ ساعة الضراءِ عوداً
صِفِّى وابنُ أُمِّى والواسى إذا ما النفس شارفت الوريدا
كأنَّ مُصدِّراً يُحبُّ ورأى إلى أشباله يبنى الأسودا
المُصدِّر : العظيم الصدر ، شبه أخاه بالأسد .

(١) فى الأغاني : فى ماله عيب .

الحكم بن قنبر المازني^(١)

هو الحكم بن محمد بن قنبر المازني مازن بن عمرو بن تميم ، بصري شاعر
ظريف من شعراء بني العباس^(٢) ، كان يهاجى مسلم بن الوليد الأنصاري مدة ،
وغلبه مسلم ، وكان لما هاجاه أمسك عنه مسلم بعد أن بسط لسانه ، فجاء إلى مسلم
ابن عم له فقال : أيها الرجل إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر ،
وقد بثت عليك لسانه ثم أمسكت عنه ، فلما أن قارعته^(٣) أو سالمته . فقال
له مسلم : إن لنا شيخاً ولنا مسجد يتعبد فيه ، وبين ذلك دعوات ندعو بها ، ونحن
نسأله أن يحمل بعض دعواته في كفايتنا إياه ، فأطرق الرجل ساعة ثم قال :
غلب ابن قنبر والثلث مغلّب لا اتقيت هجاء بدعاء
ما زال يقذف بالهجاء ولذّعه حتى اتقوه بدعوة الآباء
فقال له مسلم : والله ما كان ابن قنبر ليبلغ مني هذا ، فأمسك مني لسانك وتعرف
خبره بعد . فبث الرجل عليه من لسان مسلم ما أسكته .

قال محمد بن عبد الله المذري : رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد
الرصافة في يوم جمعة ، وكل واحد منهما يلازم صاحبه يتهاجيان ، فبدأ مسلم فأنشد
قصيدته :

أنا النار في أحجارها مستكنة فإن كنت بمن يقدح النار فاقدح

(١) الأغاني : دار الكتب ١٤ / ١٦٢ وانظر ١٦١ ودار الثقافة ١٤ / ١٥٣ وانظر
١٥٢ ويولان ١٣ / ٨ والساسي ١٣ / ٨ والتجريد . ١٥٦ .
(٢) في الأغاني : من شعراء الدولة العباسية .
(٣) في الأغاني : فادعته .

وَأُنْشِدَ ابْنُ قَبْرِ بَعْدَهُ :

قَدْ كُنْتُ قَهْوَى وَمَا قَوْمِي مُؤْتَرَةً فَكَيْفَ ظَنَنْتُ بِي وَالْقَوْمُ فِي الْوَتَرِ
فَوَثَبَ مُسْلِمٌ وَتَوَاحَدَا^(١) حَتَّى حَجَزَ بَيْنَهُمَا النَّاسُ فَتَفَرَّقَا ، فَقَالَ رَجُلٌ لِمُسْلِمٍ :
وَيَحْكُ أَمْجَزَتْ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ حَتَّى وَاثَبْتَهُ ؟ قَالَ : وَإِنِّي وَإِيَاهُ لَكَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
* هَيْثَا مَرِيثًا أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَبْصَرُ *

وَكَانَ ابْنُ قَبْرِ مُسْتَعْمِلًا عَلَيْهِ مُدَّةً ، ثُمَّ غَلِبَهُ مُسْلِمٌ ، فَنِ مَنَاقِضَاتُهُمَا قَوْلُ
ابْنِ قَبْرِ :

كَيْفَ أَهْوَاكَ يَا لَتَيْمُ بِشَمْرَى أَنْتَ عِنْدِي فَاعْلَمْ هِجَاؤُ هِجَاؤِي
يَا دَرْعِي الْأَنْصَارِ بَلْ عَبَدَهَا النَّدَى لَ تَمَرَّضْتَ لِي لِذَرْكِ الشَّقَاءِ
قَالَ ابْنُ قَبْرِ : لَقِينِي جَوَارِي مِنْ جَوَارِي آلِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ فِي الطَّرِيقِ بَيْنَ الْمَرْبَدِ
وَبَيْنَ قَصْرِ أَوْسٍ ، فَقُلْتُ لِي : أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ :

وَبَلَى عَلَى مَنْ أَطَارَ النَّوْمَ فَامْتَنَبَا وَزَادَ قَلْبِي عَلَى أَوْجَاعِهِ وَجَاعَا
ظَلْمِي أَغْرُهُ تَرَى فِي وَجْهِهِ سُرُجًا تُمْشِي الْعُيُونُ إِذَا مَا نُورُهُ سَطَعَا
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ مِنْ أَتَوَابِهِ بَزَغَتْ حُسْنًا أَوْ الْبَدْرُ فِي أَزْوَارِهِ طَلَعَا
فَقَدْ نَسِيتُ الْكَرَى مِنْ طَوْلِ مَا هَطَلْتُ

مَتَى الْجَفُونُ وَطَارَتْ مُهَجَّتِي قِطْمَا
فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقُلْتُ : أَمَعَ هَذَا الْوَجْهَ السَّمِجُ تَقُولُ هَذَا ؟ ثُمَّ جَمَلَنَ يَلْقَوْنَ مَيَّ
وَيَجْذِبْنِي حَتَّى أَخْرِجَنِي مِنْ ثِيَابِي وَرَجَمْتُ عَارِيًّا إِلَى مَنْزَلِي . وَكَانَ حَسَنَ الْبَلَّاسِ .

(١) كَذَا فِي الْخِتَارِ وَأَصُولُ الْأَغَانِي . وَصَحَّحْتُ فِي الْأَغَانِي : وَتَوَاحَدَا أَيُّ تَطَاعُنَا طَعُنَا غَيْرَ
تَالِفٍ . هَذَا ، وَتَوَاحَدَا يُرَادُ بِهَا أَخَذَ كُلُّ مَنِهَا بِالْآخِرِ « مَسْهَلَةُ الْهَبْزَةِ » .

دخل الحكمُ بنُ قنبر على صديقٍ له فبشَّ به ورفع مجلسه وقال : أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك . فأنشده :

وَحَقُّ الَّذِي فِي الْقَلْبِ مِنْكَ فَإِنَّهُ عَظِيمٌ لَقَدْ حَصَّنْتُ سِرَّكَ فِي صَدْرِي
وَلَكِنَّمَا أَفْشَاهُ دُمِّي وَرُبَّمَا أَتَى الْمَرْءَ مَا يَخْشَاهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي
فَهَبْ لِي ذُنُوبَ الدَّمْعِ إِنِّي أَظَنَّهُ بِمَا مِنْهُ يَبْدُو إِنَّمَا يَبْتَنِي ضُرِّي
وَلَوْ يَبْتَنِي نَفْسِي خَلَّى ضِمَامِي يَرُدُّ عَلَى أَسْرَارِ مَكْنُونِهَا سِرِّي

قال محمد بن سلام : أنشدني ابن قنبر لنفسه :

صَرَمَتْنِي ثُمَّ لَا كَلَمَتْنِي أَبَدًا إِنْ كُنْتُ خَنْتُكَ فِي حَالٍ مِنَ الْحَالِ
وَلَا اجْتَرَمْتُ الَّذِي فِيهِ خِيَاثُكُمْ وَلَا جَرَتْ خَطَرَةٌ مِنْهَا عَلَى بَالِي

قال : فقلت له وأنا أضحك : لقد بالنت في البين . فقال : هي عندي كذلك ، وإن لم تكن عندك كما هي عندي .

شكا المباس بن محمد إلى الرشيد أن ربيعة الرقيَّ هجاه ، فقال له : سمعتُ ما كان مدحك به ، وعرفت ثوابك إياه ، وما قاله في ذلك ، ولم أجده ظلمك فيه ، والله در ابن قنبر حيث يقول :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
وَتَمَامُ الْأَيَّاتِ مِنْ أَوْلَاهَا :

إِنْ كُنْتُ لَا تَرْهَبُ ذَمِّي لَأَ تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِي عَنِ الْجَاهِلِ
فَاحْضَنُ سُكُوتِي فَطِنًا مُنْعِمًا فَيْكَ لِتُحْسِنَ خَنَا الْقَائِلِ
مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مُنْتَحِرِ سَائِلِ

ثم قال له الرشيد : وقد اشتريتُ عِرْضَكَ مِنْهُ ، وأمرته بألا يعود إلى ذمك تعريضا ولا نصريحا أخذه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

فَإِنِ أَنَا لَمْ أَمْرُ وَلَمْ أَنُكِرْ سَكَتُ لَهُ حَتَّى يَلِجَ وَيَسْتَشْرِى

أطعم رجل من ولد عبد الله بن كُرَيْز صديقاً له صَيِّمَةً . فمَكَثَتْ في يده مدة ، ثم مات الكُرَيْزِي ، فطالب ابنُه الرجلَ بالصَّيِّمَةِ ، فثَمَنَهُ بِإِهَا ، فاختصمَ إلى عبِيدِ اللَّهِ ابنِ الحُسَيْنِ ، فقال له ^(١) : أَلَا تَسْتَجِيي ! تَطَالِبُ بِشَيْءٍ إِنْ كُنْتَ فِيهِ كَاذِبًا أَمَتٌ وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا فَإِنَّمَا تَرِيدُ أَنْ تَنْقُضَ مَكْرَمَةَ لِأَمِيكَ . فقال له ابنُ الكُرَيْزِي - وَكَانَ سَاقِطًا - : الشَّحِيحُ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْذَرُ ^(٢) مِنَ الظَّالِمِ . فقال : هَذَا الْجَوَابُ وَاللَّهُ أَحَبُّ ^(٣) مِنَ الْخُصُومَةِ ، وَبِحُكِّ ، وَهَذَا مَوْضِعُ هَذَا الْقَوْلِ ؟ اللَّهُمَّ ارْجُدْ عَلَى قُرَيْشٍ أخطَارَهَا ^(٤) . ثم أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : اللَّهُ دَرُّ الْحَكَمِ بْنِ قَنْبَرٍ حَيْثُ يَقُولُ :

إِذَا الْقُرَشِيُّ لَمْ يُشَبِّهِهُ قُرَيْشًا بِفَعْلِهِمُ الَّذِي بَدَّ الْعَمَالَا
فَجَرَّيْتُ لَهُ خُلُقٌ جَمِيلٌ لَدَى الْأَقْوَامِ أَحْسَنُ مِنْهُ حَالَا

مَرَضَ ابْنُ قَنْبَرٍ ، فَأَتَوْهُ بِخَصِيْبِ الطَّيِّبِ يَمَاجِلُهُ ، فَقَالَ فِيهِ :

وَلَقَدْ قُلْتُ لِأَهْلِي إِذَا أَتَوْنِي بِخَصِيْبِ
لَيْسَ وَاللَّهِ خَصِيْبٌ بِالَّذِي فِي طَيِّبِ
إِنَّمَا يَعْرِفُ دَأَى مَنْ بِهِ مِثْلُ الَّذِي فِي

وَكَانَ خَصِيْبٌ عَالِمًا بِمَرَضِهِ ، فَنَظَرَ إِلَى مَائِهِ فَقَالَ : زَعَمَ جَالِينُوسُ أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْعِلَّةِ إِذَا صَارَ مَأْوُهُ هَكَذَا لَمْ يَمِشْ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ جَالِينُوسُ رُبَّمَا أَخْطَأَ ، فَقَالَ : مَا كُنْتُ إِلَى خَطِّهِ أَحْوَجَ مِنِّي إِلَيْهِ فِي هَذَا الْوَقْتِ . وَمَاتَ ابْنُ قَنْبَرٍ فِي عِلَّتِهِ تِلْكَ .

(١) فِي الْأَغَانِي : فَقِيلَ لَهُ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : أَعْظَمُ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : أَحْزَرَ مِنَ الْخُصُومَةِ .

(٤) أخطَارَهَا : أَمْدَارَهَا .

حمادُ عَجْرَدُ^(١)

هو حمادُ بنُ يحيى بن عمرو بن كليب ، وكنيته أبو عمرو ، مولى بنى عامر ابن صمصمة . وقيل : مولى بنى سَوَّار^(٢) . وقيل : مولى بنى عُقَيْل ، أصله ومنشؤه بالكوفة ، كان يَبْرِي النِّبْل . وقيل : بل كان أبوه نَبَّالاً ولم يحسب هو بنير الشعر ، وكان حماد من غرضى الدولتين الأموية والعباسية ، وكان نزل واسطاً ، إلا أنه لم يشتهر في أيام بنى أمية شُهرته في أيام بنى العباس ، وكان خليفاً ماجناً مُتَعَمِّماً في دينه ، مَرِيئاً بالزندقة .

كان يحيى بن عمرو أبو حماد مَوَالِيً لهند بنت أسماء بن خارجة ، وكان وكيلها في ضيعتها بالسواد ، فولدت هندُ من بِشْرِ بن مروان عبد الملك بن بِشْرِ بنجر عبد الملك ولاء مَوَالِي أُمِّه فصاروا مواليه .

ولما كان والد حماد عَجْرَد بالسواد في ضيعتها نَبَطَه بشار لما جاءه فقال :

وَاسْدُدْ يَدِيكَ بِحَمَادِ أَبِي عُمَرَ فَإِنَّهُ نَبِطِيٌّ مِنْ زَنَائِرِ^(٣)
وَلَقَبَهُ بِعَجْرَدٍ عَمْرُو بْنُ سِنْدَى مَوْلَى ثَقِيفٍ لِقَوْلِهِ فِيهِ :

سَبَحْتُ بِفَلَةٍ رَكِبْتُ عَلَيْهَا عَجَباً مِنْكَ خَيْبَةَ الْمَسِيرِ
زَعَمْتُ أَنَّهُمَا تَرَاهُ كَبِيرَا حَمَلَهَا عَجْرَدُ الزُّنَا وَالْفُجُورِ
إِنْ دَهَرَا رَكِبْتُ فِيهِ عَلَى بَنَدٍ لَهُ وَأَوْقَعَتْهُ بِيَابِ الْأَمِيرِ
لَجْدِيرٍ إِلَّا نَرَى فِيهِ خَيْرًا لَصْفِيرٍ مَنَا وَلَا لِكَبِيرِ

(١) الأغاني : دُر الكتب ٣٢١/١٤ وانظر ص ٣٢٠ ودانٍ الثقافة ٣٠٤/١٤ وانظر ص

٣٠٣ وبولاق ٧٢/١٣ والسلي ٧٠/١٨ والتجريد ١٥٩٦ .

(٢) في الأغاني : بنى سِراة . هذا وفي هامش ك رواية عن نسخة أخرى : سِوادة .

(٣) نبطه : نسبة إلى النبط وفي المختار وبعض أصول الأغاني : « من دنائير » والتصويب من أصول آخر للأغاني . وزناير : أرض باليمن . على أن دنائير تحتمل أنه يريد بذلك أنه أصفر اللون .

ما مروا بِنَقِيْمِكَ يا عَقْدَةَ الْكَذِّ . بِي لِأَمْرَارِهِ بِجَدِّ بَصِيرِ
لا ولا جَلْسُ أَجْنَسِكَ لِلـ ذَاتِ يَاعْجَرَدَ الْخَنَاءِ بِسَيْرِ

يعنى بهذا القول محمد بن أبي العباس السفاح ، وكان عَجَرَد من ندمائه . فبلغ هذا
الشعر أبا العباس جعفرأ فقال لمحمد : مالى ولمَجَرَدٍ يدخل عليك ؟ لا يبلُغنى أنك
أذنت له .

وعَجَرَد مأخوذ من الْمُجَرَد^(١) وهو الرُّيَان . يقال : تمَجَرَد الرجلُ إذا تعرَّى
فهو يَتَمَجَرَدُ تَمَجُّرُداً . والمَجَرَدُ الذَّهَبُ .

وكان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم السَّجَّادُونَ حمادُ عَجَرَدٌ وحمادُ الرواية وحماد
ابن الزُّبَيْرِ قَان يَتَنَادِمُونَ ، كلُّهم يُرى بالزُّنْدَقَةِ ، وأشهرهم حمادُ عَجَرَد .

وكان سبب تسميته بمَجَرَدٍ أن أعرابيا لقيه في يوم شديد البرد وهو يلعب
مع الصبيان عُريانا ، فقال له : تمَجَرَدْتَ يا غلام ، فسمَّى عَجَرَدَاً .

وكان بين حمادٍ وبشارٍ مهادنة . وذلك أن حمادا كان ندبا للنافع بن عقبة ، فسأله
بشار أن يقضى له حاجة من نافع فأبطأ عنه ، فقال فيه بشار :

مواعيدُ حمادٍ سَمَاءٌ مُخِيلَةٌ تَكْشِفُ عَنْ وَعْدِهِ وَلَكِنْ سَتَبْرِقُ
إذا جثته يوما أحال على غدٍ كما وَعَدَ الْكَمُومُونَ مَنْ لَيْسَ يَصْدُقُ
وفى نافع عني جفلا وإننى لأُطْرِقُ أَحْيَانًا وَذُو اللَّبِّ يُطْرِقُ
وللنقرى^(٢) قوم فلو كنت منهم دُعِيتَ وَلَكِنْ دُونِي الْبَابُ مُنْقَلِقُ
أبا عَمْرٍ خَلَفْتَ خَلْفَكَ حَاجَتِي وَحَاجَةٌ غَيْرِي بَيْنَ عَيْنَيْكَ تَبْرِقُ
وما زلت أَسْتَأْنِيكَ حَتَّى حَصَرَ تَنِي بِوَعْدِهِ كَجَارِي الْأَلِّ يَخْشَى وَيَخْفِقُ
فغضب حماد وأشد نافعا الشَّعْرَ ، فثمنه من صلة بشار .

(١) في المختار: « من التمجرد » لكن شرحه بأنه هو الريان يؤيد المعجزة كما جاء في الأغاني .
(٢) النقرى : الدعوة الخاصة .

وأجمع العلماء بالبصرة على أن ليس في هجاء حماد لبشار شيء جيد سوى أربعين بيتاً ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد ، وكل واحد منهما هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكنا مجتمعين فسقط حمادُ معجراً وانتهك بفضل بلاغة بشارٍ وجودة معانيه ، وبقي بشار على حاله لم يسقط ، وعُرف مذهبُه في الزندقة قُتِلَ به .

قال أبو نواس : كنت أنوم أن حمادَ معجراً إنما رُمِيَ بالزندقة لجهونه في شعره حتى حُبِسْتُ في حبس الزنادقة ، فإذا حمادُ إمام من أئمتهم ، وإذا له شعر يقرءونه في صلاتهم .

وكان له صاحب يقال له حُرَيْث على مذهبِه ، ولما مات عزاهُ بشار ، وفيه يقول ونسبه إلى أنه ابنُ نُهَيْثٍ :

يا ابنَ نُهَيْثٍ رَأْسِي عَلَى ثَقِيلٍ واحْتِمَالُ الرُّأْسَيْنِ خَطْبٌ جَلِيلٌ
ادْعُ غَيْرِي إِلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ — نِ فَاِنِّي بَوَّاحِدٍ مَشْغُولٌ^(١)
يا ابنَ نُهَيْثٍ بَرِّتْ مِنْكَ إِلَى اللَّهِ بِ تَعَالَى وَذَاكَ مِنِّي قَلِيلٌ^(٢)

فأشاع حمادُ لبشارٍ هذه الأبيات في الناس ، وجعل مكان « فَاِنِّي بَوَّاحِدٍ مَشْغُولٌ » « فَاِنِّي عَن وَاحِدٍ مَشْغُولٌ » ليصحَّحَ عليه الزندقة والكفر ، فإزالت الأبيات تدور بين الناس حتى انتهت إلى بشار ، فاضطرب منها وجزع وقال : أشاط^(٣) ابنُ الزانية ذى ، والله ما قلت إلا « إِنِّي بَوَّاحِدٍ مَشْغُولٌ » فتغيرها حتى شهرني بما يهلكنى . قيل لعبد الله بن ياسين : إن بشاراً الرُعْثَ هجا حماداً ونَبَطَه . فقال عبد الله :

(١) في الأغاني : إلى عبادة الاثنين .

(٢) في الأغاني : منك إلى الله جهاراً وذاك .

(٣) أشاط دمه : عمل في هلاكه .

قد رأيت جَدَّ حمادٍ كان يسمى كَلْبِيَا ، وكانت صناعته لا يكون فيها نَبْطِي ، كان يَبْرِي النَّبْلَ وَيَرِيثُهَا ويقال له كَلِيبُ النَّبَالِ مولى بنى هاجر بن مصصمة .

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين بشار وحماد على اتفاق منهما وِرْضَى بأن ينقل إلى كل واحد منهما وعنه الشعر ، فدخل يوما إلى بشار ، فقال : إيه يا فلان ، ما قال ابن الزانية في ؟ فأنشده :

أنت ابن بُرْدٍ مثلُ بُرْدٍ دِ في الرِّذَالَةِ والنَّدَالَةِ
مَنْ كانَ مثلَ أَيْبِكَ يا أحمى أبوه فلا أباً له

فقال : جَوْدُ ابن الزانية .

ولما أنشد بشار قول حماد :

دُعِيتُ إلى بُرْدٍ وأنت لنسیره فَهَبْكَ يُبْرِدُ نِكَتُ أُمِّكَ مَنْ بُرْدُ
فقال لراويته : أهاهنا أحد ؟ فقال : لا ، فقال : أحسن والله ابن الزانية ما شاء ، ولقد تَهَيَّأَ له في هذا البيت خمسة معانٍ من الهجاء ، قوله : « دعيت إلى برد » معنى ، وقوله : « وأنت لنسیره » معنى ، وقوله : « فَهَبْكَ لِبُرْدٍ » معنى ثالث ، وقوله : « نِكَتُ أُمِّكَ » شَتَمٌ مُفْرَدٌ ، واستخفافٌ مُجَدَّدٌ ، وهو معنى رابع ، وقوله : « مَنْ بُرْدٍ » معنى خامس . فأثى بالطلبة ، ولقد طَلَبَ جريرٌ في هجائه الفرزدقَ تكثير المعاني ونحا جريرٌ هذا النحو فلم يقدر على أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت ، وهو :

لما وَضَعْتُ على الفرزدقَ مِيسَى وَضَعًا يَبِيعُ جَدَعْتُ أَفْ أَلْأَخْطَلَ (١)
فلم يُدْرِكْ أكثر من هذا .

(١) اليمس : للكواة . وضعا : استخذي ، أو صاح وضع .

ولما قال حماد :

يا بْنَ نَهْيا رَأْسِي عَلَى ثَقِيلٍ واحْتِمَالُ الرَأْسَيْنِ خَطْبُ جَلِيلٍ
وَبَلَغَ بَشَاراً ، قال : والله ما أَبالِي بهذا من قوله ، وإنما يَنْيَطِي تَجَاهُلُهُ بِالزُّنْدَقَةِ ،
يُورِثُ النَّاسَ أَنَّهُ يَطْنُ الزُّنَادِقَةَ تَعْبُدُ رَأْساً لِيَطْنُ الْجَهْلَالُ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُهَا ، لَأَن هَذَا قَوْلُ
تَقُولُهُ الْعَامَّةُ لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، وَهُوَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِالزُّنْدَقَةِ مِنْ مَنِ .

وجاء البصريُّ الَّذِي كَانَ يَرَوِي لَهَا مَا يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ ، فقال له بشار :
إِيه يا فُلان ، ما قال ابنُ الزَّانِيَةِ ؟ فَأَنشَدَهُ :

إِنْ نَامَ بَشَارٌ عَلَيْكُمْ فَقَدْ امْكَنْتُ بَشَاراً مِنَ التَّيِّهِ

فقال بشار : بأيِّ شَيْءٍ وَبِحُكِّ ؟ فقال :

وَذَاكَ أَنْ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ خَلْقٌ يُسَمِّيهِ^(١)

فقال : سَخَّيْتُ عَيْنَهُ ، بأيِّ شَيْءٍ كُنْتُ أَعْرِفُ ؟ فقال :

فَصَارَ إِنْسَاناً يَذْكُرِي لَهُ مَا يَبْتَغِي مِنْ بَعْدِ ذِكْرِيهِ

فقال : ما صنعَ شَيْئاً ، إِيه وَبِحُكِّ ، فقال :

لَمْ أَهْجُ بَشَاراً وَلَكِنِّي هَجَوْتُ شِعْرِي بِهَجَائِيهِ

فقال : على هذا المَعْنَى دَارٌ ، وَحَوْلَهُ حَامٌ ، إِيه ، وماذا قالَ أَيْضاً ؟ فقال :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْإِلَهِ وَاللَّهُ بَرُّهُ

فقال : صدقَ ابنُ الزَّانِيَةِ ، فما يَكُونُ ؟ قال :

إِذَا مَا تُسَبُّ النَّاسُ فَلَا قَبْلَ وَلَا بَعْدُ

فقال : كَذَبَ ابنُ الْعَامِلَةِ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَصَابِيحَ مِنْ عُقِيلٍ^(٢) ؛ فقال :

(١) في الأُغْنَى : وَذَاكَ إِذْ سَمَّيْتُهُ . . وَلَمْ يَكُنْ حُرَ .

(٢) كَذَا في الْمُخْتَارِ . وَالْقَى في الأُغْنَى : فَأَيْنَ هَذِهِ الْعُرْصَاتُ مِنْ عُقِيلِ .

وَأَعْمَى قَلْطَبَانَ مَا^(١) عَلَى قَلْزِفِهِ حَدُّ

فقال : كذب ابنُ الفاعلة ، بل عليه ثمانون جلدة ، هيه ، فقال :

شبيه الوجه بالقرْدِ إذا ما عَمِيَ الْقِرْدُ

فبكى بشار ، فعيل له : أتبكي من هجائه ؟ فقال : والله ما أبكي من هجائه .
ولكن أبكي لأنه برأى فيصنفي ولا أراه فأصفه . ولما اتصل بشار هذا البيت :

ويا أقبج من قردٍ إذا ما عَمِيَ الْقِرْدُ

قال : لا إله إلا الله ، قد كنتُ والله أخاف أن يأتي به ، والله لقد خطر لي
من أكثر من عشرين سنة وخفت أن أهُجى به حتى وقع عليه النبطيُّ ابنُ الزانية .
أشاع بشارٌ في الناس أن حماد مجرد كان ينشد شعراً وبزائه رجل يقرأ القرآن
وقد اجتمع الناس عليه ، فقال حماد : على ماذا اجتمعوا ؟ فوالله إني أقول أحسن
بما يقول ، فكار بشار يقول : لما سمعت هذا منه مَقَّتُهُ عليه .

ولبشار بهجو حمادا :

مَا لُغْتُ حَمَادًا عَلَى فِسْقِهِ يَلُومُهُ الْجَاهِلُ وَالْمَانِقُ^(٢)

وَمَا هَا مِنْ أَيْرِهِ وَاسْتِهِ^(٣) مَلَّكَ إِيَّاهَا الْخَالِقُ

مَا بَاتَ إِلَّا فَاسِقٌ فَوْقَهُ^(٤) يَنْيِكُهُ أَوْ تَحْتَهُ فَاسِقُ

وبالغ بشار في هجاء حماد ، ولكن حكم الناس لحماذ عليه في هذه الأبيات :

لَوْ طُلِيتْ جِلْدَتُهُ عَنَبَرًا لَأَفْسَدَتْ جِلْدَتُهُ الْعَنَبَرَا

أَوْ طُلِيتْ مِسْكَ ذَكِيًّا إِذَا تَحَوَّلَ لِلْسُكِّ عَلَيْهِ خَرَا

(١) القلطان : الديوث والقي لا غيرة له .

(٢) المانق : الأحمق .

(٣) في ك : وما هم من في أيره واسته .

(٤) في الأغاني : ما بات إلا فوقه فاسق .

اتصل حمادُ مجرد بالربيع يُودِّب ولده ، فكتب إليه بشار :

يا أبا الفضل لا ننمَ وقع الذئبُ في النَمِّ
إن حمادَ مجردٍ إن رأى غفلةً هجمَ
بين فتخذه حربةٌ في غلافٍ من الأدمِ
إن خلا البيتُ ساعةً تجتمع الميمُ بالقلمِ

فقال : فلما قرأها الربيع قال : صيرني حمادَ دُرَيْتة للشعراء ، أخرجه عني ، فأخرج . وقيل إن حماداً دُعي لتأديب ولد العباس بن محمد الهاشمي ، وإن الأبيات إنما كتبها بشار إلى العباس بن محمد . ولما أخرج العباسُ حماداً وأقطع عنه ما كان يصل إليه أوجه ذلك فقال بهجو بشارا :

لقد صار بشارٌ بصيرا بدُّبره وناظره بين الأنامِ ضَرِيرُ
له مُغَلَّةٌ عِماءَ وأُسْتُ بصيرةٌ إلى الأُبر من تحت الثياب تُشِيرُ
على ودّه أنَّ الحجير تنيكه وأن جميع العالمين سَهِيرُ

وقد فعل مثل هذا بيمينه حمادُ مجرد بقطرُب ، فإن المهدي أخذ قطربا لبعض أولاده ، وكان حماد مجرد يطعم في أن يكون هو مُودِّبه ، فلم يتم له ذلك لتهتكه وشهرته بين الناس بما قاله بشار فيه ، فلما تمكن قطربُ في موضعه صار حمادُ كاللقي على الرضف^(١) فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس ، ثم أخذ رقعة فكتب فيها :

قلْ للأُميرِ جزاك الله سالحةً لاتجتمع الدهرُ بين السخلِ والذئبِ
السخلُ غرٌّ وهم الذئبُ غفلتهُ^(٢) والذئبُ يعلم مافي السخلِ من طيبِ

(١) الرضف : الحجارة المحماة .

(٢) في الأغاني : وهم الذئب فرسته .

فلما قرأها المهدى قال: انظروا لا يكون المؤدب لوطياً، ثم قال: انقوه عن الدار، فأخرج عنها ورجىء بمؤدب غيره، ووُكِّل به سبعون^(١) خادماً يتناوبون على حفظ الصبي^(٢)، وخرج قطرب هارباً بما شهره به حماد إلى عيسى بن إدريس المجلى ابن أبي دلف، فأقام معه بالكرك إلى أن مات.

كان مجاشع بن مسعدة أخو عمرو بن مسعدة هاجم حماد مجرد وهو صبي حينئذ ليرتفع بهجائه حماداً، فتركه حماد وشبَّ بأمه فقال:

راعتك أم مجاشع بالصدِّ بمدِّ صالها
واستبدلت بك والبلا * عليك في استبدالها
حنيئة من بربر مشهورة بمجالها
غرامها أشهى لنا ولها من استحلالها

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة، فبعث إلى حماد بصيلة، وسأله الصَّفَح عن أخيه ونال أخاه بكلِّ مكروه فقال له: تكلتكَ أمك، تمرض لحاد وهو يُناقضُ بشاراً، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك نخر، وإن تمرضتَ له ليهتكنتك وسائر أهالك وليفصحنا فضيحة لا نغسلها أبداً عنا.

كان أبو حنيفة رضى الله عنه صديقاً لحاد مجرد فنسك أبو حنيفة وطلب الفقه، فبلغ فيه ما بلغ، ورفض حماداً وبسط لسانه فيه، فجعل حماد يلاطفه ليكف عن ذكره، وأبو حنيفة يذكره، فكتب إليه حماد بهذه الأبيات:

إن كان نُسُكُك لا يَتِمُّ بنير شقوى وانقسامي
أو لم يكن إلا به ترجو النجاة من القصاص

(١) في الأغاني: تسعون.

(٢) في الأغاني: يحفظون الصبي.

فلطالما زَكَّيْتَنِي وَأَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْمَأْمِيِّ
أَيَّامَ تَأَخُّنِهَا وَتَعَدُّ طِيٍّ مِنْ أَبَارِقِ الرَّصَاصِ
فَأَمْسَكَ أَبُو حَنِيْفَةَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ ذِكْرِهِ خَوْفًا مِنْ لِسَانِهِ ، وَقِيلَ : إِنْ ذَلِكَ كَانَ
مَعَ بِيحِي بْنِ زِيَادٍ ، وَأَنَّهُ كَتَبَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَيْهِ وَزَادَ فِيهَا ^(١) :

هَلْ تَذْكُرُنْ دَلَجِي إِلَيْكَ عَلَى الْمُضْمَرَةِ الْقِلَاصِ ^(٢)
فَعَلَيْكَ فَاشْتُمُ آمِنًا كُلَّ الْأَمَانِ مِنَ الْقِصَاصِ
وَأَقْمُدْ وَقْمُ بِي مَا بَدَا لَكَ فِي الْأَدَانِ وَالْأَقَامِي
فلطالما زَكَّيْتَنِي وَأَنَا الْمُقِيمُ عَلَى الْمَأْمِيِّ
أَيَّامَ أَنْتَ إِذَا ذُكِرْتُ تُ مُنَاضِلٌ عَنِّي مُنَاصِي ^(٣)
وَأَنَا وَأَنْتَ عَلَى ارْتِكَابِ الْوَرَقَاتِ مِنَ الْحِرَاصِ
وَبِنَا مَوَاطِنُ مَا تَنَا فِي الْبِرِّ أَهْلَةُ الْعِرَاصِ

فَلَمَّا اتَّصَلَ الشَّعْرُ بِبِيحِي بْنِ زِيَادٍ نَسَبَ حَمَادًا إِلَى الزُّنْدَقَةِ ، وَرَمَاهُ بِالْخُرُوجِ
مِنَ الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ حَمَادٌ فِيهِ :

لَا مُؤْمِنَ يُعْرِفُ إِيْمَانَهُ وَلَيْسَ يَمْنَحِي بِالْفَقِي الْكَافِرِ
صَافِقَ ظَاهِرِهِ نَاسِكَ خَالَفَ الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ

قَالَ أَبُو بَقِيَّةٍ الْخُرَيْمِيُّ : كُنْتُ بِمَجْلِسٍ فِيهِ حَمَادٌ وَمَعْنَا غُلَامٌ أَمْرَدٌ فَوَضَعَ حَمَادِيْنَهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَنَامُ فِيهِ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ اخْتَلَفَتْ مَوَاضِعُ نَوْمِنَا ، فَغَمَتْ

(١) أَضَافَ إِلَيْهَا فِي الْأَغَانِي بَيِّنِينَ مِمَّا سَبَقَ وَالرَّابِعَ أَيْضًا مِنْهَا مَعَ تَفْصِيلٍ فِي رَوَايَتِهِ وَذَكَرَهُ ابْنُ
مَنْظُورٍ هُنَا تَائِيًا .

(٢) الدَّلَجُ : السَّيْرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَالْقِلَاصُ جَمْعُ الْقُلُوسِ وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ الثَّابِتَةُ أَوْ الْبَاقِيَةُ
عَلَى السَّيْرِ .

(٣) لِلنَّاصِي : الْمَجَازِبُ بِنَاصِيَةِ صَاحِبِهِ .

في موضع التلام . ودب حمادٌ إلى وطني التلام ، فلما أحسست به أخذت يده فوضعتها على عيني الموراء لأعلمه أني أبو يعقوب ، قال : فتر يده ومضى في شأنه وهو يقول « وفديناه بذبح عظيم »

وكان الوليد بن يزيد أمر شراعة أن يسمى له جماعة بنادمهم من ظرفاء أهل الكوفة ، فسمى له مطيع بن إلياس وحماد مجرد والميطي المني ، فكتب في إشخاصهم إليه ولم يزلوا من ندماؤه إلى أن قتل ، ثم عادوا إلى أوطانهم .

كان حُرَيْث بن الليث ^(١) الحنفي صديقا لحماة مجرد ، وكان يماثنه بالشعر ويميمه بالبخل وفيه يقول :

حُرَيْثُ أَبُو الصَّلْتِ ذُو خَيْرَةٍ ^(٢) بِمَا يُصْلِحُ الْمَعْدَةَ الْفَاسِدَةَ
تَخَوَّفَ تَخْضَعَةَ أَحْبَابِهِ فَمَوَدَّهمْ أَكْلَةً وَاحِدَةً

ضَرِبَ رجل في مجلس فيه حماد مجرد ومطيع بن إلياس ، فتجلد وضرب أخرى مُتَمَمِّدًا ، ثم تَلَّكَ لِيظُنُّوا أن ذلك كله تَمَمُّدًا ، فقال له حماد : حسبك يا أَخِي فلو ضربت النَّاسَ لَعَلِمَ أن الخَلِيفَ ^(٣) الأولُ مُفْلِتٌ .

نزل حماد مجرد على محمد بن طلحة ، فأبطلأ عليه بالطعام ، فاشتد جوعه فقال :

زُرْنَا امْرَأً فِي بَيْتِهِ مَرَّةً لَهُ حَيَاةٌ وَلَهُ خَيْرٌ
يَكْرَهُ أَنْ يُتَخِمَ أَضْيَافُهُ إِنْ أَدَّى التَّخْضَعَةَ مَحْذُورٌ
وَيَشْتَهِي أَنْ يُؤْجِرُوا عِنْدَهُ بِالصَّوْمِ وَالصَّائِمُ مَا جُورٌ

فلما سمعها محمد قال : عليك لمنه الله ، أي شيء هلك على هائي ، وإنما انتظرت

(١) في الأغاني : حُرَيْثُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ .

(٢) في الأغاني : حُرَيْثُ أَبُو النُّضَلِ .

(٣) المخطف : الكريه .

أن يُفرغ لك الطعام ، قال : الجوع وبحك حملني على القول ، ولو زِدْتُ في الإبطاء
زِدْتُ في القول ، فضى مبادرا وأحضر المائدة .

كان حماد مجرد يُماثر الأسود بن خلف ولا يكادان يفترقان ، فات الأسود قبله .

فقال برثيه :

قلت لِحَنَانِي دُلُوح	تَمَسَّحَ مِنْ مَتَّعٍ سَحُوح ^(١)
جَادَتْ عَلَيْنَا لَهَا رَبَّابٌ	بِوَاكِفٍ هَاطِلٍ نَضُوح ^(٢)
أُمِّي الضَّرِيحَ الَّذِي أُسْمِي	ثُمَّ اسْتَهْلَى عَلَى الضَّرِيحِ
عَلَى صَدَى أَسْوَدَ الْوَارِي	فِي اللَّحْدِ وَالتَّرْبِ وَالصَّنْبِ
فَاسْقِيهِ رِيًّا فَاصْبِحِيهِ	ثُمَّ اغْبِقِيهِ مَعَ الصَّبُوحِ ^(٣)
لَيْسَ مِنَ الْمَذَلِّ أَنْ تَشِحِّي	عَلَى أَمْرِي لَيْسَ بِالْشَّحِصِ

أنشد مصعب^(٤) لحامد مجرد يهجو أبا عوْنٍ مولى جَوْهَرَ ، وكان يُقَيِّنُ عليها ،
وكان حماد مجرد يميل إليها فإذا جاءهم قَتْلٌ ولم يمكن أحداً من أسدائها أن يخلو بها ،
فيضر ذلك بأبي عون ، فجاءه يوماً وعنده أسدقاء لجاريته ، فحجبه ، فقال فيه :
إِنْ أَبَا عَوْنٍ وَلَا يَرَعَوِي مَا رَقَصَتْ رَمَضَاؤُهَا جُنْدُبَا

(١) سحابة حنّانة : لها حنين أي صوت يشبه صوت حنين الإبل . دلوح : كثيرة اللاه . والتعب :
المجرى والمسيل . والسحوح من سح المطر سال وسحابة سحوح صباة المطر .
وفي الأغاني : تسح من وابل سفوح .

(٢) الرباب : السحاب الأبيض أو السحاب الذي تراه دون السحاب الأعلى جمع ربابة . أو هي
السحابة التي قد ركب بعضها بعضاً .

(٣) في الأغاني :

فاسقيه ريا وأوطنيه	ثم اغتدى نحوه وروحي
اغدى ببقاي فاصبحيه	ثم اغبقيه مع الصبوح

(٤) مطلع هذا التمس غير واضح في مصورة كـ وأثبتته من الأغاني وباقية من نسخة كـ .

ليس يرى كسباً إذا لم يكن من كسب شفرى جوهر طيباً
فسلط الله على ما حوى مثرها الأفعى أو العقربا
ينسب في الكشخ ولا يشتهي بنير ذاك الاسم أن ينسبا
فقال فيه أيضا :

تفرح إن نيكث وإن لم تُنكث بت حزين القلب مستعمرًا
أسكرك القوم فساھلهم وكنت سهلاً قبل أن تسكرا
وفى جوهر هذه يقول حماد :

إني أحبك فاعلمى إن لم تكونى تعلمينا
حباً أقل فليله كجميع حب العالمينا

لم يزل يشار بهجو حماداً ولا يرفث في هجائه حتى قال حماد فيه :

من كان مثل أهلك يا أمى أبوه فلا أبالة
أنت ابن بُرد مثل بُر في الندالة والذالة
أدنتك من جحر أستها في الحش خائرة فزاله^(١)
من حيث يخرج جمر مُد يئنة مدنة مدالة^(٢)
أمى كست عينيه من وذح استها وكست قدالة^(٣)
خنزيرة بظراء مُد يئنة البداة والملالة^(٤)

(١) الحش : موضع قضاء الحاجة . وفى الأغاني : زحرتك من ججراستها .

(٢) الجعر : ما ييس من القدرة فى الفجر . والملالة : الأمة .

(٣) الودح : ما تعلق بأصواف النعم من البعر .

(٤) البداة : أول جرى الفرس . والملالة : الجرى الذى يكون بعد البداة : أى منئنة فى أولها

وآخرها .

وَسَمَاءَ خَضْرَاءَ النَّفَا بِنِ وَيْحَهَا رِيحَ الْإِهَالَةِ^(١)
عَذْرَاءَ حُبْلَى يَا لَقَوَى لِلْمَجَانَةِ وَالضَّلَالَةِ^(٢)
مَرْقَتْ وَصَارَتْ فَحْبَةً بِجِمَالَةٍ وَبِلَا جِمَالَةٍ
وَلَقَدْ أَقْلُتُكَ يَا ابْنَ بُرٍّ فَاجْتَرَأَتْ فَلَا إِقَالَةَ

فلما بلغت هذه الأبياتُ بشارا أطرق طويلا ثم قال : جزى الله ابنَ نهيا خيرا .
ف قيل له : علامَ تُعْجِزُه خيرا ؟ أعلَى ما تسمع ؟ قال : نعم ، والله لقد كنتُ أردتُ
على شيطاني أشياء من هجائه إبقاء على الروعة ، ولقد أطلق من لساني ما كان مُقَيِّدا
عنه ، وأهدفتني عورةٌ مُمكنة منه . فلم يزل بعد ذلك يذكر أمَّ حماد في هجائه ويدكر
أباه أفصح ذكر حتى ماتت أمُّ حماد ، فقال فيها مخاطب جارا لحامد :

أَبَا حَاتِمٍ إِنْ كُنْتَ تَرْنَى فَأَسْعِدِ^(٣) وَبِكَ حِرًّا وَلَتْ بِهِ أُمُّ تَجَرَّدِ
حِرًّا كَانَ لِلْمَرْأَبِ سَهْلًا وَلَمْ يَكُنْ أَيْبًا عَلَى ذِي الزُّوجَةِ الْمُتَوَدَّدِ
أُصِيبَ زُنَاةُ الْقَوْمِ لَمَّا تَوَجَّهَتْ بِهِ أُمُّ حَمَادٍ إِلَى الْمَضْجَعِ الرَّيِّ
لَقَدْ كَانَ لِلْأَدْنَى وَلِلْجَارِ وَالْمِدَا وَلِلْقَاعِدِ الْمُتَلِّ وَالْمُتَرَدَّدِ^(٤)

كان حَفْصُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ^(٥) صديقا لحامد ، وكان مرميا بالزندقة ، وكان أعشى
قبيح الوجه ، فاجتمعا يوما على شراب وتناشدا ، فطمن حفصُ على مُرْقَشٍ ولجَّنه
وعاب شعره ، فقال حماد :

(١) الثابن: الإبطو ماحول الفرج. والإهالة: الشمع والزيت. وفي الأغاني: رساء خضراء الثابن.
(٢) في المختار: « للسخافة والضلالة » والتصويب من الأغاني .
(٣) في الأغاني: أبا حامد إن كنت ترنى .
(٤) في بعض أصول الأغاني: وللقاعد المتر والمتريد .
(٥) في الأغاني: حفص بن أبي وزة .

لقد كان في عَيْنَيْكَ يا حُصُّ شاعِلٌ وأنف كَثِيلِ العودِ عَمَّا تَلَبَّعُ^(١)
تَتَّبِعُ لَحْنًا في كلامٍ مُرَقَّشٍ ووجهك مَبْسِيٌّ على اللحنِ أجمعُ
فأَذُنَاكَ إقواءٌ وأنفُكَ مُكْفَأٌ وعَيْنَاكَ إبطاءُ فأنت المُرَقَّعُ^(٢)

أهدى مطيع بن إلياس إلى حماد غلاما ، وكتب إليه : قد بعثت إليك بفلان
يعلم عليه كظم الغيظ .

مرض حمادُ مجرَّد فلم يمهده مطيع بن إلياس ، فكتب إليه :
كفأك عيادتي مَنْ كان يرجو ثواب الله في سِلَّةِ المريضِ
فإن تُحدِثْ لك الأيامُ سُعْمًا يحول جَرِيضُهُ دون القَرِيضِ^(٣)
يكنُ طُولُ التأوُّه منك عندي بمنزلةِ الطنَّينِ من البَعُوضِ

حضر حمادُ مجرَّد ومطيعُ بن إلياس مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة
لأبي العباس ، فهازحا ، فقال حماد :

يا مُطِيعُ يا مُطِيعُ أنت إنسان رَقِيعُ
ومن الخيرِ يَطِيءُ وإلى الشرِّ سَريعُ

فقال مطيع :

إن حماداً لثيمٌ سِفْلَةُ الأَصْلِ عَدِيمُ
لا تراه الدهرُ إلَّا مِن بَيْنِ العَيْرِ يَهيمُ

فقال له حماد: ويحك أترميني بدائك؟ والله لولا كراهتي لَتَمَادَى الشرُّ ولجاج

(١) الثيل : القضيبي . والعود : الجبل المسن .

(٢) الإقواء : اختلاف حركة الروى . والإكفاء : المخالفة بين القوافي . والإبطاء : إعادة كلمة

الروى لفظا ومعنى . وكلها من عيوب الشعر .

(٣) المريض من قولهم جرس بريقه : اجتله على ثم وحزن بجهد ومشقة .

المهجع لقلتُ لك قولاً بَيَّنِّي ولكي لا أُنسَدَ مودَّتَكَ ولا أكَفُتَكَ إلا بالمديح ،
ثم قال :

كلُّ شَيْءٍ فَقْدًا	لمطيع بن إياس
رجُلٌ مُسْتَمَلَحٌ فِي	كلِّ لَيْلٍ وَشَعْسٍ ^(١)
عِدْلٍ رُوْحِي بِنِ جَنَدٍ	سَيِّ وَعَيْنِي وَرَأْسِي ^(٢)
غَرَسَ اللَّهُ لَهُ فِي	كَيْدِي أَحْلَى غِرَاسِي
لَسْتُ دَهْرِي لِمَطِيعٍ	بِنِ إِيَّاسٍ قَطُّ نَهَاسِي
ذَاكَ إِنْسَانٌ لَهُ فَضْلٌ	لَوْ عَلَى كُلِّ أَنْسَانٍ
فَإِذَا مَا الْكَاسُ دَارَتْ	وَاحْتَسَاهَا مِنْ أَحْلَى
كَانَ ذِي كِرَانَا مَطِيعًا	عِنْدَهَا رِيحَانٌ كَاسِي

كان عيسى بن عمر^(٣) بن يزيد صديقاً لحساد عجرد ، وكان يواصله أيام خدمته

للربيع ، فلما طرده الربيع واختلَّ حاله جفاه عيسى ، فقال حماد فيه :

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تَنْكُرُهُ	مَا دُمْتُ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِي
مُتَمَنِّعٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ	بَلْقَاكَ بِالترْحِيبِ وَالْبُشْرِي ^(٤)
فَإِذَا عَدَا وَالدهْرُ ذُو غَيْرِي	دَهْرٌ هَلِيكَ عَدَا مَعَ الدَّهْرِي
فَارْفُضْ بِإِجَالِ أَخْوَةٍ مَنْ	يَقْلِي الْقَيْلَ وَيَمُشِقُ السُّرْيَ
وَعَلَيْكَ مِنْ حَالَاءٍ وَاحِدَةٍ	فِي الْعُسْرِ إِمَّا كُنْتَ وَالْبُسْرِي
لَا تَخْلِطْنَهُمْ بِغَيْرِهِمْ	مَنْ يَخْلِطُ الْعَقِيَّانَ بِالْبُسْرِي

(١) الشماس : النفور .

(٢) في الأغاني : وعيني يرأسى .

(٣) في الأغاني : عمرو .

(٤) بعده في الأغاني بيت .

كان بالكوفة رجل من الأشاعنة يعرف بحُشيش، وكانت أمه حارثية، فمدحه حمادُ مجرّد فلم يثبته وتهاون به فقال يهجوه :

يا أقوى للبلاء ومَما رِيضُ الشقاء
قُسمتْ أُلويةٌ بينَ نِ رجالٍ ونساء
ظفرتْ أختُ بنى الحما رثَ منها بلواء
حادِثٌ في الأرضِ يَرْتَا عُ له أهلُ السماء

قال : ثم مرّضت أسماء العمال على المنصور ، فكان فيهم اسم حُشيش ، فقال : هذا الذى هجاه حماد ؟ قالوا : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : لو كان فى هذا خير ما تمرّض لهذا الشاعر ، فلم يستعمله . وقال حماد يخاطب سعيد بن الأسود ويُعاتبه على صحبته حُشيش :

صرتَ بمدى يا سعيدُ من أخلاء حُشيش
أتلو طُنْ أم استخفَ لَمَقْتَ بمدى أم لأيش^(١)
حَلَقِيْ إسنهُ أو سَعُ من إسنِ نَحشيش
ثم بَناءٌ على ذا أبلغُ الناسِ لِقَيش^(٢)
يا بَنى الأشعثِ ما عِفَ شَكُمَ هندی بِمَيش
حين لا يُوجد منكم غيرهُ قائِدُ جَيش

وكان نُحيشُ هذا رجلاً من أهل البصرة ، لم يكن بينه وبين حماد شيء ، فلما بلغه هذا الشعر قدم البصرة قاصداً إلى حماد ، وقال له : يا هذا ، ما بالى وبالك ؟

(١) الخلاق : صفة سوء فى الرجل وهى أن يكون مأبوتاً . وفى الأغاني : « أم استخلفت » وظاهر تحريفه .

(٢) القيش : رأس الذكر . وفى الأغاني : « أبلغ الناس » وظاهر تحريفه .

ما ذنبى إليك ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا نجيش ، أما وجدت أحدا أوسع ذبرا منى
تتمثل به ؟ قال : فضحك ثم قال : هذه بَلِيَّةٌ صَبَّهَا عَلَيْكَ الرَّدَى ، وأنت ظريف ،
وليس يجزى بمد هذا مثله ، فودَّعه وانصرف وقال : الله بينى وبينك فقد أبقيت على
سُبَّةٍ لا أعرف لها سَبِيًّا^(١) .

كان المهدي قد سأل أباه أن يُوكِّلَ يحيى بن زياد عملاً ، فلم يجبه وقال : هو خلیع
متخرق فى الفقه^(٢) ماجنٌ ، فقال : إنه تاب وأتاب ، وتضمنَ عنه ما يحب فولاه
بعض أعمال الأهواز فقصده حمادُ عجرد إليها وقال من قصائد :

يحيى اسروا زَيْنَهُ رَبُّهُ	بفعله الأقدم والأحدث
إن قال لم يكذب وإن ودَّ لم	يَقْطَعْ وإن عاهد لم يَنْكُثْ
أصبحَ فى أخلاقه كلها	موكِّلا بالأسهل الأذمَّ ^(٣)
طبيعةٌ منه عليها جرى	فى خُلُقٍ ليس بمُسْتَحْدَثٍ
ورثته ذاك أبوه فىا	طيبَ ثَنًا الوارثِ والمُورِثِ ^(٤)

فوصله يحيى وحمله وكساه ، وأقام عنده مدة وانصرف .

كان عيسى بن عمرو ولَّى البصرة من قبل محمد بن أبى العباس السفاح ، فقال له
حماد عجرد :

قل ليمسى الأمير عيسى بن عمرو	ذى الساعى العظام فى قَحْطَانِ
والبناء المالى الذى طال حتى	قَصُرَتْ دونه يدا كلِّ باني ^(٥)

(١) جملة : « فودَّعه وقال الله بينى ... سبياً » ليست فى الأغاني .

(٢) فى الأغاني : فى النفقة .

(٣) الأذم : الأسهل .

(٤) الثنا : التحدث عن الإنسان بالمدح أو التأم .

(٥) من تصرفات ناسخ ت : عنه قد قصرت يدا كل باني .

يا ابن عمرو عمرو المكارم والتقد
لك جازٍ بالمصر لم يجعل الله
لا يصلي ولا يصوم ولا يق
إنما معدن الزناة من السف
وهو خذن الصبيان وهو ابن سبعين
طهر المصر منه يا أيها المو
وتقرب بذاك فيه إلى الله
يا ابن بُرد إحصأ إليك فتل الله
ولم يري لأنت شر من الكا
وُلِدَ لبشار ولدٌ، فقال فيه حماد مجرد :

سائلُ أمانة يا ابن بُر
أمن الحلال أنت به
فلتخيرنك أنه
والآخر الزوى والد
أجملت عرسك شقوة
دي من أبو هذا التلام
أم من مقارفة الحرام
بين العراق والشام
بعلى أيضاً وابن حار
قرضاً لأهمهم كل راي

لما مات محمد بن أبي العباس في أول سنة خمسين ومائة قال ^(١) حماد برثيه :
صيرتُ للدهر خاشعا مُستكيناً
حين أودى الأمير ذاك الذي كد
كنت إذ كان لي أجير به الدهر
يا سمي النبي يا ابن أبي المبر

(١) في الأصل : فقال .

سلبتني النسوة إذ سلبتني لك سروري فليست أرجو سرورا^(١)
 ليتني مت حين مت فلا بل ليتني^(٢) كنت قبلك القبورا
 أنت ظلمتني الغلام بنما لك ووطأتني وطاء أنسرا^(٣)
 لم تدع إذ مضيت فينا نظيرا مثل ما لم يدع أبوك نظيرا

كان أبو جعفر المنصور يفيض محمد بن أبي العباس السفاح ، فولاه البصرة عقب مقتل إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فقدمها ، وأصحبه المنصور قوما يئاب بصحبهم عجائبا زنادقة ، منهم حماد عجير وحماد بن يحيى ونظراؤهم ، لينفض منه عند الناس ، ويرفع من ابنه المهدي وكان محمد بن أبي العباس يُحَمِّقُ وكان إذا ركب يتلف ليحيه بأوراق من النالاية حتى تسيل على ثيابه فيصير شهرا ، فلقبوه أبا الدُّبْس^(٤) ، وفيه يقول بعض الشعراء :

صِرْنَا من الرِّيحِ إلى الوَكْسِ إذ وَلِيَ المِصرَ أبو الدُّبْسِ
 ما شِئْتَ من لَوْمٍ على نفسه وجِئْهُ من أَكْرَمِ الجِنْسِ

ولما أقام بالبصرة قال : لقد عزمت على أن أعرض أهل البصرة بالسيف يوم الجمعة ، فأهمل كل من وجدت لأنهم خرجوا مع إبراهيم ، فقالوا له : نعم نحن تفعل ذلك ، لما يعرفونه منه ، ثم جاءوا إلى أمه أم سلمة بنت أيوب بن سلمة الخزومية فأعلموها بذلك وقالوا لها : إني هم بذلك لِيُقْتَلَنَّ ولتُقْتَلَنَّ أنت معه^(٥) فإنما نحن في البصرة

(١) في الأغاني . سلبتني الموم أو سلبتنيك .

(٢) في الأغاني : ليتني مت حين موتك لأبل .

(٣) في الأغاني : ووطأت لي وطاء وثيرا .

(٤) الدبس : عمل التمر وعصارته .

(٥) في الأغاني « ولتقتلن معه » .

أكله رأس ، فخرجت إليه وكشفت عن شعرها^(١) وأقسمت عليه بحمها حتى كف عما كان عزم عليه ، وكان محمد بن [أبي] المباس في نهاية القوة والشدة ، فمات به المهدي ، فتمزركاب المهدي حتى انضطت رجل المهدي في الركاب وأنجرح حتى رد محمد الركاب بيده ، فأخرج المهدي رجله ، وكان محمد بن أبي المباس قد هوى زينب بنت سليمان بن علي لما قدم البصرة ، وخطبها فلم يزوجها لشيء كان في عقله ، وقال فيها أشمارا ، فلما عزله المنصور عن البصرة قال لما أراد الخروج في بنت سليمان :

أيا وقفة البين ما ذا شئت من النار في كبد المُرَم

رَمَيْت جوارحه إذ رميت بقوس مسددة الأسهم

وقفنا لزينب يوم الوداع على مثل جمر النفا المُرَم

فمن صرفي دمع جرى للفراق ومُتَرَجِر بمدّه بالدم

وعمل حماد مجرد فيها قصائد على لسان محمد ، فلما سمع محمد بن سليمان نذر دمه . فلم يقدر عليه لكانه من محمد ، ولما مات محمد طلب محمد بن سليمان حماد مجرد لما كان يقوله في أخته زينب من الشعر ، فلم أنه لا مقام له معه في البصرة ، فغضى واستجار بقبر أبيه سليمان بن علي وقال في ذلك من أبيات :

من مُقَرَّر بالذنب لم يُوجب الله عليه رِسْمِي إقرارا^(٢)

يا ابن بنت النبي لاني لا أجمل إلا إليك منك الفِرار^(٣)

غير أني جمعت قبر أبي أبوب لي من حوادث الدهرجارا

وحري من استجار بذاك أقبر أن بأمن الردي والحذار^(٤)

(١) في الأغاني : عن ثديها .

(٢) بعده في الأغاني بيت .

(٣) في الأغاني : يا ابن بنت النبي أحمد لا أجل .

(٤) في الأغاني : الردي والثارا .

لم أجد لي من الأنام مُجيراً فاستجرت الترابَ والأحجاراً^(١)
فأنا اليوم جارٌ من ليس في الأر ضٍ مُجِيرٌ أمرٌ منه جواراً
إن أكنْ مُذنباً فأنت ابنُ من كا ن لمن كان مُذنباً غفّاراً
فاعفُ عني فقد قدرتَ وخيرُ ال مفو ما قلتَ كُنْ وكان اقتداراً
لو يُطيلُ الأعمارَ جارٌ لمِزٍ كان جاري يُطوّلُ الأعماراً

فلما بلغه أنه عند قبر أبيه قال : والله لأملأنّ قبر أبي بدمه ، فهرب إلى بغداد
فعاذ بجمهر بن المنصور فأجاره وقال : لا أرضى إلا أن تهجو محمد بن سليمان ، فهجاه
فقال :

قُلْ لَوْجِهَ الْخَلِيعِ ذِي الْعَارِ إِنِّي سوف أهدِي لزينبَ الأشعارِ
قد لمرى فررتُ من شدّة الخو ف فأنكرتُ صاحبيّ نهّاراً
وظننتُ التّبسورَ تمنعُ جاراً فاستجرتُ الترابَ والأحجاراً
كنتُ عند استجارتي بأبي أيُّ وبَ أبنِي ضلالةً وخساراً
لم يُجرتني ولم أجد فيه حظّاً أضرم الله ذلكَ القبرَ ناراً

وبلغ مهاوّه محمد بن سليمان فقال : والله لا يُفلتنني أبداً ، وإنما يزداد حتماً بلسانه ،
ولا والله أعفر له ولا أتناقل عنه أبداً . وهرب إلى الأهواز فأقام بها مستتراً ،
وبلغ محمداً خبره عند سليمان بن سالم ، ثم خرج يُريد البصرة ، فرآه بِشِيرَازَآنَ
في طريقه ، فرض بها ، فاضطر إلى المقام بها ، فأقام واشتدّت علته فأت ودُفن هناك
على تلّة ، وقيل : إن محمد بن سليمان أرسل إلى الأهواز مولى له فطلبه حتى ظفر به
فقتله غيلة . وكان بشاراً لما بلغه أن حمادا غليل لما به قال :

لو عاش حمادٌ لمَونا به لكنه صار إلى النارِ

فبلغ البيتُ حمّاداً قبل أن يموت وهو في السَّيِّاق^(١) فقال يردّ عليه :
نبتتُ بشاراً نعانى ولله موتِ برآنى الخالقُ البارى
يا ليتنى ميتٌ ولم أفعُجه نعم. ولو صرْتُ إلى النارِ
وأى خِزي هو أخزى من أنْ يقال لى يا سبَّ بشارِ
ولما قتل المهدى بشاراً بالبَطِيحَةِ حُمِلَ إلى منزله ميتاً ودفن مع حماد ، وقيل
فيهما من الأشعار ما هو في ترجمة بشار .

(١) السَّيِّاق : نزع الروح .

حُرَيْثُ الطَّائِي^(١)

هو حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ^(٢) بن مَطَرٍ بن سِلْسِلَةَ بن كعب بن عَوْف بن عَنبر^(٣) بن نائل
ابن أسودان - وهو نَبَهَان - بن عمرو بن القَوْث بن طيء ، شاعر إسلامي من شعراء
الدولة الأموية وليس مذكوراً من الشعراء ، لأنه كان بدوياً مُقِلّاً لا يتصدى للشعر
في مدح ولا هجاء ولا يمدّو بشعره أحداً ما يخصّه . وكان يهوى امرأة يقال لها حُبَي
بنت الأسود من بني بَحْثَر كان يتحدث إليها ، ثم خطبها فوعده أهلها أن يزوجه ،
ووعده ألاّ يُجِيبَ إلى تزويجٍ إلّا به ، فخطبها رجلٌ من بني كُمل وكان مُوسراً قالت
إليه وتركت حُرَيْثاً ، وقد خُيرتَ بينهما فاخترت الشَّعْلَى فتزوجها ، فهجا حُرَيْثَ
قومها وقومَ زوجها فما كان قاله فيهما :

هل قلبك اليوم من شَيْمَاءٍ مُنْصَرَفٍ	أم أنت ^(٤) ما عشتَ مَجْنُونٌ بها كَلِفٌ
ما تُدْكِرُ اليومَ إلّا صَدْعَتُ كَيْدَاً	حَرَى عليها وأجرتَ دَمْعَةً تَكِيفُ
يَسْدُومُ وَدَى لِمَن دَامَتْ مَوَدَّتُهُ	وأصرفَ النفسَ أحياناً فتنصرفُ
يا ويحَ كُلُّ مُحِبٍّ كَيْفَ أَرْحَمَهُ	كَأَنِّي ^(٥) عَارِفٌ صِدْقَ الَّذِي يَصِفُ

- (١) الأغاني : دار الكتب ٣٨٢/١٤ وانظر ص ٣٨١ ودار الثقافة ١٤ / ٣٦٤ وانظر
ص ٣٦٣ وبولاق ١٣ / ١٠٢ والسامى ١٣ / ٩٨ والتجريد ١٦٠١ .
(٢) في المختار : « عناب » وفي الأغاني نص أنه بالنون .
(٣) في بعض أصول الأغاني : عتين .
(٤) في الأغاني : عن شَبَاءٍ مُنْصَرَفٍ وأنت .
(٥) في الأغاني : لأنني .

لا تَأْمَنَنَّ بِمَدَحِيٍّ خُلَّةً أَبَدًا على الخيانةِ إِنَّ الْخَائِنَ الطَّرْفُ^(١)
 كأنها ريشة في عَرْضٍ بَلَقْمَةٍ من حيثُ ما واجهتهما الريحُ تَنْصَرِفُ
 يُنْسِي الْخَلِيلَيْنِ طُولَ النَّأْيِ بَيْنَهُمَا وتَلْبَقِي طُرْفُ شَتَّى فَتَأْتِلُ
 ومما قاله يهجو بني ثُمَل قوم التزوُّج بها :

بَنِي ثُمَلٍ أَهْلُ الْخَنَاءِ مَا حَدِيثُكُمْ لَكُمْ مَنَطِقٌ غَاوٍ وَلِلنَّاسِ مَنَطِقُ
 كأنكم معزى قواصِعُ جِرَّةٍ من الميِّءِ أَوْ طَيْرٌ بِحَفَّانٍ يَنْمِقُ
 دِيافِيَّةٌ خُلْفٌ كَانَ حَظِيهِمْ^(٢) سَرَاةَ الضُّحَى فِي سَلَحِهِ يَتَمَطَّقُ

ولم يَزَلْ حُرَيْثٌ يَهْجُو بَنِي ثُمَلٍ وَبَنِي ثُمَلٍ مِنْ أَجْلِ حُبِّي ، فَبَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ
 بِحَيْبَرٍ وَقَدْ تَزَلَّ عَلَى رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ وَهُوَ جَالِسٌ بِفَنَائِهِ يَنْشُدُ هَجَاءَهُمْ وَإِلَى جَانِبِهِ رَجُلٌ
 مِنْ بَنِي جُثَمٍ بَنُ أَبِي حَارِثَةَ مِنْ بَنِي بُحَيْرٍ يُقَالُ لَهُ أَوْفَى بْنُ جُثَمٍ عِنْدَ بَنِي أُخْتِ لَهُ
 مِنْ قُرَيْشٍ فَسَمِعَهُ أَوْفَى يَنْشُدُ :

وَإِنْ أَحَقَّ النَّاسُ إِلَّا إِهَابُهُ^(٣) عَتَوْدٌ مُيَّارِيهِ قَرِيرٌ وَتَمَلَّبُ

العتود: التيس الهرم ، والقريز: ولد البقرة الوحشية ، وتباريه: تفعل فعله.

فَدَنَا مِنْهُ أَوْفَى وَقَالَ: إِنِّي رَجُلٌ أَصَمُّ فَتَقَرَّبَ إِلَيَّ . فَقَالَ لَهُ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :
 رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ ، وَأَنَا أَهَاجِي هَذَا الْحَيَّ مِنْ بَنِي ثُمَلٍ وَبَنِي بُحَيْرٍ ، وَأَحِبُّ أَنْ أَرَوِيَ
 الَّذِي يُقَالُ فِيهِمْ مِنَ الْمَجَاءِ ، فَأَدْنُوهُ مِنْهُ ، وَكَانَ مَعَهُ هِرَاوَةٌ قَدْ اشْتَمَلَ عَلَيْهَا ، فَلَمَّا
 تَمَسَّكَ مِنْ حُرَيْثٍ جَمَعَ يَدَيْهِ بِالْهِرَاوَةِ وَضَرَبَ بِهَا أَثَقَهُ فَحَطَّمَهُ ، وَوَبَّ الْقَرْمِيُّ^٤

(١) الطرف: من لا يثبت على صاحب . وفسر بهامش الأغاني في دار الكتب بمعنى لا يتفق مع الشعر .

(٢) دِياف: قرية أهلها نبط فسميهم إلى أنهم نبط . والخلف جمع أخلف . وهو القليل المعقل وفي الأغاني: دِيافِيَّةٌ قَلْبٌ .

(٣) في بعض أصول الأغاني: أَحَقَّ النَّاسُ طَرَا لِمَاهَةِ .

على أوفى فأخذه . ووثب بنو أخته فانتزعوه من القرشي فكاد أن يقع بينهم شرٌّ وأفلت أوفى ، ودأوا ابن عَنَاب حتى سَلَح واستوى أتمه ، وقال أوفى في ذلك :
لَأَقِيَّ ابْنَ عَنَابٍ بِخَيْرٍ مَّاجِدًا يَزَعُ اللَّثَامَ وَيَنْصُرُ الْأَحْسَابَا
فَضْرِبَتُهُ بِهَرَاوَتِي وَزَكَّتُهُ كَالْحَلَسِ مُنْمِعِرَ الْجَبِينِ مُصَابَا
ولحق أوفى بقومه .

فلما كان بعد ذلك بمدة أتهمه رجل من قريش بأنه سَرَقَ عبداً له وباعه بخير ، فلم يزل القرشي يطلبه حتى أخذه ، وأقام عليه البينة ، وحبسه في سِجْنِ المدينة ، فبعث ابن عَنَاب إلى عشيرته بنى تَبْهَانَ فَأَبْوَأَ أَنْ يَمَانُوهُ . وأقبل عُرْفَاءُ بَنِي بَحْتَرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ يريدون أَنْ يُؤَدُّوا صَدَقَاتِ قَوْمِهِمْ ، وَفِيهِمْ حِصْنٌ وَسَلَامَةٌ ابْنَا مُرَّضٍ وَسَعْدُ بْنُ عَمْرٍو وَجَبَّارُ بْنُ أَثِيْفٍ وَغَيْرُهُمْ ، فَلَقُوا الْقُرَشِيَّ وَاتَّسَبَّوْا لَهُ وَقَالُوا لَهُ : نَحْنُ نُعْطِيكَ الْيَوْمَ مِنْ مَبْدَكَ وَنَرْضِيكَ ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى فَعَلَ ، وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَقَالَ حُرَيْثٌ يَمْدَحُهُمْ وَيَهْجُو قَوْمَهُ الْأَدْنِيَّ مِنْ بَنِي تَبْهَانَ .

لَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ تَبْهَانَ تَارِكِي بِلَاعَةٍ فِيهَا الْحَوَادِثُ تَخْطِرُ
نُصِرْتُ بِمَنْصُورٍ وَيَا بَنِي مُرَّضٍ وَسَعْدٍ وَجَبَّارٍ بَلَّ اللَّهُ يَنْصُرُ
وَذُو الْعَرْشِ أَعْطَانِي الْمَوَدَّةَ فِيهِمْ وَثَبَّتْ سَاقِي بَعْدَ مَا كِدْتُ أَسْتُرُ
إِذَا رَكِبَ النَّاسُ الطَّرِيقَ رَأَيْتَهُمْ لَمْ خَابِطْ أَعْمَى وَآخِرُ مُبْصِرُ
لِكُلِّ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْثٍ رِبَاعَةٌ ^(١) وَخَيْرُهُمْ فِي الشَّرِّ وَالْخَيْرِ بَحْتَرُ

وكان حُرَيْثٌ أَغَارَ عَلَى قَوْمٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ فَاسْتَأْذَنَ إِبِلَاهُمْ ، فَطَلَبَهُ السُّلْطَانُ فَهَرَبَ مِنْ نَوَاحِي الْمَدِينَةِ وَخَبِرَ إِلَى جَبَلَيْنِ فِي بِلَادِ طِيٍّ يُقَالُ لَهَا مَرَى وَالشَّمُوسُ حَتَّى غَرِمَ قَوْمَهُ عَنْهُ مَا طَلِبَ مِنْهُ ، ثُمَّ عَادَ وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

(١) الرباعة : السيادة . وفي الأصل : عمرو بن عوف رباعة . هذا ، وتقدم أن تَبْهَانَ هُوَ ابْنُ عَمْرٍو بْنِ التَّوْثِ . وانظر شرح المَرْزُوقِي عَلَى الْحَاسَةِ ص ٦٣٣ فَيَقِيهِ : لِكُلِّ بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْثٍ .

إِذَا الدِّينُ أَلْوَى الْفَسَادَ قُلْتُ لَهُ (١)
 يَبِيضُ خِيفٍ مَرَهَاتٍ قَوَاطِعِ
 وَزُرْقٍ كَسَتْ أَعْجَازَهَا مَضْرَحِيَّةٌ (٢)
 إِذَا مَا خَرَجْنَا خَرَّتْ الْأَكْمُ سُجْدًا
 إِذَا نَحْنُ سِرْنَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
 وَتَفَرَّعَ مِنَّا الْجَنُّ وَالْإِنْسُ كُلُّهَا
 يَجِيحُ تَظَلُّ الْبُلُقُ فِي حَبْرَاهُ
 سَتَمْنَعُ مَرَى وَالشَّمْسُ أَخَاهَا
 يَدْعُنَا وَرُكْنَا مِنْ مَعَدٍ نُصَادِمُهُ
 لِدَاوُدَ فِيهَا أَثَرُهُ وَخَوَاتِمُهُ
 أَرِثَتْ خَوَافِي رَيْشَهَا بَلَّ قَوَادِمُهُ
 لَمَزَ عَلَا حَيْرُومُهُ وَعَلَّاجِمُهُ (٣)
 تَحْرُكُ يَفْظَانُ التُّرَابِ وَنَائِمُهُ
 وَيُشْرَبُ مَهْجُورُ الْمِيَاهِ وَعَائِمُهُ
 يَيْثِرِبُ أَخْرَاهُ وَبِالرَّيْفِ قَادِمُهُ (٤)
 إِذَا حَكَّمَ السُّلْطَانُ حُكْمًا يُصَاحِمُهُ (٥)

(١) في الأغاني : « إذا الدين أودى بالفساد » وانظر شرح المازوقي ص ٦٣٤ فقد نسبت القصيدة لأبان بن عبيدة بن البار .

(٢) في الأغاني وشرح المازوقي : وزرق كستها ريشها مضرحة . والمضرحة جمع مضرحة وهو النسج .

(٣) العلاج جمع عليم : ومن معانيه موج البحر والخيروموسط الصدر والمرقع من الأرض

(٤) ليس هذا البيت في الأغاني في ترجمة حريث وموجود في شرح المازوقي .

(٥) يجوزونها في مخطوط كوبرلي : يزاجه وفي الأغاني : يضاجه : يعبل فيه ويروى يصاحمه

يزاجه .

حَبَابَةٌ^(١)

جارية مَوْلدة من مَوَلدات المدينة ، حلوة جميلة ، كانت لرجل يعرف بابن مينا وهو
خرَجَها وأدبها وقيل كانت لرجل يعرف بابن دناية^(٢) وقيل كانت لآل لاحق المكيين ،
حسنة الوجه ظريفة ، حسنة الفناء طيبة الصوت ضاربة بالمود ، وكانت تسمى
العالية^(٣) ، فسهاها يزيد بن عبد الملك - لما اشتراها - حَبَابَةٌ ، وكان يزيد اشتراها
من ابن مينا ، وكانت قد دخلت على يزيد بن عبد الملك في إزارٍ ويدها دَفٌّ ترى به
وتلقاه وتنفى :

ما أحسن الجيد من مُلِيكةٍ والَّا جَبَاتٍ إذا زَانَهَا رَائِبُهُا
ثم خرج بها مولاها إلى أفريقية ، فلما كان بعد ما ولي يزيد اشتراها . ولما ولي
يزيد هذا قال : ما يقرُّ بعيني ما أوتيت من الخلافة حتى أشتري سلامة جارية مُصمب
ابن سليم وحَبَابَةٌ جارية ابن لاحق المكيَّة ، فأشترينا له ، فلما اجتمعتا عنده قال :
أنا الآن كما قيل^(٤) :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَأَقَرِّ عَيْنَا بِالْإِيَابِ الْمَسَافِرُ

(١) الأغاني : دار الكتب ١٥/١٢٢ ودار الثقافة ١٥/٩٥ وبولاق ١٣/٣٥٤ والسلي
١٣/١٤٨ والتجريد ١٦٢٥ هذا ، وضبطت في مخطوط كوبرلي بتشديد الباء الأولى لكن وردت
في الشعر بتخفيف الباء .

(٢) في الأغاني طيبة بولاق : بابن رمانة . وفي نهاية الأرب ح ٥٦ ص ٥٦ : دبابه .

(٣) في نهاية الأرب : الفالية .

(٤) هذا البيت نسب إلى عبد ربه السلمي ولسليم بن ثمامة الحنفي ولحق بن حار البارق انظر
اللسان عصا والمؤتلف والمختلف معمر بن حار .

أخبر شيخٌ من أهل ذى حُشب قال : خرجنا نريد ذا حُشب ونحن مشاة ، فإذا قُبَّة وفيها جارية تنفى :

سلكوا بطن مَخِيض^(١) ثم ولّوا أجمعينا

أورثوني حين ولّوا طولَ خوفٍ وأرينا

فسرنا معها حتى أنينا ذا حُشب ، نخرج رجل معها فكتب أسماءنا ، فإذا هي حَبَابة جارية يزيد بن عبد الملك فلما سارت إلى يزيد أخبرته بنا ، فكتب إلى والى المدينة أن يعطى كل واحد منا ألف درهم .

كان يزيد بن عبد الملك قد قدم المدينة في خلافة سليمان فتزوج سُمْدَةَ بنت عبد الله ابن عمرو بن عثمان على عشرين ألف دينار ، ورُبَيْحَةَ بنت محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر على مثل ذلك ، واشترى المألىة بأربعة آلاف دينار ، فبلغ ذلك سليمان فقال : لأحجِرَنَّ عليه . فبلغ ذلك يزيد فاستقال مولى حبابة ثم اشتراها بمد ذلك رجلٌ من أهل أفريقية ، فلما ولي يزيد اشتريتها سُمْدَةُ امرأته ، وعلت أنه لا بد طالبها ومشتريها ، فلما حصلت عندها قالت له : بقى عليك شيء من الدنيا فلم تنله ؟ قال : نعم ، المألىة . قالت : أورايتها ؟ قال : نعم ، قالت : أقتصرها ؟ قال : نعم ، فرفعت الستر فراها فقال : هذه هى ، فقالت : هى لك . وخرجت عنهما ، فسأها حبابة ، وعظم قدر سُمْدَةَ عنده . ويقال إنها أخذت المهد عليها قبل أن تهبا له أن توطئها لأنها عنده في ولاية المهد . وقيل : إن أم الحجاج أم الوليد هى التى ابتاعتهما وأخذت عليها المهد بذلك فوقت لها .

خطب يزيد إلى خالد أخى سُمْدَةَ بنت أخ له ، فقال : ما يكفيه أن سُمْدَةَ عنده حتى ينخطب إلى بنت أخى أيضا ؟ وبلغ ذلك يزيد فغضب ، فقدم عليه خالد يسترضيه ،

(١) عيس . وخيش : المذكوران في معجم البلدان . وفي مخطوط كوبرلى غيس .

فبينما هو في فسطاطه إذ أتته جارية لحبابة في خدمتها ، فقالت له : أم داود تقرأ عليك السلام وتقول : قد كلمت أمير المؤمنين فرضى عنك فالتفت وقال : من . أم داود ؟ فأخبره من معه أنها حبابة ، وذكروا له قدرها ومكانها من يزيد . فرفع رأسه إلى الجارية وقال : قولي لها : الرضا عنى سبب لست به ، فشكت ذلك إلى يزيد ، فغضب وأرسل إلى خالد ، فلم يعلم بشيء . حتى أتاه خادم حبابة فيمن معه من الأهلان فاضطجوا فسطاطه وقلعوا أظنانه حتى سقط عليه وعلى أصحابه فقال : ويلكم ، ما هذا ؟ فقال رسل حبابة : هذا ما صنعت بنفسك . فقال : ما لها أخزأها الله ، ما أشبه رضاها بنفسها .

وكان أول ما ارتفعت به منزلة حبابة عند يزيد أنه أقبل يوماً إلى البيت الذي هي فيه ، فقام من وراء الستر ، فسمعها تترنم وتغنى :

كان لي يا يزيد حُبُّكَ حِينًا كاد يَقْضِي عَلَيَّ لَمَّا التَّقَيْنَا
يُعلم الله أنكم إن نَأْتِم أو قُربتم أحبُّ شَيْءٍ إِلَيْنَا
وأصل الشعر :

* كان لي يا شِعْبِرَ حُبِّكَ حِينًا ^(١) *

فرفع الستر فرأها مضطجعة مقبلة على الجدار ، فعلم أنها لم تعلم به ، ولم تدر مكانه ، فألقى نفسه عليها وحملت منه ^(٢) .

لما ولي يزيد بن عبد الملك أراد أن يتشبه بعمربن عبد العزيز وقال : بماذا صار عمر أرجى لربِّه مني ؟ فشق ذلك على حبابة ، وأرسلت إلى الأحوص أن يقول أبياتاً ، وقالت : إن رددته من رأيه فلك ألف دينار . وقيل إن مسلمة أقبلت على يزيد

(١) الشعر لعمر بن أبي ربيعة كافي الأغاني وديوانه ٥٦٥ وفي الأغاني : « سقي » كافي الديوان .

(٢) في الأغاني ونهاية الأرب : وحزكت منه .

يلومه على الإلحاح على الفناء والشرب وقال له : إنك وليت هقب عمر بن عبد العزيز وعذله ، وقد تشاغلنا بهذه الإمام وتركنا الظهور وشهود الجمعة الجامعة ، وامتنعت من النظر في الأمور ، والوفود بيباك^(١) ، وأصحاب الحوائج والظلمات يصيحون ، وأنت غافل فقال : صدقت ، واعتبه ، وهم أن يترك الشرب ، ولم يدخل على حباة أيامه فوعدت الأحوص بالآلف دينار إن عاد عن رأيه ، فدخل الأحوص على يزيد واستأذنه في الإنشاد فأنشد :

أَلَا لَا تَلَمَّهُ الْيَوْمَ أَنْ يَتَبَلَّدَا	فَقَدْ غُلِبَ الْحَزُونُ أَنْ يَجْعَلَدَا
بَكَيْتَ الصَّبَا جُهْدِي فَنِ شَاءَ لَامَنِي	وَمِنْ شَاءَ آسَى فِي الْبَسَاءِ وَأَسْعَدَا
وَأِنِّي وَإِنْ أَغْرَقْتُ فِي طَلَبِ الصَّبَا ^(٢)	لَأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ فِي الْحُبِّ أَوْحَدَا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْتَشِقْ وَلَمْ تَذَرِ مَا الْهَوَى	فَكُنْ حَجَرًا مِنْ يَابِسِ الصَّخْرِ جَلَمَدَا
فَا الْعَيْشَ إِلَّا مَا تَلَذُّ وَتَشْتَعِي	وَإِنْ لَمْ فِيهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَدَا

ثم غنته حباة^٣ وسلامة ليزيد ، فلما فرغتا ضرب يزيد بخيصراته الأرض وقال : صدقنا ، فعلى مسلمة لمة الله وعلى ما جاء به . وطرب يزيد وقال : ها تيا ، ففتناه :

وَعَهْدِي بِهَا صَفْرَاءُ رُوْدُ كَأَنَّهَا	نَضَى عَرَقَ مِنْهَا عَلَى اللَّوْنِ مُجَسَّدَا ^(٤)
مُهْنَمَةُ الْأَعْلَى وَأَسْفَلَ خَلَقَهَا	جَرَى لَحْمُهُ مِنْ دُونِ أَنْ يَتَخَدَّدَا ^(٥)
مِنْ الْمُدَّجَاتِ اللَّحْمِ جَدَلِي كَأَنَّهَا	عِنَانُ صِنَاعٍ مُدْمِجُ الْقَتْلِ مُعْصَدَا ^(٦)

(١) في الأغاني : وقد تشاغلنا بهذه الأمة عن النظر في الأمور والوفود بيباك . الخ وفي نهاية الأرب : وقد تشاغلنا بهذه الإمام . كما في الأغاني . وفي غرر النور : وتركنا الظهور وشهود الجمعة .

(٢) في الأغاني ونهاية الأرب : وإني وإن قتلت .

(٣) الرود : الثابة الحسنة . والمجد : القمص المشيع بالزعفران .

(٤) تخدد : هزل وتقس .

(٥) المصدد : المحكم . ومصددا حال نصبت .

كَأَنَّ ذِكْرَ السَّكِّ بَادٍ وَقَدْ بَدَتْ وَرَيْحُ خُرَايَ طَلُّهُ يَنْفَحُ النَّدَا
فَطَرِبَ زَيْدٌ وَأَخَذَ مِنْهُ الشَّرَابَ قَدْرَهُ الَّذِي كَانَ يَطْرِبُ مِنْهُ ثُمَّ غَنَّتْهُ أَيْضًا ، فَجَعَلَ
يُدَوِّرُ فِي الدَّارِ وَيَصِيحُ : الدُّخْنُ بِالتَّوَيِّ السَّكِّ فِي يَطَارِ جَنَّاتٍ^(١) ، وَشَقَّ حَلَّتَهُ وَقَالَ لَهَا :
أَنَاذِنِينَ لِي أَنْ أَطِيرَ ؟ فَقَالَتْ لَهُ : وَلِمَنْ تَدْعُ النَّاسَ ؟ فَقَالَ : لَكَ ، ثُمَّ غَنَّتْ سَلَامَةً :
فَقُلْتُ أَلَا يَا لَيْتَ أَسْمَاءُ أَنْصَفَتْ وَهَلْ قَوْلُ لَيْتٍ جَامِعٌ مَا تَبَدَّدَا
وَإِنِّي لِأَهْوَاهَا وَأَهْوَى وَصَالِهَا كَمَا يَشْتَعِي الصَّادِي الزُّلَالُ الْمُرَدَا
عَلَاةَ حَبِّ الْجَوْ مِنْ زَمَنِ الصَّبَا فَأَبْلَى وَلَا يَزَادُ إِلَّا تَجَدَّدَا
وَعَنَّتْهُ حَبَابَةٌ :

كَرِيمَ قَرِيشٍ حِينَ يُنْسَبُ وَالَّذِي أَقَرَّتْ لَهُ بِالْمُلْكِ كَهَلًا وَأَمْرَدَا
وَلَيْسَ عَطَاءُكَ كَانَ مِنْهُ بِمَانِعٍ وَإِنْ حُلَّ مِنْ أَضْمَانٍ أَضْمَانُهُ غَدَا
أَهَانَ تِلَادَ الْمَالِ فِي الْجَدِّ إِنَّهُ إِمَامٌ هُدًى يَجْرِي عَلَى مَا تَمَوَّدَا
تَرَدَّى بِمَجْدٍ مِنْ أَيْسِهِ وَجَدَّهُ وَقَدْ أَوْثَقَا بَنِيانَ مَجْدٍ مُشِيدَا
فَقَالَ لَهَا زَيْدٌ : يَا حَبَابَةُ ، وَيْحَكَ ، وَمَنْ مِنْ قَرِيشٍ هَذَا ؟ قَالَتْ : أَنْتَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : وَمَنْ يَقُولُ هَذَا ؟ قَالَتْ : الْأَحْوَصُ . وَقَالَتْ سَلَامَةً : فَلْيَسْمَعْ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَاقِي ثَنَائِهِ عَلَيْهِ فِيهَا ، ثُمَّ انْدَفَعَتْ فَفَتَحَتْ :

وَلَوْ كَانَ بَذْلُ الْجُودِ وَالْمَالِ مُخْلِدًا مِنَ النَّاسِ إِنْسَانًا لَكُنْتُ الْمُخْلِدَا
فَأَقْسَمُ لَا أَتُكُّ مَا عِشْتُ شَاكِرًا لِنِعْمِكَ مَا طَارَ الْحِمَامُ وَغَرَدَا
ثُمَّ قَالَ الْأَحْوَصُ أَيْضًا قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوَّلَهَا :
يَا مَوْقِدَ النَّارِ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ أَمْرِ^(٢) أَوْقِدْ فَقَدْ هِجْتَ شَوْقًا غَيْرَ مُنْصَرِّمٍ

(١) فِي الْأَغَانِي : « فِي بَيْطَاءِ جَنَّاتٍ » وَفِي مَخْطُوطِ كُورْبِلِ لَمْ يَنْقُطِ الْكَلِمَتَيْنِ وَفِي التَّيْمُورِيَّةِ
قَطَارِ حَانَ .

(٢) فِي الْأَغَانِي وَنَهَايَةِ الْأَرْبَعِ : مِنْ لَأْمٍ .

يا موقد النار أوقدْها فإن لها سناً يهيجُ فؤادَ العاشقِ السَّديمِ
فقال له يزيد : ارفع حوائجك ، فكتب إليه في نحو من أربعين ألف درهم
من دين وغيره ، فأقام له بها^(١) . وقيل : إن الأحوص لما أنشده أبياته الدالية وثب
يزيد فدخل على حبابة وهو يتمثل :

وما العيش إلا ما تلذّ وتشتهى وإن لام فيه ذو الشنانِ وفندا
فقلت : ما ردّك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبيات الأحوص ، فسلى ما شئت .
قلت : ألف دينار تمطيها للأحوص ، فأعطاه ألف دينار .

ولما غلب يزيد أهله ، وأبى أن يسمع منهم نصحتهم ، كلّموا مولى له خراسانياً
ذا قدر عظيم وبلاء عندهم وكانت فيه لُكنة ، فأقبل على يزيد يظه وينها عما قد
ألح عليه من الشراب والنساء ، فقال له يزيد : فإنى أحضرك هذا الأمر الذى تنهى عنه ،
فإن نهيتنى عنه بعد ما تباه وتعرفه انتهيت ، وإنى غبر جوارى أنك ممٌ من مموئى ،
فإياك أن تتكلم فيملن أنك كاذب وأنت لست بمعى . ثم أدخله عليهن ، ففنين
والشيخ يسمع ولا يقول شيئاً حتى غنين :

وقد كنت آتيكم بملّة غيركم فأفنيّتُ علائى فكيف أقولُ
فطرب الشيخ وقال : لا قيّف جملى الله فداقُن . يريد : لا كيف جملى الله
فداكن ، فملن أنه ليس معه كما ذكر ، فقمّن إليه بميدانهن ليضربنه بها حتى
حجزهن عنه يزيد . ثم قال له بعد ما مضى أمرهن : ما تقول الآن ؟ أدعُ هذا الأمر
أم لا ؟ قال : لا تدعّه .

نزل الفرزدق على الأحوص حين قدم المدينة ، فقال له الأحوص : ما تشتهى ؟
قال : شواء وطِلاء وغِناء . قال : ذلك لك ، ومضى إلى قينة بالمدينة ففنته :

(٧) فى الأغاني : فأمر له بها .

أَلَا حَتَّى الدِّيَارِ بِسُوءٍ إِلَى أَحَبِّ لِحُبِّ فَاطِمَةَ الدِّيَارِ
أَرَادَ الظَّاعِنُونَ لِيَحْزُنُونِي فَهَاجُوا صَدْعَ قَلْبِي فَاسْتَطَارَا
فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ : مَا أَرْقَ أَشْمَارَكُمْ يَا أَهْلَ الْحِجَازِ وَأَمْلَحَهَا ! فَقَالُوا : وَمَا نَدْرِي
لِمَنْ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالُوا : لِحُرِّ يَهْجُوكَ بِهِ . فَقَالَ : وَيْلَ ابْنِ الْمِرَاةِ
مَا كَانَ أَحْوَجَهُ مَعَ عَفَافِهِ إِلَى صَلَابَةِ شَعْرَى وَأَحْوَجَنِي مَعَ شَهْوَاتِي لِرُقَّةِ شَعْرِهِ .

اختلفت حَبَابَةُ وَسَلَامَةُ فِي صَوْتٍ لِمَعْبَدٍ بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ ، فَقَالَ لَهَا : مَنْ أَنْ
جَاءَ خِلَافَكُمَا وَالصَّوْتُ لِمَعْبَدٍ وَعِنْتُهُ أَخَذْتُمَا ؟ فَقَالَتْ هَذِهِ : كَذَا أَخَذْتُهُ ، وَقَالَتْ هَذِهِ :
كَذَا أَخَذْتُهُ . فَأَحْضَرَ مَعْبَدًا وَقَالَ : إِنَّ هَاتَيْنِ اخْتَلَفْتَا فِي صَوْتٍ لَكَ ، فَاقْضِ بَيْنَهُمَا ،
فَقَالَ لِحَبَابَةِ : غَنِّي ، فَغَنَّتْ . وَقَالَ لِسَلَامَةَ : غَنِّي ، فَغَنَّتْ . فَقَالَ : الصَّوْتُ مَا غَنَّتْ
حَبَابَةُ . فَقَالَتْ سَلَامَةُ : يَا ابْنَ الْفَاعِلَةِ ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتُحِبُّ أَنْ الصَّوَابُ مَعِي ، وَلَكِنَّكَ
سَأَلْتَ ابْتِهَامًا آتَرُ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقِيلَ لَكَ : حَبَابَةُ ، فَاتَّبَعْتَ رِضَاءَهُ وَهَوَاهُ .
فَضَحِكَ يَزِيدُ وَطَرِبَ ، وَأَخَذَ وَسَادَةً فَصَبَرَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَامَ يَرْقُصُ وَيَدُورُ فِي الدَّارِ
وَيَصِيحُ : السَّمَكُ طَرَى أَرْبَعَةَ أَرْطَالٍ عِنْدَ بَيْطَارِ جَنَانٍ ، حَتَّى دَارَ الدَّارِ كُلُّهَا ثُمَّ رَجَعَ
وَجَلَسَ ، وَقَالَ شِعْرًا وَأَمْرًا مَعْبَدًا أَنْ يَفْنَى فِيهِ :

أَبْلِغْ حَبَابَةَ سَقَى رَبِّهَا الْمَطَرُ مَا لِلْفَوَادِ سِوَى ذِكْرِكُمْ ذِكْرٌ (١)
إِنْ سَارَ صَحْبِي لَمْ أَمْلِكْ تَذَكُّرَكُمْ أَوْ عَرَسُوا فَهَمُّومُ النَّفْسِ وَالنِّكْرُ

فَسُرَّ يَزِيدُ بِفَنَائِهِ ، وَكَسَاهُ وَوَسَّلَهُ ، ثُمَّ سَبَّحَتْ إِلَيْهِ سَلَامَةُ الطَّافَا وَتَحِيَّاتٍ
وَسَبَقَتْ الطَّافَا حَبَابَةَ وَقَالَتْ لَهُ : قَدْ عَذَرْتُكَ فِيمَا فَعَلْتَ وَلَكِنَّ الْحَقَّ كَانَ أَوَّلِيكَ .
وَلَمْ يَزَلْ فِي الطَّافَا حَتَّى أَذِنَ لَهُ يَزِيدُ فَرَجَعَ إِلَى الدِّينَةِ .

أنشدت حَبَابَةَ يَوْمَا يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ (١) :

لعمرك إني لأحب سَلَمًا لرؤيتها ومن بمجنوب سَلْعٍ
خَلَقْتُ رَبًّا مَكَّةَ وَالْهَدَايَا وأيدي السابحاتِ غَدَاةَ جَمْعٍ
لأنتِ على التثاني - فاعليه - أحبُّ إليَّ من بَصْرَى وَسَمَى

فلما غنت :

لعمرك إني لأحب سَلَمًا لرؤيتها ومن بمجنوب سَلْعٍ
تفست نفسا شديدا ، فقال لها : مالك أنتِ في ذمة أبي إن شئت لأتقلته إليك
حجرا حجرا . قالت : وما أصنع به ؟ ليس إياه أردت ، إنا أردت ساكنة .

قال يزيد يوما لحبابة وسلامة : أيتكما غنتي ما في نفسي فلها حكما . فغنت
سلامة فلم تصب ما في نفسه ، وغنت حبابة في شعر ابن قيس الرقييات :

خَلَقْتُ مِنْ بَنِي كَنْسَانَةَ حَوْلَى بفلسطين يُسرعون الرُّكُوبَا
جزعت أن رأت مشيبي عِرْسِي لا تَلَوِي ذُؤَابَتِي أَنْ تَشِيَا

فأصابت ما في نفسه فقال : احتكى ، قالت : سب لي سلامة وما لها ، قال :
سلي غيرها . فأبت ، فقال : أنت أولى بها وبما لها ، فلقيت سلامة من ذلك أمرا عظيما .
فقال حبابة : لا ترين إلّا خيرا . فجاءها يزيد فسألها أن تبيمه إياها بمحكمها ، فقالت :
أشهدك الآن أنها حرة ، فاختطبها الآن أزوجك مولاتي .

وكانت سلامة هي التقدمة في النماء عند يزيد ، وكانت حبابة تنظر - إليها بتلك
العين ، فلما حظيت عند يزيد قصرت في حق سلامة (٢) ، فقالت لها : ويحك يا أختي ،
أين تأدية النماء وحق التعليم ؟ أنسيت قول جميلة : خذى إحكام ما أطارحك إياه

(١) نسب الشعر في معجم البلدان « سلع » لقيس بن ذريح .

(٢) في الأغاني : ترفضت عليها .

من سلامة فلن ترأى بخير ما بقيت لك وكان امركا مؤتلفا . قالت : صدقت يا خليلتي ، والله لا أعدت إلى شيء تكرهينه . فاعادت لها بعد ذلك إلى مكروه .

قال البيدق الأنصارى القارىء : كفت أعرف حباية وأدخل إليها بالحجاز ، فلما صارت إلى يزيد وارقع شأنها عنده خرجت لأسمها ، فذكرتني ليزيد ، فدعاني فدخلت عليه وهو على فرش مرتفعة^(١) قد ذهب فيها إلى قريب من ثديه ، وإذا حباية أيضا على فرش مرتفعة وهي دونه ، فسلمت فرد السلام على فقالت حباية اقرا يا أبت ، فقرأت ، فنظرت إلى دموعه تنحدر ، ثم قالت : يا أبت ، حدث أمير المؤمنين . وأشارت إلى أن غنه ففنيته في شعر سميد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

مَنْ لِيَصَبَّ مُنْقَلَبٌ ^(٢)	هائم القلب مُقْصِدٌ
أَنْتَ زَوْدَتِهِ الْجَوَى ^(٣)	بئس زادُ المُرُودِ
وَلَوْ أَنَّ لَا أَرْجِي	لَكَ لَقَدْ خَفَّ عَوْدِي
نَاوِيًا تَحْتَ تُرْبَةٍ	رَهْنَ رَمَسٍ بِقَدَرٍ
غَيْرِ أَنَّ أَهْلَ الْب	نَسَ بِالْيَوْمِ وَالنَّهْدِ

فطرب يزيد وحذفتي بمُدَّهْنٍ فيه فصوصُ ياقوتٍ وزبرجد ، فضرب صدرى ، فأشارت حباية أن خذهُ فأخذته وأدخلته في كمي ، فقال : يا حباية ألا ترين ما صنع أبوك ؟ أخذ مُدَّهْمَنَا فأدخله في كُمِهِ . فقالت : ما أحوجه إليه يا أمير المؤمنين ! ثم خرجت من عنده فأمر لي بمائتي دينار^(٤) .

(١) في الأغاني : مشرفة .

(٢) في الأغاني : مصيد .

(٣) في الأغاني : النقي .

(٤) في الأغاني : بمائة دينار .

غَنَّتْ حِجَابَهُ يَوْمَا بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ :

مَا أَحْسَنَ الْجَيِّدِ مِنْ مُلَيْكَةٍ وَاللَّهِ إِذَا زَانَهَا تَرَاثُمَا

فَطَرَبَ يَزِيدُ وَقَالَ : هَلْ رَأَيْتِ تَطُ أَطْرَبَ مِنِّي ؟ قَالَتْ : نَعَمْ ، مُوَلَايَ الَّذِي بَاعَنِي
فَنَاطَهُ ذَلِكَ ، وَكَتَبَ فِي حَمَلِهِ مَقِيداً ، فَلَمَّا عَرَفَ خَبَرَ وَصُولِهِ أَمَرَ بِإِدْخَالِهِ إِلَيْهِ ، فَأَدْخَلَ
يَرْسُفَ فِي قَيْودِهِ وَأَمَرَهَا فَفَنَّتْ :

تَشْطُ غَدَاً دَارُ جِيرَانِنَا وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَيْسَدُ

فَوُتِبَ وَأُلْقِيَ نَفْسُهُ عَلَى الشَّمْعَةِ فَأَحْرَقَ لِحْيَتَهُ وَصَاحَ الْحَرِيقُ يَا أَوْلَادِائِنَا ، فَضَحِكَ
يَزِيدُ وَقَالَ : لَعَمْرِي إِنْ مِثْلَ هَذَا أَطْرَبُ النَّاسِ ^(١) . وَأَمَرَ بِفِكَ قَيْودِهِ ^(٢) ، وَوَصَلَهُ بِالْفِ
دِينَارٍ وَوَصَلَتْهُ حِجَابَةٌ ، وَرَدَّهُ إِلَى الْمَدِينَةِ .

وَقِيلَ : لَهَا قَالَتْ لَهُ لِمَا قَالَ لَهَا هَلْ رَأَيْتِ أَطْرَبَ مِنِّي قَالَتْ : نَعَمْ ، مَعَاوِيَةُ
ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ الطَّيَّارِ ! فَكَتَبَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الزُّهَّارِ أَنْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ ، فَلَمَّا
قَدِمَ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِ حِجَابَةً : إِنَّمَا بَشْتُ إِلَيْكَ لَكُذَا ، وَكَذَا ، فَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَتَفَنَّنْتُ
فَلَا تُظْهِرَنَّ طَرِبًا حَتَّى أَغْنَى .

* مَا أَحْسَنَ الْجَيِّدَ مِنْ مُلَيْكَةٍ *

فَقَالَ : سُوءٌ عَلَى كِبَرِ سِنِي ! فَدَعَا بِهِ يَزِيدُ وَهُوَ عَلَى طِنْفَسَةٍ خَزْ ، وَوَضَعَ لِمَعَاوِيَةَ
مِثْلَهَا ، وَجَاءُوا بِجَمْعَيْنِ فِيهِمَا مَسْكٌ فَوَضَعَ أَحَدُهُمَا بَيْنَ يَدَيِ يَزِيدَ وَالْآخَرَ بَيْنَ يَدَيِ
مَعَاوِيَةَ قَالَ مَعَاوِيَةُ : لَمْ أَدْرِ كَيْفَ أَسْنَعُ ثُمَّ قُلْتُ : أَنْظُرْ كَيْفَ يَصْنَعُ فَأَصْنَعُ مِثْلَهُ ، فَكَانَ
يَقْلِبُهُ تَضَوُّحُ رَوَائِحِهِ وَأَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَدَعَا بِحِجَابَةٍ فَفَنَّتْ إِلَى أَنْ غَنَّتْ ذَلِكَ الصَّوْتُ ،

(١) فِي أَصْلِ الْخُتَارِ : « يَطْرَبُ النَّاسُ » وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْأَغَانِي .

(٢) فِي الْأَغَانِي : يَجْعَلُ قَيْودَهُ .

فأخذ معاوية الوسادة ووضعها على رأسه وقام يدور ويقول: الدُّخْنُ بالنَّوى^(١) فأمر له عِدَّةٌ دفعاتٍ بصلات مبلتها ثمانية آلاف دينار.

نزل يزيد بن عبد الملك بيت رأس بالشام ومعه حباية فقال: زعموا أنه لا يصفو لأحد يوما عيشه إلى الليل إلا يكدره^(٢) شيء عليه، وسأجرب ذلك. ثم قال لمن معه: إذا كان غداً لا تجبروني بشيء ولا تأتونى بكتاب. وخلا هو وحباية فأثابما يأكلان، فأكلت رُمانةً فشرقت بحجة منها فمات، فأقام لا يدفنها ثلاثاً حتى تغيرت وأتنت، وهو يشمها ويرشها فمات به على ذلك ذو قرابته وعابوا عليه ما يمنع، وقالوا: قد صارت جيفة بين يديك. حتى أذن لهم في غسلها ودفنها، فأخرجت في نطع وخرج معها لا يتكلم حتى جلس على قبرها، فلما دفنت قال: أصبحت والله كما قال كثير عزة:

فإن نسلُكُ منك النفس أودع الصبا فبالأساس أسلو عنك لا بالتجلد
وكلُّ خليل رآني فهو قائل من أجلك هذا هامة اليوم أو غد
فما أقام إلا خمس عشرة ليلة حتى دفن إلى جنبها.

وجزع عليها في بعض أيامه فقال: أنبشوها حتى أنظر إليها، فقيل له: إنك نصير حديثاً. فقال: لا بد أن أنبشها، فنبشت وكشفت له عن وجهها وقد تغيرت كثيراً فقببها، فقيل له: يا أمير المؤمنين، اتق الله، ألا تراها كيف صارت؟ فقال: ما رأيها قط أحسن منها اليوم، أخيرجوها، فجاء مسلمة ووجوه أهلها فلم يزالوا به حتى أزالوه عنها ودفنوها، وانصرف فبكمد كمداً شديداً ومات. وقيل: إنه عاش بعدها أربعين يوماً.

(١) في الأغاني بسمة: يعني النوى.

(٢) في المختار: لا يكدره.

ولما ماتت وأُخرجت لم يستطع يزيد الركوب ولا المشي ، من الجزع ، فحُمِلَ على منبر على رِقَابِ الرجال ، فلما دُفِنَتْ قال : لم أُصَلِّ عليها ، انبشوها ، فقال مَسْلَمَةٌ : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، إنما هي أمة من الإماماء ، وقد واراها الثرى .

ولم يأذن للناس بعد حِجَابَةٍ إِلَّا مرة واحدة ، فاستمَّ دخولُ الناس حتى قال الحاجب : أَوْجِزُوا^(١) رحمكم الله . ولم يلبث يزيد أن مات كَمَدًا وحزنا .

ولما ازداد جَزَعُهُ عليها أخذ جُورِيَّةً^(٢) لها كانت تخدمها ، فكانت تخدمه وتؤنسُه وتُسَلِّيه ، فبينما هو يوما يدور في القصر إذ قال لها : هذا الموضع الذي كُنَّا فيه أنا وحِجَابَةٍ . فتمثلت :

كفى حَزَنًا للهاثم الصَّبُّ أن يرى منازلَ مَنْ يَهْوَى مُعْطَلَّةً قَفْرًا
فبسكى حتى كاد يموت . ثم لم تزل تلك الجورِيَّةُ معه يذكر بها حِجَابَةَ حتى مات .

(١) في الأغاني : أجزوا . وفي نهاية الأرب جه في ترجمتها : أخرجوا .

(٢) ضم جورِيَّة لها .

هزة الحنفى^(١)

هو هزة بن بيض الحنفى شاعر إسلامى كوفى خليف ماجن من فحول طبقته من شعراء الدولة الأموية ، وكان منقطعا إلى المهلب بن أبي صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد وبلال بن أبي بردة ، واكتسب بالشعر منهم مالا عظيما ، ولم يدرك الدولة العباسية ، وقيل إنه أخذ بالشعر ألف ألف درهم من مال وحمّان وثياب ورقيق وغير ذلك .

وكان هزة كثير المزاح مع أبي بردة ، فقدم عليه مرة فقال لحاجبه : استأذننى ، فدخل الحاجب إليه فقال له : هزة بن بيض بالباب ، فقال له : اخرج إليه فقل له : هزة بن بيض ابن من ؟ فقال له الحاجب ذلك ، فقال له : ادخل فقل له : التى جئت إليه وأنت أمرد إلى بنيار الحمام^(٢) تسأله أن يهب لك طائرا فناكك وهوب لك طائرا . فشتمه الحاجب وقذفه وأغلظ له^(٣) ، فقال له : ما أنت وذلك ؟ بشك رسالة فأخبره الجواب ، فدخل الحاجب وهو مغضب ، فلما رآه بلال ضحك وقال : مالك ؟^(٤) قال : قبحه الله ما كنت لأخبر الأمير بما قال ، فقال : يا هذا ، أنت رسول

(١) الأغاني: دار الثقافة ١٤٣/١٦ وانظر ١٤٢ وبولاق ١٤٠/١٥ والسامى ١٤/١٥ والتجريد ١٧٢١ . هذا ويلاحظ أن ترتيب الأغاني تسبق فيه أخبار الحسين بن مطير على أخبار هزة بن بيض فإن ابن مطير جاء في ج ١٥ من ٣٣١ دار الثقافة وهزة بن بيض جاء في ١٦ من ١٤٣ وتسبق أيضا أخبار الحسين ابن على بن أبي طالب ونسبه فقد جاءت في ٨٨/١٦ دار الثقافة فلمل نسخة ابن منظور من الأغاني تختلف في ترتيبها قليلا عن نسخ الأغاني التى بين أيدينا .

(٢) في الأغاني: بنيان الحمام وفى مخطوط منه : ييار الحمام .

(٣) جملة : « وقذفه وأغلظ له » ليست في الأغاني .

(٤) في الأغاني : ما قال لك .

فأد الجواب ، فأبى ، فأقسم عليه حتى أخبره ، فضحك حتى فخص برجله وقال :
قل له : قد عرفنا العلامة فأدخل ، فدخل . فأكرمه ورفع له مديحه وأجازه^(١)
وأحسن صلته . وأراد بقوله بيض ابن من قول الشاعر :

أنت ابنُ بيضٍ لعمري لست أنكره فقد صدقت ولكن من أبو بيض
فإن حمزة كان قد اختصم هو وأبو الجون السَّحيمى ، وقيل : أبو الحويرث
السَّحيمى ، فترافعا^(٢) إلى المهاجر بن عبد الله الكلابى وهو على اليمامة ، فوثب إليه
حمزة وقال :

غمضتُ في حاجةٍ كانت تُورِّقُنِي لولا الذى قُلْتَ فيها قل تغميضي
قال : وما قلت لك ؟ قال :
حلفت بالله لى أن سوف تُنصِّبَنِي فسأغ فى الخلق ريقى بعد تجريضي^(٣)
قال : وأنا أحلف بالله لأُصبِّبَكَ . قال :
سل هؤلاء أُولَى ماذا شهدتهم^(٤) أم كيف أنت وأصحاب المسارىض
فقال : أوجهم ضرباً . فقال :
فاسأل لُججياً إذا وافاك أجمعهم^(٥) هل كان بالشرِّ خَوْضٌ مثل تخويضي
ففضى له ، فأنشأ السَّحيمى يقول :
أنت ابنُ بيضٍ لعمري لست أنكره حقاً يَقيناً ولكن من أبو بيض
إن كنتُ أُبْصِيتُ لى قوساً ليرميني فقد رَمَيْتُك رمياً غير مَنبُوض^(٦)

(١) كلمة وأجازه ليست فى الأغاني .

(٢) كلمة « ترافعا » ليست فى الأغاني .

(٣) جرض ريقه : ابتلعه على ثم وحن .

(٤) فى الأغاني : سل هؤلاء عن أُولى .

(٥) فى الأغاني : وسل سحياً إذا وافاك جمعهم وفى غلطوط منه : فاسأل لُججياً .

(٦) أبض الرامي القوس : جذب وترها . وفى الأغاني : رمياً غير تنبيض .

أَوَكُنْتَ خَصَصْتَنِي وَطَبَّأَ لَتَسْقِينِي فقد سقيتك مَحْصَا غَيْرِ مَخْضُوضٍ
فوجم حمزة وقُطِعَ به ، فقيل له : وبلك ، ما لك لا تحببه ؟ فقال : وَبِمَ أَحْبَبُهُ ؟
والله لو قلت له : عبد المطلب بن هاشم أبو بيض ما تعنى ذلك بمد قوله : ولكن
من أبو بيض .

قال حمزة بن بيض : وفد الكُميت بن زيد على غُثَلْد بن يزيد بن المهلب
وهو يَخْلُفُ أباه على خراسان ، وهو واليها وله ثمانى عشرة سنة فدحه بقصيدته التى
أولها :

* هَلَّا سَأَلْتُ مَعَالِمَ الْأَطْلَالِ *

وهى التى يقول فيها :

بِمَشِينٍ مَشَى قَطَا الْبِطَاحِ تَأَوَّدَا قُبَّ الْبُطُونِ رَوَاجِحِ الْأَكْفَالِ
وقصيدته التى يقول فيها :

* هَلَّا سَأَلْتُ مَنَازِلًا بِالْأَرْقِ *

فأعطاء مائة ألف درهم سوى الرُّوض والجلان ، فقدم الكوفة فى هيئة حسنة
لم يرَ مثلها ، فقلت فى نفسى : لأنا واللهِ أَوْلَى مِنَ الْكُمَيْتِ بِمَا نَالَهُ مِنْ غُثَلْدِ بْنِ زَيْدٍ ،
وإِنِّ لَحَلِيفُهُ وَنَاصِرُهُ فى المصيبة على الكُميت وعلى مُضَرِّ جَمِيعَا ، فهَيَّأْتُ لُغْلُدَ مَدِيحَا
على رَوْيٍ قَصِيدَتِي الْكُمَيْتِ وَقَافِيَتَهُمَا ، ثم شخَصْتُ إِلَيْهِ ، فلما كَانَ قَبْلَ خُرُوجِي
إِلَيْهِ يَوْمَ أَتَنِى جَمَاعَةٌ مِنْ رِيَّةٍ فى تَحَنُّسٍ دِيَاتٍ عَلَيْهِمْ لُضْرٌ ، فقالوا : إِنَّكَ تَأْتِي غُثَلْدًا
وهو فتنى العرب ، ونحن نعلم أَنَّكَ لَا تُؤَثِّرُ عَلَى نَفْسِكَ ، ولكن إِذَا فَرَّغَ مِنْ أَمْرِكَ
فَأَعْلَمْهُ تَحَنُّسَنَا إِلَيْكَ وَمَسْأَلَتَنَا إِيَّاكَ كَلَامَهُ ، فنرجو أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ظَنِّنَا . فلما قَدِمْتُ
خراسان على غُثَلْدِ أَتَرَلْنِي وَفَرَشَ لِي وَأَخْدَمَنِي ، وحلنى وكسائى ، وخطبى بنفسه ،

وكنتم أسمر عنده ، فقال لى ليلة : أعليك دين يا ابن بيض ؟ فقلت : دعنى من مسألتك لإيى عن الدين ، إنك أعطيت الكمية عطية لست أرضى بأقل منها وإلا لم أدخل الكوفة ولم أُعَيَّرْ بتقصيرك بى . فضحك ثم قال : بل أزيدك على ما أعطيت الكمية . وأمر لى بمائة ألف درهم وزادنى ، وصنع بى فى سائر الألفاظ كما صنع به ، فلما فرغت من حاجتى أتيتهُ يوما ومعى تذكرة حاجة القوم فى الديات ، فلما جلس أنشدته :

أتيناك فى حاجة فاقضها	وقل مرحبا يحبب المرحب
ولا تكلفنا إلى مشر	مضى يعدوا عدة يكذبوا
فإنك فى الفرع من أسرة	لهم خضع الشرق والمغرب
وفى أدب منهم ما نشأت	ونعم لمرمك ما أدبوا
بلفت لمشر مضت من سيرة	لك ما يبلغ السيد الأشيب
فهمك فيها جسام الأمور	وهم ليدانك أن يلعبوا
وبعدت فقلت ألا سائل	فيعطى ألا راغب يرغب
فمنك العطية للسائلين	ومن يتوبك أن يطلبوا

- فيقال إن الكمية حسده فقال له : يا حمزة ، أنت كهدي التمر إلى هجر . فقال : نعم ، ولكن تمرنا أطيب من تمر هجر - فقال : مرحبا بك وبماجتك ، فما هى ؟ فأخرجت رقعة القوم وقلت : سمالات فى ديات . فتبسم وأمر لى بمشرة آلاف درهم ، فقلت : أو غير ذلك أيها الأمير ، قال : وما هو ؟ قلت : أدل على قبر المهلب حتى أشكو إليه قطعة ولده . فتبسم ثم قال : زده با غلام عشرة آلاف أخرى . فأبيت وقلت : بل أدل على قبر المهلب ، فزادنى عشرة آلاف درهم ، فأزال يكررها حتى بلغت سبعين ألفا^(١) ، فخشيت والله أن يكون يلعب أو يهزأ بى ، فقلت :

(١) فى الأغاني : تسعين ألفا .

وملك الله أيها الأمير وأجرك وأحسن جزاءك . فقال مخلد : أما والله لو أقت على كلامك وإياك^(١) ثم أتى ذلك على خراج خراسان أعطيناك .

قال الجاحظ : أصاب حمزة بن بيض حُصْر^(٢) ، فدخل عليه قوم يهودونه وهو في كَرْبِ القَوْلِجِ^(٣) ففرض رجل منهم ، فقال حمزة : مَنْ هذا النُّعْمَ عليه ؟ مرَّ عبد الرحمن بن عَنبَسَةَ يوما بسلام من أصبح الثلمان وأحسنهم ، ولم يكن له ولد ، فسأل عنه فقيل : يتيم من أهل الشام قدم أبوه المراق في بَيْتٍ قُتِلَ وبقي الغلام هاهنا . فضمَّه إليه وتبنَّاه ، فوقع الغلام فيما شاء الله من الدنيا فرَّ يوما على بِرْدَوْنٍ ومعه خدم على ابنِ بيض ، وحول ابنِ بيض عياله في يوم شات وهم شُعْتُ عُجْبَرٍ ، فقال ابن بيض : مَنْ هذا ؟ فقالوا : صدقةُ يتيمِ ابنِ عنبسة^(٤) ، فقال :

بَشَعْتُ صَبِيانَنَا وما يَتِمُّوا	وأنت صافي الأديم والحدقة
فليت صَبِياننا إذا يَتِمُّوا	يلقونَ ما قد لَقِيتَ يا صدقة
عَوْضُكَ اللهُ من أَيْكَ ومن	أُمُّكَ بالشَّامِ في المِراقِ مِقَّةً ^(٥)
كفناك عبدُ الرحمن قَدَّعَها	فأنت في كسوة وفي نَفَقَةٍ
تَظَلُّ في دَرَمِكَ وفالْكَمَةِ	ولحم طيرٍ ما شئتَ أو مَرَقَةً ^(٦)
تَأْوِي إلى حاضِرٍ وحاضِنَةٍ	زادا على والدَيْكَ في الشَّقَةِ
فَكُلُّ هَبِيتًا ما عاشَ ثم إذا	ماتَ فَلَنُحْ في الدِّماءِ والسَّرَقَةِ

(١) كلمة : « وإياك » ليست في الأغاني .

(٢) المحصر - كقفل وعنق - : احتباس البطن . المحصر من الفاعل كالأسر من البول .

(٣) القولنج : مرض مموى مؤلم يسرى معه خروج الثقل والريح .

(٤) في أصل المختار : عبيدة . وسبق في ك أن ذكرها « عنبسة » مثل الأغاني فيها .

(٥) اللقمة : الحب .

(٦) الدرهمك : دقيق الحوارى .

وخالف المسلمين قِبَلَتَهُمْ وَضِلَّ عَنْهُمْ وَخَادِنَ الْفَسَقَةَ
وَاشْتَرَى تَهْدِ التَّلِيلَ ذَاخَصَل لَصُونَهُ فِي الصَّهِيلِ صَهْصَلَةً (١)
وَاقْطَعْ عَلَيْهِ الطَّرِيقَ تَلَقَّ غَدَاً رَبَّ دَنَائِرَ جَمَّةٍ وَرَقَةً (٢)

فلما مات عبد الرحمن أصابه ما قال ابنُ بيض أجمعُ من الفساد والسرقه ومحبة اللصوص ، ثم كان آخر أمره أنه قطع الطريق ، فأخذ وصُلب .

سافر حمزة بن بيض فاضطره الليل إلى قرية عامرة كثيرة الأهل والمواشي من الشياء والبقر ، كثيرة الزروع ، فلم يصنعوا به خيراً ، فندا عليهم وقال :
لَسِ الْإِلَهِ قَرْيَةً يَمْتَنُهَا فَأَصَافِي لَيْلًا إِلَيْهَا التَّغْرِبُ
الزَّارِعِينَ وَلَيْسَ لِي زَرْعُهَا وَالْحَالِبِينَ وَلَيْسَ لِي مَا أُحْلِبُ
فَلَمَلْ ذَاكَ الزَّرْعَ يُودِي أَهْلَهُ وَلَمَلْ تِلْكَ الشَّاءَ يَوْمًا تَجْرِبُ
وَلَمَلْ طَاعُونًا يَصِيبُ عُوجَهَا وَيُصِيبُ سَاكِنَهَا الزَّمَانُ فَتُخْرِبُ

فلم يمر بتلك القرية سنة حتى أمياهم الطاعون فباد أهلها وخربت ، فرَّ بهم ابنُ بيض فقال : كلا ، زعمتُ أني لم أعطُ أمنيَّتِي ، قالوا : وأنيك لقد تمنَّيْتَهَا ، فلو كنتَ تمنَّيْتَ الْجَنَّةَ كَانَ خَيْرًا لَكَ ، قال : أنا أهلكُ بنفسِي ، لا أتمنى ما لستُ له أهلاً ، ولكني أرجو رحمة ربي عز وجل .

خرج مرة أخرى فنزل بقوم فأتوه بخنزير يابس ، وألقوا لبنلته تبنا ولم يحسنوا إليه ، فأعرض عنهم وأقبل على بنلته وقال :

أَحْسِبُهَا لَيْلَةً أَدَلَجْتُهَا وَكُلِّي إِنْ شِئْتَ تَبْنًا أَوْ ذَرِي
قَدْ أَتَى رَبِّكَ خَبْرٌ يَابِسٌ فَتَحْزَنِي مَمَّهِ وَاصْطَبِرِي

(١) التهد : المرتفع : والتليل : النقص . والصهيلقه : شدة الصوت . ويريد بذلك الخيل .

(٢) الرقة : الدرام الضروية .

قال حمزة بن بيض يوما للفرزدق: أيُّما أحبُّ إليك؟ أن تسبق الخير أو يسبقك؟
قال: لا أسبقه ولا يسبقني بل نكون معا. فقال له الفرزدق: أيُّما أحبُّ إليك؟
أن تدخل بيتك فتجد رجلا قابضا على حِرِّ امرأتك أو تجد امرأتك قابضة على أيره؟
فقال: كلام لا بد من جوابه، والبادي أظلم، بل أجدها قابضة على أيره قد دفعتَه
عن نفسها.

وقع بالكوفة بين بني حنيفة وبني تميم شرٌّ حتى نشبت الحرب بينهم، فقال رجل
لحمزة بن بيض: ألا تأتي هؤلاء القوم فتدفعهم عن قومك فإنك ذو بيان وعارضة!
فقال:

أَلَا لَا تَلْمُنِي يَا ابْنَ مَاهَانَ إِنِّي أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تَحْطَأَ
وَلَوْ أَنِّي أَتْبَاعُ فِي السُّوقِ مِثْلَهَا وَعَيْشُكَ مَا بَالَيْتُ أَنْ أَتَقَدِّمَ
دَخَلَ حَمْزَةُ بْنُ بَيْضٍ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ السَّجَنَ فَأَنْشَدَهُ:

أُفْلِقُ دُونَ السَّمَاحِ وَالْجُودِ وَالنَّجْدِ سَدِّ بَابِ حَدِيدِهِ أَشِبُّ^(١)
ابْنُ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ مَضَتْ لَا وَرَعَ وَاهِنْ وَلَا نَكِبُ^(٢)
لَا يَطْرُقُ إِنْ تَتَابَعْتُ نَيْمٌ وَصَابِرٌ فِي الْبَلَاءِ مُحْتَسِبُ
بَرَزْتُ سَبْقَ الْجَوَادِ فِي مَهَلٍ وَقَصُرْتُ دُونَ سَمِيكَ الْعَرَبُ

فقال: والله يا حمزة لقد أسأت إذ نوَّهت باسمي في وقتٍ غير تنويع ولا تنويل
لك^(٣). ثم رفع مقعدا له تحته فرمى إليه بمخرقة مصرورة وعليه صاحبُ خير واقف
وقال: خذ هذا الدبنار، فوالله لا أملك غيره، فأخذه حمزة وأراد أن يرده، فقال له سرا:

(١) أشب: مخف.

(٢) الروع: الجباة. والنكب: اللائل البادل عن الطريق وغيره.

(٣) في الأغاني: في غير وقت تنويع ولا منزل لك.

خذه ولا تُخَدِّع عنه . فلما قال : لا تُخَدِّع عنه قلتُ : ما هذا دينار ، فخرجت ، فقال لي صاحب الخبر : ما أعطاك يزيد ؟ قلت : أعطاني دينارا وأردت أن أردّه عليه فاستحييت منه ، فلما صرت إلى منزلي حلت لي الخرقه^(١) فإذا فصّ ياقوت أحمر كأنه سقط رَند^(٢) ، قلت : والله إن عرضت هذا بالعراق ليُكَلِّمَنِّي أني قد أخذته من يزيد فيؤخذ مني ، فخرجت إلى خراسان ، فبقيته لرجل يهودي بثلاثين ألفا ، فلما قبضت المال وصار الفص في يده قال لي : والله لو آيت إلا خمسين ألفا لأخذته منك بها ، فكأنه قدف في قلبي جرة ، فلما رأى تغير وجهي قال : إني رجل تاجر ، ولست أشك أني قد عمّمتك . قلت : إني والله وقتلتني فأخرج إليّ مائة دينار وقال : أتفق هذه في طريقك ليتوفر المال عليك^(٣) :

قال غلّد بن حمزة بن يبيض : قدِمَ أبي عليّ يزيد بن المهلب وهو عند سليمان ابن عبد الملك فأدخله إليه فأنشده :

ساس الخلافة والداك كلاهما	من بين سخطه ساخط أوطانهم
أبواك ثم أخوك أصبح أئامنا	وعلى جبينك نورٌ مُلكٍ رابع
سريت خوف بني المهلب بعدما	نظروا إليك بسم موتٍ ناعم
ليس الذي ولّاك ربك منهم	عند الإله وعندم بالصائع

فأمر له بخمسين ألف درهم .

قال النضر بن شميل : دخلت على المأمون بمرورٍ وعلى أعلامٍ مترغيلة^(٤) فقال : يا نضر ، أندرخل على أمير المؤمنين بهذه الثياب ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ،

(١) في الأغاني : الصرة .

(٢) أي كشعلة النار التي تنع من الزند إذا أوري .

(٣) في الأغاني : لتوفر عليك تلك .

(٤) مترغلة : خلفة متنزقة .

إِنْ حَرَّ مَرَوْ لَا يَدْفَعُ إِلَّا بِهِذِهِ الثِّيَابِ الْأَخْلَاقِ . فقال : لا ولكنك تنكشف .
فتجارتنا الحديث . فقال المأمون : حدثني هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ ^(١) عن أشياخه عن ابن عباس
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه
سَدَادٌ مِنْ هَوَازٍ » - بفتح السين - فقلت : صدق أمير المؤمنين ، حدثني عوف الأعرابي
بإسناده عن الحسن ^(٢) ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا تزوج الرجل المرأة
لدينها وجمالها كان فيه سَدَادٌ مِنْ هَوَازٍ » - بكسر السين - وكان المأمون متكئا فاستوى
جالسا وقال : السَدَادُ لَحْنٌ عِنْدَكَ يَا نَضْرُ ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، وإنما هُشَيْمٌ ^(٣)
لَحْنٌ وَكَانَ لَحَّانَةً قَالَ : فَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ؟ قلت : السَدَادُ : الْقَصْدُ فِي الدِّينِ وَالطَّرِيقَةُ
وَالسَّبِيلُ ، وَالسَدَادُ الْبَلَنَّةُ وَكُلُّ مَا سَدَدَتْ بِهِ شَيْئًا فَهُوَ سَدَادٌ . تقول : سَدَادُ الْقَارُورَةِ .
قال المرجئي

أَضَاعُونِي وَأَيُّ فَتَى أَضَاعُوا لِيَوْمٍ كَرِيمَةٍ وَسَدَادُ ثَنَرٍ
فَأَطْرَقَ الْمَأْمُونُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : قَبِحَ اللَّهُ مِنْ لَا أَدَبَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : أُنْشِدْنِي يَا نَضْرُ
أَخْلَبَ بَيْتَ قَائِلَتِهِ الْعَرَبِ . قال : قلت : قول حمزة بن أبيض يا أمير المؤمنين :
تَقُولُ لِي وَالْمَيُونُ هَاجِمَةٌ أَقْمُ عَالِيْنَا يَوْمًا فَلَمْ أَقْمُ
أَيُّ الْوُجُوهِ انْتَجَمَتْ قُلْتُ لَهَا لَأَيُّ وَجْهِ إِلَّا إِلَى الْحَكَمِ
مَتَى يَقُلُ حَاجِبًا سُرَادِقَهُ هَذَا ابْنُ بَيْعِزٍ بِالْبَابِ يَبْتَسِمُ

(١) في المختار : « هشام بن بشير » والتصويب من الأغاني وتهذيب التهذيب - ١١ ص ٩٠
ومعجم الأدباء : ترجمة النضر بن شميل وفيه التمس . هذا ، وفي الأغاني ومعجم الأدباء : حدثني هشام
بن بشير عن مجاهد عن الشعبي عن ابن عباس .
(٢) في معجم الأدباء : عن الحسن بن علي بن أبي طالب .
(٣) في المختار : هشام .

قد كُنتُ أُسَلِّمُ فَيْكَ مُقْتَبِلًا فَهَاتِ أَدْخَلَ وَأَعْطَى سَلَمِي^(١)
فقال المأمون: لله درك كأنما شق لك عن قلبي، أنشدني أنصف بيت قالته العرب،
قلت: قول ابن أبي عروبة المذني^(٢):

إني وإن كان ابنُ عمي غائبًا لَزَّاحِمٌ مِنْ خَلْفِهِ وَوَرَائِدُ^(٣)
وَمُعِيدُهُ نَصْرِي وَإِنْ كَانَ امْرَأً مُتَزَحِّجًا فِي أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
وَأَكُونُ وَالْيَ سِرَّهُ وَأَصُونُهُ حَتَّى يَجِيَنَ عَلَيَّ وَقْتُ أَدَائِهِ^(٤)
وَإِذَا الْخَوَادِثُ أَجْحَفَتْ وَسَوَامِيهِ قُرْنَتْ صَحِيحَتُنَا إِلَى جَرِّ بَائِدِهِ^(٥)
وَإِذَا دُمَا بِاسْمِي لِيَرْكَبَ مَرْكَبًا صَعْبًا قَعَدْتُ لَهُ عَلَى سَيْسَائِدِهِ^(٦)
وَإِذَا آتَى مِنْ وَجْهِهِ لَطِيفُهُ^(٧) لَمْ أَطَاعْ فِيمَا وَرَاءَ خِيَائِهِ
وَإِذَا ارْتَدَى ثَوْبًا جَمِيلًا لَمْ أَقُلْ يَا لَيْتَ أَنَّ عَلِيَّ حُسْنَ رِدَائِهِ

فقال: أحسنت يا نصر، أنشدني أفنع بيت قالته العرب. فأنشدته قول ابن عبدل
الأسدي:

إني امرؤ لم أزل وذاك من الأ قديمًا أعلم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأنت بي الدار وإن كنت نازحًا طربا^(٨)

(١) دخل يدخل: تباعد. وفي الأغاني: «أرحل» وفي عيار الشعر ٨٧: فهات إذا حل
أعطى سلمى وفي طبعة بولاق للأغاني: ها أدخلن. هنا، والسلام من معاني الأسر وتكون أسلت
بمعنى أسرت.

(٢) القصيدة منسوبة للهذيل بن مشجعة البولاني في شرح الحاسة للرزوقي ص ١٦٨٠.

(٣) في الأغاني: لمراجع.

(٤) في الأغاني: حتى يجيء علي.

(٥) في ت: إلى دبرائه.

(٦) السيساء: الظاهر.

(٧) في الأغاني: بطريقة.

(٨) في الأغاني: مازحًا طربًا وانظر شرح الرزوقي ص ١٢٠٥.

لا أَجْتَوِي خُلَّةَ الصَّدِيقِ وَلَا أَتْبِعُ نَفْسِي شَيْئًا إِذَا ذَهَبًا^(١)
أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنَ الرِّزْقِ نَفْسِي وَأَجْمَلُ الطَّلَبَا
وَأَحْلِبُ الدَّرَّةَ الصَّيْفَى وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلَبًا^(٢)
إِنِّي رَأَيْتُ الْفَقِيَّ الْكَرِيمَ إِذَا رَغَبْتَهُ فِي صَنِيعٍ رَغَبًا
وَالْمَبْدُ لَا يَطْلُبُ التَّلَاءِ وَلَا يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبًا
مِثْلُ الْحَارِ الْمَوْقِعِ السَّوْءِ لَا يُحْسِنُ شَيْئًا إِلَّا إِذَا ضُرِبًا^(٣)
وَلَمْ أَجِدْ عُرَّةَ الْخَلَائِقِ إِلَّا الدِّينَ لَمَّْا اعْتَبَرْتُ وَالْحَسْبَا^(٤)
قَدْ يُرْزَقُ الْخَافِضُ الْقِيمَ وَمَا شَدَّ لِمَيْسَ رَحْلًا وَلَا قَبَسًا^(٥)
وَيُصَرِّمُ الرِّزْقَ ذُو الْمَطِيَّةِ وَالرَّحْلَ لِمَنْ لَا يَزَالُ مُفْتَرِبًا

فقال : أحسنت يا نصر ، وكتب إلى الحسن بن سهل^(٦) لي بخمسين ألف درهم وأمر الخادم بإيصال رقبته وتنجيز ما أمر به لي فمضيت معه إليه ، فلما قرأ الرقعة ضحك ثم قال : يا نصر ، أنت المُلْحَنُ لأُمير المؤمنين ؟ قلت : لا بل لهُشيم^(٧) قال : فذاك إذا ، فأطلق لي الخمسين ألفا ، وأمر لي بثلاثين ألفا أخرى .

كان حمزة بن يبيض يُسامر عبد الملك بن بشر بن مروان ، وكان عبد الملك يعبت به كثيرا ، فوجه إليه ليلة رسول وقال : خُذْهُ عَلَى أَيْةِ حَالِهِ وَجَدَنَّهُ وَحَلَفَهُ

(١) في المختار : ولا أَسْبَغُ نَفْسِي .

(٢) الدرة هنا تكون بمعنى الدارة . وفي الأغاني : الثرة وهي النزرة . والصنف أيضا النزرة . والأخلاف : الأبناء .

(٣) الموقع : الذي يظهره آثار دبر أو هو المذلل .

(٤) في الأغاني : عروة الملائق وفي ت : خيرة الملائق .

(٥) في الأغاني : شد بميس رحلا .

(٦) في بعض نسخ الأغاني : وكتب إلى الفضل بن سهل .

(٧) في المختار : قلت : لهشام .

على ذلك وغلظ الأيمان ، فضى الرسول وهم عليه ، فوجده يريد أن يدخل الخلاء فقال : أجب الأمير ، فقال : ويحك ، إني أكلت طعاما كثيرا ، وشربت نبيذا خلوا . وقد أخذني بطنى . فقال : والله ما تفارقنى أو أمضى بك إليه ولو سلكت في ثيابك . فجهد في الخلاص فلم يقدر عليه ، ومضى به إلى عبد الملك فوجده قاعدا في طارمة^(١) له ، وجارية يتحفظاها جميلة جالسة بين يديه تبخر بالند^(٢) ، فجلس يحادثه وهو يمالج ما هو فيه ، قال : فعزستى لى ريج^(٣) ، فقلت أسرحها لأستريح ، ولمل ريجها لا يظهر مع هذا الند ، فأطلقها ، فنلبت ريج الند وعمرته ، فقال : ما هذا يا حزة ؟ فقلت : على عهد الله وميثاقه والنس والهدى إن كنت فعلتها . قال : وما حلفت به على إن كنت فعلتها ، وما هذا إلا عمل هذه الجارية الفاجرة . وغضب ، وخجلت الجارية فإقدرت على الكلام . ثم جاءتني أخرى فسرحتها فسطع ريجها ، فقال : ما هذا ويلك ؟ أنت والله الآفة ، فقلت : امرأتى طالق ثلاثا إن كنت فعلتها ، فقال : وهذه اليمين لازمة لى إن كنت فعلتها ، وما هو إلا عمل هذه الجارية . ثم قال : ويلك ما قصتْك ؟ قولى إلى الخلاء إن كنت تجدين شيئا^(٤) ، فزاد خجلها وطمعت فيها ، فسرحت الثالثة ، فسطع من ريجها ما لم يكن فى الحساب ، فغضب عبد الملك حتى كاد يخرج من جلده ثم قال : خذ يا حزة بيد الزانية فقد وهبتها لك وامض فقد نفست على ليلتى ، فأخذت بيدها وخرجت ، فلقيتني خادم له فقال : ما تريد أن تصنع ؟ فقلت : أمضى بهذه ، فقال : لا تفعل ، فوالله إن فعلت ليُبعضنك بُعضا شديدا لا تنفع به بমে أبدا ، وهذه مائة دينار ، نخذها ، ودع الجارية

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة .

(٢) فى الأغاني : تسجر الند .

(٣) فى الأغاني : تجدين حسا .

فإنه يحفظها، وسيندم على هبته لك إياها ، فقلت : لا أقتصك من خمسمائة دينار شيئاً ، فقال : ليس غير ما قلت لك ^(١) ، فلم تطب تقسى أن أضيّعها فقلت : هايتها . فأعطانيها وأخذ الجارية ، فلما كان بعد ثلاث دعاني عبد الملك ، فلما قربت منه ^(٢) لقيني الخادم فقال : هل لك في مائة دينار أخرى وتقول ما لا يضرُّك ولعله ينفك ؟ قلت : وما ذاك ^(٣) ؟ قال : إذا دخلت إليه اعترفت بالثلاث فسوات ونسبتها إلى نفسك وتدفّع عن الجارية ما رَمَيْتَها به ^(٤) . قلت : هايتها ، فدفعها إليّ ، فدخلت على عبد الملك فلما وقفت بين يديه قلت له : الأمان ^(٥) حتى أخبرك بخبر يضحكك ويسرك . قال : لك الأمان ، قلت : أرايت ليلة كذا وكذا وما جرى ^(٦) ؟ قال : نعم ، قلت : فملىّ وعلىّ إن كان فسأ تلك الفسواتِ غيرى فضحك حتى سقط على قفاه وقال : ويك ، ولمّ لم تخبرني؟ فقلت له : أردت بذلك خصالاً : منها أني قت ففضيت حاجتي ، وكان رسولك قد منعني من ذلك ، ومنها أني أخذت الجارية ، ومنها أني كافأتك على أذاك لي بمثل . قال : وأين الجارية ؟ قلت : ما برحت من دارك ولا خرجت ^(٧) حتى سلمتها إلى فلان الخادم وأخذت مائتي دينار . فسُرّ بذلك وأمر لي بمائتين أخرى وقال : هذه لجميل فمك لي وردّ الجارية على ^(٨) .

(١) في الأغاني : فلم يزل يزايدني حتى بلغ مائتي دينار وقال : ليس إلا ما قلت لك .

(٢) في الأغاني : فلما قربت من داره .

(٣) في المخار : وماذا .

(٤) في الأغاني : ادعيت عنده الفسوات الثلاث ونسبتها إلى نفسك وتدفّع عن الجارية ما

فرقتها به .

(٥) في الأغاني إلى الأمان .

(٦) في الأغاني : ليلة ليقة وما جرى .

(٧) في : ولا خرجت عنها وقد سلمتها .

(٨) في الأغاني : وتركك أخذ الجارية .

قال حمزة بن بيض: ودخلت إليه يوما ، وكان له غلام لم يرَ الناسُ أنْتَنَ إِبْطًا منه ، فقال لي : يا حمزة ، سابقْ غلامى هذا حتى يفوح صُفانكبا ، فأيكبا كان صُفاناه أكثرَ فله مائة دينار ، فطعمت في المائة ويئست منها ، لما أعلمه من نَنَ إبط الغلام ، فقلت : أفل ، وتمادينا ساعة فسبقنى ، فسَلَحْتُ في يدي ثم طليت إبطى بالسلاح ، وقد كان عبد الملك جمل بيننا حَكَمًا يُخبره بالقصة ، فلما دنا الغلام منه وشمه وثب وقال : هذا والله لا يُشاكله شيء ، فصحت به : لا تمجل على بالحكم مكانك ، ثم دنوت إليه فألقمتُ أنفه إبطى حتى هلت أنه قد خالط دماغه ، وأنا ممسك رأسه تحت إبطى ، فصاح : الموت ، هذا والله بالكنيف أشبه منه بالآباط . فضحك عبد الملك ثم قال : أضحكت له ؟ قال : نعم ، فأخذت الدنانير .

قدم حمزة بن بيض على مُحَمَّد بن يزيد بن المهلب ، فوعده أن يصنع به خيرا ، ثم شغل عنه ، فاختلف إليه مرارا فلم يصل ، وأبطأت عليه عِدته ، فقال حمزة ابن بيض :

يَجُودُ وَيُمْطَى مِنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ	أَعْلَدُ إِنْ اللَّهُ مَا شَاءَ يَصْنَعُ
لَجَدَتْ سَرَابًا فَوْقَ بِيْدَاءٍ تَلْعُ	وَأَنَّ قَدْ أَتَلْتَ مِنْكَ سَحَابَةً
يُثِيبُ إِلَى أَمْرِ جَمِيلٍ وَيَرْجِعُ	فَأَزِمْتَ صُرْمًا ثُمَّ قُلْتُ لَمَلَةٍ ^(١)
عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَ لِي فِيهِ مَطْعُ	وَأَبَاسَى مِنْ خَيْرِ عَمَلٍ أَنَّهُ
مِنَ الْبُهْنِ وَالشَّنَانِ أُمْسَى يُقَطِّعُ	يَجُودُ لِأَقْوَامٍ يَوَدُّونَ أَنَّهُ
فَوَاللهِ مَا أَدْرَى بِهِ كَيْفَ أَصْنَعُ	وَيَبْخُلُ بِالْمَرْوِفِ عَمَّنْ يُوَدُّهُ
وَتَقْسَى إِلَيْهِ بِالْوَصَالِ تَطْلُعُ	أَصْرِمُهُ فَالْصُرْمُ شَرٌّ مَقْبَلَةٌ

وَشَتَّانَ بَيْنِي فِي الْوَصَالِ وَيَنْسَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقِيمُ وَيُظْلَمُ^(١)
فَأَعْتَبَنِي صُرْمًا عَلَى غَيْرِ إِحْتَرَفٍ وَبُخْلًا وَقَدِمًا كَانَ لِي يَتَبَرَّعُ
وَعَيْرَهُ مَا غَيْرَ النَّاسِ قَبْلَهُ وَتَقَى بِمَا يَأْتِي بِهِ لَيْسَ تَقْنَعُ
ثُمَّ كَفَّهَ فِي قِرطَاسٍ وَخَتَمَهُ وَبِثَّ بِهِ مَعَ رَجُلٍ ، فَدَفَعَهُ إِلَى غَلَامِهِ ، فَدَفَعَهُ الْغَلَامُ
إِلَيْهِ ، فَلَمَّا قَرَأَهَا سَأَلَ الْغَلَامُ : مَنْ صَاحِبُ الْكِتَابِ ؟ فَقَالَ : لَا أَعْرِفُهُ ، فَأَحْضَرَهُ
وَقَالَ : مَنْ أَعْطَاكَ الْكِتَابَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي مَنْ هُوَ ، إِلَّا أَنْ مِنْ صَفْتِهِ كَذَا وَكَذَا ،
وَوَصَفَهُ صِفَةً ابْنِ بَيْضٍ . فَأَمَرَ بِهِ فَضُرِبَ عَشْرِينَ سَوْطًا عَلَى رَأْسِهِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَمِائَةِ
دِرْهَمٍ وَكِسَاءٍ وَقَالَ : إِنَّمَا ضَرَبْنَاكَ أَدَبًا لَكَ ، لِأَنَّكَ سَخَّيْتُ كِتَابًا لَمْ تَدْرِ مَا فِيهِ
لَنْ لَا تَعْرِفَ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَمُودَ لثَلْهَا . فَقَالَ ؟ لَا وَاللَّهِ لَا أَمُودُ لثَلْهَا وَلَا أَهْلُ كِتَابًا
لَنْ أَعْرِفَ وَلَا لَنْ لَا أَعْرِفُ أَبَدًا . فَقَالَ أَحْذَرِ فَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَفْعَلُ بِكَ فِعْلِي^(٢) ،
وَبِثَّ إِلَى ابْنِ بَيْضٍ فَقَالَ : أَتَعْرِفُ مَا لَحِقَ صَاحِبِكَ الرَّجُلَ ؟ فَقَالَ : لَا ، فَخَذَهُ غُلْدٌ
بِقَصْعَتِهِ . فَقَالَ ابْنُ بَيْضٍ : لَا تَزَالُ تَقْسُ تَتَوَقَّى إِلَى الْعَشْرِينَ السَّوْطَ مَعَ الْخَمْسَمِائَةِ أَبَدًا .
فَضَحَكَ غُلْدٌ وَأَمَرَ لَهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ وَخَمْسَةِ أَنْوَافٍ وَقَالَ : أَنْتَ لَا تَزَالُ تَقْسُ
تَتَوَقَّى إِلَى عِتَابِ إِخْوَانِكَ أَبَدًا . قَالَ : أَجَلُ وَاللَّهِ ، وَلَكِنْ مِنْ لِي بَعْنُ يُتَبَّنِي إِذَا
اسْتَعْتَبْتُ وَيَفْعَلُ بِي مِثْلَ فَعْلِكَ . ثُمَّ قَالَ :

وَأَبْيَضُ بَهْلُولٍ إِذَا جِئْتُ دَارَهُ كَمَا نِي وَأَعْطَانِي الَّذِي جِئْتُ أَسْأَلُ
وَيُتَبَّنِي يَوْمًا إِذَا جِئْتُ عَاتِبًا وَإِنْ قُلْتُ زِدْنِي قَالَ إِنِّي سَأَفْعَلُ^(٣)

(١) نِي تَوْغْلَطُوطُ مِنَ الْأَغَانِي : أَسْتَقِلَّ وَيُظْلَمُ . وَبِهَاشٍ ك : أَسْتَقِيمُ . هَذَا ، وَفِي الْأَغَانِي

عَنْهُ يَنْتِ .

(٢) فِي الْأَغَانِي : يَصْنَعُ بِكَ صَنِيعِي .

(٣) وَفِي الْأَغَانِي : قَالَ حَقًّا سَأَفْعَلُ .

تراه إذا ما جئته تطلب الندى كأنك تعطيه الذي أنت تسأل^(١)
 فله أبناء المهلب فتية إذا قصحت حرب عواناً تأكل
 هم يصطلون الحرب والموت كأنهم بسر القنا والشرقية من عل^(٢)
 ترى الموت تحت الخافقات أمامهم إذا وردوا علواً الرماح وأهلوا
 يمجدون حتى يحسب الناس أنهم لجودهم نذر عليهم محل^(٣)
 فلما أنشد ابن بيش هذه الأبيات أمر له بمشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وقال:
 تريدك ما زدنا ونضعف ذلك^(٤) فقال:
 أغلظ لم تترك لنفسى سقية^(٥) وزدت على ما كنت أرجو وآمل
 فكنت كما قد قال معن وإنه بصير بما قد قال إذ يمثّل
 رأيت كثير المال إن ضنّ مُدِمّاً^(٦) يذم ويصفوه الصديق المؤمل
 وإن أحق الناس بالجود من رأى أباه جواداً للكارم يجزل^(٧)
 وجدت يزيداً والمهلب برزاً فقلت فإني مثل ذلك أفعل
 ففزت كما فازا وجاوزت غايةً يقصر عنها السابق التمهّل^(٨)
 فأنت غياث لليتامى وعصمة
 إليك جمال الطالبى الخير ترحل

-
- (١) في الأغاني: القى جث تسأل .
 (٢) كأنهم: عشر مجد . والشرقية: السيوف .
 (٣) بعده في الأغاني أربعة أبيات .
 (٤) في الأغاني: ونضعف لك .
 (٥) في الأغاني: لنفسى بنية .
 (٦) في الأغاني: وجدت كثير المال .
 (٧) في بعض نسخ الأغاني: « للكارم يجزل » أى يفرح ويهش . وبعده في الأغاني بيت .
 (٨) كذا أيضاً في الأغاني ولعلها: السابق التمهّل .

أصاب الذي يَرْجُو فَدَاكَ مُخِيلَةً تَصُبُّ عَزَالِيهَا عَلَيْهِ وَتَهْمَلُ^(١)
ولم تُلَفْ إِذْ أَرْجُو نَوَالِكَ بِاخْلَا يَظَلُّ عَنِ الْمُرُوفِ وَالسَّالِ يَنْفَلُ^(٢)
وموتُ الْفَتَى خَيْرٌ لَهُ مِنْ حَيَاتِهِ إِذَا كَانَ ذَا مَالٍ يَصْنُ وَيَخْلُ
فَقَالَ لَهُ غُلْدٌ : احْكَمْ ، فَأَبَى ، فَأَعْطَاهُ الْفَى دِينَارٍ وَجَارِيَةٍ وَبَرَدُونًا .

كَانَ حِزْمَةُ بْنُ بَيْضَ ظَرِيفًا مَطْبُوعًا^(٣) فَشَاتَمَ حَمَادُ بْنُ الرَّبْرِقَانِ وَسَابَهُ ، فَشَى بَيْنَهُمَا
الرِّجَالُ حَتَّى اسْطَلَحَا ، وَكَانَا كِلَاهُمَا صَاحِبَ شَرَابٍ وَظَرْفٍ وَمَكَانٍ ، وَكَانَ حَمَادُ مُتَّهِمًا
بِالزُّنْدَقَةِ فَدَخَلَا يَوْمًا عَلَى بَعْضِ وُلاَةِ السَّكُونَةِ ، فَقَالَ لَابْنُ بَيْضَ : أَرَأَيْكَ قَدْ صَالَحْتَ
حَمَادًا فَقَالَ ابْنُ بَيْضَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، قَدْ صَالَحْتَهُ عَلَى أَنْ لَا أَمْرَهُ بِالصَّلَاةِ
وَلَا يَنْهَانِي عَنْهَا .

(١) الْمُخِيلَةُ : السَّجَابَةُ لِلنَّفَرَةِ بِالْمَطَرِ . وَالزَّالَى : مَصَابِتُ الْمَاءِ مِنَ الْقُرْبِ وَنَعْمُهَا وَمِصْبَتُ السَّمَاءِ
عَزَالِيهَا : إِشَارَةٌ إِلَى شِدَّةِ وَقْعِ مَطَرِهَا .
(٢) فِي الْأَغَانِي :

وَلَمْ تَلَفْ إِذْ رَجَّوْا نَوَالِكَ بِاخْلَا تَظَلُّ عَلَى الْمُرُوفِ وَالسَّالِ تَعْلُ
هَذَا ، وَتَعْلُ : تَقْشَرُ بِحَبْلٍ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : كَلَّمَ حِزْمَةُ بْنُ بَيْضَ شَاعِرًا ظَرِيفًا .

فهرست تراجم الكتاب

٢٧٥-٢٣٣ ١٥ - جميل المنذرى

٢٨٣-٢٧٦ ١٦ - جميلة

١٧ - جرادتنا عبد الله بن

٢٨٧-٢٨٤ جُدعان

٢٩٦-٢٨٨ ١٨ - جذيمة الأبرش

٣٠٣-٢٩٧ ١٩ - الحمد المنذرى

٣١٢-٣٠٤ ٢٠ - الجحاف السلمي

٣٢١-٣١٣ ٢١ - جعفر بن علبة الحارثى

٣٢٤-٣٢٢ ٢٢ - جعفر بن الزبير

٣٣٦-٣٢٥ ٢٣ - جبلة بن الأيهم

٣٤٣-٣٣٧ ٢٤ - جويرية أم حكيم

٣٥٠-٣٤٤ ٢٥ - جعفران الموسوس

حرف الحاء

٣٦٠-٣٥١ ٢٦ - حُنين

٣٧١-٣٦١ ٢٧ - الحسك بن عبدل

٣٨٢-٣٧٢ ٢٨ - حُرثان ذو الإصبع

٤٠١-٣٨٣ ٢٩ - الحارث بن خالد

٤٢١-٤٠٢ ٣٠ - حسان بن ثابت

٤٣٧-٤٢٢ ٣١ - حَبان النافذة الجمدى

٤٥٠-٤٣٨ ٣٢ - حماد الراوية

حرف الباء

٣٢- ٣ ١ - وقعة بدر

٩٧- ٣٣ ٢ - بشار بن برد

١٠٣- ٩٨ ٣ - بسبص

١٠٦-١٠٤ ٤ - بُدَيْج المليح

١٠٩-١٠٧ ٥ - بذل

١١٥-١١٠ ٦ - بكر بن النطاح الحنفى

١١٩-١١٦ ٧ - بيس

١٢٧-١٢٠ ٨ - يوم بُمات

١٢٩-١٢٨ ٩ - بكر بن خارجة

حرف التاء

١٤٠-١٣٠ ١٠ - توبة بن الحميم

حرف الثاء

١٤٩-١٤١ ١١ - ثابت قطننة

١٦٧-١٥٠ ١٢ - ثابت تأبط شرأ

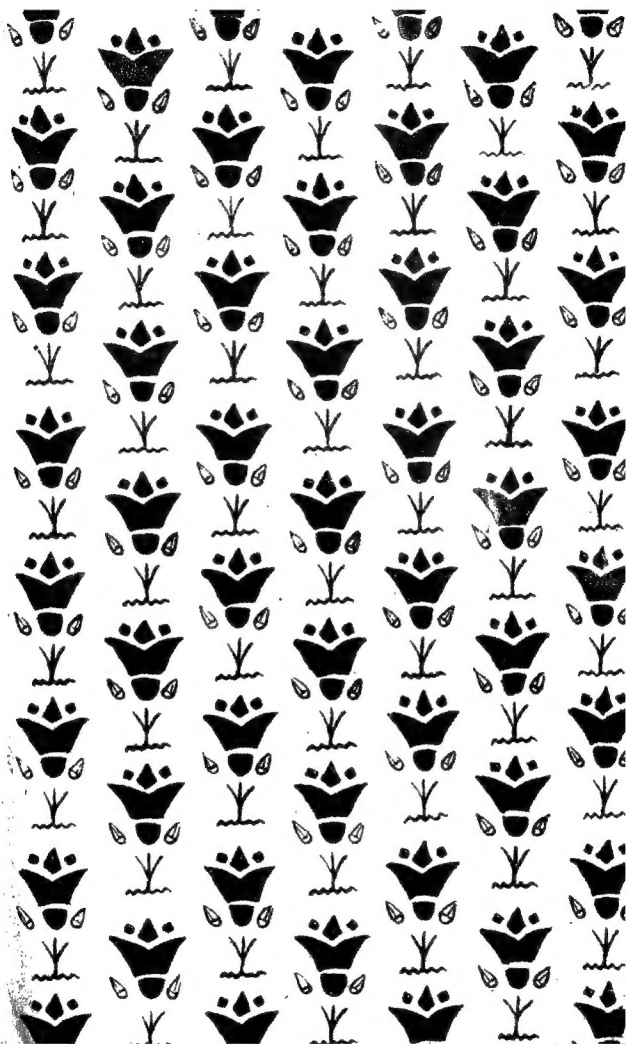
حرف الجيم

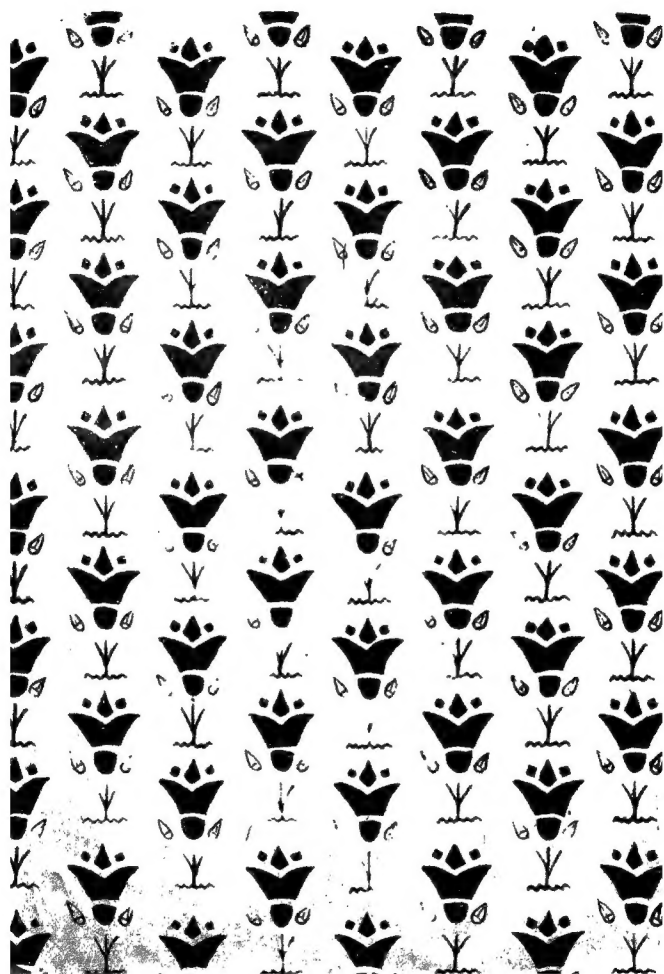
١٩٧-١٦٨ ١٣ - جَرُول الحطيطنة

٢٣٢-١٩٨ ١٤ - جبر

«وأما يوم الجَوْنين» ٢١٦

٥١٨-٥٠٩	٤١- الحَصِين بن الحُمام الرُّمِّيُّ	٤٥٣-٤٥١	٣٣- حَكَم الوَادِي
		٤٧٥-٤٥٤	٣٤- الحَسِين بن الضُّحَاك
	٤٢- الحَكَم بن قُنْبَر	٤٨٦-٤٧٦	٣٥- حَارِثَة بن بَدْر
٥٢٢-٥١٩	المَازِنِيُّ	٤٨٨-٤٨٧	٣٦- الحَسِين بن عَبْدِ اللَّهِ
٥٤٤-٥٢٣	٤٣- حَادُّ عَجْرَد	٤٩٥-٤٨٩	٣٧- حَرَمَلَة أَبُو زُبَيْد الطَّائِي
٥٤٨-٥٤٥	٤٤- حُرَيْثُ الطَّائِي	٥٠٠-٤٩٦	٣٨- حَنْظَلَة بن الشَّرْقِيَّ
٥٦٠-٥٤٩	٤٥- حَبَابَة	٥٠٤-٥٠١	٣٩- حَاجِرُ الْأَزْدِيَّ
٥٧٧-٥٦١	٤٦- حَمْرَة الحَنْفِيَّ		٤٠- الحَارِثُ بنُ الطُّفَيْلِ
		٥٠٨-٥٠٥	الدَّوْمِيَّ





Bibliotheca Alexandrina



0615052